التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف محمد بن أحمد بن جزى الكلبي - ٧٤١هـ . كتب في القرن الثاني عشر الهجرى تقديرا .

٤٩٨ ق ٢٥ س ٥ر٢١×٥ر١٥سم

نسخة جيدة، خطها نسخ معتاد، بها ثقوب واكل ارضة، طبع .

الازهرية ١:٢١٦، الأعلام ٦:٢٢١

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه

أ- ابن جزى الكلبي، محمد بن احمد -٧٤١هـ ب - تاريخ النسخ .

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل
للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم
القرآن العظيم محمد بن احمد بن جزي
الكلبي تغمده الله برحمته
واسكنه فسيح جنته
بمحمد واله
وصحبه
امين
تم

وقف هذا الكتاب العام العالي سيدنا السيد محمد ابو الانوار
ابن وفا السادات بلغه الله المرادات واطال عمره ورفع قدره على
ما ينتفع به من المسلمين في مسجد اسلافه الشاملو المقامات رضي الله عنهم

٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم استمد العون من مُمد الكون
قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلم العلامة فريد دهره ووحيد
عصره ابو عبد الله محمد المدعو ابا القاسم بن احمد بن محمد بن جزي الكلبي
رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه بحرمة النبي الاواه
الحمد لله العزيز الوهاب • مالك الملوك ورب الارباب
هو الذي انزل علي عبده الكتاب • هدي وذكري لاولي الالباب
واودعه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة • غاية الحكمة
وفصل الخطاب • وخصصه من الخصايص العلية • واللطايف الخفية
والدلايل الجلية • والاسرار الربانيه • العجب بكل عجيب عجاب •
وجعله في الطبقة العليا من البيان • حتي اعجز الانسان والجان •
واعترف علماء ارباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة
والاعراب والاغراب • وبيسر حفظه في الصدور وضمن حفظه من التبديل
والتغيير فلم يتغير ولا يتغير علي طول الدهور وتوالي الاحقاب •
وجعله قولا فصلا وحكما عدلا واية بادية ومعجزة باقية يشاهدها
من شهد الوحي ومن غاب • وتقوم بها الحجة للمومن الاواب • والحجة

علي

والحجة علي الكافر المرتاب • وهدي الخلق بما شرع فيه من الاحكام
• وبين الحلال والحرام • وعلم من شعاير الاسلام • وصرف من النواهي
والاوامر • والمواعظ والزواجر • والبشارة بالثواب • والنذارة بالعقاب
وجعل اهل القران اهل الله وخاصته واصطفاهم من عباده واورثهم
الجنة وحسن الماب • فسبحان مولانا الكريم الذي خصنا بكتابه وشرفنا
بخطابه فيا له من نعمة سابقة وحجة بالغة اوزعنا الله الكريم
القيام بواجب شكرها وتوفية حقها ومعرفة قدرها وما توفيقي
الا بالله هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وصلوات
الله وسلامه وتحياته وبركاته واكرامه علي من دلنا علي الله
وبلغنا رسالة الله وجانا بالقران العظيم وبالايات والذكر الحكيم
وجاهد في الله حق الجهاد وبذل جهده في الحرص علي نجاة العباد
وعلم ونصح وبين واوضح حتي قامت الحجة • ولاحت المحجة وتبين الرشد
من الغي وظهر طريق الحق والصواب • وانقشعت ظلمات الشك
والارتياب ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الامي القرشي الهاشمي
المختار من لباب اللباب • والمصطفي من اطهر الانساب واشرف
الاحساب • الذي ايده الله بالمعجزات الظاهرة • والجنود القاهرة •
والسيوف الباترة العضاب • وجمع له بين شرف الدنيا والاخرة
وجعله قايد الغر المحجلين والوجوه الناضرة فهو اول من يشفع يوم
الحساب • واول من يدخل الجنة ويقرع الباب • فصلي الله عليه وعلي
اله الطيبين واصحابه الاكرمين خير اهل واكرم اصحاب • صلاة
زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب • ولا يبلغ الي ادني
وصفها السنة البلغا ولا اقلام الكتاب اما بعد فان علم القران
العظيم هو ارفع العلوم قدرا واجلها خطرا واعظمها اجرا واشرفها
ذكرا وان الله انعم علي بان شغلني بخدمة القران وتعلمه وتعليمه
وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه فاطلعت علي ما صنف

العلما رضي الله عنهم في تفسير القران من التصانيف المختلفة الاوصاف
المتباينة الاصناف فمنهم من اثر الاختصار ومنهم من طول حتي كثر
الاسفار ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض ومنهم
من اعتمد علي نقل اقوال الناس ومنهم من عول علي النظر والتحقيق
والتدقيق وكل احد سلك طريقا نحاه وذهب مذهبا ارتضاه
وكلا وعد الله الحسني فرغبت في سلوك طريقهم والانخراط في مساق
فريقهم وصنفت هذا الكتاب في تفسير القران العظيم وساير ما يتعلق
به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا اذ جعلته وجيزا جامعا قصدت
به اربع مقاصد تتضمن اربع فوايد الفايدة الاولي جمع كثير من
العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا علي الطالبين وتقريبا علي الراغبين
فلقد احتوي هذا الكتاب علي ما تضمنته الدواوين الطويلة
من العلم ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها وتنقيح فصولها وحذف
حشوها وفضولها ولقد اودعته من كل فن من فنون علم القران
اللباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه من غير افراط ولا
تفريط ثم اني عزمت علي ايجاز العبارة وافراط الاختصار وترك
التطويل والتكرار الفايدة الثانية ذكر نكت عجيبة وفوايد غريبة
قلما توجد في كتاب لانها من بنات صدري وينابيع ذكري ومما اخذته
عن شيوخي رضي الله عنهم او مما التقطته من مستظرفات النوادر
الواقعة في غرايب الدفاتر الفايدة الثالثة ايضاح المشكلات
اما بحل العقد المقفلات واما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان
المجملات الفايده الرابعة تحقيق اقوال المفسرين السقيم منها والصحيح
وتمييز الراجح من المرجوح وذلك ان اقوال الناس علي مراتب فمنها
الصحيح الذي يعول عليه ومنها الباطل الذي لا يلتفت اليه ومنها
ما يحتمل الصحة والفساد ثم ان هذا الاحتمال قد يكون متساويا او
متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا او كثيرا واني جعلت لهذه الاقسام

عبارات

عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة وكل قول فاعلاها ما اصرح بانه
خطا او باطل ثم ما اقول فيه انه ضعيف او بعيد ثم ما اقول ان غيره
ارجح او اقوي او اظهر او اشهر ثم ما اقدم غيره عليه اشارة الي ترجيح
المتقدم او بالقول فيه قيل كذا اقصد الخروج من عهدته واما اذا صرحت
باسم قايل القول فاني افعل ذلك لاحد امرين اما للخروج عن عهدته
واما لنصرته اذا كان قايله ممن يقتدي به علي اني لست انسب الاقوال
الي اصحابها الا قليلا وذلك لقلة صحة اسنادها اليهم او لاختلاف
الناقلين في نسبتها اليهم واما اذا ذكرت شيا دون حكاية قوله
عن احد فذلك اشارة الي اني اتقلده وارتضيه سوا كان من تلقا
نفسي او مما اختاره من كلام غيري واذا كان القول في غاية السقوط
والبطلان لم اذكره تنزيها للكتاب وربما ذكرته تحذيرا منه وهذا
الذي ذكرت من الترجيح والتصحيح مبني علي القواعد العلمية او ما تقتضيه
اللغة العربية وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الاقوال
ان شا الله وسميته كتاب التسهيل لعلوم التنزيل وقدمت في اوله
مقدمتين احداهما في ابواب نافعة وقواعد كلية جامعة والاخري
فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القران وانا ارغب الي الله العظيم الكريم
ان يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا وسعيا مشكورا ووسيلة
توصلني الي جنات النعيم وتنقذني من عذاب الجحيم ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم المقدمة الاولي فيها اثني عشر بابا الباب
الاول في نزول القران وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره
وذكر اسمايه نزول ~~القران علي~~ رسول الله صلي الله عليه وسلم
من اول ما بعثه الله بمكة وهو ابن اربعين سنة الي ان هاجر الي المدينة
ثم نزل عليه بالمدينة الي ان توفاه الله فكانت مدة نزوله
عليه عشرين سنة وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة علي حسب
الاختلاف في سنه صلي الله عليه وسلم يوم توفي هل كان ابن

ستين سنة او ثلاث وستين وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة وربما تنزل
عليه ايات متفرقات فيضم عليه السلام بعضها الي بعض حتي تكمل السورة
واول مانزل عليه من القران صدر سورة العلق ثم المدثر والمزمل
وقيل اول مانزل المدثر وقيل فاتحة الكتاب والاول هو الصحيح لما
ورد في الحديث الصحيح عن عايشة في حديثها الطويل في ابتدا الوحي
قالت فيه جاءه الملك وهو بغار حرا قال اقرا قال ما انا بقاري قال
فاخذني فغطني حتي بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا
بقاري قال فاخذني فغطني الثانية حتي بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقاري قال فاخذني وغطني
الثالثة حتي بلغ مني الجهد ثم ارسلني ثم قال اقرا باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلي
الله عليه وسلم يرجف فواده فقال زملوني زملوني فزملوه
حتي ذهب عنه ما يجد من الروع وفي رواية من طريق جابر بن
عبد الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم زملوني فانزل
الله تعالي يايها المزمل واما اخر مانزل اذا جا نصر الله والفتح وقيل
اية الربا التي في البقره وقيل الاية قبلها وكان القران علي عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم متفرق في الصحف وفي صدور الرجال
فلما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم قعد علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في بيته يجمعه علي ترتيب نزوله ولو وجد مصحفه
لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد فلما قتل جماعة من الصحابة يوم
اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب اشار عمر بن الخطاب علي ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القران مخافة ان يذهب بموت القراء
فجمعه في صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند ابي بكر
ثم عند عمر بعده ثم عند بنته حفصة ام المومنين وانتشرت
في

الصحف صح

وعبارة ... فقعد علي رضي الله عنه في بيته
يجمعه علي ترتيب نزوله ولو وجد
مصحفه لكان فيه علم كثير
لكن لم يوجد

٤

في خلال ذلك صحف كتبت في الافاق عن الصحابة وكان بينهما اختلاف
فاشار حذيفة بن اليمان علي عثمان بن عفان رضي الله عنهما فجمع
الناس علي مصحف واحد خيفة من اختلافهم فانتدب لذلك عثمان
وامر زيد بن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش عبد الله بن
الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن العاصي
ابن امية وقال لهم اذا اختلفتم في شي فاجعلوه بلغة قريش وجعلوا
المصحف الذي كان عند حفصة اماما في هذا الجمع الاخير وكان
عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك فلما كمل المصحف
نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخا ووجهها الي الامصار وامر
بما سواها ان تحرق او تخرق يروي بالحا والخا المنقوطة فترتيب
السور علي ماهو الان من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا
معه المصحف وقد قيل انه من فعل رسول الله صلي الله عليه
وسلم وذلك ضعيف ترده الاثار الوارده في ذلك واما نقط
القران وشكله فاول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بامر عبد الملك
ابن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل اول من نقطه يحيي بن يعمر
وقيل ابو الاسود الدولي واما وضع الاعشار فيه فقيل ان الحجاج
فعل ذلك وقيل بل امره به المامون العباسي واما اسماوه
فهي اربعة القران والفرقان والكتاب والذكر وساير ما يسمي صفات
لا اسما كوصفه بالعظيم والكريم والمتين والعزيز والمجيد وغير ذلك
واما القران فاصله مصدر قرا ثم اطلق علي المقروء واما الفرقان
فمصدر ايضا معناه التفرقة بين الحق والباطل واما الكتاب فمصدر
ثم اطلق علي المكتوب واما الذكر فسمي القران به لما فيه من ذكر
الله او من التذكير والمواعظ ويجوز في السورة من القران الهمز
وتركه والهمز لغة قريش واما الاية فاصلها العلامة ثم سميت الجملة
من القران به لانها علامة علي صدق النبي صلي الله عليه وسلم

الباب الثاني في السورة المكية والمدنية اعلم ان السور المكية هي
التي نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وان نزل بغير مكة كما ان المدنية
هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وان نزل
بغير المدينة وتنقسم السور ثلاثة اقسام قسم مدنية باتفاق وهي
اثنان وعشرون سورة وهي البقرة وال عمران والنسا والمايده والانفال
وبراه والنور والاحزاب والقتال والفتح والحجرات الحديد والمجادلة
والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق
والتحريم واذا جا نصر الله وقسم فيها خلاف هل هي مكية او مدنية
وهي ثلاثة عشر سورة ام القران والرعد والنحل والحج والانسان
والمطففون والقدر ولم يكن واذا زلزلت وارايت والاخلاص والمعوذتين
وقسم مكية باتفاق وهي ساير السور وقد وقعت ايات مدنية في
سور مكيه كما وقعت ايات مكية في سور مدنية وذلك قليل مختلف
في اكثره واعلم ان السور المكيه نزل اكثرها في اثبات العقايد والرد
على المشركين وفي قصص الانبيا وان السور المدنيه نزل اكثرها في
الاحكام الشرعية وفي الرد على اليهود والنصارى وذكر المنافقين
والفتوى في مسايل وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وحيث
ما ورد يا ايها الذين امنوا فهو مدني واما يا ايها الناس فقد وقع في المكي
والمدني الباب الثالث في المعاني والعلوم التي تضمنها القران
ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل اما الجملة فاعلم ان المقصود
بالقران دعوة الخلق الى عبادة الله والى الدخول في دين الله ثم
ان هذا المقصد يقتضي امرين لا بد منهما واليهما ترجع معاني القران كله
احدهما بيان العبادة التي دعي الخلق اليها والاخرى ذكر بواعث
تبعثهم على الدخول فيها وتردهم اليها فاما العباده فتنقسم
الى نوعين وهما اصول العقايد واحكام الاعمال واما البواعث
عليها فامرين وهم الترغيب والترغيب واما على التفصيل فاعلم

ان

ان معاني القران سبعة وهي علم الربوبية والنبوة والمعاد والاحكام
والوعد والوعيد والقصص فاما علم الربوبية فمنه اثبات وجود الباري
جل جلاله والاستدلال عليه بمخلوقاته فكل ما جاء في القران من التنبيه
على المخلوقات والاعتبار في خلقة الارض والسموات والحيوان والنبات
والريح والامطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات
فهو دليل على خالقه ومنه اثبات الوحدانيه والرد على المشركين
والتعريف بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والاراده والسمع والبصر
وغير ذلك من اسمايه وصفاته والتنزيه عما لا يليق به واما
النبوة فاثبات نبوة الانبيا عليهم السلام على العموم ونبوة محمد صلى
الله عليه وسلم على الخصوص واثبات الكتب التي انزلها الله عليهم
ووجود الملايكة الذين كان منهم وسايط بين الله وبينهم والرد
على من كفر بشي من ذلك ويتخرط في سلك هذا ما ورد في القران
من تانيس النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته والثنا عليه
وساير الانبيا صلى الله عليه وعليهم اجمعين واما المعاد فاثبات
الحشر واقامة البراهين والرد على من خالف فيه وذكر ما في الدار
الاخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحايف الاعمال
وكثرة الاهوال وغير ذلك واما الاحكام فهي الاوامر والنواهي
وتنقسم خمسة انواع واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح
ومنها ما يتعلق بالابدان كالصلاة والصيام وما يتعلق بالاموال
كالزكاة وما يتعلق بالقلوب كالاخلاص والخوف والرجا وغير ذلك
واما الوعد فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ومنه
وعد بخير الاخرة وهو الاكثر كاوصاف الجنة ونعيمها واما الوعيد
فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا ومنه تخويف بالعقاب في الاخرة
وهو الاكثر كاوصاف جهنم وعذابها واوصاف القيامة واهوالها
وتامل القران تجد الوعد مقرونا بالوعيد قد ذكر احدهما على

انْ ذكر الاخر ليجمع بين الترغيب والترهيب وليتبين احدهما بالاخر كما قيل
فبضدها تتبين الانشيا واما القصص فهو ذكر اخبار الانبيا المتقدمين
وغيرهم كقصة اصحاب الكهف وذي القرنين فان قيل ما الحكمة في
تكرار قصص الانبيا في القران فالجواب من ثلاثة اوجه الاول
انه ربما ذكر في سورة من اخبار الانبيا مالم يذكر في سورة اخري
ففي كل واحدة منهما فايدة زايدة علي الاخري الثاني انه ذكرت
اخبار الانبيا في مواضع علي طريقة الاطناب وفي مواضع علي طريقة
الايجاز لتظهر فصاحة القران في الطريقتين الثالث ان اخبار
الانبيا قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد ذلك المقاصد
فمن المقاصد بها اثبات نبوة الانبيا المتقدمين بذكر ما جري علي ايديهم
من المعجزات وذكر اهلاك من كذبهم بانواع من المهالك ومنها اثبات
النبوة لمحمد صلي الله عليه وسلم لاخباره بتلك الاخبار من غير
تعلم من احد والي ذلك الاشارة بقوله تعالي ما كنت تعلمها انت ولا
قومك من قبل هذا ومنها اثبات الوحدانية الا تري انه لما ذكر اهلاك
الامم الكافرة قال فما اغنت عنهم الهتهم اللاتي يدعون من دون الله
من شي ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر ومنها
تسلية النبي صلي الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتاسي
بمن تقدم من الانبيا كقوله ولقد كذبت رسل من قبلك ومنها
تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الانبيا الذين من
قبله ومنها تخويف الكفار بان يعاقبوا كما عوقب الذين من قبلهم — الكفار
الي غير ذلك مما احتوت عليه اخبار الانبيا من العجايب والمواعظ
واحتجاج الانبيا وردهم علي الكفار وغير ذلك فلما كانت اخبار الانبيا
تفيد فوايد كثيره ذكرت في مواضع كثيرة ولكل مقام مقال

الباب الرابع في فنون العلوم التي تتعلق بالقران اعلم ان
الكلام علي القران يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم

وهي

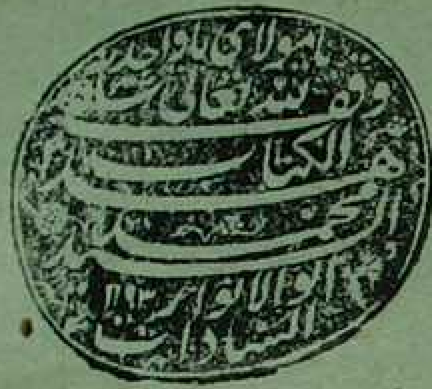

وهي التفسير والقراات والاحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف
واصول الدين واللغة والنحو والبيان فاما التفسير فهو المقصود لنفسه
وساير هذه الفنون ادوات تعين عليه او تتعلق به او تتفرع منه
ومعني التفسير شرح القران وبيان معناه والافصاح بما يقتضيه
بنصه او اشارته او نحواه واعلم ان التفسير منه متفق عليه
ومختلف فيه ثم ان المختلف فيه علي ثلاثة انواع الاول اختلاف
في العبارة مع اتفاق في المعني فهذا عده كثير من المولفين خلافا وليس
في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا
عنه باحد عبارات المتقدمين او بما يقرب منها او بما يجمع معانيها
الثاني اختلاف في التمثيل لكثرة الامثلة الداخلة تحت معني واحد
وليس مثال منها علي خصوصه هو المراد وانما المراد المعني العام
التي تندرج تلك الامثلة تحت عمومه فهذا عده ايضا كثير من المولفين
خلافا وليس في الحقيقة بخلاف لان كل قول منها مثال وليس بكل
المراد ولم نعده نحن خلافا بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك
تحتها وربما ذكرنا بعض تلك الاقوال علي وجه التمثيل مع التنبيه
علي العموم المقصود الثالث اختلاف المعني فهذا هو الذي
عددناه خلافا ورجحنا فيه بين اقوال الناس حسبما ذكرناه في
خطبة الكتاب فان قيل ما الفرق بين التفسير والتاويل
فالجواب ان في ذلك ثلاثة اقوال الاول انهما بمعني واحد
الثاني ان التفسير للفظ والتاويل للمعني الثالث وهو الصواب
ان التفسير هو الشرح والتاويل هو حمل الكلام علي معني غير المعني
الذي يقتضيه ظاهر اللفظ بموجب اقتضي ان يحمل علي ذلك ويخرج
عن ظاهره واما القراات فانها في القران بمنزلة الرواية في الحديث
فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ثم ان القراات علي
قسمين مشهورة وشاذة فالمشهورة هي القراة السبع وما جري

مجراها كقراة يعقوب وابن محيصين والشاذة ماسوي ذلك وانما بنينا
هذا الكتاب علي قراة نافع لوجهين احدهما انها القراة المستعمله في
بلادنا بالاندلس وساير بلاد المغرب والاخري اقتدا بالمدينة
شرفها الله لانها قراة اهل المدينة وقال مالك بن انس قراة
نافع سنة وذكرنا من ساير القراة ما فيها فايدة في المعني والاعراب
اوغير ذلك دون مالا فايدة فيه زايدة واستغنينا عن استيفا القراات
لكونها مذكورة في الكتب المولفة فيها وقد الفنا فيها كتبا نفع الله بها
وايضا فانا لما عزمنا في هذا الكتاب علي الاختصار وحذفنا منه
مالا تدعوا اليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا
في قواعد اصول القراات واما احكام القران فهي ماورد فيه
من الاوامر والنواهي والمسايل الفقهيه وقال بعض العلما
ان ايات الاحكام خمسماية اية وقد تنتهي الي اكثر من ذلك اذا استقصي
تتبعها في مواضعها وقد صنف الناس في احكام القران تصانيف
كثيره ومن احسن تصانيف المشارقه تاليف القاضي الامام فيها
تاليف اسماعيل القاضي وابي الحسن كياه ومن احسن تصانيف اهل
الاندلس تاليف القاضي الامام ابي بكر العربي والقاضي الحافظ ابي محمد
ابن عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس واما النسخ فهو
يتعلق بالاحكام لانها محل النسخ اذ لا تنسخ الاخبار ولابد من معرفة
ما وقع في القران من الناسخ والمنسوخ والمحكم وهو ما لم ينسخ وقد
صنف الناس في ناسخ القران ومنسوخه تصانيف كثيره واحسنها
تاليف القاضي ابي بكر بن العربي وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا
في قواعد النسخ وذكر ما تقرر في القران من المنسوخ وذكرنا سايره
في مواضعه واما الحديث فيحتاج المفسر الي روايته وحفظه
لوجهين الاول ان كثيرا من الايات في القران نزلت في قوم مخصوصين
ونزلت باسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلي الله عليه وسلم

من

من الغزوات والنوازل والسوالات ولابد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت
الاية وفيما نزلت ومتي نزلت فان الناسخ مبني علي معرفة تاريخ النزول
لان المتاخر ناسخ للمتقدم الثاني انه ورد عن النبي صلي الله عليه
وسلم كثير من تفسير القران فيجب معرفته لان قوله عليه السلام
مقدم علي اقوال الناس واما القصص فهي من جملة العلوم التي
تضمنها القران فلابد من تفسيره الا ان الضروري منه ما يتوقف التفسير
عليه وما سوي ذلك زايد مستغني عنه وقد اكثر بعض المفسرين من
حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح حتي انهم ذكروا منه مالا يجوز
ذكره مما فيه تقصير بمنصب الانبيا عليهم السلام او حكاية ما يجب
تنزيههم عنه واما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص
علي ما يتوقف التفسير عليه وعلي ما ورد منه في الحديث الصحيح
واما التصوف فله تعلق بالقران لما ورد في القران من المعارف
الالهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب
الاخلاق الحميده واجتناب الاخلاق الذميمة وقد تكلمت المتصوفه
في تفسير القران فمنهم من احسن واجاد ووصل بنور بصيرته الي دقايق
المعاني ووقف علي حقيقة المراد ومنهم من توغل في الحرامن
الباطنيه وحمل القران علي مالا تقتضيه اللغة العربية وقد جمع
ابو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه الحقايق وقال
بعض العلما بل هي البواطل واذا انصفنا قلنا فيه حقايق وبواطل وقد
ذكرنا هذا الكتاب ما يستحسن من الاشارات الصوفيه دون
ما يعترض او يقدح فيه وتكلمنا ايضا علي اثني عشر مقاما من مقام
التصوف في مواضعها من القران فتكلمنا علي الشكر في ام القران
لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعني وتكلمنا علي التقوي
في قوله تعالي في البقره هدي للمتقين وعلي الذكر في قوله فيها
فاذكروني اذكركم وعلي الصبر في قوله تعالي وبشر الصابرين

وعلي التوحيد في قوله فيهما والهكم اله واحد وعلي محبة الله في قوله
فيهما والذين امنوا اشد حبا لله وعلي التوكل في قوله في ال عمران فاذا
عزمت فتوكل علي الله وعلي المراقبة في قوله في النسا ان الله كان
عليكم رقيبا وعلي الخوف والرجا في قوله في الاعراف وادعوه خوفا
وطمعا وعلي التوبة في قوله في النور وتوبوا الي الله جميعا وعلي
الاخلاص في قوله في لم يكن وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين واما اصول الدين فيتعلق بالقران من طرفين احدهما
ما ورد في القران من اثبات العقايد واقامة البراهين عليها والرد
علي اصناف الكفار والاخر ان الطوايف المختلفة من المسلمين
تعلقوا بالقران وكل طايفة منهم تحتج لمذهبها بالقران وترد علي من
خالفها وتزعم انه خالف القران ولا شك ان منهم المحق والمبطل فمعرفة
تفسير القران توصل في ذلك الي التحقيق مع التسديد والتاييد من
الله والتوفيق واما اصول الفقه فانها من ادوات تفسير القران
علي ان كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها وانها لنعم العون علي فهم المعاني
وترجيح الاقوال وما احوج المفسر الي معرفة النص والظاهر والمجمل
والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد وفحوي الخطاب ولحن الخطاب
ودليل الخطاب وشروط النسخ ووجوه التعارض واسباب الخلاف
وغير ذلك من علم الاصول واما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد
في القران منها وهي غريب القران وهي من فنون التفسير وقد صنف
الناس في غريب القران تصانيف كثيرة وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة
مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القران لئلا نحتاج ان نذكرها
حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها واما النحو فلا بد
للمفسر من معرفته فان القران نزل بلسان العرب فيحتاج الي معرفة
اللسان والنحو الذي ينقسم الي قسمين احدهما عوامل الاعراب وهي احكام

الكلام

الكلام المركب والاخر التصريف وهو احكام الكلمات قبل تركيبها وقد
ذكرنا في هذا الكتاب من اعراب القران ما يحتاج اليه من المشكل والمختلف
او ما يفيد فهم المعني او يختلف المعني باختلافه ولم نتعرض لما سوي
ذلك من الاعراب السهل الذي لا يحتاج اليه الا المبتدي فان ذلك
يطول بغير فايدة كبيرة واما علم البيان فهو علم شريف
تظهر به فصاحة القران وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوايد
فايقة ونكتا مستحسنة رايقة وجعلنا في المقدمات بابا في ادوات
البيان ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القران

الباب الخامس في اسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه
التي يرجح بها بين اقوالهم فاما اسباب الخلاف فهي اثني عشر
الاول اختلاف القراات الثاني اختلاف وجوه الاعراب وان
اتفقت القراات الثالث اختلاف اللغويين في معني الكلمة
الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فاكثر الخامس احتمال
العموم او الخصوص السادس احتمال الاطلاق او التقييد السابع
احتمال الحقيقة او المجاز الثامن احتمال الاضمار او الاستقلال
التاسع احتمال الكلمة زايدة او غير زايدة العاشر احتمال
حمل الكلام علي الترتيب او علي التقديم والتاخير الحادي عشر
احتمال ان يكون الحكم منسوخا او محكما الثاني عشر اختلاف الرواية
في التفسير عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن السلف رضي الله عنه
واما وجوه الترجيح فهي اثني عشر الاول تفسير بعض القران
ببعض فاذا دل موضع من القران علي المراد بموضع اخر حملناه عليه
ورجحنا القول بذلك علي غيره من الاقوال الثاني حديث النبي
صلي الله عليه وسلم فاذا ورد عنه عليه السلام تفسير شي من
القران عولنا عليه لاسيما ان ورد في الحديث الصحيح الثالث
ان يكون القول قول الجمهور واكثر المفسرين فان كثرة القايلين

بالقول يقتضي ترجيحه الرابع ان يكون القول قول من يقتدي به من
الصحابة كالخلفا الاربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل الخامس ان يدل على
صحة القول كلام العرب من اللغة او الاعراب او التصريف او الاشتقاق
السادس ان يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله
او ما بعده السابع ان يكون ذلك المعنى المتبادر الى الذهن فان
ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على
المجاز فان الحقيقة اولى ان يحمل عليها اللفظ عند الاصوليين وقد
يترجح المجاز اذا كثر استعماله حتى يكون اغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى
مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة وقد اختلف العلما ايهما يقدم فمذهب
ابي حنيفة تقديم الحقيقة لانها الاصل ومذهب ابي يوسف تقديم
المجاز الراجح لرجحانه وقد يكون المجاز افصح وابرع فيكون ارجح
التاسع تقديم العموم على الخصوص فان العموم اولى لانه الاصل
الا ان يدل دليل على التخصيص العاشر تقديم الاطلاق على التقييد
الا ان يدل دليل على التقييد الحادي عشر تقديم الاستقلال على
الاضمار الا ان يدل دليل على الاضمار الثاني عشر حمل الكلام على
ترتيبه الا ان يدل دليل على التقديم والتاخير الباب
السادس في ذكر المفسرين اعلم ان السلف الصالح انقسموا على فرقتين
فمنهم من فسر القران وتكلم في معانيه وهم الاكثرون ومنهم من توقف
عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك فقد قالت
عايشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر
من القران الا ايات بعدد علمه اياهن جبريل وقال صلى الله عليه وسلم
من قال في القران برايه واصاب فقد اخطا وتاول المفسرون حديث
عايشة بانه في مغيبات القران التي لا تعلم الا بتوقيف من الله تعالى
وتاولوا الحديث الاخر بانه فيمن تكلم في القران بغير علم ولا ادوات لا فيمن

تكلم

تكلم فيما تقتضيه ادوات العلوم ونظر في اقوال العلما المتقدمين فان هذا
لم يقل في القران برايه واعلم ان المفسرين على طبقات فالطبقة الاولى
الصحابة رضي الله عنهم واكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس وكان علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويقول كانما
ينظر الى الغيب من ستر رقيق وقال ابن عباس ما عندي من تفسير القران
فهو عن علي بن ابي طالب ويتلوهما عبد الله بن مسعود وابي بن كعب
وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص
وكلما جا من التفسير عن الصحابة فهو حسن والطبقة الثانية التابعون
واحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصري وسعيد بن جبير
ومجاهد مولى ابن عباس وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود ويتلوهم
عكرمة وقتادة والسدي والضحاك بن مزاحم وابو صالح وابو العالية
ثم حمل تفسير القران عدول كل خلف والف الناس فيه كالمفضل وعبد
الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وعلي بن ابي طلحة وغيرهم ثم ان محمد
ابن جرير الطبري جمع اقوال المفسرين واحسن النظر فيها وممن صنف
في التفسير ايضا ابو بكر النقاش والثعلبي والماوردي الا ان كلامهم
يحتاج الى تنقيح وقد استدرك الناس على بعضهم وصنف ابو محمد بن قتيبة
في غريب القران ومشكله وكثير من علومه وصنف في معاني القران
جماعة من النحويين كابي اسحاق الزجاج وابي علي الفارسي وابي جعفر
النحاس واما اهل المغرب والاندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد
البلوطي كتابا في غريب القران وتفسيره ثم صنف المقري ابو محمد
مكي بن ابي طالب كتاب الهداية في تفسير القران وكتابا في غريب القران
وكتابا في ناسخ القران ومنسوخه وكتابا في اعراب القران الى غير
ذلك من تواليفه فانها نحو ثمانين تاليفا اكثرها في علوم القران والقراات
والتفسير وغير ذلك واما ابو عمرو الداني فتواليفه تنيف على ماية
وعشرين الا ان اكثرها في القراات ولم يولف في التفسير الا قليلا واما

ابو العباس المهدي فمتقن التاليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القران
ثم جا القاضيان ابو بكر بن العربي وابو محمد عبد الحق بن عطية فابدع كل
واحد واجمل واحتفل واكمل فاما ابن العربي فصنف كتاب انوار الفجر
في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القران فلما تلف تلافاه بكتاب قانون
التاويل الا انه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه والف في ساير
علوم القران تواليفا مفيدة واما ابن عطية فكتابه في التفسير
احسن التواليف واعدلها فانه اطلع على تواليف من كان قبله
فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ
على السنة ثم ختم علما القران بالاندلس وساير المغرب بشيخنا
الاستاذ ابو جعفر بن الزبير فلقد قطع عمره في خدمة القران واتاه
الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق ومما
بايدينا من تواليف اهل المشرق تفسير ابي القاسم الزمخشري وابي
الفضل القزنوي وابي الفضل ابن الخطيب فاما الزمخشري فمسدد
النظر بارع في الاعراب متقن في علم البيان الا انه ملا كتابه من مذهب
المعتزلة وشرهم وحمل ايات القران على طريقتهم فتكدر صفوه وتمرر
حلوه فخذ منه ما صفا ودع ما كدر واما القزنوي فكتابه مختصر
وفيه من التصوف نكت بديعة واما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في
كتاب الزمخشري وزاد عليه اشباع الكلام في قواعد علم الكلام
ونمقه بترتيب المسايل وتدقيق النظر في بعض المواضع وهو على الجملة
كتاب كبير الحجم وربما يحتاج الى تكميل وتلخيص والله ينفع الجميع بخدمة
كتابه ويجزيهم افضل ثوابه **الباب** السابع في الناسخ والمنسوخ
النسخ في اللغة هو الازالة والنقل ومعناه في الشريعة رفع الحكم الشرعي
بعد ما نزل ووقع في القران على ثلاثة اوجه **الاول** نسخ اللفظ والمعنى
كقوله لا ترغبوا عن ابايكم فانه كفر بكم **الثاني** نسخ اللفظ دون
المعنى كقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله

والله

والله عزيز حكيم **الثالث** نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه
في القران على ما عد بعض العلما مايتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة
الا انهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا والاستثنا نسخا وبين هذه الاشيا
وبين النسخ فروق معروفة وسنتكلم على ذلك في مواضعه ونقدم هنا
ما جا من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والاعراض والصبر على اذاهم
بالامر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه فانه وقع منه في القران
مائة اية واربع عشرة اية من اربع وخمسين سورة **ففي** البقرة وقولوا
للناس حسنا ولنا اعمالنا ولا تعتدوا اي لا تبدوا بالقتال ولا تقاتلوهم
قل قتال لا اكراه **وفي** ال عمران فانما عليك البلاغ منهم تقاة **وفي**
النسا فاعرض عنهم في موضعين فما ارسلناك عليهم حفيظا لا تكلف الا
نفسك الا الذين يصلون **وفي** المايدة وما على الرسول الا البلاغ عليكم
انفسكم **وفي** الانعام لست عليكم بوكيل ثم ذرهم عليكم بحفيظ واعرض
وعليهم حفيظا ولا تسبوا فذرهم في موضعين يا قوم اعملوا قل انتظروا
لست منهم في شي **وفي** الاعراف فاعرض واملي لهم **وفي** الانفال وان
استنصروكم يعني المعاهدين **وفي** التوبة فاستقيموا لهم **وفي** يونس
فانتظروا فقل لي عملي وامانرينك ولا يحزنك قولهم مما يقتضي من الامهال
افانت تكره فمن اهتدى به لان معناه الامهال واصبر **وفي** هود انما انت
نذير اي تنذر ولا تجبر اعملوا على مكانتكم انتظروا **وفي** الرعد عليك البلاغ
وفي النحل الا البلاغ وعليك البلاغ وجادلهم واصبر **وفي** الاسرا ربكم
اعلم بكم **وفي** مريم فانذرهم فليمدد ولا تعجل **وفي** طه قل كل متربص **وفي**
الحج وان جادلوك **وفي** المومنين فذرهم ادفع **وفي** النور فان تولوا وما
على الرسول الا البلاغ **وفي** النمل فمن اهتدى **وفي** القصص لنا اعمالنا
وفي العنكبوت انما انا نذير لما يقتضي من عدم الاجبار **وفي** الروم فاصبر
وفي لقمان ومن كفر **وفي** السجدة فانتظروا **وفي** الاحزاب ودع اذاهم
وفي سبا قل لا تسالون **وفي** فاطر ان انت الا نذير **وفي** يس ولا يحزنك

وفي الصافات فتول وتول وما بينهما وفي ص اصبر انما انا نذير وفي الزمر ان الله
يحكم بينهم لما فيه من الاهمال فاعبد واما شئتم ياقوم اعملوا افمن اهتدي
انت تحكم لان فيه تفويضا وفي المومن فاصبر في موضعين وفي السجده
ادفع وفي الشوري وما انت عليهم بوكيل لنا اعمالنا فان اعرضوا وفي
الزخرف فذرهم واصفح وفي الدخان فارتقب وفي الجاثيه يغفروا وفي
الاحقاف فاصبر وفي القتال فاما منا وفي ق فاصبر وما انت وفي
الذاريات فتول وفي الطور قل تربصوا واصبر فذرهم وفي النجم
فاعرض وفي القمر فتول وفي ن فاصبر سنستدرجهم وفي المعارج
فاصبر فذرهم وفي المزمل واهجرهم وذرني وفي المدثر ذرني
وفي الانسان فاصبر وفي الطارق فمهل الكافرين وفي الغاشية
لست عليهم بمصيطر وفي الكافرين لكم دينكم نسخ ذلك كله اقتلوا
المشركين وكتب عليكم القتال **الباب الثامن**
في جوامع القراات وهو علي نوعين مشهورة وشاذة فالمشهورة
القراات السبع وهو حرف نافع المدني وابن كثير المكي وابو عمرو بن
العلاء البصري وابن عامر الشامي وعاصم وحمزة والكساي الكوفيين
ويجري مجراهم في الصحة والشهرة يعقوب الحضرمي بن محيصن ويزيد
ابن القعقاع والشاذة ما سوي ذلك وانما سميت شاذة لعدم استفاضتها
في النقل وقد تكون فصيحة اللفظ او قوية المعني ولا يجوز ان يقرا بحرف
الا بثلاث شروط موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه
وموافقته لكلام العرب ولو علي بعض الوجوه او في بعض اللغات
ونقله نقلا متواترا او مستفيضا واعلم ان اختلاف القرا علي
نوعين اصول وفرش الحروف فاما الفرش فهو ما لا يرجع الي اصل
مطرد ولا قانون كلي وهو علي وجهين اختلاف في القراة باختلاف
المعني وباتفاق المعني واما الاصول فالاختلاف فيها لا يغير المعني
وهي ترجع الي ثمان قواعد الاولي الهمزة وهي في حروف المد الثلاث

ويزاد

ويزاد فيها علي المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقا الساكنين الثانية
واصله التحقيق ثم قد يخفف علي سبعة اوجه ابدال واوا ويا والفا
وتسهيل بين الهمزة والواو وبين الهمزة واليا وبين الهمزة والالف
واسقاط الثالثة الادغام والاظهار والاصل الاظهار ثم يحدث
الادغام في المثلين او المتقاربين وفي كلمة وفي كلمتين وهو نوعان
ادغام كبير انفرد به ابو عمرو وهو ادغام المتحرك وادغام صغير
لجميع القراء وهو ادغام الساكن الرابعة الامالة وهي ان تنحو
بالفتحة نحو الكسرة وبالالف نحو اليا والاصل الفتح ويوجب الامالة
الكسرة واليا الخامسة الترقيق والتفخيم والحروف علي ثلاثة
اقسام مفخم في كل حال وهي حروف الاستعلا السبعة ومفخم
تارة ومرقق اخري وهي الرا واللام والالف فاما الرا فاصلها
التفخيم وترقق للكسر واليا واما اللام فاصلها الترقيق وتفخم
لحروف الاطباق واما الالف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها
والمرقق علي كل حال ساير الحروف السادسة الوقف وهو
علي ثلاثة انواع سكون جايز في الحركات الثلاث وروم في
المضموم والمكسور واشمام في المضموم خاصة السابعة
مراعاة الخط في الوقف الثامنة اثبات اليا(ا)ت وحذفها
الباب التاسع في الوقف وهي اربعة انواع وقف تام
وحسن وكاف وقبيح وذلك بالنظر الي الاعراب والمعني فان كان
الكلام مفتقرا الي ما بعده في اعرابه او معناه وما بعده مفتقرا
اليه كذلك لم يجز الفصل بينهما والوقف علي الكلام الاول قبيح
وذلك الفصل بين كل معمول وعامله وبين كل ذي خبر وخبره
وبين كل ذي جواب وجوابه وبين كل ذي موصول وصلته
وان كان الكلام الاول مستقلا يفهم دون الثاني الا ان الثاني غير
مستقل الا بما قبله فالوقف علي الاول كاف وذلك في التوابع

والمفعولات كالحال والتمييز والاستثنا وشبه ذلك الا ان وصل المستثني المتصل تاكد من المنقطع ووصل التوابع والحال اذا كانت اسما مع ذات اكد من وصلها اذا كانت جملة وان كان الكلام مستقلا والثاني كذلك فان كانا في قصة واحدة فالوقف علي الاول حسن وان كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام وقد يختلف الوقف باختلاف الاعراب او المعني وكذلك اختلف الناس في كثير من اوقافهم فيها راجح ومرجوح وباطل وقد يقف لبيان المراد وان لم يتم الكلام **تنبيه** هذا الذي ذكرنا من رعي الاعراب والمعني في المواقف استقر عليه العمل واخذ به شيوخ المقرءين وكان الاوايل يراعون روس الايات فيقفون عندها لانها في القران كالفقر في النثر والقوافي في الشعر ويوكد ذلك ما اخرجه الترمذي عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقطع قراته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر في الفصاحة والبلاغة وادوات البيان اما الفصاحة فلها خمسة شروط **الاول** ان تكون الالفاظ عربية لا مما احدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة **الثاني** ان تكون من الالفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة **الثالث** ان تكون العبارة واقعة علي المعني موفية له لا قاصرة عنه **الرابع** ان تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد **الخامس** ان يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج اليه **واما** البلاغة فهي سياق الكلام علي ما يقتضيه الحال والمقال من الايجاز والاطناب ومن التهويل والتعظيم والتحقير ومن التصريح والكناية والاشارة وشبه ذلك بحيث يهز النفوس ويوثر في القلوب ويقود السامع الي المراد او يكاد **واما** ادوات البيان فهي صناعة البديع وهو تزيين الكلام كما يزين العلم

الثوب

الثوب وقد وجدنا في القران منها اثنين وعشرين نوعا ونبهنا علي كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القران فذكرنا هنا اسماوها ونبين معناها **الاول** المجاز وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما وهو اثني عشر نوعا التشبيه والاستعاره والزياده والنقصان وتشبيه المجاور باسم مجاوره والملابس باسم ملابسه واطلاق اسم الكل علي البعض وعكسه والتسمية باعتبار ما يستقبل والتسمية باعتبار ما مضي وفي هذا خلاف هل هو حقيقة او مجاز واتفق اهل علم اللسان واهل الاصول علي وقوع المجاز في القران لان القران نزل بلسان العرب وعادة فصحا العرب استعمال المجاز ولا وجه لمن منعه لان الواقع منه في القران اكثر من ان يحصي **الثاني** الكناية وهي العبارة عن الشي بما يلازمه من غير تصريح **الثالث** الالتفات وهو علي ستة انواع خروج من التكلم الي الخطاب او الغيبة وخروج من الخطاب الي التكلم او الغيبة وخروج من الغيبة الي التكلم او الخطاب **الرابع** التجريد وهو ذكر شي بعد اندراجه في لفظ عام متقدم والقصد بالتجريد تعظيم المجرد فكره او تحقيره او رفع الاحتمال **الخامس** الاعتراض وفوايده راج كلام بين شيئين متلازمين كالخبر والمخبر عنه والصفة والموصوف والمعطوف والمعطوف عليه وادخاله في اثنا كلام متصل والقصد به تاكيد الكلام الذي ادرج فيه **السادس** التجنيس وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعني ثم الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة او في الحروف خاصة او في اكثر الحروف لا في جميعها او في الخط لا في اللفظ وهو تجنيس التصحيف **السابع** الطباق وهو ذكر الاشيا المتضاده كالسواد والبياض والحياة والموت والليل والنهار وشبه ذلك **الثامن** المقابلة وهو ان

يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما باشيا اخر التاسع المشاكلة وهي
ان تذكر الشي بلفظ اخر لوقوعه في صحبته العاشر الترديد وهو
رد الكلام علي اخره ويسمي في الشعر رد العجز علي الصدر الحادي
عشر لزوم ما لا يلزم وهو ان تلتزم قبل حرف الروي حرفا اخر
وكذلك عند روس الايات الثاني عشر القلب وهو ان يكون الكلام
يصلح ابتداء قراته من اوله واخره نحو دعد او تعكس كلماته
فتقدم الموخر منها وتوخر المقدم الثالث عشر التقسيم وهو
ان تقسم المذكور الي انواعه او اجزايه الرابع عشر التتميم وهو
ان تزيد في الكلام ما يوضحه ويوكده وان كان مستقلا دونه فهذه الزياده
الخامس عشر التكرار وهو ان تضع الظاهر موضع المضمر فتكرر الكلمة
علي وجه التعظيم او التهويل او مدح المذكور او ذمه او للبيان
السادس عشر التهكم وهو اخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء
بالمخاطب او بالمخبر كذلك البشارة في موضع النذاره السابع
عشر اللف والنشر وهو ان تلف في الذكر شيئين فاكثر ثم تذكر
متعلقات بها دونه طريقتان ان تبدا في ذكر المتعلقات بالاول
وان تبدا بالاخر الثامن عشر الجمع وهو ان تجمع بين شيئين فاكثر
في خبر واحد او في وصف واحد وشبه ذلك التاسع عشر
الترصيع وهو ان يكون الالفاظ في اخر الكلام مستوفية الوزن
او متقاربة مع الالفاظ التي في اوله الموفي عشرون التسجيع
وهو ان يكون كلمات الاي علي روي واحد الحادي والعشرون
الاستطراد وهو ان يتطرق من كلام الي كلام اخر بوجه يصل ما بينهما
ويكون الكلام الثاني هو المقصود كخروج الشاعر من النسب الي
المدح بمعني يتعلق بالطرفين مع انه انما قصد المدح الثاني
والعشرون المبالغة وقد تكون بصفة الكلمة نحو صيغة فعال
ومفعال وقد تكون بالمبالغة في الاخبار او الوصف فان اشتدت

المبالغة

المبالغة فهو غلو واعراف وذلك مستكره عند اهل هذا الشان الباب
الحادي عشر في اعجاز القران واقامة الدليل علي انه من عند الله عز
وجل ويدل علي ذلك عشرة اوجه الاول فصاحته التي امتاز بها عن
كلام المخلوقين الثاني نظمه العجيب واسلوبه الغريب من قواطع اياته
وفواصل كلماته الثالث عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك
الي الان عن الاتيان بمثله الرابع ما اخبر فيه من اخبار الامم السالفة
والقرون الماضية ولم يكن النبي صلي الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قراه
في كتاب الخامس ما اخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت علي
حسب ما قال السادس ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله وذكر
صفاته واسمايه وما يجوز عليه وما يستحيل عليه ودعوة الخلق الي
عبادته وتوحيده واقامة البراهين القاطعة والحجج الواضحة
والرد علي اصناف الكفار وذلك كله يعلم بالضرورة انه لا يصل اليه
بشر من تلقا نفسه بل بوحي من العليم الخبير ولا يشك عاقل في صدق
من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعي عباد
الله الي صراط المستقيم السابع ما شرع فيه من الاحكام وبين
من الحلال والحرام وهدي اليه من مصالح الدنيا والاخرة وارشد
اليه من مكارم الاخلاق وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم الثامن
كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان محروسا عن التغيير والتبديل
علي طول الزمان بخلاف ساير الكتب التاسع تيسيره للحفظ وذلك
معلوم بالمعاينة العاشر كونه لا يمله تاليه ولا سامعه علي كثرة
الترداد بخلاف ساير الكلام الباب الثاني عشر في فضل
القران وانما نذكر منه ما ورد في الحديث الصحيح فمن ذلك ما ورد
عن ابي امامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول اقروا القران فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه

الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقروه ويتتعتع فيه وهو
عليه شاق فله اجران وعن ابي موسي الاشعري قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم مثل المومن الذي يقرو القران كمثل الاترجة ريحها
طيب وطعمها طيب ومثل المومن الذي لا يقرو القران مثل التمرة لا ريح لها
وطعمها طيب ومثل المنافق الذي يقرو القران مثل الريحانة ريحها طيب
وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرو القران كمثل الحنظلة ليس لها
ريح وطعمها مر وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم استذكروا القران فلهو اشد تفصيا من صدور
الرجال من النعم بعقلها وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه
فان الله يرفع بهذا القران اقواما ويضع اخرين وعن ابن عباس قال بينما
جبريل قاعد عند النبي صلي الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه
فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم
فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الي الارض لم ينزل قط الا اليوم
فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف منهما الا اعطيته وعن ابي مسعود
الانصاري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قراها تين
الايتين من سورة البقرة كفتاه وعن ابي امامة الباهلي ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال اقروا البقرة فان اخذها بركة وتركها
حسرة ولا يستطيعها البطلة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان
يفر من البيت الذي يقرا فيه سورة البقرة وعن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية
من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في
صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر وعن النواس بن سمعان

قال

قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يوتي بالقران يوم
القيامة واهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وال عمران
وضرب لهما رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة امثال ما نسيتهن
بعد قال كانهما غمامتان او ظلتان سوداوان بينهما شرف او كانهما
فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما وعن ابي الدردا ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول
سورة الكهف عصم من الدجال وعن ابي الدردا ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال سورة قل هو الله احد تعدل ثلث القران
وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
الم تر ايات انزلت علي لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس **المقدمة الثانية** في تفسير معاني اللغات نذكر
في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القران او تقع في موضعين
فاكثر من الاسما والافعال والحروف وانما جمعناها في هذا الباب لثلاثة
فوايد احدها لتقريبها للحفظ فانها وقعت في القران متفرقة
فجمعها اسهل لحفظها والثانية ليكون هذا الباب كالاصول الجامعة
لمعاني التفسير لما ان تواليف القران جمعت فيها الاصول المطردة
والكثيرة الدور والثالثة الاختصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها
في مواضعها من القران خوف التطويل بتكرارها وربما نبهنا علي بعضها
للحاجة الي ذلك ورتبناها في هذا الكتاب علي حروف المعجم فمن لم
يجد تفسير كلمة في موضعها من القران فلينظر في هذا الباب
واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون في الكلمة وهو الاصلي
دون الحروف الزايدة في اول الكلمات **حرف الهمزة** اية له معنيان
احدهما عبرة وبرهان والثاني اية من القران وهي كلام متصل الي
الفاصلة والفواصل هي رؤس الايات اتي بقصر الهمزة معناه جاء
ومضارعه ياتي ومصدره اتيان واسم الفاعل منه ات واسم

المنقول منه ما تي ومنه قوله تعالى وعده ماتيا اتي بمد الهمزة معناه
اعطي ومضارعه يوتي واسم الفاعل موت ومنه والموتون الزكاة
ابي يابي اي امتنع اثر الشي بقيته وامارته وجمعه اثار والاثر ايضا
الحديث واثارة من علم بقية واثار الارض حرثوها واثر الرجل
الشي يوثره فضله اثم ذنب ومنه اثم واثيم اي مذنب اجر
ثواب وبمعنى الاجرة ومنه استاجره وعلى ان تاجرني واما استجار فن
اجوه ويجركم من عذاب اليم ومن يجيرني من الله وهو يجير ولا يجار عليه
فذلك كله من الجوار بمعنى التامين امن ايمانا اي صدق والايمان في
اللغة التصديق مطلقا وفي الشرع التصديق بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والمومن في الشرع المصدق بهذه الامور
والمومن اسم الله تعالى اي المصدق لنفسه وقيل انه من الامن اي
يومن اولياه من عذابه وأمن بفتح الهمزة وكسر الميم امنا وامانة
ضد الخوف وامن من الامانة وامن غيره من التامين اليم مولم
اي موجع ومنه تالمون امام له اربعة معان القدوة والكتاب والطريق
وجمع ام اي تابع وهو للمتقين اماما امة لها اربعة معان الجماعة من
الناس والدين والحين والامام اي القدوة امي لا يقرا ولا يكتب ولذلك
وصف العرب بالاميين ام لها معنيان الوالدة والاصل وام القرى
مكة اخري مونثة اخر واخر ال له معنيان الاهل ومنه ال لوط
والاتباع والجنود ومنه ال فرعون امس اليوم الذي قبل يومك
والزمان الماضي اناه وقته وجمعه اناء ومنه اناء الليل امر له
معنيان احدهما طلب الفعل على الوجوب او الندب او الاباحة
وقد تاتي صيغة الامر لغير الطلب والتهديد والتعجيز والتعجب والخبر
والثاني بمعنى الشان والصفة وقد يراد به العذاب ومنه جا امرنا
اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وهو والد
الاسباط واليهود ذريتهم اياب رجوع ومنه ماب اي مرجع ورجل

اواب

اواب كثير الرجوع الى الله والتاويب التسبيح ومنه يا جبال اوبي افك اشد
الكذب والافاك الكذاب وافك الرجل عن الشي اي صرف عنه ومنه تو فكون
اوى الرجل الى الموضع بالقصر واواه غيره بالمد ومنه الماوى اف كلمة
شر الا الله نعمه ومنه الا ربكما اسف له معنيان الحزن والغضب ومنه
فلما اسفونا اسوة بكسر الهمزة وضمها قدوة اسي الرجل ياسى اسا
اي حزن ومنه فلا تاس وكيف اسى اذان بالقصر اعلام بالشي ومنه الاذان
بالصلاة والاذان بالمد جمع اذن اذن الله بمعنى العلم والعلم والارادة والاباحة
واذنت بالشي اعلمت به بكسر الذال واذنت به غيري بالمد اصر له
معنيان الثقل والعهد ايد اي قوة ومنه ايدناه وبنيناها بايد والايدي
جمع يد فهمزتها زايدة اكل بضم الهمزة اسم الماكول ويجوز فيه ضم
الهمزة واسكانها والاكل بفتح الهمزة المصدر ايكة غيضة اثاث متاع
البيت اجاج مر ارايك اسرة واحدها اريكة انية له معنيان احدهما
جمع انا ومنه انية من فضة وشديدة الحر ومنه عين انية ووزن
الاولى افعله والثاني فاعله ومذكرها ان احد له معنيان واحد
ومنه الله احد واسم جنس بمعنى انسان ايان معناه متى ان بمعنى
كيف ومتى واين ان المكسورة المشددة للتاكيد والمفتوحة المشددة
مصدرية وزايدة ومخففة من الثقيلة وعبارة عن القول اما
نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلوا عن الشرط
والجايية اذ لها معنيان ظرف زمان ماض وسببية للتعليل او العاطفة
لها خمسة معان الشك والابهام والاباحة والتخيير والناصبة للفعل
بمعنى الى ان او الا ان او كي ام استفهامية وقد يكون فيها معنى الانكار
والاضراب وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها ومنفصلة
مما قبلها اما المكسورة المشددة للتنويع والشك والتخيير وقد
تكون مركبة من ان الشرطية وما الزايدة الا المفتوحة المشددة
استفتاحا وتكون للايجاب بعد غير الواجب وتكون مركبة من ان الشرطية

ان المكسورة المخففة اربعة انواع
للشرط ونافية وزايدة ومخففة من الثقيلة
ان المفتوحة المخففة اربعة انواع مصدرية
وزايدة ومخففة من الثقيلة وعبارة عن
القول اذا جمع

وفي النافية اي المشددة سبعة انواع شرطية واستفهامية وموصولة
ومنادي وصفة وظرفية اذا اضيفت الي ظرف ومصدرية اذا اضيفت
الي مصدر اي المكسورة المخففة ومعناها التصديق الي معناها انتهاء
الغاية وقيل تكون بمعني مع الهمزة للاستفهام والتقرير والتوبيخ والتسوية
وللمتكلم واصلية وزايدة للنبا حرف الباء باري خالق ومنه البرية
اي الخلق بعث له معنيان بعث الرسل وبعث الموتي من القبور بسط
الله الرزق وسعه ومعناه قبض وقدر الرزق اي ضيقه ومن اسما الله
تعالي القابض والباسط وبسطة زيادة بشر من البشارة وهي الاعلام
بالخبر قبل وروده وقد تكون للشراة اذكر معها ويجوز في الفعل التشديد
والتخفيف ومنه المبشر والبشير واستبشر بالشي فرح به بعد له
معنيان ضد القرب والفعل منه بعد بضم العين والهلاك والفعل منه
بكسرها ومنه كما بعدت ثمود بلا له معنيان العذاب والاختبار ومنه
ايضا ونبلوكم بر له معنيان الكرامة ومنه بر الوالدين وان تبروهم
والتقوي والجمع لخصال الخير ومنه البر من اتقي ورجل بار وبر والجمع
ابرار والبر من اسماء الله تعالي بات معروف ومصدره بيات وبيت
الامر دبره بالليل بغتة فجاة بروج جمع برج وهو الحصن وبروج السماء
منازل الشمس والقمر بين ظرف وبين يدي الشي ما تقدم قبله والبين
الفراق والاجتماع لانه من الاضداد بينات براهين من المعجزة وغيرها
ومبينة من البيان مبين من البيان وله معنيان بين غير نفسه
ومبين لغيره بدا يبدو ابغير همز ظهر وابدينه اظهرته والبادي
ايضا من البداية ومنه بادون في الاعراب بداه بالهمز من الابتدا
ويقال بدا الخلق وابداه وقد جا القران بالوجهين بغي له معنيان
العدوان علي الناس والحسد والبغا بكسر البا الزنا ومنه امراة بغي
اي زانية وابتغا الشي وبغاه اي طلبه بث الحديث وغيره نشره
والمبثوث المنتشر ومبثوثة متفرقة والبث الحزن الشديد ومنه اشكوا

بثي

بثي بواء انزل الرجل منه بواكم في الارض ولنبوانهم ومبواء بوار هلاك ومنه
قوما بورا اي هلكي با بالشي رجع به وقد يقال بمعني اعترف باسا الفقر
والبوس الشدة والمحنة والبايس الفقير من البوس والباس القتال
والشجاعة والمكروه وباس الله عذابه وبيس كلمة ذم برزخ شي بين
شيين والبرزخ ما بين الموت والقيامة بديع له معنيان جميل ومبدع
اي خالق الشي ابتدا ابسر عبس ومنه باسرة بصير من البصر يقال
ابصرته وبصرته والبصاير البراهين جمع بصيرة برز ظهر ومنه
بارزة وبارزون بطش اخذ بشدة بخس نقص بعل له معنيان
زوج المراة وجمعه بعوله والبعل ايضا الرب وقيل اسم صنم ومنه
اتدعون بعلا بهجة حسن وبهيج حسن مبلسون جمع مبلس وهو
اليايس وقيل الساكت الذي انقطعت حجته وقيل الحزين النادم
منه يبلس ومنه اشتق ابليس بهت انقطعت حجته تبارك
من البركة وهي الكثرة والنما وقيل تقدس بلي جواب يقتضي اثبات الشي
بل معناها الاضراب عما قبلها الباء للالصاق ولنقل الفعل في التعدي
وللقسم وللتعليل وللمصاحبة وللاستعانة وظرفية وزايدة
حرف التاء تلي يتلو له معنيان قرا واتبع تقوي مصدر ومشتق من
الوقاية فالتاء بدل من واو ومعناه الخوف والتزام طاعة الله وترك
معاصيه فهو جامع لكل خير تاب يتوب رجع توبة وتوبا فهو تايب
وتواب كثير التوبة وتواب اسم الله تعالي اي كثير التوبة علي عباده
وتاب الله علي العبد الهمه علي التوبة وقيل توبته تباب خسران
وتب خسر تبار هلاك ومنه متبر اترفوا انعموا والمترفون المتنعمون
في الدنيا حرف الثاء ثمود قبيلة من العرب الاقدمين ثوي في
الموضع اقام فيه ومنه مثوى ثبور هلاك ومنه مثبور وادعوا
ثبورا اي صاحوا هلاكا ثمر يوكل مما تنبت الارض ويقال بالفتح
والضم ثقفوا اخذوا وظفروا بهم ومنه فاما تثقفنهم في الحرب ثاقب

معني ثم بالفتح ظرف وبالضم حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة
وقد يرد لغير الترتيب كالتاكيد وترتيب الاخبار حرف الجيم جعل
لها اربعة معان صير والقي وخلق وانشاء يفعل كذا جناح الطاير معروف
وجناح الانسان ابطه ومنه اضمم اليك جناحك ولاجناح لا اثم فمعناه
الاباحه وجنح للشي مال اليه لاجرم لابد اجتبي اختار جدال مخالفة
ومخاصمة واحتجاج يجارون يصيحون بالدعا جواري جمع جارية وهي
السفينة اجرم جنى مجرم له معنيان الكفر والعصيان جن المجنون
وقد جا بمعني الملايكة جان له معنيان الجنون والحية الصغيرة جنة
بالفتح البستان وبالكسر الجنون وبالضم الترس وما اشبهه مما يستتر به
ومنه استغفروا ايمانهم جنة جاثية اي علي ركبهم لا يستطيعون القيام
بما هم فيه قوله جثيا جمع جاث الجرز الارض التي لا نبات فيها
جاثمين باركين علي ركبهم جبار اسم الله تعالي له معنيان قهار
ومتكبر وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه والجبار ايضا الظالم
اجداث قبور جزي له معنيان من الجزا بالخير والشر وبمعني اغني ومنه
لا تجزي نفس واما جزا بالهمز فمعناه كفي جرح له معنيان من الجروح
وبمعني الكسب والعمل ومنه جرحتم بالنهار واجترحوا السيات ولذلك
سميت كلاب الصيد جوارح لانها كواسب لاهلها جنب له معنيان
من الجنابة وبمعني البعد ومنه جنب حرف الحا حمد هو الثنا
سوا كان جزا علي نعمة او ابتدا والشكر انما يكون جزا فالحمد من هذا
الوجه اعم والشكر باللسان والقلب والجوارح ولا يكون الحمد الا
باللسان فالشكر من هذا الوجه اعم حميد اسم الله تعالي اي بمعني
محمود حكمة عقل او علم وقيل في الكتاب والحكمة هي السنة حكيم
اسم الله من الحكمة او من الحكم بين العباد او من احكام الامور
واتقانها حليم الحلم العقل وقد يقال بمعني العفو والاحلام العقول
والحليم من اسما الله تعالي قيل الذي لا يعجل بالعقوبة علي من عصاه

وقيل

وقيل معناه العفو عن الذنوب واحلام النوم ما يري في النوم حبط
بطل واحبطه الله ابطله حنيف حنيف مسلم وموحد الله وقيل حاج
وقيل مختتن وجمعه حنفاء محصنين ومحصنات الاحصان له اربعة
معان الاسلام والحرية والعفاف والتزوج وليحصنكم من باسكم
يقيكم حجة بالضم دليل وبرهان وحاج فلان فلانا جادله
وحجه عليه بالحجة والحج بالفتح والكسر القصد ومنه اخذ حج البيت
وحجة بالكسر سنة وجمعها حجج حطة اي حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة
بالعبرانية تفسيرها لا اله الا الله حجر بالضاد من الحضور ومنه
محضرون وشرب محتضر وبالظا من المنع ومنه وما كان عطا ربك
محظورا وكهشيم المحتظر وبالذال من الحذر وهو الخوف ومنه ان عذاب
ربك كان محذورا حفظ العلم وعيه وحفظ الشي حراسته والحفيظ
اسم الله تعالي قيل معناه العليم وقيل حافظ الخلق كاليهم من المهالك
حاق بهم اي حل بهم حبل من الله ومن الناس اي بعهد وحبل الله القران
واصله الحبل المعروف حسب بكسر السين ظن مضارعه بالفتح والكسر
وحسب بالفتح من العدد ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان
وحسبانا من السما اي مرام واحدها حسبانة حساب من الظن
والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وان يكون من المحاسبة اي لا يحاسبه
عليه ومن التقدير اي بغير تضييق وعطا حسابا اي كافيا حسيب
اسم الله تعالي فيه اربعة اقوال كاف عالم وقادر ومحاسب حسبك
الله اي كافيك حزن تاسف علي ماض او حال والخوف توقع في المستقبل
ويقال حزن بكسر الزاي وحزنه غيره واحزنه ايضا حصر يحبس من
الحصر واحصر عن الشي حبس عنه وحسير بالسين كليل حصيد
هو ما يحصد من الزرع وغيره واستعير قايم وحصيد اي باق وذاهب
حميم له معنيان الصديق والما الحار محيص مهرب حجر له اربعة
معان الحرام والعقل ومنازل ثمود وحجر الكعبة حمل بكسر الحا ما

علي ظهر الدابة وغيرها ويستعار للذنوب وبالفتح ما في بطن المراة وجمعه
احمال **احسان** له ثلاث معان فعل الحسنات والانعام علي الناس ومراقبة
الله تعالي المشار اليها في قوله صلي الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه **حق** له اربعة معان الصدق والعدل في الحكم والشي
الثابت والامر الواجب والحق اسم الله تعالي اي الواجب الوجود
حاصب اي ريح شديدة سميت بذلك لانها ترمي بالحصبا اي الحصا
والحاصب ايضا الحجارة **حلية** حلي **حرج** ضيق او مشقة **حول** له معنيان
العام والحيلة وحولا بكسر الحا انتقالا **حرث** الارض مصدر ثم استعمل
بمعني الارض والزرع والنبات **حس** بغير الف قتل ومنه اذ تحسونهم
واحس من الحس **حرم** بضمتين محرومون بالحج **حقب** بضمتين واحقاب
جمع حقب وهو مدة من الدهر يقال انه ثمانون سنة **حرف** الشي
بالشي اطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل والملايكة حافين
حل بالمكان يحل بالضم والكسر وحل من احرامه يحل بالكسر لا غير
حطام فتات والحطام ما تحطم من عيدان الزرع اليابس **حرف الخاء**
خلق له معنيان من الخلقة ومنه الخالق اسم والخلاق وخلق الرجل
كذب ومنه تخلقون افكا واختلاق اي كذب **خلاق** نصيب **خير** ضد
الشر وله اربعة معان العمل الصالح والمال والخيرة والتفضيل
بين شيين **خلا** له معنيان من الخلوة وبمعني ذهب ومنه امة قد
خلت **خطية** ذنب وجمعه خطايا وخطيات والفعل منه خطي فهو
خاطي واما الخطا بغير عمد فالفعل منه اخطا **خاسين** مطرودين من
قولك خسيت الكلب ومنه اخسوا فيها **خلف** بفتح الخا واسكان اللام
وله معنيان ورا ومن خلف خلفه بشر فاذا خلفه بخير قيل بفتح
اللام **خلاف** له معنيان من المخالفة وبمعني بعد او دون ومنه
بمقعدهم خلاف رسول الله **خول** اعطي **خلة** بضم الخا مودة ومنه
الخليل وجمعه اخلا **خلال** له معنيان وداد ومنه لا بيع فيه ولا خلال

وبمعني

وبمعني بين ومنه خلال الديار وخلالكم **خر** سقط علي وجهه
هالكون واصله من خمود النار **خطب** والخطب ايضا الامر العظيم وخطبة
النساء بالكسر وخطبة الخطيب بالضم **خرص** كذابون ومنه يخرصون
والخرص ايضا التقدير وقيل يخرصون منه اي يقولون بالظن من غير
تحقيق **خشن** شر **خوان** كثير الخيانة **خيلاء** من الخيلاء **ختار** غدار من
ختر العهد **خمصة** من الخمص وهو الجوع **اخدان** جمع خدن وهو الخليل
خراج وخرج اي اجرة او عطيه **حرف الدال** **دين** له خمسة معان
الملة والعادة والجزا والحساب والقهر **داب** له معنيان عادة وجد
وملازمة ومنه سبع سنين دابا متتابعة للزراعة من قولك دابت
علي الشي دمت عليه **ادني** له معنيان اقرب من الدنو واقل قدر
من الداني الحقير **دار السلام** الجنة **دواير** صروف الدهر واحدها دايرة
ومنه دايرة السوء **دعا** له خمسة معان الطلب من الله والعبادة
ومنه تدعون من دون الله والتمني ولهم فيها ما يدعون والندا
ادعوا شهداكم والدعوة الي الشي ادعوا الي سبيل ربك **دابة** كل
ما يدب فيجمع جميع الحيوان **دحور** ابعاد ومنه اكما مدحورا المطرود
دع بتشديد العين يدع اي دفع بعنف ومنه يدع اليتيم ويدعون
الي نار جهنم دعا **دراء** دفع ومنه يدرون **مدرارا** من در المطر اذا
صب **داخرين** صاغرين **دكت** الارض اي دقت جبالها حتي استوت
مع وجه الارض ومنه جعله دكا اي مستويا مع الارض **حرف الذال**
ذكر له اربعة معان ضد النسيان والذكر باللسان والقران ومنه
نزلنا الذكر والشرف **ومدكر** متعظ من الذكر **ذنوب** بضم الذال جمع
ذنب وبالفتح النصيب ومنه ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي نصيب
من العذاب والذنوب ايضا الدلو **ذبح** بكسر الذال المذبوح وبالكسر
المصدر **ذرا** خلق ونشر **ذلول** مذللة للعمل من الذل ومنه ذللناها
لهم وزجل ذليل من الذل بالضم وذلك تطوعا ادنت **اذقان** جمع ذقن

حرف الراء رب له اربعة معان الاله والسيد والمالك الشي والمصلح
للامور ريب شك ومنه ارتابوا ومريب وريب المنون حوادث الدهر
رجع يستعمل متعديا بمعنى رد وغير متعد والمرجع اسم مصدر او زمان
او مكان من الرجوع رعي له معنيان من النظر ومن رعي الغنم روح
له اربعة معان النفس التي بها الحياة يسلونك عن الروح والوحي
ينزل الملايكة بالروح وجبريل نزل به الروح الامين وملك عظيم
تنزل الملايكة والروح وروح بفتح الرا الرايحة طيبة والريحان الرزق
وقيل الشجر المعروف ركام بعضه فوق بعض ومنه مركوم ويركمه
رجا طمع وقد يستعمل في الخوف ومنه لا يرجون لقانا رجال جمع رجل
وجمع راجل اي غير راكب ومنه ياتوك رجالا ومثله بخيلك ورجلك
رفث له معنيان الجماع والكلام بهذا المعنى رجز عذاب والرجز فاهجر
يعني الاوثان والرجس بالسين النجس حقيقة او مجازا وقد يستعمل بمعنى
العذاب رهب خوف ومنه يرهبون روف من الرافة وهي الرحمة
الا ان الرافة في دفع المكروه والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل
فهي اعم من الرافة ترضات مفعلة من الرضا راسيات ثابتات ومنه قيل
للجبال رواسي ومنه مرسىها اي منتهاها رغدا اي كثيرا ربوة مكان
مرتفع من الارض ربا هو في اللغة الزيادة ومنه يربي الصدقات
وربت الارض انتفخت ارحام جمع رحم وهو فرج المراة ويستعمل ايضا في
القرابة ارجيه اخره ومنه ترجي ويرجون ويجوز فيه الهمز وتركه
راء من روية العين يتعدى الى واحد ومن روية القلب بمعنى
العلم يتعدى الى مفعولين تربص التغلظ رفات فتات ارذل العمر
الهرم والارذلون من الرذالة رقي من الرقية بفتح القاف ومنه
قيل من راق ورقي في السلم بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل
ارداكم اهلككم والردا الهلاك ومنه تردين وتردى رجفة زلزلة
وشدة حرف الزاي زبر بضمتين كتب والزبور كتاب داود عليه

السلام زخرف زينة والزخرف ايضا الذهب زكاة له في اللغة
معنيان الزكاة والطهارة ثم استعمله الشرع في اعطا المال وهو من
الزيادة لانه يبارك له فيه فيزيد او من الطهارة لانه يطهره
من الذنوب وزكيت الرجل اثنيت عليه وزكا هو مخفف اي صار زكيا
زوج له ثلاث معان الرجل والمراة وقد يقال زوجة وبمعنى الصنف
والنوع ومنه ازواج من نبات ومن كل زوج كريم زال له معنيان
زال القدم عن الموضع وفعل الزلل زاغ عن الشي زيغا مال عنه
وازاغه غيره اماله زلفي قربى وازلفت قربت وزلفا من الليل
ساعات زعم اي ادعى ولم يوافقه غيره قال ابن عباس زعم
كناية عن كذب زعيم ضامن يزجي يسوق زلزلة الارض اهتزازها
وتستعمل بمعنى الشدة والخوف ومنه زلزلوا زجرة واحدة صيحة
بمعنى نفخة الصور والزجرة الصيحة بشدة وانتهار وازدجر من الزجر
حرف الطاء طبع ختم والخاتم الطابع طول بفتح الطا فضل او غنى
طاير له معنيان من الطيران ومن الطيرة طوى قيل اسم الوادي وقيل
معناه مرتين اي قدس الوادي مرتين طهارة له معنيان الطهارة
بالماء ومنه جنبا فاطهروا والما الطهور وهو المطهر والطهارة من
القبايح والرذايل ومنه اناس يتطهرون طيب له معنيان اللذيذ
والحلال طوفان السيل العظيم طاغوت اصنام وشياطين ويكون مفردا
وجمعا والطاغوت ايضا رووس النصارى على قول طباقا بعضها
على بعض وطبقا عن طبق حالا بعد حال طور جبل وهو الطود
طفق بفعل كذا اي جعل يفعله طايفين من الطواف وطايف من الشيطان
لمم طيف فاعل منه حرف الظاء ظهر الامر بدا واظهره غيره ابداه
ظهير معين ظاهر الرجل من امراته وتظاهر وتظهر اي قال لها
انت علي كظهر امي وهو الظهار ظهر البيت اعلاه وظهرته اي ارتفعت
عليه ومنه فما استطاعوا ان يظهروه ظلم وقع في القران على

ثلاثة معان الكفر والمعاصي وظلم الناس اي التعدي عليهم ظن
له ثلاثة معان التحقيق وغلبة احد الاعتقادين والتهمة ظما عطش
ظلل جمع ظل وظلل بالضم جمع ظلة وهي ما كان من فوق بالنهار
بمنزلة بات بالليل حرف الكاف كافر له معنيان من الكفر وهو
الجحود وبمعني الزرع ومنه اعجب الكفار نباته اي الزراع وتكفير
الذنوب غفرانها كرة رجعة كبر بكسر البا من السن يكبر بالفتح
في المضارع وكبر الامر بالضم في المضارع والماضي وكبر بضم الكاف
وفتح البا جمع كبري وكبارا بالضم والتشديد كبير مبالغة والكبر
التكبر وكبر الشي بكسر الكاف وضمها معظمه والكبريا الملك والعظمة
والمتكبر اسم الله تعالي من الكبريا وبمعني العظمة كفل يكفل اي ضم
الصبي وحضنه واكفلنيها اجعلني كافلها كفيل نصيب كلالة
هي ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد كاد قارب الامر ولم يفعل له
نا ذا نفي اقتضي الاثبات كريم من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل
وكريم اسم الله تعالي اي محسن اكنة اغطية والكنان جمع كن وهو
ما وقي من الحر والبرد كهل هو الذي انتهي شبابه اكمام الثمار والنخيل
جمع كم وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها اكب الرجل علي وجهه
فهو مكب وكبه غيره بغير الف كمد غار كيد هو من المخلوق احتيال
ومن الله مشيئته امر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر كسفا بفتح السين
جمع كسفة وهي القطعة من الشي وبالسكون كذلك او مفرد كبتوا
اي اهلكوا اي يكبتهم ثم يهلكهم او يخزيهم اكمه هو الذي ولد اعمي
كان علي نوعين تامة بمعني حضر او حدث او وقع وهي ترفع
الفاعل وناقصة ترفع الاسم وتنصب الخبر وتقتضي ثبوت الخبر
للمخبر عنه في زمانها وقد تاتي بمعني الدوام في مثل قوله كان الله
غفورا رحيما وكان ربك قديرا وشبه ذلك وهو كثير في القران
ومعناه لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف كان معناها

التشبيه كي معناها التعليل كم معناها التكثير وهي خبرية واستفهامية
كاين بمعني كم وهي عند سيبويه كاف التشبيه دخلت علي اي كلا حرف
ردع وزجر وقيل انما تكون للنفي اي ليس الامر كما ظننت وقيل انها
استفتاح كلام بمعني الا الكاف بمعني التشبيه وبمعني التعليل وقيل
انها تكون زايدة حرف اللام لبس الامر اي خلطه بفتح البا في الماضي
وكسرها في المستقبل الباب عقول وهو جمع لب لبث في المكان اقام
فيه لمز يلمز اي عاب الشي لولو جوهر لغو الكلام الباطل منه
والفحش ولغو اليمين ما لا يلتزم لها بفتح الها من اللهو ومضارعه يلهوا
ولهي عن الشي بالكسر والبا يلهي بالفتح اذا اعرض عنه والهاه الشي
اذا اشغله ومنه لا تلهكم اموالكم لطيف اسم الله تعالي قيل معناه
رفيق وقيل خبير بخفيات الامور لدي ولدن معناهما عند ليت
معناها التمني لعل معناها الترجي في المحبوبات والتوقع للمكروهات
واشكل ذلك في حق الله تعالي فقيل جات في القران علي منهاج كلام
العرب وبالنظر الي المخاطب اي ذلك مما يرتجي عندكم اي يتوقع وقد يكون
معناها التعليل او مقاربة الامر فلا اشكال لولا لها معنيان التمني
وامتناع شي لامتناع غيره لو لها معنيان العرض مثل لوما وامتناع
شي لوجود غيره لما لها معنيان النفي وهي الجازمة ووجود شي لوجود
غيره واما لما بالتخفيف فهي لام التاكيد دخلت علي ما وقال الكوفيون
هي بمعني الا الموجبة بعد النفي لا ثلاثة انواع نافيه وناهيه وزايده
اللام خمسة انواع لام الجر ولام كي ولام الجحود ولام الامر ولام التوكيد في
القسم وغيره وهي المفتوحة ثم ان لام الجر لها ثلاثة معان الملك والاستحقاق
والتعليل وقد تاتي للتعدي اذا ضعف العامل وقد تاتي بمعني عند نحو
اقم الصلاة لدلوك الشمس ولام كي معناها التشبيه والتعليل وقد
تاتي بمعني الصيرورة في العاقبة نحو فالتقطه ال فرعون ليكون لهم
عدوا وقد تاتي بمعني ان المصدرية ومنه يريد الله ليبين لكم

حرف الميم مرض الجسد معروف ومرض القلب الشك في الايمان
والبغضة في الدين المن سبب العسل وقيل خبز النقي والسلوى طاير
والمن ايضا الانعام والمن ايضا العطية والمن ايضا القطع ومنه اجر غير
ممنون اماني جمع امنية ولها ثلاثة معان ما تتمناه النفس والتلاوة
والكذب وكذلك تمني له هذه المعاني الثلاثة ملا القوم اشرافهم
وذوو الراي منهم مثل بفتح الميم والثا له اربعة معان التشبيه والنظير
ومن المثل المضروب واصله من التشبيه ومثل الشي حاله وصفته
والمثل الكلام الذي يتمثل به ومثل الشي بكسر الميم شبهه مرية
شك ومنه الممترين اي الشاكين لا تمار من المرا وهو الجدال املى لهم
امهلهم وزادهم مهاد فراش مد يمد اي املى وقد تكون بمعنى زاد
مثل امد بالف من المراد مضغة قطعة لحم املاق فقر معرضين من
العتو والضلال مكانة بمعنى مكان اي من التمكن والعز ومنه مكين
مواخر فواعل من المخر يقال مخرت السفينة اذا جرت تشق الما
مجيد من المجد وهو الكرم والشرف مقت هو الذم والبغض على
فعل القبيح معين ما كان جاريا وهو من قولك معن الما اذا كثر وقيل
هو مشتق من العين ووزنه مفعول فالميم زايدة مارج مختلط
والمارج لهب النار من قولك مرج الشي اذا اضطرب وقيل من الاختلاط
اي خلط نوعين من النار مرج البحرين اي خلا بينهما وقيل خلطهما
وقيل فاض احدهما في الاخر مهل فيه قولان دردي الزيت وما
اذيب من النحاس منون له معنيان الموت والدهر مس له معنيان
اللمس باليد وغيره والجنون من لها اربعة انواع شرطية وموصوله
واستفهامية ونكره موصوفة ما اذا كانت اسما فلها ستة انواع
نافية مصدرية زايده كافه مهيئة شرطية وموصوله واستفهامية
وموصوفة وصفة وتعجبيه واذا كانت حرفا فلها خمسة انواع
نافيه ومصدريه وزايده وكافه ومهيئه من لها ستة انواع

لابتدا

لابتدا الغاية ولجملة الغاية وللتبعيض ولبيان الجنس والتعليل وزايده
مهما اسم شرط حرف النون نظر له معنيان من النظر ومن الانتظار
فاذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف ومن نظر العين يتعدى بالى
ومن نظر القلب يتعدى بفي انظر بالالف اخر ومنه انظروني ومن المنظرين
ونظرت الى ميسره نضرة بالضاد من التنعم ومنه وجوه يومئذ ناضرة
اي ناعمة واما الى ربها ناظرة فمن النظر نعمة بفتح النون من التنعم
وبكسرها من الانعام انعام هي الابل والبقر والغنم دون ساير البهايم
ويجوز تذكيرها وتانيثها ويقال لها ايضا نعم نعم كلمة مدح
ويجوز فيها كسر النون وفتحها واسكان العين وكسرها نعم بفتح العين
والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي او ايجاب بخلاف
بلى فانها للايجاب خاصة ويجوز في نعم فتح العين وكسرها ند هو
المضاهي والمماثل والمعاند وجمعه انداد انذر اعلم بالمكروه قبل وقوعه
ومنه نذير ومنذر والمنذرين وكذا كيف كان نذيري اي انذاري فهو مصدر
ومنه عذابي ونذر ونذر النذر بغير الف ومنه نذرتم من نذر وليوفوا
نذورهم نكال له معنيان العقوبه والعبره نجي بتشديد الجيم له
معنيان من النجاة ومن النجوه وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك ببدنك
على قول نجوى معناه كلام خفي ومنه ناجي وقربناه نجيا وقيل انه
يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله واذ هم نجوى وقد يجمع ذلك
على حذف مضاف تقديره واذ هم اصحاب نجوى نسيان له معنيان
الذهول ومنه ان نسينا او اخطانا والترك ومنه نسوا الله فنسيهم
نسخ له معنيان الكتابة ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون والازاله
ومنه ما ننسخ من اية او ننسها نصر بالصاد المهملة معروف وبالسين
اسم صنم ويعوق ونسرا واسم طاير ايضا نشوز بالزاي له معنيان
شر بين الرجل والمراة وارتفاع ومنه انشزوا واي تقوموا من المكان
نزل بضمتين رزق وهو ما يطعم الضيف ناء بعد ومنه ينئون

عنه نكص رجع الي ورا نفر نفورا عن الشي وينفر بضم المضارع ومنه نفرت الدابة ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا اي اسرع وجد ومنه انفروا في سبيل الله نبا خبر ومنه اشتق النبي بالهمز وترك الهمز تخفيفا وقيل انه عند من ترك مشتق من النبوة وهي الارتفاع نطفة اي نقطة من ما ومنه خلقكم من نطفة يعني من المني اناب الي الشي رجع ومال اليه ومنه منيب نفد ينفد اي تم وانقطع نفر بفتح الها الوادي ويجوز الاسكان واما السايل فلا تنهر فهو من الانتهاد وهو الزجر منير من النور وهو الضوء حسا او معني نصب بضمتين وبضم النون واسكان الصاد وبفتح النون واسكان الصاد بمعني واحد وهو حجر او صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه انصاب نصب بفتحتين تعب ومسني الشيطان بنصب اي بلا وشر نقم نقم الشي بنقمه اي كرهه وعابه نضيد اي منضود بعضه الي بعض نكير انكار ويقال نكر الشي وانكره بمعني ينسلون من النسلان وهو الاسراع في المشي مع قرب الخطا حرف الصاد صراط هو في اللغة الطريق ثم استعمل في القران بمعني الطريقة الدينية واصله السين ثم قلبت صادا لحرف الاطباق بعدها وفيه ثلاث لغات بالصاد وبالسين وبين الصاد والزاي صلاة اذا كانت من الله فمعناها رحمة واذا كانت من المخلوق فلها معنيان الدعا والافعال المعلومة صوم اصله في اللغة الامساك مطلقا ثم استعمل شرعا في الامساك عن الطعام والشراب وقد جاء بمعني الصمت في قوله اني نذرت للرحمن صوما لانه امساك عن الكلام صدقة يطلق علي الزكاة الواجبة وعلي التطوع ومنه ان المصدقين والمصدقات واما انك من المصدقين بالتخفيف فهو من التصديق صدقة بضم الدال صداق المراة ومنه واتوا النسا صدقاتهن نحلة الصدق في القول ضد الكذب والصدق في الفعل صدق النية فيه والصدق في القصد العزم الصادق صعد

يصعد

يصعد اي ارتفع واصعد بالالف يصعد بالضم اي ابعد في الهروب ومنه اذ تصعدون صعيدا طيبا اي ترابا والصعيد وجه الارض صد له معنيان في التعدي بمعني منع غيره من شي ومصدره صد ومضارعه بالضم بالضم وغيره بمعني اعرض ومصدره صدود صار له معنيان من الانتقال ومنه تصير الامور والمصير وبمعني ضم ومضارعه يصور ومنه فصرهن اليك صاعقة له ثلاث معان الموت وكل بلا يصيب وقطعة نار تنزل مع شدة الرعد والمطر وجمعها صواعق اصر علي الذنب يصر اصرارا ادام عليه ولم يتب منه صواع مكيال وهو السقاية والصاع وسواع بالسين اسم صنم صابئين قوم يعبدون الملايكة وقيل انها بنات الله وقيل انهم يرون بتاثير الكواكب وفيه لغتان الهمز وتركه من صبا الي الشي اذا مال اليه يصطلون تفتعلون من صبا بالنار اذا استسخن بها والطا بدل من تا اصطفي اي اختار واصله من الصفا اي اتخذه صفيا اصفاد بفتح الصاد ذلة ومنه صاغرون والصغير ضد الكبير صدف عن الشي يصدف اعرض عنه صريخ مغيث ومنه وما انا بمصرخكم صلصال طين يابس فاذا مسته النار فهو فخار صرح قصر وهو ايضا البنا العالي حرف الضاد ضرب له اربعة معان من الضرب باليد وشبهه ومن ضرب الامثال ومن السفر ومنه ضربتم في الارض ومن الالتزام ومنه ضربت عليهم الذلة اي الزموها وضربنا علي اذانهم اي القينا عليهم النوم وانضرب عنكم الذكر اي نمسك عنكم التذكير ضاعف الشي كثره ويجوز فيه التشديد وضعف الشي بكسر الضاد مثلاه وقيل مثله والضعف ايضا العذاب والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح ضر بفتح الضاد وضمها بمعني واحد وكذلك الضير باليا ومنه لا يضركم كيدهم والضرا ما يصيب من المرض وشبهه ضحي اول النهار والفعل منه اضحي واما ضحي بكسر الحا يضحي في المضارع فمعناه برز للشمس واصابه حرها

ومنه لاتظما فيها ولا تضحي ضيف يقال للواحد والاثنين والجماعة
ضيف بكسر الضاد مصدر وبفتحها مع اسكان اليا تخفيف من ضيف المشدد
كميت وميت حرف العين عاذ بالله يعوذ اي استجار به ليدفع عنه
مايخاف ويقال ايضا استعاذ يستعيذ ومنه عذت بربي ومعاذ الله
العالمين جمع عالم وهو عند المتكلمين كل موجود سوي الله تعالي وقيل
العالمين الانس والجن والملايكة بجمعه جمع العقلا وقيل الانس
خاصة لقوله اتاتون الذكران من العالمين يعمهون يتحيرون في
ضلالهم والعمه الحيره عدل يعدل ضد جار وعدل عن الحق عدولا
وعدلت فلانا بفلان سويت بينهما ومنه او عدل ذلك صياما عزيز
اسم الله تعالي معناه الغالب وعز غلب ومنه وعزني في الخطاب
والغلبة ترجع الي القوة والقدرة ومنه فعززنا بثالث اي قوينا
وقيل العزيز العديم المثل عفا له اربعة معان عفا عن الذنب اي
صفح عنه وعفا اسقط حقه ومنه الا ان يعفون او يعفو الذي وعفا
القوم كثروا ومنه حتي عفوا وعفا المنزل اذا درس عفو له ثلاث
معان العفو عن الذنب والاسقاط والسهل من غير كلفة ومنه ماذا
ينفقون قل العفو عضين بكسر العين واسكان العين وهو جمع عضا
عنت معناه الهلاك او المشقه ومنه ولو شا الله لاعنتكم اي اهلككم
او ضيق عليكم والعنت ايضا الزنا ومنه ذلك لمن خشي العنت منكم
واما عنت الوجوه فليس من هذا لان لامه واو وهو من عنا يعنوا
اذا اخضع عاقب له معنيان من العقوبة علي الذنب ومن العقبي
ومنه وان فاتكم شي من ازواجكم الي الكفار فعاقبتم اي اصبتم عقبا
اعجاز نخل اصولها اعجز الشي اذا فات ولم يقدر عليه ومنه وما هم
بمعجزين وما كان الله ليعجزه من شي واما معاجزين بالالف فمعناه
مسابقين عال يعيل عيلة اي افتقر ومنه ووجدك عايلا وعال
يعول عدل عن الحق وعال يعول ايضا كثر عياله والاشهر ان يقال

في

في هذا المعني اعال بالالف عرج يعرج بفتح الرا في الماضي وضمها في المضارع
صعد وارتقي ومنه المعارج وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل
صار اعرج عتبي معناه الرضي ومنه فما هم من المعتبين ولا هم يستعتبون
العتاب العدل اعد بالالف يسر الشي وهياه ووعد بغير الف من العدد
عرش سرير الملك ومنه ورفع ابويه علي العرش واهكذا عرشك
وعرش الله فوق السما ويعرشون يبنون وعلي عروشها سقوفها
عورة اصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ولذلك قيل عورة
الانسان عورات اي اوقات انكشاف وبيوتنا عورة اي خالية معرضة
للسراق عاقر له معنيان المراة العقيم واسم فاعل من عقر الحيوان
عبر يعبر له معنيان من عبارة الرويا ومنه ان كنتم للرويا تعبرون
ومن الجواز علي الموضع ومنه عابر سبيل عمون جمع عم وهو صفة
علي وزن فعل بكسر العين من العمي في البصر او في البصيرة علا
يعلوا تكبر ومنه قوما عالين وعلا في الارض والعلي اسم الله تعالي
والمتعالي والاعلي من العلو بمعني الجلال والعظمه وقيل بمعني التنزيه
عما لا يليق به عزب الشي غاب ومنه لا يعزب عن ربك اي لا يخفي عنه
عصبة جماعة من العشرة الي الاربعين علقة واحدة العلق وهو
الدم عاصف ريح شديده عصف ورق الزرع حرف الغين
غشاوة غطا اما حقيقة او مجاز غمام هو السحاب غلف جمع اغلف
وهو كل شي جعلته في غلاف اي قلوبنا محجوبة غرفة بضم الغين
لها معنيان المسكن المرتفع والغرفة من الما بالضم وبالفتح المرة
الواحدة غادر ترك ومنه لم نغادر غل يغل من الغلول وهو الخيانه
والاخذ من المغنم بغير حق والغل الحقد اغلال جمع غل بالضم وهو
مايجعل في العنق ومنه مغلولة غلا يغلوا من الغلو وهو مجاوزة
الحد والافراط ومنه لا تغلوا في دينكم اي لا تجاوزوا الحد غايط
المكان المنخفض ثم استعمل في حاجة الانسان غشي الامر يغشي

بالكسر في الماضي والفتح في المضارع معناه غطى حسا ومعنى ومنه
والليل اذا يغشى لانه يغطي بظلامه ويتعدى بالهمزة والتشديد
فيقال غشي واغشى ومن فوقهم غواش يعني ما يغشاهم من العذاب
او يغشيهم ومنه غاشية من عذاب الله والغاشية ايضا القيامة
لانها تغشى الخلق غبر له معنيان ذهب وبقي ومنه عجوزا في
الغابرين اي في الهالكين او في الباقين في العذاب غرور بضم
الغين وبفتحها اسم فاعل مبالغة ويراد به ابليس غاض
الشي نقص ومنه وغيض الما وتغيض الارحام وغاظ بالظاء
يغيظ من الغيظ غور غاير من غار الما اذا ذهب غرام عذاب ومنه
انا لمغرمون والمغرم غرم المال ومنه من مغرم مثقلون حرف
الفا فرقان مفرق بين الحق والباطل ومنه يجعل لكم فرقانا
اي تفرقة ولذلك نسمي القران بالفرقان فئة جماعة من الناس
فصال فطام من الرضاع فضل له معنيان الاحسان والربح في
التجارة وغيرها ومنه يبتغون من فضل الله فسق اصله الخروج
وتارة يرد بمعنى الكفر وتارة بمعنى العصيان فتنة لها ثلاثة
معان الكفر والاختبار والتعذيب فاء يفي اي رجع فلك بضم
الفا سفينة ويستوي فيه المفرد والجمع فلك بفتحتين القطب
الذي تدور به الكواكب فزع له معنيان الخوف والاسراع ومنه
اذ فزعوا فلا فوت فرح له معنيان السرور والبطر فاحشة
وفحشا هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي فرض له معنيان الوجوب
والتقدير فتح له معنيان فتح الابواب ومنه فتح البلاد وشبههما
والحكم ومنه افتح بيننا وبين قومنا ويقال للقاضي فاتح واسم
الله الفتاح قيل الحاكم وقيل خالق الفتح والنصر انفضوا تفرقوا
فطر خلقه ابتدا ومنه فاطر السموات والارض وفطرة الله
التي خلق الخلق عليها وافطر بالالف من الطعام فطور شقوق

ومنه

ومنه انفطرت اي انشقت ويتفطرن فج طريق واسع وجمعه فجاج
فار التنور يقال لكل شي هاج وعلى حتى فاض ومنه وهي تفور وتولم
فار القدر فوج جماعة من الناس وجمعه افواج فاكهين من التلذذ
بالفاكهة او من الفكاهة وهي السرور واللهو فواد هو القلب وجمعه
افيدة استفز يستفز اي استخف فقه فهم ومنه لا يفقهون وما
نفقه كثيرا في حرف جر بمعنى الظرفية وقد تكون للتعليل وقد
تكون بمعنى مع وقيل بمعنى على الفاء لها ثلاثة انواع عاطفة
ورابطة وناصبة للفعل باضمار ان ومعناها الترتيب والتعقيب
والتسبيب حرف القاف قران القران العزيز ومصدره قراء
اي تلا ومنه ان علينا جمعه وقرانه قنوت له خمسة معان العبادة
والطاعة والقيام في الصلاة والدعا والسكوت قضا له سبعة معان
الحكم والامر والقدر السابق وفعل الشي والفراغ منه والموت
والاعلام بالشي ومنه قضينا اليه ذلك الامر قدر له خمسة
معان من القدرة ومن التقدير ومن المقدار ومن القدر والقضا
وبمعنى التضييق نحو قدر عليه رزقه وقد يشدد الفعل ويخفف
والقدر بفتح الدال واسكانها القضا والمقدار وبالفتح لا غير من
القضا قام له معان ثلاثة من القيام على الرجلين ومن القيام
بالامر بتقديره واصلاحه ومنه الرجال قوامون على النساء
وقام الامر ظهر واستقام ومنه الدين القيم دين القيمة اقام له ثلاثة
معان اقام الرجل غيره من القيام ومن التقويم ومنه جدارا يريد ان
ينقض فاقامه واقام في الموضع سكن ومنه مقيم اي دايم قيوم
اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بنا مبالغة من القيام على الامور
معناه مدبر الخلايق في الدنيا والاخرة ومنه قايم على كل نفس
له معنيان مصدر قام على اختلاف معانيه وبمعنى قوام الامر
وملاكه وقيم بغير الف جمع قيمة قرض سلف والفعل منه

الارض يقرض اقسط بالف قسط اعدل في الحكم ومنه يحب المقسطين
وقسط بغير الف جار ومنه واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
مقاليد فيه قولان خزاين ومفاتح قدس يقدس من التزيه والطهارة
وقيل من التعظيم والقدوس اسم الله تعالي فعول من النزاهة عما
لا يليق به قال يقول من القول وقد يكون بمعني الظن ومصدره
قول وقال يقيل من القايلة ومنه اوهم قايلون واحسن مقيلا
قفي ابتع واصله من القفا يقال اقفوته اذا جيت في اثره وقفيته
بالتشديد اذا اتبعت شيا في اثره ومنه وقفينا من بعده بالرسل
قرن جماعة من الناس وجمعه قرون قواعد البيت اساسه واحدها
قاعدة والقواعد من النسا واحده قاعد وهي العجوز قربان ما يتقرب
به الي الله تعالي من الذبايح وغيرها وقربان ايضا من القرابة قلي
يقلي البغض ومنه ما قلي ولعملكم من القالين اقترف اكتسب حسنة
او سيئة قصص له معنيان من الحديث ومن قص الاثر ومنه علي اثارهما
قصصا وقصيه قررت به عينا اقر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع
وقررت في المكان بالفتح في الماضي والفتح في المضارع قسطاس
ميزان قتر وقترة غبار وعبارة عن تغير الوجه قسور من التقتير
قارعة داهية وامر عظيم قبس شعلة نار قنط ييس من الخير
قرطاس صحيفة وجمعه قراطيس حرف السين اسباط
جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثني عشر ولدا
ذكرا فاعقب كل واحد منهم عقبا والاسباط في بني اسرايل كالقبايل
في العرب سبيل هو الطريق وجمعه سبل ثم استعمل في طريق الخير
والشر وسبيل الله الجهاد وابن السبيل الضيف وقيل الغريب
سوي بالتشديد له معنيان من التسوية بين الاشيا وجعلها سواء
وبمعني اتقن واحسن ومنه فسواك فعدلك سواء بالفتح والهمز من
التسوية بين الاشيا وسوا الجحيم وسطها وسوا الصراط قصد الطريق

سوي بالكسر والضم مع نزلت الهمزا استثنا وقد يكون من التسوية
سفها جمع سفيه وهو الناقص العقل واصل السفه الخفة ولذلك
قيل لمبذر المال سفيه وللكفار والمنافقين سفها سلوي طاير
يشبه السماني وكان ينزل علي بني اسرايل مع المن سال له معنيان
طلب الشي والاستفهام عنه وسال بغير همز من المعنيين المذكورين ومن
السيل سبحان تنزيه وسبحان الله اي نزهته عما لا يليق به من الصاحبة
والولد والشركا والانداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقايص
سار يسير مشي ليلا او نهارا سري يسري مشي ليلا ويقال ايضا
اسري بالف سخر يسخر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع اي
استهزا سخر بالتشديد من التسخير سخريا بضم السين من السخرة
وهي تكليف الاعمال وبالكسر من الاستهزا سلطان له معنيان البرهان
والقوة ومنه لا تنفذون الا بسلطان سام يسوم اي كلف الامر والزمه
ومنه يسومونكم سوء العذاب واصله من سوم السلعة في البيع
سم يسئم اي مل ومنه وهم لا يسامون سنة اي عادة سلف الامر اي
تقدم واسلفه الرجل اي قدمه ومنه هنيا بما اسلفتم سرا فعلا
من السرور وسارع الي الشي وبادر اليه اسراف افراط والمسرفون
اي المبذرون والمفرطون في الكفر والمعاصي سوءة عورة والسوء
ما يسوء بالفتح والضم والسواي فعلا من السوء وسي بهم فعل بهم
السوء سنة بفتح السين عام ولامها محذوفة وجمعها سنون وقد
تقال بمعني القحط والجدب سنة بكسر السين ابتدا النوم وفاوها
واو محذوفة لانها من الوسن سلك يسلك له معنيان ادخل ومنه
اسلك يدك وسلكه ينابيع ومن سلوك الطريق اسفار جمع سفر
بفتحتين وجمع سفر وهو الكتاب ساح يسيح اي سار ومنه فسيحوا
في الارض السايحون الصايمون سول بتشديد الواو زين ومنه سولت
لكم انفسكم امرا سرابيل جمع سربال وهو القميص سبا قبيلة من العرب

سموم شدة الحر سلام له ثلاثة معان التحية والسلامة والقول
الحسن ومنه اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلام اسم الله
تعالي معناه السلامة من كل نقص فهو من اسما التنزيه وقيل مسلم
العباد من المهالك وقيل ذو السلام علي المومنين في الجنة سلم
بفتحتين الانقياد والقا باليد وهو ايضا بيع سلم بفتح السين
واسكان اللام صلح ومهادنة سلم بكسر السين واسكان اللام
ومعناه الاسلام بضم السين وفتح اللام مشددة هو الذي يصعد فيه
اسلم يسلم له ثلاث معان الدخول في الاسلام والاخلاص لله والانقياد
ومنه فلما اسلما سعي يسعي له ثلاث معان عمل عملا ومنه وان ليس
للانسان الا ما سعي ومشي ومنه فاسعوا الي ذكر الله واسرع في مشيه
ومنه رجل يسعي سكن يسكن له معنيان من السكون ضد الحركة
ومن السكني في الموضع سكينة وقار وطمانينة سايغ سهل الشرب
لا يغص به من شربه سابغات دروع واسعات اساطير الاولين ما كتبه
المتقدمون مسيطر اي مسلط وام هم المسيطرون الارباب سندس
واستبرق ثياب حرير قيل السندس رقيق الديباج والاستبرق
صفيقه سحقا بعدا ومنه مكان سحيق اي بعيد سعير جهنم وسعرت
اوقدت سبب وجمعه اسباب له خمسة معان الحبل ومنه فليمدد
بسبب الي السما والاستعارة من الحبل في المودة والقرابة ومنه
وتقطعت بهم الاسباب والطريق ومنه فاتبع سببا والباب ومنه
اسباب السموات وسبب الامر موجبه حرف الشين شعر
بالامر يشعر اي علمه والشعور العلم من طريق الحس ومنه لا يشعرون
شهد يشهد له معنيان من الشهادة علي الشي ومن الحضور ومن
الشهادة في سبيل الله شكر قد تقدم في الحمد والشكر والشكور اسم
الله المجازي لعباده علي اعمالهم بجزيل الثواب وقيل المثني علي العباد
شري اي باع وقد يكون بمعني اشتري شقاق عداوه ومنابذه ومنه

ومن

ومن يشاقق الله شهاب كوكب وقد يطلق علي شعلة النار شجر هو كل
ما ينبت في الارض وشجر بينهم اي اختلفوا فيه شنان عداوه وشر
ويجوز فيه فتح النون واسكانها شرع الله الامر اي امر به والشريعة
والشرعة الملة وشرعت الما في الدواب شعاير الله معالم دينه
واحدها شعيرة او شعادة شرك له معنيان من الاشراك وهو ايضا
النصيب ومنه ام لهم شرك في السموات شركا جمع شريك مشحون
اي مملو حرف الهاء الهدي له معنيان الارشاد والبيان ومن
البيان فاما ثمود فهديناهم والارشاد قد يكون الي الطريق والي الدين
وبمعني التوفيق والهام هدي بفتح الها واسكان الدال ما يهدي الي الكعبة
من البهايم هاد يهود اي تاب ومنه هدنا اليك والذين هادوا اي
تهودوا اي صاروا يهودا واصله من قولهم هدنا اليك هود له معنيان
اسم نبي عاد عليه السلام وبمعني اليهود ومنه كونوا هودا هوي النفس
مقصور وهو ما تحبه وتميل اليه والفعل منه بكسر الواو في الماضي
وفتحها في المضارع والهوا بالمد والهمز ما بين السما والارض وافيدتهم
هوا اي متخرقة لا تعي شيا وهوي يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع
وقع من علو ويقال ايضا بمعني الميل ومنه افيدة من الناس تهوي اليهم
هاجر خرج من بلاده ومنه سمي المهاجرون هجر من الهجران
ومنه الهجر ايضا وهو فحش الكلام وقد يقال في هذا اهجر بالالف
اهل لغير الله به اي صيح والاهلال الصياح وفي النية اي اريد به غير
الله مهيمن عليه اي شاهد وقيل موتمن والمهيمن اسم الله القايم
علي خلقه باعمالهم واجالهم وارزاقهم وقيل الشهيد وقيل الرقيب
هوان هون اي ذل مهين بضم الميم اي مفعل مشتق من الهوان اي
مذل واما مهين بفتح الميم فمعناه ضعيف او ذليل حرف الواو
وقود النار بفتح الواو ما توقد به من الحطب وشبهه والوقود بالضم
المصدر وجه له معنيان الجارحة والجهة واما وجه الله ففي قوله

ابتغا وجه الله اي طلب رضاه وفي قوله كل شي هالك الا وجهه ويبقى
وجه ربك قيل الوجه الذات وقيل صفة كاليدين وهو من المتشابه
وعد يعد وعدا بالخير وقد يقال في الشر اذا قيد واوعد بالالف
يوعد وعيدا بالشر لا غير ود يود له معنيان من المودة والمحبة
وبمعنى تمنى نحو ودوا لو تكفرون والود بالضم المحبة وود اسم
صنم بضم الواو وفتحها ودود اسم الله تعالى اي محب لاوليايه
وقيل محبوب ويل كلمة شر وقيل ان الويل واد في جهنم
وجب له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحايط
اذا سقط ومنه وجبت جنوبها وسط واوسط له معنيان من
التوسط بين الشيئين وبمعنى الخيار والاحسن وسع يسع سعة
من الاتساع ضد الضيق والسعة الغنى والواسع اسم الله تعالى
اي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة واسع جواد موسع غني اي
واسع الحال وهو ضد المقتر وانا لموسعون قيل اغنيا وقيل قادرون
والا وسعها طاقتها ولي له معنيان ادبر وحجل واليا تولى له ثلاث
معان ادبر واعرض بالبدن او بالقلب وصار وليا واتخذ وليا ومنه
ومن يتول الله ورسوله ولي ناصر والولي اسم الله قيل ناصر وقيل
متولي امور الخلايق مولى له سبعة معان السيد والاعظم والناصر
والولي اي القريب المالك والمعتق وبمعنى اولى ومنه النار مولاكم
ولج يلج اي دخل ومنه ما يلج في الارض وولجا ادخل ومنه يولج الليل
في النهار وهن يهن ضعف ومنه وهن العظم والوهن الضعف ورد
الماء يرده اذا جا اليه واورده غيره وارسلوا واردهم الذي يتقدمهم
الى الما فيستقي لهم اوزعني اي الهمني ووفقني يوزعون يدفعون
وليد صبي وجمعه ولدان وجل يوجل وجلا خاف ومنه لا توجل
اي استتروا واستخفوا وطي يطا له ثلاث معان جماع المراة
ومن الوطي بالاقدام ومنه ارضا لم تطوها والاهلاك ومنه لم

اوجس
وجد في نفسه واضمر
يواري اي ستر ومنه يواري
سواة اخيه وما ووري عنهما وتواروا
صح

تعلموهم

٢٧

لم تعلموهم ان تطوهم وقر بفتح الواو وهو الصمم والثقل في الاذن والوقر
بكسر الواو الحمل ومنه فالحاملات وقرا ودق هو المطر واصب اي دايم
وكيل كفيل بالامر وقيل كاف وزر بفتحتين اي ملجا وزير اي معين
واصله من الوزر بمعنى الثقل لان الوزير يحمل عن الملك اثقاله وسوس
الشيطان الى الانسان القى في نفسه والوسواس الشيطان اوحى
يوحي وحيا له ثلاث معان كلام الملك عن الله للانبيا ومنه قيل
للقران وحي وبمعنى الالهام ومنه اوحى ربك الى النحل وبمعنى الاشارة
ومنه فاوحى اليهم ان سبحوا اي اشار وعى العلم يعني حفظه ومنه
اذن واعية واوعى بالالف يوعي جمع المال في وعا ومنه جمع
فاوعى حرف اليا يمين له اربعة معان اليد اليمين وبمعنى القوة
وبمعنى الحلف وايمن اي الى الجهة اليمنى يسير له معنيان قليل
ومنه كيل يسير وهين ومنه ذلك على الله يسير واليسر ضد
العسر ييئس ييأس اي انقطع رجاوه ومنه لا تيأسوا من روح
الله وانه ليؤوس واما افلم ييأس الذين امنوا فمعناه الم يعلم يم
هو البحر ميسر هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك وهو
ماخوذ من يسر لي كذا اذا وجب واليسر بفتح اليا والسين الرجل
الذي يشتغل بالميسر وجمعه ايسار وميسر العرب انهم كانوا
لهم عشرة قداح وهي الازلام لكل واحد منها نصيب معلوم
من ناقة ينحرونها وبعضها لا نصيب له ويجزونها عشرة
اجزا ثم يدخلون الازلام في خريطة ويضعونها على يد عدل
ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا فمن خرج له قدح
له نصيب اخذ ذلك النصيب ومن خرج له قدح لا نصيب له
غرم ثمن الناقة كلها ينبوع اي عين من ما وجمعه ينابيع •

الكلام على الاستعاذة

فيه عشرة فوايد من فنون مختلفة الاولى لفظ التعوذ على خمسة

اوجه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروي عن النبي صلي الله
عليه وسلم والمختار عند القرا واعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم
واعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي واعوذ بالله المجيد من الشيطان
المريد وهي محدثة واعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
وهو مروي ايضا عن النبي صلي الله عليه وسلم **الثانيه**
يومر القاري بالاستعاذه قبل القراة سوا ابتدا اول سورة او جزء
سورة والامر علي الندب **الثالثه** يجهر بالاستعاذه عند
الجمهور وهو المختار وروي الاخفا عن حمزة ونافع **الرابعة**
لا يتعوذ في الصلاة عند مالك ويتعوذ في اول ركعة عند الشافعي
وابي حنيفة وفي كل ركعة عند قوم فحجة مالك عمل اهل المدينة
وحجة قول غيره قول الله تعالي فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم وذلك يعم الصلاة وغيرها **الخامسة**
انما جا اعوذ بالمضارع دون الماضي لان معني الاستعاذه لا يتعلق
الا بالمستقبل لانها كالدعا وانما جا بهمزة المتكلم وحده مشاكلة
للامر به في قوله فاستعذ **السادسة** الشيطان يحتمل ان يراد
به الجنس فتكون الاستعاذه من جميع الشياطين او العهد فتكون
الاستعاذه من ابليس وهو مشتق من شطن اذا بعد فالنون اصليه
واليا زايده ووزنه فيعال وقيل من شاط اذا هاج فالنون
زايده واليا اصليه ووزنه فعلان وان سميت به لم ينصرف
علي الثاني لزيادة الالف والنون وانصرف علي الاول **السابعه**
الرجيم فعيل بمعني مفعول ويحتمل معنيين ان يكون بمعني لعين
وطريد وهذا يناسب ابليس لقوله فانك رجيم وان يكون من
الرجم بالنجوم وهذا يناسب الجنس لقوله وجعلناها رجوما
للشياطين والاول اظهر **الثامنة** من استعاذ بالله
صادقا اعاذه فعليك بالصدق الا تري امراة عمران لما اعاذت

مريم

مريم وذريتها عصمها الله ففي الحديث الصحيح ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال ما من مولود الا يمسه الشيطان فيستهل
صارخا الا ابن مريم وامه **التاسعه** الشيطان عدو حذر
الله منه اذ لا مطمع في زوال علة عداوته وهو يجري من ابن ادم
مجري الدم فيامره اولا بالكفر ويشككه في الايمان فان قدر عليه
والا امره بالمعاصي فان اطاعه والا ثبطه عن الطاعة فان سلم
من ذلك افسدها عليه بالريا والعجب **العاشره** القواطع
عن الله اربعة الشيطان والنفس والدنيا والخلق فعلاج الشيطان
الاستعاذه منه والمخالفة له وعلاج النفس بالقهر وعلاج الدنيا
بالزهد وعلاج الخلق بالانقباض والعزله

الكلام علي البسمله

فيه عشر فوايد الاولي ليست البسملة عند مالك اية من الفاتحة
ولا من غيرها الا من النمل خاصة وهي عند الشافعي اية من الفاتحة
وعند ابن عباس اية من اول كل سورة فحجة مالك ما ورد في
الحديث الصحيح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال انزلت
علي سورة ليس في التوراة ولا في الانجيل ولا في القران مثلها
ثم قال الحمد لله رب العالمين فبدا بها دون البسملة وكذلك ما ورد
في الحديث الصحيح ان الله يقول قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين يقول العبد الحمد لله رب العالمين فبدا بها دون
البسملة وحجة الشافعي ما ورد في الحديث ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف **الثانيه**
اذا ابتدات اول سورة بسملت الا براة وسنذكر علة سقوطها
من براة في موضعه واذا ابتدات جزء سورة فانت مخير بين البسملة
وتركها عند ابي عمرو الداني وتترك البسملة عند غيره واذا اتممت

سورة وابتدات اخري فاختلف القرا في البسملة وتركها
الثالثه لا يبسمل في الصلاة عند مالك ويبسمل عند الشافعي
جهرا في الجهر وسرا في السر وعند ابي حنيفة سرا في الجهر
والسر فحجة مالك من وجهين احدهما انه ليست عنده اية من
الفاتحة حسبما ذكرنا والاخر الحديث الصحيح عن انس انه قال
صليت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون
بسم الله الرحمن الرحيم في اول الفاتحة ولا في اخرها وحجة
الشافعي من وجهين احدهما ان البسملة عنده اية من الفاتحة
والاخري ما ورد في الحديث حسبما ذكر فامن قراتما حسبما ذكرنا
الرابعه كانوا يكتبون باسمك اللهم حتي نزلت بسم الله
مجراها فكتبوا بسم الله حتي نزلت ادعوا الرحمن فكتبوا بسم
الله الرحمن حتي نزل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فكتبوها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال الخامسه
البا من بسم الله متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير
ابتدائي كاين بسم الله فموضعها رفع وعند الكوفيين تتعلق
بفعل تقديره ابدا او اتلو فموضعها نصب وينبغي ان يقدر
متاخر لوجهين احدهما افادة الحصر والاختصاص والاخري
تقديم اسم الله اعتنا كما قدم في بسم الله مجراها السادسه
الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفة
وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة ففاوه محذوفة
ودليل البصريين التصغير والتكسير لانهما يردان الكلمات
الي اصولها وقول الكوفيين اظهر في المعني لان الاسم علامة
علي المسمي السابعه قولك الله اسم مرتجل جامد والالف
واللام فيه لازمة لا للتعريف وقيل انه مشتق من التاله

ما ورد في

وهو

٤٩

وهو التعبد وقيل من الولهان وهي الحيرة لتحير العقول في شانه
وقيل اصله اله من غير الف ولام ثم حذفت الهمزه من اوله علي
غير قياس ثم ادخلت الالف واللام عليه وقيل اصله الاله بالالف
واللام ثم حذفت الهمزة ونقلت حركتها الي اللام كما نقلت
الي الارض وشبهه فاجتمع لامان فادغمت احداهما في الاخري
وفخم للتفظيم الا اذا كان قبله كسرة الثامنه الرحمن الرحيم
صفتان من الرحمة ومعناهما الاحسان فهي صفة فعل وقيل
ارادت الاحسان فهي صفة ذات التاسعة الرحمن الرحيم
علي ما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الرحمن
في الدنيا والرحيم في الاخره وقيل الرحمن عام في رحمة
المومنين والكافرين لقوله وكان بالمومنين رحيما فالرحمن
اعم وابلغ وقيل الرحيم ابلغ لوقوعه بعده علي طريقة
الارتقا الي الاعلي العاشره انما قدم الرحمن لوجهين هو
اختصاصه بالله وجريانه مجري الاسما التي ليست بصفات
انتهي والله اعلم

وقف هذا الكتاب المعالم العالي سيدنا السيد محمد ابو
الانوار بن وفا السادات بلغه الله المرادات وصيده ورفع قدره
على من ينتفع به في مسجد اسلافه العليه الكامل لمقاماتهم الزكيه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد واله وسلم

سورة ام القران

وتسمي سورة الحمد وفاتحة الكتاب والواقية والشافيه والسبع المثاني
وفيها عشرون فايده سوي ما تقدم في اللغات من تفسير الفاظها
واختلف هل هي مكيه او مدنيه ولا خلاف ان الفاتحة سبع ايات
الا ان الشافعي يعد البسملة اية منها والمالكي يسقطها ويعد انعمت
عليهم اية الفايدة الاولي قراة الفاتحة في الصلاة واجبة
عند مالك والشافعي خلافا لابي حنيفة وحجتهما قوله صلي الله
عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب وحجته قوله
صلي الله عليه وسلم للذي علمه الصلاة اقرا ما تيسر من
القران الفايدة الثانية اختلف هل اول الفاتحة علي اضمار
قول تعليما للعباد اي قولوا الحمد لله او هو ابتدا كلام الله ولا بد
من اضمار القول في اياك نعبد وما بعده الفايدة الثالثة
الحمد اعم من الشكر لان الشكر لا يكون الا جزاء علي نعمة والحمد
يكون جزا كالشكر ويكون ثنا ابتدا كما ان الشكر قد يكون اعم
من الحمد لان الحمد باللسان والشكر باللسان والقلب والجوارح
فاذا فهمت عموم الحمد علمت ان قولك الحمد لله يقتضي الثنا عليه
لما هو من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والافضال والعلم
والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات وتتضمن معاني
اسمايه الحسني التسعه والتسعين ويقتضي شكره والثنا عليه
بكل نعمة اعطي ورحمة اولي جميع خلقه في الاخرة والاولي فيالها
من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات وتقف دون عده عقول
الخلايق ويكفيك ان الله جعلها اول كتابه واخر دعوي اهل
الجنة الفايدة الرابعة الشكر باللسان هو الثنا علي المنعم
والتحدث بالنعم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم التحدث

بالنعم

بالنعم شكر والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه
والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة والعلم بانها من الله
وحده والعلم بانها تفضل لا باستحقاق العبد واعلم ان النعم
التي يجب الشكر عليها لا تحصي ولكنها تنحصر في ثلاثة اقسام
نعم دنياويه كالعافية والمال ونعم دينية كالعلم والتقوي ونعم
اخراويه وهي جزاوه بالثواب الكثير علي العمل القليل في العمر
القصير والناس في الشكر علي مقامين منهم من يشكر علي النعم
الواصلة اليه خاصة ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه
علي النعم الواصلة الي جميعهم والشكر علي ثلاث درجات
فدرجات العوام الشكر علي النعم ودرجة الخواص الشكر علي
النعم والنقم وعلي كل حال ودرجة خواص الخواص ان يغيب عن
النعمة بمشاهدة المنعم قال رجل لابراهيم بن ادهم الفقرا
اذا منعوا شكروا واذا اعطوا اثروا ومن فضيلة الشكر انه من
صفات الحق ومن صفات الخلق فان من اسماء الله الشاكر والشكور
وقد فسرتهما في اللغة الفايدة الخامسه قولنا الحمد لله رب
العالمين افضل عند المحققين من لا اله الا الله لوجهين احدهما
ما خرجه النساي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من
قال لا اله الا الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال الحمد لله
رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة والثاني ان التوحيد الذي
يقتضيه لا اله الا الله حاصل في قولك رب العالمين وزادت
بقولك الحمد لله وفيه من المعاني ما قدمنا واما قوله صلي الله
عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا
الله فانما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه وقد شاركتها الحمد
لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها وهذا المومن يقولها
لطلب الثواب واما لمن دخل في الاسلام فيتعين عليه لا اله الا

لله

الفايدة السادسة الرب وزنه فعل بكسر العين ثم ادغم
ومعانيه اربعة الاله والسيد والمالك والمصلح وكلها في رب
العالمين الا ان الارجح معنى الاله لاختصاصه بالله تعالى كما ان
الارجح في العالمين ان يراد به كل موجود سوى الله تعالى فيعم جميع
المخلوقات الفايدة السابعة ملك قراة الجماعة بغير الف من الملك
وقرا عاصم والكساي بالالف والتقدير على هذا مالك مجي يوم
الدين او مالك الامر يوم الدين وقراة الجماعة ارجح لثلاثة اوجه
الاول ان الملك اعظم من المالك اذ قد يوصف كل احد بالمالك
لماله واما الملك فهو سيد الناس والثاني قوله وله الملك
يوم ينفخ في الصور والثالث انها لا تقتضي حذفا والاخرى
تقتضيه لان تقديرها مالك الامر او مالك مجي يوم الدين والحذف
على خلاف الاصل واما قراة الجماعة فاضافة ملك الى يوم
الدين فهي على طريقة الاتساع واجري الظرف مجرى المفعول
به والمعنى على الظرفية اي الملك في يوم الدين ويجوز ان يكون
المعنى ملك الامور يوم الدين فيكون فيه حذف وقد رويت
القراتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قرى ملك بوجوه كثيرة تركناها لانها شاذة الفايدة
الثامنة الرحمن الرحيم ومالك صفات فان قيل كيف جر مالك
وملك صفة للمعرفة واضافة اسم الفاعل غير محضة فالجواب
انما تكون غير محضة اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال واما
هذا فهو مستمر دايما فاضافته محضة الفايده التاسعة
هو يوم القيامة ويصلح ان يكون هنا من معاني الدين والحساب
والجزا والقهر ومنه انا لمدينون الفايدة العاشرة اياك في
الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده وانما قدم ليفيد الحصر
فان تقديم المعمولات يقتضي الحصر فاقتضى قول العبد اياك

نعبد

نعبد انه يعبد الله وحده لا شريك له واقتضى قوله واياك
نستعين اعترافا بالعجز والفقر وانه لا يستعين الا بالله وحده
الفايده الحادية عشر اياك نستعين اي نطلب العون منك
على العبادة وعلى جميع امورنا في هذا دليل على بطلان قول
القدرية والجبرية وان الحق بين ذلك الفايده الثانية عشر
اهدنا دعا بالهدى فان قيل كيف يطلب المومنون الهدى وهو
حاصل لهم فالجواب ان ذلك طلب للثبات عليه الى الموت
او الزيادة منه فان الارتقا في المقامات لا نهاية الفايدة
الثالثة عشر قدم الحمد والثنا على الدعا لان تلك هي السنة
في الدعا وشان الطلب ان ياتي بعد المدح وذلك اقرب للاجابة
وكذلك قدم الرحمن الرحيم على مالك يوم الدين لان رحمة الله
سبقت غضبه وكذلك قدم اياك نعبد على اياك نستعين لانه
تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة الفايده الرابعة عشر ذكر
الله تعالى في اول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في
اياك نعبد وما بعده وذلك يسمى الالتفات وفيه اشارة الى
ان العبد اذا ذكر الله تقرب منه فصار من اهل الحضور فناداه
الفايدة الخامسة عشر الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي
يمشي ثم استعير للطريق التي يكون الانسان عليها من الخير والشر
ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه فالصراط المستقيم الاسلام
وقيل القران والمعنيان متقاربان لان القران تضمن شرايع الاسلام
وكلاهما مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرى الصراط
بالصاد وبالسين وبين الصاد والزاي وقد قيل انه قري
بزاي خالصة والاصل فيه السين وانما ابدلو منها صادا لموافقة
الطاء في الاستعلا والاطباق واما الزاي فلموافقة الطا في الجهر
الفايده السادسة عشر الذين انعمت عليهم قال ابن عباس

هم النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وقيل المومنون وقيل
الصحابة وقيل قوم موسي وعيسي قبل ان يغيروا والاول ارجح
لعمومه ولقوله مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين **الفايدة** السابعة عشر اعراب غير المغضوب
بدل ويبعد النعت لان اضافته غير مخصوصه وسوقد جري عن
معرفة وقري بالنصب علي الاستثنا او الحال **الفايدة**
الثامنة عشر اسند انعمت عليهم الي الله والغضب لما لم يسم
فاعله علي وجه التادب كقوله واذا مرضت فهو يشفيني وعليهم
الاول في موضع نصب والثاني في موضع رفع **الفايدة**
التاسعة عشر المغضوب عليهم اليهود والضالين النصاري
قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وقد روي ذلك عن النبي
صلي الله عليه وسلم وقيل ذلك عام في كل مغضوب وكل ضال
والاول ارجح لاربعة اوجه روايته عن النبي صلي الله عليه
وسلم وجلالة قايله وذكرا ولا في قوله ولا الضالين دليل
علي تغاير الطايفتين وان الغضب صفة اليهود في مواضع من
القران كقوله فبا وا بغضب والضلال صفة النصاري لاختلاف
اقوالهم الفاسدة في عيسي ابن مريم عليه السلام ولقول
الله فيهم قد ضلوا من قبل وضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل
الفايده الموفيه عشرين هذه السورة جمعت معاني القران
العظيم كله فكانها نسخة مختصرة منه فتاملها بعد تحصيل
الباب الثالث من المقدمة الاولي تعلم ذلك في الالوهية
حاصلة في قوله الحمد لله رب العالمين والرحمن الرحيم والدار
الاخرة في قوله مالك يوم الدين والعبادات كلها من الاعتقادات
والاحكام التي تقتضيها الاوامر والنواهي في قوله اياك نعبد
والشريعة كلها في قوله الصراط المستقيم والانبيا وغيرهم

في

قوله الذين انعمت عليهم وذكر طوايف الكفار في قوله غير المغضوب
ولا الضالين **خاتمة** امر بالتامين عند ختم الفاتحة للدعا الذي
فيها وقولك امين اسم فعل معناه اللهم استجب وقيل هو من اسما
الله ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها ولا يجوز تشديد الميم
ويومن في الصلاة الماموم والفذ والامام اذا اسر واختلف
اذا جهر

سورة البقرة

الم اختلف فيه وفي ساير حروف الهجا في اوايل حروف
السور وهي المص والر والمر وكهيعص وطه وطسم
وطه وطسم وطس ويس وص وق وحم عسق ون فقال قوم لا تفسر
لانها من المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله قال ابو بكر الصديق لله في
كل كتاب سر وسره في القران فواتح السور وقال قوم تفسر ثم اختلفوا
فيها فقيل هي اسما السور وقيل اسما الله وقيل اشيا اقسم الله بها وقيل
هي حروف مقطعة من كلمات فالالف من الله واللام من جبريل والميم
من محمد صلي الله عليه وسلم ومثل ذلك في سايرها وورد في الحديث
ان بني اسرايل فهموا انها تدل بحروف ابجد علي السنين التي تبقي
هذه الامة وسمع النبي صلي الله عليه وسلم منهم ذلك فلم ينكره
وقد جمع ابو القاسم السهيلي عددها علي ذلك بعد ان اسقط المكرر
فبلغت تسعماية وثلاثة واعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف
في معناها فيتصور ان تكون في موضع رفع او نصب او خفض فالرفع
علي انها مبتدا او خبر ابتدا مضمر والنصب علي انها مفعول بفعل
مضمر والخفض علي قول من جعلها مقسما بها كقولك الله لافعلن
ذلك الكتاب هو هنا القران وقيل التوراة والانجيل وقيل اللوح
المحفوظ والاول هو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد
له مواضع من القران المقصود فيها اثبات ان القران من عند
الله كقوله تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين يعني

القران باتفاق وخبر ذلك لا ريب فيه وقيل خبره الكتاب فعلي
هذا ذلك الكتاب جملة مستقلة فيوقف عليه لا ريب فيه
اي لا شك انه من عند الله في نفس الامر في اعتقاد اهل الحق
ولم يعتبر اهل الباطل وخبر لا ريب فيه فيوقف عليه وقيل خبرها
محذوف فيوقف لا ريب والاول ارجح لتعينه في قوله لا ريب فيه
في مواضع اخر فان قيل فهلا قدم قوله فيه علي الريب كقوله
لا فيها غول فالجواب انه انما قصد نفي الريب عنه ولو قدم فيه
لكان اشارة الي ان ثم كتاب اخر فيه ريب كما ان لا فيها غول اشارة
الي ان خمر الدنيا فيها غول وهذا المعني يبعد قصده فلم يقدم
الخبر هدي هنا بمعني الارشاد لتخصيصه بالمتقين ولو كان
بمعني البيان لعم كقوله هدي للناس واعرابه خبر ابتدا او مبتدا
وخبره فيه عند من يقف علي لا ريب او منصوب علي الحال والعامل
فيه الاشاره للمتقين مفتعلين من التقوي وقد تقدم معناه
في الكتاب فنتكلم علي التقوي في ثلاثة فصول الاول في فضايلها لعله من العا
المستنبطه من القران وهي خمس عشرة الهدي لقوله هدي
للمتقين والنصرة لقوله ان الله مع الذين اتقوا والولاية لقوله
والله ولي المتقين والمحبه لقوله ان الله يحب المتقين والمغفره
لقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والمخرج من الغم والرزق
من حيث لا يحتسب لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية
وتيسير الامور لقوله ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
وغفران الذنوب واعظام الاجور لقوله ومن يتق الله يكفر
عنه سياته ويعظم له اجرا وتقبل الاعمال لقوله انما يتقبل
الله من المتقين والفلاح لقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون
والبشري لقوله لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الاخرة ودخول
الجنة لقوله ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم والنجاة من

النار

النار لقوله ثم ننجي الذين اتقوا الفصل الثاني البواعث علي
التقوي عشرة خوف العقاب الاخروي والدنيوي ورجا الثواب وخوف
الدنيوي ورجا الثواب الاخروي وخوف الحساب والحيا من نظر الله
وهو مقام المراقبة والشكر علي نعمه بطاعته والعلم لقوله انما يخشي
الله من عباده العلما وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة وصدق المحبة
لقول القايل
تعصي الاله وانت تظهر حبه ● هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ● ان المحب لمن يحب مطيع
ولله در القايل
قالت وقد سالت عن حال عاشقها ● بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظماه ● وقلت قف عن ورود الما لم يرد
الفصل الثالث درجات التقوي خمس ان يتقي العبد الكفر وذلك
مقام الاسلام وان يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة وان
يتقي الشبهات وهو مقام الورع وان يتقي المباحات وهو مقام الزهد
وان يتقي حضور غير الله علي قلبه وهو مقام المشاهده الذين
يومنون بالغيب فيه قولان يومنون بالامور المغيبات كالاخرة
وغيرها فالغيب علي هذا بمعني الغايب اما تسمية بالمصدر
كعذاب واما تخفيفا من فيعل كميت والاخر يومنون في حال غيبتهم
اي باطنا وظاهرا وبالغيب علي القول الاول يتعلق بيومنون
وعلي الثاني في موضع الحال ويجوز في الذين ان يكون خفضا علي
النعت او نصبا علي اضمار فعل او رفعا علي انه خبر مبتدا ويقيمون
الصلاة اقامتها عملها من قولك قامت السوق وشبه ذلك والكمال
المحافظة عليها في اوقاتها بالاخلاص لله في فعلها وتوفية شروطها
واركانها وسننها وفضايلها وحضور القلب والخشوع فيها
وملازمة الجماعة في الفرايض والاكثار من النوافل ومما رزقناهم

ينفقون فيه ثلاثة اقوال الزكاة لاقترانها مع الصلاة والثاني انه
التطوع والثالث العموم وهو ارجح لانه لا دليل علي التخصيص والذين
يومنون اختلف هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات
اوهم غيرهم وهم من اسلم من اهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة
او مبتدا وخبره الجملة بعد بما انزل اليك القران وما انزل من قبلك
التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل ان الذين كفروا
الاية فيمن سبق القدر انه لا يومن كابي جهل فان كان الذين للجنس
فلفظها عام يراد به الخصوص وان كان للعهد فهو اشارة الي قوم
باعيانهم وقد اختلف فيهم فقيل المراد من قتل ببدر من كفار قريش
وقيل المراد حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديان سوا
خبران وانذرتهم فاعل به لانه في تقدير المصدر وسوا مبتدا و
انذرتهم خبره او للعكس وهو احسن ولا يومنون علي هذه
الوجوه استينا فا للبيان او للتاكيد او خبر بعد خبر او تكون الجملة
اعتراضا ولا يومنون الخبر والهمزة في انذرتهم لمعني التسوية قد
انسلخت من معني الاستفهام ختم الاية تعليل لعدم ايمانهم وهو
عبارة عن اضلالهم فهو مجاز وقيل حقيقة وان القلب كالكف
ينقبض مع زيادة الضلال اصبعا اصبعا حتي يختم عليه والاول
ابرع وعلي سمعهم معطوف علي قلوبهم فيوقف عليه وقيل الوقف
علي قلوبهم والسمع راجع الي ما بعده والاول ارجح لقوله وختم
علي سمعه وقلبه غشاوة مجاز باتفاق وفيه دليل علي وقوع
المجاز في القران خلافا لمن منعه ووحد السمع لانه مصدر في
الاصل والمصادر لا تجمع ومن الناس اصل الناس اناس لانه
مشتق من الانس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف
تخفيفا من يقول ان كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة
وان جعلتها للعهد فمن موصولة وافرد الضمير في يقول رعيا

للفظ من وما هم بمومنين هم المنافقين وكانوا جماعة من الاوس
والخزرج وراسهم عبد الله بن ابي بن سلول يظهرون الاسلام ويسرون
الكفر ويسمي الان من كذلك زنديقا وهم في الاخرة مخلدون في النار
واما في الدنيا ان لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم
واموالهم وان شهد علي معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب مالك
القتل دون الاستتابة ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل
فان قيل كيف جا قولهم امنا جملة فعلية وما هم بمومنين جملة اسمية
فهلا طابقتها فالجواب ان قوله وما هم بمومنين ابلغ واوكد في نفي
الايمان عنهم من لو قال وما امنوا فان قيل لم جا قولهم امنا مقيدا
بالله واليوم الاخر وما هم بمومنين مطلقا فالجواب انه يحتمل وجهين
التقييد وتركه لدلالة الاول عليه والاطلاق وهو اعم في سلبهم
من الايمان يخادعون اي يفعلون فعل المخادع وهو من الخدع باظهار
خلاف ما يسرون وقيل معناه يخدعون رسول الله صلي الله عليه
وسلم والاول اظهر وما يخادعون الا انفسهم اي وبال فعلهم راجع
عليهم وقري وما يخدعون بفتح اليا من غير الف من خدع وهو ابلغ في
المعني لانه يقال خادع اذا رام الخداع وخدع اذا تم له وما يشعرون
حذف معموله اي لا يشعرون انهم يخدعون انفسهم في قلوبهم مرض
يحتمل ان يكون حقيقة وهو الالم الذي يجدونه من الخوف وغيره وان
يكون مجازا بمعني الشك او الحسد فزادهم يحتمل الدعا والخبر يكذبون
بالتشديد اي يكذبون الرسول صلي الله عليه وسلم وقري بالتخفيف
اي يكذبون في قولهم امنا لا تفسدوا اي بالكفر والنميمة وايقاع الشر
وغير ذلك انما نحن مصلحون يحتمل ان يكون جحودا لكفر لقولهم امنا
او اعتقادا انهم علي اصلاح كما امن الناس اصحاب النبي صلي الله
عليه وسلم والكاف يحتمل ان تكون للتشبيه او للتعليل وما يحتمل
ان تكون كافة كما هي في ربما وان تكون مصدرية انومن انكار

منهم ونقبيح هم السفهاء رد عليهم وانا طة السفه بهم وكذلك هم
المفسدون وجاء بالالف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم
واكده بان وبالا التي تقتضي الاستيناف وتنبيه المخاطب قالوا امنا
كذبوا وخوفا من المومنين خلوا الي شياطينهم هم رؤسا الكفر وقيل
شياطين الجن وهو بعيد وتعدي خلا بالي ضمن معني مشوا وذهبوا
اوركنوا وقيل الي بمعني مع او بمعني البا وجاء قولهم انا معكم انما نحن
مستهزون بجملة اسمية مبالغة وتاكيد بخلاف قولهم امنا فانه
جا بالفعل لضعف ايمانهم الله يستهزء بهم فيه ثلاثة اقوال تسمية
العقوبة باسم الذنب كقوله ومكروا ومكر الله وقيل يملي لهم
بدليل قوله ويمدهم وقيل يفعل بهم في الاخرة ما يظهر لهم
انه استهزاء بهم كما جا في سورة الحديد ارجعوا وراكم فالتمسوا
نورا الاية ويمدهم يزيدهم وقيل يملي لهم وقد ذكر يعمهون
اشتروا الضلالة عبارة عن تركهم الهدي مع تمكنهم منه ووقوعهم
في الضلالة فهو مجاز بديع فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما ذكر
الشرا ذكر ما يتبعه من الربح والخسران واسناد عدم الربح الي التجارة
مجاز ايضا لان الرابح او الخاسر هو التاجر وما كانوا مهتدين
في هذا الشرا وعلي الاطلاق وقال الزمخشري نفي الربح في قوله
فما ربحت ونفي سلامة راس المال في قوله وما كانوا مهتدين
مثلهم كمثل ان كان المثل هنا بمعني حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه
وان كان المثل بمعني التشبيه فالكاف زايدة استوقد اي اوقد وقيل
طلب الوقود علي الاصل في استفعل فلما اضات ان تعدي فما
حوله مفعول به وان لم يتعد فما زايدة او ظرفية ذهب الله
بنورهم اي اذهبه وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت
النار وذهب الله بنورهم جملة مستانفة والضمير عايد علي المنافقين
فعلي هذا يكون الذي علي بابه من الافراد والارجح انه اعيد ضمير

الجماعة

الجماعة لانه لم يقصد بالذي واحد بعينه انما المقصود التشبيه بمن
استوقد نارا سوا كان واحدا او جماعة ثم اعيد الضمير بالجمع ليطابق
المشبه لانهم جماعة فان قيل ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار
التي اضات ثم اظلمت فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان منفعتهم
في الدنيا بدعوي الايمان شبيه بالنور وعذابهم في الاخرة شبيه
بالظلمة بعده والثاني ان اختفا كفرهم كالنور وفضيحتهم كالظلمة
والثالث ان ذلك فيمن امن منهم ثم كفر فايمانه نور وكفره بعده
ظلمة ويرجح هذا قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فان قيل
لم قال ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب الله بضوئهم مشاكلة
لقوله فلما اضات فالجواب ان اذهاب النور ابلغ لانه اذهاب
للقليل والكثير بخلاف الضوء فانما يطلق علي الكثير صم بكم عمي
يحتمل ان يراد به المنافقين والمستوقدون المشبه بهم وهذه
الاوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وابصارهم وكلامهم
وليس المراد فقد الحواس فهم لا يرجعون ان اريد به المنافقون
فمعناه لا يرجعون الي الهدي وان اريد به اصحاب النار فمعناه انهم
متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون الي الطريق او كصيب
عطف علي الذي استوقد والتقدير او كصاحب صيب او للتنويع
لان هذا مثل اخر ضربه الله للمنافقين والصيب المطر واصله
صيوب ووزنه فيعل وهو مشتق من قولك صاب يصوب وفي
قوله من السما اشارة الي قوته وشدة انصبابه قال ابن مسعود
ان رجلين من المنافقين هربا الي المشركين فاصابهما هذا المطر وايقنا
بالهلاك فعزما علي الايمان ورجعا الي النبي صلي الله عليه وسلم
وحسن اسلامهما فضرب الله ما نزل فيهما مثلا للمنافقين وقيل
المعني تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم علي انفسهم
بمن اصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فضل عن الطريق

وخاف الهلاك علي نفسه وهذا التشبيه علي الجملة وقيل ان التشبيه
علي التفصيل فالمطر مثل للقران او الاسلام والظلمات مثل لما
فيه من الاشكال علي المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد
والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة فان
قيل لم قال رعد وبرق بالافراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات فالجواب
ان الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ويحتمل ان يكونا
اسمين وجمعهما لانهما في الاصل مصدران **يجعلون اصابعهم في**
اذانهم من الصواعق اي من اجل الصواعق قال ابن مسعود كانوا
يجعلون اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا القران في مجلس النبي
صلي الله عليه وسلم فهو علي هذا حقيقة في المنافقين والصوا عق
علي هذا ما يكرهون من القران والموت هو ما يتخوفونه فهما
مجازان وقيل لانه راجع لاصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة
فيهم والصواعق علي هذا حقيقة وهي التي تكون مع المطر من
شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت ايضا حقيقة وقيل
انه راجع للمنافقين علي وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل
اصابعه في اذانه من شدة الخوف من المطر والرعد فان قيل
لم قال اصابعهم ولم يقل انا ملهم والانامل هي التي تجعل في الاذان
فالجواب ان ذكر الاصابع ابلغ لانها اعظم من الانامل ولذلك
جمعها مع ان الذي يجعل في الاذان السبابة خاصة **والله محيط**
بالكافرين اي لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر علي عقابهم
يخطف ابصارهم ان رجع الي اصحاب المطر وهم الذين شبه بهم
المنافقين فهو بين في المعني وان رجع الي المنافقين فهو تشبيه
لما اصابه البرق علي وجهين احدهما تكاد براهين القران
تلوح لهم كما يضي البرق وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق
حسبما تقدم والاخر يكاد زجر القران ووعيده ياخذهم كما يكاد

البرق

البرق يخطف ابصار اصحاب المطر المشبه بهم **كلما اضاء لهم مشوا فيه**
ان رجع الي اصحاب المطر فالمعني انهم يمشون بضوء البرق اذا لاح لهم وان رجع
الي المنافقين فالمعني انه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الايمان
واذا اظلم عليهم قاموا ان رجع الي اصحاب المطر فالمعني انهم اذا زال
عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق وان رجع الي المنافقين
فالمعني انهم اذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الايمان ثبتوا علي كفرهم
وقيل ان المعني كلما صلحت احوالهم في الدنيا قالوا هذا دين
مبارك فهذا مثل الضوء واذا اصابتهم شدة او مصيبة عابوا
الدين وسخطوا فهذا مثل الظلمة فان قيل لم قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا فالجواب انهم لما كانوا حراصا علي المشي
ذكر معه كلما لانها تقتضي التكرار والكثرة **ولو شاء الله** الاية
ان رجع الي اصحاب المطر فالمعني لو شا الله لاذهب سمعهم بالرعد
وابصارهم بالبرق وان رجع الي المنافقين فالمعني لو شا الله
لاوقع بهم العذاب والفضيحة وجات العبارة عن ذلك باذهاب
سمعهم وابصارهم والبا للتعديه كما هي في قوله ذهب الله بنورهم
يا ايها الناس الاية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث
طوايف المومنين والكافرين والمنافقين اتبع ذلك بدعوة الخلق
الي عبادة الله وجات الدعوة عامة لجميع الناس لان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث الي جميع الناس **اعبدوا ربكم** يدخل
فيه الايمان به سبحانه وتوحيده وطاعته فالامر بالايمان
به لمن كان جاحدا والامر بالتوحيد لمن كان مشركا والامر بالطاعة
لمن كان مومنا **لعلكم** يتعلق بخلقكم اي خلقكم لتتقوه كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون او بفعل مقدر من معنى
الكلام اي دعوتكم الي عبادة الله لعلكم تتقون وهذا احسن
وقيل يتعلق بقوله اعبدوا وهذا ضعيف واذا كانت لعل

للترجي فقا وميله انه في حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب
وان كانت للمقاربة او التعليل فلا اشكال والاظهر فيهما انهما للمقاربة
الامر نحو عسى فاذا قالها الله فمعناها اطماع العباد وهكذا القول
فيهما حيث ماوردت في كلام الله تعالى **الارض فراشا** تمثيل لما كانوا
يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بنا
من الثمرات من للتبعيض او لبيان الجنس لان الثمرات هو الماكول من
الفواكه وغيرها والبا في به سببيه او كقولك كتبت بالقلم لان
الماسبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى **فلا تجعلوا** لا ناهيه
او نافيه وانتصب الفعل باضمار ان بعد الفا في جواب اعبدوا
والاول اظهر **اندادا** يراد به هنا الشركا المعبودون مع الله
جل وعلا **وانتم تعلمون** حذف مفعوله مبالغة وبلاغة اي
وانتم تعلمون وحدانيته بما ذكرتكم من البراهين ويحتمل ان
يتعلق بقوله اعبدوا وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم
بالحق ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين
ويحتمل ان يتعلق بقوله اعبدوا والاول اظهر فوايد ثلاث
الاولى هذه الاية تضمنت معنى الخلق الى عبادة الله بطريقين
احدها اقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والارض
والمطر والثمرات والاخرى ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم
من الحقوق ومن الانعام فذكر اولا ربوبيته لهم ثم ذكر خلقته
لهم ولابائهم لان الخالق يستحق ان يعبد ثم ذكر ما انعم الله به
عليهم من جعل الارض فراشا والسما بنا ومن انزال المطر
واخراج الثمرات لان المنعم يستحق ان يعبد ويشكر وانظر قوله
جعل لكم ورزقالكم يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم فما
اجملها من ملاطفة وخطاب بديع الثانية المقصود الاعظم
من هذه الاية الامر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه

لقوله

لقوله في اخرها فلا تجعلوا لله اندادا وذلك هو الذي يترجم عنه
بقولنا لا اله الا الله فيقتضي ذلك الامر بالدخول في دين الاسلام
الذي قاعدته التوحيد وقول لا اله الا الله تكون في القران ذكر المخلوقات
والتنبيه على الاعتبار في الارض والسموات والحيوان والنبات والرياح
والامطار والشمس والقمر والليل والنهار وذلك انما تدل بالعقل
على عشرة امور وهي ان الله موجود لان الصنعة دليل على
الصانع لا محالة وانه واحد لا شريك له لانه لا خالق الا هو
افمن يخلق كمن لا يخلق وانه حي قدير عالم مريد لان هذه الصفات
الاربع من شروط الصانع اذ لا تصدر صنعة عمن عدم صفة
منها وانه قديم لانه صانع للمحدثات فيستحيل ان يكون مثلها
في الحدوث وانه باق لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وانه
حكيم لان اثار حكمته ظاهرة في اتقانه للمخلوقات وتدبيره
للملكوت وانه رحيم لان في كل ما خلق منافع لبني ادم سخر لهم
ما في السموات وما في الارض واكثر ما ياتي ذكر المخلوقات في
القران في معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته
فان قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين
دون الذين من قبلهم مع انه امر الجميع بالتقوى فالجواب
انه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغايبين
في اللفظ والمراد الجميع فان قيل هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة
لقوله اعبدوا فالجواب ان التقوى غاية العباده وكمالها فكان
قوله لعلكم تتقون ابلغ واوقع في النفوس **وان كنتم في ريب**
الاية اثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باقامة الدليل
على ان القران جاء به من عند الله فلما قدم اثبات الالوهية
اعقبها باثبات النبوة فان قيل كيف قال ان كنتم في ريب ومعلوم
انهم كانوا في ريب وفي تكذيب فالجواب انه ذكر حرف ان اشارة

الي ان الريب بعيد عند العقلا في مثل هذا الامر الساطع البرهان
ذلك لك ومنع حرف التوقع والاحتمال في الامر الواقع لبعيد وقوع الريب
وقيمه عند العقلا كما قال تعالي لاريب فيه **علي عبدنا** هو النبي
صلي الله عليه وسلم والعبودية علي وجهين عامة وهي التي
بمعني الملك وخاصة وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص
وهي من اوصاف اشراف العباد ولله در القايل ٭ ٭ ٭
لاتدعني الا بيا عبدها ٭ فانه اشرف اسمايي ٭ ٭ ٭
فاتوا بسورة امر يراد به التعجيز **من مثله** الضمير عايد علي ما انزلنا
وهو القران ومن لبيان الجنس وقيل يعود علي النبي صلي
الله عليه وسلم ومن علي هذا الابتدا الغاية من بشر مثله
والاول ارجح لتعيينه في يونس وهود ومعني مثله في فصاحته
وفيما تتضمنه من العلوم والحكم العجيبه والبراهين الواضحة
شهداكم المتكلم اواعوانكم اومن يشهد لكم **من دون الله** اي غير الله
وقيل هو من الذي الحضير فهو مقلوب اللفظ **ولن تفعلوا** اعتراض
بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة وهو اخبار ظهر مصداقه
في الوجود اذ لم يقدر احد ان ياتي بمثل القران مع فصاحة
العرب في زمان نزوله وتصدّيهم في الكلام وحرصهم علي التكذيب
وفي الاخبار بذلك معجزة اخري وقد اختلف في عجز الخلق عنه
علي قولين احدهما انه ليس في قدرتهم الاتيان بمثله وهو الصحيح
والثاني انه كان في قدرتهم وصرفوا عنه والاعجاز حاصل علي
الوجهين وقد بينا ساير وجوه اعجازه في المقدمة **فاتقوا
النار** اي فامنوا لتنجوا من النار وعبر بالاتقا عن ملازمه
لان ذكر النار ابلغ في التفخيم والتهويل والتخويف **وقودها**
حطبها **الحجارة** قال ابن مسعود هي حجارة الكبريت لسرعة
اتقادها وشدة حرها وقبح رايحتها وقيل الحجارة المعبودة

وقيل

وقيل الحجارة علي الاطلاق **اعدت** دليل علي انها قد خلقت وهو
مذهب الجماعة واهل السنة خلافا لمن قال انها تخلق يوم القيامة
وكذلك الجنة **وبشر** يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلي الله عليه
وسلم او خطابا لكل احد ورجح الزمخشري هذا لانه افخم **الذين
امنوا وعملوا الصالحات** دليل علي ان الايمان خلاف العمل لعطفه
عليه خلافا لمن قال الايمان اعتقاد وقول وعمل وفيه دليل
علي ان السعادة بالايمان مع الاعمال خلافا للمرجية **تجري
من تحتها الانهار** اي تحت اشجارها وتحت مبانيها وهي انهار
الما واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره حيث وقع وروي ان
انهار الجنة تجري في غير اخدود **منها من ثمرة رزقا** من الاولي
للغاية او للتبعيض او لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس
من قبل اي في الدنيا بدليل قولهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
في الدنيا فان ثمر الجنة اجناس ثمر الدنيا وان كانت خيرا منها في
المطعم والمنظر **واتوا به متشابها** اي يشبه ثمر الدنيا في جنسه
وقيل يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في المطعم والضمير
المجرور يعود علي المرزوق الذي يدل عليه المعني **مطهرة**
من الحيض واقذار النسا وساير الاقذار التي تختص بالنسا كالبول
وغيره ويحتمل ان يريد طهارة الطيب وطيب الاخلاق **لايستحيي**
تاول قوم ان معناه لايترك لانهم زعموا ان الحيا مستحيل علي الله
لانه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في امر وليس كذلك وانما
هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ويرد عليهم قوله
صلي الله عليه وسلم ان الله حي كريم يستحي من العبد اذا رفع
اليه يديه ان يردهما صفرا **ان يضرب** سبب الاية انه لما ذكر
في القران الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك وقيل
لما ضرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت

الاية ردا عليهم مثلا ما بعوضة اعراب بعوضة مفعول بيضرب
ومثلا حال اومثلا مفعول وبعوضة بدل منه او عطف بيان او
هما مفعولان بيضرب لانها على هذا المعنى تتعدى الى مفعولين
كجعل وما صفة للنكرة او زايدة فما فوقها في الكبر وقيل في
الصغر والاول اظهر يعلمون انه الحق لانه لا يستحيل على الله ان
يذكرها شيا ولان ذكر تلك الاشيا فيه حكمة وضرب امثال وبيان
للناس ولان الصادق جا بها من عند الله ماذا اراد الله لفظه
الاستفهام ومعناه الاستبعاد والاستهزا والتكذيب وفي اعراب
ماذا وجهان ان تكون ما مبتدا وذا خبره وهي موصولة
وان تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول باراد
ومثلا منصوب على الحال او التمييز يضل به من كلام الله جوابا
للذين قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا وهو ايضا تفسير لما اراد
الله بضرب المثل من الهدى والضلال عهد الله مطلق في
العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد ويحتمل ان يشار
بنقض عهد الله الى اليهود لانهم نقضوا العهد الذي اخذ الله عليهم
في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويشار بقطع ما امر الله
به ان يوصل الى قريش لانهم قطعوا الارحام التي بينهم وبين
المومنين ويشار بالفساد في الارض الى المنافقين لان الافساد
من افعالهم حسبما تقدم في وصفهم ميثاقه الضمير للعهد او لله
تعالى كيف تكفرون موضعها الاستفهام ومعناها هنا الانكار
والتوبيخ وكنتم امواتا اي معدومين اي في اصلاب الابا او نطفا في
الارحام فاحياكم اي اخرجكم الى الدنيا ثم يميتكم الموت المعروف
ثم يحييكم بالبعث ثم اليه ترجعون للجزا وقيل الحياة الاولى
حين اخرجهم من صلب ادم لاخذ العهد وقيل في الحياة الثانية
انها في القبور والراجح القول الاول لتعينه في قوله وهو

الذي

الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فوايد ثلاث الاولى هذه الاية
في معرض الرد على الكفار واقامة البرهان على بطلان قولهم فان
قيل انما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به فكيف يحتج عليهم بالبعث
وهم منكرون له فالجواب انهم الزموا من ثبوت ما اعترفوا به من
الحياة والموت ثبوت البعث لان القدرة صالحة لذلك كله الثانية
قوله وكنتم امواتا في موضع الحال فان قيل كيف جا دون قد وهي
لازمة مع الفعل الماضي اذا كان في موضع الحال فالجواب انه
قد جا بعد الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كانه يقول وحالكم
هذه فلذلك لم تلزم قد الثالثة عطف فاحياكم بالفا لان الحياة
اثر العدم ولا تراخي بينهما وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم بثم للتراخي الذي
بينهما خلق لكم ما في الارض دليل على اباحة الانتفاع بما في الارض
ثم استوى اي قصد لها والسما هنا جنس ولاجل ذلك اعاد عليها
بعض ضمير الجماعة فسواهن اي اتقن خلقتهن كقوله فسواك فعدلك
وقيل جعلهن سوا فايدة هذه الاية تقتضي انه خلق السماء
بعد الارض وقوله والارض بعد ذلك دحاها ظاهره خلاف ذلك
والجواب من وجهين احدهما ان الارض خلقت قبل السما ودحيت
بعد ذلك فلا تعارض والاخر تكون ثم لترتيب الاخبار للملايكة
جمع ملك واختلف في وزنه فقيل فعل فالميم اصلية ووزن
ملايكة على هذا فعايلة وقيل هي من الالوكة وهي الرسالة
فوزنه مفعل ووزنه مالك ثم حذفت الهمزة ووزن ملايكة
على هذا مفاعلة ثم قلبت واخرت الهمزة فصار مفاعله
وذلك بعيد خليفة هو ادم عليه السلام لان الله استخلفه
في الارض وقيل ذريته لان بعضهم يخلف بعضا والاول ارجح
ولو اراد الثاني لقال خلفا اتجعل فيها الاية سوال محض لانهم
استبعدوا ان يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض لان

الملايكة منزهون عنه وانما علموا ان بني ادم يفسدون باعلام
الله اياهم بذلك وقيل كان في الارض جن فافسدوا فبعث
الله اليهم ملايكة فقتلتهم فقاس الملايكة بني ادم عليهم ونحن نسبح
اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار بحمدك اي حامدين لك والتقدير
نسبح متلبسين بحمدك فهو في موضع الحال ونقدس لك يحتمل ان تكون
الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيد او ان يكون المفعول
محذوفا اي نقدسك على معنى ننزهك او نعظمك وتكون اللام في
لك للتعليل اي لاجلك او يكون التقدير نقدس انفسنا اي نطهرها
لك ما لا تعلمون اي ما يكون في بني ادم من الانبيا والاوليا
وغير ذلك من المصالح والحكمة الاسما كلها اي اسما بني ادم واسما
اجناس الاشيا كالتسمية القد امر على وجه التعجيز ان كنتم صادقين
اي في قولكم ان الخليفة يفسد في الارض ويسفك الدما وقيل ان كنتم
صادقين في جواب السوال والمعرفة بالاسما لا علم لنا اعتراف
انبيهم باسمايهم اي انبي الملايكة باسماء ذريتك او باسما اجناس
الاشيا اسجدوا لادم السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله وادم
كالقبلة فسجدوا روي ان اول من سجد اسرافيل ولذلك جازاه الله
بولاية اللوح المحفوظ الا ابليس استثنا متصل عند من قال انه
كان ملكا ومنقطع عند من قال كان من الجن استكبر لقوله انا خير
منه وكان من الكافرين قيل كفر باباته من السجود وذلك بنا
على ان المعصية كفر والاظهر انه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه
له في امره بالسجود لادم وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية
وزوجك هي حوا خلقها الله من ضلع ادم ويقال زوجة وزوج وهذا
افصح الجنة هي جنة الخلد عند الجماعة وعند اهل السنة خلافا
لمن قال هي غيرها لا تقربا النهي عن القرب يقتضي النهي عن الاكل
بطريق الاولى وانما نهي عن القرب سد الذريعة فهذا اصل في

سد

والشجر وغير ذلك ثم
عرضهم اي عرض المسميات
وفي اسما من بني ادم او اجنا
الاشيا مع انبيوني

سد الذرايع الشجرة قيل هي شجرة العنب وقيل شجرة التين وقيل الحنطة
وذلك مفتقر الي نقل صحيح واللفظ مبهم فتكونا عطف على تقربا او نصب
باضمار ان بعد الفا في جواب النهي فازلهما مشتق من زلل القدم وازالهما
بالالف من الزوال عنها الضمير عايد على الجنة او على الشجرة فتكون
عن سببية على هذا فايدة اختلفوا في اكل ادم من الشجرة
فالاظهر انه كان على وجه النسيان لقوله تعالى ولم يجد له عزما
وقيل سكر من خمر الجنة فحينيذ اكل منها وهذا باطل لان خمر الجنة
لا تسكر وقيل اكل عمدا وهي معصية صغرى وهذا عند من اجاز
على الانبيا الصغاير وقيل تاول ادم ان النهي كان عن شجرة معينة
فاكل من غيرها من جنسها وقيل لما حلف له ابليس صدقه لانه
ظن انه لا يحلف احد كذبا اهبطوا خطاب لادم وزوجه وابليس
بدليل بعضكم لبعض عدو مستقر موضع استقرار وهو في مدة الحياة
وقيل في بطن الارض بعد الموت ومتاع ما يتمتع به الى حين الى الموت
فتلقى اي اخذ وقبل على قراة الجماعة وقرا ابن كثير بنصب ادم
ورفع الكلمات فتلقى على هذا من اللقا كلمات هي قوله ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين بدليل
ورودها في الاعراف وقيل غير ذلك اهبطوا كرر ليناط به ما بعده
ويحتمل ان يكون احد الهبوطين من السما والاخر من الجنة وان
يكون هذا الثاني لذرية ادم لقوله فاما ياتينكم ان شرطية وما
زايدة للتاكيد والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالته فمن تبع
شرط وهو جواب الشرط الاول وقيل فلا خوف جواب الشرطين
يا بني اسرايل لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبداهم دعا بني
اسرايل خصوصا وهم اليهود وجرى الكلام معهم من هنا الى حزب
سيقول السفها فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الانعام عليهم
وعلى ابايهم وتارة بالتخويف وتارة باقامة الحجة وتوبيخهم

علمائهم

علي سوء اعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم فذكر من النعم عشرة اشيا
وهي واذ نجيناكم من ال فرعون واذ فرقنا بكم البحر وبعثناكم من بعد
موتكم وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوي وعفونا
عنكم فتاب عليكم ونغفر لكم خطاياكم واتينا موسي الكتاب
والفرقان لعلكم تهتدون وانفجرت منه اثنتي عشرة عينا
وذكر من سوء افعالهم عشرة اشيا قولهم سمعنا وعصينا واتخذتم
العجل وقولهم ارنا الله جهرة وبدل الذين ظلموا ولن نصبر علي
طعام واحد ويحرفونه وتوليتم من بعد ذلك وقست قلوبكم
وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق وذكر من عقوباتهم
عشرة اشيا ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباوا بغضب من الله
ويعطوا الجزية واقتلوا انفسكم وكونوا قردة وانزلنا عليهم رجزا
من السماء واخذتكم الصاعقة وجعلنا قلوبهم قاسية وحرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وهذا كله جزا لابايهم المتقدمين وخوطب
به المعاصرين لمحمد صلي الله عليه وسلم لانهم متبعون لهم راضون
باحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلي الله عليه وسلم بتوبيخات
اخر وهي كتمانهم امر محمد صلي الله عليه وسلم مع معرفتهم به
ويحرفون الكلم ويقولون هذا من عند الله وتقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وحرصهم علي الحياة وعداوتهم
لجبريل واتباعهم للسحر وقولهم نحن ابنا الله وقولهم يد الله
مغلولة **نعمتي** اسم جنس فهي مفردة بمعني الجمع ومعناه عام
في جميع النعم التي علي بني اسرايل مما اشترك فيه معهم غيرهم
او اختصاهم به كالمن والسلوي وللمفسرين فيه اقوال تحمل علي
انها امثلة واللفظ يعم جميعها **بعهدي** مطلق في كل ما اخذ عليهم من
العهود وقيل الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم وذلك قوي
لانه مقصود الكلام **بعهدكم** دخول الجنة **واياي** مفعول بفعل مضمر

موخر

موخر لانفصال الضمير وليفيد الحصر يفسره فارهبون ولا يصح ان يعمل
فيه فارهبون لانه قد اخذ معموله وكذلك اياي فاتقون **بما انزلت**
يعني القران **مصدقا لما معكم** اي مصدقا للتوراة وتصديق القران للتوراة
وغيرها وتصديق محمد صلي الله عليه وسلم للانبيا المتقدمين له ثلاث
معان احدها انهم اخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الاخبار
به والاخر انه صلي الله عليه وسلم اخبر انهم انبيا وانزل عليهم
الكتب فهو مصدق لهم اي شاهد بصدقهم والثالث انه وافقهم
فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الاخرة وغير ذلك من عقايد
الشرايع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الايمان بذلك **ولا تكونوا اول
كافر به** الضمير عايد علي القران وهذا نهي عن المسابقة الي الكفر
به ولا يقتضي اباحة الكفر به في ثاني حال لان هذا مفهوم معطل
بل يقتضي الامر بمبادرتهم الي الايمان به لما يجدون في كتبهم
من ذكره ولما يعرفون من علامته **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا**
الاشترا هنا استعارة في الاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدي
والايات هنا هي الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم والثمن القليل ما ينتفعون
به في الدنيا من بقا رياستهم واخذ الرشا علي تغيير امر محمد صلي الله
عليه وسلم وغير ذلك وقيل كانوا يعلمون دينهم بالاجرة فنهوا
عن ذلك واحتج الحنفية بهذه الاية علي منع الاجارة علي تعليم القران
الحق بالباطل الحق هنا يراد به نبوة محمد صلي الله عليه وسلم والباطل
الكفر به وقيل الحق التوراة والباطل ما زادوا فيها **وتكتمون** معطوف
علي النهي او منصوب باضمار ان في جواب النهي والواو بمعني الجمع
والاول ارجح لان العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين .
بخلاف النصب بالواو فانه انما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيين
لا النهي عن كل واحد علي انفراده **وانتم تعلمون** اي تعلمون انه حق
الصلاة واتوا الزكاة يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضي

الامر بالدخول في الاسلام واركعوا خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لان صلاة
اليهود بلا ركوع فكانه امر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع وقيل اركعوا
للخضوع والانقياد مع الراكعين مع المسلمين فيقتضي ذلك الامر بالدخول
في دينهم وقيل الامر بالصلاة مع الجماعة اتامرون تقريع وتوبيخ
لليهود بالبر عام في انواعه فوبخهم على امر الناس وتركهم له وقيل
كان الاحبار يامرون من نصحوه في السر باتباع محمد صلي الله عليه
وسلم ولا يتبعونه وقال ابن عباس بل كانوا يامرون باتباع التوراة
ويخالفونها في جحدهم منها صفة محمد صلي الله عليه وسلم تنسون
اي تتركون وهذا تقريع تتلون الكتاب حجة عليهم افلا تعقلون توبيخ
واستعينوا بالصبر والصلاة قيل معناه استعينوا بهما على مصايب
الدنيا وقد روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا حزنه
امر فزع الي الصلاة ونعي ابن عباس اخوه قثم الي الصلاة فصلي ركعتين
وقرا الاية وقيل استعينوا بهما علي طلب الاخرة وقيل الصبر هنا
الصوم وقيل الصلاة هنا الدعا وانها الضمير عايد علي العبادة التي
تضمنها الصبر والصلاة او علي الاستعانة او علي الصلاة لكبيرة
اي شاقة صعبة يظنون هنا يتيقنون علي العالمين اي اهل
زمانهم وقيل تفضيل من وجه ما وهو كثرة الانبيا وغير ذلك
لا تجزي لا تغني وشيا مفعول به او صفة لمصدر محذوف والجملة في
موضع الصفة وحذف الضمير اي فيه ولا يقبل منها شفاعة ليس
نفي للشفاعة مطلقا فان مذهب اهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم وشفاعة الملايكة والانبيا والمومنين
وانما المراد انه لا يشفع احد الا بعد ان ياذن الله له لقوله تعالى
من ذي الذي يشفع عنده الا باذنه ولقوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه ولقوله ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له وانظر ما ورد
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستاذن في الشفاعة فيقال

له

له اشفع تشفع فكل ما ورد في القران من نفي الشفاعة مطلقا يحمل على
هذا لان المطلق يحمل علي المقيد فليس في هذه الايات المطلقة دليل
للمعتزلة علي نفي الشفاعة عدل هنا فدية ولا هم ينصرون جمع لان
النفس المذكورة يراد بها نفوس واذ نجيناكم تقديره اذكروا اذ نجيناكم
اي نجينا اباكم وجا الخطاب للمعاصرين للنبي صلي الله عليه وسلم
منهم لانهم ذريتهم وعلي دينهم ومتبعون لهم فحكمهم كحكمهم وكذلك
فيما بعد هذا من تعداد النعم لان الانعام علي الابا انعام على الابنا
ومن ذكر مسا ويهم لان ذريتهم راضون بها من ال فرعون المراد
من فرعون واله وحذف لدلالة المعني وال فرعون هم جنوده
واتباعه واهل دينه لا قرابته خاصة ويقال ان اسمه الوليد بن مصعب
وهو من ذرية عمليق ويقال فرعون لكل من ولي مصر واصل ال
اهل ثم ابدلت من الها همزة وابدل من الهمزة الف فايده
لما ذكر في هذه السورة من الاخبار معجزات للنبي صلي الله عليه وسلم
لانه اخبر بها من غير تعلم يسومونكم سوء العذاب اي يلزمونه بهم
وهو استعارة من السوم في البيع وفسر سوء العذاب بقوله يذبحون
ابناكم ويستحيون نساكم ولذلك لم يعطفه هنا واما حيث عطفه
في سورة ابراهيم فيحتمل ان يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون
عطف مغايرة او اراد به ذلك وعطفه لاختلاف اللفظة وكان سبب
قتل فرعون لابنا بني اسرايل انه اخبره الكهان والمنجمون ان
هلاكه علي يد مولود ذكر من بني اسرايل وقيل ان ال فرعون
تذاكروا وعد الله لابراهيم بان يجعل في ذريته ملوكا وانبيا فحسدوهم
علي ذلك وروي انه وكل بالنسا رجالا يحفظون من تحمل منهن
وقيل بل وكل علي ذلك القوابل ولا جل هذا قيل معني يستحيون
يفتشون الحيا من كل امراة وهو فرجها وهذا بعيد والاظهر من
الحياة ضد الموت فرقنا بكم البحر اي فصلنا وجعلناه فرقا

اثني عشر طريقا علي عدد الاسباط والباسبيه او المصاحبه والبحر المذكور
هنا هو بحر القلزم **واذ وعدنا موسي اربعين ليلة** هي شهر ذي
القعده وعشر ذي الحجة وانما خص الليالي بالذكر لان العام بدا والايام
تابعة بها والمراد اربعين ليلة بايامها **اتخذتم العجل** اتخذتموه الها
فحذف لدلالة المعني **من بعده** اي بعد غيبته في الطور **الكتاب** هنا
التوراة **والفرقان** اي المفرق بين الحق والباطل وهو صفة للتوراة
عطف عليها لاختلاف اللفظ وقيل الفرقان هنا فرق البحر وقيل
اتينا موسي التوراة واتينا محمد الفرقان وهذا بعيد لما فيه من الحذف
من غير دليل عليه **فاقتلوا انفسكم** اي يقتل بعضكم بعضا كقوله
سلموا علي انفسكم وروي ان من لم يعبد العجل قتل من عبده وروي
ان الظلام القي عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون
الفا فعفي الله عنهم وانما خص هنا اسم البارئ لان فيه توبيخا للذين عبدوا
العجل كانه يقول كيف عبدتم غير الذي براكم ومعني البارئ الخالق
فتاب عليكم قبله محذوف لدلالة الكلام عليه وهو نحو الخطاب اي
فعلتم ما امرتم به فتاب عليكم **لن نومن لك** تعدي باللام لانه — من القتل
تضمن معني الانقياد **جهرة** عيانا **الصاعقة** الموت وكانوا سبعين وهم
الذين اختارهم موسي وحملهم الي الطور فسمعوا كلام الله ثم
طلبوا الروية فعوقبوا لسوء ادبهم وجراتهم علي الله **وظللنا**
اي جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيهم حر الشمس وكان ذلك
في التيه وكذا انزل عليه فيه المن والسلوي تقدم في اللغات
كلوا معمول القول محذوف **هذه القرية** بيت المقدس وقيل اريحا
وقيل قريب من بيت المقدس **فكلوا** جاء هنا بالفا التي للترتيب
لان الاكل بعد الدخول وجا في الاعراف بالواو بعد قوله اسكنوا
لان الاكل مقارن للسكني **سجدا** قيل معناه ركعا لان الدخول
لا يتاتي مع السجود وقيل متواضعين **حطة** تقدم في اللغات

وستزيد

وسنزيد اي نزيدهم اجرا الي المغفرة **فبدل** روي انهم قالوا حنطة
وروي حبة في شعرة **الذين ظلموا** يعني المذكورين ووضع الظاهر
موضع المضمر لقصد ذمهم بالظلم وكرره زيادة في تقبيح امرهم
رجزا روي انهم اصابهم الطاعون فمات منهم سبعون الفا **استسقي**
طلب السقيا لما عطشوا في التيه **الحجر** كان مربعا ذراعا في ذراع
تنفجر من كل جهة ثلاث عيون وروي ان ادم كان اهبطه من
الجنة وقيل هو جنس غير معين وذلك ابلغ في الاعجاز
فانفجرت قبله محذوف تقديره فضربه فانفجرت **مشربهم** اي
موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين **كلوا**
اي من المن والسلوي واشربوا من الما المذكور **فومها** هي الثوم
وقيل الحنطة **ادني** من الدني الحقير وقيل اصله ادون ثم قلبت
بتاخير عينه وتقديم لامه **مصر** قيل البلد المعروف وصرف
لسكون وسطه وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روي انهم نزلوا
بالشام والاول ارجح لقوله تعالي واورثناها بني اسرايل يعني
مصر **ضربت** اي قضي عليهم بها والزموها وجعله الزمخشري
استعارة من ضرب القبة لانها تعلو الانسان وتحيط به **المسكنة**
الفاقة وقيل الجزية **ذلك بانهم** الاشارة الي ضرب الذلة
والمسكنة والغضب والبا للتعليل **بايات الله** الايات المتلوات
او العلامات **بغير الحق** معلوم انه لا يقتل نبي الا بغير حق
وذلك افبح فائدة قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد
لانه قد تقررت الموجبات لقتل النفس وقال في الموضع الاخر
من ال عمران بغير حق بالتنكير لاستغراق النفي لان تلك نزلت
في المعاصرين لمحمد صلي الله عليه وسلم **ذلك بما عصوا** يحتمل
ان يكون تاكيد الاول وتكون الاشارة بذلك الي القتل والكفر
والبا للتعليل اي اجتروا علي الكفر وقتل الانبيا لما انهمكوا في

العصيان والعدوان ان الذين امنوا والذين هادوا الاية قال ابن
عباس نسختها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقيل
معناها ان هولا الطوايف من امن منهم ايمانا صحيحا فله اجره
فيكون في حق المومنين الثبات الي الموت وفي حق غيرهم الدخول
في الاسلام فلا نسخ وقيل انها فيمن كان قبل بعث النبي صلي
الله عليه وسلم فلا نسخ من امن مبتدا خبره فلهم اجرهم
والجملة خبر ان او من امن بدل وفلهم اجرهم خبر ان ورفعنا فوقكم
الطور لما جا موسي بالتوراة ابوا ان يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل
لهم ان لم تاخذوها وقع عليكم بقوة جد في تعلم التوراة والعمل
بها اعتدوا منكم في السبت اصطادوا فيه الحوت وكان محرما عليهم
كونوا قردة عبارة عن مسخهم خاسئين صفة او خبر ثان ومعناه
مبعدين كما يخسا الكلب فجعلناها الضمير للفعلة وهي المسخ نكالا
اي عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تاخر وقيل عبرة لمن تقدم
ومن تاخر ان تذبحوا بقرة قصتها ان رجلا من بني اسرايل قتل
قريبه ليرثه وادعي علي قوم انهم قتلوه فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام واخبر بمن قتله
ثم عاد ميتا اتتخذنا هزوا استفهام وقلة ادب او تكذيب فارض مسنة
بكر صغيرة عوان متوسطة بين ذلك اي بين ما ذكر ولذلك
قال ذلك مع الاشارة الي شيئين صفرا من الصفرة المعروفة
وقيل سودا وهو بعيد والظاهر صفرا كلها وقيل القرن والظلف
فقط وهو بعيد فاقع شديد الصفرة تسر الناظرين لحسن لونها
وقيل لسمنها ومنظرها كله لا ذلول غير مذللة للعمل تثير الارض
اي تحرثها وهو داخل تحت النفي علي الاصح ولا تسقي الحرث لا يسقي
عليها مسلمة من العمل او من العيوب لا شية لا لمعة غير الصفرة
وهو من وشا فعاوه واو محذوفة كعده الان جيت بالحق

العامل

العامل في الظرف جيت بالحق وقيل العامل فيه مضمر تقديره الان
تذبحوها والاول اظهر فان كان قولهم اتتخذنا هزوا تكذيبا فهذا
تصديق وان كان غير ذلك فالمعني الحق البين وما كادوا يفعلون لغلا
وكثرة سوالهم او لغلا البقرة فقد جا انها كانت ليتيم والتهم
اشتروها بوزنها ذهبا او لقلة وجود تلك الصفة فقد روي
انهم لو ذبحوا اي بقرة اجزات عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم
واذ قتلتم نفسا هو اول قصة البقرة مرتبته التقديم ان الله يامركم
قال الزمخشري انما اخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة
الي الامر وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد
فادارءتم اي اختلفتم وهو من المدارات اي المدافعة ما كنتم تكتمون من
امر القتيل ومن قتله اضربوه القتيل او قريبه ببعضها مطلقا
وقيل الفخذ وقيل اللسان وقيل الذنب كذلك اشارة الي حياة
القتيل واستدلال بها علي الاحيا للبعث وقبله محذوف لابد منه
تقديره فضربوه ففعلوا ذلك فقام القتيل فايدة استدل المالكية
بهذه القصة علي قبول قول المقتول فلان قتلني وهو ضعيف
لان هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الاخرة وقصته معجزة
للنبي صلي الله عليه وسلم فلا يتاتي ان يكذب المقتول بخلاف
غيره واستدلوا ايضا بها علي ان القاتل لا يرث ولا دليل فيها
علي ذلك قست قلوبكم خطابا لبني اسرايل من بعد ذلك اي
بعد احيا القتيل وما جري في القصة من العجايب وذلك بيان
لقبح قسوة قلوبهم بعدما راوا تلك الايات او اشد عطف علي موضع
الكاف او خبر ابتدا اي هي اشد واو هنا اما للابهام او للتخيير
كان من علم حالها مخير بين ان يشبهها بالحجارة او بما هو اشد
قسوة كالحديد او التفصيل اي فهم كالحجارة وفهم اشد وانما قال
اشد قسوة ولم يقل اقسى مع ان فعل القسوة يبني منه افعل

منهم

لكون اشد ادل علي فرط القسوة وان من الحجارة الاية تفضيل الحجارة
علي قلوبهم يهبط اي يتردي من علو الي سفل والخشية عبارة عن انقيادها
وقيل حقيقة وان كل حجر يهبط من خشية الله افتطمعون خطاب المومنين
ان يومنوا يعني اليهودي وتعدي باللام لما تضمن معني الانقياد فريق منهم
السبعون الذين سمعوا كلام الله علي الطور ثم حرفوه وقيل بنوا
اسرايل حرفوا التوراة من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بيان لقبح
حالهم قالوا امنا قالهما من ادعي الاسلام من اليهود وقيل قالوها
ليدخلوا الي المومنين ويسمعوا احبارهم اتحدثونهم توبيخ بما فتح
الله عليكم فيه ثلاثة اوجه بما حكم عليهم من العقوبات ومما في
كتبهم من ذكر محمد صلي الله عليه وسلم وبما فتح الله عليهم من الخير
والانعام وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا ليحاجوكم به عند ربكم
قيل في الاخرة وقيل اي في حكم ربكم وما انزل في كتابه فعنده
بمعني حكمه افلا تعقلون من بقية كلامهم توبيخا لقومهم اولا يعلمون
الاية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم ومنهم اميون اي الذين
لايقرون ولايكتبون فهم لا يعلمون الكتاب والمراد قوم من اليهود وقيل
من المجوس وهذا غير صحيح لان الكلام كله مع اليهود الا اماني تلاوة
بغير فهم اواكاذيب اوما تتمناه النفوس بايديهم تحقيق لافترايهم
ثمنا قليلا عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون
من الدنيا اومن الذنوب ايا ما معدودة اربعين يوما عدد عبادتهم
العجل وقيل سبعة ايام اتخذتم الاية تقرير يقتضي ابطال بلي
تحقيق لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لايعلمون من كسب سية
الاية في الكفار لا بغار دعلي اليهود ولقوله بعدها والذين امنوا
فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار لا تعبدون الا الله
جواب لقسم يدل عليه الميثاق وقيل خبر بمعني النهي ويرجحه
قراة لا تعبدوا وقيل الاصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء

وان

وان وبالوالدين يتعلق باحسانا او بمحذوف تقديره احسنوا ووكد
باحسانا وذي القربي القرابة واليتامي جمع يتيم وهو من فقد والده قبل
البلوغ واليتيم من ساير الحيوان من فقد امه وجا الترتيب في هذه
الاية بتقديم الاهم فقدم الوالدين لحقهما الاعظم ثم القرابة لان فيهم
اجر الاحسان وصلة الرحم ثم اليتامي لقلة حيلتهم ثم المساكين
لا تسفكون دماكم لا يسفك بعضكم دم بعض واعرابه مثل لا تعبدون
ولا تخرجون انفسكم لا يخرج بعضكم بعضا ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم
بلزومه وانتم تشهدون باخذ الميثاق عليكم هولا منصوب علي
التخصيص بفعل مضمر وقال ابن عطية البادستي مبتدا وخبره
انتم وتقتلون حال لازمة تم بها المعني تقتلون انفسكم كانت
قريظة حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج وكان كل فريق يقاتل
الاخر مع حلفايه وينفيه من موضعه اذا ظفر به تظاهرون اي
تتعاونون تفادوهم قري بالالف وحذفها والمعني واحد وكذلك
اساري بالالف وحذفها جمع اسير وهو محرم الضمير للاخراج من
ديارهم وهو مبتدا وخبره محرم واخراجهم بدل والضمير للامر
والشان واخراجهم مبتدا ومحرم خبره والجملة خبر الضمير
افتومنون ببعض الكتاب فداوهم الاساري موافقة لما في كتبهم
وتكفرون ببعض القتل والاخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم
خزي الجزية او الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم او مطلق
وقفينا من بعده بالرسل اي جينا من بعده بالرسل وهو ماخوذ
من القفا اي جا بالثاني في قفاء الاول بالبينات المعجزات من احياء
الموتي وغير ذلك بروح القدس جبريل وقيل الانجيل وقيل الاسم
الذي كان يحيي به الموتي والاول ارجح لقوله قل نزله روح القدس
ولقوله صلي الله عليه وسلم لحسان اللهم ايده بروح القدس
تقتلون جا مضارعا مبالغة لانه اريد استحضاره في النفوس

اولانهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا ان الله عصمه غلف
جمع اغلف اي عليها غلاف وهو الغشا فلا تفقه بل لعنهم الله ردا عليهم
وبيان ان عدم فقههم بسبب كفرهم فقليلا اي ايمانا قليلا يومنون
وما زايدة ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم او على اصلها لان من
دخل منهم في الاسلام قليل اولانهم امنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض
كتاب من عند الله هو القران مصدق تقدم ان له ثلاثة معان يستفتحون
اي يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في اخر الزمان ويقولون لاعدايهم والمشركين قد اظل
زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتال عاد وارم وقيل يستفتحون
اي يعرفون الناس النبي صلى الله عليه وسلم والسين على هذا
للمبالغة كالسين في استعجب واستسخر وعلى الاول للطلب
فلما جاهم ما عرفوا القران والاسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم
قال المبرد كفروا جوابا لما الاولى والثانية واعيدت الثانية لطول
الكلام ولقصد التاكيد وقال الزجاج كفروا جوابا لما الثانية
وحذف جواب الاولى للاستغنا عنه بذلك وقال الفرا جواب لما
الاولى فلما وجواب الثانية كفروا على الكافرين اي عليهم يعني اليهود
ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل ان اللعنة بسبب كفرهم واللام
للعهد او للجنس فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار بئسما فاعل
بئس مضمر وما مفسرة له وان يكفروا هو المذموم وقال الفرا
بئسما مركب كحبذا وقال الكساى ما مصدرية اي اشتراهم فهي
فاعلة اشتروا هنا بمعنى باعوا ان يكفروا في موضع خبر ابتدا او مبتدا
كاسم المذموم في بئس او مفعول من اجله او بدل من الضمير
في به بما انزل الله القران او التوراة لانهم كفروا بما فيهما من ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم ان ينزل في موضع مفعول من
اجله من فضله القران والرسالة من يشا يعني محمد صلى الله عليه وسلم

والمعنى

٤٧

والمعنى انهم انما كفروا حسدا لمحمد صلى الله عليه وسلم لما تفضل الله عليه
بالرسالة بغضب على غضب لعبادتهم العجل او بقولهم عزير بن الله او لغير
ذلك من قبايحهم بما انزل الله القران بما وراه اي بما بعده وهو القران
او التوراة لانهم كفروا بما فيهما من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلم
تقتلون ردا عليهم فيما ادعوا من الايمان بالتوراة وتكذيب لهم وذكر
الماضي بلفظ المستقبل اشارة الى ثبوته فكانه دايم لما رضي هولا
به ان كنتم مومنين شرطية بمعنى القدح في ايمانهم وجوابها يدل
عليه ما قبل او نافية فيوقف قبلها والاول اظهر بالبينات
يعني المعجزات كالعصا وفلق البحر وغير ذلك اتخذتم العجل ذكر هنا
على وجه الذم لهم والابطال لقولهم نومن بما انزل علينا وكذلك
رفع الطور وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله ثم عفونا
عنكم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وعطفه بثم في الموضعين اشارة
الى قبح ما فعلوه من ذلك من بعده الضمير لموسى عليه السلام اي من بعد
غيبته في مناجات الله على جبل الطور سمعنا وعصينا اي سمعنا
قولك وعصينا امرك ويحتمل ان يكونوا قالوه بلسان المقال او بلسان
الحال واشربوا عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم فهو مجاز تشبيها
بشرب الما او بشرب الصبغ في الثوب وفي الكلام محذوف اي اشربوا
حب العجل وقيل ان موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الما
فشربوه فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله في قلوبهم
بكفرهم البا سببية للتعليل او بمعنى المصاحبة يامركم اسناد
الامر الى ايمانهم فهو مجاز على وجه التهكم فهو كقولك اصلواتك
تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم ان كنتم شرط او نفي فتمنوا
الموت بالقلب او اللسان او باللسان خاصة وهذا امر على وجه التعجيز
والتبكيت لانه من علم انه من اهل الجنة اشتاق وروي انهم لو
تمنوا الموت لماتوا وقيل ان ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم

دامت طول حياته ولن يتمنوه ان قيل لم قال في هذه السورة
لن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه فنفي هنا بلن وفي الجمعة
بلا فقال استاذنا الشيخ ابو جعفر بن الزبير الجواب انه لما كان الشرط
في المغفرة مستقبلا وهو قوله ان كانت لكم الدار الاخرة خالصة
جا جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال ولما كان الشرط في
الجمعة حالا وهو قوله ان زعمتم انكم اوليا لله جا جوابه بلا
التي تدخل علي الحال او قد تدخل علي المستقبل بما قدمت
اي بسبب ذنوبهم وكفرهم عليم بالظالمين تهديد لهم ومن الذين
اشركوا فيه وجهان احدهما ان يكون عطفا علي ما قبله فيوصل
به والمعني ان اليهود احرص من الحياة من الناس ومن الذين
اشركوا فحملا علي المعني كانه قال احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وخص الذين اشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس
لانهم لا يومنون بالاخرة بافراط حبهم للحياة الدنيا والاخر ان
يكون من الذين اشركوا ابتدا كلام فيوقف علي ما قبله والمعني
من الذين اشركوا قوم يود احدهم لو يعمر الف سنة فحذف
الموصوف وقيل اراد به المجوس لانهم يقولون لملوكهم عشرة الاف
سنة والاول اظهر لان الكلام انما هو في اليهود وعلي الثاني
يخرج الكلام عنهم وما هو بمزحزحه الاية فيها وجهان احدهما ان يكون
هو عايد علي احدهم وان يعمر فاعل لمزحزحه والاخر ان يكون
هو للتفسير وان يعمر بدل من كان عدوا لجبريل الاية سببها
ان اليهود قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم جبريل عدونا لانه
ملك الشدايد والعذاب فلذلك لا نومن به ولو جاك ميكايل
لامنا بك لانه ملك الامطار والرحمة فانه نزله فيه وجهان
الاول فان الله نزل جبريل والاخر فان جبريل نزل القران
وهذا اظهر لان قوله مصدقا لما بين يديه من اوصاف القران

والمعني

والمعني الرد علي اليهود باحد وجهين احدهما من كان عدوا لجبريل
فلا ينبغي له ان يعاديه لانه نزله علي قلبك فهو مستحق للمحبة
ويوكد هذا قوله وهدي وبشري والثاني من كان عدوا لجبريل
فانما عاداه لانه نزله علي قلبك فكان هذا تعليل لعداوتهم
لجبريل وجبريل وميكايل ذكرا بعد الملايكة تجريدا للتشريف
والتعظيم اوكلما الواو للعطف قال الاخفش زايدة نبذه فريق
منهم نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال والله
ما اخذ علينا عهد ان نومن بمحمد رسول يعني محمدا صلي الله عليه
وسلم كتاب الله يعني القران او التوراة لان فيهما من ذكر محمد
صلي الله عليه وسلم واتبعوا اي اليهود الذين في زمان محمد
صلي الله عليه وسلم او المتقدمين ما تتلوا هو من القراة او
الاتباع علي ملك اي في ملك او عهد ملك سليمان وما كفر سليمان
تبرية له مما نسبوه اليه وذلك ان سليمان عليه السلام دفن
السحر ليذهبه فاخرجوه بعد موته ونسبوه اليه وقالت
اليهود انما كان سليمان ساحرا وقيل ان الشياطين استرقوا
السمع والقوه الي الكهان فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه
فلما مات قالوا ذلك علم سليمان وما كفر سليمان بتعليم السحر
وبالعمل به او بنسبته الي سليمان عليه السلام وما انزل نفي
او عطف علي السحر او علي ما تتلوا علي الملكين اذ كانت ما نافية
فذلك تبرية لهما من انزال السحر عليهما الا ان ذلك يرده اخر الاية
وان كانت معطوفة بمعني الذي فالمعني انما انزل عليهما ضرب من
السحر ابتلا من الله لعباده او ليعرف فيحذر وقري الملكين
بكسر اللام وقال الحسن هما علجان فعلي هذا يتعين ان تكون
ما غير نافية ببابل موضع معروف هاروت وماروت اسمان
علمان بدل من الملكين او عطف بيان انما نحن فتنة اي محنة

وذلك تحذير من السحر فلا تكفر اي بتعليم السحر ومن هنا اخذ مالك
ان الساحر يقتل كفرا يفرقون زوال العصمة او المنع من الوطي يضرهم
اي في الاخرة علموا اي اليهود والشياطين اي استغلوا به وذكر الشرا
لانهم كانوا يعطون الاجرة عليه شروا هنا بمعنى باعوا لمثوبة
من الثواب وهو جواب لو انهم وانما جا جوابها بجملة اسمية وعدل عن
الفعلية لما في ذلك من الدلالة علي اثبات الثواب واستقراره
وقيل الجواب محذوف اي لا يثبوا لو كانوا يعلمون في الموضعين
نفي لعلمهم لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون للنبي صلي الله
عليه وسلم يا رسول الله راعنا وذلك من المراعات اي راقبنا
فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معني الرعونة علي وجه
الاذاية للنبي صلي الله عليه وسلم وربما كانوا يقولونها علي
معني النداء فنهي الله المسلمون ان يقولوا هذه الكلمة لاشتراك
معناها بين ما قصده المسلمون وقصده اليهود فالنهي سد الذريعة
وامروا ان يقولوا انظرنا لخلوه من ذلك الاحتمال المذموم فهو
من النظر والانتظار وقيل انما نهي الله المسلمون عنها لما فيها
من الجفا وقلة التوقير واسمعوا عطف علي قولوا لا علي معمولها
والمعني الامر بالطاعة والانقياد ما يود الذين كفروا جنس يعم
نوعين اهل الكتاب والمشركين من العرب ولذلك فسره بهما ومعني
الاية انهم لا يحبون ان ينزل الله خيرا علي المسلمين من خير من للتبعيض
وقيل زايدة لتقدم النفي في قوله ما يود برحمته قيل القران
وقيل النبوة والعموم اولي ومعني الاية الرد علي من كره الخير للمسلمين
ما ننسخ تنزيل حكمه ولفظه او احدهما وقري بضم النون اي نامر
بنسخه او ننسها من النسيان وهو ضد الذكر اي ينساها النبي
صلي الله عليه وسلم باذن الله كقوله سنقرئك فلا تنسي
الا ما شا الله او بمعني الترك اي نتركها غير منزلة او غير منسوخة

وقري

وقري بالهمز بمعني التاخير اي نوخر انزالها او نسخها بخير في خفة
العمل او في الثواب قدير استدلال علي جواز النسخ لانه من المقدورات
خلافا لليهود لعنهم الله فانهم احالوه علي الله وهو جايز عقلا وواقع
شرعا فكما نسخت شريعتهم ما قبلها نسخها ما بعدها تسالوا
رسولكم اي تطلبوا الايات ويحتمل السوال عن العلم والاول ارجح لما
بعده فانه شبهه بسوالهم لموسي وهو قولهم ارنا الله جهرة
ود كثير من اهل الكتاب اي تمنوا ونزلت الاية في حيي بن اخطب واخيه
ابي ياسر واشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون علي فتنة
المسلمين ويطمعون ان يردوهم عن الاسلام حسدا مفعول
من اجله او مصدر في موضع الحال والعامل فيه ما قبله فيجب
وصله معه وقيل هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره
يحسدونكم حسدا فعلي هذا يوقف علي ما قبله والاول اظهر
وارجح من عند انفسهم يتعلق بحسدا وقيل بيود فاعفوا منسوخ
بالسيف بامره يعني اباحة قتالهم او وصول اجالهم وقالوا لن
يدخل الجنة الاية اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
وقالت النصاري لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا هودا يعني
اليهود وهذه الكلمة جمع هايد او مصدر وصف به وقال الفرا
حذفت منه يا هودا علي غير قياس امانيهم اكاذيبهم او ما يتمنونه
هاتوا امر علي وجه التعجيز والرد عليهم وهو من هاتي يهاتي
ولم ينطق به وقيل اصله اتوا وابدل من الهمزة ها بلي ايجاب
لما نفوا اي يدخلها من ليس يهوديا ولا نصرانيا من اسلم وجهه
لله اي دخل في الاسلام او اخلص وذكر الوجه لشرفه والمراد
جملة الانسان وقالت اليهود الاية سببها اجتماع نصاري نجران
مع يهود المدينة فذمت كل طايفة الاخري وهم يتلون تقبيح
لقولهم مع تلاوتهم الكتاب الذين لا يعلمون المشركون من العرب

لانهم لا كتاب لهم ومن اظلم لفظه الاستفهام ومعناه لا احد اظلم
منه حيث وقع منع مساجد الله قريش منعت الكعبة او النصاري
منعوا بيت المقدس او علي العموم خايفين في حق قريش لقوله
صلي الله عليه وسلم لا يحج بعد هذا العام مشرك وفي حق
النصاري ضربهم عند بيت المقدس او الجزية خزي في حق
قريش غلبتهم وفتح مكة وفي حق النصاري فتح بيت المقدس
او الجزية فاينما تولوا في الحديث الصحيح انهم صلوا ليلة في سفر
الي غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت وقيل هي في تنفل المسافر
حيث ما توجهت به دابته وقيل هي راجعة الي ما قبلها
اي ان منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم وقيل انما احتجاج
علي من انكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا قل لله المشرق
والمغرب الاية والقول الاول هو الصحيح ويوخذ منه ان من
اخطا القبلة فلا تجب عليه الاعادة وهو مذهب مالك وجه الله
المراد به هنا رضاه كقوله ابتغا وجه الله اي رضاه وقيل
معناه الجهة التي وجهت اليها واما قوله كل شي هالك الا وجهه
ويبقي وجه ربك فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير
تكييف ورد علمه الي الله وقال الاصوليون هو عبارة عن الذات
او عن الوجود وقال بعضهم هو صفة ثابتة بالسمع وقالوا اتخذ
قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله وقالت
الصابيون وبعض العرب الملايكة بنات الله سبحانه تنزيه له
عن قولهم بل له الاية رد عليهم لان الكل ملكه والعبودية تنافي
البنوة قانتون اي طايعون منقادون بديع السموات اي مخترعهما
وخالقهما ابتدا واذا قضي امرا اي قدره وامضاه قال ابن عطية
يتجه في الاية المعنيان فعلي مذهب اهل السنة قدر في الازل
وامضاه فيه وعلي مذهب المعتزلة امضي عند الخلق والايجاد

قلت

قلت لا يكون هذا هنا بمعني قدر لان القديم واذا تقتضي الحدوث
والاستقبال وذلك ينافض القدم وانما تقضي هنا بمعني امضي او
فعل او اوجد كقوله فقضاهن سبع سموات وقد قيل انه بمعني حتم
الامر وبمعني حكم والامر هنا بمعني الشي وهو واحد الامور وليس
بمصدر امر يامر فانما يقول له كن فيكون قال الاصوليون هذا عبارة
عن نفوذ قدرة الله تعالي وليس بقول حقيقي لانه ان كان قول
كن خطابا للشي في حال عدمه لم يصح لان المعدوم لم يخاطب
وان كان خطابا للشي في حال وجوده لانه قد كان وتحصيل
الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون علي حقيقته واجابوا عن ذلك
باربعة اجوبة احدها ان الشي الذي يقول له الله كن هو موجود في علم
الله وانما يقول له كن ليخرجه الي العيان لنا والثاني ان قوله كن
لا يتقدم علي وجود الشي ولا يتاخر عنه قاله الطبري والثالث
ان ذلك خطابا لمن كان موجودا علي حالة فيومر بان يكون علي
حالة اخري كاحيا الموتي ومسخ الكفار وهذا ضعيف لانه تخصيص
من غير مخصص والرابع ان معني يقول له يقول من اجله فلا
يلزم خطابه والاول احسن هذه الاجوبة وقال ابن عطية تلخيص
المعتقد في هذه الاية ان الله عز وجل لم يزل امر المعدومات
بشرط وجودها فكلما في الاية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب
المامورات اذ المحدثات تجي بعد ان لم تكن فيكون رفع علي الاستئنا
قال سيبويه معناه فهو يكون قال غيره يكون عطف علي يقول
واختاره الطبري وقال ابن عطية وهو فاسد من جهة المعني
ويقتضي ان القول مع التكوين والوجود وفي هذا نظر .
وقال الذين لا يعلمون هم هنا وفي الموضع الاول كفار العرب علي الاصح
وقيل هم اليهود والنصاري لولا يكلمنا الله يعني اليهود والنصاري
علي القول بان الذين لا يعلمون كفار العرب واما علي القول

فالذين من قبلهم هم امم الانبياء
ما ان الذين لا يعلمون اليهود والنصارى
المتقدمين لولا يكلمنا الله لولا هنا عرض والمعنى انهم قالوا لن نومن حتى
يكلمنا الله او تاتينا اية اي دلالة من المعجزات كقولهم لن نومن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وما بعده تشابهت قلوبهم الضمير
للذين لا يعلمون وللذين من قبلهم وتشابه قلوبهم في الكفر او في
طلب ما لا يصح ان يطلب وهو لقولهم لولا يكلمنا الله قد بينا
الايات اخبر تعالى انه قد بين الايات الدالة على وحدانيته
وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف تطلب بعد
بيانها ولكن انما فهمها الذين يومنون فلذلك خصهم بالذكر بخلاف
الكفار والمعاندين فانهم لا تنفعهم الايات لعنادهم انا ارسلناك
بالحق خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالحق التوحيد
وكلما جاءت به الشريعة بشيرا ونذيرا تبشر المومنين بالجنة وتنذر
الكافرين بالنار وهذا معناه حيث وقع ولا تسال بالجزم نهي
وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم سال عن حال اباييه
في الاخرة فنزلت وقيل ان ذلك على معنى التهويل كقولك لا تسال
عن فلان لشدة حاله وقرا غير نافع بضم التا واللام اي لا تسال
في القيامة عن ذنوبهم ملتهم ذكرت مفردة وان كانت
ملتين لانهما متفقتان في الكفر فكانهما ملة واحدة قل ان الهدى
هدى الله ردا على اليهود والنصارى والمعنى ان الذي انت عليه
يا محمد هو الهدى الحقيقي لانه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه
اليهود والنصارى ولين اتبعت اهواءهم جمع هوى ويعني به ما هم
عليه من الاديان الفاسده والاقوال المضلة لانهم اتبعوها بغير
حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى والخطاب لمحمد
صلى الله عليه وسلم ومن علم الله انه لا يتبع اهواءهم ولكن قال
ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك فهو على معنى الفرض والتقدير

ويحتمل

ويحتمل ان يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره الذين
اتيناهم الكتاب يعني المسلمين والكتاب على هذا القران وقيل
هم من اسلم من بني اسرايل والكتاب على هذا التوراة ويحتمل
العموم ويكون الكتاب اسم جنس يتلونه حق تلاوته اي يقرونه
كما يجب من التدبر له والعمل به وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه
بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والاولى اظهر فان التلاوة وان
كانت تقال بمعنى القراة وبمعنى الاتباع فانما اظهر في معنى القراة
لاسيما اذا كانت تلاوة الكتاب ويحتمل ان تكون هذه الجملة في موضع
خبر الذين فيتم الكلام ويقف عليها ويحتمل ان تكون هذه الجملة في
موضع الحال ويكون الخبر اوليك يومنون وهذا ارجح لان مقصود
الكلام الثنا عليهم بالايمان واقامة الحجة بايمانهم على غيرهم ممن لم
يومن يا بني اسرايل الاية تقدم الكلام على نظيرتها واذ ابتلى اي اختبر
فالعامل في اذ فعل مضمر تقديره اذكر وقوله اني جاعلك وكلما قيل مناسك
الحج وقيل خصال الفطرة العشره وهي المضمضة والاستنشاق والسوا
وقص الشارب واعفا اللحية وقص الاظافر ونتف الابطين وحلق العانة
والختان والاستنجا وقيل هي ثلاثون خصلة عشرة ذكرت في براة
من قوله التايبون العابدون وعشرة في الاحزاب من قوله ان
المسلمين والمسلمات وعشرة في المعارج من قوله الا المصلين
فاتمهن اي عمل بهن ومن ذريتي استفهام او دعوة عهدي الامانة البيت
الكعبة مثابة اسم مكان من قولك ثاب اذا رجع لان الناس يرجعون
اليه عاما بعد عام واتخذوا بالفتح اخبار عن المتبعين لابراهيم عليه
السلام وبالكسر امر لهذه الامة ووافق قول عمر رضي الله عنه
لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى وقيل امر لابراهيم وشيعته
وقيل لبني اسرايل فهو على هذا عطف على قوله اذكروا انعمتي وهذا
بعيد من مقام ابراهيم هو الحجر الذي صعد به حين بنا الكعبة وقيل

المسجد الحرام وعهدنا عبارة عن الامر والوصية طهرا بيتي عبارة
عن بنيانه بنية خالصة كقوله اسس على التقوى وقيل المعنى
طهراه عن عبادة الاصنام للطائفين هم الذين يطوفون بالكعبة
وقيل الغرباء القادمون على مكة والاول اظهر والعاكفين
هم المعتكفون في المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون
بمكة من الغرباء وقيل اهل مكة والعكوف في اللغة اللزوم
يعني مكة اي مما يصيب غيره من الخسف والعذاب وقيل
امنا من اغارة الناس على اهله لان العرب كان يغير بعضهم على
بعض وكانوا لا يتعرضون اهل مكة وهذا ارجح لقوله اولم نمكن
لهم حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وان قيل لم قال
في البقرة بلدا امنا فعرف في ابراهيم ونكر في البقرة اجيب
عن ذلك بثلاثة اجوبة الجواب الاول قاله استاذنا الشيخ ابو
جعفر بن الزبير وهو انه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله
القواعد من البيت وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد
الذي هو فيه فلم يحتج الي تعريف بخلاف اية ابراهيم فانها لم يتقدم
قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف
الجواب الثاني قاله السهيلي وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة حين نزلت اية ابراهيم لانها مكية فلذلك قال فيه البلد
بلام التعريف التي للحضور كقولك هذا الرجل وهو حاضر بخلاف اية
البقرة فانها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها
بلام الحضور وفي هذا نظر لان ذلك الكلام حكاية عن ابراهيم
عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة او المدينة الجواب
الثالث قاله بعض المشارقة انه قال هذا بلدا امنا قبل ان
يكون بلدا فكانه قال اجعل هذا الموضع بلدا امنا وقال هذا
البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضي ان ابراهيم دعا بهذا الدعا

مرتين

مرتين والظاهر انه مرة واحدة حكي لفظه فيهما على وجهين من امن
بدل بعض من كل ومن كفر اي قال الله وارزق من كفر لان الله يرزق في
الدنيا المومن والكافر ربنا تقبل منا على حذف القول اي يقولان ذلك
وارنا مناسكنا اي علمنا مواضع الحج وقيل العبادات فيهم اي في ذريتنا
رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم انا دعوة ابراهيم والضمير المجرور لذرية ابراهيم واسماعيل
وهم العرب الذين من نسل عدنان واما الذين من نسل قحطان فاختلف
هل هم من ذرية اسماعيل ام لا اياتك هنا القران والحكمة هنا هي
السنة ويزكيهم اي يطهرهم من الكفر والذنوب سفه نفسه منصوب
على التشبيه بالمفعول به وقيل الاصل في سفه نفسه ثم حذف
الجار فانتصب وقيل تمييز ووصى بها اي بالكلمة والملة ويعقوب
بالرفع عطف على ابراهيم فهو موصي وقرئ بالنصب عطفا على بنيه
فهو موصى ام كنتم ام هنا منقطعة معناها الاستفهام والانكار
واسماعيل كان عمه والعم يسمى ابا وقالوا كونوا اي قالت اليهود كونوا
هودا او قالت النصارى كونوا نصارى بل ملة منصوب باضمار فعل
لا نفرق اي لا نومن بالبعض دون البعض وهذا برهان لان كل من
اتى بالمعجزة فهو نبي فالكفر ببعضهم والايمان ببعضهم تناقض
فسيكفيكهم وعد ظهر مصداقه فقتل بني قريظة واجلا بني النضير
وغير ذلك صبغة الله اي دينه وهو استعارة من صبغ الثوب
وغيره ونصبه على الاغرا وعلى المصدر من المعاني المتقدمة
او بدل من ملة ابراهيم كتم شهادة هي الشهادة بان الانبيا على
الحنيفية من الله يتعلق بكتم او بعنده كان المعنى شهادة تخلصت
له من الله سيقول ظاهره الاعلام بقولهم قبل وقوعه الا ان ابن
عباس قال نزلت بعد قولهم السفها هنا اليهود او المشركون
او المنافقون ما ولاهم اي ما ولى المسلمين عن قبلتهم الاولى وهي

وهي بيت المقدس الي الكعبة لله المشرق والمغرب الاية ورد اعليهم بان الله
يحكم ما يريد ويولي عباده حيث شا لان الجهات كلها له وكذلك بعد
ما هدينا كم جعلناكم امة وسطا اي خيارا شهدا علي الناس اي تشهدون
يوم القيامة بابلاغ الرسل الي قومهم عليكم شهيدا اي بأعمالكم قال
عليه الصلاة والسلام اقول كما قال اخي عيسي وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم الاية فان قيل لم قدم المجرور في قوله عليكم شهيدا
واخره في قوله شهدا علي الناس فالجواب ان تقديم المعمولات
يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله عليكم شهيدا الاختصاص شهادة
النبي صلي الله عليه وسلم بامته ولم يقدمه في قوله شهدا
علي الناس لانه لم يقصد الحصر القبلة التي كنت عليها فيها قولان
احدهما انها الكعبة وهو قول ابن عباس والاخر انها بيت المقدس وهو
قول قتادة وعطا والسدي وهذا مع ظاهر قوله كنت عليها لان
النبي صلي الله عليه وسلم كان يصلي الي بيت المقدس ثم انصرف
عنه الي الكعبة واما قول ابن عباس فتاويله بوجهين الاول
ان كنت بمعني انت والثاني قيل ان النبي صلي الله عليه وسلم
صلي الي الكعبة قبل بيت المقدس واعراب التي كنت عليها مفعول
بجعلنا او صفة للقبلة ومعني الاية علي القولين اختبار وفتنة
للناس بامر القبلة فاما علي قول قتادة فان الصلاة الي بيت
المقدس فتنة للعرب لانهم كانوا يعظمون الكعبة او فتنة لمن انكر
تحويلها وتقديره علي هذا ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها
وهذا اظهر لان الفتنة انما وقعت عند صرف القبلة واما
علي قول ابن عباس فان الصلاة الي الكعبة فتنة لليهود لانهم
يعظمون بيت المقدس وهم مع ذلك ينكرون النسخ فانكروا صرف
القبلة او فتنة لضعفا المسلمين حتي رجع بعضهم الي الاسلام
حين صرفت القبلة لنعلم اي العلم الذي تقوم به الحجة علي

العهد

راسد الي السامع

العهد وهو اذا ظهر في الوجود ما علمه الله ينقلب علي عقبيه
عبارة عن الارتداد عن الاسلام وهو تشبيه بمن رجع يمشي الي ورا
وان كانت ان مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول
عن القبلة ايمانكم هنا قيل صلاتكم الي بيت المقدس واستدل به
من قال ان الاعمال من الايمان وقيل معناه ثبوتكم علي الايمان حين
انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة تقلب وجهك كان النبي صلي الله
عليه وسلم يرفع رجاان يومر بالصلاة الي الكعبة شطر المسجد
جهته وما انت بتابع قبلتهم حسم لتطمع اليهود وحدت قبلتهم وان كانت
جهتين في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود قبلتهم
الي بيت المقدس من المغرب والنصاري المشرق يعرفونه اي يعرفون القران
او النبي صلي الله عليه وسلم اوامر القبلة كما يعرفون ابناهم
مبالغة في وصف المعرفة وقال عبد الله بن سلام معرفتي بالنبي
صلي الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني لان ابني قد يمكن فيه
الشك ولكل اي لكل احد او لكل طايفة وجهة اي جهة ولم تحذف
الواو لانه ظرف مكان وقيل انه مصدر وثبتت فيه الواو
علي قياس هو موليها اي موليها وجهه وقري مولاها اي ولاه الله
اليها والمعني ان الله جعل لكل امة قبلة فاستبقوا الخيرات اي بادروا
الي الاعمال الصالحات يات بكم الله اي يبعثكم من قبوركم فول
وجهك كرر تاكيدا وليناط به ما بعده لئلا يكون للناس الاية
معناها ان الصلاة الي الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس
فان اريد اليهود فحجتهم انهم يجدون في التورية ان النبي صلي
الله عليه وسلم الي الكعبة فلما صلي الي المغرب لم تبق
لهم حجة علي المسلمين وان اريد بها قريش فحجتهم انهم قالوا
قبلة اباية اولي به الا الذين ظلموا اي من يتكلم بغير حجة
ويعترض التحول الي الكعبة والاستثنا متصل لانه استثنا

من عموم الناس ويحتمل الانقطاع علي ان يكون استثنا ممن له حجة فان
الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة ولاتم متعلق بمحذوف اي فعلت
ذلك لاتم او معطوف علي لئلا يكون كما ارسلنا متعلق بقوله
لاتم او بقوله فاذكروني والاول اظهر فاذكروني اذكركم قال
سعيد بن المسيب معناه اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
وقيل اذكروني بالدعا والتسبيح ونحو ذلك وقد اكثر المفسرون
لاسيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بالفاظ لها معان مخصوصة
ولا دليل علي التخصيص وبالجملة هذه الاية بيان لشرف الذكر
وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن
ربه انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير
من ملا منهم والذكر ثلاثة انواع ذكر بالقلب وذكر باللسان
وبهما معا واعلم ان الذكر افضل الاعمال علي الجملة وان ورد في بعض
الاحاديث تفضيل غيره من الاعمال كالصلاة وغيرها فان ذلك
لما فيها من معني الذكر والحضور مع الله تعالي والدليل علي فضيلة
الذكر من ثلاثة اوجه الاول النصوص الواردة بتفضيله علي
ساير الاعمال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم
من انفاق الذهب والفضة في سبيل الله وخير لكم من ان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلي يا رسول الله
قال ذكر الله وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال
افضل قال ذكر الله قيل الذكر افضل ام الجهاد في سبيل الله
فقال لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتي ينقطع سيفه ويختضب
دما لكان الذكر افضل منه الوجه الثاني ان الله تعالي حيث
ما امر بالذكر واثني علي الذاكرين اشترط فيه الكثرة فقال اذكروا

الله ذكرا كثيرا والذاكرين الله كثيرا ولم يشترط ذلك في ساير الاعمال
الوجه الثالث ان للذكر مزية هي له خاصية ليست لغيره
وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول الي القرب الذي
عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية فان الله تعالي
يقول انا جليس من ذكرني ويقول انا عند ظن عبدي بي وانا معه
حين يذكرني وللناس في المقصد بالذكر مقامان فمقصد العامة
اكتساب الاجور ومقصد الخاصة القرب والحضور وبين المقامين
بون بعيد فكم بين من ياخذ اجره وهو من وراء حجاب وبين من
يقرب حتي يكون من خواص الاحباب واعلم ان الذكر علي انواع
كثيرة فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة
وذكر كل اسم من اسما الله تعالي والصلاة علي النبي صلى الله
عليه وسلم والاستغفار وغير ذلك ولكل ذكر خاصية وثمرة
فاما التهليل فثمرته التوحيد اعني التوحيد الخاص فان التوحيد
العام حاصل لكل مومن واما التكبير فثمرته التعظيم والاجلال
لذي الجلال واما الحمد والاسما التي معناها الاحسان والرحمة
كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها ثلاث مقامات
وهي الشكر وقوة الرجا والمحبة فان المحسن محبوب لا محالة
واما الحوقلة والحسبلة فثمرتها التوكل علي الله والتفويض
الي الله والثقة بالله واما الاسما التي معانيها الاطلاع والادراك
كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة
واما الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم فثمرتها شدة المحبة
فيه والمحافظة علي اتباع سنته واما الاستغفار فثمرته الاستقامة
علي التقوي والمحافظة علي شروط التوبة مع انكار القلب
بسبب الذنوب المتقدمة ثم ان ثمرات الذكر بجميع الاسما والصفات
مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا الله الله فهذا هو الغاية واليه

المنتهي استعينوا بالصبر والصلاه وذكر ان الله مع الصابرين اي
بمعونته ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قيل انما نزلت
في الشهدا المقتولين في غزوة بدر وكانوا اربعة عشر رجلا لما
قتلوا حزن عليهم اقاربهم فنزلت الاية مبينه لمنزلة الشهدا
عند الله وتسلية لاقاربهم ولا يخصها نزولها فيهم بل حكمها
علي العموم في الشهدا ولنبلونكم اي نختبركم وحيث ما جا
الاختبار في حق الله فمعناه ان يظهر في الوجود ما في علمه
لتقوم الحجة علي العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا
لان الله يعلم ما كان وما يكون والخطاب بهذا الابتلي للمسلمين
وقيل للكفار قريش والاول اظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين
بشي من الخوف من الاعدا والجوع بالجدب ونقص من الاموال
بالخسارة والانفس والثمرات بالجوايح وقيل ذلك كله بسبب
الجهاد انا لله اللام للملك والمالك يفعل في ملكه ما يشا راجعون
تذكروا الاخرة لتهون عليهم مصايب الدنيا وفي الحديث الصحيح
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اصابته مصيبة
فقال انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني علي مصيبتي هذه واخلف
لي خيرا منها اخلف الله له خيرا مما اصابه قالت ام سلمة فلما مات
زوجي ابو سلمة قلت ذلك فابدلني الله به رسول الله صلي الله
عليه وسلم فايدة ورد ذكر الصبر في القران في اكثر من سبعين
موضعا وذلك لعظمة موقعه في الدين قال بعض العلما
كل الحسنات لها اجر محصور من عشرة امثالها الي سبعماية ضعف
الا الصبر فانه لا يحصر اجره لقوله تعالي انما يوفي الصابرون اجرهم بغير
حساب وذكر الله للصابرين ثمانية انواع من الكرامة اولها المحبة
قال والله يحب الصابرين والثاني النصر قال ان الله مع الصابرين
والثالث غرفات الجنة قال يجزون الغرفة بما صبروا والرابع

الاجر الجزيل قال انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب والاربعة
الاخري المذكورة في هذه الاية ففيها البشارة قال وبشر الصابرين
والصلاة والرحمة والهداية اوليك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واوليك هم المهتدون والصابرون علي اربعة اوجه
صبر علي البلا وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع وصبر
علي النعم وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر بها
وصبر علي الطاعة بالمحافظة والدوام عليها وصبر عن المعاصي
بكف النفس عنها وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخط
ظاهرا وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضي بالقضا وهو
سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعل المحبوب
محبوب ان الصفا والمروة جبلان صغيران بمكة من شعاير الله اي معالم
دينه واحدها شعيرة او شعارة فلا جناح عليه اباحة للسعي
بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي وانما
جا بلفظ يقتضي الاباحة لان بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما
لانه كان في الجاهلية علي الصفا صنم يقال اساف وعلي المروة
صنم يقال له نايلة فخافوا ان يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين
فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك ثم ان السعي بينهما واجب
بالسنة قالت عايشة رضي الله عنها سن رسول الله صلي الله
عليه وسلم السعي بين الصفا والمروة وليس لاحد تركه
وقيل ان الوجوب يوخذ من قوله شعاير الله وهذا ضعيف لان
شعاير الله منها واجبة ومنها مندوبة وقد قيل ان السعي مندوب
يطوف اصله يتطوف ثم ادغمت التا في الطا وهذا الطواف يراد
به السعي سبعة اشواط ومن تطوع عام في افعال البر وخاص في
السعي بين الصفا والمروه فيقتضي ان السعي بينهما تطوع ويوخذ
الوجوب من السنة او معني التطوع بحج بعد حج الفريضة ان الذين

يكتمون اليهود كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب التوراة
هنا اللاعنون الملائكة والمومنون وقيل المخلوقات الا الثقلين وقيل
البهائم لما يصيبهم من الجدب بذنوب الكاتمين للحق وبينوا انما
شرطه في توبتهم ان يبينوا الا انهم كتموا والناس اجمعين هو المومنون
فهو عموم يراد به الخصوص لان المومنين هم الذين يعتد بلعنهم
للكافرين وقيل يلعنهم جميع الناس خالدين فيها اي في اللعنة
وقيل في النار ولا هم ينظرون من انظره اذا اخره اي لا يوخرون
عن العذاب ولا يمهلون او من نظر لقوله لا ينظر اليهم لان هذا يتعدى
بالى والهكم اله واحد الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة
في حق الله تعالى احدها انه لا ثاني له فهو نفي للعدد والاخر انه
لا شريك له ولا نظير والثالث انه واحد لا يتبعض ولا ينقسم
وقد فسر المراد به هنا في قوله لا اله الا هو واعلم ان توحيد
الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الاولى توحيد عامة المسلمين
وهو الذي يعصم النفس من الملل في الدنيا وينجي من الخلود في النار
في الاخرة وهو نفي الشركا والانداد والصاحبة والاولاد والاشباه
والاضداد الدرجة الثانية توحيد الخاصة وهو ان يرى الافعال
كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة
لا بطريق الاستدلال حاصلة لكل مومن وانما مقام الخاص في
التوحيد يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج الى دليل وثمرة
هذا العلم الانقطاع الى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع
الخلق فلا يرجو الا الله ولا يخاف احدا سواه اذ ليس يرا فاعلا الا
اياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شي من الامر
فيطرح الاسباب وينبذ الارباب والدرجة الثالثة ان لا يرى
في الوجود الا الله وحده فيغيب عن النظر الى المخلوقات حتى
كانها عنده معدومة وهذا الذي تسميه الصوفيه مقام الفنا

بمعنى

بمعنى الغيبة عن الخلق حتى انه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده اي يغيب
عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله ان في خلق السموات والارض
الاية ذكر فيها ثمانية اصناف من المخلوقات تنبيها على ما فيها من
العبر واستدلالا على التوحيد المذكور قبلها في قوله والهكم
اله واحد واختلاف الليل والنهار اي اختلاف وصفهما من الضيا
والظلام والطول والقصر وقيل ان احدهما يخلف الاخر بما ينفع
الناس من التجارة وغيرها وتصريف الرياح ارسالها من جهات مختلفة
وهي الجهات الاربع وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة للشجر
وعقيم وصر وللنصر وللهلاك والذين امنوا اشد حبا لله اعلم
ان محبة العبد لربه على درجتين احدهما المحبة العامة التي لا يخلوا
منها كل مومن وهي واجبة والاخرى المحبة الخاصة التي ينفرد بها
العلما الربانيون والاوليا والاصفيا وهي اعلا المقامات وغاية
المطلوبات فان ساير مقامات الصالحين كالخوف والرجا والتوكل
وغير ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس الا ترى ان الخايف انما
يخاف على نفسه وان الراجي انما يرجو منفعة نفسه بخلاف المحبة
فانها من اجل المحبوب فليست من المعاوضة واعلم ان سبب محبة
الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة وتضعف على
قدر ضعف المعرفة فان الموجب للمحبة احد امرين وكلاهما اذا اجتمعا
ولا شك انهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال والموجب
الاول الحسن والجمال والاخر الاحسان والاجمال فاما الجمال فهو
محبوب بالطبع فان الانسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن
والاجمال مثل جمال الله تعالى في حكمته البالغة وصنايعه البديعة
وصفاته الجميلة الساطعة الانوار التي تروق العقول وتهيم القلوب
وانما يدرك جماله تعالى بالبصاير لا بالابصار واما الاحسان فقد
جبلت القلوب على حب من احسن اليها واحسان الله الى عباده متواتر

وانعامه عليهم باطن وظاهر وان نعمة الله لا تحصوها ويكفيك
انه يحسن الى المطيع والعاصي والى المومن والكافر وكل احسان ينسب
الى غيره فهو في الحقيقة منه وحده وهو المستحق للمحبة وحده
واعلم ان محبة الله اذا تمكنت من القلب ظهرت اثارها على الجوارح
من الجد في طاعته والنشاط لخدمته والحرص على مرضاته والتلذذ
بمناجاته والرضى بقضايه والشوق الى لقايه والانس بذكره والاستيحاش
من غيره والفرار من الناس والانفراد في الخلوات وخروج الدنيا من
القلب ومحبة كل ما يحب الله وكل من يحب الله وايثار الله على كل شي
ما سواه قال الحارث المحاسبي المحبة ميلك الى المحبوب بكليتك
ثم ايثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهرا ثم
علمك بتقصيرك في حبه ولو ترى من روية العين والذين ظلموا
مفعول وجواب لو محذوف وهو العامل في ان والتقدير لو
ترى الذين ظلموا لعلمت ان القوة لله او لعلموا ان القوة لله وقرى
بالياء وهو على هذه القراة من روية القلب والذين ظلموا فاعل
وان القوة مفعول يرى وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى
الذين ظلموا ان القوة لله لندموا ولاستعظموا ما حل بهم اذ تبرا
بدل من اذ يرون او استيناف والعامل فيه محذوف تقديره اذكر
الذين اتبعوا هم الالهة او الشياطين او الروسا من الكفار والعموم
اولى الاسباب هنا الوصلات من الارحام والمودات اعمالهم
حسرات اي سياتهم وقيل حسناتهم اذ لم تقبل منهم او ما عملوه
لالهتهم كلوا امر محمول على الاباحة حلالا حال مما في الارض
او مفعول بكلوا او صفة لمفعول محذوف اي شيا حلالا طيبا
يحتمل ان يريد الحلال خطوات الشيطان اي ما يريده واصله من خطوة
الشي وقال المنذر بن سعيد يحتمل ان يكون من الخطيئة ثم سهلت
همزته وقرى بضم الطا واسكانها وهما لغتان بالسوء والفحشاء

العاصي

العاصي وان تقولوا الاشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغيرها اوكان
اباؤهم رد على قولهم بل نتبع الاية في كفار العرب وقيل في اليهود انهم
يتبعونهم ولو كانوا لا يعقلون فدخلت همزة الانكار على واو الحال
ومثل الذين كفروا الاية في معناها قولان الاول تشبيه الذين كفروا
بالبهايم في قلة عقلهم فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ولا بد
في هذا من محذوف وفيه وجهان احدهما ان يكون المحذوف اول
الاية والتقدير مثل داعي الذين كفروا الى الايمان كمثل الذي ينعق
اي يصيح بما لا يسمع وهي البهايم التي لا تسمع الا دعاء ونداء ولا تفقه
معناه والاخر ان يكون ذلك المحذوف بعد ذلك والتقدير
مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذي ينعق ويكون دعاء ونداء على
الوجهين مفعولا بيسمع والنعيق هو زجر الغنم والصياح عليها
فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وشبه داعيهم بالذي يزجرها
وهو يصيح عليها الثاني تشبيه الذين كفروا في دعايهم وعبادتهم
لاصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع لان الاصنام لا تسمع شيا ويكون دعاء
ونداء على هذا منصوب اي ان الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء
لمن لم يسمعه من غير فايدة فعلى هذا شبه الكفار بالناعق صم
وما بعده راجع الى الكفار وذلك على التاويل الاول ورفعه على
اضمار مبتدا واشكروا الاية دليل على وجوب الشكر لقوله ان
كنتم اياه تعبدون الميتة ما مات حتف انفه وهو عموم خص منه
الحوت والجراد واجاز مالك اكل الطافي من الحوت ومنعه ابو
حنيفة ومنع مالك الجراد حتى يتسبب في موتها بقطع عضو منها
او وضعها في الماء وغير ذلك واجازه ابن عبد الحكم دون ذلك
والدم يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الانعام ولا خلاف
في اباحة ما خالط اللحم من الدم ولحم الخنزير هو حرام سواء ذكي
او لم يذك وكذلك شحمه باجماع وانما خص اللحم بالذكر لانه الغالب

في الاكل ولان الشحم تابع لـه وكذلك من حلف ان لا ياكل لحما فاكل شحما حنث
بخلاف العكس وما اهل به اي صيح لانهم كانوا يصيحون باسم من ذبح لـه
ثم استعمل في النية في الذبح لغير الله الاصنام وشبهها اضطر بالجوع
او بالاكراه وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وابدل من التا طا
غير باغ ولا عاد قيل باغ على المسلمين وعاد عليهم ولذلك لم يرخص
مالك في رواية عنه للعاصي بسفره ان ياكل الميتة والمشهور عنه
الترخيص له وقيل غير باغ باستعمالها من غير اضطرار وقيل باغ اي
متزايد على امساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر ان يشبع من
الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود فلا اثم عليه رفع للحرج ويجب على
المضطر اكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وانما قال الاية على الاباحة
ويوخذ الوجوب وقد اختلف هل يباح له اكل الميتة والدم ولحم
الخنزير او الا ما سوى الخنزير واختلف هل يباح له ميتة بنوا ادم ام لا
فمنعه مالك واجازه الشافعي لعموم الاية ان الذين يكتمون اليهود
ما ياكلون في بطونهم الا النار اي اكلهم للدنيا يقودهم الى النار فوضع
السبب موضع المسبب وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة ولا يكلمهم
الله عبارة عن غضبه عليهم وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولا يزكيهم
لا يثني عليهم فما اصبرهم على النار تعجب من جراتهم على ما يقودهم
الى النار او من صبرهم على عذاب النار في الاخرة وقيل انه استفهام
واصبرهم بمعنى صبرهم وهذا بعيد وانما حمل قايله عليه اعتقاده
ان التعجب مستحيل على الله لانه استعظام خفي سببه وذلك
لا يلزم فانه في حق الله غير خفي السبب ذلك اشارة الى العذاب
ورفعه بالابتدا او بفعل مضمر بان الله الباء سببيه وحذف اللام
نزل الكتاب القران هنا بالحق اي بالواجب او بالاخبار الحق اي الصادق
والباء فيه سببيه او للمصاحبة الذين اختلفوا في الكتاب اليهود
والنصارى والكتاب على هذا التوراة والانجيل وقيل الذين

اختلفوا

اختلفوا العرب والكتاب على هذا القران ويحتمل جنس الكتاب في
الموضعين في شقاق بعيد اي بعيد من الحق والاستقامة ليس البر
الاية خطاب لاهل الكتاب لان المغرب قبلة اليهود والمشرق قبلة
النصارى اي انما البر التوجه الى الكعبة وقيل خطاب للمومنين
اي ليس البر الصلاة خاصة بل البر جميع الاشيا المذكورة بعد هذا
ولكن البر من امن لا يصح ان يكون من امن خبرا عن البر فتاويله لكن
صاحب البر من امن او لكن البر بر من امن او يكون البر مصدرا وصف
به واتى المال صدقة التطوع وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك
واتى الزكاة على حبه الضمير عايد على المال لقوله ويوثرون على
انفسهم الاية وهو الراجح من طريق عود الضمير على الاقرب وهو على
هذا تتميم وهو من ادوات البيان وقيل يعود على مصدر اتى
وقيل على الله ذوي القربى وما بعده ترتيب بتقديم الاهم فالاهم
والافضل لان الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم
ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة وابن
السبيل الغريب وقيل الضعيف والسايلين وان كانوا غير محتاجين
وفي الرقاب عتقها والموفون بعهدهم اي العهد مع الله ومع الناس
والصابرين نصب باضمار فعل في الباسا الفقر والضراء المرض وحين
الباس القتال صدقوا في القول والفعل والعزيمة كتب عليكم
القصاص اي شرع لكم وليس بمعنى فرض لان ولي المقتول مخير
بين القصاص والدية والعفو وقيل بمعنى فرض اي فرض على
القاتل الانقياد الى القصاص وعلى ولي المقتول ان لا يتعدى
الى غيره كفعل الجاهلية وعلى الحاكم التمكين من القصاص
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ظاهره اعتبار التساوي
بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية ولا يقتل حر بعبد
ولا ذكر بانثى الا ان العلما اجمعوا على قتل الذكر بالانثى وراع

المعنى

قوران يعطي اوليا صاحبه نصف الدية لا وليا الرجل المقتص منه خلافا لمالك
للشافعي وخلافا لابي حنيفة واما قتل الحر بالعبد فهو مذهب ابي حنيفة
خلافا لمالك والشافعي فعلي هذا لم ياخذ ابو حنيفة بشي من ظاهر
الاية لا في الذكورية ولا في الحرمية لانها عنده منسوخة واخذ مالك
بظاهرها في الحرمية كما في الذكورية وتاويلها عنده ان قوله
الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه الذكر بالذكر والانثي بالانثي
والانثي بالذكر والذكر بالانثي ثم كرر قوله الانثي بالانثي تاكيد
للتجريد لان بعض العرب اذا قتل منهم انثي قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا
قد يتوجه قول مالك علي نسخ جميعها ثم يكون عدم قتل الحر
بالعبد من السنة وهو قوله صلي الله عليه وسلم لا يقتل
حر بعبد والناسخ لها علي القول بالنسخ عموم قوله النفس
بالنفس علي ان هذا ضعيف لانه اخبار عن حكم بني اسرايل
فمن عفي له الاية فيها تاويلان احدهما ان المعني من قتل فعفي
عنه فعليه ادا الدية باحسان وعلي اوليا المقتول اتباعه
بها علي وفا فعلي هذا من كناية عن القاتل واخوه هو المقتول
او وليه وعفي من العفو عن القصاص واصله ان يتعدي بعن
وانما تعدي هنا باللام لانه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه
وعلي الثاني ان من اعطيته الدية فعليه اتباع بالمعروف
وعلي القاتل ادا باحسان فعلي هذا من كناية عن اوليا المقتول
واخوه هو القاتل او عاقلته وعفي بمعني يسر كقوله خذ العفو اي
ما تيسر ولا اشكال في تعدي عفي باللام علي هذا المعني ذلك
تخفيف اشارة الي جواز اخذ الدية لان بني اسرايل لم يكن عندهم
دية وانما هو القصاص فمن اعتدي اي قتل قاتل وليه بعد ان
اخذ منه الدية عذاب اليم القصاص منه وقيل عذاب الاخرة
ولكم في القصاص حياة بمعني قولهم القتل انفي للقتل اي ان القصاص

يرد

يردع الناس عن القتل وقيل المعني ان القصاص اقل قتلا لانه قتل واحدا
بواحد بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول
حتي يقتل بسبب ذلك جماعة الوصية للوالدين والاقربين
كانت فرضا قبل الميراث ثم نسختها اية الميراث مع قوله صلي الله
عليه وسلم لا وصية لوارث وبقيت الوصية مندوبة لمن
لا يرث من الاقربين وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين
والاقربين علي حسب الفرايض فلا تعارض بينها وبين المواريث
ولا نسخ والاول اشهر كتب عليكم الصيام اي فرض والقصد
بقوله كما كتب علي الذين من قبلكم وبقوله اياما معدودات تسهيل
الصيام علي المسلمين وكانه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة
جميلة والذي كتب علي الذين من قبلنا الصيام مطلقا وقيل
كتب علي الذين من قبلنا رمضان فبدلوه اياما منصوب
بالصيام او بمحذوف وبعد انتصابه بيتقون فمن كان منكم مريضا
الاية اباحة للفطر مع المرض والسفر وقد يجب الفطر اذا خاف
الهلاك وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمي فحوي الخطاب والتقدير
فمن كان منكم مريضا او علي سفر فافطر فعليه عدة من ايام اخر
ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف فراوا ان صيام المسافر والمريض
لا يصح واوجبوا عليه عدة من ايام اخر وان صام في رمضان
وهذا منهم جهل بكلام العرب وليس في الاية ما يقتضي تحديد
السفر وبذلك قال الظاهرية وحده في مشهور مذهب مالك
اربعة برد وعلي الذين يطيقونه فدية قيل يطيقونه من غير
مشقة فيفطرون ويكفرون ثم نسخ جواز الافطار بقوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ
الهرم فيجوز له الفطر فلا نسخ علي هذا فمن تطوع اي صام ولم
ياخذ بالفطر والكفارة وذلك علي القول بالنسخ وقيل تطوع

بالزيادة في مقدار الاطعام وذلك على القول بعدم النسخ شهر
رمضان مبتدا او خبر لمبتدا مضمر او بدل من الصيام انزل فيه القران
ابن عباس انزل القران جملة واحدة الى السما الدنيا في ليلة
القدر من رمضان ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم بطول عشرين سنة وقيل المعنى انزل في شانه القران
كقولك انزل القران في فلان وقيل المعنى ابتدى فيه انزال
القران هدى للناس وبينات من الهدى اي ان القران هدى للناس
ثم هو مع ذلك من بينات الهدى وذلك ان الهدى على نوعين
مطلق وموصوف بالبينات فالهدى الاول هنا على الاطلاق
وقوله من البينات والهدى اي وهو من الهدى المبين فهو من
عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلما فمن شهد
اي كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية واليسر
والعسر على الاطلاق وقيل اليسر الفطر في السفر والعسر
الصوم فيه ولتكملوا متعلق بمحذوف تقديره شرع او عطف
على اليسر العدة الايام التي افطر فيها ولتكبروا التكبير يوم
العيد او مطلقا اجيب دعوة الداع مقيد بمشية الله وموافقة
القدر وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعا مع وعد الله
بالاستجابة فليستجيبوا لي اي في امتثال ما دعوتهم اليه
من الايمان والطاعة احل لكم الاية كان الاكل والجماع محرما
بعد النوم في ليل رمضان فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه ولصرمة بن مالك فاحلهما الله تخفيفا على
عباده الرفث هنا الجماع وانما تعدى بالى لانه في معنى الافضا
هن لباس لكم تشبيه بالثياب لاشتمال كل واحد من الزوجين
على الاخر وهذا تعليل للاباحة تختانون انفسكم اي تاكلون
وتجامعون بعد النوم في رمضان فتاب عليكم وعفى عنكم

اي

اي غفر ما وقعتم فيه من ذلك وقيل رفع عنكم ذلك الحكم باشروهن
اباحة ماكتب الله لكم قيل الولد يبتغى بالجماع وقيل الرخصة في الاكل والجماع
لمن نام في ليل رمضان بعد منعه من الفجر بيان للخيط الابيض لا للاسود
لان الفجر ليس له سواد والخيط هنا استعارة يراد بالخيط الابيض
بياض الفجر وبالخيط الاسود سواد الليل وروي ان قوله من الفجر
نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى لان بعضهم جعل خيطا ابيضا وخيطا
اسود تحت وسادته واكل حتى تبين له فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انما هو بياض النهار وسواد الليل الى الليل اي الى اول الليل
وهو غروب الشمس فمن افطر قبل ذلك فعليه القضا والكفارة
ومن شك هل غربت ام لا فافطر فعليه القضا والكفارة ايضا
وقيل القضا فقط وقالت عايشة رضي الله عنها الى الليل
يقتضي المنع من الوصال وقد جا ذلك في الحديث ولا تباشروهن
تحريم للمباشرة حين الاعتكاف قال الجمهور المباشرة هنا الجماع
فما دونه وقيل الجماع فقط في المساجد دليل على جواز الاعتكاف
في كل مسجد خلافا لمن قال لا اعتكاف الا في المسجد الحرام
ومسجد المدينة وبيت المقدس وفيه ايضا دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في المساجد لا في غيرها خلافا لمن اجازه
في غيرها من مفهوم الاية حدود الله اي احكامه التي امر
بالوقوف عندها فلا تقربوها اي لا تقربوا مخالفتها واستدل بعضهم
به على سد الذرايع لان المقصود النهي عن المخالفة لقوله ولقوله
تلك حدود الله فلا تعتدوها ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة
سد الذريعة ولا تاكلوا اموالكم اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل
كالقمار والغصب وجحد الحقوق وغيرة ذلك وتدلوا عطف على لا تاكلوا
او نصب باضمار ان وهو من ادلى الرجل بحجته اذا اقام بها
والمعنى نهي عن ان يحتج بحجة باطلة ليصل بها الى اكل مال الناس

٢
النهار وسواد

وقيل نهي عن رشوة الحكام بالاموال للوصول الي اكل اموال الناس
فالبا علي الاول سببيه وعلي الثاني للالصاق **بالاثم** اي بسببه
او للمصاحبة والاثم علي القول الاول في تدلوا اقامة الحجة
الباطلة كشهادة الزور والايمان الكاذبة وعلي القول الثاني
الرشوة **يسالونك عن الاهلة** سببها انهم سالوا عن الهلال
وما فايدته ومخالفته لحال الشمس والهلال لليلتان من اول
الشهر وقيل ثلاث ثم يقال له قمر **مواقيت** جمع ميقات لمحل
الديون والاكرية والقضا العدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما
بذكره وان كان قد دخل في المواقيت للناس **وليس البر** الاية
كان قوم اذا رجعوا من الحج يدخلوا بيوتهم من ابوابها وانما يدخلون
من ظهورها ويقولون لا يحول بيننا وبين السما شي فنزلت الاية
اعلاما ان ذلك ليس من البر وانما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لانه كان عندهم
من تمام الحج وقيل المعني ليس البر ان تسالوا عن الاهلة وغيرها
مما لا فايدة لكم فيه فتاتون الامور علي غير ما يجب فعلي هذا البيوت
وابوابها وظهورها استعارة يراد بالبيوت المسايل وبظهورها
السوال عما لا يفيد وابوابها السوال عن ما يحتاج اليه **البر من**
اتقي تاويله مثل البر من امن **الذين يقاتلونكم** كان القتال غير
مباح في اول الاسلام ثم امر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين
دون من لم يقاتل وذلك مقتضي هذه الاية ثم امر بقتال جميع
الكفار في قوله قاتلوا المشركين كافة **واقتلوهم حيث وجدتموهم**
فهذه الاية منسوخة وقيل انها محكمة وان المعني قاتلوا الرجال
الذين هم بحال من يقاتلكم دون النسا والصبيان الذين لا يقاتلونكم
والاول ارجح واشهر **ولا تعتدوا** اي بقتال من لم يقاتلكم علي القول
الاول وبقتال النسا والصبيان علي القول الثاني **واخرجوهم**
من حيث اخرجوكم اي من مكة لان قريشا اخرجوا منها المسلمين

والفتنة

والفتنة اشد من القتل اي فتنة المومن عن دينه اشد عليه من قتله
وقيل كفر الكفار اشد من قتل المومنين لهم في الجهاد **عند المسجد الحرام**
منسوخ بقوله حيث وجدتموهم وهذا يقوي نسخ الذين يقاتلونكم **فان**
انتهوا اي عن الكفر فاسلموا بدليل قوله غفور رحيم وانما يغفر للكافر
اذا اسلم **لا تكون فتنة** اي لا يبقي دين كفر **الشهر الحرام** الاية نزلت لما
صد الكفار النبي صلي الله عليه وسلم عن دخول مكة للعمرة عام
الحديبية في شهر ذي الحجة فدخلها في العام الذي بعده في شهر
ذي القعدة اي الشهر الحرام الذي دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام
الذي صددتم فيه عن دخولها **والحرمات قصاص** اي حرمة الشهر
والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر والبلد حين صددتم
عنها **فاعتدوا عليه** تسمية للعقوبة باسم الذنب اي قاتلوا من
قاتلكم ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول مكة **تلقوا بايديكم**
الي التهلكة ابو ايوب الانصاري المعني لا تشتغلوا باموالكم عن الجهاد
وقيل لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من
التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك والبا في بايديكم زايدة وقيل
التقدير لا تلقوا انفسكم بايديكم **واتموا الحج والعمرة لله** اي اكملوهما
اذا ابتداتم عملهما ابن عباس اكمالهما اتمام المناسك علي اتمامهما
ان تحرم بهما من دارك ولا حجة فيه لمن اوجب العمرة لان الامر انما
هو بالاتمام لا بالابتدا **فان احصرتم** المشهور في اللغة احصره المرض
بالالف وحصره العدو وقيل بالعكس وقيل هما بمعني واحد
فقال مالك احصرتم هنا بالمرض علي مشهور اللغة فاوجب عليه
الهدي ولم يوجبه علي من حصره العدو وقال الشافعي واشهب
يجب الهدي علي من حصره العدو وحمل الاية علي ذلك واستدل
بنحر النبي صلي الله عليه وسلم الهدي بالحديبية وقال ابو
حنيفة يجب الهدي علي المحصر بعدو وبمرض **فما استيسر**

ولا تحلقوا رؤسكم خطاب
اي فعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة
للمحصر وغيره فمن كان منكم مريضا الاية نزلت في كعب بن عجرة حين
راه النبي صلي الله عليه وسلم فقال له لعلك يوذيك هوام راسك
فقال نعم فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم احلق راسك وصم
ثلاثة ايام واطعم ستة مساكين او انسك بشاة فمعني الاية ان من
كان في الحج واضطره مرض او قمل الي حلق راسه قبل يوم النحر جاز
له حلقه وعليه صيام او صدقة او نسك حسبما تفسر في الحديث
وقاس الفقها علي حلق الراس ساير الاشيا التي يمنع الحاج منها الا
الصيد والوطي وقصر الظاهرية ذلك علي حلق الراس ولا بد في الاية من
مضمر لا يستقل الكلام عنه وهو المسمي فحوي الخطاب وتقديرها
فمن كان منكم مريضا او به اذي من راسه فحلق راسه فعليه فدية
فاذا امنتم اي من المرض علي قول مالك ومن العدو علي قول غيره
والمعني اذا كنتم بحال امن سوا تقدم مرض او خوف عدو اولم يتقدم
فمن تمتع بالعمرة الي الحج التمتع عند مالك وغيره هو ان يعتمر الانسان
في اشهر الحج ثم يحج من عامه فهو قد تمتع باسقاط احد السفرين للحج
او العمرة وقال عبد الله بن الزبير التمتع هو ان يحصر عن الحج بعدو حتي
يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من احرامه ثم يحج من قابل قضا
لحجته فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في وقت تحلله بالعمرة الي الحج
القابل وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة فما استيسر من الهدي
شاة ثلاثة ايام في الحج وقتها من احرامه الي يوم عرفة فان فاته صام
ايام التشريق اذا رجعتم الي بلادكم او في الطريق تلك عشرة فايدته
ان السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة ورفع للتوهم ان السبعة
بدل من الثلاثة وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد
الاعداد فذلك كذا وقيل كاملة في الثواب لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام يعني غير اهل مكة وذي طوي باجماع وقيل واهل الحرم كله

وقيل

وقيل من كان دون الميقات وقوله ذلك اشارة الي الهدي او الصيام
اي انما يجب الهدي او الصيام بدلا منه علي الغربا لا علي اهل مكة
وقيل ذلك اشارة الي التمتع الحج اشهر التقدير اشهر الحج اشهر او الحج في
اشهر وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة وقيل العشر الاول منه
وينبني علي ذلك من اخر طواف الافاضة الي اخر ذي الحجة فعليه
دم علي القول بالعشر الاول ولا دم عليه علي القول بجميع الشهر
واختلف فيمن احرم بالحج قبل هذه الاشهر فاجازه مالك علي كراهة
ولم يجزه الشافعي وداود ولتعيين هذا الاسم لذلك نكا نها كوقت
الصلاة فمن فرض فيهن الحج اي الزم الحج نفسه فلا رفث ولا فسوق
الرفث الجماع وقيل الفحش من الكلام والفسوق المعاصي والجدال
المرا مطلق وقيل المجادلة في مواقيت الحج وقيل النسي الذي كانت
العرب تفعله وتزودوا قيل احملوا ازوادا في السفر وقيل تزودوا للاخرة
بالتقوي وهو الارجح لما بعده فضلا من ربكم التجارة في ايام الحج اباحها
الله تعالي وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج افضتم اندفعتم
جملة واحدة من عرفات اسم علم للموقف والتنوين فيه في مقابلة النون في
جمع المذكر لا تنوين صرف فان فيه التعريف والتانيث المشعر الحرام
المزدلفة والوقوف بها سنة كما هداكم الكاف للتعليل وان كنتم ان مخففة
من الثقيلة ولذلك جاء اللام في خبرها من قبله اي من قبل الهدي ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فيه قولان احدهما انه امر للحمس وهم قريش
ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لانها حرم ويقفون بعرفة مع ساير
الناس لانها حل ويقولون نحن اهل الحرم لا نقف الا بالحرم فامرهم الله تعالي
ان يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها وقد كان النبي صلي الله عليه
وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالي له والقول
الثاني انها خطاب لجميع الناس ومعناها افيضوا من المزدلفة الي مني
ثم علي هذا القول علي بابها من الترتيب واما علي القول الاول فليست

الترتيب بل العطف خاصة قال الزمخشري نحو كقولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الا الى كريم فاما معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها
وان ما بعدها اوكد قضيتم مناسككم فرغتم من اعمال الحج كذكركم اباكم
لان الانسان كثيرا ما يذكر اباه وقيل كانت العرب يذكرون اباهم مفاخرة
عند الجمرة فامروا بذكر الله عوضا من ذلك اتنا في الدنيا كان الكفار
انما يدعون بخير الدنيا خاصة لانهم لا يومنون بالاخرة حسنة قيل
العمل الصالح وقيل المراة الصالحة وفي الاخرة حسنة الجنة نصيب
مما كسبوا يحتمل ان تكون من سببية اي لهم نصيب من الحسنات التي
اكتسبوها والنصيب على هذا الثواب سريع الحساب فيه وجهان
احدهما ان يراد به سرعة مجي يوم القيامة والاخر ان يراد به
سرعة وقوع الحساب يوم القيامة لان الله لا يحتاج الى عدة ولا
فكرة وقيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم
قال كما يرزقهم على كثرتهم في ايام معدودات ثلاثة بعد يوم النحر
وهي ايام التشريق والذكر فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند
الجمار وغير ذلك فمن تعجل في يومين اي انصرف في اليوم الثاني من ايام
التشريق ومن تاخر الى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار واما
المتعجل فقيل يترك رمي جمار اليوم وقيل يقدمها في اليوم الثاني
فلا اثم عليه في الموضعين قيل انه اباحة للتعجيل والتاخر وقيل
انه اخبار عن غفران الاثم وهو الذنب للحاج سوا تعجل او تاخر لمن
اتقى اما على القول الاول بان معنى الاثم عليه اباحة فالمعنى ان الاباحة
في التعجيل والتاخر لمن اتقى ان ياثم فيهما فقد ابيح له ذلك من غير اثم
واما على القول بان معنى لا اثم عليه اخبار بغفران الذنوب فالمعنى
ان الغفران انما هو لمن اتقى الله في حجه كقوله صلى الله عليه وسلم
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه فاللام متعلقة اما بالغفران او الاباحة المفهومين من الاية

من

من يعجبك قوله الاية قيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه اظهر الاسلام ثم خرج
فقتل دواب المسلمين واحرق لهم زرعا وقيل في المنافقين وقيل عامة في كل
من كان على هذه الصفة في الحياة متعلق بقوله يعجبك اي يعجبك ما يقول
في امر الدنيا ويحتمل ان يتعلق بيعجبك ويشهد الله اي يقول الله يعلم
انه لصادق الد الخصام شديد الخصومة تولى ادبر بجسده او اعرض
بقلبه وقيل صار واليا ويهلك الحرث والنسل على القول بانها في
الاخنس فاهلاك الحرث حرقه للزرع واهلاك النسل قتله الدواب
وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته في الفساد وعبر عن ذلك باهلاك
الحرث والنسل لانهما قوام معيشة ابن ادم فان الحرث هو الزرع والفواكه
وغير ذلك من النبات والنسل هو الابل والبقر والغنم وغير ذلك مما
يتناسل اخذته العزة بالاثم المعنى انه لا يطيع من امره بالتقوى
تكبرا وطغيانا والبا يحتمل ان تكون سببية او بمعنى مع وقال الزمخشري
هي كقولك اخذ الامير الناس بكذا اي الزمهم اياه فالمعنى حملته العزة
على الاثم من يشري نفسه اي يبيعها قيل نزلت في صهيب وقيل
على العموم وبيع النفس في الهجرة او الجهاد وقيل في تغيير المنكر وان
الذي قتلهما فيمن غير عليه فلم يزدجر السلم بفتح السين المسالمة والمراد
بها هنا عقد الذمة بالجزية والامر على هذا لاهل الكتاب وخوطبوا
بالذين امنوا لايمانهم بانبيائهم وكتبهم المتقدمة وقيل هو الاسلام
وكذلك هو بكسر السين فيكون الخطاب لاهل الكتاب على معنى الامر
بالدخول لهم في الاسلام وقيل انها نزلت في قوم من اليهود اسلموا
وارادوا ان يعظموا السبت كما كانوا فالمعنى على هذا ادخلوا في الاسلام
واتركوا سواه ويحتمل ان يكون الخطاب للمسلمين على معنى الامر بالثبوت
عليه والدخول في جميع شرايعه من الاوامر والنواهي كافة عموم
في المخاطبين او في شرايع الاسلام فاعلموا ان الله عزيز حكيم
تهديد لمن زل بعد البيان هل ينظرون اي ينتظرون يأتيهم الله تاويله

عند التا ولين يا تيهم عذاب الله في الاخرة اوامره في الدنيا وهي عند
السلف الصالح من المتشابه يجب الايمان بها من غير تكييف ويحتمل ان
لا تكون من المتشابه لان قوله ينظرون بمعني يطلبون بجهلهم كقولهم
لولا يكلمنا الله **في ظلل** جمع ظلة وهي ما علاك من فوق فان كان ذلك لامر
الله فلا اشكال وان كان لله فهو من المتشابه **الغمام** السحاب **وقضي الامر**
فرغ منه وذلك كناية عن وقوع العذاب **سل بني اسرايل** علي وجه
التوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم **من اية** معجزات موسي اوالدلالات
علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم **ومن يبدل** وعيد **ويسخرون** كفار
قريش سخروا من فقرا المسلمين كبلال وصهيب **والذين اتقوا** هم
المومنون الذين سخر والكفا رمنهم **فوقهم** اي احسن حالا منهم
ويحتمل فوقية المكان لان الجنة في السماء **يرزق من يشا** ان اراد
في الاخرة فمن كناية عن المومنين والمعني رد علي الكفا راي ان
رزق الله الكفار في الدنيا فان المومنون يرزقون في الاخرة
وان اراد في الدنيا فيحتمل ان يكون من كناية عن المومنين
اي سيرزقهم ففيه وعد لهم وان تكون كناية عن الكافرين
اي ان رزقهم في الدنيا بمشية الله لا علي وجه الكرامة لهم **بغير
حساب** ان كان للمومنين فيحتمل ان يريد بغير تضييق ومن حيث
لا يحتسبون اولا يحاسبون عليه وان كان للكفار فمن غير تضييق
امة واحدة اي متفقين في الدين وقيل كفارا في زمن نوح عليه السلام
وقيل مومنين ما بين ادم ونوح اومن كان مع نوح في السفينة
وعلي ذلك يقدر فاختلفوا بعد اتفاقهم ويدل عليه الامة واحدة
فاختلفوا **الكتاب** هنا جنس او في كل نبي وكتابه **وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه** الضمير المجرور يعود علي الكتاب اوعلي الضمير
المجرور المتقدم وقال الزمخشري يعود علي الحق واما الضمير في اوتوه
فيعود علي الكتاب والمعني تقبيح الاختلاف بين الذين اوتوا الكتاب

بعد ان جاتهم البينات **بغيا** اي حسدا وعدوانا وهو مفعول من اجله
او مصدر في موضع الحال **فهدي الله الذين امنوا** يعني امة محمد صلي
الله عليه وسلم **لما اختلفوا فيه** اي للحق فيما اختلفوا فيه فما بمعني
الذي وقبلها مضاف محذوف والضمير في اختلفوا لجميع الناس يريد
اختلافهم في الاديان فهدي الله المومنين لدين الحق وتقدير الكلام
فهدي الله الذين امنوا لاصابة ما اختلف فيه الناس من الحق
ومن في قوله من الحق لبيان الجنس اي جنس ما وقع فيه الخلاف
باذنه قيل بعلمه وقيل بامره **ام حسبتم** خطاب للمومنين علي
وجه التشجيع لهم والامر بالصبر علي الشدايد **ولما ياتكم** اي لا تدخلوا
الجنة حتي يصيبكم مثل ما اصاب من قبلكم **مثل الذين** اي
حالهم وعبر عنه بالمثل لانه في شدته يضرب به المثل **وزلزلوا**
بالتخويف والشدايد **الا ان نصر الله قريب** يحتمل ان تكون جواب
للذين قالوا متي نصر الله وان يكون اخبارا مستانفا وقيل ان الرسول
قال ذلك لما قال الذين معه متي نصر الله **فللوالدين والاقربين**
ان اريد بالنفقة الزكاة فذلك منسوخ والصواب ان المراد التطوع
فلا نسخ وقدم في الترتيب الاهم فالاهم وورود السوال علي
المنفق والجواب عن مصرفه لانه كان المقصود بالسوال وقد
حصل الجواب عن المنفق في قوله من خير **كتب عليكم القتال**
انه كان علي الاعيان فنسخه وما كان المومنون لينفروا كافة فصار
القتال فرض كفاية وان كان علي الكفاية فلا نسخ **كره** مصدر
ذكر للمبالغة او اسم مفعول كالخبز بمعني المخبوز **وعسي ان تكرهوا**
حض علي القتال **الشهر الحرام** جنس وهي اربعة اشهر رجب
وذوا القعده وذوا الحجة والمحرم **قتال فيه** بدل من الشهر
وهو مقصود السوال **قل قتال فيه كبير** اي ممنوع ثم نسخه فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وذلك بعيد فان حيث وجدتموهم

ناسخه وقاتلوا المشركين كافة
عموم في الامكنة لا في الازمنة ونظهران ناسخه وقاتلوا المشركين كافة
بعد ذكر الاشهر الحرام فكان التقدير قاتلوا فيهما ويدل عليه فلا تظلموا
فيهن انفسكم ويحتمل ان يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام
اي اباحته حسبما استقر في الشرع فلا تكون الاية منسوخة بل
ناسخة لما كان في اول الاسلام من تحريم القتال في الاشهر الحرام
وصد عن سبيل الله ابتدا وما بعده معطوف عليه واكبر عند الله
خبر الجميع اي ان هذه الافعال القبيحة التي فعلها الكفار اعظم عند
الله من القتال في الشهر الحرام الذي عير به الكفار المسلمين في
سرية عبد الله بن جحش حين قاتل في اول يوم من رجب وقد
قيل انه ظن انه اخر يوم من جادي والمسجد عطف علي سبيل الله
حتي يردوكم قال الزمخشري حتي هنا للتعليل فاوليك حبطت
اعمالهم ذهب مالك الي ان المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد سواء
رجع الي الاسلام او مات علي الارتداد ومن ذلك انتقاض وضوءه
وبطلان صومه وذهب الشافعي الي انه لا يحبط الا ان مات كافرا
لقوله فيمت وهو كافر واجاب المالكية بقوله حبطت اعمالهم
جزا علي الردة وقوله اصحاب النار هم فيها خالدون
جزا علي الموت علي الكفر وفي ذلك نظر ان الذين امنوا الاية
نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه الخمر كل مسكر من العنب
وغيره والميسر القمار وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور
ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما وروي ان السايل
عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه اثم كبير نص
في التحريم وانهما من الكباير لان الاثم حرام لقوله قل انما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم خلافا لمن قال
انما حرمتها اية المايدة لا هذه الاية ومنافع في الخمر التلذذ
والطرب وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع علي الاباحة

قال

قال ابن عباس المنافع قبل التحريم والاثم بعده واثمهما اكبر تغليبا للاثم علي
المنفعة وذلك ايضا بيان للتحريم قل العفو اي السهل من غير مشقة وقراة
الجماعة بالنصب باضمار فعل مشاكلة للسوال علي ان يكون ما مبتدا وذا
خبره تتفكرون في الدنيا والاخرة اي في امرهما ويسلونك عن اليتامي
لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما الاية
كانوا قد تجنبوا اليتامي تورعا فنزلت اباحة مخالطتهم بالاصلاح لهم
فان قيل لم جاء ويسلونك بالواو ثلاث مرات وبغير واو ثلاث مرات
قبلها فالجواب ان سوالهم عن المسايل الثلاث الاول وقع في اوقات
مفترقة فلم يات بحرف عطف وجات الثلاثة الاخيرة بالواو لانها
كانت متناسقة والله يعلم تحذير من الفساد ومن اكل اموال اليتامي
لاعنتكم لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم ابن عباس لاهلككم بما سبق
من اكلكم لاموال اليتامي ولا تنكحوا اي لا تتزوجوا والنكاح مشترك
بين الوطي والعقد المشركات عباد الاوثان من العرب فلا يتناول
اليهود ولا النصاري المباح نكاحهن في المايدة فلا تعارض بين الموضعين
ولا نسخ خلافا لمن قال اية المايدة نسخت هذه ولمن قال هذه
نسخت اية المايدة فمنع نكاح الكتابيات ونزلت الاية بسبب مرثد
الغنوي اراد ان يتزوج امراة مشركة ولامة مومنة اي امة قد حرة
كانت او مملوكة وقيل امة مملوكة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم
في الجمال والمال وغير ذلك ولا تنكحوا المشركين اي لا تزوجوهم نساكم
وانعقد الاجماع علي ان الكافر لا يتزوج مسلمة سوا كان كتابيا او
غيره واستدل المالكية علي وجوب الولاية في النكاح فقوله ولا
تنكحوا المشركين لانه اسند نكاح النسا الي الرجال ولعبد اي عبد
لله وقيل مملوك اوليك المشركات والمشركون يدعون الي النار الي الكفر
الموجب الي النار باذنه اي بارادته او علمه ويسلونك سال
عن ذلك عباد بن بشر واسيد بن الحضير فانزل رسول الله صلي
الله عليه وسلم الاجتماع النسا في المحيض خلافا لليهود

هو اذي مستقذر وهذا التعليل لتحريم الجماع في الحيض فاعتزلوا
النساء اجتنبوا جماعهن وقد فسر ذلك الحديث بقوله لتشد
عليها ازارها وشأنك باعلاها حتي يطهرن اي
ينقطع عنهن الدم فاذا تطهرن اي اغتسلن بالما وتعلق الحكم
بالاية الاخيرة عند مالك والشافعي فلا يجوز عندهما وطي
حتي تغتسل وبالغاية الاولي عند ابي حنيفة فاجاز الوطي
عند انقطاع الدم وقبل الغسل وقري حتي يطهرن بالتشديد
ومعني هذه الاية بالماء فتكون الغايتان بمعني واحد
وذلك حجة لمالك من حيث امركم الله قبل المراة التوابين
من الذنوب المتطهرين بالما او من الذنوب حرث لكم اي موضع
حرث وذلك تشبيه للجماع في القاء النطفة وانتظار الولد
بالحرث في القاء البذر وانتظار الزرع اني شئتم اي كيف
شئتم من الهيئات او متي شئتم لا اين شئتم لانه يوهم الاتيان
في الدبر وقد افتري من نسب جوازه الي مالك وقد تبرأ
هو من ذلك وقال انما الحرث في موضع الزرع وقدموا لانفسكم
اي الاعمال الصالحة عرضة لايمانكم اي لا تكثروا الحلف بالله
فتبذلوا اسمه وان تبروا علي هذا علة للنهي فهو مفعول
من اجله اي نهيتم عن كثرة الحلف كي تبروا وقيل المعني
لا تحلفوا علي ان تبروا وتتقوا وافعلوا البر والتقوي دون
يمين فان تبروا علي هذا هو المحلوف عليه والعرضة
علي هذين القولين كقولك فلان عرضة لفلان اذا اكثر التعرض
له وقيل عرضة مانع من قولك عرض امر حال بينه
وبين كذا اي لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوي
ومن ذلك يمين ابي بكر الصديق ان لا ينفق علي مسطح
فان تبروا علي هذا علة لامتناعهم فهو مفعول من اجله او

مفعول

72

بمعني

مفعول بعرضة لانها مانع اللغو الساقط وهو عند مالك قولك
نعم والله ولا والله الجاري علي اللسان من غير قصد وفاقا للشافعي
وقيل ان يحلف علي الشي يظنه علي ما حلف عليه ثم يظهر
خلافه وفاقا لابي حنيفة وقال ابن عباس اللغو الحلف حين
الغضب وقيل اللغو اليمين علي المعصية والمواخذة العقاب
او وجوب الكفارة بما كسبت قلوبكم اي تعمدت فهو خلاف
اللغو وقال ابن عباس هو اليمين الغموس وذلك ان يحلف علي
الكذب متعمدا وهو حرام اجماعا وليس فيه كفارة عند مالك
خلافا للشافعي يولون من نسايهم يحلفون علي ترك وطيهن
وانما تعدي بمن لانه تضمن معني البعد منهن ويدخل في عموم
قوله الذين كل حالف حرا كان او عبدا الا ان مالك جعل مدة
ايلاء العبد شهرين خلافا للشافعي ويدخل في اطلاق الايلا
اليمين بكل ما يلزم عنه حكم خلافا للشافعي في قصر الايلا
علي الحلف بالله ووجهه انما اليمين الشرعية ولا يكون
موليا عند مالك والشافعي الا اذا حلف علي مدة اكثر من
اربعة اشهر وعند ابي حنيفة اربعة اشهر فصاعدا فاذا
انقضت الاربعة الاشهر وقف المولي عند مالك والشافعي
فاما فاء والا طلق فان ابي الطلاق طلق عليه الحاكم وقال
ابو حنيفة اذا انقضت الاربعة الاشهر وقع الطلاق دون
توقيف ولفظ الاية يحتمل القولين فان فاءوا رجعوا الي الوطي
وكفروا عن اليمين غفور رحيم اي يغفر ما في الايمان من الاضرار
بالمراة عزموا الطلاق العزيمة علي قول مالك التطليق او الاباية
فيطلق عليه الحاكم وعند ابي حنيفة ترك الفي حتي تنقضي الاربعة
الاشهر والطلاق في الايلا رجعي عند مالك باين عند الشافعي
وابي حنيفة والمطلقات يتربصن بيان للعدة وهو عموم مخصوص

خرجت منه الحامل بقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
واليابسة والصغيرة بقوله واللاي ييئسن من المحيض الاية
والتي لم يدخل بها بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فيبقى
حكمها في المدخول بها وهي ممن تحيض وقد خصص مالك منها
ملك الامة فجعل عدتها قرئين ويتربصن خبر بمعنى الامر
ثلاثة قروء انتصب ثلاثة على انه مفعول به هكذا قال
الزمخشري وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر
والحيض فحمله مالك والشافعي على الطهر لاثبات التاء في ثلاثة
فان الطهر مذكر والحيض مونث ولقول عائشة الاقراء هي
الاطهار وحمله ابو حنيفة على الحيض لانه الدليل على براة
الرحم وذلك مقصود العدة فعلى قول مالك تنقضي العدة
بالدخول في الحيضة الثالثة اذا طلقها في طهر لم يمسها
فيه وعند ابي حنيفة بالطهر منها **ما خلق الله في ارحامهن**
يعني الحمل والحيض وبعولتهن جمع بعل وهو هنا الزوج **في ذلك**
اي في زمان العدة **ولهن مثل الذي عليهن** من الاستمتاع وحسن
المعاشرة **درجة** في الكرامة وقيل الانفاق وقيل كون الطلاق بيده
الطلاق مرتان بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج اخر
وقيل بيان لعدد الطلاق الذي يجوز ايقاعه وهو طلاق السنة
فامساك ارتجاع وهو مرفوع بالابتدا او بالخبر **بمعروف** حسن
المعاشرة وتوفية الحقوق **او تسريح** هو تركها حتى تنقضي العدة
فتبين **باحسان** المتعة وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد
الاثنتين وروي في ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لان قوله بعد
ذلك **فان طلقها** هي الطلقة الثالثة وعلى ذلك يكون تكرارا
او طلقة رابعة لا معنى لها **ولا يحل لكم ان تاخذوا** الاية نزلت
بسبب ثابت بن قيس اشتكت به امراته الى رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم فقال لها تردين عليه حديقته قالت نعم
فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهي خطاب للازواج
في حكم الفدية وهي الخلع وظاهرها انه لا يجوز الخلع الا اذا خاف
الزوجان **الا يقيما حدود الله** وذلك اذا ساء ما بينهما وتبعت
معاشرتهما ثم ان المخالعة على اربعة احوال الاول ان تكون من
غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة فاجازه مالك وغيره
لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء الاية ومنعها قوم لقوله في هذه
الاية الا ان يخافا الا يقيما حدود الله والثاني ان يكون الضرر
منهما جميعا فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن واجازه الشافعي لقوله الا
ان يخافا الا يقيما حدود الله والثالث ان يكون الضرر من
الزوجة خاصة فاجازه الجمهور لظاهر هذه الاية
والرابع ان يكون الضرر من الزوج خاصة فمنعه الجمهور
لقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية وقد
منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج الاية واجازه ابو حنيفة مطلقا وقوله
في ذلك مخالف للكتاب والسنة **فان خفتم** خطاب للحكام
والمتوسطين في هذا الامر **فان طلقها** هذه هي الطلقة الثالثة
بعد الطلقتين المذكورتين في قوله الطلاق مرتان **حتى
تنكح زوجا غيره** اجمعت الايمة على ان النكاح هاهنا هو
العقد مع الدخول والوطء لقوله صلى الله عليه وسلم
للمطلقة ثلاثا حين ارادت الرجوع الى مطلقها قبل ان يمسها
الزوج الاخر لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
وروي عن سعيد بن المسيب ان العقد يحلها دون وطء
وهو قول مرفوض لمخالفته الحديث وخرقه للاجماع وانما

مباحا
يحل عند مالك اذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه والوطي مباحا
في غير حيض ولا احرام ولا اعتكاف ولا صيام خلافا لابن الماجشون
في الوطي غير المباح واما نكاح المحلل فحرام ولا يحل الزوجة لزوجها
عند مالك خلافا لابي حنيفة والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية
المراة ولا المحلل له وقال قوم من نوي التحليل منهم افسد
فان طلقها يعني هذا الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي علي الزوجة
والزوج الاول ان يقيما حدود الله اي اوامره فيما يجب من حقوق الزوجية
واذا طلقتم النسا الاية خطاب للازواج وهو نهي عن ان يطول الرجل
العدة علي المراة مضارة بها بان يرتجع قرب انقضا العدة
ثم يطلق بعد ذلك ومعني بلغن اجلهن في هذا الموضع قاربن
انقضا العدة وليس المراد انقضا وها لانه ليس بيده امساك
حينيذ ومعني امسكوهن راجعوهن بمعروف هنا قيل هو الاشهاد
وقيل النفقة واذا طلقتم النسا الاية هذه الاخري خطاب
للاوليا وبلوغ الاجل هنا انقضا العدة فلا تعضلوهن اي
لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن اي يراجعن الازواج الذين طلقوهن
قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له اخت فطلقها
زوجها ثم اراد مراجعتها وارادت هي مراجعته فمنعها اخوها
وقيل نزلت في جابر بن عبد الله وذلك ان رجلا طلق اخته
وتركها حتي تمت عدتها ثم اراد ارتجاعها فمنعها جابر وقال
تركتها وانت املك بها لا ازوجكها ابدا فنزلت الاية وبالمعروف
هنا الصداق وقيل الاشهاد وهذه الاية تقتضي ثبوت
حق الولي في نكاح وليته خلافا لابي حنيفة ذلك يوعظ
خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم ولكل احد علي حدته
ولذلك وحد ضمير الخطاب ذلكم ازكي لكم خطاب للمومنين
والاشارة الي ترك العضل ومعني ازكي اطيب للنفس ومعني

الطهر

الطهر اي للدين والعرض والوالدات يرضعن اولادهن خبر بمعني
الامر وتقتضي الاية حكمين الاول من يرضع الولد فمذهب مالك
ان المراة يجب عليها رضاع ولدها ما دامت في عصمة والده
الا ان تكون شريفة لا يرضع مثلها فلا يلزمها ذلك وان كان
والده قد مات وليس للولد مال لزمها ارضاعه في المشهور
وقيل اجرة رضاعه علي بيت المال وان كانت مطلقة بائنا
لم يلزمها ارضاعه لقوله تعالي فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن
الا ان تشاهي فهي احق به باجرة المثل وان لم يقبل غيرها
وجب عليها ارضاعه ومذهب الشافعي وابي حنيفة انها
لا يلزمها ارضاعه اصلا والامر في هذه الاية عندهما علي الندب
وقال ابو ثور يلزمها علي الاطلاق لظاهر الاية فحملت علي
الوجوب واما مالك فحملها في موضع علي الوجوب وفي موضع
علي الندب وفي موضع علي التخيير حسبما ذكروا من التقسيم
في المذهب الحكم الثاني مدة الرضاع وقد ذكرها في قوله حولين
كاملين وانما وصفهما لانه يجوز ان يقال في حول وبعض اخر
حولين فرفع ذلك الاحتمال واباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله
لمن اراد ان يتم الرضاعة واشترط ان يكون الفطام عن تراضي الابوين
بقوله فان ارادا فصالا الاية فاذا لم يكن علي الولد ضرر في الفطام
فلا جناح عليهما ومن اراد دعا منهما الي تمام الحولين فذلك له واما
بعد الحولين فمن دعا منهما الي الفطام فذلك له وقال ابن عباس
انما يرضع حولين من مكث في البطن ستة اشهر فان مكث سبعة
فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا وان مكث تسعة فرضاعه احدي
وعشرون لقوله تعالي وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وعلي المولود
له رزقهن وكسوتهن في هذه النفقة والكسوة قولان احدهما انها اجرة
رضاع الولد اوجبها الله للام علي الوالد وهو قول الزمخشري وابن

العزبي الثاني انما نفقة الزوجات علي الاطلاق قال منذر بن سعيد البلوطي
هذه الاية نص في وجوب نفقة الرجل علي زوجته وعلي هذا حملها
ابن الفرس **بالمعروف** هنا اي علي قدر حال الزوج في ماله والزوجة
في منصبها وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفس الا وسعها
لا تضار والدة بولدها قري بفتح الرا لالتقا الساكنين علي النهي
وبرفعها علي الخبر ومعناه النهي ويحتمل علي كل واحد من
الوجهين ان يكون الفعل مسندا الي الفاعل فيكون ما قبل
الاخر مكسورا قبل الادغام او يكون مسندا الي المفعول فيكون
مفتوحا والمعنى علي الوجهين النهي عن اضرار احد الوالدين
بالاخر بسبب الولد ويدخل في عموم النهي وجوه الضرر كلها
والبا في قوله بولدها وبولده سببية والمراد بقوله مولود
له الوالد وانما ذكره بهذا اللفظ اعلاما بان الولد ينسب له
لا للام **وعلي الوارث مثل ذلك** اختلف في الوارث فقيل وارث
المولود له وقيل وارث الصبي لو مات وقيل هو الصبي نفسه
وقيل من بقي من ابويه واختلف في المراد بقوله مثل ذلك
فقال مالك واصحابه عدم المضاره وذلك يجري مع كل قول
في الوارث لان ترك الضرر واجب علي كل احد وقيل المراد
اجرة الرضاع من النفقة والكسوة ويختلف هذا القول
بحسب الاختلاف في الوارث فاما علي القول بان الوارث
هو الصبي فلا اشكال لان اجرة رضاعه في ماله واما
علي ساير الاقوال فقيل ان الاية منسوخة فلا تجب اجرة
الرضاع علي احد غير الوالد وقيل انها محكمة فتجب اجرة الرضاع
علي وارث الصبي لو مات او علي وارث الوالد وهو قول قتادة
والحسن البصري **وان اردتم ان تسترضعوا** اباحة لاتخاذ الظير
اذا سلمتم **ما اتيتم** اي دفعتم اجرة الرضاع **والذين يتوفون منكم**

ويذرون

ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الاية
عموم في كل متوفي عنها سوا توفي زوجها بعد الدخول او قبله الا
الحامل فعدتها وضع حملها سوا وضعته قبل الاربعة اشهر والعشرة
او بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلما وقال علي بن ابي
طالب عدتها ابعد الاجلين وحض مالك الامة عدتها في الوفاة
شهران وخمس ليال ويتربصن معناه عن التزوج وقيل وعن
وعن الزينة فيكون امرا بالاحداد واعراب الذين مبتدا وخبره
يتربصن علي تقدير ازواجهم يتربصن وقيل التقدير وازواج
الذين يتوفون منكم يتربصن وقال الكوفيون الخبر عن الذين
متروك والقصد الاخبار عن ازواجهم **فيما فعلن في انفسهن**
من التزوج والزينة **بالمعروف** هنا اذا كان غير منكر وقيل معناه الاشهاد
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به الاية اباحة للتعريض بخطبة المراة المعتدة
ويقتضي ذلك النهي عن التصريح ثم اباح ما يخفى في النفس بقوله او اكننتم
في انفسكم **ستذكرونهن** اي تذكروهن في نفوسكم وبالسنتكم لمن يخف
عليكم وقيل ان تخطبوهن ان لم تنهوا عن ذلك **لا تواعدوهن سرا** اي لا تواعدوهن عدوهن
في العدة خفية بان تتزوجوهن بعد العدة وقال مالك فيمن يعد
في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها احب الي ثم يكون خاطبا من
الخطاب وقال ابن القاسم يجب فراقها **الا ان تقولوا قولا معروفا**
استثنا منقطع والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض كقوله
انك لاكفا كرام وقوله ان الله سيفعل معك خيرا وشبه ذلك
ولا تعزموا عقدة النكاح الاية نهي عن عقد النكاح قبل تمام
العدة والكتاب هنا القدر الذي شرع من العدة ومن تزوج امراة
في عدتها يفرق بينهما اتفاقا فان دخل بها حرمت عليه
علي التابيد عند مالك خلافا للشافعي وابي حنيفة واختلف
عن مالك في تابيد التحريم اذا لم يدخل بها واذا دخل بها

ولم يطاها ولا جناح عليكم ان طلقتم النسا الاية قيل انها اباحة للطلاق
قبل الدخول لما نهي عن التزوج بمعني الذوق وامر بالتزوج وطلب العصمة
ودوام الصحبة ظن قوم ان من طلق قبل البنا وقع في المنهي عنه فنزلت
الاية رافعة للجناح في ذلك وقيل انها في بيان مايلزم من الصداق
والمتعة في الطلاق قبل الدخول وذلك ان من طلق قبل الدخول فان
كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض فلا شي عليه من
الصداق لقوله لا جناح عليكم ان طلقتم النسا الاية والمعني لا طلب
عليكم بشي من الصداق ويومر بالمتعة لقوله ومتعوهن وان كان
قد فرض لها فعليه نصف الصداق لقوله فنصف ما فرضتم ولا متعة
عليه لان المتعة انما ذكرت لمن لم يفرض لها بقوله او تفرضوا او
فيه بمعني الواو ومتعوهن اي احسنوا اليهن واعطوهن شيا عند الطلاق
والامر بالمتعة مندوب عند مالك وواجب عند الشافعي علي الموسع
قدره اي يمتع كل واحد علي قدر ما يجد والموسع الغني والمقتر الضيق
الحال وقري باسكان دال قدره وفتحها وهما بمعني وبالمعروف هنا
اي لا حمل فيه ولا تكلف علي احد الجانبين حقا علي المحسنين تعلق
الشافعي في وجوب المتعة بقوله حقا وتعلق مالك بقوله علي المحسنين
لان الاحسان تطوع بما لا يلزم وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
الاية بيان ان المطلقة قبل البنا لها نصف الصداق اذا كان فرض
لها صداق مسمي بخلاف نكاح التفويض الا ان يعفون النون فيه نون
جماعة النسوة يريد المطلقات والعفو هنا بمعني الاسقاط اي
للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق الا ان يسقطنه وانما يجوز
اسقاط المراة اذا كانت مالكة امر نفسها او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح قال ابن عباس ومالك وغيرهما هو الولي الذي تكون المراة
في حجره كالاب في ابنته المحجورة والسيد في امته فيجوز له ان يسقط
نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول واجاز شريح

استاط

اسقاط غير الاب من الاوليا وقال علي بن ابي طالب والشافعي الذي
بيده عقدة النكاح الزوج وعفوه ان يعطي النصف الذي سقط عنه من
الصداق ولا يجوز عندهما ان يسقط الاب النصف الواجب لابنته وحجة
مالك ان قوله الذي بيده عقدة النكاح في الحال والزوج ليس بيده
بعد الطلاق عقدة نكاح وحجة الشافعي وان تعفوا اقرب للتقوي
فان الزوج اذا تطوع باعطا النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل
واما اسقاط الاب لحق ابنته فليس فيه التقوي لانه اسقاط لحق
الحق ولا تنسوا الفضل بينكم قيل انه يعني اسقاط المراة نصف
صداقها او دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ اعم من ذلك
والصلاة الوسطي جرد ذكرها بعد دخولها في الصلوات اعتناءً بها
وهو الصبح عند مالك واهل المدينة والعصر عند علي بن ابي طالب
لقوله صلي الله عليه وسلم شغلنا عن صلاة الوسطي وهي العصر
وقيل هي الظهر وقيل المغرب وقيل العشا الاخرة وقيل الجمعة
وسميت وسطي لتوسطها في عدد الركعات علي القول بانها المغرب
لانها بين الركعتين والاربع او لتوسطها علي القول بانها الصبح لانها
متوسطة بين الليل والنهار وعلي القول بانها الظهر او الجمعة
لانها في وسط النهار او لفضلها من الوسط وهو الخيار وعلي هذا
يجري اختلاف الاقوال فيها وقوموا لله معناه في صلاتكم قانتين
هنا ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتي نزلت قاله ابن مسعود
وزيد بن ارقم وقيل خاشعين وقيل هو طول القيام فان خفتم
اي من عدو او سبع او غير ذلك مما يخاف منه علي النفس فرجالا
جمع راجل اي علي رجليه او ركبانا جمع راكب اي صلوا كيف ما كنتم
من ركوب او غيره وذلك في صلاة المسايفة ولا ينقص منها من
ركعتين في السفر واربع في الحضر عند مالك فاذا امنتم فاذكروا
الله الاية قيل المعني اذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي علمتموها

وهي التامة وقيل اذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التي
تجزيكم في حال الخوف فالذكر علي القول الاول في حال الصلاة
وعلي الثاني بمعني الشكر والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم هذه الاية منسوخة ومعناها ان الرجل
اذا مات كان لزوجته ان تقيم في منزله سنة وينفق عليها من
ماله وذلك وصية لها ثم نسخ اقامتها سنة بالاربعة الاشهر
والعشر ونسخت النفقة بالربع او الثمن الذي لها في الميراث حسبما
ذكر في سورة النسا واعراب وصية مبتدا او ازواجهم خبر او
مضمر تقديره فعليهم وصية وقرئت بالنصب علي المصدر
تقديره ليوصوا وصية ومتاعا نصب علي المصدر غير اخراج
اي ليس لاوليا الميت اخراج المراة فان خرجن معناه اذا كان الخروج
من قبل المراة فلا جناح علي احد فيما فعلت في نفسها من تزوج
وزينة وللمطلقات متاع عام في امتاع كل مطلقة وبعمومه اخذ
ابو ثور واستثني الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها
بالاية المتقدمة واستثني مالك المختلعة والملاعنة حقا علي
المتقين يدل علي وجوب المتعة وهي الاحسان للمطلقات لان التقوي
واجبة ولذلك قال بعضهم نزلت مؤكدة للمتعة لانه نزل قبلها
حقا علي المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتع فنزلت
حقا علي المتقين الم تر روية قلب الي الذين خرجوا من ديارهم
قوم من بني اسرايل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال فخرجوا
من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم
من الموت شي وقيل بل فروا من الطاعون وهم الوف جمع الف
فقيل ثمانون الفا وقيل ثلاثون وقيل ثمانية الاف وقيل هو
من الالفة وهذا ضعيف فقال لهم الله موتوا عبارة عن اماتتهم
وقيل ان ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا ثم احياهم ليستوفوا اجالهم

وقتلوا خطاب لهذه الامة وقيل للذين اماتهم الله ثم احياهم
من ذا الذي يقرض الله استفهام يراد به الطلب والحض علي الانفاق
وذكر لفظ القرض تقريبا للافهام لان المنفق ينتظر الثواب كما
ينتظر المسلف رد ما اسلف وروي ان الاية نزلت في ابي الدحداح
حين تصدق بحايط لم يكن له غيره قرضا حسنا اي خالصا طيبا
من حلال من غير من ولا اذي فيضاعفه قرئ بالتشديد والتخفيف
وبالرفع علي الاستيناف او عطفا علي يقرض وبالنصب في جواب
الاستفهام اضعافا كثيرة عشرة فما فوقها الي سبعماية يقبض
ويبسط اخبار يراد به الترغيب في الانفاق الم تر الي الملاء
روية قلب وكانوا قوما نالتهم الذلة من اعدايهم فطلبوا الاذن
في القتال فلما امروا به كرهوه لنبي لهم قيل اسمه شمويل وقيل
شمعون هل عسيتم اي قاربتم واراد النبي المذكور ان يتوثق
منهم ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح وهو افصح ولذلك
انفرد نافع بالكسر واما اذا لم يتصل بعسي ضمير فلا يجوز فيها
الا الفتح طالوت ملكا قال وهب بن منبه اوحي الله الي نبيهم اذا
دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم وقال
السدي ارسل الله الي نبيهم عصا وقال له اذا دخل عليك رجل
علي طول هذه العصي فهو ملكهم وكان ذلك طالوت ونحن احق
بالملك منه روي انه كان دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو
في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يوت لعطف الجملة
علي الاخري بسطة في العلم والجسم كان عالما بالعلوم وقيل
بالحروب وكان اطول رجل يصل الي منكبه والله يوتي ملكه
من يشاء رد عليهم في اعتقادهم ان الملك يستحق بالبيت والمال
ان ياتيكم التابوت كان هذا التابوت قد تركه موسي عند يوشع
فجعله يوشع في البرية فبعث الله ملايكة حملته حتي جعلوه

في دار طالوت وفيه قصص كثيرة غير ثابتة فيه سكينه قيل فيه
ريح لها راس ووجه كوجه الانسان وقيل طست من ذهب تغسل
فيه قلوب الانبيا وقيل رحمة وقيل وقار وبقيه ابن عباس
هي عصي موسي ورضاض الالواح وقيل العصا والنعلان وقيل
الالواح من التوراة ال موسي وال هارون يعني انفسهما وقال
الزمخشري يعني الانبيا من بني اسرايل ويحتمل ان يريد موسي
وهارون واقحم الال فصل طالوت اي خرج من موضعه الي الجهاد
بنهر قيل هو نهر فلسطين فمن شرب منه فليس مني الاية اختبر
طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد الا من اغترف غرفة رخص لهم
في الغرفة باليد وقري بفتح الغين وهو المصدر وبضمها وهو
الاسم فشربوا منه الا قليلا قيل كانوا ثلاثون الفا فشربوا كلهم
الا ثلاث مائة وبضعة عشر عدد اصحاب بدر فاما من شرب
فاشتد عليه العطش واما من لم يشرب فلم يعطش جالوت وجنوده
كان كافرا عاتيا وهو ملك العمالقة ويقال ان البربر من ذريته
يظنون اي يوقنون وهم اهل البصاير من اصحابه قتل داود
جالوت كان داود في جند طالوت فقتل طالوت فاعطاه الله
ملك بني اسرايل وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحه والحكمة
هنا النبوة والزبور وعلمه مما يشا صنعة الدروع ومنطق الطير
وغير ذلك ولولا دفع الله الاية منه علي العباد بدفع بعضهم
ببعض وقري دفاع بالالف ودفع بغير الف والمعني متفق تلك
الرسل الاشارة الي جماعتهم فضلنا نص في التفضيل في الجملة
من غير تعيين مفضول كقوله صلي الله عليه وسلم لا تخيروا
بين الانبيا ولا تفضلوني علي يونس بن متي فان معناه النهي
عن تعيين المفضول لانه تنقيص له وذلك غيبة ممنوعة
وقد صرح صلي الله عليه وسلم بفضله علي جميع الانبيا

بقوله

بقوله انا سيد ولد ادم لا بفضله علي واحد بعينه فلا تعارض بين
الحديثين من كلم الله هو موسي عليه السلام ورفع بعضهم قيل
هو محمد صلي الله عليه وسلم لتفضيله علي الانبيا باشيا كثيره
وقيل هو ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا فالرفعة علي
هذا في المسافة وقيل هو مطلق في كل من فضله منهم
من بعد الانبيا والمعني بعد كل نبي لا بعد الجميع ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره تاكيدا وليبني عليه ما بعده انفقوا يعم الزكاة
والتطوع لا بيع فيه اي لا يتصرف احد في ماله والمراد لا تقدرون
فيه علي تدارك ما فاتكم من الانفاق في الدنيا ويدخل فيه
نفي الفدية لانها شرا الانسان نفسه ولا خلة اي مودة نافعة
لان كل احد يومئذ مشغول بنفسه ولا شفاعة اي ليس في يوم
القيامة شفاعة الا باذن الله فهو في الحقيقة رحمة من الله
للمشفوع فيه وكرامة للشافع فليس فيها تحكم علي الله وعلي
هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القران اعني انها لا تنفع
الا باذن الله فلا تعارض بينه وبين اثباتها وحيث ماكان
سياق الكلام في اهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت
الشفاعة علي الاطلاق مبالغة في التهويل وحيث ماكان سياق
الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة الا باذنه والكافرون هم
الظالمون قال عطا بن دينار الحمد لله الذي قال هكذا ولم يقل
الظالمون هم الكافرون الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه
اية الكرسي وهي اعظم اية في القران حسبما ورد في الحديث
وجا فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره لا تاخذه
سنة ولا نوم تنزيه لله تعالي عن الافات البشرية والفرق
بين السنة والنوم ان السنة هي ابتدا النوم لا نفسه كقول القايل
في عينه سنة وليس بنايم من ذا الذي يشفع عنده استفهام

يراد به نفي الشفاعة الا باذن الله فهي في الحقيقة راجعة اليه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم المضمر عايد علي من يعقل ممن
تضمنه قوله له ما في السموات وما في الارض والمعني يعلم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم وقال مجاهد ما بين ايديهم الدنيا
وما خلفهم الاخرة من علمه من معلوماته الا ما شاء هو ان
يعلموه وسع كرسيه الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش
وهو اعظم من السموات والارض وهو بالنسبة الي العرش كاصغر
شي وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه ولا يؤوده لا يثقله
ولا يشق عليه لا اكراه في الدين المعني ان دين الاسلام في غاية
الوضوح وظهور البراهين علي صحته بحيث لا يحتاج ان يكره
احد علي الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم
من تلقا نفسه دون اكراه ويدل علي ذلك قوله قد تبين
الرشد من الغي قد تبين ان الاسلام رشد والكفر غي فلا يفتقر
بعد بيانه الي اكراه وقيل معناها الموادعة وان لا يكره احد
بقتال علي الدخول في الاسلام ثم نسخت بالقتال وهذا
ضعيف لانها مدنية وانما ايات المسالمة وترك القتال بمكة
بالعروة الوثقي العروة في الاجرام هي موضع الامساك وشد
الايدي وهي هنا تشبيه واستعارة في الايمان لا انفصام لها
لا انكسار لها ولا انفصال يخرجهم من الظلمات الي النور اي من
ظلمات الكفر الي نور الايمان اولياوهم الطاغوت جمع الطاغوت هنا
وافرده في غير هذا الموضع لانه اسم جنس لما عبد من دون
الله ولمن يضل الناس من الشياطين وبني ادم الذي حاج ابراهيم
هو نمروذ الملك وكان يدعي الربوبية فقال لابراهيم من ربك
قال ربي الذي يحيي ويميت فقال نمروذ انا احيي واميت واحضر

رجلين

رجلين فقتل احدهما وترك الاخر فقال قد احييت هذا وامت
هذا فقال له ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت اي انقطع وقامت عليه الحجة فان قيل
لم انتقل ابراهيم عن دليله الاول الي هذا الدليل الثاني والانتقال
علامة الانقطاع فالجواب انه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل وهو الاحيا
والاماتة كان له حقيقة وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره
فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه او مغالطة فحينئذ انتقل ابراهيم
الي الدليل الثاني لانه لا مجاز له ولا يمكن الكافر عدول عنه اصلا
او كالذي مر علي قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف
لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل علي
المعني كانه قيل ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر
علي قرية وهذا المار قيل انه عزير وقيل الخضر فقوله
اني يحيي هذه الله ليس انكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام
لقدرة الذي يحيي الموتي او سوال عن كيفية الاحيا للموتي وصورته
لاشك في وقوعه وذلك مقتضي كلمة اني فاراه الله ذلك
عيانا ليزداد بصيرة وقيل بل كان كافرا وقالها انكارا للبعث
واستبعادا فاراه الله الحياة بعد الموت في نفسه وذلك اعظم
برهان وهي خاوية علي عروشها اي خالية من الناس ن
وقال السدي سقطت سقوفها وهي العروش ثم سقطت الحيطا
علي السقف اني يحيي هذه الله ظاهر هذا اللفظ احيا هذه القرية
بالعمارة بعد الخراب ولكن المعني احيا اهلها بعد موتهم لان هذا
الذي يمكن فيه الشك والانكار ولذلك اراه الله الحياة بعد موته
والقرية كانت بيت المقدس لما اخربها بخت نصر وقيل قرية
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف كم لبثت سوال علي وجه
التقرير قال لبثت يوما او بعض يوم استقل مدة موته

قيل اماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم اخر
بعد ماية عام فظن انه يوم واحد ثم راء بقية من الشمس
فخاف ان يكذب في قوله يوما فقال او بعض يوم **وانظر الي طعامك**
وشرابك قيل كان طعامه تينا وعنبا وان شرابه كان عصيرا
ولبنا **لم يتسنه** معناه لم يتغير بل بقي علي حاله طول ماية
عام وذلك اعجوبة الاهية واللفظ يحتمل ان يكون مشتقا من
السنة لان لامها ها فتكون الها في يتسنه اصلية اي لم يتغير
السنون ويحتمل ان يكون مشتقا من قولك سنن الشي اذا فسد
ومنه الحما المسنون ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت
اظفاري ثم حذف حرف العلة للجزم والها علي هذا ها السكت
وانظر الي حمارك قيل بقي حماره حيا طول الماية عام دون علف
ولاما وقيل مات ثم احياه الله وهو ينظر اليه **ولنجعلك اية للناس**
التقدير فعلنا بك هذا لتكون اية للناس وروي انه قام شابا
علي حالته يوم مات فوجد اولاده واولادهم شيوخا **وانظر**
الي العظام هي عظام نفسه وقيل عظام الحمار علي القول
بانه مات **ننشزها** بالرا نحييها وقرئ بالزاي ومعناه نرفعها
للاحيا **قال اعلم** بهمزة قطع وضم الميم اي قال الرجل ذلك اعترافا
وقرئ بالف وصل والجزم علي الامر اي قال له الملك ذلك
واذ قال ابراهيم الاية قال الجمهور لم يشك ابراهيم في احيا الموتي
وانما طلب المعاينة لانه راي دابة قد اكلتها السباع والحيتان
فسال ذلك السوال ويدل علي ذلك قوله كيف فانها سوال
عن حال الاحيا وصورته لا عن وقوعه **ولكن ليطمين قلبي**
اي بالمعاينة **اربعة من الطير** قيل هو الديك والطاوس والحمام
والغراب فقطعها وخلط اجزايها ثم جعل من المجموع جزا علي
كل جبل وامسك روسها بيده ثم قال تعالين باذن الله

فتطايرت

فتطايرت تلك الاجزا حتي التامت وبقيت بلا روس ثم كرر الندا
فجاءت تسعي حتي وضعت اجسادها في روسها وطارت باذن
الله **فصرهن** اي ضمهن وقيل قطعهن علي كل جبل قيل اربعة
جبال وقيل سبعة وقيل الجبال التي وصل اليها حينيذ
من غير حصر بعدد **في سبيل الله** ظاهره الجهاد وقد يحمل
علي جميع وجوه البر **كمثل حبة** كما يزرع ويقتات واشهره
القمح وفي الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون
كمثل حبة او يقدر في اخر الكلام كمثل صاحب حبة **انبتت سبع**
سنابل بيان ان الحسنة بسبعماية كما جا في الحديث ان رجلا
جا بناقة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعماية ناقة **والله يضاعف**
لمن يشاء اي يزيده علي سبعماية وقيل هو تاكيد وبيان
للسبعماية والاول ارجح لانه ورد في الحديث ما يدل عليه
الذين ينفقون الاية قيل نزلت في عثمان وقيل في علي وقيل
في عبد الرحمن بن عوف **منا ولا اذي** المن ذكر النعمة علي
معني التعديد لها والتقريع بها والاذي السب **قول معروف**
هو رد السايل بجميل من القول كالدعا له والتانيس
ومغفرة عفو عن السايل اذا وجد منه جفا وقيل مغفرة
من الله بسبب الرد الجميل والمعني تفضيل عدم العطا اذا كان
بقول معروف ومغفرة علي العطا الذي يتبعه اذي
لا تبطلوا صدقاتكم عقيدة اهل السنة ان السيات لا تبطل
الحسنات فقالوا في هذه الاية ان الصدقة التي يعلم من
صاحبها انه يمن او يوذي لا تقبل منه وقيل ان المن
والاذي دليل علي ان نيته لم تكن خالصة فلذلك بطلت
صدقته **كالذي ينفق** لمن يمن ويوذي بالذي ينفق ريا وهو

غير مومن فمثله اي مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه
من يراه ارضا منبتة طيبة فاذا انزل عليها المطر انكشف التراب
فيبقى الحجر لا منفعة فيه فكذلك المرائي يظن ان له اجرا فاذا
كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته صفوان
حجر كبير وابل مطر كثير صلدا املس لا يقدرون اي لا يقدرون
على الانتفاع بثواب شي من انفاقهم وهو كسبهم وتثبيتا
اي تيقنا وتحقيقا للثواب لان انفسهم لها بصائر تحملهم على
الانفاق ويحتمل ان يكون معنى التثبيت انهم يثبتون انفسهم
على الايمان باحتمال المشقة في بذل المال وانتصاب ابتغا
على المصدر موضع الحال وعطف عليه وتثبيتا ولا يصح
في تثبيتا ان يكون مفعولا من اجله لان الانفاق ليس من
اجل التثبيت فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ابتغاء
كمثل جنة تقديره كمثل صاحب جنة او تقديرا ولا مثل
نفقة الذين ينفقون بربوة لان الارتفاع موضع الجنة اطيب
لتربتها وهوائها فطل المطل الرقيق الخفيف والمعنى انه
يكفي هذه الجنة لكرم اصلها ارضها ايود احدكم الاية مثل
ضرب للانسان يعمل صالحا حتى اذا كان عند اخر عمره ختم
له بعمل السوء او مثل للكافر او المنافق او المرائي المتقدم
ذكره انفا وذي المن والاذى فان كل واحد منهم يظن انه
ينتفع بعمله فاذا كان وقت حاجته اليه لم يجد شيأ
فشبههم الله بمن كانت له جنة ثم اصابتها جائحة المهلك
احوج ما كان اليها لشيخوخته وضعف ذريته فالواو
في قوله واصابه الكبر للحال اعصار اي ريح فيها سموم محرقة
من طيبات ما رزقناكم والطيبات هنا عند الجمهور الجيد غير الردي
فقيل ان ذلك في الزكاة فيكون واجبا وقيل في التطوع

فيكون

فيكون مندوبا لا واجبا لانه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالردي ومما
اخرجنا النبات والمعادن وغير ذلك ولا تيمموا الخبيث اي لا تقصدوا الردي
منه تنفقون في موضع الحال ولستم باخذيه الواو للحال والمعنى
انكم لا تاخذونه في حقوقكم وديونكم الا ان تتسامحوا باخذه وتغمضوا
من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا لم يستوفيه او اذا غض بصره
الشيطان يعدكم الفقر الاية دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف
الفقر ففي ذلك حض الانفاق ثم بين عداوة الشيطان بامره بالفحشا
وهي المعاصي وقيل الفحشا البخل والفاحش عند العرب البخيل قال
ابن عباس في الاية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله والفضل
هو الرزق والتوسعة يوتي الحكمة قيل هي المعرفة بالقران
وقيل النبوة وقيل الاصابة في القول والعمل وما انفقتم من نفقة
الاية ذكر نوعين وهما ما يفعله الانسان تبرعا وما يفعله بعد الزامه
نفسه بالنذر وفي قوله فان الله يعلمه وعد بالثواب وقوله
وما للظالمين من انصار وعيد لمن يمنع الزكاة او ينفق لغير الله
ان تبدوا الصدقات هي التطوع عند الجمهور لانما يحسن اخفاوها
وابدا الواجبة كالصلوات فنعما هي ثنا على الاظهار ثم حكم
ان الاخفا خير من ذلك الابدا وما من نعما في موضع نصب
تفسير للمضمر والتقدير فنعم شي ابداوها ليس عليك هداهم
قيل ان المسلمين كانوا لا يتصدقون على اهل الذمة فنزلت الاية
مبيحة للصدقة على من ليس على دين الاسلام وذلك في التطوع
واما الزكاة فلا تدفع لكافر اصلا فالضمير في هداهم على هذا
القول للكافر وقيل ليس عليك ان تهديهم لما امروا به
من الانفاق وترك المن والاذى والريا والانفاق من الخبيث
انما عليك ان تبلغهم والهدى بيد الله فالضمير على هذا
للمسلمين وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي ان منفعته لكم

وما تنفقون الا ابتغا وجه الله قيل
لقوله من عمل صالحا فلنفسه، وما تنفقون الا ابتغا وجه الله فنيه تزكية
الله خبر عن الصحابة انهم لا ينفقون الا ابتغا وجه الله فنيه تزكية
لهم وشهادة ينفعهم وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم الا ابتغا
وجه الله ففي ذلك حض على الاخلاص للفقرا متعلق بمحذوف
تقديره الانفاق للفقرا وهم هنا المهاجرون احصروا حبسوا
بالعدو وبالمرض في سبيل الله يحتمل الجهاد او الدخول في الاسلام
ضربا في الارض هو التصرف في التجارة وغيرها يحسبهم الجاهل
اغنيا اي يظن الجاهل بحالهم انهم اغنيا لقلة سوالهم والتعفف
هنا هو عن الطلب من سببه وقال ابن عطية لبيان الجنس
تعرفهم بسيماهم علامة وجوههم وهي ظهور الجهد والفاقة
وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود لا يسلون الناس الحافا
الالحاف هو الالحاح في السوال والمعنى انهم اذا سالوا يتلطفون
ولا يلحون وقيل هي نفي السوال والالحاف معا وبا في الاية
وعد بالليل والنهار سرا وعلانية تعميم لوجوه الانفاق واوقاته
ابن عباس نزلت في علف الخيل الذين ياكلون الربا اي ينتفعون
به وغيره عن ذلك لانه اغلب المنافع وسوا من اعطاه او من
اخذه والربا في اللغة الزيادة ثم استعمل في الشريعة في
بيوعات ممنوعة اكثرها راجع الى الزيادة فان غالب الربا في
الجاهلية قولهم للغريم اتقضي ام تربي فكان الغريم يزيد
في عدد المال ويصبر الطالب عليه ثم ان الربا على نوعين
ربا النسية وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة
وفي الطعام فاما النسية فتحرم في بيع الذهب بالذهب وبيع
الفضة بالفضة وفي بيع الذهب بالفضة وهو الصرف وفي ١٥
بيع الطعام بالطعام مطلقا واما التفاضل فانما يحرم في
بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام

ومذهب

ومذهب مالك انما يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام
ومذهب الشافعي انه يحرم في كل طعام ومذهب ابي حنيفة انه
يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره لا يقومون الا
كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس جمع المفسرون ان المعنى
لا يقومون من قبورهم في البعث الا كالمجنون ويتخبطه يتفعله
من قولك خبط يخبط والمس الجنون ومن يتعلق بيقوم ذلك
بانهم تعليل للعقاب الذي يصيبهم وانما هذا الكفار لان قولهم
انما البيع مثل الربا رد على الشريعة وتكذيب لها ثم قد ياخذ
العصاة بحظ من هذا الوعيد فان قيل فهلا قيل انما الربا
مثل البيع لانهم قاسوا الربا على البيع في الجواز فالجواب ان
هذه مبالغة فانهم جعلوا الربا اصلا حتى شبهوا به البيع واحل الله
البيع عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا وقد عددناها في
الفقه ثمانين نوعا وحرم الربا رد على الكفار وانكار للتسوية بين
البيع والربا وفي ذلك دليل على القياس يعيد من النص لانه جعل
الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه فله ما سلف
اي له ما اخذ من الربا اي لا يواخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم
وامره الى الله الضمير عايد على صاحب الربا والمعنى ان الله يحكم منه
يوم القيامة فلا تواخذوه في الدنيا وقيل الضمير عايد على
الربا والمعنى امر الربا الى الله في تحريمه او غير ذلك ومن عاد
الاية يعني من عاد الى فعل الربا والى القول انما البيع مثل الربا
ولذلك حكم عليه بالخلود في النار لان ذلك القول لا يصدر
الا من كافر فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في
الكفار يمحق الله الربا ينقصه ويذهبه ويربي الصدقات ينميها •
في الدنيا بالبركة وفي الاخرة بمضاعفة الثواب كفار اثيم
اي من يجمع بين الكفر والاثم بفعل الربا وهذا يدل على ان الاية

في الكفار وذروا ما بقي من الربا سبب الاية انه كان بين قريش
وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة قال في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع
ثم ان ثقيف ارسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش
فابوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا الى عتاب بن اسيد
امير مكة فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت الاية ان كنتم مومنين شرط لمن خوطب به من ثقيف
وغيرهم فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب اي ان لم تنتهوا عن الربا
حوربتم ومعنى فاذنوا اعلموا وقرئ بالمد اي اعلموا غيركم
ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله لا تظلمون
ولا تظلمون اي لا تظلمون باخذ زيادة على روس اموالكم
ولا تظلمون بالنقص منها وان كان ذو عسرة كان تامة
بمعنى حضر او وقع وقرئ ذا عسرة اي ان كان الغريم ذا عسرة
فنظرة الى ميسرة حكم الله للمعسر بالانظار الى ان يوسر وقد
كان قبل ذلك يباع فيما عليه ونظرة مصدر ومعناه التاخير
وهو مرفوع على انه خبر ابتدا تقديره فالواجب لانظرة
او مبتدا او ميسرة اسم مصدر وقرئ بضم السين وفتحها
وان تصدقوا خير لكم ندب الله الى الصدقة على المعسر
باسقاط الدين فذلك افضل من انظاره وبا في الاية وعظ
وقيل ان اخر اية نزلت اية الربا وقيل بل قوله واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية وقيل اية الدين المذكورة بعد
اذا تداينتم بدين اي اذا عامل بعضكم بعضا بدين وانما ذكر
الدين وان كان مذكورا في تداينتم ليعود عليه الضمير في
فاكتبوه وليزول الاشتراك الذي في تداينتم اذ يقال بمعنى
الجزا الى اجل مسمى دليل على انه لا يجوز الى اجل مجهول

واجاز

واجاز مالك البيع الى الجذاذ والحصاد لانه معروف عند الناس
ومنعه الشافعي وابو حنيفة قال ابن عباس نزلت الاية في
السلم خاصة يعني ان سلم اهل المدينة كان سبب نزولها
قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعني انه يجوز التاخير في السلم
والسلف وغيرها فاكتبوه ذهب قوم الى ان كتابة الدين واجبة
بهذه الاية وقال قوم انها منسوخة بقوله فان امن بعضكم
بعضا وقال قوم انها على الندب وليكتب بينكم كاتب
قال قوم يجب على ان يكتب وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا
يضار كاتب ولا شهيد وقال اخرون يجب عليه اذا لم يوجد
كاتب سواه وقال قوم ان الامر بذلك على الندب ولذلك
جاز اخذ الاجرة على كتب الوثايق بالعدل يتعلق عند ابن عطية
بقوله وليكتب وعند الزمخشري بقوله كاتب فعلى الاول
تكون الكتابة بالعدل وان كان الكاتب غير مرضي وعلى
الثاني يجب ان يكون الكاتب مرضيا في نفسه قال مالك
لا يكتب الوثايق الا عارف بها عدل في نفسه مامون ولا ياب
كاتب ان يكتب نهي عن الاباية وهو يقوي الوجوب كما علمه الله
يتعلق بقوله ان يكتب والكاف للتشبيه اي يكتب مثل ما علمه الله
او للتعليل اي ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله احسن
كما احسن الله وقيل يتعلق بقوله بعدها فليكتب وليملل
يقال امللت الكتاب وامليته فورد هنا على اللغة الواحدة
وفي قوله فليملل عليه على الاخرى الذي عليه الحق لان الشهادة
انما هي باعترافه فان كتب الوثيقة دون املاله ثم اقر بها جاز
ولا يبخس امره الله بالتقوى فيما يملي ونهاه عن البخس وهو
نقص الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو السفيه
الذي لا يحسن النظر في ماله والضعيف الصغير وشبهه

والذي لا يستطيع ان يمل الاخرس وشبهه وليه ابوه او وصيه
والضمير عايد على الذي عليه الحق واستشهدوا شهيدين شهادة
الرجلان جايزة في كل شي الا في الزنا فلا بد من اربعة من رجالكم نص
في رفض شهادة الكفار والصبيان والنسا واما العبيد فاللفظ
يتناولهم ولذلك اجاز ابن حنبل شهادتهم ومنعها مالك والشافعي
لنقص الرق فرجل وامراتان قال قوم لا تجوز شهادة المراتين
الا مع عدم الرجال وقالوا معنى الاية ان لم يكونا اي ان لم يوجدا
واجازه الجمهور لان المعنى ان لم يشهد رجلان فرجل وامراتان
وانما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمراتين في الاموال لا في
غيرها وتجوز شهادة المراتين دون رجل فيما لا يطلع عليه
الرجال كالولادة والاستهلال وعيوب النسا وارتفع رجل بفعل
مضمر تقديره فليكن رجل فهو فاعل او تقديره فليستشهد رجل
فهو مفعول لم يسم فاعله او بالابتدا تقديره فرجل وامراتان
يشهدون ممن ترضون صفة للرجل والمراتين وهو مشترط
ايضا في الرجلين الشاهدين لان الرضى مشترط في الجميع وهو
العداله ومعناها اجتناب الذنوب الكباير وتوقي الصغاير
مع المحافظة على المروة ان تضل مفعول من اجله والعامل
فيه هو المقدر العامل في رجل وامراتان والضلال في
الشهادة هو نسيانها او نسيان بعضها وانما جعل ضلال احدى
المراتين مفعولا من اجله وليس هو المراد لانه سبب لتذكير
الاخرى لها وهو المراد فاقيم السبب مقام المسبب وقرى ان
تضل بكسر الهمزة على الشرط وجوابه الفا في فتذكر ولذلك
رفعه من كسر الهمزة ونصبه من فتحها على العطف وقرى تذكر
بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد ولا ياب الشهدا اي
لا يمتنعوا اذا ما دعوا الى ادا الشهادة وقد ورد تفسيره بذلك

على

عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق العلما ان ادا الشهادة واجب
اذا دعي اليها وقيل اذا دعوا الى تحصيل الشهادة وكتبها وقيل
الامرين ولا تساموا ان تكتبوه اي لا تملوا من الكتابة اذا ترددت وكثرة
سوا كان الحق صغيرا او كبيرا ونصب صغيرا على الحال ذلكم اشارة
الى الكتابة اقسط من القسط وهو العدل واقوم بمعنى واشد اقامة
وبني افعل فيهما من الرباعي وهو قليل وادنى ان لا ترتابوا اي
اقرب الى عدم الشك في الشهادة الا ان تكون تجارة حاضرة
ان في موضع نصب على الاستثنا المنقطع لان الكلام المتقدم في الدين
الموجل والمعنى اباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة وهو
ما يباع بالنقد وقوله تديرونها بينكم يقتضي القبض والبينونة
واشهدوا اذا تبايعتم ذهب قوم الى وجوب الاشهاد على كل
بيع صغيرا او كبيرا وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم
الى انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم وذهب قوم الى انه على
الندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون كاتب فاعلا
على تقدير كسر الرا المدغمة من يضارر والمعنى على هذا نهي
للكاتب وللشهيد ان يضر الذي له الحق او الذي عليه الحق
بالزيادة فيه او النقصان منه او الامتناع من الكتابة او
الشهادة ويحتمل ان يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير
فتح الرا المدغمة ويقوي ذلك قراة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لا يضارر بالتفكيك وفتح الرا والمعنى النهي عن الاضرار بالكاتب
والشهيد باذايتهما بالقول او الفعل وان تفعلوا اي ان وقعتم في
الاضرار فانه فسوق بكم ويعلمكم الله اخبار على وجه الامتنان
وقيل معناه الوعد بان من اتقى علمه والهمه وهذا المعنى صحيح
ولكن لفظ الاية لا يعطيه لانه لو كان كذلك لجزم يعلمكم في جواب
اتقوا وان كنتم على سفر الاية لما امر الله تعالى بكتب الديون جعل

صاحب

الرهن توثيقا للحق عوضا من الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر
وقال الظاهرية لا يجوز الرهن الا في السفر لظاهر الاية واجازه
مالك وغيره في الحضر لان النبي صلى الله عليه وسلم رهن
درعه بالمدينة فرهن مقبوضة يقتضي بينونة المرتهن بالرهن
واجمع العلما على قبض صحة قبض المرتهن وقبض وكيله واجاز
مالك والجمهور وضعه على يد عدل والقبض للرهن شرط
في الصحة عند الشافعي وغيره لقوله تعالى مقبوضة وهو عند
مالك شرط كمال لا صحة فان امن بعضكم بعضا الاية اي ان
امن الحق المديان لحسن ظنه به فليستغن عن الكتابة وعن الرهن
فامر اولا بالكتابة ثم بالرهن ثم بالايتمان فللدين ثلاثة احوال
ثم امر المديان باد الامانة ليكون عند ظن صاحبه ولا تكتموا
الشهادة محمول على الوجوب فانه اثم قلبه معناه قد تعلق
به الاثم اللاحق عن المعصية في ضمان الشهادة وارتفع اثم
بانه خبر ان وقلبه فاعل به ويجوز ان يكون قلبه مبتدا
واثم خبره وانما اسند الاثم الى القلب وان كان جملة الكاتم
هي الاثمة لان الكتمان من فعل القلب اذ هو يضمرها ولئلا
يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية مقتضاها
المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب سوا ابدوه او اخفوه
ثم المعاقبة على ذلك لمن يشا الله او الغفران لمن يشاء الله
وفي ذلك اشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها
ففي الحديث الصحيح عن ابي هريرة لما نزلت شق ذلك على
الصحابة وقالوا اهلكنا ان حوسبنا بخواطر انفسنا فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا فقالوها

فانزل

فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكشف عنهم
الكربة ونسخ بذلك هذه الاية وقيل هي في معنى كتم الشهادة
وابدايها وذلك محاسب به وقيل يحاسب الله خلقه على ما في
نفوسهم ثم يغفر للمومنين ويعذب الكافرين والمنافقين والصحيح
التاويل الاول لوروده في الحديث وقد ورد ايضا عن ابن
عباس وغيره فان قيل الاية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ
فالجواب ان النسخ انما وقع في المواخذة والمحاسبة وذلك
حكم يصح دخول النسخ فيه فلفظ الاية خبر ومعناها حكم
فيغفر ويعذب قري بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما
على تقدير فهو يغفر امن الرسول الاية سببها ما تقدم في
حديث ابي هريرة لما قالوا سمعنا واطعنا مدحهم الله بهذه
الاية وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم والمومنون عطف
على الرسول او مبتدا فعلى الاول يوقف والمومنون وعلى
الثاني يوقف من ربه والاول احسن كل امن ان كان المومنون
معطوفا فكل عموم في الرسل والمومنون وان كان مبتدا
فكل عموم في المومنين ووحد الضمير في امن على معنى كل
واحد منهم امن وكتبه قري بالجمع كل كتاب انزله الله وقري
بالتوحيد يريد القران او الجنس لا نفرق بين احد من رسله
التقدير يقولون لا نفرق والمعنى لا نفرق بين احد من الرسل
وبين غيرهم في الايمان بل نومن بجميعهم ولسنا كاليهود والنصارى
الذين يومنون ببعض ويكفرون ببعض قالوا سمعنا واطعنا
حكاية قول المومنين على وجه المدح لهم غفرانك مصدر
والعامل فيه مضمر ونصب على المصدرية تقديره اغفر غفرانك
وقيل على المفعولية تقديره نطلب غفرانك واليك المصير
اقرار بالبعث مع تذلل وانقياد وهنا تمت حكاية المومنين

لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق وهو جائز عقلا عند الاشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة واتفقوا على انه لا يقع في الشريعة لها ما كسبت اي من الحسنات وعليها ما اكتسبت اي من السيئات وجاءت العبارة بلها في الحسنات لانها مما ينتفع العبد به وجاءت في السيئات بعليها لانها مما يضر بالعبد وانما قال في الحسنات كسبت وفي الشر اكتسبت لان في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة امر الله ويتعداه بخلاف الحسنات فانه فيها على الجادة من غير تكلف ولان السيئات يجد في فعلها لميل النفس فجعلت لذلك مكتسبة ولما لم يكن الانسان في الحسنات كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي قولوا ذلك في دعائكم ويحتمل ان يكون من تمام حكاية قولهم كما حكى عنهم قولوا سمعنا واطعنا والنسيان هنا هو الذهول الغالب على الانسان والخطا غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد كان يجوز ان يؤاخذ به لولا ان الله رفعه ولا تحمل علينا اصرا التكاليف الصعبة قد كلفت لمن تقدم من الامم كقتل انفسهم وقرض ابدانهم ورفعت عن هذه الامة قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وقيل الاصر المسخ قردة وخنازير ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لانه لا يدعى برفع ما لا يجوز ان يقع ثم ان الشرع رفع وقوعه وتحقيق ذلك ان ما لا يطاق اربعة الاول عقلي محض كتكليف الايمان لمن علم الله انه لا يؤمن فهذا جائز وواقع بالاتفاق والثاني عادي كالطيران في الهوى والثالث عقلي وعادي كالجمع بين

الضدين

الضدين فهذا وان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما والاتفاق على عدم وقوعه والرابع تكليف ما يشق ويصعب فهذا جائز اتفاقا فقد كلفه الله من تقدم من الامم ورفعه عن هذه الامة واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق ان العفو ترك المؤاخذه بالذنب والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر والرحمة تجمع ذلك مع التفضيل بالانعام مولانا ولينا وسيدنا

سورة ال عمران

نزل صدرها الى نيف وثمانين اية لما قدم نصارى نجران المدينة المنوره يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام الم تقدم الكلام على حروف الهجا وقرا الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس وقال الزمخشري هي حركة الهمزة نقلت الى الميم وهذا ضعيف لانها الف وصل تسقط في الدرج الحي القيوم رد على النصارى في قولهم ان عيسى هو الله لانهم زعموا انه صلب فليس بحي ولا بقيوم الكتاب هنا هو القران بالحق اي تضمن الحق من الاخبار والاحكام وغيرها او بالاستحقاق مصدقا قد تقدم في مصدقا لما معكم بين يديه الكتب المتقدمة التوراة والانجيل اعجميان فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما وانزل الفرقان هو القران وانما كرر ذكره ليصفه بانه المفرق بين الحق والباطل ويحتمل ان يكون ذكره اولا على وجه الاثبات لانزاله بقوله مصدقا لما بين يديه ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به كما قال في التوراة والانجيل هدى للناس فكانه قال وانزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الاول عليه فما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا وقيل الفرقان هنا هو كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره وقيل هو الزبور وهذا بعيد

لايخفي عليه شي خبر عن احاطة علم الله بجميع الاشيا علي التفصيل وهذه
صفة لم تكن لعيسي ولا لغيره فهو ذلك رد علي النصاري هو الذي يصوركم
برهان علي اثبات علم الله المذكور قبل وفيه رد علي النصاري لان
عيسي لايقدر علي التصوير بل كان مصورا كسائر بني ادم كيف يشا
من طول وقصر وحسن وقبح ولون وغير ذلك منه ايات محكمات
المحكم من القران هو البين المعني الثابت الحكم والمتشابه هو الذي
يحتاج الي التاويل او يكون مستغلق المعني كحروف الهجا قال ابن
عباس المحكمات الناسخات والحلال والحرام والمتشابهات
المنسوخات والمقدم والموخر وهذا تمثيل لما قبل هذا
ام الكتاب اي عمدة ما فيه ومعظمه فاما الذين في قلوبهم
زيغ نزلت في نصاري نجران فانهم قالوا للنبي صلي الله عليه
وسلم اليس في كتاب الله ان عيسي كلمة الله وروح منه
وروح منه قال نعم قالوا فحسبنا اذا فهذا من المتشابه الذي
اتبعوه وقيل نزلت في ابي ياسر بن اخطب اليهودي واخوه
حيي ثم يدخل في ذلك كل كافر ومبتدع او جاهل يتبع المتشابه
من القران ابتغا الفتنة اي ليفتنوا به الناس وابتغا تاويله اي
يبتغون ان يتاولوه علي ما تقتضي مذاهبهم او يبتغون
ان يصلوا من معرفة تاويله الي ما لايصل اليه مخلوق
وما يعلم تاويله الا الله اخبار بانفراد الله بعلم تاويل المتشابه
من القران وذم لمن طلب علم ذلك من الناس والراسخون في العلم
مبتدا مقطوع مما قبله والمعني ان الراسخين لايعلمون تاويل
المتشابه وانما يقولون امنا به علي وجه التسليم والانقياد
والاعتراف بالعجز عن معرفته وقيل انه معطوف علي ما قبله
وان المعني انهم يعلمون تاويله وكلا القولين مروي عن ابن
عباس والقول الاول قول ابي بكر الصديق وعايشة وعروة

ابن

ابن الزبير وهو ارجح وقال ابن عطية المتشابه نوعين نوع انفرد
الله بعلمه ونوع يمكن وصول الخلق اليه فيكون الراسخون ابتدا
بالنظر الي الاول وعطفا بالنظر الي الثاني كل من عند ربنا اي
المحكم والمتشابه من عند الله ربنا لاتزغ قلوبنا حكاية عن الراسخين
ويحتمل ان يكون منقطعا علي وجه التعليم والاول ارجح لاتصال
الكلام واما قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فهو من كلام الله تعالي
كداب في موضع رفع اي داب هولا كداب ال فرعون وفي ذلك تهديد
والذين من قبلهم عطف علي ال فرعون ويعني بهم قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم والضمير عايد علي ال فرعون باياتنا البراهين
او الكتب ستغلبون وتحشرون قري بالتا الخطاب ليهود المدينة
وقيل لكفار قريش وقري باليا اخبارا عن يهود المدينة وقيل
عن قريش وهو صادق علي كل قول اما اليهود فغلبوا يوم
قريظة والنضير وقينقاع واما قريش ففي بدر وغيرها والاشهر
انها في بني قينقاع لان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعاهم
الي الاسلام بعد غزوة بدر فقالوا له لايغرنك انك قتلت نفرا من
قريش لايعرفون القتال فلو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس
فنزلت الاية ثم اخرجهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
من المدينة قد كان لكم اية قيل خطاب للمومنين وقيل
لليهود وقيل لقريش والاول ارجح انه لبني قينقاع الذين
قيل لهم ستغلبون ففيه تهديد لهم وعبرة لما جري لغيرهم
في فيتين التقتا فيه المسلمون والمشركون يوم بدر ترونهم
مثليهم قري ترونهم بالتا خطابا لمن خوطب بقوله قد كان
لكم اية والمعني ترون الكفار مثلي المومنين ولكن الله ايد
المسلمين بنصره علي قلة عددهم وقري باليا والفاعل في
يرونهم هم المومنون والمفعول به هم المشركون والضمير

في مثليهم للمومنين والمعني علي حسب ماتقدم فان قيل ان الكفار
كانوا يوم بدر اكثر من مثلي المسلمين فالجواب من وجهين احدهما
ان الكفار كانوا ثلاثة امثال المومنين لان الكفار كانوا قريبا من
الف والمومنون ثلاثماية وثلاثة عشر ثم ان الله تعالي قلل
عدد الكفار في اعين المومنين حتي حسبوا انهم مثليهم مرتين
فتجاسروا علي قتالهم اذ ظهر لهم انهم علي ما امروا به من
قتال الواحد للاثنين في قوله ان تكن منكم ماية صابرة
يغلبوا مايتين وهذا المعني موافق لقوله تعالي واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا والاخر ان الله رجع قوم من الكفار
حتي بقي منهم ستماية وستة وعشرون رجلا وذلك قدر عدد
المسلمين مرتين وقيل ان الفاعل في يرونهم ضمير المشركين
والمفعول ضمير المسلمين والضمير في مثليهم يحتمل ان يكون
للمومنين او المشركين والمعني علي هذا ان الله كثر عدد
المسلمين في اعين المشركين حتي حسب الكفار المومنين مثلي
الكافرين او مثلي المومنين وهم اقل من ذلك وانما كثرهم
الله في اعينهم ليرهبون ويرد هذا قوله تعالي ويقللكم في
اعينهم راي العين نصب علي المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة
لاشك فيها والله يويد بنصره من يشا اي النصر مشية الله
لا بالقلة ولا بالكثرة فان فية المسلمين غلبت فية الكافرين
مع انهم كانوا اكثر منهم زين للناس قيل المزين هو الله وقيل
الشيطان ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالايجاد والتهيية للانتفاع
وانشا الجبلة علي الميل الي الدنيا وتزيين الشيطان بالوسوسة
والخديعة والقناطير جمع قنطار وهو الف وماتينا اوقية وقيل
الف وماتيا مثقال وكلاهما مروي عن النبي صلي الله عليه
وسلم المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتاكيد كقولهم الف

مولفة

مولفة وقيل المضروبة دنانيرا ودراهم المسومة الراعية من قولك
سام الفرس وغيره اذا جال في المسارح وقيل المعلمة في وجوهها
سيات فهو من السما بمعني العلامة وقيل المعدة للجهاد ذلك
متاع الحياة الدنيا يحقر لها ليزهد فيها الناس قل اونبيكم
بخير من ذلكم تفضيل للاخرة علي الدنيا ليرغب فيها وتم الكلام
في قوله من ذلكم ثم ابتدا قوله للذين اتقوا تفسيرا لذلك
فجنات علي هذا مبتدا وخبره للذين اتقوا وقيل ان قوله
للذين اتقوا متعلق بما قبله ويتم الكلام في قوله للذين عند
ربهم فجنات علي هذا خبر ابتدا مضمر ورضوان من الله زيادة الي
نعيم الجنة وهي اعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث
الذين يقولون نعت للذين اتقوا ورفع بالابتدا او نصب باضمار
فعل الصادقين في الاقوال والافعال والقانتين العابدين
والمطيعين والمستغفرين الاستغفار هو طلب المغفرة قيل
لرسول الله صلي الله عليه وسلم كيف نستغفر فقال قولوا
اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
بالاسحار جمع سحر وهو اخر الليل تيال انه الثلث الاخر
وهو الذي ورد ان الله يقول حينيذ من يستغفرني فاغفر له
شهد الله الاية شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية
وقيل معناها اعلامه لعباده بذلك والملايكة واولوا العلم
عطف علي اسم الله لهم يشهدا بالوحدانية ويعني باولي العلم
العارفين بالله الذين يقيمون البراهين علي وحدانيته قايما
منصوب علي الحال من اسم الله او من هو او منصوب علي المدح
بالقسط بالعدل لا اله الا هو انما كرر التهليل لوجهين احدهما
انه ذكر اولا الشهادة بالوحدانية ثم ذكرها بعد ثبوتها
بالشهادة المتقدمة والاخر ان ذلك تعليم لعباده ليكثروا

وهو
من قولها ان الدين بكسر الهمزة ابتداء وبفتحها بدل من انه وهو بدل شي من شي لان التوحيد هو الاسلام وما اختلف الذين ولا اية اخبار انهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقايق من اجل البغي وهو الحسد والاية في اليهود وقيل في النصارى وقيل فيهما سريع الحساب قد تقدم معناه في البقره وهو هنا تهديد ولذلك وقع في جواب من يكفر حاجوك اي جادلوك في الدين والضمير لليهود ونصارى نجران اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وجملتي لله وعبر بالوجه عن الجملة ومعنى الاية اقامة الحجة عليهم لان من اسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك فسقطت حجة من خالفه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت ويجوز ان يكون مفعولا معه اسلمتم تقديره بعد اقامة الحجة عليهم اي قد جاكم من البراهين ما يقتضي ان تسلموا فانما عليك البلاغ اي انما عليك ان تبلغ رسالة ربك فاذا بلغتها فقد فعلت ما عليك وقيل ان فيها موادعة نسختها اية السيف ان الذين يكفرون الاية نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيد على قبح افعالهم وافعال اسلافهم الذين اوتوا نصيبا من الكتاب هم اليهود والكتاب هنا التوراة او جنس يدعون الى كتاب الله ابن عباس دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحرث بن زيد فقالوا له على اي دين انت قال على دين ابراهيم فقالوا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابوا عليه فنزلت الاية فكتاب الله على هذا التوراة وقيل هو القران كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم اليه فيعرضون عنه ذلك بانهم الاشارة الى اعراضهم عن كتاب الله والباسية والمعنى ان

كفرهم

كفرهم بسبب اغترارهم واكاذيبهم والايام المعدودة قد ذكرت في البقرة فكيف اذا جمعناهم اي كيف يكون حالهم يوم القيامة والمعنى تهويل واستعظام لما اعد لهم اللهم منادى والميم فيه عوض عن حرف النداء عند البصريين ولذلك لا يجتمعان وقال الكوفيون اصله يا الله امنا بخير فالميم عندهم من امنا مالك الملك منادى عند سيبويه واجاز الزجاج ان يكون صفة لاسم الله وقيل ان الاية نزلت ردا على النصارى في قولهم ان عيسى هو الله لان هذه الاوصاف ليست لعيسى وقيل لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان امته يفتحون ملك كسرى وقيصر استبعد ذلك المنافقون فنزلت الاية بيدك الخير قيل المراد بيدك الخير والشر فحذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل انما خص الخير بالذكر لان الاية في معنى دعا ورغبة فكان نقول بيدك الخير فاجزل حظي منه يخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي عبد الله بن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حيا وهي ميته وقال عكرمة هي اخراج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج الكافر من المومن والمومن من الكافر فالحياة والموت على هذا استعارة وفي ذكر الحي مع الميت المطابقة وهي من ادوات البيان وفيه ايضا القلب لانه قدم الحي على الميت ثم عكس بغير حساب بغير تضييق وقيل بغير محاسبة لا يتخذ المومنون الاية عامة في جميع الاعصار وسببها ميل بعض الانصار الى بعض اليهود وقيل كتاب حاطب الى مشركي قريش فليس من الله في شي تبري ممن فعل ذلك ووعيد على موالات الكفار وفي الكلام حذف تقديره ليس من التقرب الى الله في شي وموضع في شي نصب على الحال من

٢

الضمير في ليس من الله قاله ابن عطية الا ان تتقوا منهم اباحة
لموالاتهم ان خافوا منهم والمراد موالاة في الظاهر مع البغضا
في الباطن تقاة وزنه فعله بضم الفا وفتح العين وفاؤه واو
وابدل منها تا ولامه يا ابدل منها الف وهو منصوب على
المصدرية ويجوز ان ينصب على الحال من الضمير في تتقوا
ويحذركم الله نفسه تخويف يوم تجد منصوب على الظرفيه
والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكروا وخافوا وقيل العامل
فيه تحذير وقيل المصير وقيل ويحذركم ما عملت من سوء
مبتدا خبره تود او معطوف امدا اي مسافة والله روف
ذكر بعد التحذير تانيسا لئلا يفرط الخوف او لان التحذير
والتنبيه رافة فاتبعوني جعل اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
علامة على محبة العبد لله تعالى وشرطا في محبة الله للعبد
ومغفرته له وقيل ان الاية خطاب لنصارى نجران اخذ
يبين لهم ما اختلفوا فيه واشكل عليهم من امر عيسى عليه
السلام وكيفية ولادته وبدا بذكر ادم ونوح عليهما السلام
تكميلا للامر لانهما ابوان لجميع الانبيا ثم ذكر ابراهيم تدريجا
الى ذكر عمران والى مريم ام عيسى عليه السلام وقيل ان
عمران هنا هو والد موسى وبينهما الف وثمانماية سنة
والاظهر ان المراد هنا والد مريم لذكر قصتها بعد ذلك ال ابراهيم
وال عمران يحتمل ان يكون يريد بالال القرابة او الاتباع وعلى
الوجهين يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ال ابراهيم
ذرية بدل مما تقدم او حال ووزنه فعيله منسوب الى الذر
لان الله تعالى اخرج الخلق من صلب ادم كالذر وغير اوله
في النسب وقيل اصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم ابدل
من الرا الاخيرة يا فصار ذروية ثم ادغمت الواو في اليا و

وكسرت

وكسرت الرا فصار ذرية اذ قالت العامل فيه محذوف تقديره اذكر
وقيل عليم وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفا امراة عمران
اسمها حنة بالنون وهي ام مريم وعمران هنا والد مريم
نذرت اي جعلت نذرا على ان يكون هذا الولد الذي في بطني
حبسا على خدمة بيتك وهو بيت المقدس محررا اي عتيقا
من كل شغل الا خدمة المسجد فلما وضعتها الاية كانوا لا يحررون
الاناث لخدمة المساجد فقالت اني وضعتها انثى تحسرا
وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت والله اعلم بما
وضعت قرى وضعت باسكان التا وهو من كلام الله تعظيما
لموضوعها وقرى بضم التا واسكان العين وهو على هذا سكون
من كلامها وليس الذكر كالانثى يحتمل ان يكون من كلام الله فالمعنى
ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لك وان يكون
من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالانثى في خدمة المساجد
لان الذكور كانوا يخدمونها دون الاناث سميتها مريم انما قالت
لربها سميتها مريم لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت
بذلك التقرب الى الله ويوخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته
وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتانيث وفيه ايضا العجمة
واني اعيذها بك ورد في الحديث ما من مولود الا نخسه الشيطان
يوم يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها لقوله واني اعيذها
بك الاية فتقبلها ربها اي رضيها للمسجد مكان الذكر بقبول
حسن فيه وجهان احدهما ان يكون مصدرا على غير الصدر
والاخر ان يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط
به وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشاة وكفلها
زكريا اي ضمها الى انفاقه وحضانته والكافل هو الحاضن
وكان زكريا زوج اختها وقرى كفلها بتشديد الفا ونصب

زكريا اي جعله الله كافلها المحراب في اللغة اشرف المجالس وبذلك
سمي موضع الامام ويقال ان زكريا بني له غرفة في المسجد وهي
المحراب هنا وقيل المحراب موضع العباده وجد عندها رزقا
كان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا
ويقال انها لم ترضع ثديا قط وكان الله يرزقها اني لك هذا
اي كيف ومن اين ان الله يرزق من كلام مريم او من كلام الله
تعالي هنالك اشارة الي مكان وقد يستعمل في الزمان وهو الاظهر
هنا اي لما راء زكريا كرامة الله تعالي لمريم سال من الله الولد
فنادته الملايكة انث رعاية للجماعة وقري بالالف علي التذكير
وقيل الذي ناداه جبريل وحده وانما قيل الملايكة كقولهم
فلان يركب الخيل اي جنس الخيل وان كان فرسا واحدا يحيي
اسم سماه الله به قبل ان يولد وهو اسم بالعبرانية صادف
اشتقاقا وبنا في العربية وهو لا ينصرف فان كان اعجميا ففيه
العجمة وان كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة
من الله اي مصدقا بعيسي عليه السلام مومنا به وسمي عيسي
كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن لا بسبب
اخر وهو الوالد كساير بني ادم وسيدا السيد هو الذي يسود قومه
في الفضل والشرف وحصورا اي لا ياتي النسا فقيل خلقه الله
كذلك وقيل كان يمسك نفسه وقيل الحصور الذي لا ياتي
الذنوب اني يكون لي غلام تعجب واستبعاد ان يكون له ولد مع
شيخوخته وعقم امراته ويقال كان له تسع وتسعون سنة
ولامراته ثمان وتسعون سنة فاستبعد ذلك في العادة مع
علمه بقدرة الله تعالي علي ذلك وساله لعلمه بقدرة الله
واستبعده لانه نادر في العادة وقيل ساله وهو شاب
واجيب وهو شيخ ولذلك استبعده كذلك الله اي مثل هذه

الفعلة

الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشا فالكاف لتشبيه افعال الله العجيبة بهذه
الفعلة والاشارة بذلك الي هبة الولد لزكريا واسم الله مرفوع
بالابتدا وكذلك خبره فيجب وصله معه وقيل ان الخبر يفعل
الله ما يشا ويحتمل كذلك علي هذا وجهين احدهما ان يكون في
موضع الحال من فاعل يفعل والاخر ان يكون في موضع خبر
مبتدا محذوف تقديره الامر كذلك او انتما كذلك وعلي هذا
الوقف علي كذلك والاول ارجح لاتصال الكلام وارتباط قوله
يفعل ما يشا مع ما قبله ولان له نظاير في القران كثيرة في
القران منها قوله كذلك اخذ ربك اجعل لي اية اي علامة علي
حمل المراة ايتك ان لا تكلم الناس اي علامتك ان لا تقدر علي كلام
الناس ثلاثة ايام بمنع لسانه عن ذلك مع ابقا الكلام بذكر الله
ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وانما حبس لسانه عن الكلام
تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا علي استجابة دعايه
ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر الا رمزا اشارة باليد
او بالراس او غيرها فهو استثنا منقطع العشي من زوال الشمس
الي غروبها والابكار من طلوع الفجر الي الضحي واذ قالت الملايكة
اختلف هل المراد جبريل او جمع من الملايكة والعامل في اذ
مضمر اصطفاك اولا حين تقبلك من امك وطهرك من كل عيب
في خلق او خلق او دين واصطفاك علي نسا العالمين
يحتمل ان يكون هذا الاصطفا مخصوصا بان وهب لها عيسي من
غير اب فيكون علي نسا العالمين عام او يكون الاصطفا عاما
فيخص من نسا العالمين خديجة وفاطمة او يكون المعني علي
نسا زمنها وقد قيل بتفضيلها علي الاطلاق وقيل انها كانت
نبية لتكليم الملايكة لها اقنتي القنوت هنا بمعني الطاعة
والعباده وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول الاكثرين

واسجدي واركعي امرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونهما
من هيئة الصلاة واركانها ثم قيل لها اركعي مع الراكعين بمعني
ولتكن صلاتك مع المصلين او في الجماعة فلا يقتضي الكلام علي هذا
تقديم السجود علي الركوع لانه لم يرد الركوع والسجود المنضمتين
في ركعة واحدة وقيل اراد ذلك وقدم السجود لان الواو لا ترتب
ويحتمل ان تكون الصلاة في ملتهم بتقدم السجود علي الركوع
ذلك اشارة الي ما تقدم من القصص وهو خطاب للنبي صلي الله
عليه وسلم ما كنت لديهم احتجاجا علي نبوته صلي الله عليه وسلم
لكونه اخبر بهذه الاخبار وهو لم يحضر معهم يلقون اقلامهم اي
ازلامهم وهي قداحهم وقيل الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة
اقترعوا بها علي كفالة مريم حرصا عليها وتنافسا في كفالتها
وتدل الاية علي جواز القرعة وقد ثبتت ايضا من السنة ايهم
يكفل مريم مبتدا وخبره في موضع نصب بفعل تقديره ينظرون
ايهم يختصمون يختلفون فيمن يكفلها منهم اذ قالت الملايكة
اذ بدل من اذ قالت او من اذ يختصمون والعامل فيه مضمر
اسمه اعاد الضمير المذكور علي الكلمة لان المسمي بها ذكر المسيح
قيل هو مشتق من ساح في الارض فوزنه مفعل وقال الاكثرون
من مسح لانه مسح بالبركة فوزنه فعيل وانما قيل عيسي
ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه اليها اعلاما بانه يولد من غير
والد وجيها نصب علي الحال ووجاهته في الدنيا النبوة والتقدم
علي الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة
في المهد في موضع الحال وكهلا عطف عليه والمعني انه يكلم الناس
صغيرا اية تدل علي براة امه مما قذفها به اليهود وتدل
علي نبوته ويكلمهم ايضا كبيرا ففيه اعلام بعيشه الي
ان يبلغ سن الكهولة وله ثلاث وثلاثون سنة او اربعون

ويعلمه عطف علي يبشرك او علي ويكلم الكتاب هنا جنس وقيل
الخط باليد والحكمة هنا العلوم الدينية او الاصابة في القول
والفعل ورسولا حال معطوفة علي ويعلمه اذ التقدير ومعلما
الكتاب او بضمر له فعل تقديره ارسل رسولا او جا رسولا
الي بني اسرايل ارسل اليهم عيسي عليه السلام مبينا لحكم
التوراة اني تقديره باني اخلق بفتح الهمزة بدل من اني الاول
او من اية وبكسرها ابتدا كلام فانفخ فيه ذكر هنا الضمير لانه
يعود علي الطير او علي الكاف من كهيئة وانث في المايدة
لانه يعود علي الهيئة فيكون طيرا قيل انه لم يخلق غير الخفاش
وقري طيرا بيا ساكنة علي الجمع وبالالف وهمزة علي الافراد
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم في عيسي الربوبية وابري
روي انه كان يجتمع اليه جماعة من العميان والبرصا فيدعوا
لهم فيبرون واحيي الموتي روي انه كان يضرب بعصاه الميت
او القبر فيقوم الميت ويكلمه وروي انه احيا سام بن نوح
وانبيكم كان يقول يا فلان اكلت او ادخرت في بيتك كذا
ومصدقا عطف علي رسولا او علي موضع باية من ربكم لانه
في موضع الحال وهو احسن لانه من جملة كلام عيسي فالتقدير
جيتكم باية وجيتكم مصدقا ولاحل لكم عطف علي باية
من ربكم وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الابل واشيا من
الحيتان والطير فاحل لهم عيسي بعض ذلك ربي وربكم
رد علي من نسب الربوبية لعيسي وانتهي كلام عيسي عليه
السلام الي قوله صراط مستقيم وابتداوه من قوله
اني قد جيتكم وكل ذلك يحتمل ان يكون مما ذكرت الملايكة
لمريم حكاية عن عيسي عليه السلام انه سيقوله ويحتمل
ان يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استونف الكلام من قوله

رسولا علي تقدير جا عيسي رسولا باني قد جيتكم باية من ربكم
ثم استمر كلامه الي اخره فلما احس عيسي اي علم علما ظاهرا
كعلم ما يدرك بالحواس من انصاري طلب النصرة والانصار جمع
ناصر الي الله تقديره من يضيف انفسهم في نصرتي الي الله
فلذلك قيل هنا بمعني مع او يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا
الي الله او ملتجيا الي الله الحواريون حواري الرجل صفوته
وخاصته ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقيل ان الحواريين
كانوا قصارين يحورون الثياب اي نقيضه ونقا سماهم الحوارين
بما انزلت يريدون الانجيل والرسول هنا عيسي عليه
السلام مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بالحق من الامم
وقيل مع امة محمد صلي الله عليه وسلم لانهم يشهدون
علي الناس ومكروا الضمير لكفار بني اسرايل ومكرهم انهم
وكلوا بعيسي من يقتله غيلة ومكر الله اي رفع عيسي الي
السماء والقي شبهه علي من اراد اغتياله حتي قتل
عوضا منه وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله مكروا
والله خير الماكرين اي اقواهم وهو فاعل ذلك بحق والماكر
من البشر فاعل بباطل اذ قال الله العامل فيه فعل مضمر
او مكر اني متوفيك قيل وفاة موت ثم احياه الله في السما
وقيل رفع حيا ووفات الموت بعد ان ينزل الي الارض فيقتل
الدجال وقيل يعني وفات نوم وقيل المعني قابضك من
الارض الي السما ورافعك اي الي السما ومطهرك اي من سو
جوارهم الذين اتبعوك هم المسلمون وعلوهم علي الكفار بالحجة
وبالسيف في غالب الامر وقيل الذين اتبعوك النصاري
والذين كفروا اليهود فالاية مخبرة عن عزة النصاري علي

اليهود

اليهود واذلالهم لهم ذلك نتلوه اشارة الي ما تقدم من الاخبار
من الايات المتلوات او المعجزات الذكر القران الحكيم الناطق بالحكمة
ان مثل عيسي الاية حجة علي النصاري في قولهم كيف يكون
ابن دون اب فمثله الله بادم الذي خلقه الله دون ام ولا اب
وذلك اغرب مما استبعدوه فهو اقطع لقولهم خلقه من تراب
تفسير لحال ادم فيكون حكاية حال ماضية والاصل لو
قال خلقه من تراب ثم قال له كن فكان لكنه وضع المضارع
موضع الماضي ليصور في نفوس المخاطبين ان الامر كان حاضر
دايم الحق خبر ابتدا مضمر فمن حاجك فيه اي في عيسي وكان
الذي حاجه فيه وفد نجران من النصاري وكان لهم سيدان
يقال لاحدهما السيد والاخر العاقب نبتهل نلتعن والبهلة
اللعنة اي نقول لعنة الله علي الكاذب منا ومنكم هذا اصل
الابتهال ثم استعمل في كل دعا يجتهد فيه ولم يكن لعنة ولما
نزلت الاية ارسل رسول الله صلي الله عليه وسلم الي
علي وفاطمة والحسن والحسين ودعا نصاري نجران
الي الملاعنة فخافوا ان يهلكهم الله او يمسخهم الله قردة وخنازير
فابوا من الملاعنة واعطوا الجزية قل يا اهل الكتاب خطاب
لنصاري نجران وقيل اليهود سوا عدل ونصف ان لا نعبد
بدل من كلمة او رفع علي تقدير هي ودعاهم صلي الله عليه
وسلم الي توحيد الله وترك ما عبدوا من دونه كالمسيح
والاحبار والرهبان لم تحاجون في ابراهيم قالت اليهود كان
ابراهيم يهوديا وقالت النصاري كان نصرانيا فنزلت
الاية ردا عليهم لان ملة اليهود والنصاري انما وجدت.
بعد موت ابراهيم بمدة طويلة هانتم ها تنبيه وقيل بدل من
همزة الاستفهام وانتم مبتدا وهولا خبره وحاججتم استيناف

او هولا منصوب علي التخصيص وحاججتم الخبر فيما لكم به علم
فيما نطقت به التوراة والانجيل فيما ليس لكم به علم ما تقدم
علي ذلك من حال ابراهيم ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
رد علي اليهود والنصاري من المشركين نفي للاشراك الذي هو
عبادة الاوثان ودخل في ذلك الاشراك الذي تتضمن دين
اليهود والنصاري وهذا النبي عطف علي الذين اتبعوه اي
محمد صلي الله عليه وسلم اولي الناس بابراهيم لانه علي دينه
والذين امنوا امة محمد صلي الله عليه وسلم ودت طايفة
هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الي اليهودية وما يضلون
الا انفسهم اي لا يعود وبال الاضلال الا عليهم وانتم تشهدون اي
تعلمون ان محمدا صلي الله عليه وسلم نبي لم تلبسون الحق اي
تخلطون والحق نبوة محمد صلي الله عليه وسلم والباطل الكفر به
امنوا بالذي انزل كان قوم من اليهود لعنهم الله اظهروا الاسلام
اول النهار ثم كفروا اخره ليخدعوا المسلمين فيقولوا ما رجع هولا
الا عن علم وقال السهيلي ان هذه الطايفة هم عبد الله بن
الصيف وعدي بن زيد والحرث بن عمر ان يوتي احد مثل ما اوتيتم
يحتمل ان يكون من تمام الكلام الذي امر النبي صلي الله عليه
وسلم ان يقوله منفصلا بقوله ان الهدي هدي الله وان
يكون من كلام اهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم ويكون ان الهدي اعتراضا بين الكلامين فعلي
الاول يكون المعني كراهة ان يوتي احد مثل ما اوتيتم قلتم
ما قلتم ودبرتم ما دبرتم من الخداع فموضع ان يوتي مفعول من
اجله او منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا ان يوتي
احد مثل ما اوتيتم من الكتاب والنبوة وعلي الثاني فيكون
المعني لا تومنوا اي لا تقروا بان يوتي احد مثل ما اوتيتم الا لمن

تبع

تبع دينكم واكتموا ذلك عمن لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم الي الاسلام
فموضع ان يوتي مفعول بتومنوا المتضمن معني تقروا ويمكن ان
يكون في موضع المفعول من اجله اي لا تومنوا الا لمن تبع دينكم
كراهة ان يوتي احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عطف علي ان
يوتي وضمير الفاعل للمسلمين وضمير المفعول لليهود ان الفضل
بيد الله رد علي اليهود في قولهم لم يوت الله احد مثل ما اوتي
بنو اسرايل من النبوة والشرف من اهل الكتاب الاية اخبار
ان اهل الكتاب علي قسمين امين وخاين وذكر القنطار مثالا
للكثير فمن اداه ادي ما دونه وذكر الدينار مثالا للقليل
فمن منعه منع ما فوقه بطريق الاولي قايما يحتمل ان يكون من
القيام الحقيقي بالجسد او من القيام بالامر وهو العزيمة عليه
ذلك بانهم الاشارة الي خيانتهم والباء للتعليل ليس علينا
زعموا بان اموال الاميين وهم العرب حلال لهم بعهده الضمير
يعود علي من او علي الله ان الذين يشترون الاية قيل نزلت
في اليهود لانهم تركوا عهد الله في التوراة لاجل الدنيا وقيل
نزلت بسبب خصومة بين الاشعث بن قيس واخر فاراد
خصمه ان يحلف كاذبا وان منهم الضمير عايد علي اهل الكتاب
يلوون السنتهم اي يحرفون اللفظ او المعني لتحسبوه الضمير
يعود علي ما دل عليه قوله يلوون السنتهم وهو الكلام
المحرف ما كان لبشر الاية هذا النفي يتسلط ثم يقول للناس
والمعني لا يدعي الربوبية من اتاه الله النبوة والاشارة الي
عيسي عليه السلام رد علي النصاري الذين قالوا انه الاله
وقيل الي محمد صلي الله عليه وسلم لان اليهود قالوا له
يا محمد تريد ان نعبدك كما عبدت النصاري عيسي فقال
معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت ربانيين جمع رباني

بعضا را العلم قبل كبا ره
وهو العالم وقيل الرباني الذي يربي الناس
بما كنتم الباء سببيه وما مصدريه تعلمون بالتخفيف تعرفون
و قري بالتشديد من التعليم ولا يامركم بالرفع استيناف والفاعل
الله او البشر المذكور و قري بالنصب عطف علي ان يو تيه
او علي ثم يقول والفاعل علي هذا البشر واذ اخذ الله ميثاق
النبيين معني الاية ان الله اخذ العهد والميثاق علي كل نبي ان
يومن بمحمد صلي الله عليه وسلم وينصره ان ادركه وتضمن
ذلك اخذ هذا الميثاق علي امم الانبيا واللام في قوله لما اتيتكم
لام التوطية لان اخذ الميثاق في معني الاستحلاف واللام في
لتومنن جواب القسم وما يحتمل ان تكون شرطيه ولتومنن
سد مسد جواب القسم والشرط وان تكون موصوله بمعني
الذي اتيناكموه لتومنن به والضمير في به ولتنصرنه عايد
علي الرسول اقررتم اعترفتم اصري عهدي فاشهدوا اي علي
انفسكم وعلي اممكم فالتزام هذا العهد وانا معكم تاكيد للعهد
بشهادة رب العزة جل جلاله بعد ذلك اي من تولي عن الايمان
بمحمد النبي صلي الله عليه وسلم بعد هذا الميثاق فهو
فاسق متمرد في كفره افغير الهمزة للانكار والفاعطفت جملة
علي جملة وغير مفعول قدم للاهتمام به او للحصر وله اسلم
اي انقاد واستسلم طوعا وكرها مصدر في موضع الحال والطوع
للمومنين والكره للكافر حين اذا عاين العذاب الموت وعند اخذ
الميثاق المتقدم وقيل اقرار كل كافر بالصانع هو اسلامه
كرها قل امنا امر النبي صلي الله عليه وسلم عن نفسه وعن
امته بالايمان وما انزل علينا تعدي هنا بعلي مناسبة لقوله
قل و في البقرة بالي لقوله قولوا لان علي حرف استعلا يقتضي
النزول من علو و نزوله علي هذا المعني مختص بالنبي صلي

الله

الله عليه وسلم والي حرف غاية وهو موصل الي جميع الامة
ومن يبتغ الاية ابطال لجميع الاديان غير الاسلام وقيل نسخت
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصاري الاية كيف سوال
والمراد به هنا استبعاد الهدي قوما كفروا انزلت في الحرث بن
سويد وغيره اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا الي اهلهم
هل لنا من توبة فنزلت الاية الي قوله الا الذين تابوا فرجعوا
الي الاسلام وقيل نزلت في اليهود والنصاري شهدوا
بصفة النبي صلي الله عليه وسلم وامنوا به ثم كفروا
به لما بعث وشهدوا عطف علي ايمانهم لان معناه بعد ان
امنوا وقيل الواو للحال وقال ابن عطية عطف علي كفروا
والواو لا ترتب والناس اجمعين عموم بمعني الخصوص في المومنين
او علي عمومه وتكون اللعنة في الاخرة خالدين فيها الضمير
عايد علي اللعنة وقيل علي النار وان لم تذكر لان المعني
يقتضيها ثم ازدادوا كفرا قيل هم اليهود كفروا بعيسي
بعد ايمانهم بموسي ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلي الله عليه وسلم
وقيل كفروا بمحمد صلي الله عليه وسلم بعد ما كانوا مومنين
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا وابعدا وتهم له وطعنهم عليه
وقيل هم الذين ارتدوا لن تقبل توبتهم قيل ذلك عبارة عن
موتهم علي الكفر اي ليس لهم توبة فتقبل وذلك في قوم باعيانهم
ختم الله لهم بالكفر وقيل لن تقبل توبتهم مع اقامتهم علي
الكفر والواو في قوله ولو افتدي به قيل زايدة وقيل
للعطف علي محذوف كانه قيل لن يقبل من احدهم
لو تصدق به ولو افتدي به وقيل نفي اولا القبول جملة
علي الوجوه كلها ثم خص الفدية بالنفي كقولك انا لا افعل
كذا اصلا ولو رغبت الي لن تنالوا البر اي لن تكونوا من الابرار

اولن تنالوا البر الكامل حتي تنفقوا مما تحبون من اموالكم ولما
نزلت قال ابو طلحة ان احب اموالي الي بيرحا وانها صدقة
وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول اني لاحبه كل الطعام
الاية اخبار ان الاطعمة كانت حلالا لبني اسرايل الا ما حرم
اسرايل ابوهم علي نفسه وهو لحم الابل ولبنها ثم حرمت عليهم
انواع من الاطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم علي
معاصيهم وفيها رد عليهم في قولهم انهم علي ملة ابراهيم
عليه السلام وان الاشيا التي محرمة كانت محرمة علي ابراهيم
وفيها دليل علي جواز النسخ ووقوعه لان الله حرم عليهم
تلك الاشيا بعد حلها خلافا لليهود في قولهم ان النسخ محال علي
الله وفيها معجزة للنبي صلي الله عليه وسلم لاخباره بذلك
من غير تعلم من احد وسبب تحريم اسرايل لحوم الابل علي نفسه
انه مرض فنذر ان شفاه الله ان يحرم احب الطعام اليه شكرا
لله وتقربا اليه ويوخذ من ذلك انه يجوز للانبيا ان يحرموا
علي انفسهم باجتهادهم فاتوا بالتوراة لتعجيز اليهود واقامة
حجة عليهم وروي انهم لم يجسروا علي اخراج التوراة فمن
افتري اي من زعم بعد هذا البيان ان الشحم وغيره كان محرما
علي بني اسرايل قبل نزول التوراه فهو الظالم المكابر
بالباطل صدق الله اي الامر كما تكذبون انتم ففيه تعريض
بكذبهم فاتبعوا ملة ابراهيم الزام لهم ان يسلموا لما ثبت ان
ملة الاسلام هي ملة ابراهيم التي لم يحرم فيها شي مما هو
محرم عليهم ان اول بيت اي اول مسجد بني في الارض وقد سال
ابو ذر النبي صلي الله عليه وسلم اي مسجد بني اول قال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه المعني اول بيت وضع مباركا وهدي وقد كانت

قبله

91

قبله بيوت ببكة قيل هي مكة والبا زايدة من الميم وقيل مكة الحرم
كله وبكة المسجد وما حوله مباركا نصب علي الحال والعامل فيه
علي قول علي وضع مباركا حال من الضمير الذي فيه وعلي القول الاول
هو حال من الضمير الذي في المجرور والعامل فيه العامل في المجرور
من معني الاستقرار فيه ايات بينات ايات البيت كثيرة منها الحجر
الذي هو مقام ابراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من
البيت فكان كلما طال البنا ارتفع به الحجر في الهوي حتي اكمل البنا
وغرقت قدم ابراهيم في الحجر كانه طين وذلك الاثر باق الي اليوم
ومنها ان الطير لا تعلوه ومنها اهلاك اصحاب الفيل ورد الجبابره
منه ونبع زمزم لهاجر ام اسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد
المطلب بعد دثورها وان ماها ينفع لما شرب له الي غير ذلك
مقام ابراهيم قيل انه بدل من الايات او عطف بيان وانما جاز
بدل الواحد من الجمع لان المقام يحتوي علي ايات كثيرة لانه
علي قدرة الله وعلي نبوة ابراهيم وغير ذلك وقيل الايات مقام
ابراهيم وامن من دخله فعلي هذا يكون من دخله عطفا وعلي
الاول استينافا وقيل التقدير منهن مقام ابراهيم فهو علي هذا
مبتدا والمقام هو الحجر المذكور وقيل البيت كله وقيل مكة كلها
كان امنا اي امنا من العذاب فانه كان في الجاهلية اذا فعل احد
جريرة ثم لجا الي البيت لا يطلب ولا يعاقب فاما في الاسلام فان
الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص وقال ابن عباس وابو حنيفة
ذلك الحكم باق في الاسلام الامن وجب عليه حد او قصاص فدخل
الحرم لا يطعم ولا يبايع منه حتي يخرج وقيل امنا من النار حج البيت
بيان لوجوب الحج واختلف هل هو علي الفور او علي التراخي وفي الاية
رد علي اليهود لما زعموا انهم علي ملة ابراهيم قيل لهم ان كنتم صادقين
فحجوا البيت الذي بناه ابراهيم ودعا الناس اليه من استطاع بدل

من الناس وقيل فاعل بالمصدر وهو شرط وقيل شرط مبتد اي من
استطاع فعليه الحج والاستطاعة عند مالك هي القدرة علي الوصول
الي مكة بصحة البدن اما راجلا واما راكبا مع الزاد المبلغ
والطريق الامن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة وهو مذهب
الشافعي وعبد الملك بن حبيب وروي في ذلك حديث ضعيف
ومن كفر قيل المعني من لم يحج وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله
صلي الله عليه وسلم من ترك الصلاة فهو كافر وقيل اراد اليهود
لانهم لا يحجون وقيل من زعم ان الحج ليس بواجب لم تكفرون توبيخ
لليهود لم تصدون توبيخ ايضا وكانوا يمنعون الناس من الاسلام
ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم وسبيل الله هنا الاسلام
تبغونها عوجا الضمير يعود علي السبيل اي تطلبون لها الاعوجاج
وانتم شهدا اي تشهدون ان الاسلام حق ان تطيعوا فريقا الاية
لفظها عام والخطاب للاوس والخزرج اذ كان اليهود يريدون فتنتهم
وكيف تكفرون انكار واستبعاد حق تقاته قيل نسخها فاتقوا الله
ما استطعتم وقيل لا نسخ اذ لا تعارض فان المعني دوموا بالتقوي
علي الكمال فيما استطعتم واحترزا من الاكراه وشبهه واعتصموا
بحبل الله اي تمسكوا والحبل هنا مستعار من الحبل الذي يشد
عليه اليد والمراد هنا القران وقيل الجماعة ولا تفرقوا نهي
من التدابر والتقاطع اذ كان الاوس هموا بالقتال مع الخزرج
لما رام اليهود ايقاع الشر فيهم ويحتمل ان يكون نهيا عن التفرق
في اصول الدين ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع اذ كنتم اعدا
كان بين الاوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة الي ان جمعهم
الله بالاسلام شفا حفرة اي حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا
عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم الي النار ولتكن منكم امة
الاية دليل علي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وقوله

منكم دليل علي انه فرض كفاية لان من للتبعيض وقيل انها لبيان
الجنس ومعناه كونوا امة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان
وبالقلب علي حسب الاحوال كالذين تفرقوا هم اليهود
والنصاري نهي الله المسلمين ان يكونوا مثلهم وورد في الحديث
انه عليه السلام قال افترقت اليهود علي احدي وسبعين فرقة
وافترقت النصاري علي ثنتين وسبعين فرقة وستفترق
امتي علي ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة
قيل ومن تلك الواحدة قال من كان علي ما انا واصحابي
عليه يوم تبيض وجوه العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم
اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الاسلام
وقيل للخوارج وقيل لليهود لانهم امنوا بصفة النبي صلي الله عليه
وسلم المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث كنتم خير
امة كان هنا التي تقتضي الدوام كقوله كان الله غفورا رحيما
وقيل كنتم في علم الله وقيل كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة
وقيل كنتم بمعني انتم والخطاب لجميع المومنين وقيل للصحابة
خاصة لن يضروكم الا اذي اي بالكلام خاصة وهو اهون المضرة
يولوكم الادبار اخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه ثم لا ينصرون
اخبار مستانف غير معطوف علي يولوكم وفايدة ذلك ان توليتهم
الادبار مقيدة بوقت القتال وعدم النصر علي الاطلاق وعطفت
الجملة علي جملة الشرط والجزا وثم لترتيب الاحوال لان عدم نصرهم
علي الاطلاق اشد من توليتهم الادبار حين القتال الا بحبل من
الله الحبل هنا العهد والذمة ليسوا سوا اي ليس اهل الكتاب
مستويين في دينهم امة قايمة اي قايمة بالحق وذلك فيمن اسلم من
اليهود كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واخيه اسد وغيرهم
وهم يسجدون يدل ان تلاوتهم في الصلاة للكتاب فلن تكفروه

اي لن يحرموا ثوابه مثل ما ينفقون الاية تشبيه لنفقة الكفار قريش بزرع

اهلكته ريح باردة فلن ينتفع به اصحابه فكذلك لا ينتفع الكفار

بما ينفقون وفي الكلام حذف تقديره مثل ما ينفقون كمثل

مهلك ريح او مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح وانما

احتيج الي هذا لان ما ينفقون ليس شبيها بالزرع الذي اهلكته

الريح صر اي برد حرث قوم ظلموا انفسهم اي عصوا الله فعاقبهم

باهلاك حرثهم وما ظلمهم الله الضمير للكفار والمنافقين او لاصحاب

الحرث والاول ارجح لان قوله انفسهم يظلمون فعل حال يدل علي

انه للحاضرين بطانة من دونكم اي اوليا من غيركم فالمعني نهي

عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضي الله عنه ان هنا

رجلا من النصاري لا احد احسن خطا منه افلا يكتب عنك فقال

اذا لا اتخذ بطانة من دون المومنين لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون

في فسادكم والخبال الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا مضرتكم وما

مصدرية وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة او استيناف

وتومنون بالكتاب كله اي بكل كتاب انزله الله واليهود لا يومنون

بقرانكم عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ

مع عدم القدرة علي انفاذه والانامل جمع انملة بضم الميم وفتحها

موتوا بغيظكم تقريع واغاظة وقيل دعا ان تمسسكم حسنة

الحسنة هنا الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك والسية

ضدها لا يضركم من الضير بمعني الضر واذ غدوت من اهلك نزلت في غزوة

احد وكان غدو رسول الله صلي الله عليه وسلم للقتال صبيحة

يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة حين

خرج من المدينة وذلك ضعيف وكان قد شاور اصحابه قبل

الصلاة تبوء المومنين تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال

وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة وذلك

ضعيف

ضعيف لانه لا يقال غدوة فيما بعد الزوال الا علي المجاز وقيل

ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف

لانه لم يبوء حينيذ مقاعد للقتال الا ان يراد انه بواهم التدبير

حين المشاورة مقاعد مواضع وهو جمع مقعد طايفتين منكم

هم بنوا حارثة من الاوس وبنوا سلمة من الخزرج لما راوا كثرة

المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا

مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تفشلا الفشل في البدن

هو الاعيا والفشل في الراي هو العجز والحيرة وفساد العزم

والله وليهما اي ثبتهما الله وقال جابر بن عبد الله ما وددنا انها

لم تنزل لقوله والله وليهما ولقد نصركم الله ببدر تذكير بنصر الله لهم

يوم بدر ليقوي قلوبهم وانتم اذلة الذلة هي قلة عددهم وضعف

عددهم كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن

لهم الا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعماية والالف

وكان معهم ماية فرس فقتل من المشركين سبعون واسر

منهم سبعون وانهزم سايرهم لعلكم تشكرون متعلق بنصركم

او باتقوا والاول اظهر اذ تقول للمومنين كان هذا القول يوم

بدر وقيل يوم احد فالعامل في اذ علي الاول محذوف وعلى

الثاني بدل من اذ غدوت الن يكفيكم تقرير جوابه بلي وانما

جاوب المتكلم لصحة الامر وبيانه كقوله قل من رب السموات

والارض قل الله ويا توكم من فورهم الضمير للمشركين والفور السرعة

اي من ساعتهم وقيل المعني من سفرهم بخمسة الاف باكثر من

العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فان كان هذا يوم بدر فقد قاتلت

فيه الملايكة وان كان يوم احد فقد شرط قوله ان تصبروا

وتتقوا فلما خالفوا لن تنزل الملايكة مسومين بفتح الواو وكسرها

اي معلمين او معلمين انفسهم او خيلهم وكانت سيما الملايكة

يوم بدر عمايم بيض الا جبريل فانه كانت عمامته صفرا وقيل كانوا
بعمايم صفر وكانت خيلهم مجرورة الاذناب وقيل كانوا على خيل
بلق وما جعله الضمير عايد على الانزال او الامداد ولتطمين معطوف
على بشرى لان الفعل بتاويل المصدر وقيل يتعلق بفعل مضمر هذا
يدل عليه جعله ليقطع يتعلق بقوله ولقد نصركم الله او بقوله
وما النصر ليس عليك جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت
لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على احيا من العرب
في الصلاة فترك الدعا عليهم او يتوب معناه يسلمون اضعافا
مضاعفة كانوا يزيدون فيه كل ما حل عاما بعد عام سارعوا
بغير واو استيناف وبالواو عطف على ما تقدم الى مغفره اي
الى الاعمال التي يستحقون بها المغفرة عرضها ابن عباس تقرن
السموات والارض بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض
الجنة ولا يعلم طولها الا الله وقيل ليس العرض خلاف الطول
وانما المعنى سعتها كسعة السموات والارض في السرا والضرا في
العسر واليسر وهم يعلمون حذف مفعوله تقديره وهم يعلمون
انهم اذنبوا قد خلت من قبلكم خطاب للمومنين تانيسا لهم وقيل
للكافرين تخويفا لهم فانظروا من نظر العين عند الجمهور وقيل
هو الفكر ولا تهنوا تقوية لقلوب المومنين وانتم الاعلون اخبار
بعلو كلمة الاسلام ان يمسسكم قرح الاية معناها ان مسكم قتل
او جراح في احد فقد مس الكفار مثله في بدر وقيل قد مس الكفار
يوم احد مثل ما مسكم فيه فانهم نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية
للمومنين بالتاسي نداولها تسلية ايضا بما جرى يوم احد
وليعلم متعلق بمحذوف تقديره اصابكم ما اصاب يوم احد
ليعلم والمعنى ليعلم في ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة شهدا
من قتل من المسلمين يوم احد وليمحص اي يطهر وقيل يميز وهو

معطوف

معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة احد والمعنى ان اسالة
الكفار على المسلمين انما هي ليمحق الله الكافرين اي يهلكهم ام حسبتم
ام هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة وهذه الاية وما بعدها
معاتبة لقوم من المومنين صدرت منهم اشيا يوم احد تمنون
الموت خوطبوا به قوم فاتتهم غزوة احد فتمنوا حضور قتال
الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم ليستدركوا ما فاتهم من
الجهاد فعلى هذا انما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت وقيل تمنوا
الشهادة في سبيل الله وما محمد الا رسول المعنى ان محمد
صلى الله عليه وسلم رسول كساير الرسل قد بلغ الرسالة كما
بلغوا فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته وسببها
انه صرخ صارخ يوم احد ان محمدا قد مات فتزلزلت بعض الناس
افان مات دخلت الف التوبيخ على جملة الشرط ودخلت الفا لتربط
الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها والمعنى ان موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم او قتله لا يقتضي انقلاب اصحابه على
اعقابهم لان شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت فما تبهم
على تقدير ان لو صدر منهم انقلاب لو مات صلى الله عليه وسلم
او قتل وقد علم انه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع
في نفسهم الشاكرين قال علي بن ابي طالب الثابتون على دينهم
كتابا موجلا نصب على المصدر لان المعنى كتب الموت كتابا
وقال ابن عطية نصب على التمييز نوته منها في ثواب
الدنيا مقيد بالمشيئة بدليل قوله عجلنا له ما نشا لمن نريد
فكاين من نبي قتل الفعل مسند الى ضمير النبي ومعه ربيون على
هذا في موضع الحال وقيل انه مسند الى الربيين فيكون ربيون
على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الاول يوقف عند قوله
قتل ويترجح الاول بما صرخ به الصارخ احد ان محمد قد قتل

فانه لم يقتل قط نبي في
فضرب لهم المثل بنبي قتل ويترجح الثاني
محاربة وهنوا علما مثل ربانيين وقيل جموع كثيرة ربيون
الضمير للربيين على اسناد القتل للنبي وهو لمن بقي منهم
على اسناد القتال اليهم وما استكانوا اي لم يذلوا للكفار قال بعض
النحاة استكان مشتق من السكون ووزنه افتعلوا مطلت
فتحة الكاف فحذف عن مطلها الف وذلك كالاشباع وقيل
انه من كان يكون فوزنه استفعلوا وقوله فما وهنوا
وما بعده تعريض لما صدر من بعض الناس يوم احد
وثبت اقدامنا اي في الحرب ثواب الدنيا النصر ثواب
الاخرة الجنة ان تطيعوا الذين كفروا هم المنافقون
الذين قالوا في قضية احد ما قالوا وقيل مشركوا قريش
وقيل اليهود الرعب قيل القى الله الرعب في
قلوب المشركين باحد فرجعوا الى مكة من غير سبب
وقيل لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستاصلوا
المسلمين فالقى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا والاية
تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب ولقد صدقكم الله وعده كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد المسلمين
عن الله بالنصر فنصرهم الله اولا وانهزم المشركون
وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد امر الرماة ان يثبتوا
مكانهم ولا يبرحوا فلما راوا المشركين قد انهزموا طمعوا
في الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما امروا به من الثبوت
في مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين اذ تحسونهم
اي تقتلونهم قتلا ذريعا يعني في اول الامر وتنازعتم

وقع

وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما امروا ولم يثبت بعضهم
وعصيتم اي خالفتم ما امرتم به من الثبوت وجاءت المخاطبة
في هذا لجميع المومنين وان كان المخالف بعضهم وعظا للجميع وسترا
على من فعل ذلك وجواب اذا محذوف تقديره انهزمتم من
يريد الدنيا الذين حرصوا على الغنيمة ثم ليبتليكم معناه
لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص ولقد عفا عنكم اعلام
بان الذنب كان يستحق اكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم فمعناه
لقد ابقى عليكم وقيل هو عفو عن الذنب اذ تصعدون العامل
في اذ عفا فيوصل اذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل ان يكون
العامل فيه مضمرا ولا تلوون مبالغة في صفة الانهزام
والرسول يدعوكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الي عباد الله وهم يفرون في اخراكم في ساقتكم وفيه
مدح للنبي صلى الله عليه وسلم فان الاخر هو موقف الابطال
فاثابكم اي جازاكم غما بغم قيل اثابكم غما بسبب الغم
الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
المومنين اذ عصيتم وتنازعتم وقيل اثابكم غما متصلا بغم
واحد الغمين ما اصابهم من القتل والجراح والاخر
ما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما فاتكم من النصر والغنيمة ولا ما اصابكم من القتل
والجراح والانهزام امنة نعاسا قال ابن مسعود نعسنا
يوم احد والنعاس في الحرب امان من الله يغشى طايفة هم
المومنون المخلصون غشيهم النعاس تامينا وطايفة قد اهمتهم
انفسهم هم المنافقون كانوا خايفين من ان يرجع اليهم
ابو سفيان والمشركون غير الحق معناه يظنون ان الاسلام
ليس بحق وان الله لا ينصرهم وظن الجاهلية بدل على حذف

الموصوف تقديره من المدة الجاهلية او الفرقة الجاهلية هل
لنا من الامر من شي قالها عبد الله بن ابي بن سلول والمعني
ليس لنا راي ولا يسمع قولنا اولسنا علي شي من الامر الحق
فيكون قولهم علي هذا كفرا يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يحتمل
ان يريد الاقوال التي قالوها او الكفر لو كان لنا من الامر شي قاله
معتب بن قشير ويحتمل من المعني ما احتمل قول عبد الله بن ابي
قل لو كنتم في بيوتكم الاية رد عليهم واعلام بان اجل
كل انسان انما هو واحد وان لم يقتل يموت لاجله ولا يوخر
وان من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شي وليبتلي مو
يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلي ان الذين
تولوا الاية نزلت فيمن فر يوم احد استزلهم اي
طلب ان يزلوا ويحتمل ان يكون معناه ازلهم اي اوقعهم
في الزلل ببعض ما كسبوا اي كانت لهم ذنوب عاقبهم
الله عليها بان مكن الشيطان من استزلالهم عفي الله عنهم
اي غفر لهم ما اتوه ووقعوا فيه من الفرار كالذين كفروا
اي المنافقين لاخوانهم هي اخوة القرابة لان المنافقين
كانوا من الاوس والخزرج وكان اكثر المقتولين منهم يوم احد
منهم ولم يقتل من المهاجرين الا اربعة اذا ضربوا في
الارض اي سافروا وانما قال اذا التي للاستقبال
مع قالوا لانه حكاية الحال الماضية او كانوا غزا جمع
غاز وزنه فعل بضم الفا وتشديد العين لو كانوا عندنا
اعتقاد منهم فاسد لانهم ظنوا ان اخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا
ولم يقتلوا وهذا قول من لا يومن بالقدر والاجل المحتوم
ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالاجلين ليجعل متعلق
بقالوا اي قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة

ذلك

ذلك اشارة الي قولهم واعتقادهم الفاسد الذي اوجب لهم الحسرة
لان الذي يتيقن بالقدر والاجل تذهب عنه الحسرة ولئن قتلتم اخبار
ان مغفرة الله ورحمته لهم اذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم
مما يجمعون من الدنيا ولئن متم او قتلتم اخبار ان من مات او قتل فانه
يحشر الي الله فبما رحمة ما زايدة للتاكيد لانفضوا اي تفرقوا فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله وشاورهم
المشاورة مامور بها شرعا وانما شاور النبي صلي الله عليه وسلم
الناس في الراي في الحروب وغيرها لا في الاحكام الشرعية وقرا
ابن عباس وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فتوكل علي الله
التوكل هو الاعتماد علي الله في تحصيل المنافع او حفظها بعد حصولها
وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها وهو من اعلا المقامات لوجهين
احدهما قوله ان الله يحب المتوكلين والاخر الضمان الذي في قوله
ومن يتوكل علي الله فهو حسبه وقد يكون واجبا لقوله وعلي الله
فتوكلوا ان كنتم مومنين فجعله شرطا في الايمان والظاهر قوله
وعلي الله فليتوكل المومنون فهذا الامر محمول علي الوجوب
واعلم ان الناس في التوكل علي ثلاث مراتب الاولي ان يعتمد العبد
علي ربه كاعتماد الانسان علي وكيله المامون الذي لا يشك في
نصيحته له وقيامه بمصالحه والثانية ان يكون العبد مع
ربه كالطفل مع امه لا يعرف سواها ولا يلجا الا اليها والثالثة
ان يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل قد اسلم نفسه
اليه بالكلية وهذه الدرجات مبنية علي التوحيد الخاص
الذي تكلمنا عليه في قوله والهكم اله واحد فهي تقوي بقوته
وتضعف بضعفه فان قيل هل يشترط في التوكل ترك الاسباب
ام لا فالجواب ان الاسباب علي ثلاثة اقسام احدها سبب معلوم
قطعا قد اجراه الله فهذا لا يجوز تركه كالاكل لدفع الجوع واللباس

والله يحيي ويميت
رد علي قولهم واعتقادهم
صح

ذلك
ونزع البرد والثاني سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك
فهذا لا يقدح فعله في التوكل لان التوكل من اعمال القلب لا من اعمال
البدن ويجوز تركه لمن قوي عليه والثالث سبب موهوم بعيد
فهذا يقدح فعله في التوكل ثم فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام
لامر الله تعالي بالكلية فان المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب
مراده باعتماده علي ربه واما المفوض فليس له مراد ولا اختيار
بل المراد والاختيار الي الله تعالي فهو اكمل ادبا مع الله **وما كان**
لنبي ان يغل هو من الغلول وهو اخذ الشي خفية من المغانم
وغيرها وقرء بفتح اليا وضم الغين ومعناه تبرية النبي صلي الله
عليه وسلم من الغلول وسببها انه فقدت من المغانم قطيفة
حمرا وقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلي الله عليه وسلم
اخذها وقري بضم اليا وفتح الغين اي ليس لاحد ان يغل نبيا اي
يخونه من المغانم وخص النبي بالذكر وان كان ذلك محظورا من
الامور الشنيعة الحال مع النبي لان المعاصي تعظم بحضرته وقيل
معني هذه القراة اي يوجد غلا كما تقول احمدت الرجل اذا اصبته
محمودا فعلي هذا القول يرجع معني هذه القراة الي معني فتح
اليا **ومن يغلل يات بما غل** وعيد لمن غل بان يسوق يوم القيامة
الشي الذي غل وقد جا ذلك مفسرا في الحديث قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم لا الفين احدكم يجي يوم القيامة علي
رقبته بعير لا الفين احدكم علي رقبته فرس لا الفين احدكم علي
رقبته رقاع لا الفين احدكم علي رقبته صامت لا الفين احدكم
علي رقبته انسان فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك
لك من الله شيا قد بلغتك **افمن اتبع** الاية قيل ان الذي اتبع
رضوان الله لم يغلل والذي با بالسخط من غل وقيل الذي اتبع
الرضوان من استشهد باحد والذي با بالسخط المنافقون

الذين

الذين رجعوا من الغزو **هم درجات** اي ذوا درجات والمعني تفاوت
ما بين منازل اهل الرضوان واهل السخط او التفاوت بين درجات
اهل الرضوان فان بعضهم فوق بعض فكذلك درجات اهل السخط
لقد من الله الاية اخبار بفضل الله علي المومنين ببعث رسول الله
محمد صلي الله عليه وسلم **من انفسهم** معناه في الجنس واللسان
فكونه من جنسهم يوجب الانس به وقلة الاستيحاش منه وكونه
بلسانهم يوجب حسن التفهم عنه ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه
وامانته صلي الله عليه وسلم ويكون هو صلي الله عليه وسلم
اشفق عليهم وارحم بهم من الاجنبيين **اولما اصابتكم مصيبة** الاية
عتاب للمسلمين علي كلامهم فيمن اصيب منهم يوم احد ودخلت الف
التوبيخ علي واو العطف والجملة معطوفة علي ما تقدم من قصة احد
او علي محذوف **قد اصبتم مثليها** قتل يوم احد من المسلمين سبعون
وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون واسر سبعون **قل هو**
من عند انفسكم قيل معناه انهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم حين اراد ان يقيم بالمدينة ولا يخرج الي المشركين
فابوا الا الخروج وقيل بل ذلك اشارة الي عصيان الرماة حسبما
تقدم **يوم التقي الجمعان** اي جمع المسلمين والمشركين يوم احد **وقيل**
لهم تعالوا الاية كان راي عبد الله بن ابي بن سلول ان لا يخرج المسلمين
الي المشركين ولما طلب الخروج قوم من المسلمين فخرج رسول الله
صلي الله عليه وسلم غضب عبد الله وقال اطاعهم وعصاني
فرجع ورجع معه ثلثماية رجل فمشي في اثرهم عبد الله بن عمرو بن
حرام الانصاري وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا
فقال له عبد الله بن ابي ما اري ان يكون قتال ولو علمت انه
يكون قتال لكنا معكم **او ادفعوا** اي كثروا السواد وان لم تقاتلوا
الذين قالوا بدل من الذين نافقوا او لاخوانهم في النسب لانهم كانوا

من الاوس والخزرج قل فادروا اي ادفعوا المعني رد عليهم احيا اعلام
بان حال الشهدا حال الاحيا من التمتع بارزاق الجنة بخلاف ساير الاموات
من المومنين فانهم لا يتمتعون بالارزاق حتي يدخلون الجنة يوم القيامة
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم المعني انهم يفرحون باخوانهم الذين
بقوا في الدنيا من بعدهم لانهم يرجون ان سيستشهد وامثالهم فينالوا
مثل ما نالوا من السعادة الا خوف في موضع المفعول او بدل من الذين
يستبشرون كرر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل استجابوا
صفة للمومنين او مبتدا وخبره للذين احسنوا الاية ونزلت في
الذين خرجوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في اتباع
المشركين بعد غزوة احد فبلغ بهم الي حمرا الاسد وهي علي
ثمانية اميال من المدينة واقام بها ثلاثة ايام وكانوا قد
اصابتهم جراحات وشدايد فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله
بذلك الذين قال لهم الناس الاية لما خرج رسول الله صلي
الله عليه وسلم الي حمرا الاسد بعد احد بلغ ذلك ابا سفيان
فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة فجعل
لهم حمل بعير من زبيب علي ان يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين
فخوفوهم بهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا فالناس
الاول ركب عبد القيس والناس الثاني مشركي قريش وقيل
نادي ابو سفيان يوم احد موعدنا ببدر في العام القابل
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان شا الله فلما كان
العام القابل خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم الي بدر
للميعاد فارسل ابو سفيان نعيم بن مسعود الاشجعي ليثبط
المسلمين فعلي هذا الناس الاول نعيم وانما قيل له الناس
وهو واحد لانه من جنس الناس كقولك ركبت الخيل اذا
ركبت فرسا فزادهم الفاعل ضمير المفعول وهو ان الناس

قد جمعوا لكم والصحيح ان الايمان يزيد وينقص فمعناه هنا قوي يقينهم
وثقتهم بالله حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره
وهي التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار ومعنا
حسبنا الله كافينا الله وحده فلا نخاف غيره ومعنا ونعم الوكيل
ثنا علي الله وانه خير من يتوكل العبد عليه ويلجا اليه فانقلبوا
اي رجعوا بنعمة السلامة وفضل الاجر واتبعوا رضوان الله
بخروجهم مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلكم الشيطان
المراد به هنا ابو سفيان او نعيم الذي ارسله ابو سفيان او ابليس
وذلكم مبتدا والشيطان خبره وما بعده مستانف او الشيطان نعت
وما بعده خبر يخوف اولياه اي يخوفكم ايها المومنون اولياه وهم
الكفار فالمفعول الاول محذوف ويدل عليه قوله فلا تخافوهم
وقراة ابن مسعود وابن عباس يخوفكم اولياه وقيل المعني
يخوف المنافقين وهم اولياه من كفار قريش فالمفعول الثاني
علي هذا محذوف ولا يحزنك تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم
وقري بفتح اليا وضم الزاي حيث وقع مضارعا من حزن وهو
اشهر في اللغة من احزن الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون الي
اقواله وافعاله وهم المنافقون والكفار ان الذين اشتروا الاية
هم المذكورون قبل او علي العموم في جميع الكفار انما نملي لهم خيرا
اي نمهلهم ان مفعول يحسبن وما اسم ان فحقها ان تكتب منفصلة
وخير الخبر انما نملي لهم ما هنا كافة والمعني رد عليهم اي ان الاملا
لهم ليس خيرا لهم انما هو استدراج ليكتسبوا الاثم ما كان الله
ليذر المومنين الاية خطاب للمومنين والمعني ما كان الله ليدع
المومنين مختلطين بالمنافقين ولكنه ميز هولا من هولا بما ظهر
في غزوة احد من الاقوال والافعال التي تدل علي الايمان او علي
النفاق وما كان الله ليطلعكم علي الغيب اي ما كان الله ليطلعكم

علي ما في القلوب من الايمان والنفاق او ما كان الله ليطلعكم علي انكم
تغلبون او تغلبون ولكن الله يجتبي اي يختار من رسله من يشا فيطلعه
علي ما يشا من غيبه الذين يبخلون يمنعون الزكاة وغيرها هو خيرا
هو فصل وخيرا مفعول ثان والاول محذوف تقديره لا يحسبن
البخل خيرا لهم سيطوقون اي يلزمون اثم ما بخلوا به وقيل يجعل
ما بخل به حية يطوقها في عنقه يوم القيامة لقد سمع الله
الاية لما نزل من ذا الذي يقرض الله قال بعض اليهود وهو
فنحاص او حيي بن اخطب او غيرهما انما يستقرض الفقير من
الغني فالله فقير ونحن اغنيا فنزلت هذه الاية وكان ذلك
القول منهم اعتراضا علي القران او جهة قلة فهمهم او تحريفهم
للمعاني فان كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر وان قالوه بغير
اعتقاد فهو استخفاف ومعناه سنكتب قالوا اي تكتب الملايكة
في الصحف وقتلهم الانبيا اي قتل ابايهم للانبيا واسند اليهم
لانهم راضون به ومتبعون لمن فعله من ابايهم الذين قالوا صفة
للذين وليس صفة للعبيد عهد الينا الا نؤمن لرسول حتي ياتينا بقربان كانوا اذا ارادوا ان يعرفوا
قبول الله لصدقة او غيرها جعلوه في مكان فتنزل نار من السماء
فتحرقه وان لم تنزل فليس بمقبول فزعموا ان الله جعل لهم ذلك
علامة علي صدق الرسل قل قد جاكم رسل الاية رد عليهم بان
الرسل قد جاوهم بمعجزات توجب الايمان بهم وجاوهم ايضا
بالقربان الذي تاكله النار ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم فذلك
يدل علي ان كفرهم عناد وانهم كذبوا في قولهم ان الله عهد الينا
فان كذبوك فقد كذب تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم
بالتاسي بغيره فمن زحزح اي نحي وابعد لتبلون الاية خطاب
للمسلمين والبلا في الانفس بالموت والامراض وفي الاموال

بالمصايب والانفاق ولتسمعن الاية سببها قول اليهود ان الله فقير
وسبهم للنبي صلي الله عليه وسلم وللمسلمين لتبيننه للناس
ولا تكتمونه ابن عباس هي لليهود اخذ عليهم العهد في امر محمد صلي
الله عليه وسلم فكتموه وقيل هي عامة في كل من علمه الله علما
الذين يفرحون بما اتوا الاية ابن عباس نزلت في اهل الكتاب سالهم
النبي صلي الله عليه وسلم عن شي فكتموه اياه واخبروه بغيره
فخرجوا وقد اروه انهم قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا
اليه بذلك وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه
وقال ابو سعيد الخدري نزلت في المنافقين كانوا اذا خرج النبي
صلي الله عليه وسلم تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف
رسول الله واذا قدم النبي صلي الله عليه وسلم اعتذروا
اليه واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا يحسبنهم بالتا وفتح
البا خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والذين يفرحون
مفعول به وبالبا وضم البا اسند الفعل للذين يفرحون اي
لا يحسبون انفسهم بمفازة من العذاب ومن قرا تحسبن بالتا
فهو خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والذين يفرحون مفعول
به وبمفازة المفعول الثاني وكرر فلا تحسبنهم للتاكيد ومن
قرا لا يحسبن بالبا فالفاعل فانه حذف المفعولين لدلالة مفعولي
لا تحسبنهم عليهما واختلاف الليل والنهار ذكر في البقرة قياما
وقعودا وعلي جنوبهم اي يذكرون الله علي كل حال فكانت
هذه الهيات حصر لحال ابن ادم وقيل ان ذلك في الصلاة
يصلون قياما فان لم يستطيعوا صلوا قعودا فان لم يستطيعوا
صلوا علي جنوبهم ربنا اي يقولون ربنا ما خلقت هذا عبثا
لغير فايدة بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيعرفونك
سمعنا مناديا هو النبي صلي الله عليه وسلم ما وعدتنا علي رسلك

اي علي السنة وسلك من ذكر او انثي من لبيان الجنس وقيل زايدة
لتقدم النفي بعضكم من بعض اي النسا والرجال سوا في الاجور
والخيرات واخرجوا من ديارهم هم المهاجرون اذاهم المشركون
بمكة حتي خرجوا منها وانزل لايغرنك متزل لا يحزنك متاع قليل
اي تعلمهم في الدنيا قليل بالنظر الي ما فاتهم في الاخرة نزلا منصوب
علي الحال من جنات او علي المصدرية للابرار جمع بار او بر
ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوي والعمل الصالح
قال بعضهم الابرار هم الذين لا يوذون احدا وان من اهل الكتاب
الاية قيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة فانه كان نصرانيا
فاسلم وقيل في عبد الله بن سلام وغيره ممن اسلم من
اليهود لا يشترون مع حالهم وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشتري
بايات الله ثمنا قليلا وصابروا اي صابروا عدوكم في القتال
ورابطوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم مستعدين للجهاد
وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله اي معاهدته علي
فعل الطاعة وترك المعصية والاول اظهر قال صلي الله
عليه وسلم رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر
وقيامه واما ما نزلت ما قوله في انتظار الصلاة فذلكم الرباط
فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظم اجره والمرابط عند
الفقها هو الذي يسكن الثغور فيرابط فيها وهي غير موطنه
فاما سكانها دايما باهليهم فليسوا مرابطين ولكنهم حماة حكاه ابن
عطية

سورة النساء

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب علي العموم وقد تكلمنا علي التقوي
في اول البقرة من نفس واحدة ادم عليه السلام زوجها هي حوا
خلقت من ضلع ادم وبث نشر تسالون اي يقول بعضكم
لبعض اسالك بالله ان تفعل كذا والارحام بالنصب عطفا علي

اسم

اسم الله اي اتقوا الارحام فلا تقطعوها او علي موضع الجار والمجرور
وهو به لان موضعه نصب وقري بالخفض علي الضمير في به وهو ضعيف
عند البصريين لان الضمير المخفوض لا يعطف عليه الا باعادة الخافض
ان الله كان عليكم رقيبا اذا احقق العبد بهذه الاية وامثالها استعمل
مقام المراقبة وهو مقام شريف اصله علم وحال ثم يثمر حالتين
اما العلم فهو معرفة العبد لان الله مطلع عليه ناظر اليه يري
جميع اعماله ويسمع جميع اقواله ويعلم كلما يخطر علي باله واما
الحال فهي ملازمة هذا العلم القلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل
عنه ولا يكفي العلم دون هذه الحال فاذا حصل العلم والحال
كانت ثمرتها عند اصحاب اليمين الحيا من الله وهو يوجب بالضرورة
ترك المعاصي والجد في الطاعات وكانت ثمرتها عند المقربين
الشهادة التي توجب التعظيم والاجلال لذي الجلال وهاتين
الثمرتين اشار رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله ان
تعبد الله كانك تراه اشارة الي الثمرة الاولي ومعناه ان تكن
الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم كمن يشاهد ملكا
عظيما فانه يعظمه اذ ذاك بالضرورة وقوله فان لم تكن تراه
فانه يراك اشارة الي الثمرة الاولي ومعناه ان لم تكن من اهل
المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم انه يراك فكن من
اهل الحيا الذي هو مقام اصحاب اليمين فلما فسر الاحسان اول
مرة بالمقام الاعلي راي ان كثيرا من الناس قد يعجزون عنه فنزل
عنه الي المقام الاخر واعلم ان المراقبة لا تستقيم حتي تتقدم قبلها
المشارطة والمرابطة ويتاخر عنها المحاسبة والمعاقبة فاما
المشارطة فهي اشتراط العبد علي نفسه والتزام الطاعة
وترك المعاصي واما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه علي ذلك

ثم بعد المشارطه والمرابطه اول الامر تكون المراقبة الي اخره و بعد
ذلك يحاسب العبد نفسه علي ما اشترطه وعاهد عليه فان
وجد نفسه قد اوفي بما عاهد عليه الله حمد الله وان وجد نفسه
قد حل عقد المشارطه ونقض عهد المرابطه عاتب النفس عتابا
يزجرها عن العودة الي مثل ذلك ثم عاد الي المشارطة والمرابطة
وحافظ علي المراقبه ثم اختبر بالمحاسبه فهكذا يكون الي ان
يلقي الله تعالي **واتوا اليتامي اموالهم** خطاب للاوصيا وقيل
للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير فامروا ان يورثوهم
وعلي القول بان الخطاب للاوصيا فالمراد ان ياتوا اليتامي من
اموالهم ما ياكلون ويلبسون في حال صغرهم فيكون اليتيم
علي هذا حقيقة وقيل المراد دفع اموالهم اليهم اذا بلغوا فيكون
اليتيم علي هذا مجازا لان اليتيم قد كبر **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**
كان بعضهم يبدل الشاة السمينه من مال اليتيم بالمهزولة
من ماله والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك وقيل المعني
لا تاكلوا اموالهم وهو الخبيث وتدعوا مالكم وهو الطيب **ولا تاكلوا**
اموالهم الي اموالكم المعني نهي عن ان ياكلوا اموال اليتامي مجموعة
الي اموالهم وقيل نهي عن خلط اموالهم باموال اليتامي ثم
ابيح ذلك بقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وانما تعدي الفعل
بالي لانه تضمن معني الجمع والضم وقيل بمعني مع **حوبا** اي ذنبا
فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامي فانكحوا الاية قالت عايشة
نزلت في اوليا اليتامي الذين يعجبهم الجمال ولا يأتهم فيريدون
ان يتزوجوهن ويبخسونهن في الصداق لمكان ولايتهم عليهن
فقيل لهم اقسطوا في مهورهن فمن خاف ان لا يقسط فليتزوج
ما طاب له من الاجنبيات اللاتي يوفيهن حقوقهن وقال ابن

عباس ان العرب كانت تتحرج في اموال اليتامي ولا يتحرجوا في العدل
بين النسا فنزلت الاية في ذلك اي كما تخافوا ان لا تقسطوا في
اليتامي كذلك خافوا النسا وقيل ان الرجل منهم كان يتزوج
العشرة واكثر فاذا ضاق ماله اخذ من مال اليتيم فقيل لهم ان
خفتم ان لا تقسطوا في اليتامي فاقتصروا في النسا ما طاب
اي ما حل وانما قال ما ولم يقل من لانه اراد الجنس وقال
الزمخشري لان الاناث من العقلا يجري مجري غير العقلا ومنه
قوله وما ملكت ايمانكم **مثني وثلاث ورباع** لا تنصرف للعدل
والوصف وهي حال من ما طاب وقال ابن عطية بدل وهي
معدوله عن اعداد مكررة ومعني التكرار فيها ان الخطاب
لجماعة فيجوز لكل واحد منهم ان ينكح ما اراد من تلك الاعداد
فتكررت الاعداد بتكرار الناس والمعني انكحوا اثنين او
ثلاثا او اربعا وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج
ما زاد علي الاربع وقال قوم لا يعبأ بقولهم انه يجوز الجمع بين
تسع لان مثني وثلاث ورباع يجمع منه تسعة وهذا خطا لان
المراد التخيير بين تلك الاعداد لا الجمع ولو اراد الجمع لقال تسع
ولم يعدل عن ذلك الي ما هو اطول منه واقل بيانا وايضا
قد انعقد الاجماع علي تحريم ما زاد علي الرابعة **فواحدة** اي
ان خفتم ان لا تعدلوا بين الاثنين فو الصداق الاثنين او الثلاث
او الاربع فاقتصروا علي واحدة او علي ما ملكت ايمانكم من
قليل او كثير رغبة في العدل وانتصاب واحدة بفعل مضمر
تقديره فانكحوا واحدة **ذلك ادني ان لا تعولوا** الاشارة الي
الاقتصار علي الواحدة والمعني ان ذلك اقرب الي ان لا تعدلوا
ومعني تعولوا تميلوا وقيل يكثر عيالكم **واتوا النسا صدقاتهن**
خطاب للازواج وقيل للاوليا لان بعضهم كان ياكل صداق وليته

وقيل نهي عن الشغار **نحلة** اي عطية منكم لهن اوعطية من الله
وقيل معنى نحلة اي شرعة وديانة وانتصابه على المصدر
من معنى اتوهن او على الحال من ضمير المخاطبين **فان طبن لكم**
الاية اباحة للازواج او الاوليا على ما تقدم من الخلاف اذ ياخذوا
ماد فعه النسا من صدقاتهن عن طيب انفسهن والضمير في منه
يعود على الصداق او على الايتاء **هنيا مريا** عبارة عن التحليل
والمبالغة في الاباحة وهما صفتان من قولك هنو الطعام ومرو
اذا كان سايغا لا تنغيص فيه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيا
او حال من ضمير الفاعل وقيل يوقف على تكلوه ويبتدا هنيا
مريا على الدعا **ولا تؤتوا السفها** قيل هم اولاد الرجل وامراته
اي لا تؤتوهم اموالكم للتبذير وقيل السفها المحجورون عليهم
واموالكم اموال المحجورين واضافها الى المخاطبين لانهم ناظرون
عليها وتحت ايديهم **قياما** جمع قيمة وقيل بمعنى قيام بالامور اي تقوم
بها معايشكم **وارزقوهم فيها واكسوهم** قيل انها فيمن تلزم
الرجل نفقته من زوجته واولاده وقيل في المحجورين يرزقون
ويكسون من اموالهم **وقولوا لهم قولا معروفا** اي ادعوا لهم
بخير او عدوهم وعدا جميلا اي ان رشدتم دفعت لكم اموالكم **وابتلوا
اليتامى** اي اختبروا رشدهم **بلغوا النكاح** بلغوا مبلغ الرجال
فان انستم منهم رشدا الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله
وان لم يكن من اهل الدين واشترط قوم الدين واعتبر مالك البلوغ
والرشد وحينيذ يدفع المال واعتبر ابو حنيفة البلوغ وحده
ما لم يظهر سفهه وقوله مخالف للقران **وبدارا ان يكبروا** ومعناه
مبادرة لكبرهم اي ان الوصي يستغنم اكل مال اليتيم قبل ان يكبر
وموضع ان يكبروا نصب على المفعولية ببدارا وعلى المفعول من
اجله تقديره مخافة ان يكبروا **ان يستعفف** امر الغني الوصي ان

يستعفف

يستعفف عن مال اليتيم ولا ياكل منه شيا **ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف** قال عمر ابن الخطاب المعنى ان يستسلف الوصي الفقير
من مال اليتيم فاذا ايسر رده وقيل المراد ان يكون له اجرة
بقدر عمله وخدمته ومعنى بالمعروف من غير اسراف وقيل
نسخها ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما **فاشهدوا عليهم**
امر بالتحرز والحزم فهو ندب وقيل فرض **للرجال نصيب** الاية
سببها ان بعض العرب كانوا لا يورثون النسا فنزلت الاية ليرث الرجال
والنسا **نصيبا مفروضا** منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله
فريضة من الله وقال الزمخشري منصوب على التخصيص اعني
بمعنى نصيبا **واذا حضر القسمة** الاية خطاب للوارثين امروا
ان يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين
فقيل ان ذلك على الوجوب وقيل على الندب وهو الصحيح
وقيل نسخ باية المواريث **وليخش الذين** الاية معناها الامر
لاوليا اليتامى ان يحسنوا اليهم في نظير اموالهم فيخافوا الله على
ايتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا ويقدروا ذلك في
انفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة وقيل الذين يجلسون
الى المريض فيامرونه ان يتصدق بماله حتى يجحف بورثته
فامروا ان يخشوا على الورثة كما يخشوا على اولادهم وحذف
مفعول وليخش وخافوا جواب لو **قولا سديدا** على القول الاول
ما لاطفه الوصي لليتيم بالكلام الحسن وعلى القول الثاني ان
يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وارفق بورثتك **ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما** قيل نزلت في الذين لا يورثون الاناث
وقيل في الاوصيا ولفظها عام في كل من اكل مال اليتيم بغير حق
انما ياكلون في بطونهم نارا اي اكلهم لمال اليتامى يؤول الى دخولهم
النار وقيل ياكلون النار في جهنم **يوصيكم الله في اولادكم**

هذه الاية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب
جابر بن عبد الله اذ عاده رسول الله صلي الله عليه وسلم في
مرضه ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النسا
والاطفال وقيل نسخت الوصية للوالدين والاقربين وانما
قال يوصيكم بلفظ الفعل الدايم ولم يقل اوصاكم تنبيها علي
نسخ ما مضي والشروع في حكم اخر وانما قال يوصيكم الله بالاسم
الظاهر ولم يقل يوصيكم لانه اراد تعظيم الوصية فجا بالاسم
الذي هو اعظم الاسما وانما قال في اولادكم ولم يقل في ابنايكم
لان الابن يقع علي الابن من الرضاعة وعلي ابن البنت وعلي ابن
المتبني وليسوا من الورثة **للذكر مثل حظ الانثيين** هذا بيان
للوصية المذكورة فان قيل هلا قال للانثيين مثل حظ الذكر
او للانثي نصف حظ الذكر فالجواب انه بدا بالذكر لفضله
ولان القصد ذكر حظه ولو قال للانثيين مثل حظ الذكر لكان
فيه تفضيل للاناث **فان كن نسا** انما انث ضمير الجماعة في كن
لانه قصد الاناث واصله ان يعود علي الاولاد لانه يشمل الذكور
والاناث وقيل يعود علي المتروكات واجاز الزمخشري ان يكون
كان تامة والضمير مبهم ونسا تفسير **فوق اثنتين** ظاهره اكثر
من اثنتين ولذلك اجمع علي ان للثلاث فما فوقهن الثلثان واما
البنتان فاختلف فيهما فقال ابن عباس لهما النصف كالبنت
الواحدة وقال الجمهور الثلثان وتاولوا فوق اثنتين المراد
اثنتان فما فوقهما وقال قوم ان فوق زايدة كقوله فاضربوا
فوق الاعناق وهذا ضعيف وقال قوم انما وجب لهما الثلثان
بالسنة لا بالقران وقيل بالقياس علي الاختين **وان كانت
واحدة** بالرفع فاعل وكان تامة وبالنصب خبر كان وقوله
فلها النصف نص علي ان للبنت النصف اذا انفردت ودليل

علي

علي ان للابن جميع المال اذا انفرد كان للذكر مثل حظ الانثيين ان
كان له **ولد** الولد يقع علي الذكر والانثي والواحد والاثنين والجماعة
سوا كان للصلب او ولد ابن فكلهم يرد الابوين الي السدس **وورثه
ابواه فلامه الثلث** لم يجعل الله للام الثلث الا بشرطين احدهما
عدم الولد والاخر احاطة الابوين بالميراث ولذلك دخلت الواو
لتعطف احد الشرطين علي الاخر وسكت عن حظ الاب استغنا
بفهمه لانه لا يبقي بعد الثلث الا الثلثان ولا وارث الا الابوان فاقتضي
ذلك ان الاب ياخذ بقية المال وهو الثلثان **فان كان له اخوة
فلامه السدس** اجمع العلما علي ان ثلثة من الاخوة يردون الام
الي السدس واختلفوا في الاثنين فذهب الجمهور انهما يردانها
الي السدس ومذهب ابن عباس انهما لا يردانها اليه بل هما كالاخ
الواحد وحجته ان لفظ الاخوة لا يقع علي الاثنين لانه جمع لا تثنيه
واقل الجمع ثلثة وقال غيره ان لفظ الجمع قد يقع علي الاثنين
كقوله وكنا لحكمهم شاهدين وتسوروا المحراب واطراف النهار
واحتجوا بقوله صلي الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة
وقال مالك مضت السنة ان الاخوة اثنان فصاعدا ومذهبه
ان اقل الجمع اثنان فعلي هذا يحجب الاخوان الام من الثلث الي
السدس سوا كانا شقيقين او لاب او لام او مختلفين وسوا
كان ذكرين او انثيين او ذكرا وانثي فان كان معهما اب ورث بقية
المال ولم يكن للاخوة شي عند الجمهور فهم يحجبون الام ولا يرثون
وقال قوم ياخذون السدس الذي حجبوه عنه الام عنده ان لم يكن
اب وارث **من بعد وصية يوصي بها او دين** قوله من بعد يتعلق
بالاستقرار المقدر في قوله فلهن ثلثا ما ترك اي استقر لهن
الثلثان من بعد وصية ويمتنع ان يتعلق بترك وفاعل يوصي
الميت وانما قدمت الوصية علي الدين والدين مقدم عليها في

الشريعة اهتماما بها وتاكيدا للامر بها وليلا يتهاون بها واخر الدين
لان صاحبه يتقاضاه ولا يحتاج الى تاكيد في الامر باخراجه وتخرج
الوصية من الثلث والدين من راس المال بعد الكفن وانما كرر الوصية
والدين مرتين ليدل على انهما قد يكونا وقد لا يكونا فدل ذلك على
وجوب الوصية اقرب لكم نفعا قيل بالانفاق اذا احتيج اليه وقيل
باتباعه في الاخرة ويحتمل ان يريد نفعا بالميراث من ماله وهو
اليق بسياق الكلام ولكم نصف ما ترك ازواجكم الاية خطاب
للرجال واجمع العلماء على ما تضمنته هذه الاية من ميراث الزوج
والزوجة وان ميراث الزوجة تنفرد به اذا كانت واحدة
ويقسم بينهن ان كن اكثر من واحدة ولا ينقص عن ميراث الزوج
والزوجة وسائر السهام الا ما نقصه العول على مذهب جمهور
العلماء خلافا لابن عباس فانه لا يقول بالعول فان قيل لم كرر
قوله من بعد وصية مع ميراث الزوج ومع ميراث الزوجة ولم
يذكره قبل الا مرة واحدة في ميراث الاولاد والابوين فالجواب
ان الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة والموروث في ميراث
الزوجة هو الزوج وكل واحدة قضية على انفرادها
فلذلك ذكر مع كل واحدة بخلاف الاولى فان الموروث فيهما
واحد ذكر منه ما يرث منه اولاده وابواه وهي قضية
واحدة فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة
وان كان رجل يورث كلالة الكلالة هي انقطاع عمودي النسب
وهو خلو الميت عن ولد ووالد ويحتمل ان تطلق هنا على
الميت الموروث او على الورثة او على الوراثة او على القرابة
او على المال فان كانت للميت فاعرابها خبر كان ويورث في موضع
الصفة او يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث
او تكون كان تامة ويورث في موضع الصفة وكلالة حال من

الضمير

الضمير وان كانت للورثة فهي مصدر في موضع الحال وان كانت
للقرابة فهي مفعول من اجله وان كانت للمال فهي مفعول ثان
ليورث وكل وجه من هذه الوجوه على ان تكون تامة ويورث
في موضع الصفة وان تكون ناقصة ويورث خبرها وله اخ او
اخت المراد هنا الاخ للام باجماع وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او
اخت لامه وذلك تفسير للمعنى فلكل واحد منهما السدس اذا كان الاخ
للام واحدا فله السدس وكذلك اذا كانت الاخت للام واحدة فهم شركا
في الثلث اذا كان الاخوة للام اثنين فصاعدا فلهما الثلث بالسواء
بين الذكر والانثى لان قوله شركا يقتضي التسوية بينهم ولا خلاف
في ذلك غير مضار منصوب على الحال والعامل فيه يوصى
ومضار اسم فاعل قال ابن عباس الضرار في الوصية من
الكبائر ووجوه الضرار كثيرة منها الوصية لوارث والوصية
باكثر من الثلث او بالثلث فرارا عن وارث محتاج فان علم انه
قصد بوصيته الاضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا واختلف
هل يرد الثلث على قولين في المذهب والمشهور انه لا ينفذ
وصية من الله مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله ويجوز ان ينتصب
بغير مضار تلك حدود الله اشارة الى ما تقدم من المواريث
وغيرها ومن يعص الله ورسوله الاية تعلق بها المعتزلة في قولهم
ان العصاة من المومنين يخلدون في النار وتاولها الاشعرية على
انها في الكفار ياتين الفاحشة هي هنا الزنا من نسائكم او من المسلمات
لان المسلمة تحد حد الزنا واما الكافرة فاختلف هل
تحد او يعاقب فاستشهدوا عليهن اربعة منكم قيل انما جعل شهداء
الزنا اربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد وقيل ليكون
شاهدان على كل واحد من الزانيين فامسكوهن في البيوت
كانت عقوبة الزنا الامساك في البيوت ثم نسخ بعد ذلك بالاذى

المذكور بعد هذا او هو السب والتوبيخ وقيل ان الامساك للنسا والاذي
للرجال ولا نسخ بينهما ورجحه ابن عطيه وابن العرس بقوله في
الامساك من نسايكم وفي الاذي منكم ثم نسخ الامساك والاذي
بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن واستقر الامر على ذلك واما
الجلد فمذكور في سورة النور واما الرجم فقد كان في القران ثم
نسخ لفظه وبقي حكمه وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعز
الاسلمي وغيره **فاعرضوا عنهما** لما امر بالاذي للزاني امر بالاعراض
عنه اذا تاب وهو ترك الاذي **انما التوبة على الله** اي انما يتقبل
الله توبة من كان على هذه الصفة واذا تاب العبد توبة صحيحة
بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلما وقال
ابو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به **يعملون السو بجهالة**
اي بسفاهة وقلة تحصيل ادت الى المعصية وليس المعنى
انه يجهل ان ذلك الفعل يكون معصية قال ابو العالية
اجمع الصحابة على ان كل معصية فهي بجهالة سوا كانت عمدا
او جهلا **ثم يتوبون من قريب** قيل قبل المرض والموت وقيل
قبل السياق ومعاينة الملايكة وفي هذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر **وليست
التوبة** الاية في الذين يصرون على الذنوب الى حين لا تقبل التوبة
وهو معاينة الموت فان كانوا كفارا فهم مخلدون في النار باجماع
وان كانوا مسلمين فهم في مشية الله ان شا عذبهم وان شا
غفر لهم فقوله اعتدنا لهم عذابا اليما ثابت في حق الكفار
ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعذابهم مقيد بالمشية
لا يحل لكم ان ترثوا النسا ابن عباس كانوا في الجاهلية اذا مات الرجل
كان اولياوه احق بامراته ان شاوا تزوجها احدهم وان شاوا

زوجوها

زوجوها من غيرهم وان شاوا منعوها التزوج فنزلت الاية في ذلك
فمعنى الاية على هذا لا يحل لكم ان تجعلوا النسا يورثن عن الرجال
كما يورث المال وقيل الخطاب للازواج الذين يمسكون المراة في
العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها وقيل الخطاب للاوليا
الذين يمنعون وليتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج **ولا
تعضلوهن** معطوف على ان ترثوا ومعنى العضل المنع فقال ابن
عباس هي ايضا في اوليا الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج
بعد موته الا ان قوله ما اتيتموهن على هذا معناه ما اتاها
الرجل الذي مات وقال ابن عباس هي في الازواج الذين يمسكون
المراة ويسيون عشرتها حتى تفتدي بصداقها وهو ظاهر
اللفظ في قوله ما اتيتموهن ويقويه قوله وعاشروهن بالمعروف
فان الاظهر فيه ان يكون في الازواج وقد يكون في غيرهم وقيل
هي للاوليا **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** قيل الفاحشة هنا الزنا
وقيل نشوز المراة وبغضها في زوجها فاذا نشزت جاز له ان ياخذ
ما اتاها من صداق او غير ذلك من مالها وهذا جار على مذهب
مالك في الخلع اذا كان الضرر من المراة والزنا اصعب على الزوج
من النشوز فيجوز له اخذ الفدية **فان كرهتموهن** الاية معناها
ان كرهتم النسا لوجه فاصبروا عليه فعسى ان يجعل الله الخير في
وجه اخر وقيل الخير الكثير الولد والاحسن العموم وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم لا يفرك مومن مومنة ان سخط منها خلقا رضي
اخر **وان اردتم استبدال زوج** الاية معناها المنع ان ياخذ الرجل
من المراة فدية على الطلاق اذا اراد ان يبدلها باخرى وعلى هذا
جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية اذا كان الضرر
وارادت الفراق من الزوج وقال قوم ان هذه الاية منسوخة
بقوله في البقرة فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقال قوم

مي ناسخة والصحيح انها غير ناسخة ولا منسوخة فان جواز الفدية
علي وجه ومنعها علي وجه فلا تعارض ولا نسخ **قنطارا** امثال علي
جهة المبالغة في الكثرة وقد استدلت به المراة علي وجه المغالات
في المهور حين نهي عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رضي الله عنه
امراة اصابت ورجل اخطا كل الناس افقه منك يا عمر **افضي بعضكم**
الي بعض كناية عن الجماع **ميثاقا غليظا** قيل عقدة النكاح وقيل قوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الامر بحسن العشرة **ولا**
تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا كان بعض العرب يتزوج امراة ابيه
بعده فنزلت الاية تحريما لذلك فكل امراة تزوجها رجل حرمت علي
اولاده ما سفلوا سوا دخل بها او لم يدخل فالنكاح في الاية بمعني
العقد وما نكح يعني النسا وانما اطلق عليهن ما وان كانت ممن يعقل
لان المراد الجنس فان زني رجل امراة فاختلف هل يحرم تزوجها علي
اولاده ام لا فحرمه ابو حنيفة واجازه الشافعي وفي المذهب
قولان واحتج من حرمه بهذه الاية وحمل النكاح فيها علي الوطي
وقال من اجازه ان الاية لا تتناوله اذ النكاح فيها بمعني العقد
الا ما قد سلف اي الا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالاسلام
فقد عفي عنه فلا تواخذون به ويدل علي هذا قوله ان الله
كان غفورا رحيما في الجمع بين الاختين بعد قوله الا ما قد سلف في
المرة الاخري قال ابن عباس كانت العرب تحرم كلما حرمته
الشريعة الا امراة الاب والجمع بين الاختين وقيل المعني الا ما قد
سلف فدعوه قال الزمخشري الا ما قد سلف فانكحوه ان امكنكم
وذلك غير ممكن فالمعني المبالغة في التحريم **انه كان فاحشة ومقتا**
كان في هذه الاية تقتضي الدوام كقوله كان الله غفورا رحيما وشبه
ذلك وقال المبرد هي زائدة وذلك خطا لوجود خبرها منصوب
وزاد هنا المقت علي ما وصف به الزنا في قوله انه كان فاحشة

ومقتا

ومقتا وسا سبيلا دلالة علي ان هذا افحش من الزني **حرمت عليكم**
الاية معناها تحريم ما ذكر من النسا والنسا المحرمات علي التابيد
ثلاثة اصناف بالنسب وبالرضاع وبالمصاهرة فاما النسب فيحرم
به سبعة اصناف وهي المذكورة في هذه الاية وضابطها انه
يحرم علي الرجل فصوله ما سفلت واصوله ما علت وفصول
ابويه ما سفلت واول فصل من كل اصل متقدم علي ابويه
امهاتكم يدخل فيه الوالدة والجدة من قبل الام والاب ما علون
وبناتكم يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن
واخواتكم يدخل فيه الاخت الشقيقة او لاب او لام **وعماتكم** يدخل فيه
يدخل فيه اخت الام واخت الجدة ما علت سوا كانت شقيقة
او لاب او لام **وبنات الاخ** يدخل فيه كل من تناسل من الاخ الشقيق
ولاب ولام **وبنات الاخت** يدخل فيه ما تناسل من الاخت الشقيقة
وللاب وللام **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة**
ذكر تعالي صنفين من الرضاعة وهما الام والاخت وقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
فاقتضي ذلك تحريم الاصناف السبعة التي تحرم من النسب وهي
الام والبنت والاخت والعمة والخالة وبنت الاخ وبنت الاخت
وتفصيل ذلك يطول وفي الرضاع مسايل لم نذكرها لانها
ليس لها تعلق بالفاظ الاية **وامهات نسايكم** المحرمات بالمصاهرة
اربع وهن زوجة الاب وزوجة الابن وام الزوجة وبنت الزوجة
فاما الثلاث الاول فتحرم بالعقد دخل بها او لم يدخل واما
بنت الزوجة فلا تحرم الا بعد الدخول بامها فان وطيها
حرمت عليه امها بالاجماع وان تلذذ بها بما دون الوطي
تحرمها مالك والجمهور وان عقد عليها ولم يدخل بها لم تحرم
بنتها اجماعا وتحرم هذه الاربع بالرضاع كما تحرم بالنسب

اخت الوالد واخت الجد ما علي
سوا كانت شقيقة او لاب او لام
وخالاتكم صح

وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم الربيبة هي بنت امراة الرجل
من غيره سميت بذلك لانه يربيها فلفظها فعلية بمعنى مفعولة
وقوله اللاتي في حجوركم علي غالب الامر اذ الاكثر ان تكون الربيبة
في حجر زوج امها وهي محرمة سوا كانت في حجره ام لا هذا
عند الجمهور من العلما الا ما روي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه ولم ~~يشترط في تحريم غيرها~~ انه اجاز نكاحها ان لم
تكن في حجره اللاتي دخلتم بهن اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة
ولم يشترطه في غيرها وعلي ذلك جمهور العلما الا ما روي عن علي
ابن ابي طالب انه اشترط الدخول في تحريم الجميع وقد انعقد
الاجماع بعده علي خلاف ذلك وحلايل ابنايكم الحلايل جمع حليلة
وهي الزوجة الذين من اصلابكم تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن
الذي يتبناه الرجل وهو اجنبي عنه كتزوج رسول الله صلي
الله عليه وسلم زينب بنت جحش امراة زيد بن حارثة الكلبي
الذي كان يقال له زيد بن محمد صلي الله عليه وسلم وان تجمعوا
بين الاختين يقتضي تحريم الجمع بين الاختين سوا كانتا شقيقتين
او لاب او لام وذلك في الزوجتين واما الجمع بين الاختين المملوكتين
في الوطي فمنعه مالك والشافعي وابو حنيفة وغيرهم وراو
انه داخل في عموم لفظ الاختين واجازه الظاهرية لانهم
قصروا الاية علي الجمع بالنكاح واما الجمع بين الاختين في الملك
دون وطي فجايز باتفاق الا ما قد سلف المعني الا ما فعلتم
من ذلك في الجاهلية وانقطع بالاسلام فقد عفي عنكم
فلا تواخذون به هذا ارجح الاقوال حسبما تقدم في الموضع
الاول والمحصنات من النسا المراد هنا ذوات الازواج وهو معطوف
علي المحرمات المذكورات قبله والمعني انه لا يحل نكاح المراة
اذا كانت في عصمة الرجل الا ما ملكت ايمانكم يريد السبايا

في

في الاشهر الاقوال والاستثنا متصل والمعني ان المراة الكافرة اذا كان لها
زوج ثم سبيت جاز لمن ملكها من المسلمين ان يطاها وسبب ذلك
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث جيشا الي اوطاس فاصابوا
سبايا من العدو ولهن ازواج من المشركين فتاثم المسلمين من
غشيهن فنزلت الاية مبيحة لذلك ومذهب مالك ان السبي يهدم
النكاح سوا سبي الزوجان الكافران معا او سبي احدهما قبل الاخر
وقال ابن المواز لا يهدم السبي النكاح كتاب الله عليكم منصوب
علي المصدرية اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم
وهو عند الكوفيين منصوب علي الاغرا واحل لكم ما وراذلكم معناه
احل لكم تزوج من سوي ما حرم من النسا وعطف احل علي الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله والفاعل هو الله اي كتب الله عليكم
تحريم من ذكر واحل لكم ما وراذلكم ان تبتغوا مفعول من اجله
او بدل مما وراذلكم وحذف مفعوله وهو النسا محصنين هنا
اعفة ونصبه علي الحال من الفاعل في تبتغوا غير مسافحين
اي غير زناة والسفاح الزنا فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن
فريضة ابن عباس وغيره معناها اذا استمتعتم بالزوجة
ووقع الوطي فقط وجب اعطا الاجر وهو الصداق كاملا وقيل
انها في نكاح المتعة وهو النكاح الي اجل من غير ميراث وكان
جايزا في اول الاسلام فنزلت الاية في وجوب الصداق فيه ثم
حرم عند جمهور العلما فالاية علي هذا منسوخة بالخبر الثابت
في تحريم نكاح المتعة وقيل نسختها اية الفرايض لان نكاح
المتعة لا ميراث فيه وقيل نسختها الذين هم لفروجهم حافظون
وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة وروي انه رجع عنه
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من قال ان الاية المتقدمة في
مهور النسا فمعني هذه جواز ما يتراضون به من زيادة حط

الصداق او تاخيره بعد استقرار الفريضة ومن قال ان الاية في نكاح
المتعة فمعني هذا جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة
وزيادة في الاجر ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
المومنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات معناها اباحة
تزوج الفتيات وهن الاما للرجل اذا لم يجد طولا للمحصنات والطول
هو السعة والمحصنات هنا يراد بهن الحراير غير المملوكات ومذهب
مالك واكثر اصحابه انه لا يجوز للحر نكاح امة الا بشرطين احدهما
عدم الطول وهو الا يجد ما يتزوج به حرة وخوف العنت وهو
الزنا لقوله بعد هذا ذلك لمن خشي العنت منكم واجاز ابن
القاسم نكاحهن دون الشرطين علي القول بان دليل الخطاب
لا يعتبر واتفقوا علي اشتراط الاسلام في الامة التي تتزوج
لقوله من فتياتكم المومنات الا اهل العراق فلم يشترطوا واعراب
طولا مفعول بالاستطاعة او بالمصدر والله اعلم بايمانكم
معناه انه يعلم بواطن الامور ولكم ظواهرها فاذا كانت الامة
ظاهرة الايمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها الي الله بعضكم من
بعض اي ايما وكم منكم وهذا تانيس بنكاح الايما لان بعض العرب
كان يانف من ذلك فانكحوهن باذن اهلهن اي باذن سادتهن المالكين
لهن واتوهن اجورهن اي صدقاتهن وهذا يقتضي انهن احق
بصدقاتهن من سادتهن وهو مذهب مالك بالمعروف اي بالشرع
علي ما تقتضيه السنة محصنات غير مسافحات اي عفيفات غير
زانيات وهو منصوب علي الحال والعامل فيه فانكحوهن
ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الخليل وكان من نسا الجاهلية
من تتخذ خدنا تزني معه خاصة ومنهن من كانت لا ترد يد لامس
فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما علي المحصنات
من العذاب معني ذلك ان الامة اذا زنت بعد ان احصنت فعليها

نصف

نصف حد الحرة فان كانت الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة والامة تجلد
خمسين فاذا احصن يريد به هنا تزوجن والفاحشة هنا الزنا
والمحصنات هنا الحراير والعذاب هنا الحد فاقتضت الاية حد
الامة اذا زنت بعد ان تزوجت ويوخذ حد غير المتزوجة من
السنة وهو مثل حد المتزوجة هذا علي قراة احصن بضم الهمزة
وكسر الصاد وقري بفتحهما ومعناه اسلمن وقيل تزوجن
ذلك لمن خشي العنت منكم الاشارة الي تزوج الامة اي انما يجوز
لمن خشي علي نفسه الزنا لا لمن يملك نفسه وان تصبروا خير لكم
المراد الصبر عن نكاح الايما وهذا ندب الي تركه وعلته ما يودي اليه
واسترقاق الولد يريد الله ليبين لكم قال الزمخشري اصله
ان يبين فزيدت اللام موكدة كما زيدت في لا ابا لك وقال الكوفيون
اللام مصدرية مثل ان ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي يهديكم
مناهج من كان قبلكم من الانبيا والصالحين لتقتدوا بهم والله
يريد ان يتوب عليكم كرر توطية لما بعده وارادة الذين يتبعون
الشهوات وهم هنا الزناة عند مجاهد وقيل المجوس لنكاحهم
ذوات المحارم وقيل هام في كل متبع شهوة وهو ارجح يريد الله
ان يخفف عنكم مقتضي سياق التخفيف الذي وقع في اباحة نكاح
الايما وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده وجعل دينهم
يسرا وخلق الانسان ضعيفا قيل معناه لا يصبر علي النسا وذلك
مقتضي سياق الكلام واللفظ اعم من ذلك لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك
الا ان تكون تجارة استثنا منقطع والمعني لكن ان كانت تجارة
فكلوها وفي اباحة التجارة دليل علي انه يجوز للانسان ان يشتري
بدرهم سلعة تساوي مائة والمشهور امضا البيع وحكي عن
ابن وهب انه يرد اذا كان الغبن اكثر من الثلث وموضع ان نصب

ونصب خبر تكون
وبجارة بالرفع فاعل تكون وهي تامة وقرئ بالنصب خبر تكون
وهي ناقصة عن تراض منكم اي اتفاق وبهذا استدل المالكية
على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقال الشافعي انما يتم
بالتفرق بالابدان لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان
بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم قال ابن عطية اجمع
المفسرون ان المعنى لا يقتل بعضكم بعضا ثلث ولفظها يتناول
قتل الانسان لنفسه وقد حملها عمرو بن العاصي على ذلك
ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمعه ومن
يفعل ذلك اشارة الى القتل لانه اقرب مذكور وقيل اليه
والى اكل المال بالباطل وقيل الى كل ما تقدم من المنهيات من
اول السورة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلف الناس في
الكبائر ما هي فقال ابن عباس الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار
او لعنة او غضب وقال ابن مسعود الكبائر هي الذنوب
المذكورة من اول هذه السورة الى اول هذه الاية وقال بعض
العلماء كلما عصي الله به فهو كبيرة وعدها بعضهم سبعة عشر
وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا السبع الموبقات
الاشراك بالله والسحر وقتل النفس واكل الربا واكل مال اليتيم
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات فلا شك ان هذه من
الكبائر للنص عليها في الحديث وزاد بعضهم عليها اشيا ورد
في الاحاديث النص على انها كبائر او ورد في القران او في الحديث
وعيد عليها فمنها عقوق الوالدين وشهادة الزور واليمين
الغموس والزنا والسرقة وشرب الخمر والغيبة والقنوط
من رحمة الله والامن من مكر الله ومنع ابن السبيل الماء والالحاد
في البيت الحرام والنميمة وترك التحرز من البول واستطالة
المرء في عرض اخيه والجور في الحكم نكفر عنكم سياتكم وعد

بغفران الذنوب الصغاير اذا اجتنبت الكبائر مدخلا كريما اسم مكان
وهو هنا الجنة ولا تتمنوا الاية سببها ان النسا قلن ليتنا استوينا
مع الرجال في الميراث وشركناهم في الغزو فنزلت نهيا عن ذلك
لان في تمنيهم ردا على حكم الشريعة فيدخل في النهي تمني مخالفة
الاحكام الشرعية كلها للرجال نصيب مما اكتسبوا الاية اي من
الاجر والحسنات وقيل من الميراث ويرده لفظ الاكتساب ولكل
جعلنا موالي الاية في معناها وجهان احدهما لكل شي من الاموال
جعلنا موالي يرثونه مما ترك على هذا بيان لكل والاخر لكل احد
جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والاقربون مما ترك على
هذا يتعلق بفعل مضمر والموالي هنا الورثة والعصبة والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم اختلف هل هي منسوخة او محكمة
فالذين قالوا انها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذي
كان في الجاهلية وقيل بالمواخاة التي اخا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين اصحابه ثم نسخها واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فصار الميراث للاقارب والذين قالوا انها محكمة اختلفوا
فقال ابن عباس هي في الموازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث
به وقال ابو حنيفة هي في الميراث وان الرجلين اذا والى
احدهما الاخر على ان يتوارثا صح ذلك وان لم تكن بينهما قرابة
الرجال قوامون على النسا قوام بنا مبالغة من القيام على الشي
والاستبداد بالنظر فيه قال ابن عباس الرجال امرا على النسا
بما فضل الله البا للتعليل وما مصدرية والتفضيل بالامامة
والجهاد وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك وبما انفقوا
هو الصداق والنفقة المستمرة على الزوجات فالصالحات
قانتات اي النسا الصالحات في دينهن مطيعات لازواجهن
او مطيعة لله في حق ازواجهن حافظات للغيب اي تحفظ كلما

غاب عن علم زوجها فيدخل في ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله
وبيته وحفظ اسراره بما حفظ الله اي بحفظ الله ورعايته او بامره
للنسا ان يطعن الزوج ويحفظنه بما مصدرية او بمعني الذي
واللاتي تخافون نشوزهن قيل الخوف هنا اليقين وقيل هو
علي اصله فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن
هذه انواع من تاديب المراة اذا نشزت من زوجها وهي علي
مراتب فالوعظ في النشوز الخفيف والهجران فيما هو اشد منه
والضرب فيما هو اشد ومهما انتهت عن النشوز بوجه من
التاديب لم يتعد الي ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها
وقيل ترك الجماع اذا ضاجعها والضرب غير مبرح فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا اي اذا اطاعت المراة زوجها فليس له
ان يوذيها بهجر ولا ضرب وان خفتم شقاق بينهما الشقاق
الشر والعداوة وكان الاصل ان خفتم شقاقا بينهما ثم اضيف
الظرف الي الشقاق علي الاتساع كقوله تعالي بل مكر الليل والنهار
واصله بالليل والنهار فابعثوا حكما الاية ذكر تعالي الحكم في
نشوز المراة والحكم في طاعتها ثم ذكر هنا حالة اخري وهي اذا
سا ما بين الزوجين ولم يقدر علي الاصلاح بينهما ولا علم
من الظالم منهما فيبعث حكمان مسلمان لينظرا في امرهما وينفذ
ما ظهر لهما من خلع وتطليق من غير اذن الزوج وقال ابو
حنيفة ليس لهما الفراق الا ان يجعل لهما وان اختلفا لم يلزم شي
الا باتفاقهما ومشهور مذهب مالك ان الحاكم هو الذي يبعث
الحكمين وقيل يبعثهما الزوجان وجرت عادة القضاة ان
يبعثوا امراة امينة ولا يبعثوا حكمين قال بعض العلما هذا
تغيير لحكم القران والسنة الجارية من اهله يجوز في المذهب
ان يكون الحكمين من غير اهل الزوجين والاكمل ان يكونا من اهلهما

كما

كما ذكر الله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير في يريدا
للحكمين وفي بينهما للزوجين علي الاظهر وقيل الضميران للزوجين
وقيل للحكمين والجار ذي القربي والجار الجنب ابن عباس الجار
ذي القربي هو القريب النسب والجار الجنب الاجنبي وقيل ذي
القربي القريب المسكن منك والجنب البعيد المسكن عنك وحد
الجوار عند بعضهم اربعون دارا من كل ناحية والصاحب بالجنب
ابن عباس الرفيق في السفر وعلي بن ابي طالب الزوجة مختالا
اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلا وهي الكبر والاعجاب بنفسه
فخورا شديد الفخر الذين يبخلون بدل من قوله مختالا او نصب
علي الذم او رفع بخبر ابتدا مضمر او مبتدا وخبره محذوف تقديره
يعذبون والاية في اليهود نزلت في قوم منهم كردم وحيي
ابن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون للانصار
لا تنفقوا اموالكم في الجهاد والصدقات وهي مع ذلك عامة
فيمن يفعل هذه الافعال من المسلمين والذين ينفقون عطف
علي الذين يبخلون وقيل علي الكافرين والاية في المنافقين
الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد ريا وسمعة وقيل
في اليهود وقيل في مشركي مكة الذين انفقوا اموالهم في حرب
المسلمين قرينا اي ملازما له يغويه وماذا عليهم لو امنوا
الاية استدعا لهم بملاطفة او توبيخ علي ترك الايمان والتوبيخ
والانفاق كانه يقول اي مضرة عليهم في ذلك مثقال ذرة
اي وزنها وهي النملة الصغيرة وذلك تمثيل بالقليل تنبيها
علي الكثير وان تك حسنة بالرفع فاعل وتك تامة وبالنصب
خبر علي ان اسمها قصة واسمها مضمر فيها يضاعفها اي يكثرها
واحدة بعشر الي سبعماية واكثر ويوت من لدنه اي من عنده تفضلا
وزيادة علي ثواب العمل فكيف اذا جينا تقديره كيف الحال اذا جينا

بشهيد وهو نبيهم يشهد عليهم باعمالهم وجينا بك علي هولا شهيدا
اي تشهد علي قومك ولما قرا ابن مسعود هذه الاية علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ذرفت عيناه لو تسوي بهم الارض
اي يتمنون ان يدفنوا فيها ثم تسوي بهم كما تسوي بالموتي وقيل
يتمنون ان يكونوا سوا مع الارض كقوله ويقول الكافر ياليتني
كنت ترابا وذلك لما يرون من اهوال القيامة ولا يكتمون الله
حديثا استيناف اخبار انهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله
شيا فان قيل كيف هذا مع قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
فالجواب من وجهين احدهما ان الكتم لا ينفعهم لانهم اذا كتموا
تنطق جوارحهم فكانهم لم يكتموا والاخر انهم طوايف مختلفة
ولهم اوقات مختلفة وقيل ان قوله ولا يكتمون عطف علي
تسوي اي يتمنون ان لا يكتموا لانهم اذا كتموا افتضحوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكاري سببها ان جماعة من الصحابة شربوا
الخمر قبل تحريمها ثم قاموا الي الصلاة وامهم احدهم فخلط في
القراة فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر قال بعض
الناس هي منسوخة بتحريم الخمر وذلك لا يلزم لانه ليس فيها
ما يقتضي اباحة الخمر في حين تحريمها وقال بعضهم معناها
لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة اذ المرء مامور بالصلاة
فكانها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب وهذا
بعيد من مقتضي اللفظ حتي تعلموا ما تقولون حتي تعود اليكم
عقولكم فتعلمون ما تقرون ويظهر من هذا ان السكران لا يعلم
ما يقول فاخذ بعض الناس من ذلك ان السكران لا يلزمه طلاقه
ولا اقراره ولا جنبا الا عابري سبيل فقيل انه المسافر ومعني
الاية علي هذا نهي ان يقرب الصلاة وهو جنب الا في السفر

فيصلي

فيصلي بالتيمم دون اغتسال فمقتضي الاية اباحة التيمم للجنب
في السفر ويوخذ اباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث
وقيل عابر السبيل المار في المسجد والصلاة هنا يراد بها
المسجد لانها موضع الصلاة فمعني الاية علي هذا النهي ان يقرب
المسجد الجنب الا خاطرا عليه وعلي هذا اخذ الشافعي الاية
لانه يجيز للجنب ان يمر في المسجد ولا يجوز له ان يقعد فيه ومنع
مالك المرور والقعود واجازهما داود وان كنتم مرضي او علي سفر
سببها عدم الصحابة للما في غزوة المريسيع فابيح لهم التيمم
لعدم الما ثم ان عدم الما علي ثلاثة اوجه احدها عدمه في السفر
والثاني عدمه في المرض فيجوز التيمم في هذين الوجهين
باجماع لان الاية نص في المرض والسفر اذا عدم الما فيهما لقوله
وان كنتم مرضي او علي سفر ثم قال فلم تجدوا واما الوجه الثالث
عدم الما في الحضر دون مرض فاختلف الفقها فيه فمذهب
ابو حنيفة انه لا يجوز فيه التيمم لان ظاهر الاية ان عدم الما انما
يعتبر مع المرض او السفر ومذهب مالك والشافعي انه يجوز
فيه التيمم فان قلنا ان الاية لا تقتضيه فيوخذ جوازه من
السنة وان قلنا ان الاية تقتضيه فيوخذ جوازه منها وهذا
هو الارجح ان شا الله وذلك انه ذكر في اول الاية المرض والسفر
ثم ذكر الاحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله فلم
تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا الي المرض والي السفر والي
ما احدث في غير مرض ولا سفر فيجوز التيمم علي هذا لمن عدم
الما في غير مرض ولا سفر فيكون في الاية حجة لمالك والشافعي
ويجوز التيمم ايضا في مذهب مالك للمريض اذا وجد الما ولم
يقدر علي استعماله لضرر بدنه فان قلنا ان الاية لا تقتضيه
فيوخذ جوازه من السنة وان قلنا ان السنة تقتضيه فيوخذ

انكنتم مرضي ان معناه مرضي
جوازه منهما على ان يتناول قوله وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند
لاتقدرون علي مس الما اوزيادة المرض اوتاخر البرء وعند
مالك هوان يخاف الموت اوزيادة المرض اوتاخر البرء وعند
الشافعي خوف الموت لاغير وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما
تقصر فيه الصلاة ام لا اوجاء احد منكم في اوهنا تاويلان
احدهما ان تكون للتفصيل والتنويع علي بابها والاخر انها بمعني
الواو فعلي القول بانها علي بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء
راجعا الي المريض والمسافر والي من جا من الغايط والي من لامس
سوا كانا مريضين او مسافرين ام لا حسبما ذكرنا قبل هذا
فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح اذا عدم الما وهو
مذهب مالك والشافعي فتكون في الاية حجة لها وعلي القول
بانها بمعني الواو يكون قوله فلم تجدوا ما راجعا الي المريض
والمسافر فيقتضي ذلك انه لايجوز التيمم الا في المرض والسفر
مع عدم الما وانه لايجوز للحاضر الصحيح اذا عدم الما ولكن يوخذ
جواز التيمم له من موضع اخر والراجح ان تكون او علي بابها
لوجهين احدهما ان جعلها بمعني الواو اخراج لها عن اصلها
وذلك ضعيف والاخر ان كانت علي بابها كان فيها فايدة
اباحة التيمم للحاضر الصحيح اذا عدم الما علي ما ظهر لنا فيها
واذا كانت بمعني الواو لم تعط هذه الفايدة وحجة من جعلها
بمعني الواو انه لو جعلها علي بابها لاقتضي المعني ان المرض
والسفر حدث يوجب الوضوء كالغايط لعطفه عليها وهذا
لايلزم لان العطف باو هنا للتنويع والتفصيل ومعني الاية
كانه قال يجوز لكم التيمم اذا لم تجدوا الما ان كنتم مرضي او علي
سفر او احدثتم في غير مرض ولا سفر الغايط اصله المكان
المنخفض وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين وهو

العذره والريح والبول لان من ذهب الي الغايط لكون منه هذه
الاحداث الثلاث وقيل انما هو كناية عن العذره واما البول
والريح فيوخذ وجوب الوضوء لهما من السنة وكذلك الودي
والمذي اولامستم النسا واختلف في المراد بالملامسة هنا علي ثلاثة
اقوال احدها انها الجماع وما دونه من التقبيل واللمس باليد
وغيرها وهو قول مالك فعلي هذا ينتقض الوضوء باللمس
الذي هو دون الجماع علي تفصيل في المذهب ويجب معه
التيمم اذا عدم الما ويكون الجنب من اهل التيمم والقول الثاني انها
ما دون الجماع فعلي هذا ينتقض الوضوء باللمس ولا يجوز التيمم
للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويوخذ جوازه عند من
اجازه من الحديث والثالث انها الجماع لاغير فعلي هذا يجوز
التيمم للجنب ولا يكون ما دون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب
ابي حنيفة فلم تجدوا ماء هذا يفيد وجوب طلب الما وهو مذهب
مالك خلافا لابي حنيفة فان وجده بثمن فاختلف هل يجوز له
التيمم ام لا وان وهب له فاختلف هل يلزمه قبوله ام لا فتيمموا
التيمم في اللغة القصد وفي الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول
من المعني اللغوي صعيدا طيبا الصعيد عند مالك هو وجه
الارض كان ترابا او رملا او حجارة فاجاز التيمم بذلك كله
وهو عند الشافعي التراب لاغير والطيب هنا الطاهر
واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب
المنقول كالمجعول في طبق وبالاجر وبالجص المطبوخ
وبالجدار وبالنبات الذي علي وجه الارض وذلك كله علي
الاختلاف في معني الصعيد فامسحوا بوجوهكم وايديكم
لايكون التيمم الا في عضوين المفروضين وتقدم الوجه علي اليدين
لظاهر الاية وذلك علي الندب عند مالك ويستوعب الوجه

بالمسح واما اليدان فاختلف هل يمسحهما الي الكوعين او الي المرفقين
ولفظ الاية محتمل لانه لم يحد وقد احتج من قال الي المرفقين
بان هذا مطلق فيحمل علي المقيد وهو تحديدها في الوضوء
بالمرفقين الذين اوتوا نصيبا من الكتاب هم اليهود هنا وفي
الموضع الثاني قال السهيلي فالموضع الاول نزل في رفاعة
ابن زيد بن التابوت وفي الثاني نزل في كعب بن الاشرف يشترون
الضلالة عبارة عن ايثارهم الكفر علي الايمان فالشرا مجاز
كقوله اشتروا الضلالة بالهدي وفي تكرار قوله كفي بالله
مبالغة من الذين هادوا من راجعة الي الذين اوتوا نصيبا
او الي اعدائكم فهي بيان وقال الفارسي هي ابتداء كلام
تقديره من الذين هادوا قوم وقيل هي متعلقة بنصيرا
علي قول الفارسي يحرفون الكلم يحتمل تحريف اللفظ او المعني
وقيل هنا التوراة وقيل كلام النبي صلي الله عليه وسلم
غير مسمع معناه لا سمعت راعنا ذكر في البقرة سمعنا واطعنا
عوض من قولهم سمعنا وعصينا واسمع عوض من قولهم
اسمع غير مسمع وانظرنا عوض من قولهم راعنا وهو
النظر او الانتظار فهذه الاشيا الثلاثة في مقابلة
الاشيا الثلاثة التي ذمهم علي قولها لما فيها من سوء
الادب مع رسول الله صلي الله عليه وسلم واخبر
انهم لو قالوا هذه الثلاثة الاخر عوضا من تلك لكان
خيرا لهم فان هذه ليس فيها سوء ادب مصدقا ذكر في البقرة
ان نطمس وجوها ابن عباس طمسها ان تزل العينان منها وترد
في القفا فيكون ذلك ردا علي الدبر وقيل طمسها محو تخطيط
صورها من انف واعين وحاجب حتي تصير كالادبار في خلوها
عن الحواس او نلعنهم اي نمسخهم كما مسخ اصحاب السبت

وقد

وقد ذكر في البقرة اويكون من اللعن المعروف والضمير يعود علي
الوجوه والمراد اصحابها او علي الذين اوتوا الكتاب علي الالتفات
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا هذه الاية
هي الحاكمة في مسئلة الوعيد وهي المبينة لما تعارض فيها من
الاية وهي الحجة لاهل السنة والقاطعة بالخوارج والمعتزلة
والمرجية وذلك ان مذهب اهل السنة ان العصاة من المومنين
في مشية الله ان شا عذبهم وان شا غفر لهم وحجتهم هذه الاية
فانها نص في هذا المعني ومذهب الخوارج ان العصاة يعذبون
سوا كانت ذنوبهم صغايرا وكبايرا ومذهب المعتزلة انهم يعذبون
علي الكباير ولابد ويرد علي الطايفتين قوله ويغفر ما دون
ذلك ومذهب المرجية ان العصاة كلهم يغفر لهم ولابد
وانه لا يضر ذنب مع ايمان ويرد عليهم قوله لمن يشا وانه
تخصيص لبعض العصاة وقد تاولت المعتزلة الاية علي
مذهبهم فقالوا لمن يشا هو التايب فان التايب لا خلاف فيه
انه لا يعذب وهذا التاويل بعيد لان قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به في غير التايب من الشرك وكذلك قوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا في غير التايب من العصيان ليكون
اول الاية واخرها علي نسق واحد وتاولت المرجية علي
مذهبهم فقالوا لمن يشا معناه لمن يشا ان يومن وهذا ايضا
بعيد لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن ايات كثيرة
في الوعيد فحملها المعتزلة علي العصاة وحملها المرجية
علي الكفار وحملها اهل السنة علي الكفار وعلي من لا يغفر
الله له من العصاة كما حملوا اية الوعد علي المومنين الذين
لم يذنبوا وعلي المذنبين التايبين وعلي من يغفر الله له من
العصاة غير التايبين فعلي مذهب اهل السنة لا يبقي تعارض

بين اية الوعد واية الوعيد بل يجمع بين معانيهما بخلاف قول غيرهم كان
الايات فيهما تعارض وتخليص المذاهب ان الكافر اذا تاب عن كفره
غفر له باجماع وان مات على كفره لم يغفر له وخلد في النار باجماع
وان العاصي من المومنين ان تاب غفر له وان مات من دون توبة
فهو الذي اختلف الناس فيه **الذين يزكون انفسهم** هم اليهود
لعنهم الله وتزكيتهم قولهم نحن ابنا الله واحباوه وقيل مدحهم
لانفسهم **فتيلا** الفتيل هو الخيط الذي في شق النواة للتمر وقيل
ما يخرج بين اصبعيك وكفيك اذا فتلتهما وهو تمثيل وعبارة
عن اقل الاشيا فيدل على الاكثر بطريق الاولى **يفترون** دليل
على ان تزكيتهم لانفسهم بالباطل **يومنون بالجبت والطاغوت**
قال ابن عباس الجبت هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن
الاشرف وقال عمر بن الخطاب الجبت السحر والطاغوت الشيطان
وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وبالجملة فهما كلما
عبد او اطيع من دون الله **ويقولون للذين كفروا** الاية سببها
ان حيي بن اخطب او كعب بن الاشرف او غيرهما من اليهود
قالوا للكفار قريش انتم اهدى سبيلا من محمد واصحابه **ام لهم نصيب**
من الملك الهمزة للاستفهام مع الانكار **نقيرا** النقير هو النقرة
في ظهر النواة وهو تمثيل وعبارة عن اقل الاشيا والمراد
وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك وانهم
حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو اقل الاشيا ويبخلون بما هو
اكثر منه من باب اولى **ام يحسدون الناس** وصفهم بالحسد
مع البخل والناس يراد به النبي صلى الله عليه وسلم وامته
والفضل النبوة وقيل النصر والعزة وقيل الناس العرب
والفضل كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم **فقد اتينا ال**
ابراهيم الكتاب والحكمة المراد بال ابراهيم ذريته من بني

اسرايل وغيرهم مما اتاه الله الكتب التي انزلها والحكمة التي علمها
والمقصد بالايات الرد على اليهود في حسدهم لسيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم ومعناها الزام لهم بما عرفوه من فضل الله
على ال ابراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان **فمنهم من امن**
به الاية قيل المراد من اليهود من امن بالنبي صلى الله عليه
وسلم او بالقران المذكور في قوله مصدقا لما معكم او بما
ذكر من حديث ابراهيم فهذه ثلاثة اوجه في ضمير به
وقيل منهم اي من ال ابراهيم من امن بابراهيم ومنهم من كفر
كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون **كلما نضجت جلودهم**
الاية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود اخرى اذ نفوسهم هي
المعذبة وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار وقيل
الجلود السرابيل وهو بعيد **ازواج مطهرة** ذكر في البقرة
ظلا ظليلا صفة من لفظ الظل للتاكيد اي دايما لا تنسخه
الشمس وقيل نفي الحر والبرد **ان الله يامركم** الاية قيل هي
خطاب للولاة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم حين
اخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام وكذلك
حكمها واولوا الامر هم الولاة وقيل العلما وقيل نزلت في
عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سرية **فردوه الى الله والرسول** الرد الى الله
هو النظر في كتابه والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم
هو سواله في حياته والنظر في سنته بعد وفاته **ان كنتم**
يحتمل ان يكون هذا الشرط راجعا الى قوله فردوه او الى قوله
اطيعوا والاول اظهر لانه اقرب اليه واحسن تاويلا
اي مالا وعاقبة وقيل احسن نظرا منكم **الذين يزعمون** الاية
نزلت في المنافقين وقيل في منافق ويهودي كان بينهما

خصومة فتحاكموا الي كعب بن الاشرف اليهودي وقيل الي كاهن
رايت المنافقين وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق ودل
ذلك علي ان الاية المتقدمة نزلت في المنافقين فكيف اذا
اصابتهم مصيبة الاية اي كيف يكون حالهم اذا عاقبهم الله بذنوبهم
ثم جاوك يحتمل ان يكون هذا معطوفا علي ما قبله او يكون م
معطوفا علي قوله يصدون ويكون قوله فكيف اذا اصابتهم
اعتراضا فاعرض عنهم اي عن معاقبتهم وليس المراد بالاعراض
القطيعة لقوله وعظهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وعد
بالمغفرة لمن استغفر وفيه استدعا للاستغفار والتوبه ومعنى
جاوك اتوك تايبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون ان تستغفر
لهم الله فلا وربك لا هنا موكدة للنفي الذي بعدها شجر بينهم
اي اختلط واختلفوا فيه ومعنى الاية انهم لا يومنوا حتى
يرضوا بحكم النبي صلي الله عليه وسلم ونزلت بسبب
المنافقين الذين تحاكموا وقيل بسبب خصام الزبير مع
رجل من الانصار في الما وحكمها عام ولو انا كتبنا عليهم
الاية معناها لو فرض عليهم كما فرض علي من كان قبلهم من
المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم الا القليل منهم الذين هم
مومنون حقا وقد روي ان من هولا القليل ابو بكر وعمر
وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس الا قليل بالرفع
بدل من الضمير وقرا ابن عامر وحده بالنصب علي اصل
الاستثنا او علي الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع النبي
صلي الله عليه وسلم وطاعته والانقياد له واشد تثبيتا
اي تحقيقا لايمانهم واذا لاتيناهم جواب لسوال مقدر عن حالهم
لو فعلوا ذلك فاوليك مع الذين انعم الله ثواب علي الطاعة
اي هم معهم في الجنة وهذه الاية مفسرة لقوله صراط الذين

انعمت

انعمت عليهم والصديق فعيل من الصدق او من التصديق والمراد
المبالغة والصديقون ارفع الناس درجة بعد الانبيا والشهدا
المقتولون في سبيل الله ومن جرا مجراهم من ساير الشهدا كالغريق
وصاحب الهدم وورد في الحديث انهم سبعة وحسن اوليك رفيقا
الاشارة الي الاصناف الاربعة المذكورة والرفيق يقع علي
الواحد والجماعة كالخليط او هو مفرد بين به الجنس ومعنى
الكلام اخبار واستدعا للطاعة التي ينال بها مرافقة هولا
الفضل من الله الاشارة الي الثواب علي الطاعة بمرافقة
من ذكر في الجنة والفضل صفة او خبر خذوا حذركم اي
تحذروا من عدوكم واستعدوا له فانفروا ثبات اي اخرجوا
للجهاد جماعات متفرقين وذلك كناية عن السرايا وقيل
ان الثبات ما فوق العشرة ووزنها فعلة بفتح العين ولامها
محذوفة او انفروا جميعا اي مجتمعين في الجمع الكثير خيرهم في
الخروج الي الغزو في قلة او في كثرة وان منكم لمن ليبطين
الخطاب للمومنين والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم
اذ هم يزعمون انهم من المومنين ويقولون امنا واللام في لمن
للتاكيد وفي ليبطين جواب قسم محذوف ومعناه يبطي
غيره اي يثبطه عن الجهاد ويحمله علي التخلف عن الغزو
وقيل يبطي يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل فان اصابتكم
مصيبة اي قتل وهزيمة والمعنى ان المنافق تسره غيبته
من المومنين اذا هزموا وشهيدا معناه حاضرا معهم ولين
اصابكم فضل من الله اي نصر وغنيمة والمعنى ان المنافق يندم
علي ترك الغزو معهم اذا غنموا فيتمنى ان يكون معهم
كان لم يكن بينكم وبينه مودة جملة اعتراض بين القول ومعموله
فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده

الذين يشرون اي يبيعون فيقتل او يغلب ذكر الحالتين للمقاتل ووعد
بالاجر على كل واحدة منهما وما لكم لا تقاتلون تحريض على القتال
وما مبتدا والمجرور خبر ولا تقاتلون في موضع الحال والمستضعفين
هم الذين حبسهم مشركو قريش بمكة ليفتنوهم عن الاسلام
وهم عطف على اسم الله او مفعول معه القرية الظالم اهلها
هي مكة حين كانت للمشركين يقاتلون في سبيل الله وما بعده اخبار
قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال الذين
قيل لهم كفوا ايديكم الاية قيل هي في قوم من الصحابة كانوا
قد امروا بالكف عن القتال قبل ان يفرض الجهاد فتمنوا ان يؤمروا
به فلما امروا به كرهوه لا شكا في دينهم ولكن خوفا من الموت
وقيل هي في المنافقين وهو اليق في سياق الكلام متاع
الدنيا قليل تحقير للدنيا فتضمن ردا عليهم في كراهتهم
للموت في بروج مشيدة اي في حصون منيعة وقيل المشيدة
المطولة وقيل المبنية بالشيد وهو الجص وان تصبهم
حسنة الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات
والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك والضمير في تصبهم
وفي يقول للذين قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على
انها في المنافقين لان المومنين لا يقولون للنبي صلى الله
عليه وسلم ان السيئات من عنده قل كل من عند الله
رد على من نسب السيئة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعلام ان السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله
اي بقضائه وقدره فما لهؤلاء القوم توبيخ لهم على قلة
فهمهم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
كل مخاطب على الاطلاق يدخل فيه غيره من الناس وفيه

تاويلان

تاويلان احدهما نسبة الحسنة الى الله والسيئة الى العبد تادبا مع الله
في الكلام وان كان كل شي منه في الحقيقة وذلك كقوله عليه الصلاة
والسلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك وايضا فنسبة السيئة
الى العبد انما بسبب ذنوبه لقوله وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم فهي من العبد بتسببه فيها ومن الله بالخلقة والاختراع
والثاني ان هذا من كلام القوم المذكورين قبل والتقدير يقولون
كذا فمعناها كالمعنى التي قبلها من يطع الرسول فقد اطاع الله
هذه الاية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت
طاعته طاعة الله لانه يامر وينهى عن الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا اي من اعرض عن طاعتك فما انت عليه بحفيظ تحفظ
اعماله بل حسابه وجزاؤه على الله وفي هذا متاركة وموادعة
منسوخة بالقتال ويقولون طاعة اي امرنا وشاننا طاعة لك
وهي في المنافقين باجماع بيت طائفة منهم غير الذي تقول
بيت اي تدبر الامر بالليل والضمير في تقول للمخاطب وهو
النبي صلى الله عليه وسلم او للطائفة فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم
افلا يتدبرون القران حض على التفكر في معانيه لتظهر ادلته
وبراهينه اختلافا كثيرا اي تناقض كما في كلام البشر او تفاوت
في الفصاحة لكن القران منزه عن ذلك فدل على انه كلام الله
وان عرضت لاحد شبهة وظن اختلافا في شي من القران
فالواجب ان يتهم نظره ويسال اهل العلم ويطالع تواليفهم
حتى يعلم ان ذلك ليس باختلاف واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به قيل هم المنافقون وقيل قوم من ضعفاء المسلمين
كانوا اذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش او غير ذلك اذاعوا به
اي تكلموا به وشهروه قبل ان يعلموا صحته وكان في اذاعتهم
له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة التثبت

ما نكر الله ذلك عليهم ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم اي لو ترك هولا الكلام بذلك الاسر الذي بلغهم
وردوه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم والي اولوا الامر وهم
كبر الصحابة واهل البصاير منهم لعلمه القوم الذين يستنبطونه
اي يستخرجونه من الرسول واولي الامر فالذين يستنبطونه
علي هذا طايفة من المسلمين يسالون عنه الرسول صلي
الله عليه وسلم واولي الامر وحرف الجر في قوله يستنبطونه
منهم لابتدا الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير المجرور
يعود علي الرسول واولي الامر وقيل الذين يستنبطونه هم
اولي الامر كما جا في الحديث عن عمر رضي الله عنه انه سمع
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم طلق نساه فدخل
عليه فقال اطلقت نساك فقال لا فقام علي باب المسجد
فقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يطلق نساه
فانزل الله هذه القصة قال وانا الذي استنبطته فعلي هذا
الذين يستنبطونه هم اولوا الامر والضمير المجرور يعود عليهم
ومنهم لبيان الجنس واستنباطه علي هذا هو سوالهم عنه
النبي صلي الله عليه وسلم او بالنظر وبالبحث واستنباطه
علي التاويل الاول وهو سوال الذين اذاعوه للرسول
عليه الصلاة والسلام ولاولي الامر ولولا فضل الله عليكم
ورحمته اي هداه وتوفيقه او بعثه للرسل وانزاله للكتب
والخطاب في هذه الاية للمومنين الا قليلا اي الا اتباعا قليلا
فالاستثنا من المصدر والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا في امور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها وقيل انه
استثنا من الفاعل في اتبعتم اي الا قليلا منكم وهم الذين
كانوا قبل الاسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل

والفضل

والفضل والرحمة علي هذا بعث الرسول وانزال الكتاب وقيل ان
الاستثنا من قوله اذاعوا به لا تكلف الا نفسك لا تثاقل بعض
الناس عن القتال قيل هذا للنبي صلي الله عليه وسلم
اي ان افردوك فقاتل وحدك فانما عليك ذلك وحرض المومنين
ليس عليك في شان المومنين الا التحريض عسي الله ان يكف
باس الذين كفروا قيل عسي من الله واجبة والذين كفروا هنا قريش
وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وبفتح مكة واشد تنكيلا
اي عقابا وعذابا شفاعة حسنة هي الشفاعة في مسلم تفرج
عنه كربة او تدفع مظلمة او يجلب اليه خيرا والشفاعة السيئة
بخلاف ذلك وقيل الشفاعة الحسنة الطاعة والشفاعة السيئة
هي السيئة والاول اظهر والكفل هو النصيب مقيتا قيل قديرا
وقيل حفيظا وقيل يقيت الحيوان اي يرزقهم القوت فحيوا باحسن
منها او ردوها معنى ذلك الامر برد السلام والتخيير بين ان يرد
بمثل ما سلم عليه او باحسن منه والاحسن افضل مثال ان يقال
له سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة ورد السلام
واجب علي الكفاية عند مالك والشافعي وقال بعض الناس هو
فرض عين واختلف في الرد علي الكفار فقيل يرد عليهم لعموم
الاية وقيل لا يرد عليهم وقيل يقال لهم عليكم حسبما جا في
الحديث وهو مذهب مالك ولا يبتدون بالسلام ليجمعنكم
جواب قسم محذوف وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بالي
ومن اصدق لفظه استفهام ومعناه لا احد اصدق من الله
فما لكم في المنافقين فئتين ما استفهامية بمعنى التوبيخ والخطاب
للمسلمين ومعنى فئتين اي طايفتين مختلفتين وهو منصوب
علي الحال والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس انها نزلت
في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا انهم امنوا ولم يهاجروا

ثم سافر قوم منهم الي الشام بتجارات فاختلف المسلمون هل
يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لانهم لم يهاجروا او هل يتركونهم لانهم
مومنين وقال زيد بن ثابت نزلت في المنافقين الذين رجعوا
عن القتال يوم احد فاختلف الصحابة في امرهم ويرد هذا
قوله حتي يهاجروا اركسهم اي اضلهم او اهلكهم ودوا لو
تكفرون الضمير للمنافقين اي تمنوا ان تكفروا فخذوهم
يريد بالاسر الا الذين يصلون الاية استثنا من قوله فخذوهم
واقتلوهم ومعناها ان من وصل من الكفار غير المعاهدين
الي الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة
فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك قتاله وكان ذلك في اول
الاسلام ثم نسخ بالقتال في سورة براة قال السهيلي وغيره
الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة الي قوم بينكم وبينهم
ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع
رسول الله صلي الله عليه وسلم فمعني يصلون الي قوم
ينتهون اليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل
معني يصلون ينتسبون وهذا ضعيف جدا بدليل قتال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لقريش وهم اقاربه
واقارب المومنين فكيف لا يقاتل اقارب الكفار المعاهدين
او جاوكم حصرت صدورهم عطف علي يصلون او علي صفة
قوم وهي بينكم وبينهم ميثاق والمعني يختلف باختلاف ذلك والاول
اظهر وحصرت صدورهم في موضع الحال بدليل قراة يعقوب
حصرة ومعناه ضاقت علي القتال وكرهته ونزلت الاية في
قوم جاوا الي المسلمين وكرهوا ان يقاتلوا المسلمين وكرهوا ايضا
ان يقاتلوا قومهم وهم اقاربهم الكفار فامر الله بالكف عنهم ثم
نسخ ايضا ذلك بالقتال فان اعتزلوكم اي سالموكم فلا تقاتلوهم

والسلم

والسلم هنا الانقياد ستجدون اخرين الاية نزلت في قوم مخادعين
وهم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا
المسلمين فاذا رجعوا الي قومهم كفروا ونكثوا ليامنوا قومهم والفتنة
هنا الكفر علي الاظهر وقيل الاختبار وما كان لمومن ان يقتل مومنا
الا خطا نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحرث بن زيد وكان
الحرث يعذبه علي الاسلام ثم اسلم وهاجر ولم يعلم عياش
باسلامه فقتله وقيل ان الاستثنا هنا منقطع والمعني لا يحل
لمومن ان يقتل مومنا بوجه لكن الخطا قد يقع والصحيح انه
متصل والمعني لا ينبغي لمومن ولا يليق به ان يقتل مومنا
الا علي وجه الخطا من غير قصد ولا تعمد اذ هو مغلوب فيه
وانتصاب خطا علي انه مفعول من اجله او حال او صفة
لمصدر محذوف ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة
ودية هذا بيان ما يجب علي القاتل خطا فاوجب الله عليه
التحرير والدية فاما التحرير ففي مال القاتل واما الدية ففي مال
عاقلته وجا ذلك عن النبي صلي الله عليه وهو بيان للاية
اذ لفظها يحتمل ذلك وغيره واجمع الفقها عليه واشترط مالك
في الرقبة التي تعتق ان تكون مومنة ليس فيها عقد من عقود
الحرية سالمة من العيوب فنص هنا ولذلك اجمع العلما عليه
هنا واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين واما سلامتها
من عقود الحرية فيظهر من قوله تحرير رقبة لان ظاهره
انه ابتدا عتق عند التكفير بها واما سلامتها من العيب فزعموا
ان اطلاق الرقبة يقتضيه وفي ذلك نظر ولم يبين في الاية
مقدار الدية وهي عند مالك ماية من الابل علي اهل الابل
والف دينار شرعية علي اهل الذهب واثنا عشر الف درهم
علي اهل الورق وروي ذلك عن عمر بن الخطاب مسلمة الي اهله

اي مدفوعة اليهم والاهل هنا الورثة واختلف في مدة تسليمها
فقيل هي حالة عليهم وقيل يودونها في ثلاث سنين وقيل في
اربع ولفظ التسليم مطلق وهو اظهر في الحلول لولا ما جا من
السنة في ذلك الا ان يصدقوا الضمير يعود علي اوليا المقتول
اي اذا اسقطوا الدية سقطت واذا اسقطها المقتول سقطت
ايضا عند مالك والجمهور خلافا لاهل الظاهر وحجتهم
عود الضمير علي الاوليا وقال الجمهور انما هذا اذا لم يسقطها
المقتول فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة
معنى الاية ان المقتول خطا ان كان مومنا وقومه كفار اعداوهم
المحاربون فانما في قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع
لهم ليلا يتقووا بها علي المسلمين وراء ابن عباس ان ذلك انما هو
فيمن امن وبقي في دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره وراء مالك
ان الدية في هذا لبيت المال فالاية عنده منسوخة وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق الاية معناها ان المقتول خطا ان
كان قومه كفارا معاهدين ففي قتله تحرير رقبة والدية الي
اهله لاجل معاهدتهم والمقتول علي هذا مومن ولذلك
قال مالك لاكفارة في قتل الذمي وقيل ان المقتول في هذه
الاية كافر فعلي هذا تجب الكفارة في مثل قتل الذمي وقيل
هي عامة في المومن والكافر ولفظ الاية مطلق الا ان قيده
قوله وهو مومن في الاية التي قبلها وقرا الحسن هنا وهو
مومن فمن لم يجد فصيام شهرين اي من لم يجد العتق ولم يقدر
عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوضا منه توبة من الله
منصوب على المصدر ومعناه رحمة منه وتخفيفا ومن يقتل
مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها الاية نزلت بسبب مقيس

ابن

ابن صبابة كان قد اخذ دية اخيه هشام المقتول خطا ثم قتل رجلا
من القوم الذين قتلوا اخاه وارتد مشركا فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقتله والمتعمد عند الجمهور هو الذي يقصد
القتل بحديدة او حجر او عصى او غير ذلك وهذه الاية معضلة
علي مذهب الاشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المومنين
في النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة
في النار لقوله خالدا فيها وتاولها الاشعرية باربعة اوجه
احدها ان قالوا انها في الكافر اذا قتل مومنا والثاني قالوا معنى
المتعمد هنا المستحل للقتل وذلك يوول الي الكفر والثالث قالوا
الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الابدي وانما هو عبارة عن طول
المدة والرابع انها منسوخة بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما المعتزلة فحملوها علي
ظاهرها وراوا انها ناسخة لقوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا واحتجوا علي ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة
بعد الهينة وبقول ابن عباس الشرك والقتل من مات عليهما
خلد وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذنب عسى
الله ان يغفره الا الرجل يموت كافرا والرجل يقتل المومن متعمدا
وتقتضي الاية وهذه الاثار ان للقتل حكما يخصه من بين ساير
المعاصي واختلف الناس في القاتل عمدا اذا تاب هل تقبل توبته
ام لا وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل اذا اقتص منه هل
يسقط عنه العقاب في الاخرة ام لا والصحيح انه يسقط عنه
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصاب ذنبا
فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة وبذلك قال الجمهور ضربتم في
سبيل الله اي سافرتم في الجهاد فتبينوا من البيان وقرى بالثا
المثلثة من الثبات والتفعل فيهما بمعنى الاستفعال اي اطلبوا

بيان الامر وبثوته **القي اليكم السلم** اي انقاد والقي بيده وقري السلام
بمعنى التحية ونزلت في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال لا اله
الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم فقتله فشق ذلك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل علي بن حبامة
والمقتول مرداس بن نهيك **تبتغون عرض الحياه الدنيا** يعني
الغنيمة وكان للرجل المقتول غنم **فعند الله مغانم كثيرة** وعد
وتزهيد في غنيمة من اظهر الاسلام **كذلك كنتم من قبل** قيل معناه
كنتم كفارا فهداكم الله للاسلام وقيل كنتم تخفون ايمانكم من قومكم
فمن الله عليكم بالعزة والنصر حتى اظهرتموه **لا يستوي القاعدون**
من المومنين الاية معناها تفضيل من جاهد على من لم يجاهد
وهم القاعدون **غير اولي الضرر** لما نزلت الاية قال ابن ام مكتوم الاعمى
فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضرير البصر فنزل غير
اولي الضرر وقري غير بالحركات الثلاث بالرفع صفة للقاعدين
وبالنصب على الاستثنا او الحال والخفض صفة للمومنين **درجة**
قيل هي تفضيل على القاعدين من اهل العذر والدرجات على القاعدين
بغير عذر وقيل ان الدرجات مبالغة وتاكيد للدرجة **الحسنى**
الجنة **اجرا** منصوب على الحال من درجات او المصدر من معنى
فضل وانتصب درجات على البدل من الاجر او بفعل مضمر
وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اي غفر لهم ورحمهم
مغفرة ورحمة **ان الذين توفاهم الملايكة** الاية نزلت في قوم
اسلموا بمكة ولم يهاجروا فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار
فقتل منهم قيس بن الفاكه والحارث بن ربيعة وقيس بن الوليد
ابن المغيرة وعلي بن امية بن خلف ويحتمل ان يكون توفاهم
ماضيا او مضارعا وانتصب ظالمي على الحال **قالوا فيما كنتم**
اي في اي شي كنتم في امر دينكم **قالوا كنا مستضعفين في الارض**

اعتذار

اعتذار عن التوبيخ الذي وبخهم الملايكة اي لم نقدر على الهجرة وكان
اعتذارا بالباطل **قالوا الم تكن ارض الله واسعة** رد عليهم وتكذيب
لهم في اعتذارهم **الا المستضعفين** الذين كان استضعافهم حقا قال ابن
عباس كنت انا وابي وامي ممن عنى الله بهذه الاية **مراغما** اي متحولا
وموضعا يرغم عدوه بالذهاب اليه **وسعة** اي اتساع في الارض
وقيل في الرزق **فقد وقع اجره على الله** اي ثبت وصح **ومن يخرج**
من بيته الاية حكمها على العموم ونزلت في ضمرة بن العيص
وكان من المستضعفين بمكة وكان مريضا فلما سمع ما انزل الله
في الهجرة قال اخرجوني فهيي له فراش فوضع عليه وخرج فمات
في الطريق وقيل نزلت في خالد بن حزام فانه هاجر الى ارض
الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات قبل ان يصل الى
ارض الحبشة **واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا**
من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اختلف العلما في
تاويلها على خمسة اقوال اولها انها في قصر الصلاة الرباعية
الى ركعتين في السفر وان ذلك لا يجوز الا في حال الخوف على
ظاهر الاية وهو قول عايشة وعثمان رضي الله عنهما الثاني ان
الاية تقتضي ذلك ولكن يوخذ القصر في السفر دون الخوف
من السنة ويويد هذا حديث يعلي بن امية قال قلت لعمر
ابن الخطاب ان الله يقول ان خفتم وقد امن الناس فقال عجبت
مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد ثبت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو امن الثالث
ان قوله ان خفتم راجع الى قوله واذا كنت فيهم الاية التي
بعد ذلك والواو زايدة وهذا بعيد الرابع انها في صلاة الخوف
على قول من يرى ان تصلي كل طايفة ركعة خاصة قال

ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف
ركعة الخامس انما في صلاة المسايفة والمتفرع على هذا هو من هيات
الصلاة كقوله فان خفتم فرجالا او ركبانا واذا قلنا انما في القصر
في السفر فظاهرها ان القصر رخصة والاتمام افضل وهو مذهب
الشافعي وقال مالك القصر افضل وقيل انهما سوا واوجب ابو حنيفة
القصر وليس في لفظ الاية ما يدل على مقدار المسافة التي تقصر
الصلاة فيها لان قوله اذا ضربتم في الارض معناه السفر مطلقا
ولذلك اجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل او قصير ومذهب
مالك والشافعي ان مسافة القصر ثمانية واربعون ميلا واحتجوا
باثار عن ابن عمر وابن عباس وكذلك ليس في الاية ما يدل على
تخصيص القصر بسفر القربة او السفر المباح دون سفر المعصية
فان لفظها مطلق في السفر ولذلك اجاز ابو حنيفة القصر في
سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية ومنعه مالك في سفر
المعصية ومنعه ابن حنبل في المعصية وفي المباح وللقصر
احكام لا تتعلق بالاية فاضربنا عن ذكرها والمراد بالفتنة
في هذه الاية القتال او التعرض بما يكره واذا كنت فيهم
الاية في صلاة الخوف وظاهرها يقتضي انها لا تصلى بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه شرط كونه فيهم وبذلك قال
ابو يوسف واجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وسلم
لانهم راوا ان الخطاب له يتناول امته وقد فعلها الصحابة
بعده صلى الله عليه وسلم لانهم راوا ان الخطاب له
واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة اقوال لاختلاف
الاحاديث فيها ولسنا نضطر الى ذكرها فان تفسيرها لا يتوقف
على ذلك وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة
الخوف في غزوة ذات الرقاع فلتقم طايفة منهم معك يقسم الامام

المسلمين

المسلمين على طايفة فيصلي بالاولى نصف الصلاة ونصف الاخرى
تحرس ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة وتقف الاخرى تحرس
ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة وتقف الاولى تحرس واختلف
هل تتم كل طايفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ام لا وعلى القول
بالاتمام اختلف هل يتمونها في اثر صلاتهم مع الامام او بعد ذلك
وليأخذوا اسلحتهم واختلف في المامور لاخذ الاسلحة فقيل
الطايفة المصلية او الحارسة والاول ارجح لانه قد قال بعد ذلك
في الطايفة الاخرى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ويدل ذلك على
انهم ان قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم ان يقاتلوا من قاتلهم
والا لم يكن معنى لاخذ الاسلحة اذا لم يدفعوا بها من قاتلهم فاذا
سجدوا فليكونوا من ورايكم الضمير في قوله سجدوا للطايفة المصلين
والمعنى اذا سجدوا معك في الركعة الاولى وقيل اذا سجدوا في ركعة
القضا والضمير في قوله فليكونوا من ورايكم يحتمل ان يكون للذين
سجدوا اي اذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراكم وعلى هذا ان
كان السجود في الركعة الاولى فيقتضي ذلك انهم يقومون للحراسة
بعد انقضا الركعة الاولى ثم يحتمل بعد ذلك ان يقضوا بقية
صلاتهم او لا يقضونها وان كان السجود في ركعة القضا فيقتضي
ذلك انهم لا يقومون للحراسة الا بعد القضا وهو مذهب مالك
والشافعي ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فليكونوا للطايفة
الاخرى اي يقفون ورا المصلين يحرسونهم في حال سجودهم
ولتات طايفة اخرى يعني الطايفة الحارسة ود الذين كفروا الاية
اخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الايقاع
بالمسلمين اذ اشتغلوا بصلاتهم فنزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم واخبره بذلك وشرعت صلاة الخوف حذرا من
الكفار وفي قوله ميلة واحدة مبالغة اي مناصلة لا يحتاج معها

اي ثابتة **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر** الاية نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** ان قيل كيف طابق الامر بالحذر للعذاب المهين فالجواب ان الامر بالحذر من العدو يقتضي توهم قوتهم وعدتهم فنفى ذلك الوهم بالاخبار ان الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المومنين قال ذلك الزمخشري وانما يصح ذلك اذا كان العذاب المهين في الدنيا والاظهر انه في الاخرة **فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله** الاية اي اذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالسنتكم وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب لتعم جميع احوال الانسان وقيل المعنى اذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فان لم تقدروا فقعودا فان لم تقدروا فعلى جنوبكم **فاذا اطماننتم فاقيموا الصلاة** اي اذا اطماننتم من الخوف فاقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة **كتابا موقوتا** اي محدودا بالاوقات وقال ابن عباس فرضا مفروضا **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** اي لا تضعفوا في طلب الكفار **ان تكونوا تالمون** الاية معناها ان اصابكم الم من القتال فكذلك يصيب الكفار الم مثله ومع ذلك فانكم ترجون اذا قاتلتموهم النصر في الدنيا والاجر في الاخرة وذلك تشجيع للمسلمين **لتحكم بين الناس بما اراك الله** يحتمل ان يريد بالوحي او بالاجتهاد او بهما واذا تضمنت الاجتهاد ففيها دليل على اثبات النظر والقياس خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم **ولا تكن للخائنين خصيما** نزلت هذه الاية وما بعدها في قصة طعمة بن الابيرق اذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الانصار وجا قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه بري ونسبوا السرقة الى غيره وظن رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم انهم صادقون فجادل عنهم ليدفع ما نسب اليهم حتى نزل القران فافتضحوا فالخائنون في الاية هم السراق بنو الابيرق وقال السهيلي هم بشر وبشير ومبشر واسير ومعناها لا تكن لاجل الخائنين مخاصما لغيرهم **واستغفر الله** اي من خصامك عن الخائنين على انه صلى الله عليه وسلم انما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم **اذ يبيتون** اي يدبرون ليلا وانما سمي التدبير قولا لانه كلام النفس وربما كان معه كلام باللسان **ومن يكسب خطيئة او اثما** قيل ان الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وقيل هما بمعنى وكرر لاختلاف اللفظ **ثم يرم به بريا** كان القوم قد نسبوا السرقة الى لبيد بن سهل **لهمت طائفة منهم ان يضلوك** هم الذين جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وابروا ابن ابيرق من السرقة وهذه الاية وان كانت انما نزلت بسبب هذه القصة فهي ايضا تتضمن احكاما غيرها وبقية الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتعديد انعم الله عليه **لا خير في كثير من نجواهم** ان كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي فالاستثناء الذي بعدها منقطع وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره الا نجوى من امر وان كان النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل **ومن يشاقق الرسول** اي يعاديه والشقاق هو العداوة ونزلت الاية بسبب ابن الابيرق لانه ارتد وسار الى المشركين ومات على الكفر وهي عامة فيه وفي غيره **ويتبع غير سبيل المومنين** استدل الاصوليون بها على صحة اجماع المسلمين وانه لا يجوز مخالفته لان من خالفه اتبع غير سبيل المومنين وفي ذلك نظر **نوله ما تولى** اي نتركه مع اختياره الفاسد **ان الله لا يغفر ان يشرك به** قد تقدم الكلام على نظيرتها **ان يدعون من دونه الا اناثا** الضمير في يدعون للكفار ومعنى يدعون يعبدون

واختلف في الاناث هنا فقيل هي الاصنام لان العرب كانت تسمي الاصنام
باسما مونثة باللات والعزي وقيل المراد الملايكة لقول الكفار
انهم اناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك علي وجه اقامة الحجة عليهم
بقولهم الفاسد وقيل المراد الاصنام لانها لا تفعل فيخبر عنها
كما يخبر عن المونث الا شيطانا مريدا يعني ابليس وانما قال انهم
يعبدونه لانهم يطيعونه في الكفر والضلال والمريد هو الشديد
العتو والاضلال لعنه الله صفة للشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا الضمير للشيطان اي فرضته لنفسي من قولك
فرضت للجند وغيرهم والمراد بهم اهل الضلال ولامنينهم اي
اعدهم الاماني الكاذبة فليبتكن اذان الانعام اي يقطعونها
والاشارة بذلك الي البحيرة وشبهها وليغيرن خلق الله التغيير
هو الخصا وشبهه وقد رخص جماعة من العلما في خصا البهايم
اذا كان فيها منفعة ومنعه بعضهم لظاهر الاية وقيل التغيير هو
الوشم وشبهه ويدل علي هذا الحديث الذي لعن فيه الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله
محيصا اي معدلا ومهربا وعد الله حقا مصدران الاول موكد
للوعد الذي يقتضيه قوله سندخلهم جنات والثاني موكد
لوعد الله لهم [illegible] ليس بامانيكم الاية اسم ليس مضمر
تقديره الامر وشبهه والخطاب للمسلمين وقيل للمشركين اي
لا يكون ما تمنون ولا اماني اهل الكتاب بل يحكم الله بين عبيده
ويجازيهم باعمالهم من يعمل سوا يجز به وعيد حتم في الكفار ومقيد
بمشية الله في المسلمين ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعيض
رفقا بالعباد لان الصالحات علي الكمال لا يطيقها البشر وهو مومن
تقييد باشتراط الايمان فانه لا يقبل عمل الا به نقيرا هو النقرة
التي في نواة التمرة والمعني تمثيل باقل الاشيا واتبع ملة ابراهيم

اي

اي دين الاسلام حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم
خليلا اي صفيا وهو مشتق من الخلة بمعني المودة وفي ذلك
تشريف لابراهيم وترغيب في اتباعه يستفتونك في النساء اي
يسئلونك عما يجب عليهم في امر النسا وما يتلي عليكم عطف علي
اسم الله اي يفتيكم الله والمتلو عليكم في الكتاب يعني القران في يتامي
النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن كان الرجل من العرب يتزوج
اليتيمة من اقاربه بدون ما تستحقه من الصداق فقوله ما كتب
لهن يعني ما تستحقه المراة من الصداق وقوله وترغبون ان
تنكحوهن يعني لجمالهن ومالهن من غير توفية حقوقهن فنهاهم
الله عز وجل عن ذلك اول السورة وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامي الا وهذه الاية هي التي تليت عليهم في يتامي النساء
والمستضعفين من الولدان عطف علي يتامي النساء والذي
تلي في المستضعفين من الولدان وهو قوله يوصيكم الله في
اولادكم لان العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير
فامر الله ان ياخذوا نصيبهم من الميراث وان تقوموا لليتامي
بالقسط عطف علي المستضعفين اي والذي يتلي عليكم في ان
تقوموا لليتامي بالقسط ويجوز ان يكون منصوبا تقديره
ويامركم ان تقوموا والخطاب في ذلك للاوليا والاوصيا
او للقضاة وشبههم والذي تلي عليهم في ذلك هو قوله ان
الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما الاية وقوله ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الي غير ذلك وان امراة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا معني الاية
اباحة الصلح بين الزوجين اذا خافت النشوز والاعراض وكما يجوز
الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز والاعراض وقد
تقدم معني النشوز واما الاعراض فهو اخف ووجوه الصلح كثيرة

في قوله

منها ان يعطيها الزوج شيا او تعطيه هي او تسقط حقها من النفقة
او الاستمتاع او غير ذلك وسبب الاية ان سودة بنت زمعة لما
كبرت خافت ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
له امسكني في نسايك ولا تقسم لي وقد وهبت يومي لعايشة
والصلح خير لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما وقيل
معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا التفضيل
واللام في الصلح للعهد **واحضرت الانفس الشح** معناه ان الشح جعل حاضرا
مع النفوس لا يغيب عنها لانها جبلت عليه والشح هو الا يسمح
الانسان لغيره بشي من حظوظ نفسه وشح المراة من هذا هو
طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع وشح الزوج هو منع الصداق
والتضييق في النفقة وزهده في المراة لكبر سنها او قبح صورتها
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا معناه العدل التام الكامل
في الاقوال والافعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن
عباده فانهم لا يستطيعون وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم بين نسايه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما
املك فلا تواخذني بما لا املك يعني ميله بقلبه وقيل ان الاية
نزلت في ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه الى عايشة ومعناها
اعتذار من الله تعالى عن عباده **فتذروها كالمعلقة** اي لا ذات زوج
ولا مطلقة **وان يتفرقا** الاية معناها ان تفرق الزوجان بطلاق اغنى
الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه وهذا وعد بخير وتانيس
ولقد وصينا الاية اخبار ان الله وصى الاولين والاخرين بان
يتقوه **ويات باخرين** اي بقوم غيركم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي وقال هم
قوم هذا **من كان يريد ثواب الدنيا** الاية تقتضي الترغيب في طلب
ثواب الاخرة لانه خير من ثواب الدنيا وتقتضي ايضا ان يطلب
ثواب

ثواب الدنيا والاخرة من الله وحده فان ذلك بيده لا بيد غيره
وعلى احد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه فالتقدير على
الاول من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وعلى الثاني من كان يريد ثواب الدنيا
فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والاخرة **كونوا قوامين**
بالقسط مجتهدين في اقامة العدل **شهدا لله** معناه لوجه
الله ولمرضاته **ولو على انفسكم** يتعلق بشهدا وشهادة الانسان
على نفسه هي اقراره بالحق ثم ذكر الوالدين والاقربين اذ هم
مظنة للتعصب والميل فاقامة الشهادة على الاجنبيين
من باب اولى واحرى **ان يكن غنيا او فقيرا** جواب ان محذوف
على الاظهر اي ان يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنع من الشهادة
تعظيما له وان كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اشفاقا
عليه فان الله اولى بالغني والفقير اي بالنظر لهما **فلا تتبعوا الهوى**
ان تعدلوا ان مفعول من اجله ويحتمل ان يكون المعنى من العدل
فالتقدير ارادة ان تعدلوا بين الناس او من العدول فالتقدير
كراهة ان تعدلوا عن الحق **وان تلووا او تعرضوا** قيل ان الخطاب
للحكام وقيل للشهود واللفظ عام في الوجهين واللي ~~تحريف~~
هو تحريف الكلام اي ان تلووا عن الحكم بالعدل او عن الشهادة
بالحق او تعرضوا عن صاحب الحق او عن المشهود له بالحق فان
الله يجازيكم فانه خبير بما تعملون وقري وان تلوا بضم اللام
من الولاية اي ان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عنها **امنوا**
بالله الاية خطاب للمسلمين معناه الامر بان يكون ايمانهم على
الكمال بكل ما ذكر او يكون امرا بالدوام على الايمان وقيل خطاب
لاهل الكتاب الذين امنوا بالانبيا المتقدمين معناه الامر بان
يومنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب للمنافقين

معناه الا[ن] يومنوا بالسنتهم وقلوبهم **ان الذين امنوا ثم كفروا**
الاية قيل هي في المنافقين لترددهم بين الايمان والكفر وقيل
في اليهود والنصارى لانهم امنوا بانبيائهم وكفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم والاول ارجح لان الكلام من هنا فيهم والاظهر
انها فيمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ثم عاد الى الايمان
ثم ارتد وازداد كفرا **لم يكن الله ليغفر لهم** ذلك فيمن علم الله انه يموت
على كفره وقد يكون اصلا لهم عقابا لهم وسوء افعالهم **وقد نزل**
عليكم في الكتاب الاية اشارة الى قوله واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم وغيرها وفي الاية دليل
على وجوب تجنب اهل المعاصي والضمير في قوله منهم
يدل على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين
الذين يتربصون بكم صفة للمنافقين اي ينتظرون بكم دوائر
الزمان **الم نستحوذ عليكم** اي نغلب على امركم بالنصرة لكم والحمية
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا قال علي بن ابي
طالب وغيره ذلك في الاخرة وقيل السبيل هنا الحجة البالغة
يخادعون الله ذكر في البقرة وهو خادعهم تسمية العقوبة
باسم الذنب لان وبال خداعهم راجع عليهم **مذبذبين** اي
مضطربين مترددين لا الى الاسلام ولا الى الكفر **سلطانا مبينا**
اي حجة ظاهرة **ان المنافقين في الدرك الاسفل** اي في الطبقة
السفلى من جهنم وهي سبع طبقات وفي ذلك دليل على انهم
اشد من الكفار **الا الذين تابوا** استثنا من المنافقين والتوبة
هنا الايمان الصادق في الظاهر والباطن **ما يفعل الله بعذابكم**
المعنى اي حاجة او منفعة لله بعذابكم وهو الغني عنكم وقدم
الشكر على الايمان لان العبد ينظر الى النعم فيشكر عليها
ثم يومن بالمنعم فكان الشكر سبب الايمان متقدم عليه

ويحتمل

ويحتمل ان يكون الشكر يتضمن الايمان ثم ذكر الايمان بعده توكيدا
واهتماما به والشاكر اسم الله ذكر في اللغات **الا من ظلم** اي الا
جهر المظلوم فيجوز له من الجهر ان يدعوا على من ظلمه وقيل
ان يذكر ما فعل به من الظلم وقيل ان يرد عليه بمثل مظلمته
ان كان شتمه **ان تبدوا خيرا او تخفوه** الاية ترغيب في فعل
الخير سرا وعلانية وفي العفو عن الظالم بعد ان اباح الانتصار
لان العفو احب الى الله من الانتصار واكد ذلك بوصفه
تعالى بنفسه مع القدرة **ان الذين يكفرون** الاية في اليهود
والنصارى لانهم امنوا بانبيائهم وكفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وغيره بعضا ومعنى التفريق بين الله ورسله
الايمان به والكفر برسله وكذلك التفريق بين الرسل هو
الكفر ببعضهم والايمان ببعضهم فحكم الله على من كان كذلك بحكم
الكفر الحقيقي الكامل **والذين امنوا** الاية في امة محمد صلى
الله عليه وسلم لانهم امنوا بالله وجميع رسله **يسالك اهل**
الكتاب الاية روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
لن نومن بك حتى تاتينا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى
بالتوراة وقيل كتاب الى فلان وكتاب الى فلان بانك رسول
الله وانما طلبوا ذلك على وجه التعنت فذكر الله سوالهم
من موسى وسوء ادبهم معه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم بالتاسي بغيره ثم ذكر افعالهم القبيحة ليبين ان كفرهم
انما هو عناد وقد تقدم في البقرة ذكر طلبهم للروية واتخاذهم
العجل ورفع الطور فوقهم واعتدائهم في السبت وغير ذلك
بما اشير اليه هنا **فبما نقضهم ميثاقهم** ما زايدة للتاكيد والبا
تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا
او تتعلق بقوله حرمنا عليهم ويكون فبظلم على هذا بدلا

من قوله فبما نقضهم بهتانا عظيما هو ان رموا مريم بالزنا مع
رويتهم الاية في كلام عيسي في المهد وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسي بن مريم عده الله في جملة قبايحهم قولهم انا قتلنا المسيح
لانهم قالوها افتخارا وحده مع انهم كذبوا في ذلك ولزمهم الذنب
وهم لم يقتلوه لانهم صلبوا الشخص الذي القي عليه شبهه
وهم يعتقدون انه عيسي وروي ان عيسي قال للحواريين
ايكم يلقي عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة
فقال احدهم انا فالقي عليه شبهه عيسي فقتل علي انه عيسي
وقيل بل دل علي عيسي يهودي فالقي الله شبه عيسي
علي اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسي الي السما حتي ينزل
الي الارض فيقتل الدجال رسول الله ان قيل كيف قالوا فيه
رسول الله وهم يكفرون به ويسبونه فالجواب من ثلاثة اوجه
احدها انهم قالوا ذلك علي وجه التهكم والاستهزا والثاني
انهم قالوا علي حسب اعتقاد المسلمين فيه كانهم قالوا رسول
الله عندكم او بزعمكم والثالث انه من قول الله لا من قولهم
فيوقف وفايدة تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم انا قتلناه
وما قتلوه وما صلبوه رد عليهم وتكذيب لهم وللنصاري
ايضا في قولهم انه صلب حتي عبدوا الصليب من اجل ذلك
والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم انه اله او انه ابن الله
ثم يقولون انه صلب ولكن شبه لهم فيه تاويلان احدهما
ما ذكرنا من القا شبهه علي الحواري او علي اليهودي والاخر
ان معناه شبه لهم الامر اي خلط لهم القوم الذين حاولوا
قتله بانهم قتلوا رجلا اخر وصلبوه ومنعوا الناس ان يقربوا
منه حتي تغير بحيث لا يعرف وقالوا للناس هذا عيسي ولم
يكن عيسي فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب

وان

وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه روي انه لما رفع عيسي والقي
شبهه علي غيره فقتلوه قالوا ان كان هذا هو المقتول عيسي فاين صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فاين عيسي فاختلفوا فقال بعضهم هو وقال
بعضهم ليس هو فاجمعوا ان شخصا قتل واختلفوا من كان الا اتباع
الظن استثنا منقطع لان العلم تحقيق والظن تردد وقال ابن عطية
هو متصل اذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات فان قيل
كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين علي السواء ثم
وصفهم بالظن وهو ترجيح احد الاحتمالين فالجواب انهم كانوا
علي الشك ثم لاحت لهم امارات فظنوا قاله الزمخشري وقد
يقال الظن بمعني الشك وبمعني الوهم الذي هو اضعف من الشك
وما قتلوه يقينا اي ما قتلوه قتلا يقينا فاعراب يقينا علي
هذا صفة لمصدر محذوف وقيل هو مصدر في موضع الحال
اي ما قتلوه متيقنين وقيل هو تاكيد للنفي الذي في قتلوه

قوله ما
صح

اي يتيقن نفي قتله وهو علي هذا منصوب علي المصدرية
بل رفعه الله اليه اي الي سمايه وقد ورد في حديث الاسرا
انه في السما الثانية وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن بعيسي
به قبل موته فيها تاويلان احدهما ان الضمير في موته لعيسي
والمعني ان كل احد من اهل الكتاب يومن بعيسي حين ينزل الي
الارض قبل ان يموت عيسي وتصير الاديان كلها حنيفية دينا
واحدا وهو دين الاسلام والثاني ان الضمير في موته للكتابي
الذي تضمنه قوله وان من اهل الكتاب التقدير وان من اهل
الكتاب احد الا ليومنن بعيسي ويعلم انه نبي قبل ان يموت
هذا الانسان وذلك حين معاينة الموت وهو ايمان لا ينفعه
وقد روي هذا المعني عن ابن عباس وغيره وفي مصحف ابي
ابن كعب قبل موتهم وفي هذه القراة تقوية للقول الثاني

والضمير في به لعيسي علي الوجهين وقيل هو لمحمد صلي الله عليه
وسلم وبصدهم يحتمل ان يكون بمعني الاعراض فيكون كثيرا صفة
لمصدر محذوف تقديره صدا كثيرا او بمعني صدهم لغيرهم
فيكون كثيرا مفعولا بالصد اي صدوا كثيرا من الناس عن
سبيل الله لكن الراسخون في العلم منهم هو عبد الله بن سلام
ومخيرق ومن جرا مجراهم والمقيمين منصوب علي المدح باضمار
فعل وهو جايز كثيرا في الكلام وقالت عايشة هو من
لحن كتاب المصحف وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون علي الاصل
انا اوحينا اليك الاية رد علي اليهود الذين سالوا النبي صلي
الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج
عليهم بان الذي اتي به وحي كما اتي من تقدم من الانبيا
بالوحي من غير انزال الكتاب من السما ولذلك اكثر من ذكر
من الانبيا الذين كان سالهم هذا لتقوم بهم الحجة ورسلا
قد قصصناهم منصوب بفعل مضمر اي ارسلنا رسلا وكلم
الله موسي تكليما تصريح بالكلام موكد بالمصدر وذلك دليل
علي بطلان قول المعتزلة ان الشجرة هي التي كلمت موسي
رسلا مبشرين منصوب بفعل مضمر او علي البدل لئلا يكون
للناس علي الله حجة بعد الرسل اي بعثهم الله ليقطع حجة
من يقول لو ارسل الي رسولا لامنت لكن الله يشهد الاية
معناها ان الله يشهد بان القران من عنده وكذلك تشهد
الملايكة بذلك وسبب الاية انكار اليهود للوحي فجاء
الاستدراك علي تقدير انهم قالوا لن نشهد بما انزل اليك
فقيل لكن الله يشهد بذلك وفي الاية من ادوات البيان
التزيد وهو ذكر المشاهدة اولا ثم ذكرها في اخر الاية
انزله بعلمه في هذا دليل لاهل السنة علي اثبات علم الله

خلافا

خلافا للمعتزلة في قولهم انه عالم بلا علم وقد تاولوا الاية تاويل بعيد
يا ايها الناس خطاب عام لان النبي صلي الله عليه وسلم بعث الي جميع
الناس فامنوا خيرا لكم انتصب خيرا هنا وفي قوله انتهوا خيرا لكم
بفعل مضمر لا يظهر تقديره ايتوا خيرا لكم هذا مذهب سيبويه وقال
الخليل انتصب بقوله امنوا وانتهوا علي المعني وقال الفرا فامنوا
ايمانا خيرا لكم فنصبه علي النعت لمصدر محذوف وقال الكوفيون
هو خبر كان المحذوفة تقديره يكون الايمان خيرا لكم فان لله ما في
السموات والارض اي هو غني عنكم لا يضره كفركم يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم هذا خطاب للنصاري لانهم غلوا في عيسي حتي
كفروا فلفظ اهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصاري
بدليل ما بعد ذلك والغلو هو الافراط وتجاوز الحد وكلمته اي
مكون عن كلمته التي هي كن من غير واسطة اب ولا نطفة وروح
منه اي ذو روح من الله فمن هنا لابتدا الغاية والمعني من
عند الله وجعله من عند الله لان الله ارسل به جبريل عليه
السلام الي مريم ولا تقولوا ثلاثة نهي عن التثليث الخبيث وهو
مذهب النصاري واعراب ثلاثة خبر ابتدا مضمر له ما في السموات
وما في الارض برهان علي تنزيهه تعالي عن الولد لانه مالك كل
شي لن يستنكف لن يانف ومعناه حيث وقع ولا الملايكة فيه دليل
لمن قال ان الملايكة افضل من الانبيا لان المعني لن يستنكف عيسي
ومن فوقه قد جاكم برهان هو القران وهو ايضا النور المبين ويحتمل
ان يريد بالبرهان الدلايل والحجج وبالنور النبي صلي الله عليه وسلم
لانه سماه سراجا يستفتونك اي يطلبون منك الفتيا ويحتمل
ان يكون هذا الفعل طلبا للكلالة ويفتيكم ايضا طلب لها فيكون
من باب الاعمال واعمل الاعمال الثاني علي اختيار البصريين
او يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه والاول اظهر

وقد تقدم معنى الكلالة في اول السورة والمراد بالاخت والاخ هنا
الشقايق والذين للاب اذا عدم الشقايق وقد تقدم حكم الاخوة للام
في قوله وان كان رجل يورث كلالة الاية **ان امرو هلك** ارتفع
بفعل مضمر عند البصريين ولا اشكال فيما ذكرهنا من احكام
المواريث **ان تضلوا** مفعول من اجله تقديره كراهة ان تضلوا

سورة المايدة

اوفوا بالعقود قيل ان العقود هنا ما عقده الانسان مع غيره
من بيع ونكاح وغير ذلك وقيل ما عقده مع ربه من الطاعات
كالحج والصيام وشبه ذلك وقيل ما عقده الله عليهم من التحليل
والتحريم في دينه ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك في قوله احلت
لكم وما بعده بهيمة الانعام هي الابل والبقر والغنم واضافة
البهيمة اليها من باب اضافة الشي الي ما هو اخص منه لان البهيمة
تقع علي الانعام وغيرها قال الزمخشري هي الاضافة التي بمعنى من
كخاتم من حديد اي البهيمة من الانعام وقيل هي الوحش كالظبا
وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب ان الانعام لا تقع الا علي
الابل والبقر والغنم وان البهيمة تقع علي كل حيوان ما عدا الانسان
الا ما يتلي عليكم يريد الميتة واخواتها **غير محلي الصيد** نصب
علي الحال من الضمير في لكم **وانتم حرم** حال من محلي الصيد
وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج فالاستثنا بالا من البهايم
المحللة والاستثنا بغير من القوم المخاطبين **لا تحلوا شعاير الله**
قيل هي مناسك الحج كان المشركون يحجون ويعتمرون فاراد
المسلمون ان يغيروا عليهم فقيل لهم لا تحلوا شعاير الله اي
لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هي الحرم واحلاله الصيد
فيه وقيل هي ما يحرم علي الحاج من النسا والطيب وغير ذلك
واحلاله فعله **ولا الشهر الحرام** قيل هي جنس الاشهر الحرم

الاربعة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل الشهر الحج
وهي شوال وذو القعده وذو الحجة واحلالها هو القتال فيها
وتغيير حالها **ولا الهدي** هو ما يهدي الي البيت الحرام من الانعام
ويذبح تقربا الي الله فنهي الله ان يستحل بان يغار عليه او يصد عن
البيت **ولا القلايد** هي التي تعلق في اعناق الهدي فنهي عن التعرض
لها وقيل اراد ذوات القلايد من الهدي وهي البدن وجردها
بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتماما بها وتاكيد الامرها
ولا امين البيت الحرام اي القاصدين الي البيت لحج او عمرة ونهي
الله عن الاغارة عليهم او صدهم عن البيت ونزلت الاية علي ما قال
السهيلي بسبب الحطم البكري واسمه شريح بن ضبيعة اخذته
خيل رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يقصد الي الكعبة
ليعتمر وهذا النهي عن احلال هذه الاشيا عام في المسلمين والمشركين
ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام وبقوله ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**
الفضل الربح في التجارة والرضوان الربح في الدنيا او في الاخرة
واذا حللتم فاصطادوا اي اذا احللتم من احرامكم بالحج فاصطادوا ان
شيتم فالامر هنا اباحة باجماع **ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم**
عن المسجد الحرام ان تعتدوا معني لا يجرمنكم لا يكسبنكم يقال
جرم فلان فلانا هذا الامر اذا كسبه اياه وحمله عليه والشنان
هو البغض والحقد ويقال بفتح النون واسكانها وان صدوكم مفعول
من اجله وان تعتدوا مفعول ثان ليجرمنكم ومعني الاية لا تحملكم
عداوة قوم علي ان تعتدوا عليهم من اجل ان صدوكم عن المسجد
الحرام ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون باهل مكة فارادوا
ان يستاصلوهم بالقتل لانهم كانوا صدوهم عن المسجد الحرام

عام الحديبية فنهاهم الله عن قتالهم لان الله علم انهم يومنون وتعاونوا
علي البر والتقوي وصية عامة والفرق بين البر والتقوي ان البر
عام في كل فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب
الي الله والتقوي في فعل الواجبات وترك المحرمات دون فعل
المندوبات فالبر اعم من التقوي ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان
الفرق بينهما ان الاثم كل ذنب بين العبد وبين الله او بينه وبين الناس
والعدوان علي الناس حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
تقدم الكلام عليها في البقرة والمنخنقة هي التي تخنق بحبل وشبهه
والموقوذة هي المضروبة بعصي او حجر وشبهه والمتردية هي التي
تسقط من جبل وشبه ذلك والنطيحة هي التي نطحتها بهيمة
اخري وما اكل السبع اي اكل بعضه والسبع كل حيوان مفترس كالذيب
والاسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر الا ما ذكيتم قيل انه
استثنا منقطع وذلك اذا اريد بالمنخنقة واخواتها ما مات من
الاختناق والوقذ والتردية والنطح واكل السبع والمعني حرمت
عليكم هذه الاشيا لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال وهذا القول
ضعيف لانها اذا ماتت بهذه الاسباب فهي ميتة فقد دخلت في
عموم الميتة فلا فايدة لذكرها بعدها وقيل انه استثنا متصل وذلك
ان اريد بالمنخنقة واخواتها ما اصابته تلك الاسباب وادركت
ذكاته والمعني علي هذا الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشيا فهو
حلال وهذا القول ~~ضعيف لانها اذا ماتت بهذه الاسباب~~ ثم اختلف
اهل هذا القول هل يشترط ان تكون لم تنفذ مقاتلها ام لا واما
اذا لم تشرف علي الموت من هذه الاسباب فذكاتها جايزة باتفاق
وما ذبح علي النصب عطف علي المحرمات المذكورة والنصب حجارة
كان اهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها وليست بالاصنام
لان الاصنام مصورة والنصب غير مصورة وهي الانصاب والمفرد

والمفرد نصاب وقد قيل ان النصب بضمتين مفرد وجمعه انصاب
وان تستقسموا بالازلام عطف علي المحرمات ايضا والاستقسام
هو طلب ما قسم له والازلام هي السهام واحدها زلم بضم الزاي
وفتحها وكانت ثلاثة قد كتب علي احدها افعل وعلي الاخر
لا تفعل والاخر مهمل فاذا اراد الانسان ان يعمل امرا جعلها في خريطة
وادخل يده واخرج احدها فان خرج له الذي فيه افعل فعل
ما اراد وان خرج له الذي فيه لا تفعل تركه وان خرج المهمل اعاد
الضرب ذلكم فسق الاشارة الي تناول المحرمات المذكورة او الي
الاستقسام بالازلام وانما حرمه الله وجعله فسقا لانه دخول
في علم الله الذي انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به
الاطلاع علي الغيب اليوم ييس الذين كفروا من دينكم اي ييسوا
ان يغلبوه ويطلبوه ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفه
في حجة الوداع فذلك هو اليوم المذكور لظهور الاسلام فيه
ويحتمل ان يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه اليوم اكملت لكم دينكم
هذا الاكمال يحتمل ان يكون بالنصر والظهور او بتعليم الشرايع
وبيان الحلال والحرام فمن اضطر راجع الي المحرمات المذكورة قبل
هذا اباحها الله عند الاضطرار في مخمصة في مجاعة غير متجانف
لاثم بمعني غير باغ ولا عاد وقد تقدم في البقرة فان الله
غفور رحيم تمام مقام فلا جناح عليه وتتضمن زيادة الوعد يسالونك
ماذا احل لهم سببها ان المسلمين سالوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم عما يحل لهم من الماكل وقيل لما امر رسول الله صلي الله
عليه وسلم بقتل الكلاب سالوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت
مبينة للصيد بالكلاب قل احل لكم الطيبات هي عند مالك الحلال
وذلك ما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة وعند الشافعي الحلال
المستلذ فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لانها من الخبايث

وما علمتم من الجوارح عطف علي الطيبات علي حذف مضاف تقديره
وصيد ما علمتم او مبتدا وخبره فكلوا مما امسكن عليكم وهذا احسن
لانه لا خلاف فيه والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت
جوارح لانها كواسب لاهلها فهو من الجرح بمعني الكسب ولا خلاف
في جواز الصيد بالكلاب واختلف فيما سواها ومذهب الجمهور
الجواز للاحاديث الوارده في البازات وغيرها ومنع بعضهم ذلك
لقوله مكلبين فانه مشتق من الكلب ونزلت الاية بسبب عدي
ابن حاتم فانه كان له كلاب يصطاد بها فسال رسول الله صلي الله
عليه وسلم عما يحل من الصيد مكلبين اي معلمين للكلاب الاصطياد
وقيل معناه اصحاب كلاب وهو منصوب علي الحال من ضمير الفاعل
في علمتم ويقتضي قوله علمتم ومكلبين انه لا يجوز الصيد الا
بجارح معلم لقوله وما علمتم وقوله مكلبين علي القول الاول
لتاكيده ذلك بقوله تعلمونهن وحد التعليم عند ابن القاسم
ان يعلم الجارح الايتمار والزجر وقيل الايتمار خاصة وقيل
الزجر خاصة وقيل ان يجيب اذا دعي تعلمونهن مما علمكم الله
اي تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد وتاتي تحصيل الصيد وهذا
جزء مما علمه الله الانسان فمن للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتدا
الغاية والجملة في موضع الحال او استئناف فكلوا مما امسكن عليكم
الامر هنا اباحة ويحتمل ان يريد مما امسكن سوا اكلت الجوارح منه
اولم تاكل وهو ظاهر اطلاق اللفظ وبذلك اخذ مالك ويحتمل ان
يريد مما امسكن ولم ياكل منه وبذلك فسره رسول الله صلي
الله عليه وسلم بقوله فان اكل منه فلا تاكل فانه انما امسك
علي نفسه وقد اخذ بهذا بعض العلما وقد ورد في حديث اخر
اذا اكل فكل وهذه حجة مالك واذكروا اسم الله هذا امر بالتسمية
علي الصيد ويجري الذبح مجراه وقد اختلف الناس في حكم التسمية

فقال

فقال الظاهرية انها واجبة حملا للامر علي الوجوب وان تركت
التسمية عمدا او نسيانا وجعل بعضهم الضمير في عليهم عايدا علي
الاكل فليس فيها علي هذا امر بالتسمية علي الصيد لم توكل عندهم
قال الشافعي انها مستحبة حملا للامر علي الندب وتوكل عنده
سوا تركت التسمية عمدا او نسيانا وجعل بعضهم الضمير في عليهم
عايدا علي الاكل فليس فيها علي هذا امر بالتسمية علي الصيد
ومذهب مالك انه ان تركت التسمية عمدا لم توكل وان تركت نسيانا
اكلت فهي عنده واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم معني حل حلال والذين اوتوا الكتاب
هم اليهود والنصاري واختلف في نصاري بني تغلب من العرب
ومن كان مسلما ثم ارتد الي اليهودية او النصرانية هل يحل لنا
طعامهم ام لا ولفظ الاية يقتضي الجواز لانه من اهل الكتاب
واختلف في المجوس والصابيين هل هم اهل كتاب ام لا واما
الطعام فهو علي ثلاثة اقسام احدها الذبايح وقد اتفق العلما
انها مرادة في الاية فاجازوا اكل ذبايح اليهود والنصاري
واختلفوا فيما هو محرم عليهم في دينهم هل يحل لنا ام لا علي ثلاثة
اقوال الجواز والمنع والكراهة وهذا الاختلاف مبني علي هل
هو من طعامهم ام لا فان اريد بطعامهم ما ذبحوه جاز وان اريد
به ما يحل لهم منع والكراهة توسط بين القولين القسم الثاني
ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جايز لنا باتفاق والثالث
ما فيه محاولة كالخبز وتعصير الزيت وعقد الجبن وشبه ذلك
مما يمكن استعمال النجاسة فيه فمنعه ابن عباس لانه راه ان
طعامهم هو الذبايح خاصة ولانه يمكن ان يكون نجسا واجازه
الجمهور لانه راوه داخلا في طعامهم هذا اذا كان استعمال النجاسة
فيه محتملا فاما اذا تحققت استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير

والمية فلا يجوز اصلا وقد صنف الطرطوسي في تحريم جبن النصاري وقال
انه يجنس البايع والمشتري والالة لانهم يعقدونه بانفحة
الميتة ويجري مجري ذلك الزيت اذا علمنا انهم يجعلونه
في ظروف الميتة وطعامكم حل لهم هذه اباحة للمسلمين ان يطعموا
اهل الكتاب من طعامهم والمحصنات عطف علي الطعام المحلل
وقد تقدم ان الاحصان له اربعة معان الاسلام والتزوج والعفة
والحرية فاما الاسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين اوتوا الكتاب
واما التزوج فلا يصح ايضا لان ذات زوج لا تحل لغيره ويحتمل هنا
العفة والحرية فمن حمله علي العفة اجاز نكاح المراة الكتابية
سوا كانت حرة او امة ومن حملها علي الحرية اجاز نكاح
الكتابية الحرة ومنع الامة وهو مذهب مالك ولا تعارض
بين هذه الاية وبين قوله ولا تنكحوا المشركات لان هذه في
الكتابيات والاخري في المشركات وقد جعل بعض الناس
هذه ناسخة لتلك وقيل بالعكس وقد تقدم معني فاتوهن
اجورهن ومعني الاخدان يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الي الصلاة
الاية نزلت في غزوة المريسيع حين انقطع عقد عائشة رضي
الله عنها فاقام الناس علي التماسه وليسوا علي ما وليس
معهم ما فنزلت الرخصة في التيمم فقال اسيد بن حضير
ما هذه باول بركاتكم يا ال ابي بكر ولذلك سميت الاية اية
التيمم وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ثابتا بالسنة وقوله
اذا قمتم الي الصلاة معناه اذا اردتم القيام الي الصلاة و
فتوضوا ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضو لكل صلاة
وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور انه لا يجب
واختلفوا في تاويل الاية علي اربعة اقوال الاول ان
وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلي

الله عليه وسلم اذ صلي الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد
والثاني ان ما تقتضيه الاية من التجديد يحمل علي الندب والثالث
ان تقديرها اذا قمتم محدثين فانما يجب علي من احدث والرابع
ان تقديرها اذا قمتم من النوم فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي
المرافق ذكر في هذه الاية اربعة اعضا اثنين محدودين وهما
اليدان والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والراس
فاما المحدودان فيغسل اليدان الي المرفقين والرجلان الي الكعبين
وجوبا باجماع فان ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما واختلف
هل يجب غسل المرفقين مع اليدين والكعبين مع الرجلين
ام لا وذلك مبني علي معني الي فان جعل الي بمعني مع في قوله
الي المرافق والي الكعبين اوجب غسلهما ومن جعلها بمعني
الغاية لم يوجب غسلهما واختلف في الكعبين هل هما اللذان
عند معقد الشراك او العظمان الناتئان في طرف الساق وهو
اظهر لانه ذكرها بلفظ التثنية ولو كان اللذان عند معقد
الشراك لذكرها بلفظ الجمع كما ذكر المرافق لانه علي ذلك
في كل رجل كعب واحد واما غير المحدودين فاتفق علي وجوب
ايعاب الوجه وحده طولا من اول منابت الشعر الي اخر الذقن
او اللحية وحده عرضا من الاذن الي الاذن وقيل من العذار الي
العذار واما الراس فمذهب مالك وجوب ايعابه كالوجه
ومذهب كثير من العلما جواز الاقتصار علي بعضه لما ورد
في الحديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم مسح علي
ناصيته ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزي علي اقوال كثيرة
وامسحوا برؤسكم وهذا ضعيف لان الراس علي هذا ماسح
لا ممسوح وذلك خلاف المقصود وقيل انها زايدة وهو ضعيف
لان هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي انها بالالصاق

اختلف في هذا الناس فقال قوم انها للتبعيض وبنوا علي ذلك
جواز مسح بعض الراس وهذا القول غير صحيح عند اهل العربية
[illegible]
[illegible]

التي توصل الفعل الي مفعوله لان المسح تارة يتعدي بنفسه وتارة
بحرف الجر كقوله فامسحوا بوجوهكم وكقوله فطفق مسحا بالسوق
والاعناق **وارجلكم الي الكعبين** قرئ وارجلكم بالنصب عطفا علي
الوجوه والايدي فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين وقرئ
بالخفض فحمله بعضهم علي انه عطف علي قوله برؤسكم فاجاز
مسح الرجلين روي ذلك عن ابن عباس وقال الجمهور لا يجوز
مسحهما بل يجب غسلهما وتاولوا قراة الخفض بثلاثة تاويلات
احدها انه خفض علي الجوار لا علي العطف والاخر انه يراد
به المسح علي الخفين والثالث ان ذلك منسوخ بالسنة والفرق
بين الغسل والمسح ان المسح امرار اليدين بالبلل الذي يبقي من
الما والغسل عند مالك امرار اليد بالما وعند الشافعي امرار الما
وان لم يدلك باليد **وان كنتم مرضي او علي سفر** تقدم الكلام علي
نظيرتها في النسا **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** من ضيق
ولا مشقة كقول رسول الله صلي الله عليه وسلم دين
الله يسر وباقي الاية تفضل من الله علي عباده ورحمة وفي
ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها **وميثاقه
الذي واثقكم به** هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان
وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا واطعنا **كونوا قوامين**
تقدم الكلام علي نظيرتها في النسا **ولا يجرمنكم** اي لا يحملنكم
بغض قوم علي ترك العدل فيهم **اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم** في سببها اربعة اقوال الاول ان النبي صلي الله عليه
وسلم ذهب الي بني النضير من اليهود فهموا بقتله ان يصبوا
عليه رحي يقتلونه بها فاخبره جبريل بذلك فقام من المكان
ويقوي هذا القول ما ورد في الايات بعد هذا في عدد اليهود
الثاني انما نزلت في شان الاعرابي الذي سل السيف علي

رسول

رسول الله صلي الله عليه وسلم حين وجده في سفر وهو وحده
فقال له من يمنعك مني قال الله فاغمد السيف وجلس واسمه
غورث بن الحرث الغطفاني الثالث انها فيما هم به الكفار من
الايقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف والرابع انها علي
الاطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين **اثني عشر نقيبا**
النقيب هو كبير القوم القايم باموره **اني معكم** اي بنصري
والخطاب لبني اسرايل وقيل للنقبا **يحرفون الكلم** اختلف
هل اريد تحريف الالفاظ **ولا تزال تطلع علي خاينة منهم**
اي علي خيانة فهو مصدر كالعافية وقيل علي طايفة
خاينة وهو اخبار بامر مستقبل **فاعف عنهم** منسوخ بالسيف
والجزية **ومن الذين قالوا انا نصاري** اي ادعوا انهم انصار
الله وسموا انفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق
به وتتعلق من الذين باخذنا والضمير عايد علي النصاري
فاغرينا اي اثبتنا والصقنا وهو ماخوذ من الغرا **يا اهل
الكتاب** في الموضعين يعم اليهود والنصاري وقيل انما نزلت
بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فانهم كانوا يذكرون رسول
الله صلي الله عليه وسلم ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة
كفروا به **قد جاكم رسولنا** يعني محمدا صلي الله عليه وسلم
وفي الاية دلالة علي صحة نبوته لانه بين لهم ما اخفوه
مما في كتبهم وهو امي لم يقرا كتبهم **ويعفوا عن كثير** اي يتركه ولا
يفضحهم فيه **نور وكتاب مبين** محمد صلي الله عليه وسلم **قل فمن
يملك من الله شيا** الاية رد علي الذين قالوا ان الله هو عيسي.
وهم فرقة من النصاري **يخلق ما يشا** اشارة الي خلقه عيسي
من غير والد وقالت اليهود والنصاري كل فرقة عن نفسها
انهم ابنا الله واحباوه والبنوة هنا بنوة الحنانة والرافة

وقال الزمخشري المعنى نحن اشياع ابنا الله عندهم وهم المسيح وعزير
كما يقول حشم الملوك نحن الملوك **فلم يعذبكم** رد عليهم لانهم قد
اعترفوا انهم يدخلون النار اياما معدودات وتد اخذ الصوفية
من الاية ان المحب لا يعذب حبيبه ففي ذلك بشارة لمن احبه
الله **وجعلكم ملوكا** قيل جعل منكم ملوكا اي امرا وقيل الملك
من له مسكن وامراة وخادم **مالم يوت احدا من العالمين**
قيل يعني المن والسلوي والغمام وغير ذلك من الايات وعلي
هذا يكون العالمين خاصا باهل زمانهم لان امة محمد صلي
الله عليه وسلم قد اوتيه من اياته مثل ذلك واعظم
وقيل المراد كثرة الانبيا فعلي هذا يكون عاما لان الانبيا في
بني اسرايل اكثر منهم في ساير الامم **الارض المقدسة** ارض
بيت المقدس وقيل الطور وقيل دمشق **التي كتب الله لكم**
اي قضي ان تكون لكم **ولاترتدوا علي ادباركم** يحتمل ان يكون الارتداد
عن الدين والطاعة او الرجوع الي الطريق الذي جاوا منه
فانه روي انه لما امرهم موسي عليه السلام بدخول
الارض المقدسة خافوا من الجبارين فيها وهموا ان يقدموا
رسا علي انفسهم ويرجعوا الي مصر **قوما جبارين** هم العمالقة
قال رجلان هما يوشع وكالب **يخافون** اي يخافون الله وقيل
يخافون الجبارين ولكن الله انعم عليهم بالصبر والثبوت لصدق
ايمانهما **ادخلوا عليهم الباب** اي باب المدينة **فاذهب انت وربك** افراط
في العصيان وسوء الادب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة
بالله ورسله واين هولا من الذين قالوا لرسول الله صلي
الله عليه وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو اسرايل ولكن
نقول لك اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون **لا املك
الا نفسي واخي** قاله موسي عليه السلام ليتبرا الي الله من قول

بني اسرايل ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر الي الله واعراب
اخي عطف علي نفسي لان اخاه هارون كان يطيعه وقيل
عطف علي الضمير في لا املك اي لا املك انا الا نفسي ولا يملك
اخي الا نفسه وقيل مبتدا وخبره محذوف اي اخي لا يملك
الا نفسه **فافرق بيننا** اي فارق بيننا نحو من العز قد وقيل
من افصل بيننا وبينهم بحكم **قال فانها محرمة عليهم اربعين
سنة** الضمير في قال لله تعالي وحرم الله علي جميع بني اسرايل
دخول تلك المدينة اربعين سنة وتركهم في هذه المدة
يتيهون في الارض اي في ارض التيه لقوله فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين وخرج يوشع ببني اسرايل بعد الاربعين سنة
وقاتل الجبارين وفتح المدينة والعامل في اربعين محرمة
علي الاصح فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون
فعلي هذا يجوز الوقف علي قوله محرمة عليهم وهذا ضعيف
لانه لا حامل علي تقديم المعمول هنا مع ان القول الاول اكمل
معني لانه بيان لمدة التحريم والتيه **يتيهون** اي يتحيرون
وروي انهم كانوا يسيرون الليل كله فاذا اصبحوا وجدوا
انفسهم في الموضع الذي كانوا فيه **فلا تاس** اي لا تحزن
والخطاب لموسي وقيل لمحمد صلي الله عليه وسلم ويراد
بالفاسقين من كان في عصره من اليهود **نبا ابني ادم** هما
قابيل وهابيل **قربا قربانا** روي ان قابيل كان صاحب
زرع فقرب ارذل زرعه وهابيل صاحب غنم فقرب
احسن كبش عنده وكانت العادة حينئذ ان يقرب الانسان
قربانه الي الله ويقوم يصلي واذا نزلت نار من السما واكلت
القربان فذلك دليل علي القبول والا فلا قبول فنزلت
النار فاخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل

استدل بما انما يتقبل الله من المتقين
غسده قابيل فقتله انما يتقبل الله من المتقين لا يتقبل عمله وقالوا لما
المعتزلة وغيرهم على ان صاحب المعاصي لا يتقبل عمله وقا ولما
الاشعريه بان التقوي هنا يراد به تقوي الشرك لئن بسطت
الي يدك الاية قيل معناها لئن بدانني بالقتال لم ابداك به
وقيل ان بدانني بالقتال لم ادافعك ثم اختلف علي هذا
القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة وهو
الاظهر والاشهر وكان واجبا عندهم ان لا يدافع احد عن نفسه
وهو قول مجاهد واما في شرعنا فيجوز دفع الانسان عن
نفسه بل يجب اني اريد ان تبوء باثمي واثمك الارادة هنا ليست
بارادة محبة وشهوة وانما هو تخيير في اهون الشرين كانه
قال ان قتلتني فذلك احب الي من ان اقتلك كما ورد في
الاثر كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل واما
قوله باثمي واثمك فمعناه باثم قتلي لك لو قتلتك وباثم
قتلك لي وانما يحمل القاتل الاثمين لانه ظالم فذلك مثل
قوله صلي الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو علي
البادي وقيل باثمي اي تحمل عني سائر ذنوبي لان الظالم
تحمل عليه في القيامة ذنوب المظلوم وباثمك اي في
قتلك لي وفي غير ذلك من ذنوبك وذلك جزا الظالمين
يحتمل ان يكون من كلام هابيل او استينافا من كلام الله تعالي
فبعث الله غرابا الاية روي ان غرابين اقتتلا حتي قتل
احدهما الاخر ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري
الميت وقيل كان غرابا واحدا يبحث ويلقي التراب علي
هابيل سوءة اخيه اي عورته وخصت بالذكر لانها احق
بالستر من سائر الجسد والضمير في اخيه عائد علي ابن ادم
ويظهر من هذه القصة ان هابيل كان اول من دفن من

بني

بني ادم قال يا ويلتا اصله يا ويلتي ثم ابدل من الياء الف وكذلك
يا اسفي ويا حسرتي فاصبح من النادمين علي ما وقع فيه من قتل
اخيه واختلف في قابيل هل كان كافرا او عاصيا والصحيح انه
لم يكن كافرا لانه قصد التقرب الي الله بالقربان ولانه لم يكن
في تلك المدة كافر واصبح هنا وفي الموضع الاول عبارة عن جميع
الاوقات لا مختصة بالصباح من اجل ذلك يتعلق بكتبنا وقيل
بالنادمين وهو ضعيف كتبنا علي بني اسرايل اي فرضنا عليهم
او كتبناه في كتبهم بغير نفس معناه من غير ان يقتل نفسا يجب
عليه القصاص او فساد في الارض يعني الفساد الذي يجب
به القتل كالحرابة فكانما قتل الناس جميعا تمثيل قاتل
الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات احدها القصاص
فان القصاص في قاتل الواحد والجميع سوا الثاني انتهاك
الحرمة والاقدام علي العصيان والثالث الاثم والعذاب
الاخروي قال مجاهد وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود
فيها والغضب واللعنة والعذاب العظيم فلو قتل جميع الناس
لم يزد علي ذلك وهذا الوجه هو الاظهر لان القصد بالاية
تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه
وكذلك الثواب في احيايها كثواب احيا الجميع لتعظيم الامر والترغيب
واحيا وها هو انقاذها من الموت كانقاذ الحريق والغريق وشبه
ذلك وقيل بترك قتلها وقيل بالعفو اذا وجب القصاص
ولقد جاتهم الضمير لبني اسرايل والمعني تقبيح افعالهم وفي ذلك
اشارة الي ما هموا به من قتل رسول الله صلي الله عليه وسلم
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية سببها عند ابن عباس
قوم من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم
عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وقال جماعة نزلت في نفر

من عكل ومن بينة اسلموا ثم انهم قتلوا راعي النبي صلي الله عليه وسلم
واخذوا الابله ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب والمحاربة عند مالك
هي حمل السلاح علي الناس في بلد او في خارج بلد وقال ابو
حنيفة لا يكون المحارب الا خارج البلد وقوله يحاربون الله
تغليظ ومبالغة وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلي
الله عليه وسلم وذلك ضعيف لان الرسول عليه السلام ذكر
بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو احسن ويسعون في الارض
فسادا بيان للحرابة وهي علي درجات فادناها اخافة الطريق
ثم اخذ الاموال ثم قتل النفس ان يقتلوا او يصلبوا الصلب مضاف
الي القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه اهل الفساد فينزجروا
وهو قول اشهب وقيل يصلب حيا ويقتل في الخشبة وهو
قول ابن القاسم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف معناه ان
تقطع يده اليمني ورجله اليسري وان عاد قطعت يده اليسري
ورجله اليمني وقطع اليد عند مالك من الرصغ وقطع الرجل
من المفصل وذلك في الحرابة وفي السرقة او ينفوا من الارض
مشهور المذهب ان ينفي من بلد الي بلد اخر ويسجن فيه الي ان
تظهر توبته وروي مطرف انه يسجن في البلد بعينه وبذلك
قال ابو حنيفة وقيل ينفي الي بلد اخر دون ان يسجن فيه
ومذهب ملك ان الامام مخير بين ان يقتله ويصلبه او يقتله
ولا يصلبه او يقطع يده ورجله او ينفيه الا انه قال ان كان
قتل فلا بد من قتله وان لم يقتل فالاحسن ان يوخذ فيه بايسر
العقاب وقال الشافعي وغيره هذه العقوبات مرتبة فمن
قتل واخذ المال قتل وصلب ومن قتل ولم ياخذ المال
قتل ولم يصلب ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله
ومن اخاف السبيل ولم يقتل ولم ياخذ مالا نفي وحجة مالك عطف

هذه

عطف هذه العقوبات باو التي تقتضي التخيير خزي في الدنيا هو العقوبة
وعذاب الاخرة النار ظاهر هذا ان العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة
للمحارب بخلاف ساير الحدود ويحتمل ان يكون الخزي في الدنيا
لمن عوقب والعذاب في الاخرة لمن لم يعاقب الا الذين تابوا من
قبل ان تقدروا عليهم قيل هي في المشركين وهو ضعيف لان
الشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها وقيل
هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح وهم الذين جاءتهم العقوبات
المذكورة فمن تاب منهم قبل ان يقدر عليه فقد سقط عنه حكم
الحرابة لقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم واختلف هل يطالب
بما عليه من حقوق الناس في الدما والاموال اولا فوجه المطالبة
بها انما زايدة علي حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة
ووجه اسقاطها اطلاق قوله غفور رحيم وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما يتوسل به ويتقرب به اليه من الاعمال
الصالحات والدعا وغير ذلك ليفتدوا به ان قيل لم وحد الضمير
وقد ذكر شيئين وهما ما في الارض ومثله فالجواب انه وضع المفرد
في موضع الاثنين واجري الضمير مجري اسم الاشارة كانه قال
ليفتدوا بذلك او تكون الواو بمعني مع عذاب مقيم اي دايم
وكذلك نعيم مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
عموم الاية يقتضي قطع كل سارق الا ان الفقها اشترطوا في القطع
شروطا خصصوا بها العموم فمن ذلك من اضطره الجوع الي السرقة
لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له وكذلك من سرق مال ولده
او سيده او من سرق من غير حرز او سرق اقل من النصاب
وهو عند مالك ربع دينار من الذهب او ثلاثة دراهم من
الفضة او ما يساوي احدهما وادلة التخصيص بهذه الاشيا
في غير هذه الاية وقد قيل ان الحرز ماخوذ من هذه الاية

لان ما اخذ بغير حرز او ائتمن عليه فليس اخذه سرقة وانما هو
اختلاس او خيانة واعراب واعراب السارق عند سيبويه مبتدا
وخبره محذوف كانه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا ايديهما ودخلت الفا لتضمن معنى
الشرط **فمن تاب من بعد ظلمه** الاية توبة السارق هو ان يندم
فيما مضى ويقلع فيما يستقبل ويرد ما سرق الى من يستحقه
واختلف اذا تاب قبل ان يصل الى الحاكم هل يسقط عنه القطع
وهو مذهب الشافعي لظاهر الاية اولا يسقط عنه وهو مذهب
مالك لان الحدود عنده لا تسقط بالتوبة الا عن المحارب للنص
عليه **يعذب من يشا** قدم العذاب على المغفرة لانه قوبل بذلك
تقدم السرقة على التوبة **يا ايها الرسول** الاية خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية **من الذين قالوا امنا**
بافواههم هم المنافقون **ومن الذين هادوا** يحتمل ان يكون عطفا
على الذين قالوا امنا ثم يكون سماعون استينافا في اخبار عن
الصنفين المنافقون واليهود ويحتمل ان يكون من الذين هادوا
استينافا منقطعا مما قبله وسماعون راجع اليهم خاصة **سماعون**
لقوم اخرين اي سماعون كلام قوم اخرين من اليهود الذين
لا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم لافراط البغضة والمجاهرة
بالعداوة فقوله لم ياتوك صفة لقوم اخرين والمراد بالقوم
الاخرين يهود خيبر وسماعون للكذب بنو قريظة **يحرفون الكلم**
من بعد مواضعه اي يبدلونه من بعد ان وضع في مواضعه
وقصدت به وجوهه القويمة وذلك من صفة اليهود
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه نزلت بسبب ان يهوديا زنى
بيهودية فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود
عن حد الزنا فقالوا نجلدهما ونحمم وجوههما فقال لهم رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ان في التوراة الرجم فانكروا ذلك فامرهم ان
ياتوا بالتوراة فقروها فجعل احدهم يده على اية الرجم فقال له
عبد الله بن سلام ارفع يدك فاذا اية الرجم فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم باليهودي واليهودية فرجما فمعنى قولهم ان
اوتيتم هذا فخذوه ان اوتيتم هذا الذي ذكرتم من الجلد والتحميم
فخذوه واعملوا به وان لم توتوه وافتاكم محمد صلى الله عليه وسلم
بغيره فاحذروا **فتنته** اي ضلالته في الدنيا وعذابه في الاخرة
في الدنيا خزي الذلة والمسكنة **سماعون للكذب** ان كان الاول في
اليهود فكررها هنا تاكيدا وان كان الاول في المنافقين واليهود
فهذا في اليهود خاصة **اكالون للسحت** اي الحرام من الرشوة والربا
وغير ذلك **فاحكم بينهم او اعرض عنهم** هذا تخيير للنبي صلى
الله عليه وسلم في ان يحكم بين اليهود او يتركهم وهو ايضا يتناول
الحكام وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله
وكيف يحكمونك الاية استبعاد لتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم
وهم لا يومنون به مع انهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الايمان
بها فمعنى ثم يتولون من بعد ذلك اي يتولون عن اتباع حكم
الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم
ومعلوما في قضية الرجم وغيرها **وما اوليك بالمومنين**
يعني انهم لا يومنون بالتوراة وبموسى عليه السلام وهذا
الزام لهم لان من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الايمان
به باطلة **النبيون الذين اسلموا** هم الانبيا الذين بين موسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى اسلموا هنا اخلصوا لله
وهو صفة مدح اريد به التعريض باليهود لانهم بخلاف هذه
الصفة وليس المراد هنا الاسلام الذي هو ضد الكفر لان الانبيا
لا يقال فيهم اسلموا على هذا المعنى لانهم لم يكفروا قط وانما

هوكقول ابراهيم عليه السلام اسلمت لرب العالمين وقوله تعالي
فقال اسلمت وجهي لله **للذين هادوا** متعلق بيحكم اي يحكم الانبيا
بالتوراة للذين هادوا ويحملونهم عليها وقيل يتعلق بقوله
فيها هدي ونور **بما استحفظوا** اي كلفوا حفظه والبا هنا سببيه
قاله الزمخشري ويحتمل ان تكون بدلا من المجرور في قوله يحكم
بها **فلا تخشوا الناس** وما بعده خطابا لليهود ويحتمل ان تكون
توصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود لان ذلك من افعالهم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس
نزلت الثلاثة في اليهود الكافرون والظالمون والفاسقون
وقد روي في هذا حديث عن النبي صلي الله عليه وسلم
وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما انزل الله من
اليهود والمسلمين وغيرهم الا ان الكفر في حق المسلمين كفر
معصية لا يخرجهم عن الايمان وقال الشعبي الكافرون
في المسلمين والظالمون في اليهود والفاسقون في النصاري
وكتبنا عليهم فيها كتبنا بمعني الكتابة في الالواح او بمعني
الفرض والالزام والضمير في عليهم لبني اسرايل وفي قوله
فيها للتوراة **ان النفس بالنفس** اي تقتل النفس اذا قتلت
نفسا وهذا اخبار بما في التوراة وهو حكم في شريعتنا
باجماع الا ان هذا اللفظ عام وقد خصص العلما منه اشيا
فقال مالك لا يقتل مومن بكافر للحديث الوارد في ذلك
ولا يقتل حر بعبد لقوله الحر بالحر والعبد بالعبد وقد
تقدم الكلام علي ذلك في البقرة **والعين بالعين** وما بعده
حكم القصاص في الاعضا والقراة بنصب العين وما بعده
عطف علي النفس وقري بالرفع وله ثلاثة اوجه احدها
العطف علي موضع النفس لان المعني قلنا لهم النفس بالنفس

والثاني

والثاني العطف علي الضمير الذي في الخبر وهو في النفس والثالث
ان يكون مستانفا مرفوعا بالابتدا **والجروح قصاص** بالنصب
عطف علي المنصوبات قبله وبالرفع علي الاوجه الثلاثة
التي في رفع العين وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في
الجراح التي لا يخاف علي النفس منها **فمن تصدق به فهو كفارة له**
فيه تاويلان احدهما من تصدق من اصحاب الحق بالقصاص
وعفا عنه فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه واسقاطه
حقه والثاني من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل او الجارح
بعفو الله عنه في ذلك لان صاحب الحق قد عفا عنه فالضمير
في له علي التاويل الاول يعود علي من التي هي كناية عن
المقتول او المجروح او الولي وعلي الثاني يعود علي القاتل او الجارح
وان لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه والاول ارجح
لعود الضمير علي مذكور وهو من ومعناها واحد علي
التاويلين والصدقة بمعني العفو علي التاويلين الا ان التاويل
الاول بيان لاجر من عفا وترغيب في العفو والتاويل الثاني
بيان لسقوط الاثم عن القاتل او الجارح اذا عفي عنه
مصدقا لما بين يديه قد تقدم معني مصدق في البقرة ولما
بين يديه يعني التوراة لانها قبله والقران مصدق للتوراة
والانجيل لانهما قبله ومصدقا عطف علي قوله هدي
ونور لانه في موضع الحال **ومهيمنا** ابن عباس شاهدا وقيل
موتمنا **عما جاءك من الحق** تضمن الكلام معني لا تنصرف او لا تنحرف
فلذلك تعدي بعن **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ابن عباس
سبيلا وسنة والخطاب للانبيا عليهم الصلاة والسلام
او للامم والمعني ان الله جعل لكل امة شريعة يتبعونها وقد
استدل بها من قال ان شريعة من قبلنا ليس بشرع لنا

وذلك في الاحكام والفروع واما الاعتقادات فالدين فيهما واحد
لجميع العالم وهو الايمان وتوحيده وتصديق رسله والايمان
بالدار الاخرة **فاستبقوا الخيرات** استدل به قوم على ان تقديم
الواجبات افضل من تاخيرها وهذا متفق عليه في
العبادات كلها الا الصلاة ففيها خلاف مذهب الشافعي
ان تقديمها في اول وقتها افضل وعكس ابو حنيفة
وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل واتفقوا ان تقديم المغرب
وان احكم بينهم عطف على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب
وعلى الحق في قوله بالحق وقال قوم ان هذا وقوله قبله فاحكم
بينهم ناسخ لقوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم اي ناسخ للتخيير
الذي في الاية وقيل انه ناسخ للحكم بالتوراة ونزلت الاية
بسبب قوم من اليهود طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحكم بينهم فابى من ذلك ونزلت الاية تقتضي ان يحكم
افحكم الجاهلية يبغون توبيخ لليهود وقري بالياء اخبارا عنهم
وبالتاء خطابا لهم **لقوم يوقنون** قال الزمخشري اي اللام للبيان
اي هذا الخطاب لقوم يوقنون فانهم الذين يتبين لهم انه
لا احسن من الله حكما **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اوليا** سببها موالاة عبد الله بن ابي بن سلول
ليهود بني قينقاع وخلع عبادة بن الصامت للحلف الذي
كان بينه وبينهم ولفظها عام وحكمها باق ولا يدخل فيه
معاملتهم في البيع والشرا وشبهه **فانه منهم** تغليظ في الوعيد
فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم
في اعتقادهم واحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق
العقوبة **فترى الذين في قلوبهم مرض** هم المنافقون
والمراد هنا عبد الله بن ابي بن سلول ومن كان معه

يقولون **نخشى ان تصيبنا دايرة** كان عبد الله بن ابي يوالي
اليهود ويستكثر بهم ويقول اني رجل اخشى الدواير **فعسى
الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده** الفتح هنا هو ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين والامر من عنده
هو هلاك الاعدا بامر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق
او امر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل
اليهود **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين** الضمير
في فيصبحوا للمنافقين والذين اسروا هو تقدمهم الاستعانة
باليهود على المسلمين واضمار العداوة للمسلمين **يقول الذين
امنوا** قري يقول بغير واو استينافا واخبارا وقري بالواو
والرفع وهو عطف جملة على جملة وبالواو والنصب عطفا
على ان ياتي الله او عطفا على فيصبحوا **اهولا الذين اقسموا**
الاشارة الى المنافقين لانهم كانوا يحلفون انهم مع المومنين
وانتصب جهد ايمانهم على المصدر المؤكد **حبطت اعمالهم**
يحتمل ان يكون من كلام المومنين او من كلام الله ويحتمل ان
يكون دعا او خبر **من يرتد منكم عن دينه** خطاب على
وجه التحذير والوعيد وفيه اعلام بارتداد بعض المسلمين
فهو اخبار بالغيب قبل وقوعه ثم وقع فارتد في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة
الكذاب وبنو مدلج قوم الاسود العنسي ادعا النبوة وقتل
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوا اسد
قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم اسلم وجاهد.
ثم كثر المرتدون وفشا امرهم بعد موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى كفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وكانت القبايل التي ارتدت بعد وفات

رسول الله صلي الله عليه وسلم سبع قبايل بنو فزارة وغطفان
وبنو اسليم وبنو يربوع وكنده وبنو بكر بن وايل وبعض
بني تميم ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب وهم
جبلة بن الايهم الذي تنصر من اجل اللطمة **فسوف ياتي**
الله بقوم يحبهم ويحبونه روي ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قراها وقال هم قوم هذا يعني ابا موسي الاشعري
والاشارة والله اعلم الي اهل اليمن لانهم الاشعريين من اهل
اليمن وقيل المراد ابي بكر الصديق واصحابه الذين قاتلوا
اهل الردة ويقوي ذلك ما ظهر من ابي بكر الصديق رضي
الله عنه من الجد في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في
ذلك بعض الناس فاشتد عزمه حتي وافقوه واجمعوا
معه فنصرهم الله علي اهل الرده ويقوي ذلك ايضا
ان الصفات التي وصف بها هولا القوم هي اوصاف ابي بكر
الاتري قوله اذلة علي المومنين اعزة علي الكافرين وكان
ابو بكر ضعيفا في نفسه قويا في الله وكذلك قوله ولا يخافون
لومة لايم اشارة الي من خالف ابا بكر ولامه في قتال
اهل الردة فلم يرجع عن عزمه **اذلة علي المومنين**
كقوله اشدا علي الكفار رحما بينهم وانما تعدي اذلة بعلي
لانه تضمن معني العطف والحنو فان قيل اين الراجع من
الجزا الي الشرط فالجواب انه محذوف تقديره من يرتد منكم
فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم يقاتلونهم **انما وليكم الله**
ذكر الولي بلفظ المفرد افراد الله تعالي بهذا ثم عطف علي
اسمه تعالي الرسول عليه الصلاة والسلام والمومنين علي
سبيل التبع ولو قال انما اولياوكم لم يكن في الكلام اصل وتبع
وهم راكعون قيل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه

فانه

١٣٩

فانه سالة سايل وهو راكع في الصلاة فاعطاه خاتمه وقيل
هي عامة وذكر الركوع بعد الصلاة لانه من اشرف اعمالها
فالواو علي القول الاول واو الحال وعلي الثاني للعطف **فان**
حزب الله هذا من اقامة الظاهر مقام المضمر معناه فانهم هم
الغالبون **والكفار** بالنصب عطف علي الذين اتخذوا وقري
بالخفض عطف علي الذين اوتوا الكتاب ويعضده قراة ابن
مسعود ومن الكفار ويراد بهم المشركين من العرب **واذا ناديتم**
الي الصلاة الاية روي ان رجلا من النصاري كان بالمدينة
اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق
الله الكاذب فوقعت النار في بيته فاحترق هو واهله
واستدل بعضهم بهذه الاية علي ثبوت الاذان من القران
ذلك بانهم قوم لا يعقلون جعل قلة عقولهم علة لاستهزايهم
بالدين **هل تنقمون منا** اي هل تعيبون علينا وتنكرون منا
الا ايماننا بالله وبجميع كتبه ورسله وذلك امر لا ينكر ولا يعاب
ونظير هذا في الاستثنا العجيب قول النابغة.
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم . بهن فلول من قراع الكتايب
ونزلت الاية بسبب ابي ياسر بن اخطب ونافع بن ابي نافع
وجماعة من اليهود سالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
عن الرسل الذين يومن بهم فقال امنا بالله وما انزل الينا
الي اخر الاية فلما ذكر عيسي قالوا لا نومن بعيسي ولا بمن امن
به **وان اكثركم فاسقون** يحتمل ان يكون وان اكثركم مسند او خبره
محذوف قيل انه معطوف علي امنا وقيل علي ما انزل وقيل
هو تعليل معطوف علي تعليل محذوف تقدير هل تنقمون
منا الا لقلة انصافكم وان اكثركم فاسقون ويحتمل ان يكون وان
اكثركم مبتدا وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم او ثابت

قل هل انبيكم بشر من ذلك لما ذكران اهل الكتاب يعيبون المسلمين بالايما
بالله ورسله ذكر عيوب اهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم
فالخطاب في انبيكم لليهود والاشارة بذلك الي ما تقدم من حال
المومنين مثوبة عند الله هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب
تهكما بهم نحو قوله فبشره بعذاب اليم من لعنه الله يعني اليهود
ومن في موضع رفع بخبر ابتدا مضمر تقديره هو من لعنه الله او في
موضع خفض علي البدل من شر ولابد في الكلام من حذف مضاف
تقديره بشر من اهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله وجعل
منهم القردة والخنازير مسخ قوم من اليهود حين اعتدوا في
السبت ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا عيسي بن مريم
وعبد الطاغوت القراة بفتح البا فعل معطوف علي لعنه الله وقري
بضم البا وخفض الطاغوت علي ان تكون عبد اسما علي البناء للمبالغة
ليفظ اضيف الي الطاغوت وقري وعابد وعباد وهو في هذه
الوجوه عطف علي القردة والخنازير شر مكانا اي منزلة
ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لاهله وذلك مبالغة في
الذم واذا جاوكم نزلت في منافقين من اليهود وقد دخلوا بالكفر
تقديره ملتبسين بالكفر والمعني دخلوا كفارا وخرجوا كفارا
ودخلت قد علي دخلوا وخرجوا تقريبا للماضي من الحال اي ذلك
حالهم في دخولهم وخروجهم علي الدوام بالاثم الكذب وسائر
المعاصي والعدوان الظلم السحت الحرام لولا ينهاهم عرض وتخضيض
وتقريع لبيس اللام في الموضعين للقسم وقالت اليهود يد الله
مغلولة غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه
ولا تجعل يدك مغلولة اي لا تبخل كل البخل ولا تبسطها كل البسط
اي لا تجد كل الجود وروي ان اليهود اصابتهم سنة جهد فقالوا هذه
المقالة الشنيعة وكان الذي قالها فنحاص ونسبت الي جملة اليهود

لانهم

لانهم رضوا بقوله غلت ايديهم يحتمل ان يكون دعا او خبر ويحتمل
ان يكون في الدنيا او في الاخرة فان كان في الدنيا فيحتمل ان
يراد به البخل او غل ايديهم في الاسر وان كان في الاخرة
فهو جعل الاغلال في جهنم بل يداه مبسوطتان عبارة عن
انفاسد وجوده وانما ثنيت اليدان هنا وافردت في قول
اليهود يد الله مغلولة ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه
تعالي بالجود كقول العرب فلان يعطي بكلتا يديه اذا كان
عظيم السخا كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ايقاد النار
عبارة عن محاولة الحرب واطفاوها عبارة عن خذلانهم وعدم
نصرهم ويحتمل ان يراد بذلك اسلافهم او يراد من كان معاصرا
للنبي صلي الله عليه وسلم منهم ومن يات بعدهم فيكون علي
هذا اخبار بغيب وبشارة للمسلمين ولو ان اهل الكتاب امنوا
الاية يحتمل ان يراد اسلافهم والمعاصرين للنبي صلي الله عليه
وسلم فيكون علي هذا ترغيبا لهم في الايمان والتقوي ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل اقامتهما بالعلم والعمل وذكر الانجيل
دليل علي دخول النصاري في لفظ اهل الكتاب لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم قيل من فوقهم عبارة عن المطر ومن
تحت ارجلهم عبارة عن النبات والزرع وقيل ذلك استعارة
في توسعة الرزق من كل وجه امة مقتصدة اي معتدلة ويراد به
من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وقيل من لم يعاد الانبيا المتقدمين
يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك امر بتبليغ جميع ما اوحي
اليه علي الاستيناف والكمال لانه كان قد بلغ وانما امر هنا
الا يتوقف عن شي مخافة احد وان لم تفعل فما بلغت رسالته
هذا وعيد علي تقدير عدم التبليغ وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه
قولان احدهما ان المعني ان تركت منه شيا فكانك لم تبلغ شيا وصار

وعار ما بلغت لم يعتد به نعني ان لم تفعل ان لم تستوف التبليغ علي
الكمال والاخوان المعني ان لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب
من كتمها ووضع السبب موضع المسبب والله يعصمك من الناس
وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يخاف اعداه ويحترس منهم في غزواته وغيرها فنزلت هذه
الاية قال يا ايها الناس انصرفوا فان الله قد عصمني وترك الاحتراس
قل يا اهل الكتاب لستم علي شي الاية اي لستم علي دين يعتد به
يسمي شيا حتي تقيموا التوراة والانجيل اي تقيموهما الايمان بمحمد صلي الله
عليه وسلم وقوله وما انزل اليكم قال ابن عباس يعني القران
ونزلت الاية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ورافع بن
حرملة وغيرهم من اليهود جاوا الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقالوا انا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ولا نومن بك ولا
نتبعك ان الذين امنوا والذين هادوا تقدم الكلام علي نظيرتها
في البقرة والصابيون قراة السبعة بالواو وهي مشكلة حتي قالت
عايشة هي من لحن كتاب المصحف واعرابها عند اهل البصرة
مبتدا وخبره محذوف تقديره والصابيون كذلك وهو مقدم
في نية التاخير واجاز بعض الكوفيون ان يكون معطوفا علي
موضع اسم ان وقيل ان هنا بمعني نعم وما بعدها مرفوع بالابتدا
وهو ضعيف وحسبوا ان لا تكون فتنة اي بلا واختبار وتري
تكون بالرفع علي ان تكون ان مخففة من الثقيلة وبالنصب
علي انها مصدرية فعموا وصموا عبارة عن تماديهم علي المخالفة
والعصيان ثم تاب الله عليهم قيل ان هذه التوبة رد ملكهم
ورجوعهم الي بيت المقدس بعد خروجهم منه ثم اخرجوا المرة
الثانية فلم ينجبر حالهم ابدا وقيل التوبة بعث عيسي عليه
السلام وقيل بعث محمد صلي الله عليه وسلم كثير منهم بدل

من

من الضمير او فاعل علي لغة اكلوني البراغيث والبدل ارجح وافصح وقال
المسيح الاية رد علي النصاري وتكذيب لهم وما للظالمين من انصار
يحتمل ان يكون من كلام المسيح او من كلام الله ما المسيح بن مريم
الا رسول الاية رد علي من جعله الها وامه صديقة بنا مبالغة من
الصدق او من التصديق ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع
قول من قال انها نبية كانا ياكلان الطعام استدلال علي انهما
ليسا بالهين لاحتياجهما الي الغذا الذي لا يحتاج اليه الا محدث
مفتقر ومن كان كذلك ليس باله لان الله منزه عن صفة الحدوث
وعن كل ما يلحق البشر وقيل ان قوله ياكلان الطعام عبارة عن ...... الاحتياج الي
الغايط ولا ضرورة تدعوا الي اخراج اللفظ عن ظاهره لان الحجة
قايمة بالوجهين ثم انظر دخلت ثم لتفاوت الامرين والقصد
التعجب من كفرهم بعد بيان الايات قل اتعبدون من دون الله
الاية اقامة حجة علي من عبد عيسي وامه وهما لا يملكان ضرا ولا
نفعا قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم خطاب للنصاري
والغلو والافراط وبسبب ذلك كفر النصاري ولا تتبعوا اهواء
قوم قيل هم ايمتهم في دين النصرانية كانوا علي ضلال في
عيسي واضلوا كثيرا من الناس ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلي
الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والاول ارجح لوجهين احدهما
ان الضلال وصف لازم للنصاري الا تري قوله تعالي ولا الضالين
والاخر انه يبعد ميل النصاري عن اتباع اليهود مع ما بينهم من
الخلاف والشقاق علي لسان داود وعيسي ابن مريم اي في
الزبور والانجيل لا يتناهون اي لا ينهي بعضهم بعضا عن منكر
فان قيل لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهي لا يكون بعد الفعل
فالجواب ان المعني لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه او عن منكر
اذا راد وافعله تري كثيرا منهم اذا ارادا سلافهم فالروية بالقلب

وان اراد المعاصرين للنبي صلي الله عليه وسلم وهو الاظهر ففي رودية
عين والنبي وما انزل اليه يعني محمدا صلي الله عليه وسلم ما اتخذوهم
اوليا يعني ما اتخذ الكفار اوليا لتجدن اشد الناس عداوة الاية
اخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الاوثان للمسلمين ولتجدن
اقربهم مودة الاية اخبار ان النصاري اقرب الي مودة المسلمين
وهذا الامر باق الي اخر الدهر فكل يهود شديد العداوة للاسلام
والكيد لاهله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا تعليل لقرب
مودتهم والقسيس العالم والراهب العابد واذا سمعوا ما انزل الي
الرسول الاية هي في النجاشي وفي الوفد الذين بعثهم الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا فقرا عليهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم القران فبكوا كما بكي النجاشي حين قرا عليه
جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه سورة مريم وقال السهيلي
نزلت في وفد نجران وكانوا نصاري عشرين رجلا فلما سمعوا
القران بكوا مما عرفوا من الحق من الاولي سببيه والثانية
لبيان الجنس امنا اي بالقران من عند الله مع الشاهدين
اي مع المسلمين وكذلك مع القوم الصالحين وما لنا لا نومن بالله
توقيف لانفسهم او محاجة لغيرهم ونطمع قال الزمخشري الواو
للحال وقال ابن عطية لعطف جملة علي جملة لا لعطف فعل علي
فعل لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم سببها ان قوما من الصحابة
غلب عليهم خوف الله الي ان حرم بعضهم النسا وبعضهم النوم
بالليل وبعضهم اكل اللحم وهم بعضهم ان يختصوا ويسيحوا في الارض
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما انا فاقوم وانام
واصوم وافطر واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ولا تعتدوا
اي لا تفرطوا في التشديد علي انفسكم اكثر مما شرع لكم وكلوا اي تمتعوا
بالماكل الحلال وبالنساء وغير ذلك وانما خص الاكل بالذكر لانه

اعظم

اعظم حاجات الانسان باللغو تقدم في البقرة بما عقدتم الايمان اي
بما قصدتم عقده بالنية وقري عقدتم بالتخفيف وعاقدتم بالالف
اطعام عشرة مساكين اشتراط المسكنة دليل علي انه لا يجزي
في الكفارة اطعام غني فان اطعمه جهلا لم يجزيه علي المشهور
من المذهب واشترط مالك ايضا ان يكونوا احرارا مسلمين
وليس في الاية ما يدل علي ذلك من اوسط ما تطعمون اهليكم
هذا
اختلف في التوسط هل هو في القدر او في الصنف واللفظ يحتمل
الوجهين فاما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مدا بمد
النبي صلي الله عليه وسلم وبغيرها وسطا من الشبع وقال
الشافعي وابن القاسم يجزي المد في كل مكان وقال ابو حنيفة
ان غداهم وعشاهم اجزا واما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش
نفسه او عيش اهل بلده فمعني الاية علي التاويل الثاني
من اوسط ما تطعمون ايها الناس اهليكم علي الجملة وعلي
الاول يختص الخطاب بالمكفر او كسوتهم قال كثير من العلما يجزي
ثوب واحد لمسكين لانه يقال فيه كسوة وقال مالك انما
يجزيه ما تصح به الصلاة فللرجل ثوب واحد وللمراة قميص
ها
وخمار او تحرير رقبة اشترط مالك فيها ان تكون مومنة لتقييد
ذلك في كفارة القتل فحمل هذا المطلق علي ذلك المقيد واجاز
ابو حنيفة هنا عتق الكافرة لاطلاق اللفظ هنا واشترط مالك
ايضا ان تكون سليمة من العيوب وليس في اللفظ ما يدل علي ذلك
فمن لم يجد اي من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا يكسوا فعليه
صيام ثلاثة ايام فالخصال الثلاثة علي التخيير والصيام
مرتب بعدها لمن عدمها وهو عند مالك من لم يفضل عن
قوته وقوت عياله في يومه زيادة ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم معناه اذا حلفتم وحنثتم او اردتم الحنث واختلف

هل يجوز تقديم الكفارة علي الحنث ام لا **واحفظوا ايمانكم** اي احفظوها
مبروا ايمانها ولا تحنثوا وقيل احفظوها بان تكفروها اذا حنثتم
واحفظوها اي لا تنسوها تهاونا بها **الخمر والميسر** ذكر في
البقره **والانصاب والازلام** مذكور في اول هذه السورة **رجس**
هو في اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعني النجس وبمعني
الحرام وقال ابن عباس معني رجس سخط **فاجتنبوه** نص في
التحذير والضمير يعود علي الرجس الذي هو خبر عن جميع
الاشيا المذكورة **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة**
والبغضا في الخمر والميسر تقبيح للخمر والميسر وذكر لبعض
عيوبهما وتعليل لتحريمهما وقد وقعت في زمان الصحابة
عداوة بين اقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها ويقال ان
ذلك كان سبب نزول الاية **فهل انتم منتهون** توقيف
يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت انتهينا انتهينا
ليس علي الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
فيها تاويلان احدهما لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة
كيف بمن مات منا وهو يشربها فنزلت الاية معلمة انه لا جناح
علي من شربها قبل التحريم لانه لم يعص الله بشربها حينئذ
والاخر ان المعني رفع الجناح عن المومنين فيما طعموا من المطاعم
اذا اجتنبوا الحرام منها وعلي هذا اخذها عمر رضي الله عنه حين
قال لقدامة انك اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك
وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الاية علي رفع الجناح
عنه فقال له عمر اخطات التاويل **اذا ما اتقوا وامنوا**
الاية قيل كرر حصولها لتعدد الاحوال وقيل الاولي للزمان الماضي
التقوي مبالغة وقيل الرتبة الاولي اتقا الشرك والثانية
اتقا المعاصي والثالثه اتقا ما لا باس به حذرا مما به الباس

وقيل

وقيل الاولي للزمان الماضي والثانية للحال والثالثة للمستقبل
واحسنوا يحتمل ان يريد الاحسان الي الناس او الاحسان في طاعة
الله وهو المراقبة وهذا ارجح لانه درجة فوق التقوي ولذلك
ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية ولذلك قالت الصوفية
المقامات ثلاثة مقام الاسلام ثم مقام الايمان ثم مقام
الاحسان **ليبلونكم الله بشي من الصيد** اي يختبر طاعتكم من
معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الاحرام او في الحرم وكان
الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم فاختبروا بتركه كما
اختبر بنو اسرايل بالحوت في السبت وانما قلله في قوله بشي
من الصيد اشعارا بانه ليس من الفتن العظيمة وانما هو من الامور
التي يمكن الصبر عنها **تناله ايديكم ورماحكم** قال مجاهد
الذي تناله الايدي الافراخ والبيض وما لا يستطيع ان يفر والذي
تناله الرماح كبار الصيد والظاهر عموم هذا التخصيص **ليعلم**
الله علما تقوم به الحجة وذلك اذا ظهر في الوجود **فمن اعتدي**
اي بقتل الصيد وهو محرم فله العذاب الاليم هنا في الاخرة **لا تقتلوا**
الصيد وانتم حرم معني حرم داخلين في الاحرام او في الحرم
والصيد هنا عام خصص منه الحديث الغراب والحداة والفاره
والعقرب والكلب العقور وادخل مالك في الكلب العقور كلما
يوذي الناس من السباع وغيرها وقاس الشافعي علي هذه الخمسة
كل ما لا يوكل لحمه ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد
مما شانه ان يصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل ان يصاد وبعد
ان يصاد واما النهي عن الاصطياد فيوخذ من قوله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما **ومن قتله منكم متعمدا** مفهوم الاية يقتضي
ان جزا الصيد علي المتعمد لا علي الناسي وبذلك قال اهل الظاهر
وقال جمهور الفقها المتعمد والناسي سوا في وجوب الجزا ثم اختلفوا

في قوله متعمدا على ثلاثة اقوال احدها ان المتعمد انما ذكر ليناط
به الوعيد في قوله ومن عاد فينتقم الله منه اذ لا وعيد على الناسي
والثاني ان الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد والثالث ان
الجزاء على المتعمد ثبت بالقران وان الجزاء على الناسي ثبت بالسنة
فجزا مثل ما قتل من النعم المعنى فعليه جزا وقرئ باضافة جزاء
الى مثل وهو من اضافة المصدر الى المفعول به وقيل مثل
زايدة كقولك انا اكرم مثلك اي اكرمك وقرئ فجزا بالتنوين ومثل
بالرفع على الابتدا او الصفة والنعم الابل والبقر والغنم خاصة
ومعنى الاية عند مالك والشافعي ان من قتل صيدا وهو محرم
ان عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ففي
النعامة بدنة وحمار الوحش بقرة وفي الغزالة شاة والمثلية
على هذا هي في الصورة والمقدار فان لم يكن له مثل اطعم او
صام ومذهب ابي حنيفة ان المثل القيمة يقوم الصيد المقتول
ويخير القاتل بين ان يتصدق بالقيمة او يشتري بالقيمة من النعم
ما يهديه **يحكم به ذوا عدل** هذه الاية تقتضي ان التحكيم شرط
في اخراج الجزا والخلاف في ذلك فان اخراج الجزا قبل الحكم عليه
فعليه اعادته بالحكم الا الحمام فانه لا يحتاج الى حكمين
قاله مالك ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة
وفيما لم يحكموا فيه لعموم الاية وقال الشافعي يكتفي في ذلك
بما حكمت به الصحابة **هديا** يقتضي ظاهره ان ما يخرج من
النعم جزا من الصيد يجب ان يكون مما يجوز ان يهدى وهو
الجذع من الضان والثني مما سواه وقال الشافعي
يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن **بالغ الكعبة** لم يرد الكعبة
بعينها وانما اراد الحرم ويقتضي ان يصنع بالجزا ما يصنع بالهدي
من سوقه من الحل الى الحرم وقال الشافعي وابو حنيفة ان اشتراه

في

في الحرم اجزاه **او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما** عدد
تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد فذكر اولا الجزا من النعم ثم الطعام
ثم الصيام ومذهب مالك والجمهور انها على التخيير وهو الذي
يقتضيه العطف باو ومذهب ابن عباس انها على الترتيب
ولم يبين الله هنا مقدار الطعام فرا العلما ان يقدر بالجزا من النعم
الا انهم اختلفوا في كيفية التقدير فقال مالك يقدر الصيد المقتول
نفسه بالطعام او الدراهم ثم تقوم الدراهم بالطعام فينظر كم
يساوه من طعام او من دراهم وهو حي وقال بعض اصحاب مالك
يقدر الصيد بالطعام ان يقال كم كان يشبع الصيد من نفس ثم
يخرج قدر شبعهم طعاما وقال الشافعي لا يقدر الصيد نفسه وانما
يقدر مثله وهو الجزا الواجب على القاتل له **او عدل ذلك صياما**
يحتمل الاشارة بذلك ان تكون الى الطعام وهو احسن لانه اقرب
او الى الصيد واختلف في تعديل الصيام بالطعام فقال مالك
يصوم مكان كل مد يوما وقال ابو حنيفة مكان كل مدين يوم وقيل
مكان كل صاع يوما ولا يجب الجزا ولا الاطعام ولا الصيام الا بقتل
الصيد لا باخذه دون قتل لقوله من قتله وفي كل وجه يشترط
حكم الحكمين وانما لم يذكره في الصيام والطعام استغنا بذكره في
الجزا **ليذوق وبال امره** الذوق هنا مستعار لان حقيقته بحاسة
اللسان والوبال سوء العاقبة وهو هنا ما لزمه من التكفير
عفى الله عما سلف اي عما فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد
في الحرم **ومن عاد فينتقم الله منه** اي من عاد الى قتل الصيد وهو
محرم بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه او
بعذاب الاخرة **احل لكم صيد البحر** احل الله بهذه الاية صيد البحر
للحلال والمحرم والصيد هنا المصيد والبحر هو الما الكثير سوا كان
ملحا او عذبا كالبرك ونحوها وطعامه هو ما يطفو على الما وما

وما قذف به البحر لان ذلك طعام وليس بصيد قاله ابو بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وقال ابن عباس طعامه ما ملح منه وبقي متاعا
لكم وللسيارة الخطاب ملكم للحاضرين في البحر والسيارة المسافرون
اي هو متاع تاتدمون به وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
الصيد هنا يحتمل ان يراد به المصدر او الشي المصيد او كلاهما
فنشا من هذا ان ما صاده المحرم فلا يحل له اكله بوجه ونشا
الخلاف فيما صاد غيره فاذا اصطاده حلال فقيل يجوز للمحرم اكله
وقيل لا يجوز ان اصطاده لمحرم والاقوال الثلاثة مروية عن
مالك وان اصطاده حرام لم يجز لغيره اكله عند مالك خلافا
للشافعي جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس اي امر
يقوم للناس بالامن والمنافع وقيل موضع قيام بالمناسك
ولفظ الناس هنا عام وقيل اراد العرب خاصة لانهم الذين
كانوا يعظمون الكعبة والشهر الحرام يريد جنس الاشهر الحرم
الاربعة لانهم كانوا امكنون فيها عن القتال والهدي يريد انه امان
لمن يسوقه لانه يعلم انه في عبادة لم يات لحرب والقلايد كان
الرجل اذا خرج يريد الحج تقلد شيا من السمر واذا رجع تقلد شيا
من اشجار الحرم ليعلم انه كان في عبادة فلا يتعرض له احد
بشي فالقلايد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر وقيل اراد
قلايد الهدي قال سعيد بن جبير جعل الله هذه الامور للناس
في الجاهلية وشددها في الاسلام ذلك لتعلموا الاشارة
الى جعل هذه الامور قياما للناس والمعنى جعل الله ذلك
لتعلموا ان الله يعلم تفاصيل الامور لا يستوي الخبيث والطيب لفظ عام
في جميع الامور من المكاسب والاعمال والناس وغير ذلك
لا تسلوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم قيل سببها سوال عبد
الله بن حذافة من ابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

ابوك

ابوك حذافة وقال اخر اين انا قال في النار وقيل سببها ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول
الله افي كل عام فسكت فاعاد فقال لا ولو قلت نعم لوجبت فعلى
الاول تسوكم بالاخبار بما لا يعجبكم وعلى الثاني تسوكم بما يشق
عليكم ويقوي هذا قوله عفى الله عنها اي سكت عن ذكرها
ولم يطالبكم بها كقوله عفا الله عن الزكاة في الخيل وقيل
ان معنى عفى الله عنها عفا عنكم فيما تقدم من سوالكم فلا تعودوا
اليه وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم فيه معنى الوعيد
على السوال كانه قال لا تسالوا وان سالتم ابدي لكم ما يسوكم
والمراد بحين ينزل القران زمان الوحي قد سالها قوم من
قبلكم الضمير في سالها راجع الى المسيلة التي دل عليها لا تسالوا
وهي مصدر ولذلك لم يتعد بعن كما تعدى قوله ان تسالوا
عنها وذلك ان بني اسرايل كانوا يستفتون انبياهم عن اشيا
فاذا امروا بها تركوها فهلكوا فالكفر هنا عبارة عن ترك ما امروا
به ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام
لما سال قوم عن هذه الامور التي كانت في الجاهلية هل تعظم
لتعظيم الكعبة والهدي اخبرهم الله انه لم يجعل شيا من ذلك
لعبادة اي لم يشرعه لهم وانما الكفار جعلوا ذلك فاما البحيرة
فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر اذا شق وذلك ان الناقة
اذا انتجت عشرة ابطن شقوا اذنها وتركوها ترعى ولا ينتفع
بها واما السايبة فكان الرجل يقول اذا قدمت من سفري
او برئت من مرضي فناقتي سايبة وجعلها كالبحيرة في عدم
الانتفاع بها واما الوصيلة فكانوا اذا ولدت الناقة ذكرا
وانثى في بطن واحد قالوا وصلت الناقة اخاها فلم يذبحوه
واما الحامي فكانوا اذا انتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا

قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شي ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب اي يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله واكثرهم
لا يعقلون الذين يفترون على الله الكذب الذين اخترعوا تحريم تلك
الاشيا والذين لا يعقلون هم اتباعهم المقلدون لهم قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه اباءنا اي يكفينا دين اباينا اولو كان اباوهم قال
الزمخشري الواو واو الحال دخلت عليها همزة الانكار كانه قيل
احسبهم هذا واباوهم لا يعقلون قال ابن عطية الف التوقيف
دخلت على واو العطف وقول الزمخشري احسن في المعنى
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قيل انها منسوخة
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل انما خطاب للمسلمين
من ذرية الذين حرموا البحيرة واخواتها كانه يقول لا يضركم
ضلال اسلافكم اذا اهتديتم والقول الصحيح فيها ما ورد
عن ابي ثعلبة الخشني انه قال سالت عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
فاذا رايتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم
ومثل ذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليس
هذا بزمان هذه الامة قولوا الحق ما قبل منكم فاذا رد
عليكم فعليكم انفسكم شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
حين الوصية اثنان قال مكي هذه الاية اشكل اية في القران
اعرابا ومعنى وحكما ونحن نبين معناها على الجملة ثم نبين
احكامها واعرابها على التفصيل وسببها ان رجلين خرجا
الى الشام وخرج معهما رجل اخر بتجارة فمرض في الطريق
فكتب كتابا قيد فيه كلما معه وجعله في متاعه واوصى
الرجلين ان يوديا رحله الى ورثته فمات فقدم الرجلان

المدينة

المدينة ودفعا رحله الى ورثته فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه
اشيا قد كتبها فسالوهما منها فقالا لا ندري هذا الذي قبضناه
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي الامر مدة ثم عثر على
اناء عظيم من فضة فقيل لمن هو عنده من اين لك هذا فقال
اشتريته من فلان وفلان يعني الرجلين فارتفع الامر في
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلين من اوليا الميت ان يحلفا
فحلفا واستحقا فمعنى الاية اذا حضر الموت احد في السفر فليشهد
عدلين بما معه فان وقعت ريبة في شهادتهما حلفا انهما ما كذبا
ولا بدلا فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا حلف رجلان
من اوليا الميت وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما وشهادة
بينكم مرفوع بالابتدا وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم
شهادة اثنين او مقيم شهادة بينكم اثنان اذا حضر اي اذا
قارب الحضور والعامل في اذا المصدر الذي هو شهادة وهذا
على ان يكون اذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا ويجوز ان تكون
شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها فان
المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغي ان يشهد حين الوصية
ظرف العامل فيه حضر او يكون بدلا من اذا ذوا عدل صفة
للشاهدين منكم او اخران من غيركم قيل معنى منكم من عشيرتكم
واقاربكم ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور
اي من المسلمين ومن غيركم من الكفار ان لم يوجد مسلم ثم اختلف
على هذا هل هي منسوخة بقوله واشهدوا ذوي عدل منكم فلا
تجوز شهادة الكفار اصلا وهو قول مالك والشافعي والجمهور
او هي محكمة وان شهادة الكفار جايزة على الوصية في السفر

اي سافرتم وجواب ان ان انتم ضربتم في الارض
وهو قول ابن عباس والمعني ان ضربتم في الارض
محذوف يدل عليه ما تقدم قبلهما شهادة اثنين
فاصابتكم مصيبة الموت فشهادة احدكم
تحبسونهما قال ابو علي الفارسي هو صفة لاخران واعترض
بين الصفة والموصوف بقوله ان انتم الي قوله الموت ليفيد
ان العدول الي اخرين من غير الملة انما يجوز لضرورة الضرب
في الارض وحلول الموت في السفر وقال الزمخشري تحبسونهما
استيناف كلام من بعد الصلاة قال الجمهور هي صلاة العصر
فاللام للعهد لانها وقت اجتماع الناس وبعدها امر النبي صلي
الله عليه وسلم بالايمان وقال من حلف علي سلعة بعد صلاة
العصر وكان التحليف بعدها معروف عندهم وقال ابن عباس
هي صلاة الكافرين في دينهما لانهما لا يعظمان صلاة العصر فيقسمان
بالله اي يحلفان ومذهب الجمهور ان تحليف الشاهدين منسوخ
وقد احلفهما علي ابن ابي طالب وابو موسي الاشعري ان ارتبتم
اي شككتم في صدقهما وامانتهما وهذه الكلمة اعتراض بين القسم
والمقسوم عليه وجواب ان محذوف يدل عليه يقسمان
لا نشتري به ثمنا هذا هو المقسوم عليه والضمير في به للقسم
ولو كان للمقسم له اي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من
الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له
قريبا لنا وهذا لان عادة الناس الميل الي اقاربهم ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وادائها واضافتها الي
الله تعظيما لها فان عثر علي انهما استحقا اثما اي اطلع بعد ذلك
علي انهما فعلا ما اوجب اثما الاثم الكذب والخيانة واستحقاقه
الاهلية للوصف به فاخران يقومان مقامهما اي اثنان من
اولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين من الذين

استحق

استحق عليهم اي الذين استحق عليهم الاثم او المال ومعناه من
الذين جنا عليهم وهم اولياء الميت الاوليان تثنية اولي بمعني احق
اي الاحقان بالشهادة لمعرفتهما او الاحقان بالمال لقرابتهما
وهو مرفوع علي انه خبر ابتدا تقديره هما الاوليان او مبتدا
موخر تقديره الاوليان اخران يقومان او بدل من الضمير في
يقومان ومنع الفاسي ان يسند استحق الي الاوليان واجازه
ابن عطية واما علي قراة استحق بفتح التا والحا علي البنا للفاعل
فالاوليان فاعل باستحق ومعني استحق علي هذا اخذ المال
وجعل يده عليه والاوليان علي هذا هما الشاهدان اللذان
ظهرت خيانتهما اي الاوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة
وقري الاولين جمع اول وهو مخفوض علي الصفة للذين
استحق عليهم او منصوبا باضمار فعل ووصفهم بالاولية لتقديمهم
علي الاجانب في استحقاق المال وفي حذف الشهادة فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي يحلف هذان الاخران
ان شهادتهما احق اي اصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت
خيانتهما انا اذا لمن الظالمين اي ان اعتدينا فانا من الظالمين
وذلك علي وجه التبرية ومثله قول الاولين انا اذا لمن
الاثمين ذلك ادني ان ياتوا بالشهادة علي وجهها الاشارة
بذلك الي الحكم الذي وقع في هذه القضية ومعني ادني اقرب
وعلي وجهها اي كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي يخافوا ان يحلف غيرهم بعدهم
فيفتضحوا يوم يجمع الله الرسل هو يوم القيامة وانتصب الظرف
بفعل مضمر اي ماذا اجابكم به الامم من ايمان وكفر وطاعة ومعصية
والمقصود بهذا السوال توبيخ من كفر من الامم واقامة الحجة
عليهم وانتصب ماذا اجبتم انتصاب مصدر ولو اريد الجواب لقيل

بما اجبتم قالوا لا علم لنا انما قالوا ذلك تادبا مع الله فوكلوا العلم اليه
قال ابن عباس المعني لا علم لنا الا ما علمتنا وقيل علمنا ساقط
في جنب علمك ويقوي ذلك قوله انك انت علام الغيوب
لان من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر وقيل ذهلوا
عن الجواب لهول ذلك اليوم وهذا بعيد لان الانبيا في ذلك
اليوم امنون وقيل اراد وابذلك توبيخ الكفار اذ قال الله
يحتمل ان يكون اذ بدل من يوم يجمع ويكون هذا القول يوم القيامة
فقوله قال بمعني يقول وقد تقدم تفسير الفاظ هذه الاية
في ال عمران فتنفخ فيها الضمير المونث عايد علي الكاف لانها صفة
للهيئة وكذلك الضمير في فتكون وكذلك الضمير المذكور في قوله
في ال عمران فتنفخ فيه عايد علي الكاف ايضا لانها بمعني مثل
وان شئت ان تقول هو في الموضعين عايد علي المحذوف الذي الموصوف
وصف بقوله كهيئة فتقدره في التانيث صورة وفي
التذكير شخص او خلقا وشبه ذلك وقيل المونث يعود
علي الهيئة والمذكر علي الطير او الطين وهو بعيد في المعني
باذني كرره مع كل معجزة ردا علي من نسب الربانية لعيسي
واذ كففت بني اسرايل يعني اليهود حين هموا بقتله فرفعه
الله اليه واذ اوحيت معطوف علي ما قبله فهو من جملة نعم الله
علي عيسي والوحي هنا يحتمل ان يكون وحي الهام او وحي كلام
واشهد يحتمل ان يكون خطابا لله تعالي او لعيسي عليه السلام
اذ قال الحواريون يا عيسي بن مريم نداوهم له باسمه دليل
علي انهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلي الله
عليه وسلم فانهم كانوا لا ينادونه باسمه انما يقولون يا رسول
الله يا نبي الله وقولهم ابن مريم دليل علي انهم كانوا يعتقدون
فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته الي ام دون والد بخلاف

ما اعتقده

ما اعتقده النصاري هل يستطيع ربك ظاهر اللفظ انهم
شكوا في قدرة الله علي انزال المايدة وعلي هذا اخذ الزمخشري
وقال ما وصفهم الله بالايمان وانما حكي دعواهم في قولهم امنا وقال
ابن عطية وغيره ليس انهم شكوا في قدرة الله لكنهم لكنه بمعني هل يفعل
ربك هذا وهل يقع منه اجابة اليه وهذا الرجح لان الله اثني علي الحواريين
في مواضع من كتابه مع ان في اللفظ بشاعة تنكر وقري تستطيع بالتا
بتا الخطاب ربك بالنصب اي هل تستطيع سوال ربك وهذه القراة
لا تقتضي انهم شكوا وبها قرات عايشة رضي الله عنها وقالت كان
الحواريون اعرف بربهم من ان يقولوا هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مايدة من السما موضع ان مفعول بقوله يستطيع علي القراة
باليا ومفعول بالمصدر وهو السوال المقدر علي القراة بالتا و
المايدة هي التي عليها طعام فان لم يكن عليها طعام فهي خوان
قال اتقوا الله ان كنتم مومنين فقوله لهم اتقوا الله يحتمل ان
يكون زجرا عن طلب المايدة واقتراح الايات ويحتمل ان يكون
زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك علي
مذهب الزمخشري واما علي مذهب ابن عطية وغيره فهو
تقريرهم كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا ومعلوم انه رجل
وقيل ان هذه المقالة صدرت منهم في اول الامر قبل ان
يروا معجزات عيسي قالوا نريد ان ناكل منها اي الا لا نتشرف به
بين الناس وليس مرادهم شهوة البطن وتطمين قلوبنا اي بمعاني
الاية فيصير ايماننا بالضرورة والمشاهدة فلا تعرض لنا الشكوك
التي تعرض في الاستدلال ونعلم ان قد صدقتنا ظاهره يقوي
قول من قال انهم انما قالوا ذلك قبل تمكن ايمانهم ويحتمل ان يكون
المعني نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك ونكون عليها من الشاهدين
اي نشهد بها عند من لم يحضر من الناس قال عيسي بن مريم

اوعن البشاعة التي في اللفظ وان
لم يكن فيه شك وقوله ان كنتم
مومنين هو علي ظاهره اي علي
مذهب الزمخشري صح

اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما اجابهم عيسي الي سوال المايدة
من الله وروي انه لبس جبة شعر وردا شعر وقام يصلي ويدعوا
ويبكي تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا قيل نتخذ يوم نزولها عيدا
يدور كل عام لاول الامة ثم لمن بعدهم وقال ابن عباس المعني
تكون مجتمعا لجميعنا اولنا واخرنا يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور
واية منك اي علامة علي صدقي قال الله اني منزلها عليكم اجابهم
الله الي ما طلبوا ونزلت المايدة عليها سمك وخبز وقيل زيتون
ورمان وقال ابن عباس كان طعام المايدة ينزل عليهم
حيثما نزلوا وفي قصص المايده قصص كثير غير صحيح ومن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد
اقتراح اية فاعطيه ولما كفر بعض هولا مسخهم الله خنازير قال
عبد الله بن عمر اشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من اصحاب
المايده وال فرعون والمنافقون واذ قال الله يا عيسي بن مريم
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال ابن
عباس والجمهور هذا القول يكون من الله يوم القيامة علي روس
الخلايق ليري الكفار تبرية عيسي مما نسبوه اليه ويعلمون انهم
كانوا علي باطل وقال السدي لما رفع الله عيسي اليه قالت النصاري
ما قالوا وزعموا ان عيسي امرهم بذلك وساله الله حينيذ عن ذلك
فقال سبحانك الاية فعلي هذا يكون اذ قال ماضيا في معناه
كما هو لفظه وعلي قول ابن عباس يكون بمعني المستقبل ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق نفي يعضده دليل العقل لان المحدث
لا يكون الها ان كنت قلته فقد علمته اعتذار وبراة من ذلك
القول وكل العلم الي الله لتظهر براته لان الله علم انه لم يقل ذلك
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم
معلومك ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة فقال في نفسك

مقابلة

مقابلة لقوله في نفسي وبقية قوله تعظيما لله واخبارا بما قال
للناس في الدنيا ان اعبدوا ان حرف عبارة وتفسير او مصدرية
بدل من الضمير في به ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم فيها سوالان الاول كيف قال وان تغفر لهم وهم
كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب ان المعني تسليم الامر الي الله وانه
ان عذب او غفر فلا اعتراض عليه لان الخلق عباده والمالك يفعل
في ملكه ما يشا ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار وانما يقتضي
جوازها في حكمة الله وعزته وفرق بين الجواز والوقوع واما
علي قول من قال ان هذا الخطاب لعيسي عليه السلام حين
رفعه الله الي السما فلا اشكال لان المعني ان تغفر لهم بالتوبة
اذ كانوا حينيذ احيا وكل حي معرض للتوبة السوال الثاني ما مناسبة
قوله فانك انت العزيز الحكيم لقوله وان تغفر لهم والاليق مع ذكر
المغفرة ان لو قيل فانك انت الغفور الرحيم والجواب من ثلاثة
اوجه الاول يظهر لي انه لما قصد التسليم له والتعظيم له كان
قوله فانك انت العزيز الحكيم اليق فان الحكمة تقتضي التسليم
له والعزة تقتضي التعظيم له فان العزيز هو الذي يفعل ما يريد
ولا يغلبه غيره ولا يمتنع عليه شي اراده فاقتضي الكلام تفويض
الامر الي الله في المغفرة لهم او عدم المغفرة لانه قادر علي كلا
الامرين لعزته وايهما فعل فهو جميل لحكمته الجواب الثاني قاله
شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير انما لم يقل الغفور الرحيم
لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم فاقتصر علي
التسليم والتفويض دون الطلب اذ لا تطلب المغفرة للكفار
وهذا قريب من قولنا الثالث حكي شيخنا الخطيب ابو عبد
الله بن رشيد عن شيخه امام البلغا في وقته حازم بن حازم
انه كان يقف علي قوله وان تغفر لهم ويجعل فانك انت العزيز

استينافا وجواب ان في قوله فانهم عبادك كانه قال ان تعذبهم وان تغفر
لهم فانهم عبادك علي كل حال يوم ينفع الصادقين صدقهم عموم في
جميع الصادقين وخصوصا في عيسي بن مريم فان في ذلك اشارة الي
صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه وقرا غير نافع هذا يوم بالرفع
علي الابتدا والخبر وقرا نافع بالنصب وفيه وجهان احدهما ان
يكون يوم ظرفا لقال فعلي هذا لا تكون الجملة معمول القول وانما
معموله هذا خاصة والمعني قال الله هذا القصص او الخبر
في يوم وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام والاخر ان يكون هذا مبتدا
ويوم في موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع
يوم ينفع الصادقين صدقهم ولا يجوز ان يكون يوم مبنيا علي
قراة نافع لانه اضيف الي معرب قاله الفارسي والزمخشري

سورة الانعام

قال كعب اول الانعام هو اول التوبة وجعل الظلمات والنور جعل
بمعني خلق والظلمات الليل والنور النهار والضوء الذي في الشمس
والقمر وغيرهما وانما افرد النور لانه اراد الجنس وفي الاية رد علي
المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الانوار وقولهم ان الخير من
النور والشر من الظلمات فان المخلوق لا يكون الها ولا فاعلا لشيء
من الحوادث ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يسوون ويمثلون
من قولك عدلت فلانا بفلان اذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت
ثم لتدل علي استبعاد ان يعدلوا بربهم بعد وضوح اياته في خلق
السموات والارض والظلمات والنور وكذلك قوله ثم انتم تمترون
استبعاد لان يمتروا فيه بعدما ثبت انه احياهم واماتهم وفي ضمن ذلك
تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم والذين كفروا هنا عام في كل مشرك
وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور او بعبدة الاصنام
لانهم المجاورون للنبي صلي الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد في

اكثر

اكثر القران خلقكم من طين اي خلق اباكم ادم من طين ثم قضي اجلا واجل
مسمي عنده الاجل الاول الموت والثاني يوم القيامة وجعله عنده لانه
استاثر بعلمه وقيل الاول النوم والثاني الموت ودخلت ثم هنا لترتيب
الاخبار لا لترتيب الوقوع لان القضا متقدم علي الخلق وهو الله في
السموات وفي الارض يتعلق في السموات بمعني اسم الله فالمعني كقوله
وهو الذي في السما اله وفي الارض اله كما يقال امير المومنين الخليفة
في المشرق والمغرب ويحتمل ان يكون المجرور في موضع الخبر يتعلق
باسم فاعل محذوف والمعني علي هذا قريب من الاول وقيل المعني
انه في السموات بعلمه كقوله وهو معكم اينما كنتم والاول ارجح وافصح
لان اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير
ذلك فقصد جمعها مع الايجاز ويترجح الثاني بان سياق الكلام في
اطلاع الله تعالي وعلمه لقوله بعدها يعلم سركم وجهركم وقيل
يتعلق بمحذوف تقديره المعبود في السموات وفي الارض وهذا
المحذوف صفة لله واسم الله علي هذا القول وعلي الاول هو خبر
مبتدا واما اذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير وما
تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولي زايدة والثانية للتبعيض
او لبيان الجنس بالحق يعني ما جا به محمد صلي الله عليه وسلم
فسوف ياتيهم الاية وعيد بالعذاب والعقاب علي استهزايهم
الم يروا كم اهلكنا حض للكفار علي الاعتبار بغيرهم والقرن مائة
سنة وقيل سبعون وقيل اربعون مكناهم في الارض الضمير
عايد علي القرن لانه في معني الجماعة ما لم نمكن لكم الخطاب لجميع
اهل ذلك العصر من المومنين والكافرين وارسلنا السما عليهم
مدرارا السما هنا المطر والسحاب حقيقة ومدرارا بنا مبالغة
وتكثير من قولك در المطر اذا غزر فاهلكناهم بذنوبهم التقدير
فكفروا وعصوا فاهلكناهم وهذا تهديد للكفار ان يصيبهم مثل

م

ما اصاب هولاء علي حال قوتهم وتمكينهم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
الاية اخبار انهم لايومنون ولو جاتهم اوضح الايات والمراد بقوله
فلمسوه بايديهم لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا
بذلك ويشبه ان يكون سبب هذه الاية قول بعضهم للنبي صلي
الله عليه وسلم لا اومن بك حتي تاتي بكتاب من السما يامرني
بتصديقك وما اراني مع هذا اصدقك وقالوا لولا انزل عليه ملك
حكاية عن بعض العرب وروي ان العاصي بن وايل والنضر بن الحارث
وزمعة بن الاسود بن عبد يغوث قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم
يا محمد لو كان معك ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس
المعني لو انزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب ففي
الكلام علي هذا حذف وقضي الامر علي هذا التعجيل لاخذهم
وقيل المعني لو انزلنا ملكا لماتوا من هول رويته فقضي الامر
علي هذا موتهم ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو جعلنا
الرسول ملكا لكان في صورة رجل لانهم لا طاقة لهم علي روية
الملك في صورته وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا ما يخلطون علي
انفسهم وعلي ضعفايهم فانهم لو راوا الملك في صورة انسان قالوا
هذا انسان وليس بملك ولقد استهزي برسل من قبلك الاية اخبار
تقصد به تسلية النبي صلي الله عليه وسلم عما كان يلقي من قومه
فحاق اي احاط بهم وفي هذا الاخبار تهديد للكفار قل سيروا في الارض
الاية حض علي الاعتبار بغيرهم اذا راوا منازل الكفار الذين هلكوا
قبلهم ثم انظروا قال الزمخشري ان قلت اي فرق بين قوله فانظروا
وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله
فانظروا كانه قال سيروا لاجل النظر واما قوله فسيروا في الارض
ثم انظروا فمعناه اباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب
النظر في الهالكين ونبه علي ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح

قل

قل لمن ما في السموات والارض قل لله المقصد بالاية اقامة البرهان
علي صحة التوحيد وابطال الشرك وجا ذلك بصيغة الاستفهام
لاقامة الحجة علي الكفار فسال اولا لمن ما في السموات والارض ثم
اجاب عن السوال بقوله لله لان الكفار يوافقون علي ذلك بالضرورة
فيثبت بذلك ان الاله الحق هو الله الذي له ما في السموات وما في
الارض وانما يحسن ان يكون السايل مجيبا عن سواله اذا علم
ان خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجة عليه كتب علي
نفسه الرحمة اي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي صلي الله عليه
وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض فيه ان
رحمتي سبقت غضبي وفي رواية تغلب غضبي ليجمعنكم منقطع
مما قبله وهو جواب لقسم محذوف وقيل هو تفسير للرحمة المذكو
تقديره ان يجمعكم وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير
موضعها فانها لا تدخل الا في القسم او في غير الجواب الي يوم القيامة
قيل هنا الي بمعني في وهو ضعيف والصحيح انها للغاية علي
بابها الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون الذين مبتدا وخبره
لا يومنون ودخلت الفا لما في الكلام من معني الشرط قاله الزجاج
وهو حسن وقال الزمخشري الذين نصب علي الذم او رفع بخبر
ابتدا مضمر وقيل هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف وقيل
منادي وهو باطل وله ما سكن في الليل والنهار عطف علي
قوله قل لله ومعني سكن حل فهو من السكني وقيل هو من السكون
وهو ضعيف لان الاشيا منها ساكنة ومتحركة فلا يعم والمقصود
عموم ملكه تعالي لكل شي قل اغير الله اتخذ وليا اقامة حجة علي
الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها
اول من اسلم اي من هذه الامة لان النبي صلي الله عليه وسلم
سابق امته الي الاسلام ولا تكونن في الكلام حذف تقديره

وقيل لي ولاتكونن من المشركين او يكون معطوفا علي معني امرت فلا
حذف وتقديره امرت بالاسلام ونهيت عن الاشراك من يصرف
عنه يومئذ فقد رحمه اي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة
فقد رحمه الله وقري يصرف بفتح اليا وفاعله الله وذلك اشارة
الي صرف العذاب اوالي الرحمة وان يمسسك الله بضر معني يمسسك
يصيبك والضر المرض وغيره علي العموم في جميع المضرات والخير
العافية وغيرها علي العموم ايضا والاية برهان علي الوحدانية
لانفراد الله تعالي بالضر والخير وكذلك ما بعدها من الاوصاف
براهين ورد علي المشركين قل اي شي اكبر شهادة سوال
يقتضي جوابا ينبني عليه المقصود وفيه دليل علي ان الله
يقال فيه شي لكن ليس كمثله شي قل الله شهيد بيني وبينكم
يحتمل وجهين احدهما ان يكون الله مبتدا وشهيد اخبره والاخر
ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعني ان الله اكبر شهادة
ثم يبتدي علي تقدير هو شهيد بيني وبينكم والاول ارجح لعدم
الاضمار والثاني ارجح لمطابقته للسوال لان السوال بمنزلة من
يقول من اكبر الناس فيقال في الجواب فلان وتقديره فلان اكبر
الناس والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذي هو اكبر شهادة
علي صدق رسوله صلي الله عليه وسلم وشهادة الله بهذا هي
علمه بصحة نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم او اظهار معجزة
الدالة علي نبوته ومن بلغ عطف علي ضمير المفعول في لانذركم
والفاعل ببلغ ضمير القران والمفعول محذوف يعود علي من
تقديره ومن بلغه والمعني اوحي الي هذا القران لانذر به المخاطبين
وهم اهل مكة وانذر كل من بلغه القران من العرب والعجم الي
يوم القيامة قال سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راي
سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وقيل المعني ومن بلغ

الحلم

الحلم وهو بعيد اينكم لتشهدون الاية تقرير للمشركين علي شركهم
ثم تبرا من ذلك بقوله لا اشهد ثم شهد لله بالوحدانية وروي انما
نزلت بسبب قوم من الكفار اتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد اما تعلم مع الله الها اخر يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
تقدم في البقرة الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون مبتدا وخبره
فهم لا يومنون وقيل الذين نعت للذين اتيناهم الكتاب وهو فاسد
لان الذين اوتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة علي الكفار
ومن اظلم لفظه استفهام ومعناه لا احد اظلم ممن افتري علي الله
وذلك تنصل من الكذب علي الله واظهار لبراة رسول الله صلي
الله عليه وسلم مما نسبوه اليه من الكذب ويحتمل ان يريد بالافترا
علي الله ما نسب اليه الكفار من الشركا والاولاد او كذب باياته اي
علاماته وبراهينه اين شركاوكم يقال لهم ذلك علي وجه التوبيخ
تزعمون اي تزعمون انهم الهة فحذف لدلالة المعني عليه والعامل
في يوم نحشرهم محذوف ثم لم تكن فتنتهم الفتنة هنا تحتمل ان تكون
بمعني الكفر اي لم تكن عاقبة كفرهم الا جحوده والتبري منه وقيل
فتنتهم معذرتهم وقيل كلامهم وقري فتنتهم بالنصب علي خبر
كان واسمها ان قالوا وقري بالرفع علي اسم كان وخبرها والله
ربنا ما كنا مشركين جحود لشركهم فان قيل كيف يجحدونه وقد
قال الله ولا يكتمون الله حديثا فالجواب ان ذلك يختلف باختلاف
طوايف الناس واختلاف المواطن فيكتم قوم ويقر اخرون ويكتمون
في موطن ويقرون في موطن اخر لان يوم القيامة طويل وقد
قال ابن عباس لما سيل عن هذا السوال انهم جحدوا طمعا في
النجاة فختم الله علي افواههم وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون
الله حديثا ومنهم من يستمع اليك الضمير عايد علي الكفار وافرد
يستمع وهو فعل جماعة حملا علي لفظ من وجعلنا علي قلوبهم

اكنة ان يفقهوه اكنة جمع كنان وهو الغطا وان يفقهوه في موضع
مفعول من اجله تقديره كراهة ان يفقهوه ومعني الاية ان الله
حال بينهم وبين فهم القران اذا استمعوا وعبر بالاكنة والوقر مبالغة
وهي استعارة اساطير الاولين اي قصصهم واخبارهم وهو جمع
اسطار واسطورة قال السهيلي حيث ما ورد في القران اساطير
الاولين فان قايلها النضر بن الحرث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم
اخبار ملوكهم فكان يقول حديثي احسن من حديث محمد وهم
ينهون عنه وينا ون عنه نهم عايد علي الكفار والضمير في عنه
عايد علي القران والمعني وهم ينهون الناس عن الايمان به وينا ون
هم عنه اي يبعدون والناي هو البعد وقيل الضمير في عنه
يعود علي النبي صلي الله عليه وسلم ومعني ينهون عنه ينهون
الناس عن اذايته وهم مع ذلك يبعدون عنه والمراد بالاية
علي هذا ابو طالب ومن كان معه يحمي النبي صلي الله عليه وسلم
ولا يسلم وفي قوله ينهون وينا ون ضرب من ضروب التجنيس
ولو تري اذ وقفوا علي النار جواب لو محذوف هنا وفي قوله
ولو تري اذ وقفوا علي ربهم وانما حذف ليكون ابلغ ما يقدره
السامع اي لو تري لرايت امرا شنيعا هايلا ومعني وقفوا حبسوا
قاله ابن عطية ويحتمل ان يريد بذلك اذا دخلوا النار او اذا عاينوها
واشرفوا عليها ووضع اذ موضع اذا لتحقيق وقوع الفعل حتي كانه
ماض يا ليتنا نرد ولا نكذب قري برفع نكذب ونكون علي
الاستيناف والقطع عن التمني ومثله سيبويه بقوله دعني ولا
اعود اي وانا لا اعود ويحتمل ان يكون حالا تقديره نرد غير
مكذبين او عطف علي نرد وقري بالنصب باضمار ان بعد الواو
في جواب التمني بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل المعني ظهر
لهم يوم القيامة ما كانوا يخفون من امر محمد صلي الله عليه وسلم

وقيل

وقيل هي في المنافقين اي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر وهذان
القولان بعيدان فان الكلام من اوله ليس في حق المنافقين ولا اهل
الكتاب وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلي الله عليه وسلم
خافوا واخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها اتباعهم فظهر لهم ذلك
يوم القيامة ولو ردوا لعادوا اخبار بامر لا يكون لو كان كيف كان
يكون وذلك مما انفرد الله بعلمه وانهم لكاذبون يعني في قولهم
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين ولا يصح ان يرجع الي
قولهم يا ليتنا نرد لان التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب وقالوا ان
هي الا حياتنا الدنيا حكاية عن قولهم في انكار البعث الاخروي
قال اليس هذا بالحق تقرير لهم وتوبيخ قالوا يا حسرتنا علي
ما فرطنا فيها الضمير فيها للحياة الدنيا لان المعني يقتضي ذلك
وان لم يجر لها ذكر وقيل للساعة اي فرطنا في شانها والاستعداد
لها والاول اظهر وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم كناية عن
تحمل الذنوب وقال علي ظهورهم لان العادة حمل الاثقال علي
الظهور وقيل انهم يحملونها علي ظهورهم حقيقة وروي في
ذلك ان الكافر يركبه عمله بعد ان يتمثل له في اقبح صورة وان
المومن يركب عمله بعد ان يتصور له في احسن صورة الا ساء ما يزر ون
اخبار عن سوء ما يتحملون من الاوزار قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون قرانافع يحزن حيث وقع بضم اليا من احزن الا قوله لا
يحزنهم الفزع الاكبر وقرا الباقون بفتح اليا من حزن الثلاثي
وهو اشهر في اللغة والذي يقولون قولهم ساحر شاعر كاهن
فانهم لا يكذبونك من قرا بالتشديد فالمعني لا يكذبونك معتقدين
لكذبك وانما هم يجحدون الحق مع علمهم به ومن قرا بالتخفيف فقيل
معناه لا يجدونك كاذبا يقال اكذبت فلانا اذا وجدته كاذبا
كما يقال احمدته اذا وجدته محمودا وقيل هو بمعني التشديد

يقال كذب فلان فلانا واكذبه بمعني واحد وهو الاظهر لقوله بعد هذا
يجحدون ويويد هذا ما روي انها نزلت في ابي جهل فانه قال
لرسول الله صلي الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب ماجيت
به وانه قال للاخنس بن شريف والله ان محمدا صادقا ولكني
احسده علي الشرف **ولكن الظالمين** اي ولكنهم ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة علي انهم ظلموا في جحودهم **ولقد كذبت رسل
من قبلك** الاية تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم وحض له
علي الصبر ووعد له بالنصر **ولا مبدل لكلمات الله** اي لمواعيده
لرسله كقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون وفي هذا تقوية للوعد **ولقد جاك من نبا المرسلين**
يعني من اخبارهم ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم وهذا ايضا تقوية
للوعد والحض علي الصبر وفاعل جاك محذوف تقديره نبا او جلا
وقيل هو المجرور **وان كان كبر عليك اعراضهم** الاية مقصودها
حمل النبي صلي الله عليه وسلم علي الصبر والتسليم لما اراد
الله بعباده من ايمان او كفر فانه صلي الله عليه وسلم
كان شديد الحرص علي ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تدخل
في الارض او تصعد الي السما فتاتيهم باية يومنون بسببها
فافعل وانت لا تقدر علي ذلك فاستسلم لامر الله والنفق
في الارض منفذ تنفذ فيه الي ما تحت الارض وحذف جواب
ان لفهم المعني **ولو شا الله لجمعهم علي الهدي** حجة لاهل السنة
علي القدرية **فلا تكونن من الجاهلين** اي من الذين يجهلون
ان الله لو شا لجمعهم علي الهدي **انما يستجيب الذين يسمعون**
المعني انما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون
والموتي يبعثهم الله فيها ثلاث تاويلات احدها ان الموتي عبارة
عن الكفار لموت قلوبهم والبعث يراد به الحشر يوم القيامة

فالمعني

فالمعني ان الكفار في الدنيا كالموتي في قلة سمعهم وعدم فهمهم فيبعثهم
الله في الاخرة وحينيذ يسمعون والاخر ان الموتي عبارة عن الكفار
والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسماع والثالث ان الموتي
علي حقيقته فهو اخبار عن بعث الموتي يوم القيامة **وقالوا
لولا نزل عليه اية من ربه** الضمير في قالوا للكفار ولولا عرض
والمعني انهم طلبوا ان ياتي النبي صلي الله عليه وسلم باية علي
نبوته فان قيل فقد اتي بايات ومعجزات كثيرة فلم طلبوا اية
فالجواب من وجهين احدهما انهم لم يعتدوا بما اتي به وكانه
لم ياتِ بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم والاخر انهم انما طلبوا
اية تضطرهم الي الايمان من غير نظر ولا تفكر **قل ان الله قادر
علي ان ينزل اية** جواب قولهم وقد حكي هذا القول عنهم في
مواضع من القران وجوبوا عليه باجوبة مختلفة منها ما يقتضي
الرد عليهم في طلبهم الايات فانهم قد اتاهم بايات وتحصيل الحاصل
لا ينبغي كقوله قد بينا الايات وكقوله او لم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلي عليهم ومنها ما يقتضي الاعراض عنهم لان الخصم
اذا تبين عناده سقطت مكالمته ويحتمل ان يكون من هذا
قوله ان الله قادر علي ان ينزل اية ويحتمل ايضا ان يكون
معناه قادر علي ان ينزل اية تضطرهم الي الايمان **ولكن اكثرهم
لا يعلمون** حذف مفعول يعلمون وهو يحتمل وجهين احدهما
لا يعلمون ان الله قادر والاخر لا يعلمون ان الله انما منع الايات
التي تضطرهم الي الايمان لمصالح العباد فانهم لو راوها ولم
يومنوا لعوجلوا بالعذاب **بجناحيه** تاكيد وبيان وازالة
للاستعارة المتعاهدة في اللفظة فقد يقال طاير للسعد والنحس
امم امثالكم اي في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك
ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين احدهما انه تنبيه علي

اياته وفي

علي مخلوقات الله تعالي فكانه يقول تفكروا في مخلوقاته ولاتطلبوا
غير ذلك من الايات والاخر انه تنبيه علي البعث كانه يقول جميع
الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون انتم وهو اظهر
لقوله بعده ثم الي ربهم يحشرون ما فرطنا في الكتاب من شي
اي ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ والكلام علي هذا
عام وقيل هو القران والكلام علي هذا خاص اي ما فرطنا فيه من
شي فيه هدايتكم والبيان لكم ثم الي ربهم يحشرون اي تبعث
الدواب والطيور يوم القيامة للجزا والفصل بينها والذين كذبوا
الاية لما ذكر قدرته علي بعث الخلق كلهم اتبعه بان وصف من
كذب بذلك بالصم والبكم وقوله في الظلمات يقوم مقام الوصف
بالعمى قل ارايتكم معناه اخبروني والضمير الثاني للخطاب ولا محل
له من الاعراب وجواب الشرط محذوف تقديره ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم وقفهم علي انهم لا يدعون
حينئذ الا الله ولا يدعون الهتهم والاية احتجاج عليهم واثبات
للتوحيد وابطال للشرك ان شاء استثنا اي يكشف ما نزل
بكم ان اراد ويجيبكم به ان اراد وتنسون ما تشركون يحتمل
ان يكون من النسيان والترك بالباسا والضرا كان ذلك علي
وجه التخويف والتاديب فلولا هنا عرض وتحضيض وفيه
دليل علي نفع التضرع حين الشدايد فلما نسوا الاية اي لما
تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدايد فتح عليهم ابواب الرزق
والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فاخذهم الله مبلسون
ايسون من الخير دابر القوم اخرهم وذلك عبارة عن استيصالهم
بالكلية والحمد لله شكر علي هلاك الكفار فانه نعمة علي المومنين
وقيل انه علي ما تقدم من الملاطفة في اخذه لهم بالشر ليتضرعوا
وبالخير ليشكروا حتي وجب عليهم العقاب بعد الانذار والاعذار

قل

قل ارايتم الاية احتجاج علي الكفار ايضا ياتيكم به الضمير عايد علي
الماخوذ يصدفون اي يعرضون قل ارايتكم الاية وعيد وتهديد والبغتة
ما لم يتقدم لهم شعور به والجهرة ما بدت لهم مخايلة وقيل بغتة
بالليل وجهرة بالنهار قل لا اقول لكم عندي خزاين الله
الاية اي لا ادعي شيا ينكر ولا يستبعد انما انا بشر رسول كما كان
غيري من الرسل الاعمي والبصير مثل للضال والمهتدي وانذر
به الذين يخافون الضمير في به يعود علي ما يوحي والانذار عام
لجميع الناس وانما خص هنا بالذين يخافون لانه قد تقدم في الكلام
ما يقتضي الياس من ايمان غيرهم كانه يقول انذر الخايفين لانه
ينفعهم الانذار واعرض عن من تقدم ذكره من الذين لا يسمعون
ولا يعقلون ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال
من الضمير في يحشروا واستينا ف اخبار لعلهم يتقون يتعلق
بانذر ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية نزلت في ضعفا المسلمين
كبلال وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وخباب وصهيب وامثالهم
وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم
لا يمكننا ان نختلط مع هولا لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك فنزلت
هذه الاية بالغداة والعشي قيل هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس
وكانت غدوة وعشية وقيل هي عبارة عن دوام الفعل ويدعون
هنا من الدعا وذكر الله او بمعني العبادة يريدون وجهه اخبار
عن اخلاصهم لله وفيه تزكية لهم ما عليك من حسابهم من شي
الاية قيل الضمير في حسابهم للذين يدعون وقيل للمشركين والمعني
علي هذا لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك فلا تهتم بامرهم
حتي تطرد هولا من اجلهم والاول ارجح لقوله وما انا بطارد الذين
امنوا وقوله ان حسابهم الا علي ربي والمعني علي هذا ان الله هو
الذي يحاسبهم فلاي شي تطردهم فتطردهم هذا جواب النفي في قوله

ما عليك فتكون من الظالمين هذا جواب النهي في قوله ولا تطرد او عطف
على تطردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا الكفار بالمومنين
وذلك ان الكفار كانوا يقولون اهولا العبيد والفقرا من الله عليهم
بالتوفيق للحق وبالسعادة دوننا ونحن اشرف اغنيا وكان هذا الكلام
منهم على وجه الاستبعاد لذلك اليس الله باعلم بالشاكرين رد
على الكفار في قولهم المتقدم واذا جاءك الذين يومنون باياتنا
فقل سلام عليكم هم الذين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
طردهم امر بان يسلم عليهم اكراما لهم وان يانسهم بما بعد هذا
كتب ربكم على نفسه الرحمة اي حتمها وفي الصحيح ان الله
كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي انه من
عمل منكم سوءا الاية وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب واصلح
وهو خطاب للقوم المذكورين قبل وحكمها عام فيهم وفي غيرهم
والجهالة قد ذكرت في النسا وقيل نزلت بسبب ان عمر بن الخطاب
اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان يسلم
الكفار فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه فنزلت
الاية وقرى انه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستيناف
وكذلك فانه غفور رحيم بالكسر على الاستيناف وبالفتح خبر ابتدا
مضمر تقديره فامره انه غفور رحيم وقيل تكرار للاولى لطول
الكلام وكذلك نفصل الاشارة الى ما تقدم في النهي من الطرد
وغير ذلك ونفصل الايات نشرحها ونبينها ولتستبين سبيل
المجرمين بتا الخطاب ونصب السبيل على انه فاعل مونث
وبالياء والرفع على تذكير السبيل لانه يجوز فيه التذكير والتانيث
الذين تدعون اي تعبدون قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواكم
ضللت على بينة اي على امر بين من معرفة ربي والها من بينة
للمبالغة او للتانيث وكذبتم به الضمير عايد على الرب او على

البينة

البينة ما عندي ما تستعجلون به اي العذاب الذي طلبوه في قولهم
امطر علينا حجارة من السما وقيل الايات التي اقترحوها والاول اظهر
يقص الحق من القصص وقيل يقض بالضاد المعجمة من القضا وهو
ارجح لقوله خير الفاصلين اي الحاكمين قل لو ان عندي ما تستعجلون
به لقضي الامر اي لو كان عندي العذاب على التاويل الاول والايات
المقترحة على التاويل الاخر لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول
العذاب ولظهور الايات مفاتح الغيب استعارة وعبارة عن التوصل الى
الغيوب كما يتوصل بالمفاتح الى ما في الخزاين وهو جمع مفتح بكسر الميم
بمعنى مفتاح ويحتمل ان يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزن ولا حبة في
ظلمات الارض تنبيه بها على غيرها لانها اشد تغيبا من كل شي
في كتاب مبين اللوح المحفوظ وقيل علم الله يتوفاكم بالليل اي اذا
نمتم وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الاخروي ما جرحتم
اي ما كسبتم من الاعمال يبعثكم فيه اي يوقظكم من النوم والضمير
عايد على النهار لان غالب اليقظة فيه وغالب النوم بالليل اجل مسمى
اجل الموت حفظة جمع حافظ وهم الملايكة الكاتبون توفته رسلنا
اي الملايكة الذين مع ملك الموت ثم ردوا خروج من الخطاب الى الغيبة
والضمير لجميع الخلق قل من ينجيكم الاية اقامة للحجة وظلمات البر
والبحر عبارة عن شدايدهما واهوالهما كما يقال لليوم الشديد
مظلم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قيل الذي من فوق امطار
الحجارة ومن تحت الخسف وقيل من فوقكم تسليط اكابركم ومن تحت
ارجلكم تسليط سفلاتكم وهذا بعيد او يلبسكم شيعا اي يخلطكم
فرقا مختلفين ويذيق بعضكم باس بعض بالقتال واختلف
هل الخطاب بهذه الاية للكفار والمومنين وروي انه لما نزلت
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك

ولما نزلت او يلبسكم شيعا قال اهون وجهدت النبي صلي الله عليه وسلم
هذا اهون فقضي الله علي هذه الامة بالفتن والقتال الي يوم القيامة
وكذب به قومك الضمير عايد علي القران او علي الوعيد المتقدم وقومك
هم قريش لست عليهم بوكيل اي بحفيظ ومتسلط وفي ذلك مشاركة
نسختها اية القتال لكل نبا مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه
من كذبه يخوضون في اياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم
اي قم ولا تجالسهم واما ينسينك الشيطان اما مركبة من ان الشرطية
وما زايده والمعني ان انساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد ان تذكر النهي وما علي الذين يتقون من حسابهم من شي الذين
يتقون هم المومنون والضمير في حسابهم للكفار والمستهزين والمعني ليس
علي المومنين شي من حساب الكفار علي استهزايهم وضلالهم وقيل
ان ذلك يقتضي اباحة جلوس المومنين مع الكافرين لانهم شق عليهم
النهي عن ذلك اذ كانوا لابد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف
بالبيت وفي غير ذلك ثم نسخت باية النسا وهي وقد نزل عليكم في
الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله الاية وقيل انها لا تقتضي اباحة القعود
ولكن ذكري لعلهم يتقون فيه وجهان احدهما ان المعني ليس علي
المومنين حساب الكفار ولكن عليهم تذكيرهم ووعظ واعراب ذكري
علي هذا نصب علي المصدر وتقديره يذكرونهم ذكري او رفع
علي المبتدا تقديره عليهم ذكري والضمير في لعلهم عايد علي الكفار
اي يذكرونهم لعلهم ان يتقون او عايد علي المومنين اي يذكرونهم ليكون
تذكيرهم ووعظهم تقوي الله والمعني الثاني ليس علي المومنين نهي عن
القعود مع الكافرين بسبب ان عليهم من حسابهم شي وانما هو ذكري
للمومنين واعراب ذكري علي هذا خبر ابتدا اضمر تقديره ولكن
نهيهم ذكري او مفعول من اجله تقديره انما نهوا ذكري والضمير
في لعلهم للمومنين لا غير وذر الذين اتخذوا قيل انها متاركة منسوخة رجا

بالسيف

بالسيف وقيل بل هي تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا اي اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا لانهم سخروا
منه واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبا ولهوا لانهم لا يومنون بالبعث
فهم يلعبون ويلهون وذكر به الضمير عايد علي الدين او علي القران
ان تبسل قيل معناه ان تحبس وقيل تفضح وقيل تهلك وهو
في موضع مفعول من اجله اي ذكر به كراهة ان تبسل نفس وان تعدل
كل عدل اي وان تعط كل فدية لا يوخذ منها قل اندعوا من دون الله
الاية اقامة حجة وتوبيخ للكفار ونرد علي اعقابنا اي نرجع من الهدي
الي الضلال واصل الرجوع علي العقب في المشي ثم استعير في المعاني
وهذه جملة معطوفة علي اندعوا والهمزة للانكار والتوبيخ كالذي
استهوته الشياطين الكاف في موضع نصب علي الحال من الضمير في
نرد اي كيف نرجع مستهوين من استهوته الشياطين او نعت لمصدر
محذوف تقديره ردا كرد الذي ومعني استهوته الشياطين ذهبت
به في مهامه الارض واخرجته عن الطريق فهو نصب علي الحال
من المفعول استفعال من هوي يهوي في الارض اذا ذهب فيها
وقال الفارسي استهوي بمعني اهوي بمعني استذل بمعني ازل
حيران اي ضال عن الطريق وهو نصب علي الحال من المفعول في
استهوته له اصحاب يدعونه الي الهدي ايتنا اي لهذا المستهوي
اصحاب وهم رفقة يدعونه الي الهدي اي الي ان يهدوه الي الطريق
يقولون له ايتنا وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم وهذا المثل
تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدي وهو يدعي الي الاسلام فلا يجيب
وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق حين كان ابوه
يدعوه الي الاسلام ويبطل هذا قول عايشة ما نزل في ال ابي
بكر شي من القران الا براتي وان اقيموا عطف علي ان اسلم او علي
نعمول امرنا قوله الحق مرفوع بالابتدا وخبره يوم يقول وهو مقدم

عليه والعامل فيه معني الاستقرار كقولك يوم القتال القتال واليوم
بمعني الحين و فاعل يوم يكون مضمر وهو فاعل كن اي حين يقول للشي
كن فيكون ذلك الشي يوم ينفخ في الصور ظرف لقوله له الملك كقوله لمن
الملك اليوم وقيل في اعراب الاية غير هذا مما هو ضعيف او تخليط
عالم الغيب والشهادة خبر ابتدا مضمر لابيه ازر هو اسم ابي ابراهيم
فاعرابه عطف بيان او بدل ومنع من الصرف للعجمة والعلمية لا للوزن
لان وزنه فاعل نحو عابر وشالخ وقري بالرفع علي الندا وقيل انه
اسم صنم لانه ثبت ان اسم ابي ابراهيم تارح فعلي هذا يحتمل ان يكون
لقب به لملازمته له او اريد عبادة ازر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وذلك بعيد ولا يبعد ان يكون له اسمان
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قيل انه خرج الله السموات
والارض حتي راه ببصره الملك الاعلي والاسفل وهذا يحتاج الي
صحة نقل وقيل را ما يراه الناس من الملكوت ولكنه وقع له
من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لاهل زمانه وليكون متعلق
بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك فلما جن
عليه الليل اي ستره يقال جن عليه الليل واجنه را كوكبا قال
هذا ربي يحتمل ان يكون هذا الذي جري لابراهيم في الكوكب والقمر
والشمس ان يكون قبل البلوغ والتكليف وقد روي ان امه ولدته
في غار خوفا من نمرود كان يقتل الاطفال لان المنجمين اخبروه
ان هلاكه علي يد صبي ويحتمل ان يكون جري له ذلك بعد بلوغه
وتكليفه وانه قال ذلك لقومه علي وجه الرد عليهم والتوبيخ
لهم وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكوكب
فاراد ان يبين لهم الخطا في دينهم ويرشدهم الي ان هذه الاشيا لا يصح
ان يكون واحد منها الها لقيام الدليل علي حدوثها وان الذي احدثها
ودبر طلوعها وغروبها وافولها هو الاله الحق وحده بقوله هذا

وهذا ارجح لقوله بعد ذلك
لقوله بعد ذلك اني بري مما
تشركون ولا يتصور ان يقول ذلك
وهو منفرد في الغار لان ذلك يقتضي
محاجة وردا علي قومه

ربي

ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل لان ذلك ادعي الي الحق
واقرب الي رجوع الخصم ثم اقام عليهم الحجة بقوله لا احب الافلين
اي لا احب عبادة المتغيرين لان التغير دليل علي الحدوث والحدوث
ليس من صفة الاله ثم استمر علي ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس
فلما اوضح البرهان واقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراة من باطلهم
فقال اني بري مما تشركون ثم اعلن لعبادة الله وتوحيده فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ووصف الله تعالي
بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك فان قيل لم احتج
بالافول دون الطلوع اتحاجوني في الله اي في الايمان بالله وفي توحيده والاصل
اتحاجونني بنونين وقري بالتشديد علي ادغام احداهما وكلاهما
دليل علي الحدوث لانهما انتقال من حال الي حال فالجواب انه
اظهر في الدلالة لانه انتقال مع اختفا واحتجاب اتحاجوني في
الله اي في الايمان بالله وفي توحيده والاصل اتحاجونني بنونين
وقري بالتشديد علي ادغام احداهما في الاخري وبالتخفيف
علي حذف احداهما واختلف هل حذفت الاولي او الثانية
ولا اخاف ما تشركون به ما هنا بمعني الذي ويريد بها الاصنام وكانوا
قد خوفوه ان تصيبه اصنامهم بضر فقال لا اخاف منهم لانهم
لا يقدرون علي شي الا ان يشا ربي شيا استثنا منقطع بمعني لكن
اي انما اخاف من ربي ان اراد بي شيا وكيف اخاف ما اشركتم اي
كيف اخاف شركاكم الذين لا يقدرون علي شي وانتم لا تخافون
ما فيه كل خوف وهو اشراككم بالله فانتم تنكرون علي الامن في
موضع الامن ولا تنكرون علي انفسكم الامن في موضع الخوف ثم
اوقفهم علي ذلك بقوله فاي الفريقين احق بالامن يعني فريق
المومنين وفريق الكافرين ثم اجاب عن السوال بقوله الذين امنوا
الاية وقيل ان الذين امنوا استيناف وليس من كلام ابراهيم

ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لما نزلت هذه الاية اشفق منها اصحاب النبي
صلي الله عليه وسلم فقالوا واينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم انما ذلك كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وتلك حجتنا اشارة الي ما تقدم من
استدلاله واحتجاجه ومن ذريته الضمير لابراهيم او لنوح عليهما
السلام والاول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذريه ابراهيم
داود عطف علي نوحا اي وهدينا داود وعيسي فيه دليل
علي ان اولاد البنات يقال فيهم ذرية لان عيسي ليس له اب
فهو ابن بنت نوح ومن ابايهم في موضع نصب عطف علي كلا اي وهدينا
بعض ابايهم فان يكفر بها هولا اي اهل مكة وكلنا بها قوما هم الانبيا
المذكورون وقيل الصحابة وقيل كل مومن والاول ارجح لدلالة
ما بعده علي ذلك والمعني ان توكيلهم بها توفيقهم للايمان بها
والقيام بحقوقها اوليك الذين هدي الله اشارة الي الانبيا المذكورين
فبهداهم اقتده استدل به من قال ان شرع من قبلنا شرع لنا
فاما اصول الدين من التوحيد والايمان بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر فاتفقت فيه جميع الامم والشرايع واما
الفروع فيها وقع الاختلاف بين الشرايع والخلاف هل يقتدي
النبي صلي الله عليه وسلم فيها بمن قبله ام لا والها في اقتده
للوقف فينبغي ان تسقط في الوصل ولكن من اثبتها فيه راعي
ثبوتها في خط المصحف وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا
الله حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم اذ انكروا بعثه
للرسل وانزاله للكتب والقايلون هم اليهود لدليل ما بعده
وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار نبوة محمد صلي الله عليه وسلم
وروي ان الذي قالها مالك بن الصيف فرد الله عليهم بالزامهم
ما لا بد لهم من الاقرار به وهو انزال التوراة علي موسي وقيل

القايلون

القايلون قريش والزموا ذلك لانهم كانوا مقرين بالتوراة وعلمتم ما لم
تعلموا الخطاب لليهود او لقريش علي وجه اقامة الحجة والرد عليهم
في قولهم ما انزل الله علي بشر من شي فان كان لليهود فالذي علموه
التوراة وان كان لقريش فالذي علموه ما جا به محمد صلي الله
عليه وسلم قل الله جواب من انزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر
تقديره انزله الله او مرفوع بالابتدا ولتنذر عطف علي صفة الكتاب
ام القري مكة وسميت ام القري لانها مكان اول بيت وضع للناس
ولانه جا ان الارض دحيت منها ولانها تحج اليها كل القري من كل فج عميق
او قال اوحي الي هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوة
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو النضر بن الحرث لانه عارض
القران واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزين ولو تري جوابه محذوف
تقديره لرايت امرا عظيما والظالمون من تقدم ذكره من اليهود والكذا بين
والمستهزين فتكون اللام للعهد او اعم من ذلك فتكون للجنس
باسطوا ايديهم اي تبسط الملايكة ايديهم الي الكفار يقولون لهم
اخرجوا انفسكم وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة
في قبض الارواح اليوم تجزون يحتمل ان يريد ذلك الوقت بعينه او
الوقت الممتد من حينيذ الي الابد الهون الذلة فرادي منفردين عن
اموالكم واولادكم او عن شركايكم والاول يترجح لقوله تركتم ما خولناكم
اي ما اعطيناكم من الاموال والاولاد ويترجح الثاني بقوله وما نري
معكم شفعاكم تقطع بينكم تفرق شملكم ومن قراه بالرفع اسند الفعل
الي الظرف واستعمله استعمال الاسما ويكون بمعني الفرقة او بمعني الوصل
ومن قراه بالنصب فالفاعل مصدر الفعل او محذوف تقديره تقطع
الاتصال بينكم فالق الحب والنوي اي يفلق الحب تحت الارض لخروج
النبات منها ويفرق النوي لخروج الشجر منها وقيل اراد الشقين
الذين في النواة والحنطة والاول ارجح لعمومه في اصناف الحبوب

من الحي

يخرج الحي تقدم في ال عمران **ويخرج الميت** معطوف علي فالق **فالق الاصباح**
اي الصبح فهو مصدر سمي به الصبح ومعني فلقه اخراجه من الظلمات
وقيل ان الظلمة هي التي تتفلق عن الصبح فالتقدير فالق ظلمة الاصباح
سكنا اي يسكن فيه عن الحركات ويستراح **حسبانا** اي يعلم بهما
حساب الازمان والليل والنهار **ذلك تقدير العزيز العليم** ما احسن
ذكر هذين الاسمين هنا لان العزيز يغلب كل شي ويقهره وهو قد
قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شا والعليم لما في تقدير الشمس
والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة واتقان الصنعة
في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضاف
الظلمة اليهما لملابستهما لها او شبهة الطرق المشتبهة بالظلمات
فمستقر ومستودع من كسر القاف من مستقر فهو اسم فاعل ومستودع
اسم مفعول والتقدير فمنكم مستقر ومستودع ومن فتحها
فهو اسم مكانا او مصدر ومستودع مثله والتقدير علي هذا
لكم مستقر ومستودع والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب
وقيل الاستقرار فوق الارض والاستيداع تحتها **فاخرجنا به**
الضمير عايد علي الما **فاخرجنا منه** الضمير عايد علي النبات **خضرا** اي
اخضر غضا وهو ما يتولد من اصل النبات من الفراخ **نخرج منه**
الضمير عايد علي الخضر **حبا متراكبا** يعني السنبل لان حبه بعضه علي بعض
وكذلك الرمان وشبهه **قنوان** جمع قنو وهو العنقود من التمر
وهو مرفوع بالابتدا وخبره من النخل ومن طلعها بدل والطلع اول
ما يخرج من التمر في اكمامه **دانية** اي قريبة سهلة التناول
وقيل قريبة بعضها من بعض **وجنات من اعناب** بالنصب عطف
علي نبات كل شي وقري في غير السبع بالرفع عطف علي قنوان
مشتبها وغير متشابه نصب علي الحال من الزيتون والرمان
او من كل ما تقدم من النبات والمشتبه والمتشابه بمعني واحد

اي

اي من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة ومنه ما لا
يشبه بعضه بعضا وفي ذلك دليل قاطع علي الصانع المختار القدير
العليم المريد **انظروا الي ثمره اذا اثمر** اي انظروا الي ثمره اول
ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه ثم ينتقل من حال الي حال حتي يينع
اي ينضج ويطيب **شركاء الجن** نصب الجن علي انه مفعول اول
بجعلوا وشركا مفعول ثان وقدم لاستعظام الاشراك او شركا
مفعول اول ولله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من شركا
والمراد بهم هنا الملايكه وذلك رد علي من عبدهم وقيل المراد
الجن والاشراك لطاعتهم **وخلقهم** الواو للحال والمعني الرد عليهم
اي جعلوا لله شركا وهو خلقهم والضمير عايد علي الجن او علي الجاعلين
والحجة قايمة علي الوجهين **وخرقوا له بنين وبنات** اي اختلقوا
وزوروا والبنين قول النصاري في المسيح واليهود في عزير والبنات
قول العرب في الملايكة **بغير علم** اي قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة
بل مجرد افترا **بديع** ذكر معناه في البقرة ورفعه علي انه خبر
ابتدا مضمر او مبتدا وخبره اني يكون او فاعل تعالي والقصد به
الرد علي من نسب اليه البنين والبنات وذلك من وجهين احدهما
ان الولد لا يكون الا من جنس والده والله تعالي متعال عن الاجناس
لانه مبدعها فلا يصح ان يكون له ولد والاخر ان الذي خلق السموات
والارض ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شي **فاعبدوه**
مسبب عن مضمون الجملة اي من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده
لا تدركه الابصار يعني في الدنيا واما في الاخرة فالحق ان المومنين
يرون ربهم بدليل قوله الي ربها ناظرة وقد جات في ذلك احاديث
صحيحة صريحة المعني لا تحتمل التاويل وقالت الاشعرية ان
روية الله تعالي في الدنيا جايزة عقلا لان موسي سالها من الله
ولا يسال موسي ما هو محال وقد اختلف الناس هل راي رسول

رسول الله صلي الله عليه وسلم ربه ليلة الاسري ام لا لا تدركه الابصار
قال بعضهم الفرق بين الرويا والادراك ان الادراك يتضمن الاحاطه
بالشي والوصول الي غايته فلذلك نفي ان تدرك ابصار الخلق ربهم
ولا يقتضي ذلك نفي الروية وحسن علي هذا قوله وهو يدرك الابصار
لاحاطة علمه تعالي بالخفيات اللطيف الخبير اي لطيف عن ان تدركه
الابصار وهو الخبير بكل شي فهو يدرك الابصار قد جاكم بصاير
جمع بصيرة وهو نور القلب والبصر نور العين وهذا الكلام علي
لسان النبي صلي الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ
وليقولوا متعلق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الايات
درست باسكان السين وفتح التا اي درست العلم وقراته
ودارست بالالف اي دارست العلما وتعلمت منهم ودرست
بفتح السين واسكان التا بمعني قدمت هذه الايات ودبرت
ولنبينه الضمير للايات وجا مذكرا لان المراد بها القران ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله اي لا تسبوا الهتهم فيكون ذلك سببا
ان يسبوا الله واستدل المالكية بهذا علي سد الذرايع قل انما الايات
عند الله اي هي بيد الله لا بيدي وما يشعركم اي ما يدريكم وهو
من الشعور بالشي وما نافيه او استفهاميه انها اذا جات لا يومنون
من قرا بفتح انها فهو مفعول يشعركم اي وما يدريكم ان الايات اذا
جات لا يومنون بها نحن نعلم ذلك وانتم لا تعلمونه وقيل لا زايدة
والمعني ما يشعركم انهم يومنون وقيل ان هنا بمعني لعل فاجاز
بعض الناس الوقف وضعفه شيخنا ابو جعفر بن الزبير لما في لعل
من معني التعليل ونقلب افيدتهم وابصارهم اي نطبع عليها
ونصدها عن الفهم فلا يفهمون كما لم يومنوا الكاف للتعليل
اي ان نطبع علي افيدتهم وابصارهم عقوبة لهم علي انهم لا يومنو
به اول مرة ويحتمل ان يكون للتشبيه اي نطبع عليها اذا ادا

الايات

الايات مثل ما طبعنا عليها اول مرة ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية
رد عليهم في قسمهم انهم لو جاتهم اية ليومنن بها اي لو اعطيناهم هذه
الايات التي اقترحوها وكل اية لم يومنوا الا ان يشا الله قبلا بكسر
القاف وفتح البا اي معاينة فنصبه علي الحال وقري بضمتين ومعناه
مواجهة كقولك قد من قبل وقيل هو جمع قبيل بمعني كفيل اي كفلا
بتصديق رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا الاية تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم بالتاسي بغيره
شياطين الانس والجن اي المتمردين من الصنفين ونصب شياطين
علي البدل من عدوا اذ هو بمعني الجمع او مفعول اول وعدوا مفعول
ثان يوحي بعضهم الي بعض اي يوسوس ويلقي الشر زخرف القول غرورا
ما يزينه من القول ولو شا ربك ما فعلوه الضمير عايد علي وحيهم او علي
عداوة الكفار فذرهم وعيد وما يفترون ما في موضع نصب علي انها
مفعول معه او عطف علي الضمير ولتصغي اي تميل وهو متعلق
بمحذوف واللام لام الصيرورة اليه الضمير لوحيهم وليقترفوا يكتسبوا
افغير الله معمول لقول محذوف اي قل لهم وتمت كلمات ربك
اي صحت والكلمات ما نزل علي عباده من كتبه صدقا وعدلا
اي صدقا فيما اخبر وعدلا فيما حكم فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
المقصد بهذا الامر اباحة ما ذكر اسم الله عليه والنهي عما ذبح للنصب
وغيرها وعن الميتة وهذا النهي يقتضي دليل الخطاب من الامر
ثم صرح به في قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقد
استدل بذلك من اوجب التسمية علي الذبيحة وانما جا الكلام في
سياق تحريم الميتة وغيرها فان حملناه علي ذلك لم يكن فيه
دليل علي وجوب التسمية في ذبايح المسلمين وان حملناه علي
عمومه كان فيه دليل علي ذلك وقال عطا وهذه الاية امر
بذكر الله علي الذبح والشرب وما لكم الا تاكلوا المعني اي غرض لكم

في ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم الحلال من الحرام الا ما اضطررتم اليه استثنا مما حرم وذروا ظاهر الاثم لفظ يعم انواع المعاصي لان جميعها اما باطن واما ظاهر وقيل الظاهر الاعمال والباطن الاعتقاد وانه لفسق الضمير للمصدر لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون الي اوليايهم ليجادلوكم سببها ان قوما من الكفار قالوا انا ناكل ما قتلنا ولا ناكل ما قتل الله يعنون الميتة اومن كان ميتا فاحييناه الموت هنا عبارة عن الكفر والاحيا عبارة عن الايمان والنور نور الايمان والظلمات الكفر فهي استعارات وفي قوله ميتا فاحييناه مطابقة وهي من ادوات البيان ونزلت الاية في عمار بن ياسر وقيل في عمر بن الخطاب والذي في الظلمات ابو جهل ولفظها اعم من ذلك كمن مثله مثل هنا بمعنى صفة وقيل زايدة والمعنى كمن هو وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر اي كما جعلنا في مكة اكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية وانما ذكر الاكابر لان غيرهم تبع لهم والمقصود تسلية النبي صلي الله عليه وسلم مجرميها اعرابه مضاف اليه عند الفارسي وغيره وقال ابن عطية وغيره انه مفعول اول لجعلنا واكابر مفعول ثان مقدم وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية لان اكابر جمع اكبر وهو من افعل من فلا يستعمل الا بمن او بالاضافة قالوا لن نومن الاية قايل هذه المقالة ابو جهل وقيل الوليد بن المغيرة لانه قال انا اولي بالنبوة من محمد الله اعلم حيث يجعل رسالاته رد عليهم فيما طلبوه والمعني ان الله علم ان محمدا صلي الله عليه وسلم اهل للرسالة فخصه بها وعلم انهم ليسوا باهل لها فحرمهم اياها وفي الاية من ادوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده في اول كلامه صغار اي ذلة يشرح صدره شرح الصدر وضيقه وحرجه الفاظ مستعارة ومن قرا حرجا بفتح الرا فهو مصدر وصف

به

به كانما يصعد في السما اي كانما يحاول الصعود الي السما وذلك غير ممكن فكذلك يصعب عليه الايمان واصل يصعد المشدد يتصعد وقري بالتخفيف دار السلام الجنة والسلام هنا يحتمل ان يكون اسم الله فاضافها اليه لانها ملكه وخلقه او بمعنى السلامة والتحية ويوم نحشرهم العامل في يوم محذوف تقديره اذكر او تقديره قلنا ويكون حينيذ عاملا في يوم وفي يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم كما تقول استكثر الامير الجيش استمتع بعضنا ببعض استمتاع الجن بالانس طاعتهم لهم واستمتاع الانس بالجن كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا نزل واديا قال اعوذ بصاحب هذا الوادي يعني كبير الجن وبلغنا اجلنا هو الموت وقيل الحشر الا ما شا الله قيل الاستثنا من الكاف والميم في مثواكم فما بمعنى من لانها وقعت علي صنف من الجن والانس والمستثنى علي هذا من امن منهم وقيل الاستثنا في مدة الخلود وهو الزمان الذي بين حشرهم الي دخول النار وقيل الاستثنا من النار وهو دخولهم الزمهرير وقيل ليس المراد هنا بالاستثنا الاخراج وانما هو علي وجه الادب مع الله واسناد الامور اليه نولي بعض الظالمين اي نجعل بعضهم وليا لبعض وقيل نتبع بعضهم بعضا في دخول النار وقيل نسلط بعضهم علي بعض الم ياتكم رسل تقرير للجن والانس فقيل ان الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الاية وقيل انما الرسل من الانس خاصة وانما قال رسل منكم لانه جمع الثقلين في الخطاب وشهدوا علي انفسهم لا تنافي بينه وبين قولهم ما كنا مشركين لما تقدم هنالك فان قيل لم كرر ذكر شهادتهم علي انفسهم فالجواب ان قولهم شهدنا علي انفسنا قول قالوه هم وقوله شهدوا علي انفسهم ذم لهم وتوبيخ لحالهم ذلك خبر ابتدا مضمر تقديره الامر ذلك

او مفعول بفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك والاشارة الي بعث الرسل
ان لم يكن تعليل لبعث الرسل وهو في موضع مفعول من اجله
او بدل من ذلك بظلم فيه وجهان احدهما ان الله لم يكن ليهلك القري
دون بعث الرسل اليهم فيكون اهلاكهم ظلما اذ لم ينذرهم فهو كقوله
وماكنا معذبين حتي نبعث رسولا والاخر ان الله لا يهلك القري
بظلم اذا ظلموا دون ان ينذرهم ففاعل الظلم علي هذا اهل القري
وغفلتهم عدم انذارهم حكي الوجهين ابن عطية والزمخشري والوجه
الاول صحيح علي مذهب المعتزلة ولا يصح علي مذهب اهل السنة
لان الله لو اهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالما عندهم ولكل درجات
منازل في الجزاء علي اعمالهم من الثواب والعقاب من ذرية قوم اي من
ذرية اهل سفينة نوح ومن كان قبلهم الي ادم اعملوا علي مكانتكم
الامر هنا للتهديد والمكانه التمكن فسوف تعلمون تهديد من تكون له
يحتمل ان تكون من موصوفة في موضع نصب علي المفعولية او
استفهامية في موضع رفع بالابتدا عاقبة الدار اي الاخرة او
الدنيا والاول ارجح لقوله عقبي الدار جنات عدن وجعلوا لله مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا الضمير في جعلوا للكفار العرب قال
السهيلي هم حي من خولان يقال لهم الاديم كانوا يجعلون من زروعهم
وثمارهم وانعامهم نصيبا لله ونصيبا لاصنامهم ومعني ذرا خلق وانشا
وفي ذلك رد عليهم لان الله الذي خلقها وذراها هو مالكها لا رب غيره
بزعمهم اي بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع واكثر ما يقال
الزعم في الكذب وقري بفتح الزاي وضمها وهما لغتان فما كان لشركايهم
فلا يصل الي الله الاية كانوا اذا هبت الريح فحملت شيا من الذي لله الي
الذي للاصنام اقروه وان حملت شيا من الذي للاصنام الي الذي لله
ردوه واذا اصابتهم سنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركايهم
وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاوهم كانوا يقتلون

اولادهم

اولادهم ويذبحونهم قربانا الي الاصنام وشركاوهم هنا الشياطين او
القايمون علي الاصنام وقرا الجمهور بفتح الزاي من زين علي البنا للفاعل
ونصب قتل علي انه مفعول وخفض اولادهم بالاضافة ورفع شركايهم
علي انه فاعل بزين والشركا علي هذه القراة هم الذين زينوا القتل وقرا
ابن عامر بضم الزاي علي البنا للمفعول ورفع قتل علي انه مفعول لم
يسم فاعله ونصب اولادهم علي انه مفعول بقتل وخفض شركايهم
علي الاضافة الي قتل اضافة المصدر الي فاعله وفصل بين المضاف
والمضاف اليه بقوله اولادهم وذلك ضعيف في العربية وقد سمع
في الشعر والشركا علي هذه القراة هم القاتلون للاولاد ليردوهم
اي ليهلكوهم وهو من الردي بمعني الهلاك وقالوا هذه انعام وحرث
حجر اي حرام وهو فعل بمعني مفعول نحو ذبح فيستوي فيه المذكر
والمونث والواحد والجمع لا يطعمها الا من نشا اي لا ياكلها الا من
شاوا وهم القايمون علي الاصنام والرجال دون النسا وانعام حرمت
ظهورها اي لا تركب وهي السايبة واخواتها وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها قيل معناه لا يحج عليها فيذكر اسم الله بالتلبية وقيل
لا يذكر اسم الله عليها اذا ذبحت افترا عليه كانوا قد قسموا انعامهم
علي هذه الاقسام ونسبوا ذلك الي الله افترا وكذبا نصب علي الحال
او مفعول من اجله او مصدر موكد وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة الاية كانوا يقولون في اجنة البحيرة والسايبة ما ولد
منها حيا فهو للرجال خاصة ولا ياكل منه النسا وما ولد منها ميتا
اشترك فيه الرجال والنسا وشبههما جنات معروشات مرفوعا
علي دعايم وشبهها وغير معروشات متروكات علي وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات
ما انبته الله في الجبال والبراري مختلفا اكله في اللون والطعم
والرايحة والحجم وذلك دليل علي ان الخالق مختار مريد واتوا حقه

يوم حصاده قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين احدهما ان
الاية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة والاخر الزكاة لا تعطي يوم
الحصاد وانما تعطى بعد ضم الحبوب والثمار وقيل حقه ما يصدق
به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر
وقيل الحمولة الابل لانها يحمل عليها ما يسقط من السنبل والامر
على هذا الندب حمولة وفرشا عطف على جنات والحمولة الكبار
والفرش الصغار من العجاجيل والفصلان وقيل الحمولة الابل لانها
يحمل عليها والفرش الغنم لانها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها
ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا وسماها ازواجا لان الذكر
زوج الانثى والانثى زوج الذكر من الضان اثنين يريد الذكر والانثى
وكذلك فيما بعده قل آلذكرين يعني الذكر من الضان والذكر من المعز
ويعني بالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز وكذلك فيما
بعده من البقر والغنم والهمزة للانكار نبئوني بعلم تعجيز وتوبيخ
افترى على الله كذبا يعني في تحريم ما لم يحرم الله وذلك اشارة الى
العرب في تحريمهم اشيا كالبحيرة وغيرها قل لا اجد الاية تقتضي
حصر المحرمات فيما ذكر وقد جا في السنة تحريم اشيا لم تذكر هنا كلحوم
الحمر وذهب قوم الى ان السنة نسخت هذا الحصر وذهب اخرون
الى ان الاية وردت على سبب فلا تقتضي الحصر وذهب اخرون
الى ان ما عدى ما ذكر نهي عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم
او فسقا معطوف على المنصوبات قبله وهو ما اهل به لغير
الله معناه فسقا لتوغله في الفسق وقد تقدم الكلام على هذه
المحرمات في البقرة كل ذي ظفر هو ما له اصبع من دابة وطاير
قاله الزمخشري وقال ابن عطية يراد به الابل والاوز والنعام
ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع وله ظفر وقال
الماوردي مثله وحكى النقاش عن ثعلب ان كلما لا يصيد فهو

ذوا

ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخلب وهذا غير مطرد لان الاسد ذو ظفر
الا ما حملت ظهورهما يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم او الحوايا
هي المباعير وقيل المصارين والحشوة ونحوها مما يحتوي في البطن
واحد حوايا حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا فعايل
كصحيفة وصحايف وقيل واحدها حاوية فحوايا على هذا فواعل
كضاربة وضوارب وهو معطوف على ما في قوله الا ما حملت
ظهورهما فهو من المستثنى من التحريم وقيل عطف على الظهور
فالمعنى الا ما حملت الظهور او حملت الحوايا وقيل عطف على
الشحوم فهو من المحرم او ما اختلط بعظم يريد في جميع الجسد
وانا لصادقون اي فيما اخبرنا به من التحريم وفي ذلك تعريض
بكذب من حرم ما لم يحرم الله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة اذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم وهذا كما تقول
عند رؤية معصية ما احلم الله تريد لامهاله عن مثل ذلك
ثم اعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين اي لا تغتروا بسعة رحمته فانه لا يرد باسه عن مثلكم
اما في الدنيا او في الاخرة سيقول الذين اشركوا لو شا الله الاية
معناها انهم يقولون ان شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشية
الله ولو شا الله ان لا يفعلوا ذلك ما فعلوه فاحتجوا على صحته بارادة
الله له وتلك نزغة جبرية ولا حجة لهم في ذلك لانهم مكلفون
مامورون ان لا يشركوا بالله ولا يحللوا ما حرم الله ولا يحرموا ما حلل
الله والارادة خلاف التكليف ويحتمل عندي ان يكون قولهم لو شا الله
قولا يقولونه في الاخرة على وجه التمني ان ذلك لم يكن كقولك
اذا ندمت على شي لو شا الله ما كان هذا اي تتمنى ان ذلك لم
يكن ويؤيد هذا انه حكى قولهم بادات بادات الاستقبال وهي
السين فذلك دليل على انهم يقولونه في المستقبل وهي الاخرة

هل عندكم من علم توقيف لهم وتعجيز قل فلله الحجة البالغة لما ابطل
حجتهم اثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل هلم قيل هي بمعني
هات فهي متعدية وقيل بمعني اقبل فهي غير متعدية وهي عند
بعض العرب فاعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمونث وعند
بعضهم اسم فعل فيخاطب به الواحد والاثنان والجماعة والمونث
علي حد السوا ومقصود الاية تعجيزهم عن اقامة الشهدا فان
شهدوا فلا تشهد معهم اذ كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا
تشهد بمثل شهادتهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
امر الله نبيه صلي الله عليه وسلم ان يدعوا جميع الخلق الي سماع
تلاوة ما حرم الله عليهم وذكر في هذه الاشيا المحرمات التي
اجتمعت عليها جميع الشرايع ولم تنسخ قط في ملة وقال ابن
عباس هي الكلمات العشر التي انزل الله علي موسي الا تشركوا
به شيا قيل ان هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من
الاعراب ولا ناهية جزمت الفعل وقيل ان مصدرية في موضع
رفع تقديره الامر ان لا تشركوا فلا علي هذا نافية وقيل في
موضع نصب بدلا من قوله ما حرم ولا يصح ذلك الا ان كانت لا زايدة
وان لم تكن زايدة فسد المعني لان الذي حرم علي ذلك يكون
ترك الاشراك والاحسن عندي ان تكون ان مصدرية في موضع
نصب علي البدل ولا نافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعني
لان قوله ما حرم ربكم معناه ما وصاكم به ربكم بدليل قوله
في اخر الاية ذلكم وصاكم به فضمن التحريم معني الوصية
والوصية في المعني اعم من التحريم لان الوصية تكون بتحريم
وبتحليل وبوجوب وندب ولا ينكر ان يريد بالتحريم الوصية
لان العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم كما تذكر اللفظ
العام وتريد به الخصوص فاذا تقرر هذا فتقدير الكلام قل

تعالو

تعالوا اتل ما وصاكم به ربكم ثم ابدل منه علي وجه التفسير له
والبيان فقال ان لا تشركوا به شيا ووصاكم بالاحسان بالوالدين
ووصاكم ان لا تقتلوا اولادكم فجمعت الوصية ترك الاشراك وفعل
الاحسان بالوالدين وما بعد ذلك ويويد هذا التاويل الذي تاولنا
ان الاية اشتملت علي اوامر كالاحسان بالوالدين وقول العدل
والوفا في الوزن وعلي نواهي كالاشراك وقتل النفس واكل مال
اليتيم فلا بد ان يكون اللفظ المتقدم في اولها بلفظ يعم الاوامر
والنواهي لانها اجملت فيه ثم فسرت بعد ذلك ويصلح لذلك
لفظ الوصية لانه جامع للامر والنهي فلذلك جعلنا التحريم
بمعني الوصية ويدل علي ذلك لفظ الوصية بعد ذلك وان لم
يتاول علي ما ذكرناه لزم في الاية اشكال وهو عطف الاوامر
علي النواهي وعطف النواهي علي الاوامر فان الاوامر طلب فعلها
والنواهي طلب تركها وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطف والمعطوف
عليه ولا يصح ذلك الا علي الوجه الذي تاولناه من عموم الوصية
للفعل والترك وتحتمل الاية عندي تاويلا اخر وهو ان يكون لفظ
التحريم علي ظاهره ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات لان ترك
الواجبات حرام ولا تقتلوا اولادكم من املاق الاملاق الفاقة
ومن هنا للتعليل تقديره من اجل املاق وانما نهي عن قتل
الاولاد لاجل الفاقة لان العرب كانوا يفعلون ذلك تخرج مخرج
الغالب فلا يفهم منه اباحة قتلهم ما ظهر منها وما بطن قيل
ما ظهر الزنا وما بطن اتخاذ الاخدان والصحيح ان ذلك عموم في جميع
الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فسره قول
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يحل دم امري مسلم الا باحدي
ثلاث زني بعد احصان وكفر بعد ايمان او قتل نفس بغير نفس
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن النهي عن القرب يعم وجوه

التصرف وفيه سد الذريعة لانه نهي عن ان تقرب المال فالنهي عن اكله
اولي واحري والتي هي احسن منفعة اليتيم وتثمير ماله حتي يبلغ اشده
هو البلوغ مع الرشد وليس المقصود هنا السن وحده وانما المقصود
معرفته بمصالحه لا نكلف نفسا الا وسعها لما امر بالقسط في الكيل
والوزن وقد علم ان القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان
مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول اليه امر بما في الوسع من
ذلك وعفا عن ماسواه ولو كان ذا قربي اي ولو كان المقول له او
عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القايل فلا ينبغي ان
يزيد ولا ان ينقص بل يعدل وان هذا صراطي مستقيما الاشارة
بهذا الي ما تقدم من الوصايا او الي جميع الشريعة وان بفتح الهمزة
والتشديد عطف علي ما تقدم او مفعول من اجله اي فاتبعوه
لان هذا صراطي مستقيما وقري بالكسر علي الاستيناف وبالفتح
والتخفيف علي العطف وهي علي هذا مخففة من الثقيلة ولا تتبعوا
السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها
من الاديان الباطلة ويدخل فيه ايضا البدع والاهوا المضلة
وفي الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم خط خطا ثم قال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذه
كلها سبل علي كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه فتفرق بكم عن سبيله
اي تتفرق بكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذفت منه تا المضارعة
ولذلك شدده البزي ثم اتينا معطوف علي وصاكم به فان قيل
فان ايتا موسي الكتاب متقدم علي هذه الوصية فكيف عطفه
عليها بثم فالجواب ان هذه الوصية قديمة لكل امة علي لسان
نبيها فهي التي قبل الترتيب وقيل انما هنا الترتيب الاخبار والقول
لا لترتيب الزمان تماما علي الذي احسن فيه ثلاث تاويلات
احدها ان المعني تماما للنعمة علي الذي احسن من قوم موسي

فتاعل

فتاعل احسن ضمير يعود علي الذي والذي احسن يراد به جنس
المحسنين والاخوان المعني تماما اي تفضلا وجزا علي ما احسن
موسي من طاعة ربه وتبليغ رسالته فالفاعل علي هذا
ضمير موسي والذي صفة لعمل موسي والثالث تماما اي اكمالا
علي ما احسن الله به الي عباده فالفاعل علي هذا ضمير الله تعالي
ان تقولوا في موضع مفعول من اجله تقديره كراهة ان تقولوا
علي طايفتين اهل التوراة والانجيل وان كنا عن دراستهم
لغافلين اي لم تدرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من
الكتب ولا حجة علينا وان هنا مخففة من الثقيلة قد جاتكم
بينة اقامة حجة عليهم صدف اعرض هل ينظرون الاية تقدمت
نظيرتها في البقرة بعض ايات ربك اشراط الساعة طلوع
الشمس من مغربها فحينيذ لا يقبل ايمان كافر ولا توبة عاص
فقوله لا ينفع نفسا ايمانها يعني ان ايمان الكافر لا ينفعه حينيذ
او كسبت في ايمانها خيرا يعني ان من كان مومنا ولم يكسب حسنات
قبل ظهور تلك الايات ثم تاب اذا ظهرت لم ينفعه لان باب
التوبة يغلق حينيذ قل انتظروا وعيد ان الذين فرقوا دينهم هم
اليهود والنصاري وقيل اهل الاهوا والبدع وفي الحديث
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال افترقت اليهود علي
احدي وسبعين فرقة وافترقت النصاري علي ثنتين وسبعين
فرقة وستفترق امتي علي ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة قيل يا رسول الله ومن تلك الواحدة قال من كان
علي ما انا واصحابي عليه وقري فارقوا اي تركوا وكانوا شيعا
جمع شيعة اي متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها لست منهم في
شي اي انت بري منهم عشر امثالها فضل عظيم علي العموم
في الحسنات وفي العاملين وهو اقل التضعيف في الحسنات

فقد تنتهي الي سعادة وازيد دينا قيما بدل من موضع الي صراط مستقيم
لان اصله هداني صراطا بدليل اهدنا الصراط والقيم فيعل من القيام وهو
ابلغ من قايم وقري قيما بكسر القاف وتخفيف اليا وفتحها وهو علي هذا
مصدر ووصف به ملة ابراهيم بدل من دينا او عطف بيان ونسكي
الي عبادتي وقيل ذبحي للبهايم وقيل دعاي والاول اعم وارجح
ومحياي ومماتي اي اعمالي حين حياتي وعند موتي لله اي خالصا
لوجهه وطلب رضاه ثم اكد ذلك بقوله لا شريك له اي لا اريد
باعمالي غير الله فيكون نفي للشرك الاصغر وهو الريا ويحتمل ان يريد
لا اعبد غير الله فيكون نفي للشرك الاكبر وبذلك امرت اشارة
الي الاخلاص الذي تقتضيه الاية قبل ذلك وانا اول المسلمين
لانه صلي الله عليه وسلم سابق امته قل اغير الله ابغي ربا
تقرير وتوبيخ للكفار وسببها انهم دعوه الي عبادة الهتهم
وهو رب كل شي برهان علي التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله
ولا تكسب كل نفس الا عليها رد علي الكفار لانهم قالوا له اعبد
الهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك واخراك
فنزلت هذه الاية اي ليس كما قلتم وانما كسب كل نفس عليها
خاصة ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يحمل احد ذنوب احد واصل
الوزر الثقل ثم استعمل في الذنوب خلايف جمع خليفة اي يخلف
بعضكم بعضا في السكني في الارض او خلايف عن الله في ارضه
والخطاب علي هذا لجميع الناس وقيل لامة محمد صلي الله عليه
وسلم لانهم خلفوا الامم المتقدمة ورفع بعضكم عموم في المال
والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع به التفضيل بين
العباد ليبلوكم فيما اتاكم ليختبر شكركم علي ما اعطاكم واعمالكم
فيما ملكتم فيه ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

جمع بين التخويف والترجية وسرعة عقابه تعالي اما في الدنيا بن عجل
اخذه او في الاخرة لان كل ات قريب ونسال الله ان يغفر لنا ويرحمنا
بفضله ورحمته تمت سورة الانعام بحمد الله وعونه بعون الله
وفضله فله الحمد وبتمامها كمل الكلام علي الربع الاول من القران
العظيم وصلي الله علي سيدنا محمد الامين الناصح المبلغ الهادي
وعلي اله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله ربه هو حسبي
بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد واله وسلم تسليما

سورة الاعراف

المص تكلمنا علي حروف الهجا في البقرة حرج منه اي ضيق من
تبليغه مع تكذيب قومك وقيل الحرج هنا الشك فتاويله كقوله
فلا تكن من الممترين لتنذر متعلق بانزل وذكري منصوب علي
المصدرية بفعل مقدر تقديره لتنذر وتذكر ذكري لان الذكري
بمعني التذكير او مرفوع علي انه خبر ابتدا مضمر او مخفوض عطفا
علي موضع لتنذر اي للانذار والذكري قليلا ما تذكرون انتصب
قليلا بيتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما زايدة للتوكيد اهلكناها
فجاها باسنا قيل انه من المقلوب تقديره جاها باسنا فاهلكناها
وقيل المعني اردنا اهلاكها فجاها باسنا استينافا علي وجه التفسير
للاهلاك فلا يحتاج الي تكلف والمراد اهلكنا اهلها فجاهم ثم حذف
المضاف بدليل او هم قايلون بياتا او هم قايلون بياتا مصدر
في موضع الحال بمعني بايتين اي بالليل وقايلون من القايلة
اي بالنهار وقد اصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل وبعضهم
بالنهار واو هنا للتنويع دعواهم اي ما كان دعاهم واستغاثتهم
الا الاعتراف بانهم ظالمون وقيل المعني ان دعواهم هنا ما كانوا
يدعونه من دينهم فاعترفوا لما جاهم العذاب انهم كانوا ظالمين
في ذلك ارسل اليهم اسند الفعل الي الجار والمجرور ومعني الاية

ان الله يسال الامم عما اجابوا به رسلهم ويسال الرسل عما اجيبوا به
اي علي الرسل والامم والوزن يعني وزن الاعمال يومئذ
فلنقصن عليهم اي يوم يسال الرسل واممهم وهو يوم القيامة بما باياتنا يظلمون
اي يكذبون بها ظلما خلقناكم ثم صورناكم قيل المعني اردنا
خلقكم وتصويركم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم وقيل خلقنا اباكم ادم ثم
صورناه وانما احتيج الي التاويل ليصح العطف الا تسجد لا زايدة
للتوكيد اذ امرتك استدل به بعض الاصوليين علي ان الامر يقتضي
الوجوب والفور ولذلك وقع العقاب علي ترك المبادرة بالسجود
قال انا خير منه تعليل علل به ابليس امتناعه من السجود
وهو يقتضي الاعتراض علي الله تعالي في امره بسجود الفاضل
الي المفضول علي زعمه وبهذا الاعتراض كفر ابليس اذ ليس كفره
كفر جحود فاهبط منها اي من السما قال فبما اغويتني الفا للتعليل
وهي تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره اقسم بالله بسبب اغوايك
لي لاغوين بني ادم وما مصدرية وقيل استفهامية ويبطله ثبوت
الالف فيهما مع حرف الجر صراطك يريد طريق الهدي والخير وهو
منصوب علي الظرفية ثم لاتينهم من بين ايديهم الاية اي من الجهات
الاربع وفي ذلك عبارة عن تسلطه علي بني ادم كيف ما امكنه
وقال ابن عباس من بين ايديهم الدنيا ومن خلفهم الاخرة وعن
ايمانهم الحسنات وعن شمايلهم السيات مذوما من ذامه بالهمز اذا
ذمه مدحورا اي مطرودا حيث وقع وسوس اذا تكلم كلاما
خفيا مكرره فمعني وسوس لهما القي لهما هذا الكلام ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سواتهما اي ليظهر ما ستر من عوراتهما واللام في قوله
ليبدي للتعليل ان كان فانكشافهما غرض لابليس او للصيرورة
ان وقع ذلك بغير قصد منه اليه الشجرة ذكرت في البقرة
الا ان تكونا ملكين اي كراهة ان تكونا ملكين واستدل به من قال

ان

ان الملايكة افضل من الانبيا وقري ملكين بكسر اللام ويقوي هذه
القراة قوله وملك لا يبلي وقاسمهما اي حلف لهما انه لمن الناصحين
وذكر قسم ابليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين لانه
اجتهد فيه او لانه اقسم لهما واقسما له ان يقبلا نصيحته فدلاهما
اي انزلهما الي الاكل من الشجرة بغرور اي غرهما بحلفه لهما لانهما
ظنا انه لا يحلف كاذبا بدت لهما سواتهما اي زال عنهما اللباس وظهرت
عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وقيل
كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر يخصفان عليهما من ورق
الجنة اي يلصقان بعضه ببعض ليستترا به وناداهما ربهما يحتمل ان
يكون هذا الندا بواسطة ملك او بغير واسطة ربنا ظلمنا انفسنا
اعتراف وطلب للرحمة وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها
اهبطوا وما بعده مذكور في البقرة فيها تحيون اي في الارض لباسا اي
ثيابا تستر ومعني انزلنا خلقنا وقيل المراد انزلنا ما يكون عنه اللباس
وهو المطر واستدل بعض الفقها بهذه الاية علي وجوب ستر العورة
وريشا اي لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطاير ولباس
التقوي استعار للتقوي لباسا كقولهم البسك الله قميص تقواه
وقيل لباس التقوي ما يتقي به في الحرب من الدروع وشبهها وقري
بالرفع علي الابتدا وخبره الجملة وهي ذلك خير ذلك من ايات الله الاشارة
الي ما انزل من اللباس وهذه الاية واردة علي وجه الاستطراد اذ عقب
ما ذكر من ظهور السوات وخصف الورق عليهما ليبين النعمة
بما خلق من اللباس ينزع عنهما لباسهما اي كان سببا في نزع لباسهما
عنهما من حيث لا ترونهم يعني في غالب الامر واستدل به من قال ان الجن
لا يرون وقد جات في رويتهم احاديث صحيحة فتحمل الاية علي
الاكثر جمعا بينها وبين الاحاديث واذا فعلوا فاحشة قيل هي ما كانت
العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنسا ويحتمل العموم

في الفواحش قالوا ما وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا بعذرين
باطلين احدهما تقليد اباءهم والاخر افتراءهم علي الله واقيموا وجوهكم
قيل المراد احضار النية والاخلاص لله وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها
عند كل مسجد اي في كل مكان سجود او في وقت كل سجود والاول
اظهر والمعني اباحة الصلاة في كل موضع كقوله صلي الله عليه
وسلم جعلت لي الارض مسجدا كما بداكم تعودون احتجاج علي
البعث الاخروي بالبداية الاولي فريقا الاول منصوب بهدي
والثاني منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده خذوا زينتكم قيل المراد
به الثياب الساترة واحتج به من اوجب ستر العورة في الصلاة
وقيل المراد به الزينة زيادة علي الستر كالتجمل للجمعة باحسن
الثياب وبالسواك والطيب وكلوا واشربوا الامر فيهما للاباحة
لان بعض العرب كانوا يحرمون اشيا من الاكل ولا تسرفوا اي لا تكثروا
من الاكل فوق الحاجة وقال الاطباء ان الطب كله مجموع في هذه الاية
وقيل لا تسرفوا باكل الحرام قل من حرم زينة الله انكار لتحريمها
وهي ما شرعه الله لعباده من الملابس والماكل وكان بعض العرب
اذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة ويحرمون اللحم واللبن
فنزل ذلك ردا عليهم خالصة يوم القيامة اي الزينة والطيب في الدنيا
للذين امنوا ولغيرهم وفي الاخرة خالصة لهم دون غيرهم وقري
خالصة بالنصب علي الحال والرفع علي انه خبر بعد خبر او خبر ابتدا
مضمر والاثم عام في كل ذنب وان تقولوا علي الله اي تفتروا عليه
في التحريم وغيره فاما ياتينكم هي ان الشرطية دخلت عليها ما الزايده
للتاكيد ولزمتها النون الشديده وجواب الشرط فمن اتقي الاية
فمن اظلم ذكر في الانعام ينالهم نصيبهم من الكتاب اي يصل اليهم
ما كتب لهم من الارزاق وغيرها ضلوا عنا اي غابوا ادخلوا النار في امم
اي ادخلوا النار في جملة امم او مع امم اداركوا تلاحقوا واجتمعوا

قالت

١٧٠

قالت اخراهم لاولاهم المراد باولاهم الروسا والقادة واخراهم الاتباع
والسفلة والمعني ان اخراهم طلبوا من الله ان يضاعف العذاب لاولاهم
لانهم اضلوهم وليس المعني انهم قالوا ذلك خطابا لهم انما هو كقولك قال
فلان لفلان كذا اي قاله عنه وان لم يخاطبه به وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل اي لم يكن لكم علينا فضل في الايمان والتقوي
يوجب ان يكون عذابنا اشد من عذابكم بل نحن وانتم سوا فذوقوا العذاب
من قول اولاهم لاخراهم او من قول الله تعالي لجميعهم لا تفتح لهم
ابواب السما فيه ثلاثة اقوال احدها لا يصعد عملهم الي السماء
والثاني لا يدخلون الجنة فان الجنة في السما والثالث لا تفتح ابواب
السما لارواحهم اذا ماتوا كما تفتح لارواح المومنين حتي يلج الجمل
في سم الخياط اي حتي يدخل الجمل في ثقب الابرة والمعني لا يدخلون
الجنة حتي يكون ما لا يكون ابدا فلا يدخلونها ابدا مهاد فراش
غواش تغطية لا نكلف نفسا الا وسعها جملة اعتراض بين المبتدا
والخبر ليبين انما يطلب من الاعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي من كان في صدره غل لاخيه
في الدنيا نزع منه في الجنة وصاروا اخوانا احبابا وانما قال نزعنا
بلفظ الماضي وهو مستقبل لتحقق وقوعه في المستقبل حتي عبر
عنه بما يعبر عن الواقع وكذلك كلما جا بعد هذا من الافعال الماضية
في اللفظ وهي تقع في الاخرة كقوله نادي اصحاب الجنة ونادي
اصحاب الاعراف ونادي اصحاب النار وغير ذلك هدانا لهذا
اشارة الي الجنة او الي ما اوجب من الايمان والتقوي ان تلكم الجنة
وان قد وجدنا وان لعنة وان سلام يحتمل ان يكون ان في كل واحدة
منها مخففة من الثقيلة فيكون فيها ضمير وحرف عبارة وتفسير
لمعني القول ما وعدنا ربنا حقا حذف مفعول وعدهم استغنا
عنه بمفعول وعدنا او لاطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب

اذن موذن اي اعلم معلم وهو ملك وبينهما حجاب اي بين الجنة والنار
اوبين اصحابهما وهو ادرجم لقوله فضرب بينهم بسور الاعراف قال ابن عباس
هو تل بين الجنة والنار وقيل سور الجنة رجال هم اصحاب الاعراف
وورد في الحديث انهم قوم من بني ادم استوت حسناتهم وسياتهم
فلم يدخلوا الجنة ولا النار وقيل هم قوم خرجوا الي الجهاد بغير اذن
اباييهم فاستشهدوا فمنعوا من الجنة لعصيان ابايهم ونجوا من النار
للشهادة يعرفون كلا بسيماهم اي يعرفون اهل الجنة بعلاماتهم
من بياض وجوههم ويعرفون اهل النار بعلاماتهم من سواد
وجوههم اوغير ذلك من العلامات ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم اي سلام اصحاب الاعراف علي اهل الجنة لم يدخلوها وهم
يطمعون اي ان اصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها
من بعد واذا صرفت ابصارهم الضمير لاصحاب الاعراف اي اذا راوا
اصحاب النار دعوا الله ان لا يجعلهم معهم ونادي اصحاب الاعراف
رجالا يعني من الكفار الذين في النار قالوا لهم ذلك علي وجه التوبيخ
جمعكم يحتمل ان يكون اراد جمعهم للمال وكثرتهم وما كنتم تستكبرون
اي استكباركم علي الناس او استكباركم عن الرجوع الي الحق فما هنا
مصدرية وما في قوله ما اغني استفهامية اونافية اهولاء الذين اقسمتم
من كلام اصحاب الاعراف خطابا لاهل النار والاشارة بهولا الي اهل الجنة
وذلك ان الكفار كانوا يقسمون في الدنيا يقسمون ان الله لا يرحم المومنين
ولا يعباء بهم فقطع خلاف ما قالوا وقيل هو من كلام الملايكة خطابا
لاهل النار والاشارة بهولا الي اصحاب الاعراف ادخلوا الجنة خطابا لاهل
الجنة ان كان من كلام اصحاب الاعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة
وخطاب لاهل الاعراف ان كان من كلام الملايكة ان افيضوا علينا من
الما دليل علي ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من ساير الاطعمة
والاشربة فاليوم ننساهم اي نتركهم كما نسوا الكاف للتعليل وما كانوا

عطف

عطف علي لما نسوا اي لنسيانهم وجحودهم جيناهم بكتاب يعني القران
فصلناه علي علم اي علمنا كيف نفصله الا تاويله اي هل ينتظرون الا عاقبة
امره ومايوول اليه امره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد قد
جات رسل ربنا بالحق اي قد تبين لنا وظهر الان ان الرسل جاوا بالحق
استوي علي العرش حيث وقع حمله قدم علي ظاهره منهم ابن ابي
زيد وغيره وتاوله قوم بمعني قصد كقوله ثم استوي الي السما ولو
كان كذلك لقال ثم استوي الي العرش وتاولها الاشعرية ان معني استوي
استولي بالملك والقدرة والحق الايمان به من غير تكييف فان السلامة
في التسليم ولله در مالك بن انس في قوله للذي ساله عن ذلك
الاستوا والكيفية مجهولة والسوال عن هذا بدعة وقد روي مثل
قول مالك عن ابي حنيفة وجعفر الصادق والحسن البصري ولم يتكلم
الصحابة ولا التابعون في معني الاستوا بل امسكوا عنه ولذلك قال
مالك السوال عنه بدعة يغشي الليل النهار اي يلحق الليل بالنهار
ويحتمل الوجهين هكذا قال الزمخشري واصل اللفظة من الغشا اي
يجعل احدهم غشا للاخر يغطيه فيغطي ظلمة الليل ضوء النهار
يطلبه حثيثا اي سريعا والجملة في موضع الحال من الليل اي يطلب
الليل النهار فيدركه الا له الخلق والامر قيل الخلق المخلوقات
والامر مصدر امر يامر وقيل الخلق مصدر خلق والامر واحد الامور
كقوله الي الله تصير الامور والكل صحيح تبارك من البركة وهو فعل غير
منصرف لم تنطق له العرب بمضارع تضرعا وخفية مصدر في موضع
الحال وكذلك خوفا وطمعا وخفية من الاخفا وقري خيفة من الخوف
المعتدين المجاوزين للحد وقيل هنا رفع الصوت بالدعا والتشطط
فيه وادعوه خوفا وطمعا جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خايفا راجيا
كما قال الله تعالي يرجون رحمته ويخافون عذابه فان موجب الخوف
معرفة سطوة الله وشدة عقابه وموجب الرجا معرفة رحمة الله

وعظيم ثوابه قال تعالي نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عدله خافه ولذلك جا في
الحديث لو وزن خوف المومن ورجاه لاعتدلا الا انه يستحب ان يكون
العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده الي فعل الطاعات وترك
السيات وان يغلب عليه الرجا عند حضور الموت لقوله صلي الله
عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالي واعلم
ان الخوف علي ثلاث درجات الاولي ان يكون ضعيفا يخطر علي
القلب ولا يوثر في الباطن ولا في الظاهر فوجوده هذا كالعدم
والثانية ان يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله علي
الاستقامة والثالثة ان يشتد حتي يبلغ الي القنوط والياس وهذا
لا يجوز وخير الامور اوساطها والناس في الخوف علي ثلاث مقامات
فخوف العامة من الذنوب وخوف الخاصة من الخاتمة وخوف خاصة
الخاصة من السابقة فان الخاتمة مبنية عليها والرجا علي ثلاث
درجات الاولي رجا رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك
معصية فهذا هو الرجا المحمود والثانية الرجا مع التفريط
في العصيان فهذا هو غرور والثالث ان يقوي الرجا حتي يبلغ
الامن فهذا حرام والناس في الرجا علي ثلاث مقامات فمقام
العامة رجا ثواب الله ومقام الخاصة رجا رضوان الله ومقام
خاصة الخاصة رجا لقا الله حبا فيه وشوقا اليه ان رحمة الله
قريب من المحسنين حذفت تا التانيث من قريب وهو خبر عن الرحمة
علي تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او العفو ولان تانيث الرحمة
غير حقيقي او لانه صفة موصوف محذوف وتقديره شي قريب
او تقدير النسب اي ذات قرب وقيل قريب هنا ليس خبر عن
الرحمة وانما هو ظرف لها الرياح نشرا قري الرياح بالجمع لانها رياح
المطر وقد اضطرد في القران جمعها اذا كانت للرحمة وافرادها

اذا كانت للعذاب ومنه ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وقري بالافراد والمراد الجنس وقري نشرا بفتح النون واسكان
الشين وهو علي هذا مصدر في موضع الحال وقري بضمها وهو جمع
ناشر وقري بضم النون واسكان الشين وهو تخفيف من الضم كرسل — وقيل جمع منشور
ورسل وقري بالبا في موضع النون وهو من البشارة بين يدي
رحمته اي قبل المطر اقلت حملت سحابا ثقالا لانها تحمل الماء
فتثقل به سقناه الضمير للسحاب لبلد ميت يعني لا نبات فيه من
شدة القحط وكذلك معناه حيث وقع فانزلنا به الما الضمير للسحاب
او البلد علي ان تكون البا ظرفية كذلك نخرج الموتي تمثيل لاخراج الموتي
من القبور باخراج الزرع من الارض وقد وقع ذلك في القران في مواضع
منها كذلك النشور وكذلك الخروج والبلد الطيب هو الكريم من الارض
الجيد التراب والذي خبث بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها باذن ربه عبارة
عن السهولة والطيب والنكد بخلاف ذلك فيحتمل ان يكون المراد
ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعني الذي قبلها في المطر
او تكون تمثيلا للقلوب فمثل علي هذا الطيب قلب المومن والخبيث
قلب الكافر وقيل هما الفهم والبلد من اله غيره قرا الكسائي بالخفض
حيث وقع علي اللفظ وقراه غيره بالرفع علي الموضع عذاب يوم عظيم
يعني يوم القيامة او يوم هلاكهم الملا اشراف الناس ليس بي ضلالة
انما قال ضلالة ولم يقل ضلال لان الضلالة اخص من الضلال كما
اذا قيل لك اعندك تمر فتقول ما عندي تمرة فتم بالنفي ابلغكم قري
بالتشديد والتخفيف والمعني واحد وهو في موضع صفة لرسول
او استيناف اعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفاته ورحمته وعذابه
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف
كانه قال اكذبتم وعجبتم من ان جاكم ذكر من ربكم علي رجل منكم
اي علي لسان رجل في الفلك متعلق بمحذوف والتقدير استقروا معه

في الفلك ويحتمل ان يتعلق بانجيناه عمين جمع عمي وهو من عمي القلب اخاهم اي واحدا من قبيلتهم وهو عطف علي نوحا وهودا بدل منه او عطف بيان وكذلك اخاهم صالحا وما بعده وهو مثله حيث وقع الملا الذين كفروا قيد هنا بالكفر لان الملا من قوم هود من امن وهو مرثد بن سعد بخلاف قوم نوح فانهم لم يكن فيهم مومن فاطلق لفظ الملا امين يحتمل ان يريد اما ننه علي الوحي او انهم قد كانوا عرفوه بالامانة والصدق خلفا من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا وزادكم في الخلق بسطة كانوا عظام الاجساد فكان اصغرهم ستون ذراعا واطولهم مائة ذراع الا الله نعبد حيث وقع قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده استبعد وا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته ولذلك قال لهم هود قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب اتجادلونني في اسما سميتموها يعني الاصنام اي اتجادلونني في عبادة مسميات اسما ففي الكلام حذف واراد بقوله سميتموها انتم واباوكم جعلتم لها اسما فدل ذلك علي انها محدثة فلا يصح ان تكون الهة او سميتموها الهة من غير دليل علي انها الهة فقولكم باطل فالجدال علي القول الاول في عبادتها وعلي القول الثاني في تسميتها الهة والمراد بالاسم علي القول الاول المسمي وعلي القول الثاني التسمية دابر ذكر في الانعام بينة من ربكم اي اية ظاهرة وهي الناقة واضيفت الي الله تشريفا لها او لانها خلقت من غير فحل وكانوا قد اقترحوا علي صالح عليه السلام ان يخرجها لهم من صخرة وعاهدوه ان يومنوا به ان فعل ذلك فانشقت الصخرة وخرجت الناقة وهم ينظرون ثم نتجت ولدا فامن به قوم منهم منها وكفر به اخرون لكم اية اي معجزة تدل علي صحة نبوة صالح والمجرور في موضع الحال من اية لانه لو تاخر لكان صفة ولا تمسوها

بسوء

بسوء اي لا تضربوها ولا تطردوها وبواكم في الارض كانت ارضهم بين الشام والحجاز وقد دخلها رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه فقال لهم عليه الصلاة والسلام لا تدخلوا علي هولا المعذبين الا وانتم باكون منها فاذا ان يصيبكم مثل الذي اصابهم تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون قصورا في الارض البسيطة وتنحتون من الجبال بيوتا اي تنجرون بيوتا في الجبال وكانوا يسكنون القصور في الصيف والجبال في الشتا وانتصب بيوتا علي الحال وهو كقولك خطت هذا الثوب قميصا لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا انا بالذي امنتم به كافرون انما لم يقولوا انا بما ارسل به كما قال الاخرون لئلا يكون اعترافا برسالته فعقروا الناقة نسب العقر الي جميعهم لانهم رضوا به وان لم يفعله الا واحد منهم وهو الاحيمر الرجفة الصيحة حيث وقعت وذلك ان الله امر جبريل فصاح صيحة بين السما والارض فماتوا منها جاثمين حيث وقع اي قاعدين لا يتحركون فتولي عنهم الاية يحتمل ان يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم لانه روي انه خرج حينئذ من بين اظهرهم او ان يكون ذلك بعد ان هلكوا وهو ظاهر الاية وعلي هذا خاطبهم بعد موتهم علي وجه التفجع عليهم وقوله لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اذ قال لقومه العامل فيه اذ ارسلنا المضمر او يكون بدلا من لوطا ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد من العالمين قبلكم ومن الاولي زائدة والثانية للتبعيض او للجنس فما كان جواب قومه الاية اي انهم عدلوا عن جوابه علي كلامه الي الامر باخراجه واخراج اهله اناس يتطهرون اي يتنزهون عن الفاحشة من الغابرين اي من الهالكين وقيل من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا او من الباقين من اترابها يقال غبر بمعني مضي وبمعني بقي وانما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا

للرجال الغابرين **وامطرنا عليهم** يعني الحجارة اصيب بها من كان منهم
خارجا عن بلادهم وقلبت البلاد بمن كان فيها **بينة من ربكم**
اي اية ظاهرة ولم يعين في القران اية شعيب **فاوفوا الكيل والميزان**
كانوا ينقصون في الكيل والوزن فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك
والكيل هنا بمعنى المكيال الذي يكال به مناسبة للميزان كما جا في
هود المكيال والميزان ويجوز ان يكون الكيل والميزان مصدرين
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قيل هي نهي عن السلب وقطع الطريق
وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون علي الطريق يردون الناس
عن اتباع شعيب ويوعدونهم ان اتبعوه **وتصدون** اي تمنعون
الناس عن سبيل الله وهو الايمان والضمير في به للصراط او لله
تبغونها عوجا ذكر في ال عمران **او لتعودن في ملتنا** اي ليكونن احد
الامرين اما اخراجهم او عودهم الي ملة الكفر فان قيل ان العود
الي الشي يقتضي انه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضي قولهم
لتعودن في ملتنا ان شعيبا ومن كان معه كانوا اولا علي ملة
قومهم ثم خرجوا منها فطلب قومهم ان يعودوا اليها وذلك محال
فان الانبيا معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب
من وجهين احدهما قاله ابن عطية وهو ان عاد قد تكون بمعني
صار فلا يقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار اليه والثاني قاله
الزمخشري وهو ان المراد بذلك الذين امنوا بشعيب دون شعيب
وانما ادخلوه في الخطاب معهم بذلك كما ادخلوه في الخطاب معهم
في قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فغلبوا في الخطاب
بالعود الجماعة علي الواحد وبمثل ذلك يجاب عن قوله ان عدنا
في ملتكم وما يكون لنا ان نعود فيها **قال اولو كنا كارهين** الهمزة
للاستفهام والانكار والواو للحال تقديره انعود في ملتكم ونحن
كارهون **قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم** اي ان عدنا فيها

نقد

نقد وقعنا في امر عظيم من الافترا علي الله وذلك تبرا من العود فيها **وما كان لنا**
ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا هذا استسلام لقضا الله علي وجه التادب
مع الله واسناد الامور اليه وذلك انه لما تبرا من ملتهم اخبر ان الله يحكم
بينهم بما يشا من عود وترك فان القلوب بيده يقلبها كيف يشا فان
قلت ان ذلك يصح في حق قومه واما في حق نفسه فلا فانه معصوم
من الكفر فالجواب انه قال ذلك تواضعا وتادبا مع الله تعالي واستسلا ما
لامره كقول نبينا صلي الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي
علي دينك مع انه قد علم انه يثبته **ربنا افتح بيننا** اي احكم **كان لم يغنوا**
فيها اي كان لم يقيموا في ديارهم **فكيف اسي علي قوم كافرين** اي كيف
احزن وقد استحقوا ما اصابهم من العذاب بكفرهم **بالباسا والضرا** قد تقدم
بدلنا مكان السيئة الحسنة اي بدلنا الباسا والضرا بالنعيم اختبارا لهم
في الحالتين **حتي عفوا** اي كثروا ونموا في انفسهم واموالهم **وقالوا قد مس**
اباءنا الضرا والسرا اي جري ذلك لابائنا ولم يغيرهم فهو بالاتفاق
لا بقصد الاختبار **بركات من السما والارض** اي بالمطر والزرع **او امن**
من قرا باسكان الواو فهي او العاطفة ومن قرا بفتحها فهي واو العطف
دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت علي الفا في قوله افامنوا
مكر الله اي استدراجه واخذه للعبد من حيث لا يشعر **اولم**
يهد اي اولم يتبين **للذين يرثون الارض** اي يسكنونها **ان لو نشا**
هو فاعل اولم يهد ومقصود الاية الوعيد **ونطبع علي قلوبهم**
عطف علي اصبناهم لانه في معنى المستقبل او منقطع علي معني
الوعيد واجاز الزمخشري ان يكون عطفا علي يرثون الارض
او علي ما دل عليه معني اولم يهد كانه قال يغفلون عن
الهداية ونطبع علي قلوبهم **وما وجدنا لاكثرهم من عهد** الضمير
لاهل القري والمعني وجدناهم ناقضين للعهود **حقيق علي ان لا**
اقول علي الله الا الحق من قرا علي بالتشديد علي انها يا المتكلم

فالمعني ظاهر وهو ان موسي قال حقيق عليه ان لا يقول علي الله الا الحق
وموضع ان لا اقول علي هذا رفع علي انه خبر حقيق وحقيق مبتدا
ومن قرا علي بالتخفيف فموضع ان لا اقول خفض بحرف الجر وحقيق صفة
لرسول وفي المعني علي هذا وجهان احدهما ان علي بمعني البا فمعني
الكلام رسول حقيق بان لا اقول علي الله الا الحق والثاني ان معني حقيق
حريص ولذلك يتعدي بعلي قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة تدل علي
صدقي وهو العصي او جنس المعجزات فارسل معي بني اسرايل
اي خلهم يذهبوا معي الي الارض المقدسة موطن اباييهم وذلك انه لما
توفي يوسف عليه السلام غلب فرعون علي بني اسرايل واستعبدهم
حتي انقذهم الله علي يد موسي وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسي اربعماية عام ونزع يده فاذا هي
بيضا كان موسي عليه السلام شديد الادمة فاظهر يده لفرعون ثم
ادخلها في جيبه ثم اخرجها وهي بيضا شديدة البياض كاللبن او
اشد بياضا وقيل انها كانت مشرقة شفافة كالشمس وكانت
ترجع بعد ذلك الي لون بدنه للناظرين مبالغة في وصف يده بالبياض
وكان الناس يجتمعون للنظر اليها والتعجب منها قال الملا من
قوم فرعون ان هذا الساحر عليم حكي هذا الكلام هنا عن الملا
وفي الشعرا عن فرعون كانه قاله هو وهم او قاله هو وافقوه
عليه كعادة جلسا الملوك في اتباعهم لما يقول الملك يريد ان يخرجكم
من ارضكم اي يخرجكم منها بالقتال او بالحيل وقيل المراد اخراج
بني اسرايل وكانوا خداما لهم فتخرب الارض بخروج الخدام والعمار
منها فماذا تامرون من قول الملا او من قول فرعون وهو من معني
المؤامرة اي المشاورة او من الامر وهو ضد النهي ارجه من قراه
بالهمز فهو من ارجات الرجل اذا اخرته فمعناه اخرها حتي تنظر
في امرها وقيل المراد بالارجا هنا السجن ومن قراها بغير همز

فتحتمل ان تكون بمعني المهموز وسهلت الهمزة ويكون بمعني الرجا اي اطمعه
واما ضم الها وكسرها فلغتان واما اسكانها فلغة اجري فيها الوصل
مجري الوقف حاشرين يعني الشرط اي جامعين للسحرة وجا السحرة
فرعون قبل هذا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو انه بعث الي
السحرة ان لنا لاجرا من قراه بهمزتين فهو استفهام ومن قراه بهمزة
واحدة فيحتمل ان يكون خبرا او استفهاما حذفت منه الهمزة والاجر
هنا الاجرة طلبوها من فرعون ان غلبوا موسي فانعم لهم فرعون
بها وزادهم التقريب والجاه عنده وانكم لمن المقربين عطف علي
معني نعم كانه قال نعطيكم اجرا ونقربكم واختلف في عدد السحرة
اختلافا متباينا من سبعين رجلا الي سبعين الفا وكل ذلك لا اصل
له في النقل اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسي
بين ان يبدوا بالالقا او يبدوا هم بالقا سحرهم فامرهم ان يلقوا
وانظر كيف عبروا عن القا موسي بالفعل وعن القا انفسهم بالجملة
الاسمية اشارة الي انهم اهل الالقا المتمكنون فيه واسترهبوهم
اي خوفوهم بما اظهروا لهم من اعمال السحر ان الق عصاك لما القاها
صارت ثعبانا عظيما علي قدر الجبل وقيل انه طال حتي جاوز
النيل تلقف اي تبتلع ما يافكون اي ما زوروا من افكهم وكذبهم
وروي ان الثعبان اكل ملا الوادي من حبالهم وعصيهم ومد موسي
يده اليه فصار عصي كما كان فعلم السحرة ان ذلك ليس من السحر
وليس في قدرة البشر فامنوا بالله وبموسي عليه السلام لاقطعن
ايديكم الاية وعيد من فرعون للسحرة وليس في القران انه انفذ
ذلك ولكن روي انه انفذه عن ابن عباس وغيره وقد ذكر معني من
خلاف في العقود قالوا انا الي ربنا منقلبون اي لا نبالي بالموت
لانقلابنا الي ربنا وما تنقم منا الا ان امنا اي ما تعيب منا الا ايماننا
ليفسدوا في الارض اي يخربوا املاك فرعون وقومه ويخالفوا

دينه ويذرك معطوف علي ليفسد واو منصوب باضمار ان بعد الواو
والهتك قيل ان فرعون قد جعل للناس اصناما يعبد ونها وجعل
نفسه الاله الاكبر فلذلك قال انا ربكم الاعلي فالهتك علي هذا
تلك الاصنام وقرا علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس
الهتك اي عبادتك والتذلل لك ان الارض لله تعليل للصبر
ولذا امرهم به يعني ارض الدنيا هنا وفي قوله ويستخلفكم في
الارض وقيل يعني ارض فرعون فاشار لهم موسي اولا بالنصر
في قوله يورثها من يشا من عباده ثم صرح في قوله عسي ربكم
الاية فينظر كيف تعملون حض علي الاستقامة والطاعة بالسنين
اي الجذب والقحط فاذا جاتهم الحسنة الاية اي اذا جاهم الخصب
والرخا قالوا هذه لنا وبسعودنا ونحن مستحقون له واذا جاهم
الجذب والشدة تطيروا بموسي اي قالوا هذا بشومه فان قيل لم قال
اذا جاتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سية بان
وتنكير السية فالجواب ان وقوع الحسنة كثير والسية وقوعها
نادر فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد وذكره باذا لانها
تقتضي التحقيق وذكر السية بان لانها تقتضي الشك ونكرها للتعليل
الا انما طايرهم عند الله اي انما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر
عند الله وهو ماخوذ من زجر الطير ثم سمي به ما يصيب الانسان ...
ومقصود الاية الرد عليهم فيما نسبوا الي موسي من الشوم مهما
هي ما الشرطية ضمت اليها ما الزايده نحو اينما ثم قلبت الالف ها
وقيل هي اسم بسيط غير مركب والضمير في به يعود علي ما مهما
وانما قالوا من اية علي تسمية موسي لها اية او علي وجه التهكم
فارسلنا عليهم الطوفان روي انه كان مطرا شديدا دايما مع فيض
النيل حتي هدم بيوتهم وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة
قيل هو الطاعون والجراد هو المعروف اكل زروعهم وثمارهم

حتي اكل ثيابهم وابوابهم وسقف بيوتهم والقمل قيل هي صغار الجراد وقيل
[illegible] وقيل السوس وقري القمل بفتح القاف والتخفيف فهي علي
هذه القمل المعروف وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم والضفادع
هي المعروفة كثرت عندهم حتي امتلات بها فرشهم واوانيهم
واذا تكلم احدهم وثبت الضفدع الي فمه والدم صارت مياههم دما
فكان يستقي من البير القبطي والاسرايلي في اناء واحد فيخرج
مايلي القبطي دما ومايلي الاسرايلي ما ولما وقع عليهم الرجز
اي العذاب وهي الاشيا المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم امر منها عاهدوا
موسي ان يومنوا به ان كشف عنهم فلما كشف عنهم نقضوا العهد
وتمادوا علي كفرهم بما عهد عندك بدعايك اليه ووسايلك
والها تحتمل ان تكون للقسم وجوابه لن نومن لك او تتعلق بادع
لنا اي توسل اليه بما عهد عندك في اليم البحر حيث وقع القوم
الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرايل مشارق الارض ومغاربها
الشام ومصر باركنا فيها اي بالخصب وكثرة الارزاق وتمت كلمات ربك
الحسني علي بني اسرايل اي نفذت لهم واستقرت والكلمة هنا ماقضي
لهم في الازل وقيل هي قوله ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا
في الارض وماكانوا يعرشون اي يبنون وقيل هي الكروم فهو علي
الاول من العرش وعلي الثاني من العريش قالوا ياموسي اجعل لنا
الها اي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هولا اصنامهم ولم ستمر
خبر موسي مع فرعون ابتدا خبره مع بني اسرايل من هنا الي قوله
واذ نتقنا الجبل متبر من التبار وهو الهلاك وواعدنا موسي ثلاثين
ليلة روي ان الثلاثين شهرا ذي القعده والعشر بعدها هي العشر
الاول من ذي الحجة وذلك تفصيل الاربعين المذكورة في البقرة
ميقات ربه اي ماوقته له من الوقت لمناجاته في الطور
اخلفني اي كن خليفتي علي بني اسرايل مدة مغيبي رب ارني

لما سمع موسي كلام الله طمع في روييه فسالها كما قال الشاعر •
• واقرح ما يكون الشوق يوما • اذا دنت الديار من الديار •
واستدلت الاشعرية بذلك علي ان روية الله جايزة عقلا وانها لو كانت
محالا لم يسالها موسي فان الانبيا عليهم السلام يعلمون ما يجوز علي
الله وما يستحيل وتاول الزمخشري طلب موسي للروية بوجهين
احدهما انه انما سال ذلك تبكيتة لمن خرج معه من بني اسرايل
منهم الذين طلبوا الروية فقالوا ارنا الله جهرة فقال موسي ذلك
ليسمعوا الجواب بالمنع فيتادبوا والاخران معني ارني انظر اليك
عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد والثاني
ابعد واضعف فانه لو لم يكن المراد الروية لم يقل له انظر الي الجبل
الاية قال لن تراني قال مجاهد وغيره ان الله قال لموسي لن تراني
لانك لا تطيق ذلك ولكن سا تجلي للجبل الذي هو اقوي منك واشد
فان استقر واطاق النظر لهيبتي امكن ان تراني انت وان لم يطق الجبل
فاحري ان لا تطيق انت فعلي هذا انما جعل الله الجبل مثالا لموسي
وقال قوم المعني سا تجلي لك علي الجبل وهذا ضعيف يبطله
قوله فلما تجلي ربه للجبل فاذا تقرر هذا فقوله تعالي لن تراني
نفي الروية وليس فيه دليل علي انها محال فانه انما جعل علة
النفي عدم اطاقة موسي للروية لا استحالتها ولو كانت الروية
مستحيلة لكان في الجواب زجر واغلاظ كما قال لنوح فلا تسالني
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فهذا المنع
من روية الله انما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك
واما في الاخرة فقد صرح بوقوع الروية كتاب الله وسنة رسوله
صلي الله عليه وسلم فلا ينكرها الا مبتدع وبين اهل السنة
والمعتزلة في مسلة الروية تنازع طويل وفي هذه القصة
قصص كثيرة لعدم صحته ولما فيه من الاقوال الفاسده

جعله

جعله دكا اي مدكوكا فهو مصدر بمعني مفعول كقولك ضرب الامير والدك
والدق اخوان وهو التفتت وقري دكا بالمد والهمز اي ارضا دكا قيل
ذهب اعلا الجبل وبقي اكثره وقيل تفتت حتي صار غبارا وقيل ساخ
في الارض وافضي الي البحر وخر موسي صعقا اي مغشيا عليه تبت
اليك معناه تبت من سوال الروية في الدنيا وانا لا اطيقها وانا
اول المومنين اي اول قومه او اهل زمانه او علي وجه المبالغة
في السبق الي الايمان اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي
عموم يراد به الخصوص فان جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة
واختلف هل كلم الله غيره من الرسل ام لا والصحيح انه كلم نبينا
محمد صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا فخذ ما اتيتك تاديبا اي
اقنع بما اعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك وكتبنا
له في الالواح اي الواح التوراة وكانت سبعة وقيل عشرة وقيل
اثنان وقيل كانت من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من خشب
من كل شي عموم يراد به الخصوص فيما يحتاج اليه في دينهم وكذلك
تفصيلا لكل شي وموضع كل شي نصب علي انه مفعول كتبنا
وموعظة بدل منه فخذها بقوة اي بجد وحزم والضمير للتوراة
ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن منه كالقصاص
مع العفو وكذلك ساير المباحات مع المندوبات ساريكم دار الفاسقين
اي دار فرعون وقومه وهو مصر والمعني اريكم كيف اقفرت منهم
لما هلكوا وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الامم المتقدمة
ليعتبروا بهما وقيل جهنم نقرا ابن عباس ساورثكم بالثا المثلثة
من الوراثة وهي علي هذا مصدر لقوله واورثنا ها بني اسرايل
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض الايات يحتمل هنا ان
يراد بها ايات القران وغيره من الكتب او العلامات والبراهين
والصرف يراد به صدهم عن فهمها وعن الايمان بها عقوبة لهم

من ابطالها **ولقا الاخرة** يجوز ان يكون
علي تكبرهم وقيل الصرف منعهم
من اضافة المصدر الي المفعول به اولقايهم الاخرة ومن اضافة
المصدر الي الظرف **واتخذ قوم موسي** هم بنو اسرايل **من بعده** اي من
بعد غيبته في الطور **من حليهم** بضم الحا والتشديد جمع حلي نحو ثدي
وثدي وقري بكسر الحا للاتباع وقري بفتح الحا واسكان اللام والحلي
هو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة **جسدا** اي جسما دون
روح وانتصابه علي البدل **له خوار** الخوار هو صوت البقر وكان
السامري قد قبض قبضة من تراب اثر فرس جبريل يوم قطع البحر
فقذفه في العجل فصار له خوار وقيل كان ابليس يدخل في
جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار **الم يروا انه لا يكلمهم** رد
عليهم وابطال لمذهبهم الفاسد في عبادته **اتخذوه** اي اتخذوه
الها فحذف المفعول الثاني للعلم به وكذلك حذف من قوله واتخذ
قوم موسي **سقط في ايديهم** اي ندموا يقال سقط في يد فلان
اذا عجز عما يريد او وقع فيما يكره **اسفا** شديد الحزن علي ما فعلوه
وقيل شديد الغضب كقوله فلما اسفونا **بيسما خلفتموني** اي
قمتم مقامي وفاعل بيس مضمر يفسره ما واسم المذموم محذوف
والمخاطب اما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا
غير الله في غيبة موسي عنهم او روسا بني اسرايل كهارون عليه
السلام حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل **اعجلتم امر ربكم** معناه
اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسي حتي يرجع من الطور فانهم
لما راوا الامد قد تم ظنوا ان موسي عليه السلام قد مات فعبدوا
العجل **والقي الالواح** طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا
لله من عبادة العجل **واخذ براس اخيه** اي شعر راسه **يجره**
اليه لانه ظن انه فرط في كف الذين عبدوا العجل **ابن ام** كان هارون
شقيق موسي وانما دعاه بامه لانه ادعي الي العطف والحنو

وقري

وقري ابن ام بالكسر علي الاضافة الي يا المتكلم وحذفت اليا وبالفتح تشبيها
بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبني **ولا تجعلني مع القوم الظالمين**
اي لا تظن اني منهم او لا تجدعلي في نفسك ما تجد عليهم يعني اصحاب
العجل **غضب من ربهم وذلة** اي غضب في الاخرة وذلة في الدنيا
ولما سكت عن موسي الغضب اي سكن وكذلك قرا بعضهم وقال
الزمخشري قوله سكت مثل كان الغضب يقول له الق الالواح
وجر براس اخيك ثم سكت عن ذلك **وفي نسختها** اي فيما ينسخ
منها والنسخة فعلة بمعني مفعول **لربهم يرهبون** اي يخافون ودخلت
اللام لتقدم المفعول كقوله للرويا تعبرون وقال المبرد تتعلق
بمصدر تقديره رهبتهم لربهم **واختار موسي قومه** اي من قومه
سبعين رجلا حملهم معه الي الطور يسمعون كلام الله لموسي فقالوا
ارنا الله جهرة فاخذتهم الرجفة عقابا لهم علي قولهم بظلمهم
ويحتمل ان تكون رجفة موت او اغما والاول اظهر لقوله ثم بعثناكم
من بعد موتكم وقيل انما اخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل او لسكوتهم
علي عبادته والاول ارجح لقوله ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
بظلمهم ويحتمل ان تكون رجفة موت او اغما والاول اظهر لقوله
ثم بعثناكم من بعد موتكم **لو شيت اهلكتهم من قبل واياي** يحتمل ان تكون لو
هنا للتمني اي تمني ان يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك لانه
خاف من تشغب بني اسرايل عليه ان رجع اليهم دون هولا السبعين
ويحتمل ان يكون قال ذلك علي وجه التضرع والاستسلام لامر الله
كانه قال لو شيت ان تهلكنا قبل ذلك لفعلت فانا عبيدك وتحت
قهرك وانت تفعل ما تشا ويحتمل ان يكون قالها علي وجه التضرع
والرغبة كانه قال لو شيت ان تهلكنا قبل اليوم لفعلت ولكنك
عافيتنا وابقيتنا فافعل معنا الان ما وعدتنا واحي هولا القوم
الذين اخذتهم الرجفة **اتهلكنا بما فعل السفها منا** اي اتهلكنا وتهلك

سايربني اسرايل بما فعل السفها الذين طلبوا الرويه والذين عبدوا
العجل فمعنى هذا اولا يجد ويتبري من فعل السفها ورغبة الي الله
ان لايعم الجميع بالعقوبة **ان هي الا فتنتك** اي الامور كلها بيدك تضل
من تشا وتهدي من تشا ومعنى هذا الاعتذار عن فعل السفهاء
فانه كان بقضا الله ومشيته **انا هدنا اليك** اي تبنا وهذا الكلام
الذي قال موسى عليه السلام انما هو استعطاف ورغبة الي الله
وتضرع اليه ولا يقتضي شيا مما توهم الجهال فيه من الجفا في قوله
اتهلكنا بما فعل السفها منا لانا قد بينا انه انما قال ذلك استعطافا
لله وبراة من فعل السفها **قال عذابي اصيب به من اشاء** قيل
الاشارة بذلك الي الذين اخذتهم الرجفة والصحيح انه عموم يندرج
فيه مع غيرهم وقرء من اسا بالسين وفتح الهمزة من الاساءة
واذكرها بعض المعتزلين قال انما تصحيف **ورحمتي وسعت كل شي**
يحتمل ان يريد رحمته في الدنيا فيكون خصوصا في الرحمة وعموما
في كل شي لان المومن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة
الله ونعمته في الدنيا ويحتمل ان يريد رحمة الاخرة فيكون
خصوصا في كل شي لان الرحمة في الاخرة مختصة بالمومنين
ويحتمل ان يريد جنس الرحمة علي الاطلاق فيكون عموما في الرحمة
وفي كل شي **فساكتبها للذين يتقون** ان كانت الرحمة المذكورة رحمة
الاخرة فهي بلا شك مختصة بهولا الذين كتب الله لهم وهم امة
محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت رحمة الدنيا فهي ايضا مختصة
بهم لان الله نصرهم علي جميع الامم واعلا دينهم علي جميع الاديان
ومكن لهم في الارض مالم يمكن لغيرهم وان كانت علي الاطلاق فقوله
فساكتبها تخصيص للاطلاق **والذين هم باياتنا يومنون** اي يومنون
بجميع الكتب والانبيا وليس ذلك لغير هذه الامة **الذين يتبعون
الرسول** هذا الوصف خصص انه محمد صلى الله عليه وسلم قال

بعضهم

بعضهم لما قال ورحمتي وسعت كل شي طمع فيها كل احد حتى ابليس
فلما قال ساكتبها للذين يتقون ايس ابليس لعنه الله وبقيت اليهود
والنصارى فلما قال الذين يتبعون الرسول الاية يئس اليهود
والنصارى **النبي الامي** اي الذي لايقرا ولايكتب وذلك من اعظم دلايل
نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اتي بالعلوم الجمة من غير قراة ولا
كتابة ولذلك قال تعالي وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون قال بعضهم الامي منسوب الي الام
وقيل الي الامة **الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل**
ضمير الفاعل في يجدونه لبني اسرايل وكذلك الضمير في عندهم
ومعنى يجدونه يجدون نعته وصفته ولنذكر هنا ما ورد في
التوراة والانجيل واخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فمن ذلك ما ورد في البخاري وغيره ان في البخاري
من صفة النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن تعفوا وتصفح ولن اقبضه حتى اقيم
به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح به عيونا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا ومن ذلك ما في التوراة مما اجمع عليه اهل
الكتاب وهو باق بايديهم الي الان ان الملك نزل علي ابراهيم فقال
له في هذا العام يولد لك غلام اسمه اسحاق فقال ابراهيم يارب
ليت اسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لابراهيم ذلك لك قد
استجيب لك في اسماعيل وانا اباركه وانميه واكثره واعظمه
بماذ ماذ وتفسير هذه الحروف محمد ومن ذلك في التوراة ان الرب
تعالي جاء في طور سينا وطلع من ساعير وظهر من جبال فاران
ويعني بطور سينا موضع مناجات موسى عليه السلام وساعير

موضع عيسي وفاران هي مكة مولد نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
ومبعثه ومعني ما ذكر من مجي الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه
علي يد الانبيا الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع وتعيين ذلك
ما في كتاب اشعيا خطاب لمكة قومي فازهري في مصابيحك فقد
دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك فقد تجلل الارض الظلام
وغطا علي الامم المصاب والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر
كرامته عليك تسير الامم الي نورك والملوك الي ضوء طلوعك
ارفعي بصرك الي ما حولك وتاملي فانهم مستجمعون عندك
ويحج اليك عساكر الامم وفي بعض كتبهم لقد تقطعت السما من
بها محمد المحمود وامتلات الارض من حمده لانه ظهر بخلاص
امته ومن ذلك في التوراة ان هاجر ام اسماعيل لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها يا هاجر اين تريدين ومن
اين اقبلت فقالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي
الي سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه اسماعيل وهو
يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع وتكون يد الجميع مبسوطة
اليه بالخضوع ووجه دلالة هذا الكلام علي نبوة محمد صلي
الله عليه وسلم ان هذا الذي وعدها به الملك من ان يد
ولدها فوق الجميع وان يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع انما
ظهرت ببعث النبي صلي الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو
كلمته ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلي الله
عليه وسلم ومن ذلك في التوراة ايضا ان الرب يقيم لهم
نبيا من اخوتهم واي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه
ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه ودلالة هذا الكلام ظاهرة
بان اولاد اسماعيل هم اخوة اولاد اسحاق وقد انتقم الله من
اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلي الله عليه وسلم

كبني

كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم ومن ذلك في التوراة ان الله اوحي
الي ابراهيم عليه السلام قد اجبت دعاك في اسماعيل وباركت عليه
وسيلد اثني عشر عظيما واجعله لامة عظيمة ومن ذلك في الانجيل
ان المسيح قال للحواريين انا ذاهب عنكم وسياتيكم البارقليط
الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له وبهذا وصف
محمد صلي الله عليه وسلم محمد واحمد وقيل معني البارقليط الشافع
المشفع ومن ذلك في التوراة ان مولده بمكة ومسكنه بطيبة
وامته الحمادون وبيان ذلك ان امته يقرون الحمد لله في صلاتهم
مرارا كثيرة في كل يوم وليلة وعن شهر بن حوشب مثل ذلك
في اسلام كعب الاحبار وهو من اليمن من حمير ان كعبا اخبره
بامره وكيف كان ذلك وقيل كان ابوه من مؤمني اهل
التوراة برسول الله صلي الله عليه وسلم وكان من علمائهم
وخيارهم قال كعب وكان من اعلم الناس بما انزل الله علي موسي
من التوراة وبكتب الانبيا ولم يكن يدخر عني شيا مما كان يعلم
فلما حضرته الوفاة دعاني فقال يا بني قد علمت اني لم ادخر عنك
شيا مما كنت اعلم الا اني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي
يبعث وقد اظل زمانه فكرهت ان اخبرك بذلك فلا امن عليك
بعد وفاتي ان يخرج بعض هولا الكذابين فتتبعه وقد قطعتهما
من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي تري وطينت عليهما
فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا واقرهما في موضعهما حتي
يخرج ذلك النبي فاذا خرج فاتبعه وانظر فيهما فان الله يزيدك
بهذا خيرا فلما مات والدي لم يكن شي احب الي من ان ينقضي الماتم
حتي انظر ما في الورقتين فاذا فيهما محمد رسول الله صلي الله عليه
وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة

السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفوا ويغفر ويصفح امته الحمادون
الله على كل شرف وعلى كل حال وتذلل بالتكبير السنتهم وينصر
الله نبيهم على كل من ناواه يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون
على اوساطهم واناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في
بطونهم ويوجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم بني الام والاب
وهم اول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم وهم السابقون
المقربون والشافعون المشفع لهم فلما قرات هذا قلت في
نفسي والله ما اعلم لي شيا خيرا من هذا فمكثت ماشا الله
حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبيني وبينه بلاد
بعيدة منقطعة لا اقدر على اتيانه وبلغني انه خرج في مكة
فهو يظهر مرة ويستخفي مرة فقلت هو هذا وتخوفت ما كان
الذي حذرني وخوفني من ذكر الكذابين وجعلت احب ان
اتبين واتثبت فلم ازل بذلك حتى بلغني انه اتى المدينة
فقلت في نفسي اني لارجوا ان يكون اياه وجعلت التمس السبيل
اليه فلم يقدر لي حتى بلغني انه توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت في نفسي لعله لم يكن الذي اظن ثم بلغني
ان خليفته قام مقامه فلم البث الا قليلا حتى جاتنا جنوده
فقلت في نفسي لا ادخل مع هذا الدين حتى اعلم اهم الذين
كنت ارجوا وانتظر وانظر كيف سيرتهم واعمالهم والى ما تكون
اعمالهم والى ما تكون عاقبتهم فلم ازل ادفع ذلك واوخره
لاستبين واتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب فلما رايت
صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاهم بالعهد وما صنع
الله لهم على الاعدا علمت انهم هم الذين كنت انتظر فحدثت نفسي
بالدخول في دين الاسلام فوالله اني ذات ليلة فوق سطحي لي
اذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى اتى هذه الاية يا ايها

الذين

الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس
وجوها الاية فلما سمعت هذه الاية خشيت والله لا اصبح حتى
يحول وجهي في قفاي فما كان شي احب الي من الصباح فغدوت
على عمر فاسلمت حين اصبحت وقال كعب لعمر عند انصرافهم
من الشام يا امير المومنين انه مكتوب في كتاب الله ان هذه
البلاد التي كان فيها بنوا اسرايل وكانوا اهلها مفتوحة على
يد رجل من الصالحين رحيم بالمومنين شديد على الكافرين
سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره وقوله لا يخالف فعله
والقريب والبعيد عنده في الحق سوا واتباعه رهبان بالليل
واسد بالنهار متراحمون متواصلون متبادلون فقال له عمر
ثكلتك امك احق ما تقول قال اي والذي انزل التوراة على
موسى والذي يسمع ما تقول انه لحق فقال عمر الحمد لله الذي
اعزنا وشرفنا واكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبرحمته التي وسعت كل شي ومن ذلك كتاب فروة بن عمرو
الجذامي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك
العرب بالشام فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول
الله من فروة بن عمرو اني مقر بالاسلام مصدق اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وانه الذي بشر به
عيسى بن مريم والسلام فاخذه هرقل لما بلغه اسلامه وسجنه
فقال والله لا افارق دين محمد ابدا فانك تعرف انه النبي الذي
بشر به عيسى بن مريم ولكنك حرصت على ملكك واحببت
بقاه فقال قيصر صدق والانجيل ويشهد لهذا ما خرجه البخاري
ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل
وسوال هرقل عن احواله واخلاقه صلى الله عليه وسلم
فلما اخبر بها علم انه رسول الله وقال انه يملك موضع قدمي

ولوخلصت اليه لغسلت قدميه ومن حديث زيد بن اسلم عن
ابيه وهو عندنا بالاسناد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج
زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة الي الشام قال
فاني لفي سوق من اسواقها اذا انا ببطريق قد قبض علي عنقه
بزنبيل ومجرفة فقال لي انقل ما ههنا فجعلت انظر كيف اصنع
فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب اري ساير جسده منه
فقال لي كذا امسك علي ما اري ما نقلت شيا ثم جمع يديه فضرب
بهما دماغي فقلت واثكل امك يا عمر ابلغت ما اري ثم وثبت الي
المجرفة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته في التراب
وخرجت علي وجهي لا ادري اين اسير فسرت بقية يومي وليلتي
ومن الغد الي الهاجرة فانتهيت الي دير فاستظللت بفنايه
فخرج الي رجل منه فقال يا عبد الله ما يقعدك ههنا فقلت
اضللت اصحابي فقال لي ما انت علي طريق وانك لتنظر بعيني
خايف فادخل فاصب من الطعام واسترح ودخلت فاتاني بطعام
وشراب والطفني ثم صعد في النظر وصوبه فقال قد علم والله
اهل الكتاب او الكتب انه ما علي الارض اعلم بالكتاب او الكتب
مني واني لاجد صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا
عليه فقلت يا هذا لقد ذهبت في غير مذهب فقال لي ما اسمك
فقلت عمر بن الخطاب قال انت والله صاحبنا فاكتب لي علي
ديري هذا وما فيه فقلت يا هذا انك قد صنعت الي صنيعة فلا
تكدرها فقال انما كتاب في رق فان كنت صاحبنا فذلك والا لم
يضرك شيا فكتبت له علي ديره وما فيه فاتاني بثياب ودراهم
فدفعها الي ثم اوكف اتانا فقال اتراها قلت نعم قال سر عليها
فانك لا تمر بقوم الا سقوها وعلفوها واضافوك فاذا بلغت
مامنك فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتي

ترجع

ترجع الينا قال فركبت فكان كما قال حتي لحقت اصحابي وهم متوجهون
الي الحجاز فضربتها مدبرة وانطلقت معهم فلما وافي عمر الشام في زمان
خلافته جاء ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العدس فلما
راه عرفه فقال قد جا ما لا مذهب لعمر عنه ثم اقبل علي اصحابه
فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه اقبل علي الراهب فقال هل
عندكم نفع للمسلمين قال نعم يا امير المومنين قال ان اضفتم
المسلمين ومرضتموهم وارشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا امير
المومنين فوفي له عمر رضي الله عنه ورحمه وعن سيف يرفعه
الي سالم بن عبد الله قال لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من
يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق انت صاحب
ايليا والله لا ترجع حتي يفتح الله ايليا ومن ذلك ان عمرو بن
العاص قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه
وسلم وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد ارسله الي عمان
واليا عليها فجاءه يوما يهودي من يهود عمان فقال له انشدتك
بالله من ارسلك الينا فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال له اليهودي والله انك لتعلم انه رسول الله قال عمرو اللهم
نعم فقال اليهودي لين كان حقا ما تقول لقد مات اليوم فلما سمع
عمرو ذلك جمع اصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي
ان النبي صلي الله عليه وسلم مات فيه ثم خرج فاخبر بموت
النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الطريق ووجده قد مات
في ذلك اليوم صلي الله عليه وسلم وبارك وشرف وكرم
ومن ذلك ان وفد غسان قدموا علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم فلقيهم ابو بكر الصديق فقال لهم من انتم قالوا رهط
من غسان قدمنا علي محمد لنسمع كلامه فقال لهم انزلوا حيث
ينزل الوفود ثم ايتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فكلموه

فقالوا وهل نقدر على كلامه كما اردنا فتبسم ابو بكر وقال انه
ليطوف بالاسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرعب من
يراه منه فقالوا لابي بكر من انت ايها الرجل قال انا ابو بكر بن
ابي قحافة فقالوا انت تقوم بهذا الامر بعده فقال ابو بكر الامر
الى الله فقال لهم كيف تخدعون عن الاسلام وقد اخبركم اهل
الكتاب بصفته وانه اخر الانبيا ثم لعنوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسلموا يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
يحتمل ان يكون هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم
في التوراة فتكون الجملة في موضع الحال من الضمير المفعول
في يجدونه او تفسير كما كتب من ذكره ويكون استيناف وصف
من الله تعالى غير مذكور في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبايث مذهب مالك ان الطيبات هي الحلال
وان الخبايث هي الحرام ومذهب الشافعي ان الطيبات هي
المستلذات الا ما حرمه الشرع منها كالخمر والخنزير وان الخبايث
هي المستقذرات كالخنافس والعقارب وغيرها ويضع عنهم
اصرهم وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل الانفس
في التوراة وقطع موضع النجاسة من الثوب وكذلك الاغلال
عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل
يوم السبت وشبه ذلك وعزروه اي عظموه بالنصر حتى لا يقوى
عليه عدو واتبعوا النور الذي انزل معه هو القران او الشرع كله ومعنى
معه مع بعثه ورسالته اني رسول الله اليكم جميعا تفسيره
قوله صلى الله عليه وسلم كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس كافة فاعراب جميعا حال من الضمير في اليكم
الذي له ملك السموات والارض نعت لله او منصوب على المدح
باضمار فعل او مرفوع على انه خبر ابتدا اضمر يومن بالله وكلماته

هي الكتب التي انزل الله عليه وعلى غيره من الانبيا ومن قوم موسى امة
هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى او الذين امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم في عصره وقطعناهم اي فرقناهم اسباطا
السبط في بني اسرايل كالقبيلة في العرب وانتصابه على البدل
من اثنتي عشرة لا على التمييز فان تمييز اثنتي عشرة لا يكون الا
مفردا وقال الزمخشري على التمييز لان كل قبيلة اسباط لا سبط
فانبجست اي انفجرت الا ان الانبجاس اخف من الانفجار وظللنا عليهم
الغمام وما بعده الى قوله بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة ووقع
الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة
البقرة في انفجرت وانبجست وقوله واذ قلنا ادخلوا واذ قيل لهم
اسكنوا وكلوا او فكلوا بالفا فقال الزمخشري لا باس باختلاف
العبارتين اذ لم يكن هنالك تناقض وعللهما شيخنا الاستاذ ابو جعفر
ابن الزبير في كتاب ملاك التاويل وصاحب الدرة بتاويلات منها
قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها واسالهم اي اسال
اليهود على جهة التقرير والتوبيخ عن القرية قيل هي ايليا وقيل
هي طبرية وقيل مدين حاضرة البحر قريب منه او على شاطيه
اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم
يوم سبتهم وقد نهوا عنه وموضع اذ بدل من القرية والمراد اهلها
وهو بدل الاشتمال او منصوب بكانت او بحاضرة اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى
تصل الى بيوتهم ابتلا لهم اذ كان صيدهم عليهم حراما في يوم
السبت وتغيب عنهم في ساير الايام وسبتهم مصدر من قولك
سبتت اليهود تسبت اذا عظم يوم السبت ومعنى شرعا ظاهرة قريبة
منهم يقال شرع منا فلان اذا دنا واذ في قوله اذ تاتيهم منصوب
بيعدون او بدل من اذ يعدون واذ قالت امة منهم الاية افترقت

بنو اسرايل ثلاث فرق فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة
نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت فلم
تنه ولم تعص وان هذه الفرقة لما رات مهاجرة الناهية
وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية لم تعظون قوما يريد الله
ان يهلكهم او يعذبهم قالت الناهية نعظهم معذرة الى الله ولعلهم
يتقون فهلكت الفرقة العاصية ونجت الناهية واختلف في
الثالثة هل هلكت لسكوتها او نجت لاعتزالها وتركها العصيان
بعذاب بئيس اي شديد وقرئ بالهمز وتركه وقرئ على وزن
فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البوس فلما عتوا عن ما نهوا
عنه اي لما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
ذكر في البقرة والمعنى انهم عذبوا اولا بعذاب شديد فعتوا بذلك
فمسخوا قردة وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ تاذن ربك عزم وهو من الايذان بمعنى الاعلام
ليبعثن عليهم الابدا اي يسلط عليهم ومن ذلك اخذ الجزية
وهوانهم في جميع البلاد وقطعناهم في الارض اي فرقناهم
في البلاد ففي كل بلدة فرقة منهم فليس لهم اقليم يملكونه
منهم الصالحون هم من اسلم كعبد الله بن سلام او من كان صالحا
من المتقدمين منهم بالحسنات والسيات اي بالنعم والنقم فخلف من
بعدهم خلف اي حدث بعدهم قوم سوء والخلف بسكون اللام
ذم وفتحها مدح والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين
وقيل المراد النصارى ياخذون عرض هذا الادنى اي عرض الدنيا
ويقولون سيغفر لنا ذلك اغترار منهم وكذب وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم يعودون الى مثل فعلهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اشارة الى كذبهم في قولهم
سيغفر لنا واعراب ان لا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب

او تفسير له او تكون حرف عبارة وتفسير والذين يمسكون بالكتاب
قرئ بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى واحد واعراب الذين عطف
على الذين يتقون او مبتدا وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين واقام
ذكر المصلحين مقام الضمير لان المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب
واذ نتقنا الجبل فوقهم اي اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني
اسرايل وقلنا لهم خذوا التوراة حين ابوا من اخذها وقد تقدم
في البقرة تفسير الظلة وخذوا ما اتيناكم بقوة واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم الاية في معناها قولان احدهما ان الله لما خلق ادم اخرج
ذريته من صلبه وهم مثل الذر واخذ عليهم العهد بانه
ربهم فاقروا بذلك والتزموه روي هذا المعنى عن النبي صلى
الله عليه وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة
وغيرهم والثاني ان ذلك من باب التمثيل وان اخذ الذرية عبارة
عن ايجادهم في الدنيا واما اشهادهم فمعناه ان الله نصب لبني
ادم الادلة على ربوبيته فشهدت به عقولهم فكانه اشهدهم
على انفسهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلسان الحال بلى
انت ربنا والاول هو الصحيح لتواتر الاخبار به الا ان الفاظ الاية
لا تطابقه بظاهرها فلذلك عدل عنه من قال بالقول الاخر
وانما تطابقه بتاويل وذلك ان اخذ الذرية انما كان من صلب
ادم ولفظ الاية يقتضي ان اخذ الذرية من بني ادم والجمع بينهما
انه ذكر بني ادم في الاية والمراد ادم كقوله ولقد خلقناكم ثم
صورناكم الاية حتى تاويل ان معناها لقد خلقنا اباكم ادم
ثم صورناه وقال الزمخشري ان المراد بني ادم كما ذكر
قالوا بلى شهدنا قولهم بلى اقرار منهم بان الله ربهم فان تقديره
انت ربنا فان بلى بعد التقرير تقتضي الاثبات بخلاف نعم

صح
اسلاف اليهود والمراد بذرياتهم
من كان في عصر النبي صلى الله عليه
وسلم والصحيح المشهور ان
المراد جميع بني ادم

ولذلك قال ابن عباس في هذه الاية لو قالوا نعم لكفروا واما قوله
شهدنا فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله واذا
شهدتهم بذلك عند الله وقيل ان شهدنا من قول الله والملايكة
اي شهدنا على بني ادم باعترافهم **ان يقولوا يوم القيامة**
في موضع مفعول من اجله اي فعلنا ذلك كراهة ان تقولوا فهو من
قول الله لا من قولهم وقري بالتا على الخطاب لبني ادم وبالياء على
الاخبار عنهم **واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها**
قال ابن مسعود هو رجل من بني اسرايل بعثه موسي عليه
السلام الي ملك مديان داعيا الي الله فغشاه الملك واعطاه
الملك على ان يترك دين موسي ويتابع الملك على دينه ففعل
واضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين
اسمه بلعام كان عنده اسم الله الاعظم فلما اراد موسي قتال
الكنعانيين وهم الجبارون سالوا من بلعام ان يدعوا على
موسي وعسكره فابي فالحوا عليه حتي دعا عليه الا
يدخل المدينة ودعا عليه موسي بالايات التي اعطيها
على هذا القول هي الاسم الاعظم وعلى قول ابن مسعود
هي ما علمه موسي من الشريعة وقيل كان عنده من صحف
ابراهيم وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي هو امية بن ابي الصلت
وكان قد اوتي علما وحكمة واراد ان يسلم قبل غزوة بدر ثم
رجع عن ذلك ومات كافرا وفيه قال النبي صلى الله عليه
وسلم كاد امية بن ابي الصلت ان يسلم فالاية على هذا
ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال
منها كالانسلاخ من الثياب والجلد **ولو شينا لرفعناه بها**
اي لرفعنا منزلته بالايات التي كانت عنده **ولكنه اخلد الي**
الارض عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله

فمثله

فمثله كمثل الكلب اي صفته صفة الكلب وذلك غاية في الخسة
والرداءة **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اللهث هو تنفس
بسرعة وتحريك اعضا الفم وخروج اللسان واكثر ما يعتري ذلك
الحيوانات مع الحر والتعب وهي حالة دايمة للكلب ومعني ان
تحمل عليه ان تفعل معه ما يشق عليه من طرد او غيره او تتركه
دون ان تحمل عليه فهو يلهث على كل حال ووجه تشبيه ذلك
الرجل به انه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال
فضلالته على كل حال وقيل ان ذلك الرجل خرج لسانه
على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا اي صفة المكذبين كصفة
الكلب في لهثه او كصفة الرجل المشبه به لانهم ان انذروا لم
يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا او شبههم بالرجل في انهم راوا الايات
فلم تنفعهم كما ان الرجل لم تنفعه ما كان عنده من الايات
ساء مثلا القوم اي مثل القوم **وانفسهم** الاية قدم هذا المفعول
للاختصاص والحصر **كثيرا من الجن والانس** هم الذين علم الله
انهم يدخلون النار بكفرهم واخبر انهم خلقهم لذلك كما جاء في قوله
هولا للجنة ولا ابالي وهولا للنار ولا ابالي **لا يبصرون بها** ليس
المعني نفي السمع والبصر جملة وانما المعني نفيهما عما ينفع في الدين
ولله الاسما الحسني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وسبب نزول
الاية ان ابا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرا فيذكر الله مرة
والرحمن اخري فقال يزعم محمد ان الاله واحد وهو يعبد الهة
كثيرة فنزلت الاية مبينة ان تلك الاسما الكثيرة هي لمسمي واحد
والحسني مصدر وصف به او تانيث احسن وحسن اسما الله
انما هي صفة مدح وتعظيم وتمجيد **فادعوه بها** اي سموه باسمايه

وهذه اباحة لاطلاق المصلي الاسما على الله تعالى فاما ما ورد منها
في القران او الحديث فيجوز اطلاقه في الله اجماعا واما ما لم يرد
وفيه مدح لا تتعلق به شبهة فاجاز ابو بكر بن الطيب اطلاقه
على الله ومنع ذلك ابو الحسن الاشعري وغيره وراوا ان اسماء
الله موقوفة على ما ورد في القران والحديث وقد ورد في كتاب
الترمذي عدتها اعني تعيين التسعة والتسعين واختلف المحدثون
هل تلك الاسما المعدودة فيه موقوفة الى النبي صلى الله عليه
وسلم او موقوفة الى ابي هريرة وانما الذي ورد في الحديث
كونها تسعة وتسعين **وذروا الذين يلحدون في اسمائه**
قيل معنى ذروا اتركهم لا تجادلهم ولا تتعرض لهم فالاية على
هذا منسوخة بالقتال وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد
كقوله وذرني والمكذبين وهو الاظهر بما بعده والحادهم في
اسما الله هو ما قال ابو جهل فنزلت الاية بسببه وقيل تسميته
بما لا يليق وقيل تسمية الاصنام باسمه كاشتقاقهم اللات
من الله والعزى من العزيز **وممن خلقنا امة** الاية روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الاية لكم وقد تقدم مثلها
لقوم موسى **سنستدرجهم** الاستدراج استفعال من الدرجة اي
نسوقهم الى الهلاك شيا بعد شي وهم لا يشعرون والاملا هو
الامهال مع ارادة العقوبة **ان كيدي متين** سمي فعلهم به
كيدا لانه شبيه بالكيد في ان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة يعني بصاحبهم النبي صلى
الله عليه وسلم فنفا عنه ما نسب له المشركون من الجنون ويحتمل
قوله ما بصاحبهم من جنة معمولا لقوله اولم يتفكروا فيوصل به
والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا ان ما بصاحبهم من جنة والاول احسن
اولم ينظروا يعني نظر استدلال **ما خلق الله** عطف على الملكوت

ويعني

ويعني بقوله من شي جميع المخلوقات اذ جميعها دليل على وحدانية
خالقها **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** ان الاولى مخففة
من الثقيلة وهي عطف على الملكوت وان الثانية مصدرية في
موضع رفع بعسى واجلهم بعد موتهم والمعنى لعلهم يموتون عن
قريب فينبغي لهم ان يسارعوا الى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل
حلول الاجل **فباي حديث بعده** الضمير للقران **يسلونك عن
الساعة** السايلون اليهود او قريش وسميت القيامة ساعة
لسرعة حسابها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
ايان مرساها معنى ايان متى ومرساها وقوعها وحدوثها
وهي من الارسا بمعنى الثبوت **قل انما علمها عند ربي** اي استاثر
الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه احد **لا يجليها لوقتها الا هو**
معنا يجليها يظهرها فهو من الجلا ضد الخفا واللام في لوقتها
ظرفية اي عند وقتها والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيئها
مجي وقتها الا الله **ثقلت في السموات والارض** في معناه ثلاثة
اقوال الاول ثقلت على اهل السموات والارض لهيبتها عندهم
وخوفهم منها والثاني ثقلت على اهل السموات والارض انفسها
لتفطر السما فيها وتبديل الارض الثالث ثقلت اي ثقل علمها
اي خفي **يسالونك كانك حفي عنها** الحفي بالشي وهو المهتبل
به المعتني والمعنى يسالونك كانك حفي بعلمها وقيل المعنى
يسالونك عنها كانك حفي بهم لقرابتك منهم فعنها على
هذين القولين يتعلق بيسالونك وقيل المعنى يسالونك كانك
حفي بالسوال عنها **ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير** براة من علم الغيب واستدلال على عدم علمه **وما مسني
السو** عطف على لاستكثرت من الخير اي لو علمت الخير لاستكثرت
من الخير واحترست من السو ولكن لا اعلمه فيصيبني ما قدر لي

من الخير والشر وقيل ان قوله وما مسني السوء استيناف اخبار والسوء علي هذا الجنون واتصاله بما قبله احسن **لقوم يومنون** يجوز ان يتعلق ببشير ونذير معا اي انبشر المومنين وانذرهم وخص بهم البشارة والنذارة لانهم هم الذين ينتفعون بها ويجوز ان يتعلق بالبشارة وحدها ويكون المتعلق بنذير محذوف اي نذير للكافرين والاول احسن **من نفس واحدة** يعني ادم **زوجها** يعني حوا **ليسكن اليها** يميل اليها ويستانس بها **تغشاها** كناية عن الجماع **حملت حملا خفيفا** اي خف عليها ولم تلق منه ما يلقي بعض الحوامل من حملهن من الاذي والكرب وقيل الحمل الخفيف المني في فرجها **فمرت به** قيل معناه استمرت به الي حين ميلاده وقيل معناه قامت وقعدت **فلما اثقلت** اي ثقل حملها وصارت به ثقيلة **لئن اتيتنا صالحا** اي ولدا صالحا سالما في بدنه **فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما** اي لما اتاهما ولدا صالحا كما طلبا جعل اولادهما له شركا فالكلام علي حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اي فيما اتي اولادهما وذريتهما وقيل ان حوا لما حملت جاها ابليس وقال لها ان اطعتني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسا خلصه لك وكان اسم ابليس الحارث وان عصيتني في ذلك قتلته فاخبرت بذلك ادم فقال لها انه عدونا الذي اخرجنا من الجنة فلما ولدت مات الولد فحملت مرة اخري فقال ابليس مثل ذلك فعصته فمات الولد فحملت مرة ثالثة فسماه عبد الحارث طمعا في حياته فقوله جعلا له شركا فيما اتاهما اي في التسمية لا غير لا في عبادة غير الله والقول الاول اصح لثلاثة اوجه احدها انه يقتضي براءة ادم وزوجه من قليل الشرك وكثيره وذلك هو حال الانبيا

عليهم

هو

عليهم الصلاة والسلام والثاني انه يدل علي ان الذين اشركوا هم اولاد ادم وذريته قوله تعالي فتعالي الله عما يشركون بضمير الجمع والثالث ان ما ذكروا من قصة ادم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر الي نقل بسند صحيح وهو غير موجود في تلك القصة وقيل من نفس واحدة هو قصي بن كلاب وزوجته وجعلا له شركا اي سموا اولادهما عبد العزي وعبد الدار وعبد مناف وهذا القول بعيد لوجهين احدهما ان الخطاب علي هذا خاص بذرية قصي من قريش والظاهر ان الخطاب عام لبني ادم والاخر ان قوله وجعل منها زوجها فان هذا يصح في حوا لانها خلقت من ضلع ادم ولا يصح في زوجة قصي **ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون** هذه الاية رد علي المشركين من بني ادم والمراد بقوله ما لا يخلق شيا الاصنام وغيرها مما عبد من دون الله والمعني انها مخلوقة غير خالقة والله تعالي خالق غير مخلوق فهو اله واحد **ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون** يعني ان الاصنام لا ينصرون من عبدهم ولا ينصرون انفسهم فهم في غاية العجز والذلة فكيف يكونون الهة **وان تدعوهم الي الهدي لا يتبعوكم** يعني ان الاصنام لا تجيب اذا دعيت الي ان تهدي او الي ان تهدي لانها جمادات **سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** تاكيد وبيان لما قبلها فان قيل لم قال ام انتم صامتون فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال او صمتم فالجواب ان صمتهم عن دعا الاصنام كانت حالة مستمرة فعبر هنا بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار علي ذلك **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم** رد علي المشركين بان الهتهم عباد فكيف يعبد العبد مع ربه **فادعوهم فليستجيبوا** امر علي جهة التعجيز **الهم ارجل يمشون بها** وما بعده معناه ان الاصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة

ومن كان كذلك لا يكون الها فان من وصف الاله الادراك والحياة
والقدرة وانما جا هذا البرهان لوصف الاستفهام لان المشركين
معترفون ان اصنامهم لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع فلزمتهم
الحجة والهمزة في قوله الهم للاستفهام مع التوبيخ وام في المواضع
الثلاثة تضمنت معني الهمزة ومعني بل وليست عاطفة قل
ادعوا شركاكم ثم كيدوني فلا تنظرون المعني استنجدوا اصنامكم
لمضرتي والكيد علي ولا تؤخروني فانكم واصنامكم لا تقدرون
علي مضرتي ومقصد الاية الرد عليهم ببيان عجزهم اصنامهم
وعدم قدرتها علي المضرة وفيها اشارة الي التوكل علي الله
والاعتصام به وحده وان غيره لا يقدر علي شي ثم افصح
بذلك في قوله ان وليي الله الاية فهو حافظي وناصري منكم
فلا تنصروني ولو حرصتم انتم والهتكم علي مضرتي ثم وصف الله بانه
الذي نزل الكتاب وبانه يتولي الصالحين وفي هذين الوصفين
استدلال علي صدق النبي صلي الله عليه وسلم بانزال الكتاب
عليه وبان الله تولي حفظه ومن تولي حفظه فهو من الصالحين
والصالح لابد ان يكون صادقا في قوله لا سيما فيما يقوله عن الله
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم الاية رد علي
المشركين وقد تقدم معناه وان تدعوهم الي الهدي لا يسمعوا
يحتمل ان يريد الاصنام فيكون تحقيرا لها ورد علي من عبدها
فانها جمادات لا تسمع شيا فيكون المعني كالتي تقدم
او يريد الكفار بانهم لا يسمعون يعني سماعا ينتفعون به
لافراط نفورهم او لان الله طبع علي قلوبهم وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون ان كان هذا من وصف الاصنام فقوله
ينظرون مجاز وقوله لا يبصرون حقيقة لان لهم صورة الاعين
وهم لا يرون بها شيا وان كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة

ووصفهم

ولا

ولا يبصرون مجاز علي وجه المبالغة كما وصفهم بانهم لا يسمعون
خذ العفو فيه قولان احدهما ان المعني خذ من الناس في اخلاقهم
واقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم لئلا ينفروا
فالعفو علي هذا بمعني السهل والسمح عندهم وهو ضد الجهد
والتكليف كقول الشاعر
خذ العفو مني تستديم مودتي • والاخر ان المعني خذ في الصدقات
ما سهل علي الناس في اموالهم او ما فضل لهم وذلك قبل
فرض الزكاة فالعفو علي هذا بمعني السهل او بمعني الكثرة
وامر بالعرف اي بالمعروف وهو افعال الخير وقيل الجاري
بين الناس من العوايد واحتج المالكية بذلك علي الحكم بالعوايد
واعرض عن الجاهلين اي لا تكافي السفها بمثل قولهم او فعلهم
واحلم عنهم ولما نزلت هذه الاية سال رسول الله صلي الله
عليه وسلم جبريل عنها فقال لا ادري حتي اسال فرجع
فقال يا محمد ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عن من ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه
صلي الله عليه وسلم فيها بمكارم الاخلاق وهي علي هذا ثابتة
الحكم وهو الصحيح وقيل كانت مدارات للكفار ثم نسخت بالقتال
واما ينزغنك من الشيطان نزغ نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك
في الحق والامر بالمعاصي او تحريك الغضب فامر الله بالاستعاذة
منه عند ذلك كما ورد في الحديث ان رجلا اشتد غضبه فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب
عنه ما به اعوذ بالله من الشيطان الرجيم طيف من الشيطان
معناه لمة منه كما جاء ان للشيطان لمة وللملك لمة ومن قرا طايف
بالالف فهو اسم فاعل ومن قرا طيف بيا ساكنة فهو مصدر او تخفيف
من الطيف المشدد كميت وميت تذكروا حذف مفعوله ليعم كلما

تتذكر من خوف عقاب الله او رجا ثوابه او مراقبته والحيا منه او عداوة
الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك **فاذا هم**
مبصرون هو من بصيرة القلب **واخوانهم يمدونهم في الغي** الضمير في
اخوانهم للشياطين واريد بقوله طايف من الشيطان الجنس
ولذلك اعيد عليه ضمير الجماعة واخوانهم هم الكفار ومعنى يمدونهم
يكونون مددا لهم اي يعضدونهم وضمير المفعول في يمدونهم
للكفار وضمير الفاعل للشيطان ويحتمل ان يريد بالاخوان الشياطين
ويكون الضمير في اخوانهم للكفار والمعنى على الوجهين ان الكفار
يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم اليا وفتحها والمعنى واحد
وفي الغي يتعلق بيمدونهم وقيل يتعلق باخوانهم كما تقول
اخوه في الله او في الشيطان **ثم لا يقصرون** اي لا يقصر الشياطين
عن امداد اخوانهم الكفار ولا يقصر الكفار عن غيهم وفي الاية
من ادوات البيان لزوم ما يلزمهم بالتزام الصاد وقيل المراد
في مبصرون ولا يقصرون **واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها**
الضمير في تاتهم للكفار ولولا هنا عرض وفي معنا اجتبيتها
قولان احدهما اخترعتها من قبل نفسك فالاية على هذا من
القران وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتاخر عنه الوحي
احيانا فيقول الكفار هلا جيت بالقران من قولك والاخر
معناه طلبتها تخيرتها من الله وتخيرتها عليه فالاية على
هذا معجزة اي يقولون اطلب المعجزة من الله **قل انما اتبع ما يوحى**
الي من ربي معناه لا اخترع القران على القول الاول ولا اطلب
اية من الله على القول الثاني **هذا بصاير** اي علامات هدى
والاشارة الى القران **واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا**
فيه ثلاثة اقوال احدها ان الانصات المامور به هو لقراة الامام
في الصلاة والثاني انه الانصات للخطبة والثالث انه الانصات

لقراة

لقراة القران على الاطلاق وهو الراجح لوجهين احدهما ان اللفظ عام
ولا دليل على تخصيصه والثاني ان الاية مكية والخطبة انما
شرعت بالمدينة **لعلكم ترحمون** قال بعضهم الرحمة اقرب
شي الى مستمع القران لهذه الاية **واذكر ربك في نفسك**
يحتمل ان يريد الذكر بالقلب دون اللسان او الذكر باللسان سرا
فعلى الاول يكون قوله ودون الجهر من القول عطف مغايرا
او حالة اخرى وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للاول **بالغدو**
والاصال اي في الصباح والعشي والاصال جمع اصيل قيل المراد
صلاة الصبح والعصر وقيل صلاة المسلمين قبل فرض الخمس
والا ظهر الاطلاق **ان الذين عند ربك** هم الملايكة عليهم السلام
وفي ذكرهم تحريض للمومنين وتعريض للكفار **وله يسجدون**
قدم المجرور لمعنى الحصر اي لا يسجدون الا لله والله اعلم

سورة الانفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنايمها **يسالونك عن الانفال**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسايلون هم الصحابة
والانفال هي الغنايم وذلك انهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق فرقة مع
النبي صلى الله عليه وسلم في العريش تحرسه وفرقة اتبعوا
المشركين فقتلوهم واسروهم وفرقة احاطوا باسلاب العدو
وعسكرهم لما انهزموا فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رات كل
فرقة انها احق بالغنيمة من غيرها واختلفوا فيما بينهم فنزلت
الاية ومعناها يسالونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها وقيل
الانفال هنا ما ينفله الامام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة
على حظه وقد اختلف الفقها هل يكون ذلك التنفيل من الخمس
وهو قول مالك او من الاربعة الاخماس او من راس الغنيمة قبل
اخراج الخمس **قل الانفال لله والرسول** اي الحكم فيهما لله والرسول

اي اتقوا وابتلعوا ولا تنازعوا وذات هنا
بالكم **واصلحوا ذات بينكم** وقال الزمخشري يراد بها في هذا
بمعني الاحوال قاله الزمخشري وقال الزبيدي اذا اطلاق الذات على
الموضع نفس الشي وحقيقته وقال الزبيدي اذا اطلاق الذات على
نفس الشي وحقيقته ليس من كلام العرب **واطيعوا الله ورسوله**
يريد في الحكم في الغنايم قال عبادة بن الصامت نزلت فينا اصحاب
بدر حين اختلفنا وساءت اخلاقنا فنزع الله الانفال من ايدينا
وجعلها لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقسمها علي السوا
فكان في ذلك تقوي الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين
انما المومنون الاية اي الكاملون الايمان فانما هنا للتاكيد والمبالغة
والحصر **وجلت قلوبهم** اي خافت وقرا ابي بن كعب فزعت
زادتهم ايمانا اي قوي تصديقهم وايمانهم خلافا لمن قال ان الايمان
لا يزيد ولا ينقص وان زيادته انما هي بالعمل **لهم درجات** يعني في
الجنة **كما اخرجك ربك** فيه ثلاث تاويلات احدها ان يكون
الكاف في موضع رفع علي انه خبر مبتدا محذوف وتقديره هذه
الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة تنفيل الغنايم كحالهم
في كراهة خروجك للحرب والثاني ان يكون موضع الكاف نصبا
علي انه صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول
اي استقرت الانفال لله والرسول استقرارا مثل استقرار خروجك
والثالث ان تتعلق الكاف بقوله يجادلونك **من بيتك** يعني
مسكنه بالمدينه اذا اخرجه الله لغزوة بدر لغزوة بدر
وان فريقا من المومنين لكارهون اي كرهوا قتال العدو وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها اموال عظيمه ومعها اربعون
راكبا فاخبر بذلك جبريل النبي صلي الله عليه وسلم فاخبرهم
بالمسلمين فسمع بذلك اهل مكة فاجتمعوا فخرجوا في عدد كثير
ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله قد وعدكم احدي

الطايفتين

الطايفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلي الله عليه
وسلم اصحابه فقالوا العير احب الينا من لقاء العدو فقال ان
العير قد مضت علي ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقال
له سعد بن عبادة امض لما شيت فانا متبعوك وقال سعد بن
معاذ والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر
بنا علي بركة الله **يجادلونك في الحق بعد ما تبين** كان جدالهم في لقاء
قريش بايثارهم لقا العير اذ كانت اكثر اموالا واقل رجالا وتبيين
الحق هو اعلام النبي صلي الله عليه وسلم بانهم ينصرون **كانما
يساقون الي الموت** تشبيه لحالهم في افراط جزعهم من لقا قريش
واذ يعدكم الله احدي الطايفتين يعني قريشا او عيرهم والعامل
في اذ محذوف تقديره اذكروا **انها لكم** بدل من احدي الطايفتين
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة عبارة عن السلاح
سميت بذلك لحدتها والمعني تحبون ان تلقوا الطايفة التي لا سلاح
لها وهي العير **ان يحق الحق** يعني يظهر الاسلام من قتل الكفار واهلكهم
يوم بدر **ليحق الحق** متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل
الباطل فعل ذلك وليس تكرارا للاول لان الاول مفعول يريد
وهذا تعليل لفعل الله تعالي ويحتمل ان يريد بالحق الاول الوعد بالنصرة
وبالحق الثاني الاسلام فيكون المعني ان نصرهم ليظهر الاسلام
ويويد هذا قوله ويبطل الباطل اي يبطل الكفر **اذ تستغيثون
ربكم** اذ بدل من اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق او بفعل
مضمر واستغاثتهم دعاوهم بالقوة والنصر **ممدكم** اي مكثركم
مردفين من قولك ردفه اذا تبعه واردفته اياه اذا اتبعته والمعني
يتبع بعضهم بعضا فمن قراه بفتح الدال فهو اسم مفعول ومن قراه
بالكسر فهو اسم فاعل وصح معني القراتين لان الملايكة المنزلين
تبع بعضهم بعضا فمنهم تابعون ومتبوعون **وما جعله الله** الضمير

اذ يغشاكم النعاس اذ بدل بالملايكة
عايد علي الوعد او علي الامداد بالملايكة اي منصوب بالنصرا وبما في عند الله
من اذ يعدكم بضم اليا والتخفيف اي منصوب بالنصرا وبما في عند الله
من معني النصرا وباضمار فعل تقديره اذكروا ومن قرا يغشاكم بضم
اليا والتخفيف فهو من اغشي ومن قرا بالضم والتشديد فهو من
غشي المشدد وكلاهما يتعدي الي مفعولين فينصب النعاس علي
انه المفعول الثاني والمعني يغطيكم به فهو استعارة من الغشا ومن
قرا بفتح اليا والشين فهو من غشي المتعدي الي واحد اي ينزل عليكم
النعاس امنة منه اي امنا والضمير المجرور يعود علي الله تعالي
وانتصاب امنه علي انه مفعول من اجله قال ابن مسعود
النعاس عند حضور القتال علامة امن من العدو وينزل
عليكم من السما ما تعد دلنعمة اخري وذلك انهم عدموا الما
في غزوة بدر قبل وصولهم الي بدر وقيل بعد وصولهم
الي بدر فانزل الله لهم المطر حتي سالت الاودية ليطهركم
به كان منهم من اصابته جنابة فتطهر بما المطر وتوضا
به سايرهم وكانوا قبله ليس عندهم ما للطهر ولا للوضوء
ويذهب عنكم رجز الشيطان كان الشيطان قد القي في نفوس
بعضهم وسوسة بسبب عدمهم الما فقالوا نحن اوليا الله وفينا
رسوله فكيف نبقي بلا ما فانزل الله المطر وازال عنهم
وسوسة الشيطان وليربط علي قلوبكم اي يثبتها
بزوال ما وسوس لها الشيطان وينشطها وازالة الكسل عنها
ويثبت به الاقدام الضمير في به عايد علي الما وذلك انهم كانوا في
رملة دهسة لا يثبت فيها قدم فلما نزل المطر تلبدت وتدمت الطريق
وسهل المشي عليها والوقوف وروي ان ذلك المطر بعينه صعب
الطريق علي المشركين فتبين ان ذلك من لطف الله اذ يوحي
يحتمل ان يكون من خطاب الله للملايكة بدلا من اذا المتقدمة

كما

كما انها بدل من التي قبلها او يكون العامل فيه يثبت فثبتوا الذين امنوا
يحتمل ان يكون هذا التثبيت بقتال الملايكة مع المومنين او باقوال
موسنة مقوية للقلب اذ تصوروا في صور بني ادم او بالقا في نفوس قالوها
المومنين سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب يحتمل ان يكون من
خطاب الله للملايكة او للمومنين ومعني فوق الاعناق اعالي الاعناق
حيث المفصل بين الراس والعنق لانه مذبح والضرب فيها يطير
الراس وقيل المراد الروس لانها فوق الاعناق وقيل المراد الاعناق
وفوق زايده كل بنان قيل هو المفاصل وقيل الاصابع وهو
الاشهر في اللغة وفايدة ذلك ان المقاتل اذا ضربت اصابعه
تعطل عن القتال فامن اسره وقتله ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله الاشارة الي ما اصاب الكفار يوم بدر والبا للتعليل
وشاقوا من الشقاق وهو العداوه والمقاطعه ذلكم فذوقوه
الخطاب هنا للكفار وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب او العذاب
ويحتمل ان يكون منصوبا بقوله فذوقوه كقولك زيدا فاضربه
وان للكافرين عطف علي ذلكم علي تقدير رفعه او نصبه
او مفعول معه والواو بمعني مع زحفا حال من الذين كفروا
او من الفاعل في لقيتم ومعناه متقابلي الصفوف والاشخاص
واصل الزحف الاندفاع فلا تولوهم الادبار نهي عن الفرار معتيد
بان يكون الكفار اكثر من مثلي المسلمين حسبما يذكر في موضعه
ومن يولهم يوميذ اي يوم اللقا في اي عصر كان الا متحرفا لقتال
هو الكر بعد الفر ليري عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وذلك
من الخداع في الحرب او متحيزا الي فية اي منحازا الي جماعة من
المسلمين فان كانت الجماعة حاضرة في الحرب فالتحيز اليها جايز
باتفاق واختلف في التحيز الي المدينة والامام والجماعة اذا لم
يكن شي من ذلك كاضرا ويروي عن عمر بن الخطاب انه قال

والفرار من الذنوب الكباير وانتصب
اماقتة لكل مسلم وهذا اباحة لذلك
قوله متحرفا علي الاستثنا من يولهم وقال الزمخشري انتصب علي
الحال والالغوا وزن متحيزا متفيعل ولو كان علي متفعل لقال متحوز
لانه من حاز يحوز فلم تقتلوهم اي لم يكن قتلهم في قدرتكم لانهم اكثر
منكم واقوي ولكن الله قتلهم بتاييدكم عليهم وبالملايكة وما رميت
اذ رميت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اخذ قبضة من
تراب او حصي ورمي بها في وجوه الكفار فانهزموا فمعني ذلك الاية
ان ذلك من الله في الحقيقة بلا حسنا يعني الاجر والنصر والغنيمة
موهن من الوهن وهو الضعف وقري بالتشديد والتخفيف وهو
بمعني واحد ان تستفتحوا الاية خطاب لكفار قريش وذلك انهم
كانوا قد دعوا الله ان ينصر احب الطايفتين اليه وروي ان الذي
دعي بذلك ابو جهل فنصر الله المومنين وفتح لهم ومعني تستفتحوا
تطلبوا الفتح ويحتمل الفتح الذي طلبوه ان يكون بمعني النصر او
بمعني الحكم وقيل ان الخطاب للمومنين فقد جاكم الفتح ان كان
الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعني الحكم اي قد جاكم الحكم الذي حكم
الله عليكم بالهزيمة والقتل والاسر وان كان الخطاب للمومنين
فالفتح يحتمل ان يكون هنا بمعني الحكم لان الله حكم لهم او بمعني النصر
وان تنتهوا اي ترجعوا عن الكفر وهذا يدل علي ان الخطاب للكفار
وان تعودوا نعد اي ان تعودوا الي الاستفتاح او القتال نعد لقتالكم
او النصر عليكم ولا تولوا عنه الضمير لرسول الله صلي الله عليه
وسلم او للامر بالطاعة وانتم تسمعون اي تسمعون القران والمواعظ
ان شر الدواب اي كل من يدب والمقصود ان الكفار شر قال ابن
قتيبة نزلت هذه الاية في بني عبد الدار فانهم جدوا في القتال
مع المشركين لما يحييكم اي الطاعة وقيل الجهاد لانه يحيي بالنصر
يحول بين المرء وقلبه قيل بنيته وقيل يصرف قلبه كيف يشاء

فينقله

فينقله من الايمان الي الكفر ومن الكفر الي الايمان وشبه ذلك
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تصيب الظالمين
وحدهم بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم وان كان
لم يظلم وحكي الطبري انما نزلت في علي بن ابي طالب وعمار بن ياسر
وطلحة والزبير وان الفتنة ما جري لهم يوم الجمل ودخلت النون
في لتصيبن لانه بمعني النهي اذ انتم قليل الاية اي حين
كانوا بمكة واواكم بالمدينة وايدكم بنصره في بدر وغيرها
لا تخونوا الله نزلت في قصة ابي لبابة حين اشار الي بني
قريظة ان ليس عند رسول الله صلي الله عليه وسلم الا الذبح
وقيل المعني لا تخونوا بغلول الغنايم ولفظها عام وتخونوا اماناتكم
عطف علي لا تخونوا او منصوب يجعل لكم فرقانا اي تفرقة بين
الحق والباطل وذلك دليل علي ان التقوي تنور القلب وتشرح
الصدر وتزيد في العلم والمعرفة واذ يمكر بك الذين كفروا عطف
علي اذ انتم قليل او استيناف وهي اشارة الي اجتماع قريش بدار
الندوة بحضر ابليس في صورة شيخ نجدي الحديث بطوله
ليثبتوك اي ليسجنوك قالوا قد سمعنا قيل نزلت في النضر
ابن الحارث قيل كان قد تعلم من اخبار فارس والروم فاذا سمعوا
القران وفيه اخبار الانبيا قالوا لو نشا لقلنا مثل هذا وقيل
هي ساير قريش لما كذبوا النبي صلي الله عليه وسلم دعوا
علي انفسهم اساطير الاولين اي اخبارهم المسطوره واذ قالوا
اللهم الاية قالها النضر بن الحارث او ساير قريش لما كذبوا النبي
صلي الله عليه وسلم دعوا علي انفسهم ان كان امره هو الحق
والصحيح ان الذي دعا بذلك ابو جهل رواه البخاري ومسلم
في كتابيهما وانتصب الحق لانه خبر كان وقال الزمخشري
معنا كلامهم جحود اي ان كان هذا هو الحق فعاقبنا علي انكارنا

ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا وليس مرادهم الدعا على انفسهم
انما مرادهم نفي العقوبة عن انفسهم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
اي لو امنوا واستغفروا فان الاستغفار امان من العذاب قال بعض
السلف كان لنا امانان من العذاب النبي صلى الله عليه وسلم
والاستغفار فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الامان
الواحد وبقي الاخر وقيل الضمير في يعذبهم للكفار وفي وهم
يستغفرون للمومنين الذين كانوا بين اظهرهم وما كانوا اولياءه
الضمير للمسجد الحرام او لله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا
مكا وتصدية المكا التصفير بالفم والتصدية التصفيق باليد
كانوا يفعلونهما اذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم ينفقون
اموالهم نزلت في انفاق قريش في غزوة احد وقيل انما نزلت
في ابي سفيان بن حرب فانه استاجر العير من الاحابيش يقاتل
بهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد تكون عليهم حسرة
اي يتاسفون على انفاقها من غير فايدة او يتاسفون في الاخرة
ثم يغلبون احيا وبالغيب ليميز الله الخبيث من الطيب معنى يميز
يفرق الخبيث في الطيب والخبيث هنا الكفار والطيب المومنون بين
وقيل الخبيث ما انفقه الكفار والطيب ما انفقه المومنون واللام
في ليميز على هذا تتعلق بيغلبون وعلى الاول بيحشرون
فيركمه اي يضمه ويجعل بعضه فوق بعض ان ينتهوا يعني
عن الكفر الى الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولا تصح المغفرة
الا به وان يعودوا يعني الى القتال فقد مضت سنة الاولين
تهديد بما جرى لهم يوم بدر وبما جرى للامم السالفة لا تكون فتنة
الفتنة هنا الكفر فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر وهو كقوله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله

الا

الا الله واعلموا انما غنمتم من شي لفظه عام يراد به المخصوص لان الاموال
التي توخذ من الكفار منها ما يخمس وهو ما اخذ على وجه الغلبة
بعد القتال ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن اخذه وهو ما اخذه
من كان ببلاد الحرب من غير ايجاف وما طرحه العدو خوف الغرق
ومنها ما يكون جميعه للامام ياخذ منه حاجته ويصرف سايره
في مصالح المسلمين وهو الفي الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب
فان لله خمسه الاية اختلف في قسم الخمس على هذه الاصناف
فقال قوم يصرف على ستة اسهم سهم لله في عمارة الكعبة وسهم
للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين وقيل للوالي
بعده وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة وسهم لليتامى
وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال الشافعي على خمسة
اسهم ولا يجعل لله سهما مختصا وانما بدا عنده بالله لان الكل ملكه
وقال ابو حنيفة على ثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل
وقال مالك الخمس الى اجتهاد الامام ياخذ منه كفايته ويصرف
الباقي في المصالح ان كنتم امنتم بالله راجع الى ما تقدم والمعنى
ان كنتم مومنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس واعملوا
بحساب ذلك ولا تخالفوه وما انزلنا على عبدنا يعني النبي صلى الله عليه
وسلم والذي انزل عليه القران والنصر يوم الفرقان اي التفرقة
بين الحق والباطل التقى الجمعان يعني المسلمين والكفار اذ انتم بالعدوة الدنيا
العامل في اذ التقى والعدوة شفير الوادي وقرئ بالضم والكسر وهما
لغتان والدنيا القريبة من المدينة والقصوى البعيدة والركب
اسفل منكم يعني العير التي كان فيها ابو سفيان وكان قد نكب عن
الطريق خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم وكان جمع قريش
المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد اي لو تواعدتم مع قريش لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق

اي موت من مات ببدر ليهلك من هلك عن بينة
بتبيين الله ولطفه ليهلك من هلك عن بينة ويعيش من عاش بعد البيان له وقيل ليهلك
عن اعذار واقامة حجة ويعيش من عاش بعد البيان له وقيل ليهلك
ليكفر ويحيي يؤمن وقري من حيي بالاظهار والادغام وهما لغتان
اذ يريكهم الله الاية كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد راي
الكفار في نومه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقويت انفسهم
لفشلتم جبنتم من القتال واذ يريكموهم الاية معناها ان الله اظهر
كل طايفة قليلة في عين الاخري ليقع التجاسر علي القتال وتذهب ريحكم
اي قوتكم ونشاطتكم وذلك استعارة ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم يعني كفار قريش حين خرجوا لبدر بطرا اي عتوا وتكبرا
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية لما خرجت قريش الي بدر تصور
لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك فقال لهم اني لكم جار لكم
من قومي وكانوا قد خافوا من قومه وواعدهم النصر نكص
اي رجع الي ورا اني اري ما لا ترون راي الملايكة تقاتل يقول المنافقون
الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش
منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة
والحارث بن زمعة بن الاسود وعلي بن امية بن خلف والعاصي
ابن منبه بن الحجاج وكانوا قد اسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم
بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة غر هولا دينهم اي اغتر المسلمون
بدينهم فادخلوا انفسهم فيما لا طاقة لهم به ولو تري اذ يتوفي الذين
كفروا الملايكة ذلك فيمن قتل يوم بدر وادبارهم اي استاههم
وقيل ظهورهم وذوقوا هذا من قول الملايكة لهم تقديره ويقولون
لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف علي يضربون ويحتمل
ان يكون ما بعده من قول الملايكة او مستانفا يكون ذلك بان الله
تقديره عند سيبويه الامر ذلك والباء سببيه والمعني ان الله لا يغير
نعمة علي عبيده حتي يغيروا هم بالكفر والمعاصي كداب ذكر

في

في ال عمران الذين عاهدت منهم يريد بني قريظة فشرد بهم من خلفهم
اي افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم واما تخافن من قوم خيانة
اي نقضا للعهد فانبذ اليهم اي رد العهد الذي بينك وبينهم
والمفعول محذوف تقديره فانبذ لهم عهدهم علي سوا اي علي
معدلة وقيل معناه ان تستوي معهم في العلم في نقض العهد
ولا تحسبن الذين كفروا اي لا تظن انهم فاتوا ونجوا بانفسهم انهم
لا يعجزون اي لا يفوتون في الدنيا ولا في الاخرة واعدوا لهم الضمير
الذين ينبذ لهم العهد وللذين لا يجدون وحكمه عام في جميع الكفار
من قوة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي
ومن رباط الخيل الزمخشري الرباط اسم الخيل التي تربط في سبيل الله
ابن عطية رباط الخيل جمع ربط او مصدر عدو الله وعدوكم
يعني الكفار واخرين يعني المنافقين وقيل بني قريظة وقيل الجن
لانها تنفر من صهيل الخيل وقيل فارس والاول ارجح لقوله
مردوا علي النفاق لا تعلمونهم الله يعلمهم قال السهيلي لا ينبغي
ان يقال فيهم شي لان الله تعالي قال لا تعلمونهم فكيف يعلمهم احد
وهذا لا يلزم لان معني قوله لا تعلمونهم لا تعرفونهم اي لا تعرفون
احادهم وقد يعرف صنفهم بين الناس الا تري انه قال مثل ذلك
في المنافقين وان جنحوا للسلم فاجنح لها السلم هنا المعاهدة
والاية منسوخة باية القتال في براة لان مهادنة الكفار لا تجوز
والف بين قلوبهم قيل المراد بين قلوب الاوس والخزرج اذ كانت
بينهم عداوة قد ذهبت بالاسلام واللفظ عام ومن اتبعك من
المومنين عطف علي اسم الله وقال الزمخشري مفعول معه والواو
بمعني مع اي حسبك وحسب من اتبعك الله ان يكن منكم عشرون
صابرون الاية اخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجوب ثبوت
الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين ذلك بانهم قوم

لايفقهون اي يقاتلون علي غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون ما كان
لنبي ان تكون له اسري لما اخذ الاساري يوم بدر اشار ابو بكر
بحيائهم واشار عمر بقتلهم فنزلت الاية عتابا علي استبقائهم
حتي يثخن في الارض اي يبالغ في القتال تريدون عرض الدنيا عتاب
لمن رغب في فدا الاساري لولا كتاب من الله سبق الكتاب ما قضاه
الله في الازل من العفو عنهم وقيل ما قضاه من تحليل الغنائم
لهم فيما اخذتم يريد به الاساري وفداوهم ولما نزلت الاية قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لو نزل عذاب ما نجا منه غير عمر
فكلوا مما غنمتم اباحة الغنايم ولفدا الاساري ان يعلم الله في
قلوبكم خيرا اي ان علم في قلوبكم ايمانا جبر عليكم ما اخذ منكم من
الفدية قال العباس في نزلت وكان افتدي يوما بيدر ثم اعطاه
رسول الله صلي الله عليه وسلم من المال مالم يقدر ان يحمله
فقال قد اعطاني الله خيرا مما اخذ مني وانا ارجوا ان يغفر لي
وان يريدوا خيانتك تهديد لهم ان الذين امنوا الي اخر السوره
مقصدها بيان منازل المهاجرين والانصار والذين امنوا ولم
يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية فبدا اولا بالمهاجرين
ثم ذكر الانصار وهم الذين اووا ونصروا واثبت الولاية
بينهم وهي ولاية تعاون وتناصر وقيل هي ولاية الميراث ثم
نسخت بقوله واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض وان استنصروكم
لما نفي الولاية بين المومنين الذين هاجروا وبين المومنين الذين
لم يهاجروا امر بنصرهم ان استنصروا ابا المومنين الا اذا استنصروا
علي قوم بينهم وبين المومنين عهد فلا ينصرونهم عليهم الا
تفعلوه تكن فتنة الا هنا مركبة من ان الشرطية ولا النافيه
والضمير في الا تفعلوه لولاية المومنين ومعاونتهم او لحفظ الميثاق
الذي في قوله الا علي قوم بينكم وبينهم ميثاق او النصر في قوله

فعليكم

(١٥

فعليكم النصر والمعني ان لم تفعلوا ذلك تكن فتنة والذين امنوا وهاجروا
الاية ثناء علي المهاجرين والانصار ووعد لهم والرزق الكريم الجنة
والذين امنوا من بعد يعني الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان
واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض قيل هي ناسخة للتوارث بين
المهاجرين والانصار وقال مالك ليست في الميراث وقال ابو حنيفة
هي في الميراث واوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي
الارحام في كتاب الله قيل في القران وقيل في اللوح المحفوظ

سورة براة

وتسمي سورة التوبة وتسمي ايضا الفاضحة لانها كشفت اسرار
المنافقين واتفقت المصاحف والقراء علي اسقاط البسملة من اولها
واختلف في سبب ذلك فقال عثمان بن عفان اشبهت معانيها معاني
الانفال وكانت تدعي القرينتين في زمان رسول الله صلي الله
عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما ووضعتهما في السبع الطوال
وكانت الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان او سورة واحدة
فتركت البسملة بينهما لذلك وقال علي بن ابي طالب البسملة امان
وبراة نزلت بالسيف فلذلك لم تبدا بالامان براة من الله ورسوله
المراد بالبراة التبري من المشركين وارتفاع براة علي انه خبر ابتدا
او مبتدا الي الذين عاهدتم من المشركين تقدير الكلام براة واصلة
من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فمن والي يتعلقان
بمحذوف لا ببراة وانما اسند العهد الي المسلمين في قوله عاهدتم
لان فعل النبي صلي الله عليه وسلم لازم للمسلمين ولانهم هم الذين
عاهدوا المشركين وكان النبي صلي الله عليه وسلم قد عاهد المشركين
الي اجال محدودة فمنهم من وفي فامر الله ان يتم عهده الي مدته ومنهم
من نقض او قارب النقض فجعل له اربعة اشهر وبعدها لا يكون له
عهد فسيحوا في الارض اي سيروا امنين اربعة اشهر وهي الاجل

التي جعلها لهم واختلف في وقتها فقيل هي شوال وذو القعده وذوا
الحجة والمحرم لان السورة نزلت حينيذ وذلك عام تسعة وقيل هي
من عشر الاضحي الي تمام العشر الاول من ربيع الاخير لانهم انما علموا
بذلك حينيذ وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث
تلك السنة ابا بكر الصديق ثم بعث بعده علي بن ابي طالب فقرا علي
الناس سورة براة يوم عرفة وقيل يوم النحر غير معجز الله اي
لا تفوتونه واذان اي اعلام بتبري الله ورسوله من المشركين
الي الناس جعل البراة مختصة بالمعاهدين من المشركين وجعل الاعلام
ببراة عاما لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد والمشركين وغيرهم
الحج الاكبر هو يوم عرفة او يوم النحر وقيل ايام الموسم كلها كما
وعبر عنها بيوم صفين والجمل وكانت اياما كثيرة ان الله بري
تقديره اذان بان الله بري وحذفت البا تخفيفا وقري ان الله بري
بالكسر لان الاذان في معني القول ورسوله ارتفع بالعطف علي
الضمير في بري او علي العطف علي موضع اسم ان او بالابتدا وخبره
محذوف وقري بالنصب عطفا علي اسم ان واما الخفض فلا يجوز
فيه العطف علي المشركين لانه معني فاسد ويجوز علي الجوار او
القسم وهو مع ذلك بعيد والقراة به شاذة فان تبتم يعني التوبة
من الكفر الا الذين عاهدتم يريد به الذين لم ينقضوا فاذا انسلخ الاشهر
الحرم يعني الاشهر الاربعة التي جعلت لهم فمن قال انها شوال وذو
القعده وذو الحجه والمحرم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال
ونقص رجب وسميت حرما تغليبا للاكثر ومن قال انها الي ربيع
الثاني فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينيذ فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم ناسخة لكل موادعة وقيل انها
نسخت ايضا فاما منا بعد واما فدا وقيل بل نسختها هي
فيجوز المن والفدا وخذوهم معناه الاسر والاخذ هو الاسر

كل

كل مرصد كل طريق ونصبه علي الظرفية فان تابوا يريد من الكفر
ثم قرن بالايمان الصلاة والزكاة فذلك دليل علي قتال تارك الصلاة
والزكاة كما فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه والاية في معني قوله
صلي الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا
الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فخلوا سبيلهم تامين لهم وان
احد من المشركين استجارك هو من الجوار اي استامنك فامنه
حتي يسمع القران ليري هل يسلم ام لا ثم ابلغه مامنه اي ان لم يسلم
فرده الي موضعه وهذا الحكم ثابت عند قوم وقال قوم نسخ
بالقتال وقيل بقي مدة الاشهر الاربعة كيف يكون للمشركين
عهد لفظه استفهام ومعناه انكار واستبعاد الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام قيل المراد قريش وقيل قبايل بني بكر
فما استقاموا ما ظرفية كيف تاكيد للاولي وحذف الفعل بعدها للعلم
به تقديره كيف يكون لهم عهد لا يرقبوا اي لا يراعوا الا ولا ذمة
الال القرابة وقيل الحلف والذمة العهد واكثرهم فاسقون استثني
من قضي له بالايمان ايمة الكفر اي روسا اهله قيل انهم ابو جهل
لعنه الله وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وابو سفيان بن حرب
وسهل بن عمرو وحكي ذلك الطبري وهو ضعيف لان اكثرهم لا
كان قد مات قبل نزول هذه السورة والاحسن انها علي العموم
لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم يوفون بها وقري بكسر الهمزة لعلهم
ينتهون يتعلق بقاتلوا وهموا باخراج الرسول قيل يعني اخراجه
من المدينة حين قاتلوا بالخندق واحد وقيل يعني اخراجه من
مكة اذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه وهم
بدوكم اول مرة يعني اذايتهم للنبي صلي الله عليه وسلم والمسلمين
بمكة يعذبهم الله بايديكم يريد بالقتل والاسر وفي ذلك وعد
للمسلمين بالظفر قوم مومنين قيل انهم خزاعة والاطلاق احسن

ويتوب الله استيناف اخبار بان الله يتوب علي بعض هولا الكفار
فيسلم **ام حسبتم** الاية معناها ان الله لايتركهم دون تمحيص ليظهر
فيه الطيب من الخبيث وام هذا بمعني بل والهمزه ويعلم الله اي
يعلم ذلك موجودا اليقوم به الحجة **وليجة** اي بطانة **ما كان للمشركين
ان يعمروا مسجد الله** اي ليس لهم ذلك بالحق والواجب وان كانوا
قد عمروها تغلبا وظلما ومن قرا مساجد بالجمع اراد جميع المساجد
ومن قرا بالتوحيد اراد المسجد الحرام **شاهدين علي انفسهم
بالكفر** اي ان احوالهم وافعالهم تقتضي الاقرار بالكفر وقيل الاشارة
الي قولهم في التلبية لاشريك لك الا شريك هو لك **اجعلتم سقاية
الحاج** الاية سببها ان قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وبعمارة
المسجد الحرام فبين الله ان الجهاد افضل من ذلك ونزلت الاية
في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة
افتخروا وقال طلحة انا صاحب البيت وعندي مفاتحه وقال
العباس انا صاحب السقاية وقال علي لقد اسلمت قبل الناس
وجاهدت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم **لا تتخذوا اباكم**
الاية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة ولفظها عام وكذلك حكمها
فتربصوا وعيد لمن اثر اهله او ماله او مسكنه عن الهجرة
والجهاد **بامره** قيل يعني فتح مكة وقيل هو اشارة الي عذاب
او عقاب **ويوم حنين** عطف علي مواطن او منصوب بفعل مضمر
وهذا احسن لوجهين احدهما ان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم مختص
بحنين ولا يصح في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين
علي المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك والاخر ان المواطن
ظرف مكان ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف احدهما
علي الاخر الا ان يريد بالمواطن الاوقات وحنين اسم علم لموضع
عرف برجل اسمه حنين وانصرف لانه مذكر **اذ اعجبتكم كثرتكم**

كانوا

كانوا يومئذ اثنا عشر الفا فقال بعضهم لن نغلب اليوم من قلة فاراد الله
اظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي بقي
علي بغلته في نفر قليل ثم استنصر بالله واخذ قبضة من تراب فرمي
بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه ونادي باصحابه فرجعوا
اليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة في السير **بما رحبت**
اي ضاقت علي كثرة اتساعها وما هنا مصدرية **وانزل جنودا لم
تروها** يعني الملايكة **ثم يتوب الله** اشارة الي اسلام هوازن الذين
قاتلوا المسلمين بحنين **انما المشركون نجس** قيل ان نجاستهم بكفرهم وقيل
بالجنابة **فلا يقربوا المسجد الحرام** نص علي منع المشركين وهم عبدة
الاوثان من المسجد الحرام فاجمع العلماء علي ذلك وقاس مالك علي
المشركين جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم وقاس علي المسجد
الحرام ساير المساجد واباح دخول اهل الكتاب في المسجد الحرام
وغيره **بعد عامهم هذا** يريد عام تسعة من الهجرة حين حج ابو بكر
بالناس وقرا عليهم سورة براة **وان خفتم عيلة** اي فقرا كان المشركون
يجلبون الاطعمة الي مكة فخاف الناس قلة القوت حين منع المشركين
منها فوعدهم الله بان يغنيهم من فضله فاسلمت العرب كلها
وتمادي جلب الاطعمة الي مكة ثم فتح الله ساير الامصار **قاتلوا الذين
لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر** امر بقتال اهل الكتاب ونفي عنهم
الايمان بالله لقول اليهود عزير بن الله وقول النصاري المسيح بن الله
ونفي عنهم الايمان باليوم الاخر لان اعتقادهم فيه فاسد فانهم
لا يقولون بالمعاد الجسماني **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله**
لانهم يستحلون الميتة ولحم الخنزير وغير ذلك **ولا يدينون دين الحق**
اي لا يدخلون في الاسلام **من الذين اوتوا الكتاب** بيان للذين امر
بقتالهم وحين نزلت هذه الاية خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي غزوة تبوك لقتال النصاري **حتي يعطوا الجزية** اتفق العلماء علي

قبول الجزية من اليهودي والنصاري ويلحق بهم المجوسي لقوله صلي
الله عليه وسلم سنوابهم سنة اهل الكتاب واختلفوا في قبولها
من عبدة الاوثان ولاتوخذ من النسا والصبيان والمجانين وقدرها
عند مالك اربعة دنانير علي اهل الذهب واربعون درهما علي
اهل الورق ويوخذ ذلك من كل راس **عن يد** فيه تاويلان احدها
دفع الذمي لها بيده لايبعثها مع احد ولايمطل بها كقولك يد بيد
الثاني علي استسلام وانقيا دكقولك القي فلان بيده **وهم صاغرون**
اذلا **وقالت اليهود عزير ابن الله** قال ابن عباس ان هذه المقالة
قالها اربعة من اليهود وهم سلام بن مشكم ولعمان بن اوفي وشاس
ابن قيس ومالك بن الصيف وقيل لم يقلها الا فنحاص ونسب ذلك
الي جميعهم لانهم متبعون لمن قالها والظاهران جماعتهم قالوها
اذ لم ينكرها حين نسبت اليهم وكان سبب قولهم ذلك انهم فقدوا
التوراة فحفظها الله عزيرا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله
عزيرا التوراة الا انه ابنه وعزير مبتدا وابن الله خبره ومنع
عزير التنوين لانه اعجمي لاينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف
التنوين لالتقا الساكنين وهذا ضعيف واما من نونه فجعله عربيا
وقالت النصاري المسيح ابن الله قال ابو المعالي اطبقت النصاري
علي ان المسيح اله وابن اله وذلك كفر شنيع **بافواههم** يتضمن معنيين
احدها الزامهم هذه المقالة والتاكيد في ذلك والثاني انهم لاحجة
لهم في ذلك وانما هو مجرد دعوي كقولك لمن تكذبه هذا قول
بلسانك **يضاهون قول الذين كفروا من قبل** معني يضاهون
يشابهون فان كان الضمير لليهود والنصاري فالاشارة بقوله الذين
كفروا من قبل للمشركين من العرب اذ قالوا الملايكة بنات الله وهم
اول كافرا وللصابيين اولامم تقدمت وان كان الضمير للمعاصرين

للنبي

للنبي صلي الله عليه وسلم من اليهود والنصاري فالذين كفروا من قبل
هم اسلافهم المتقدمون **قاتلهم الله** دعا عليهم وقيل معناه لعنهم الله
اني يوفكون تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب **اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا** اي اطاعوهم كما يطاع الرب وان كانوا لم يعبدوهم
والمسيح معطوف علي الاحبار **وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا**
اي امرهم بذلك عيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم **يريدون
ان يطفيوا نور الله** اي يريدون ان يطفيوا نبوة محمد صلي الله
عليه وسلم وما جا به من عبادة الله وتوحيده **بافواههم**
اشارة الي اقوالهم كقولهم سحر وشعر وفيه ايضا اشارة الي
ضعف حيلتهم فيما ارادوا **ليظهره علي الدين** الضمير للرسول
صلي الله عليه وسلم او للدين واظهاره جعله اعلا الاديان
واقواها حتي عم المشارق والمغارب وقيل ذلك عند نزول
عيسي ابن مريم حتي لايبقي دين الا دين الاسلام **لياكلون اموال
الناس بالباطل** هي الرشا علي الاحكام وغير ذلك **والذين يكنزون
الذهب والفضة** ورد في الحديث ان كلما اديت زكاته فليس بكنز
وما لم تود زكاته فهو كنز وقال ابو ذر وجماعة من الزهاد
كلما فضل عن حاجة الانسان فهو كنز **ولاينفقونها** الضمير للاموال
والكنوز التي يتضمنها المعني وقيل هو الفضة واكتفي في ذلك عن
الذهب اذ الحكم فيهما واحد **يوم يحمي** العامل في الظرف اليم
او محذوف **عليها** الضمير يعود علي ما يعود عليه ضمير ينفقونها
اثني عشر شهرا هي الاشهر المعروفة اولها المحرم واخرها
ذو الحجة وكان الذي جعل المحرم اول شهر من العام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه **في كتاب الله** اي في اللوح المحفوظ وقيل في القران
والاول ارجح لقوله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم
ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم هو الدين المستقيم

دين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم
فلا تظلموا فيهن انفسكم الضمير في قوله فيهن للاشهر الحرم تعظيما
لامرها وتغليظا للذنوب فيهن وان كان الظلم ممنوعا في غيرها وقيل
الضمير للاثني عشر شهرا و[illegible] الزمان كله والاول اظهر واقتلوا
المشركين كافة اي قاتلوهم في الاشهر الحرم فهذا نسخ لتحريم
القتال فيها وكافة حال من الفاعل او المفعول انما النسيء
وهو تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك ان العرب كانوا اصحاب
حروب وغارات وكانت محرمة عليهم في الاشهر الحرم فيشق
عليهم تركها فيحلونها في شهر حرام ويحرمون شهرا اخر بدلا منه
وربما احلوا المحرم وحرموا صفر حتى يكملوا في العام اربعة اشهر
محرمة يحلونه عاما ويحرمونه عاما اي تارة يحلون وتارة
يحرمون ولم يرد العام حقيقة ليواطيوا عدة ما حرم الله اي
ليوافقوا عدة الاشهر الحرم وهي اربعة فيحلوا ما حرم الله يعني
احلا لهم القتال في الاشهر الحرم ما لكم اذا قيل لكم انفروا عتاب
لمن تخلف عن غزوة تبوك اثاقلتم الى الارض عبارة عن تخلفهم
واصل اثاقلتم تثاقلتم الا تنفروا يعذبكم شرط وجزا وهو العذاب
في الدنيا والاخرة الا تنصروه فقد نصره الله شرط وجواب
والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف ارتبط
هذا الشرط مع جوابه فالجواب ان المعنى ان لم تنصروه انتم فسينصره
الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين فدل بقوله نصره الله على نصره
في المستقبل اذ اخرجه الذين كفروا يعني خروجه من مكة مهاجرا
الى المدينة واسند اخراجه الى الكفار لانهم فعلوا معه من الاذى
ما اقتضى خروجه ثاني اثنين هو ابو بكر الصديق اذ يقول
لصاحبه لا تحزن يعني ابا بكر ان الله معنا يعني بالنصر واللطف
فانزل الله سكينته عليه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل

وقيل لابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم انزل عليه السكينة
ويضعف ذلك بان الضماير بعدها للرسول عليه السلام وايده بجنود
لم تروها يعني الملايكة يوم بدر وغيره وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يريد اذلالها ودحضها وكلمة الله هي العليا قيل هي لا اله الا الله
وقيل الدين كله انفروا خفافا وثقالا امر بالنفير الى الغزو و
الخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة والثقل من يمكنه بصعوبة
وقال بعض العلما الخفيف الغني والثقيل الفقير وقيل الخفيف
الشاب والثقيل الشيخ وقيل الخفيف النشيط والثقيل الكسلان
وهذه الاقوال امثلة في الثقل والخفة وقيل ان هذه الاية منسوخة
بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية لو كان عرضا قريبا
الاية نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين
تخلفوا عن غزوة تبوك وذلك انها كانت الى ارض بعيدة وكانت
في شدة الحر وطيب الثمار والظلال فثقلت عليهم فاخبر الله
في هذه الاية ان السفر لو كان لعرض الدنيا او الى مسافة قريبة
لفعلوه بعدت عليهم الشقة اي الطريق والمسافة وسيحلفون اخبار
بغيب وهو انهم يعتذرون باعذار كاذبة ويحلفون يهلكون
انفسهم اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب او تخلفهم عن
الغزو عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية كان بعض المنافقين قد
استاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة تبوك
فاذن لهم فعاتبه الله على اذنه لهم وقدم العفو على العتاب اكراما
له صلى الله عليه وسلم وقيل ان قوله عفى الله عنك ليس لذنب
ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما تقول اصلحك الله حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين كانوا قد قالوا استاذنوه في
القعود فان اذن لنا قعدنا وان لم ياذن لنا قعدنا وانما كان يظهر
الصدق من الكذب لو لم ياذن لهم حينيذ كان يقعد العاصي والمنافق

وسيا قوالمطيع لايستاذنك الذين يومنون بالله الاية لايستاذنك
في التخلف عن الغزو لغير عذر من يومن بالله واليوم الاخر وارتابت
قلوبهم اي شكت ونزلت الاية في عبد الله بن ابي بن سلول والحرث بن
قيس ولو ارادوا الخروج الاية اي لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا
له قبل اوانه انبعاثهم اي خروجهم فثبطهم اي كسر عزمهم
وجعل في قلوبهم الكسل وقيل اقعدوا يحتمل ان يكون القايل لهم
اقعدوا هو الله تعالي وذلك عبارة عن قضايه عليهم بالقعود
ويحتمل ان يكون ذلك من قول بعضهم لبعض مع القاعدين اي مع
النسا والصبيان واهل الاعذار وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم
في القعود مع هولا لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي شرا
وفسادا ولاوضعوا اي اسرعوا السير والايضاع سرعة السير
والمعني انهم يسرعون للفساد والنميمة خلالكم اي بينكم يبغونكم
الفتنة اي يحاولون ان يفتنوكم سماعون لهم وقيل يسمعون
اخباركم وينقلونها اليهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي طلبوا الفساد
وروي انها نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه من المنافقين
وقلبوا لك الامور اي دبروها من كل وجه فابطل الله سعيهم
ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني لما دعا النبي صلي الله عليه
وسلم الناس الي غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين
ايذن لي في القعود ولا تفتني برؤية بني الاصفر فاني لا اصبر عن
النسا الا في الفتنة سقطوا اي وقعوا في الفتنة التي فروا منها
ان تصبك حسنة تسوهم الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي قد حذرنا وتاهبنا من قبل
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي ما قدر وقضي وهذا رد علي
المنافقين قل هل تربصون بنا الا احدي الحسنيين اي هل تنتظرون
بنا الا احدي امرين اما الظفر والنصر واما الموت في سبيل الله وكل

واحد

واحد من الخصلتين حسني بعذاب من عنده المصايب وما ينزل من
السما او عذاب الاخرة او بايدينا يعني القتل فتربصوا تهديد قل انفقوا
طوعا او كرها لن يتقبل منكم تضمن الامر هنا معني الشرط فاحتاج
الي جواب والمعني لن يتقبل منكم سوا انفقتم طوعا او كرها والطوع
والكره عموما في الانفاق اي لن يتقبل علي كل حال وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا تعليل لعدم قبول نفقاتهم
بكفرهم ويحتمل ان يكون انهم فاعل ما منعهم او في موضع مفعول
من اجله والفاعل الله انما يريد الله ليعذبهم بها قيل عذابهم في
الدنيا بالمصايب وقيل ما الزموا من ادا الزكاة وتزهق انفسهم
وهم كافرون اخبار بانهم يموتون علي الكفر ويحلفون بالله انهم
لمنكم اي من المومنين يفرقون يخافون لو يجدون ملجا اي ما يلجاون
اليه من المواضع او مغارات هي الغيران في الجبال او مدخلا وزنه
مفتعل من الدخول ومعناه نفق او سرب في الارض يجمحون اي
يسارعون ومنهم من يلمزك في الصدقات اي يعيبك علي قسمتها
والاية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها وقيل في ذي الخويصرة
الذي قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل ولو انهم الاية تعريف
لهم بما هو خير لهم وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا
لهم انما الصدقات للفقرا والمساكين الاية انما هو تقتضي حصر
الصدقات وهي الزكاة في هذه الاصناف الثمانية فلا يجوز ان
يعطي منها غيرهم ومذهب مالك ان تفريقها في هولا الاصناف
الي اجتهاد الامام فله ان يجعلها في بعضهم دون بعض ومذهب
الشافعي انه يجب ان تقسم علي هذه الاصناف بالسوا واختلف
العلما هل الفقير اشد حاجة من المسكين او بالعكس وقيل هما
سوا وقيل الفقير الذي يسال الناس ويعلم حاله والمسكين ليس
كذلك والعاملين عليها اي الذين يقبضونها ويفرقونها والمولفة

قلوبهم كفار ترغيبا في الاسلام وقيل هم مسلمون نبيطون ليتمكن
ايمانهم واختلف هل بقي حكمهم او سقط للاستغنا عنهم وفي الرقاب
يعني العبيد يشترون ويعتقون والغارمين يعني من عليه دين ويشترط
ان تكون في غير فساد ولا سرف وفي سبيل الله يعني الجهاد فيعطي
منها المجاهدون ويشتري منها الاة الحرب واختلف هل تصرف في
بنا الاسوار وانشا الاساطيل وابن السبيل هو الغريب المحتاج فريضة
اي حقا محدودا ونصبه علي المصدر فان قيل لم ذكر مصرف الزكاة
في تضاعيف ذكر المنافقين فالجواب انه حصر مصرف الزكاة في تلك
الاصناف لينقطع طمع المنافقين فيها فاتصلت هذه الاية في المعني
بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية ومنهم الذين يوذون
النبي يعني من المنافقين واذايتهم للنبي صلي الله عليه وسلم
بالاقوال والافعال ويقولون هو اذن اي يسمع كلما يقال له ويصدقه
ويقال ان قايل هذه المقالة هو نبتل بن الحارث وكان من مردة
المنافقين وقيل عتاب بن قشير قل اذن خير لكم اي يسمع
الخير والشر ويومن للمومنين اي يصدقهم يقال امنت لك اذا
صدقتك ولذلك تعدي هذا الفعل بالي وتعدي يومن بالبا
ورحمة بالرفع عطف علي اذن خير وبالخفض علي خير يحلفون
يعني المنافقين والله ورسوله احق ان يرضوه تقديره والله
احق ان يرضوه ورسوله كذلك فهما جملتان حذف الضمير من
الثانية لدلالة الاولي عليها وقيل انما وحد الضمير لان رضي الله
واحد من يحادد يعني يخالف فان له ان هنا مكررة تاكيدا
للاولي وقيل بدل منها وقيل التقدير فواجب ان له فهي في
موضع خبر مبتدا محذوف يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
يعني في شانهم سورة علي النبي صلي الله عليه وسلم والضماير
في عليهم وتنبيهم وقلوبهم تعود علي المنافقين وقال الزمخشري

ان

ان الضماير في عليهم وتنبيهم للمومنين وفي قلوبهم للمنافقين والاول اظهر
قل استهزوا تهديد ان الله مخرج ما تحذرون صنع ذلك بهم في هذه
السورة لانها فضحتهم انما كنا نخوض ونلعب نزلت في وديعة بن ثابت
بلغ النبي صلي الله عليه وسلم انه قال هذا يريد ان يفتح قصور
الشام هيهات هيهات فساله عن ذلك فقال انما كنا نخوض
ونلعب ان يعف عن طايفة منكم كان رجل منهم اسمه مخشي تاب
ومات شهيدا بعضهم من بعض نفي لان يكون من المومنين ويقبضون
ايديهم كناية عن البخل نسوا الله اي غفلوا عن ذكره فنسيهم تركهم
من رحمته وفضله وعد الله المنافقين الاصل في الشر ان يقال وعد
وانما يقال فيه وعد اذا صرح بالشر والكفار يعني المجاهرين بالكفر
كالذين من قبلكم خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب والتقدير
فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم او في موضع خبر مبتدا تقديره انتم
كالذين من قبلكم وخضتم اي خلطتم وهو مستعار من الخوض في الما
ولا يقال الا في الباطل من الكلام كالذي خاضوا تقديره كالخوض الذي
خاضوا وقيل كالذين خاضوا فالذي هنا علي هذا بمعني الجميع الم ياتهم
الاية تهديد لهم بما اصاب الامم المتقدمة والموتفكات يعني مداين
قوم لوط بالبينات اي بالمعجزات بعضهم اوليا بعض في مقابلة قوله
المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المومنين بالوصف بالولاية
جنات عدن قيل عدن هي مدينة الجنة واعظمها وقال الزمخشري
هو اسم علم ورضوان من الله اكبر اي رضوان من الله اكبر من كل
ما ذكر وذلك معني ما ذكر في الحديث ان الله تعالي يقول لاهل الجنة
اتريدون شيا ازيدكم فيقولون يا ربنا اي شي تريد فيقول رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار والمنافقين جهاد الكفار
بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل علي كفرهم
فان ظهر منهم ذلك منهم فحكمهم كحكم الزنديق وقد اختلف هل يقبل

امرلا واغلظ عليهم الغلظة ضد الرحمة والرافة وقد تكون بالقول
والفعل وغير ذلك يحلفون بالله ما قالوا نزلت في الجلاس بن سويد
فانه قال ان كان ما يقول محمد حقا فنحن لشر من الحمر فبلغ ذلك
النبي صلي الله عليه وسلم فقرره عليه فحلف انه ما قاله
ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ما تقدم من قول الجلاس لان ذلك
يقتضي التكذيب وكفروا بعد اسلامهم لم يقل بعد ايمانهم لانهم
كانوا يقولون بالسنتهم امنا ولم يدخل الايمان في قلوبهم
وهموا بما لم ينالوا هم الجلاس بقتل من بلغ تلك الكلمة عنه وقيل
هم بقتل النبي صلي الله عليه وسلم وقيل الاية نزلت في عبد
الله بن ابي بن سلول وكلمة الكفر التي قالها قوله سمن كلبك
ياكلك وهمه بما لم ينال قوله لين رجعنا الي المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وما نقموا الا ان اغناهم الله اي ما عابوا الا الغني
الذي كان حقه ان يشكروا عليه وذلك في الجلاس او في عبد
الله بن ابي فان يتوبوا فتح الله لهم باب التوبة فتاب الجلاس
وحسن حاله ومنهم من عاهد الله الاية نزلت في ثعلبة بن
حاطب وذلك انه قال يا رسول الله ادع الله ان يكثر مالي فقال
له رسول الله صلي الله عليه وسلم قليل تودي شكره خير
من كثير لا تطيقه فاعاد عليه حتي دعا له فكثر ماله فتشاغل
حتي ترك الصلوات ثم امتنع من اداء الزكاة فنزلت فيه الاية
فجا بزكاته الي النبي صلي الله عليه وسلم فاعرض عنه فلم
ياخذها منه وقال ان الله امرني ان لا اخذ زكاتك ثم لم ياخذها
منه ابو بكر ولا عمر ولا عثمان بخلوا به اشارة الي منعه الزكاة
فاعقبهم نفاقا ذلك عقوبة علي العصيان بما هو اشد منه
الي يوم يلقونه حكم بوفاته علي النفاق الذين يلمزون المطوعين
نزلت في المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف باربعة

الاف

الاف فقالوا ما هذا الا ريا واصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا
من تطوع بكثير والذين لا يجدون الا جهدهم الذين لا يجدون الا
علي القليل فيتصدقون به نزلت في ابي عقيل تصدق بصاع
من تمر فقال المنافقون ان الله غني عن صدقة هذا فيسخرون منهم
اي يستهزون بهم سخر الله منهم تسمية للعقوبة باسم الذنب
استغفر لهم او لا تستغفر لهم يحتمل معنيين احدهما ان يكون لفظه
امرا ومعناه الشرط ومعناه ان استغفرت لهم او لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم كما جا في سورة المنافقين والاخر ان يكون تخيير
كانه قال ان شيت فاستغفر لهم وان شيت فلا تستغفر لهم ثم
اعلمه الله انه لا يغفر لهم وهذا ارجح لقول رسول الله صلي الله
عليه وسلم خيرني فاخترت وذلك حين قال عمر اتصلي علي
عبد الله بن ابي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه سبعين مرة
ذكرها علي وجه التمثيل للعدد الكثير فرح المخلفون اي الذين
خلفهم الله عن الغزو واقعدهم عنه وفي هذا تحقير وذم لهم
ولذلك لم يقل المتخلفون بمقعدهم اي بقعودهم خلاف رسول
الله اي بعده حين خرج الي تبوك فخلاف علي هذا ظرف وقيل
هو مصدر من خالف فهو علي هذا مفعول من اجله وقالوا لا تنفروا
في الحر قال هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه الغزو
الي تبوك في الحر فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا امر بمعنى الخبر
فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاوهم الكثير في الاخرة
وقيل هو بمعني الامر اي يجب ان يكونوا يضحكون قليلا ويبكون
كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه الي طايفة منهم انما لم يقل اليهم لان
منهم من تاب من النفاق وندم علي التخلف لن تخرجوا معي ابدا
عقوبة فيها خزي وتوبيخ اول مرة يعني في غزوة تبوك فاقعدوا
مع القاعدين اي القاعدين وهم النسا والصبيان ولا تصل علي احد

منهم مات ابدا نزلت في شان عبدالله بن ابي بن سلول وصلاة رسول
الله صلي الله عليه وسلم حين مات وروي انه صلي عليه فنزلت
الاية وروي انه صلي الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه
جاء جبريل فجذب بثوبه وتلى عليه ولا تصل علي احد منهم
مات ابدا الاية فانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم
يصل عليه واذا انزلت سورة قيل يعني براة والارجح انه علي
الاطلاق ان امنوا ان هنا مفسرة استاذنك اولوا الطول منهم
اي اولوا الغنا والمال الكثير لكن الرسول الاية اي ان تخلف هولا
فقد جاهد الرسول ومن معه الخيرات ثم منافع الدارين وقيل
هي الحور العين لقوله خيرات حسان وجا المعذرون هم المعتذرون
ثم ادغمت التا في الذال ونقلت حركتها الي العين واختلف هل كانوا
في اعتذارهم صادقين او كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر
في الامر اذا قصر فيه ولم يجزم ووزنه علي هذا المفعلون وروي
انها نزلت في قوم من غفار وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم
قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا في دعواهم الايمان
الذين كفروا منهم اي من المعذرين ليس علي الضعفا ولا علي المرضي
هذا رفع للحرج عن اهل الاعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر
اذا تركوا الغزو وقيل ان الضعفا هنا هم النسا والصبيان وهذا
بعيد ولا علي الذين لا يجدون ما ينفقون قيل نزلت في بني مقرن
وهم ستة اخوة صحبوا النبي صلي الله عليه وسلم وقيل في عبد
الله بن مغفل المزني اذا نصحوا لله يعني بنياتهم واقوالهم وان لم
يخرجوا الي الغزو ما علي المحسنين من سبيل وصفهم بالمحسنين لانهم
نصحوا الله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم
ولا علي الذين اذا ما اتوك لتحملهم هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل
وقيل سبعة نفر من بطون شتي وهم البكاؤن ومعني لتحملهم

علي الابل وجواب اذ يحتمل ان يكون قلت لا اجد ما احملكم او تولوا اذا
رجعتم يعني من غزوة من تبوك لن نومن لكم لن نصدقكم من اخباركم
نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني تقديره قد نبانا الله جملة من اخباركم
الاعراب اشد كفرا ونفاقا هم اهل البوادي من العرب واجدر ان لا
يعلموا حدود ما انزل الله يعني انهم احق ان لا يعلموا الشرايع
لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما اي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم
الذي ليس بحق عليه ويتربص بكم الدواير اي ينتظر بكم مصايب الدنيا
عليهم دايرة السوء خبر ودعا وصلوات الرسول اي دعواته
لهم وهو عطف علي قربات اي يتصدون بنفقاتهم التقرب الي الله
واغتنام دعا الرسول لهم وقيل نزلت في بني مقرن والسابقون
الاولون قيل هم من صلي للقبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل
من حضر بيعة الرضوان والذين اتبعوهم ساير الصحابة ويدخل
في ذلك التابعون ومن بعدهم الي يوم القيامة بشرط الاحسان
مردوا علي النفاق اي اجترؤا عليه وقيل اقاموا عليه سنعذبهم
مرتين يوم يردون الي عذاب عظيم العذاب العظيم هو عذاب
النار واما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والاولي عذابهم
باقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق واخرون
اعترفوا بذنوبهم الاية قيل انها نزلت في ابي لبابة عمله
الصالح الجهاد وعمله السي نصيحته لبني قريظة وقيل هي فيمن
تخلف عن تبوك وروي انهم ربطوا انفسهم الي سواري المسجد
وقالوا لا نحل انفسنا حتي يحلنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقيل هي عامة في الامة الي يوم القيامة قال بعضهم ما في
القران اية ارجي لهذه الامة من هذه خذ من اموالهم صدقة
قيل نزلت في المتخلفين الذين ربطوا انفسهم لما تاب الله عليهم

قالوا يا رسول الله انا نريد ان نتصدق باموالنا فنزلت هذه الاية
فاخذ ثلث اموالهم وقيل هي في الصلاة المفروضة فالضمير علي
العموم لجميع المسلمين **تطهرهم وتزكيهم بها** خطاب للنبي صلي الله
عليه وسلم في موضع صفة الصدقة او حال من الضمير في خذ
وصل عليهم اي ادع لهم **سكن لهم** اي تسكن به نفوسهم فهو عبارة
عن صحة الاعتقاد او عن طمانينة نفوسهم اذ اعلموا ان الله تاب
عليهم **الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة** الضمير في يعلموا التايبين
من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفايدة
الضمير الموكد تخصيص الله تعالي بقبول التوبة دون غيره
وياخذ الصدقات قيل معناه يامر بها وقيل يقبلها من عباده
واخرون مرجون لامر الله قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل
ان يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار وقري بالهمز
وبتركه وهما لغتان ومعناه التاخير **الذين اتخذوا مسجدا** قري
الذين بغير واو صفة لقوله اخرون او علي تقدير هم الذين وهذه
القراة جارية علي قول من قال في المرجون لامر الله هم اهل مسجد
الضرار وقري والذين بالواو عطف علي اخرون وهذه القراة جارية
علي قول من قال في المرجون انهم الثلاثة الذين خلفوا **ضرارا
وكفرا** كان بنو عمرو بن عوف من الانصار قد بنوا مسجد قبا وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم ياتيه ويصلي فيه فحسدهم
علي ذلك قومهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا اخر مجاورا له
ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قبا وذلك هو الضرار
الذي قصدوا وسالوا من رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان ياتيه ويصلي لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الاية **وتفريقا
بين المومنين** ارادوا ان يتفرق المومنون عن مسجد قبا **وارصادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل** اي انتظارا لمن حارب الله

ورسوله

ورسوله وهو ابو عامر الراهب الذي سماه رسول الله صلي الله عليه
وسلم الفاسق وكان من اهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلي الله
عليه وسلم جاهر بالكفر والنفاق ثم خرج الي مكة فحزب الاحزاب
من المشركين فلما فتحت مكة خرج الي الطايف فلما اسلم اهل الطايف
خرج الي الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان اهل مسجد
الضرار يقولون اذا قدم ابو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد والاشارة
في قوله من قبل الي ما فعل مع الاحزاب **وليحلفن ان اردنا الا الحسني**
اي الخصلة الحسني وهي الصلاة وذكر الله فاكذبهم الله في ذلك
لا تقم فيه ابدا نهي عن اتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله
صلي الله عليه وسلم لا يمر بطريقه **لمسجد اسس علي التقوي**
قيل هو مسجد قبا وقيل مسجد النبي صلي الله عليه وسلم
بالمدينة وقد روي ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
فيه رجال يحبون ان يتطهروا كانوا يستنجون بالماء ونزلت في
الانصار علي قول من قال ان المسجد الذي اسس علي التقوي
هو مسجد المدينة ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة علي
قول من قال ان المسجد الذي اسس علي التقوي هو مسجد قبا
**افمن اسس بنيانه علي تقوي من الله ورضوان خير ام من اسس
بنيانه علي شفا جرف هار** الاية استفهام بمعني التقرير والذي
اسس علي التقوي والرضوان مسجد المدينة او مسجد قبا والذي
اسس علي شفا جرف هار هو مسجد الضرار وتاسيس البنا علي
التقوي والرضوان هو بحسن النية فيه وقصد وجه الله واظهار
شرعه والتاسيس علي شفا جرف هار هو بفساد النية وقصد
الريا والتفريق بين المومنين فذلك علي وجه الاستعارة والتشبيه
البادع ومعنا شفا جرف طرف حفرة ومعنا هار ساقط او واهي
بحيث اشفا علي السقوط واصل هار هاير فهو من المقلوب لان

لامه جعلت في موضع العين فانهار به في نار جهنم اي طاح في جهنم
وهذا ترشيح للمجاز فانه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذي هو
من شان الجرف وقيل ان ذلك حقيقة وانه سقط في جهنم
وخرج الدخان من موضعه والصحيح ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم امر بهدمه فهدم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في
قلوبهم اي لا يزال في قلوب اهل المسجد الضرار ريبة من بنيانه
اي شك في الاسلام بسبب بنيانه لاعتقادهم صواب فعلهم
او غيظ بسبب هدمه الا ان تقطع قلوبهم اي الا ان يموتوا ان الله
اشتري من المومنين انفسهم واموالهم قيل انما نزلت في بيعة
العقبة وحكمها عام في كل مومن مجاهد في سبيل الله الي يوم
القيامة قال بعضهم ما اكرم الله فان انفسنا هو خلقها واموالنا
هو رزقها ثم وهبها لنا ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي فانها
لصفقة رابحة يقاتلون في سبيل الله جملة في موضع الحال بيان
للشرا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به قال بعضهم ناهيك
من بيع البايع فيه رب العلا والثمن جنة الما والواسطه محمد المصطفي
صلي الله عليه وسلم التايبون وما بعده اوصاف المومنين
الذين اشتري الله منهم انفسهم واموالهم تقديره هم التايبون
السايحون قيل معناه الصايمون ويقال ساح في الارض اي
ذهب ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
نزلت في شان ابي طالب فانه لما امتنع ان يقول لا اله الا الله
عند موته قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم والله
لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتي نزلت هذه
الاية وقيل ان النبي صلي الله عليه وسلم استاذن ربه
ان يستغفر لامه فنزلت الاية وقيل ان المسلمين ارادوا ان
يستغفروا لابايهم المشركين فنزلت وما كان استغفار ابراهيم لابيه

الا

الا عن موعدة المعني لا حجة لكم ايها المومنون في استغفار ابراهيم
لابيه فان ذلك لم يكن الا لوعد تقدم وهو قوله ساستغفر لك ربي
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قيل تبين له ذلك بموت ابيه
علي الكفر وقيل بانه نهي عن الاستغفار له اواه قيل كثير الدعا
وقيل موقن وقيل فقيه وقيل كثير الذكر لله وقيل كثير التاوه
من خوف الله وما كان الله ليضل قوما الاية نزلت في قوم من
المسلمين استغفروا للمشركين من غير اذن فخافوا علي انفسهم
من ذلك فنزلت الاية تانيسا لهم اي ما كان الله ليواخذكم بذلك
قبل ان يبين لكم المنع من ذلك في ساعة العسرة يعني حين
محاولة غزوة تبوك والساعة هنا بمعني الحين والوقت وان
كان مدة من العسرة الشده والضيق الحال من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم يعني تزيغ عن الثبات علي الايمان او عن الخروج
في تلك الغزوة لما راو من الضيق والمشقة وفي كاد ضمير الامر
والشان او ترتفع بها القلوب ثم تاب عليهم يعني علي هذا
الفريق اي رجع بهم عما كادوا يقعون فيه وعلي الثلاثة الذين
خلفوا هم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد
للمخالفة فلما رجع رسول الله صلي الله عليه وسلم عتب عليهم
وامر ان لا يكلمهم احد وامرهم ان يعتزلوا عن نسايهم فبقوا علي
ذلك مدة الي ان انزل الله توبتهم وقد وقع حديثهم في البخاري
والسير ومعني خلفوا هنا اي عن الغزوة وقال كعب بن مالك
ومعناه تخلفوا عن تبوك العذر وليس بالتخلف عن الغزو ويقوي
ذلك كونه جعل اذا ضاقت غاية للتخلف ضاقت عليهم الارض
عبارة عما اصابهم من الغم والخوف من الله ثم تاب عليهم ليتوبوا
اي رجع بهم ليستقيموا علي التوبة وكونوا مع الصادقين

يحتمل ان يريد صدق اللسان اذ كانوا هولا الثلاثة قد صدقوا ولم
يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ويحتمل ان يريد اعم من صدق
اللسان وهو الصدق في الاقوال والافعال والمقاصد والعزايم
والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله في الحشر للفقرا
المهاجرين الي قوله هم الصادقون وقد احتج بها ابو بكر الصديق
علي الانصار يوم السقيفة فقال نحن الصادقون وقد امركم الله
ان تكونوا معنا اي تتبعونا **ما كان لاهل المدينة** الاية عتاب لمن
تخلف عن غزوة تبوك من اهل يثرب ومن جاورها من قبايل
العرب **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** اي لا يمتنعوا من اقتحام
المشقات التي تحملها هو صلي الله عليه وسلم **ذلك بانهم لا يصيبهم**
التعليل لما يجب من عدم التخلف **ظما** اي عطش **ولا نصب**
اي تعب **ولا مخمصة** اي جوع **ولا يطؤون** اي بارجلهم او بدوابهم
ولا ينالون من عدو نيلا عموم في كل ما يصيب الكفار **وما كان**
المومنون لينفروا كافة ابن عباس هذه الاية في البعوث
الي الغزو والسرايا اي لا ينبغي خروج جميع المومنين في السرايا
وانما يجب ذلك اذا خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم
بنفسه ولذلك عاتبهم في الاية المتقدمة علي التخلف عنه
فالاية الاولي في الخروج معه صلي الله عليه وسلم وهذه
في السرايا التي كان يبعثها وقيل هي ناسخة لكل ما ورد من
الامر بخروج الجميع فهو دليل علي ان الجهاد فرض كفاية
لا فرض عين وقيل هي في طلب العلم ومعناها انه لا يجب
الرحلة في طلب العلم علي الجميع بل علي البعض لانه فرض
كفاية **فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة** تحضيض علي نفير
بعض المومنين للجهاد او لطلب العلم **ليتفقهوا في الدين**
ان قلنا ان الاية في الخروج الي طلب العلم فالضمير في يتفقهوا

للفرقة

للفرقة التي تنفر اي ترحل وكذلك الضمير في لينذروا وفي رجعوا
اي ليعلموا قومهم اذا رجعوا اليهم من الرحلة وان قلنا ان الاية
في السرايا فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تقعد في المدينة
ولا تخرج مع السرايا واما الضمير في رجعوا فهو للفرقة التي
خرجت مع السرايا **لعلهم يحذرون** الضمير للقوم **قاتلوا**
الذين يلونكم من الكفار امر بقتال الاقرب فالاقرب علي
تدريج وقيل انما اشارة الي قتال الروم والشام لانهم كانوا
اقرب الكفار الي ارض العرب وكانت ارض العرب قد عمها الاسلام
وكانت العراق بعيده **واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم**
زادته هذه ايمانا اي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض
ايكم زادته هذه ايمانا علي وجه الاستخفاف بالقران كانهم
يقولون اي عجب في هذا واي دليل في هذا **فاما الذين امنوا**
فزادتهم ايمانا وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والادلة
عند نزول كل سورة **واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم**
رجسا الي رجسهم المرض عبارة عن الشك والنفاق
ومعنا زادتهم رجسا الي رجسهم زادتهم كفرا ونفاقا الي
كفرهم ونفاقهم **يفتنون به في كل عام** قيل يفتنون اي يختبرون
بالامراض والجوع وقيل بالامر بالجهاد واختار ابن عطية
ان يكون المعني يفضحون بما يكشف من سرايرهم **نظر بعضهم**
الي بعضهم اي تغامزوا واشار بعضهم الي بعض علي وجه التعجب الاستخفاف
~~مما ينزل من~~ بالقران قال بعضهم لبعض **هل يراكم من احد** كان
سبب خوفهم ان ينقل عنهم ذلك وقيل نظر بعضهم الي بعض علي
وجه التعجب مما ينزل في القران من كشف اسرارهم ثم قال
بعضهم لبعض هل يراكم من احد اي هل راي احد اقوالكم فينقلها
عنكم او علمت من غير نقل هذا ايضا علي وجه التعجب **ثم انصرفوا**

يحتمل ان يراد الانصراف بالابدان او الانصراف بالقلوب عن الهدي
صرف الله قلوبهم دعا او خبر لقد جاكم رسول من انفسكم
يعني النبي صلي الله عليه وسلم والخطاب للعرب او لقريش
خاصة اي من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه
وامانته او لبني ادم كلهم اي من جنسكم وقري من انفسكم
بفتح الفا اي من اشرفكم عزيز عليه ما عنتم اي يشق عليه
عنتكم والعنت هو ما يضرهم في دينهم او دنياهم وعزيز صفة
للرسول وما عنتم فاعل بعزيز وما مصدرية او ما عنتم
مصدر وعزيز خبر مقدم والجملة في موضع الصفة
حريص عليكم اي حريص علي ايمانكم وسعادتكم بالمومنين
روف رحيم سماه الله هنا باسمين من اسمايه فان تولوا
فقل حسبي الله اي ان اعرضوا عن الايمان فاستعن بالله
وتوكل عليه وقيل ان هاتين الايتين نزلتا بمكة

سورة يونس عليه السلام

الر تكلمنا في اول البقرة علي حروف الهجا التي في اوايل
السور تلك ايات الكتاب اشارة الي ما تضمنته السورة من
الايات والكتاب هنا القران الحكيم من الحكمة او من الحكم
او من الاحكام للامر اي احكمه الله اكان للناس عجبا ان اوحينا
الي رجل منهم ان انذر الناس الهمزه للانكار وعجبا خبر كان
وان اوحينا اسمها وان انذر تفسير للوحي والمراد بالناس هنا
كفار قريش وغيرهم والي رجل هنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم ومعني الاية الرد علي من استبعد النبوة او تعجب من
ان يبعث الله رجلا قدم صدق اي عمل صالح قدموه
وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ
قال الكافرون ان هذا لسحر مبين يعنون ما جاء به من

القران

القران وقري لساحر يعنون به النبي صلي الله عليه وسلم
ويحتمل ان يكون كلامهم هذا تفسيرا لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة
ويكون خبرا مستانفا ان ربكم الله تعريف بالله وصفاته ليعبدوه
ولا يشركوا به وفيه رد علي من انكر النبوة كانه يقول انما
ادعوكم الي عبادة ربكم الذي خلق السموات والارض فكيف
تنكرون ذلك وهو الحق المبين ما من شفيع الا من بعد اذنه
اي لا يشفع اليه احد الا بعد ان ياذن له في الشفاعة وفي هذا
رد علي المشركين الذين يزعمون ان الاصنام تشفع لهم وعد الله
حقا نصب وعدا علي المصدر المذكور المؤكد للرجوع الي الله
ونصب حقا علي المصدر المؤكد لوعد الله انه يبدو الخلق ثم
يعيده اي يبدوه في الدنيا ويعيده بعد الموت في الاخرة
والبداة دليل علي العودة ليجزي تعليل للعودة وهي البعثة
بالقسط اي بعدله في جزايهم او بقسطهم في اعمالهم الصالحة
هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وصف افعال الله وقدرته
وحكمته والضيا اعظم من النور وقدره منازل الضمير للقمر
والمعني قدر سيره في منازل والحساب يعني حساب الاوقات
من الاشهر والايام والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق اي
ما خلقه عبثا والاشارة بذلك الي ما تقدم من المخلوقات ان الذين
لا يرجون لقانا قيل معنا يرجون هنا يخافون وقيل لا يرجون
حسن لقانا فالرجا علي اصله وقيل لا يرجون لا يتوقعونه اصلا
ولا يخطر ببالهم ورضوا بالحياة الدنيا اي قنعوا ان تكون حظهم
ونصيبهم واطمانوا بها اي سكنت انفسهم عن ذكر الانتقال
عنها والذين هم عن اياتنا غافلون يحتمل ان تكون هي الفرقة
الاولي فيكون من عطف الصفات او تكون غيرها يهديهم ربهم بايمانهم
اي يسددهم بسبب ايمانهم الي الاستقامة او يهديهم في الاخرة

ولو يعجل الله للناس الشر و
الي طريق الجنة وهذا ارجح لما بعده ولو يعجل الله للناس الشر اي لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون
استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
تعجيل الخير لهلكوا سريعا ونزلت الاية عند قوم في دعا الانسان
علي نفسه وماله وولده ونزلت قيل نزلت في الذين قالوا
ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السما واذا مس الانسان
الضر دعانا عتاب في ضمنه نهي لمن يدعوا الله عند الضر ويغفل
عنه عند العافية لجنبه اي في مضجعه وروي انها نزلت في
اي حذيفة بن المغيرة لمرض كان به ولقد اهلكنا القرون
اخبار في ضمنه وعيد للكفار لننظر معناه لنظهر في الوجود
فتقوم عليكم الحجة به واذا تتلي عليهم يعني علي قريش قل لو
شا الله ما تلوته عليكم اي ما تلوته الا بمشية الله لانه من
عنده وما هو من عندي ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله اي بقيت بينكم اربعين سنة قبل البعث
ما تكلمت في هذا حتي جاني من عند الله فمن اظلم ممن افتري علي
الله كذبا تنصل من الافترا علي الله وبيان لبراته صلي الله عليه
وسلم مما نسبوه اليه من الكذب واشارة الي كذبهم علي الله
في نسبة الشركا له او كذب باياته بيان لظلمهم في تكذيبهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم الضمير في يعبدون لكفار العرب وما
لا يضرهم ولا ينفعهم هي الاصنام ويقولون هولا شفعاونا عند الله
كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم قل اتنبون الله بما لا يعلم رد
عليهم في قولهم بشفاعة الاصنام والمعني ان شفاعة الاصنام ليست
بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والارض وكل ما ليس
بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشي فقوله اتنبون الله تقرير
لهم علي وجه التوبيخ والتهكم اي كيف تعلمون الله بما لا يعلم وما كان

الناس

الناس الا امة واحدة تقدم في البقرة في قوله كان الناس امة
واحدة ولولا كلمة سبقت يعني القضا ويقولون لولا انزل عليه اية
من ربه كانوا يطلبون اية من الايات التي اقترحوها ولقد نزلت عليه
ايات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم فقل انما الغيب
لله ان شا فعل وان شا لم يفعل لا يطلع علي ذلك احد فانتظروا اي
انتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين اي منتظر لعقابكم
علي كفركم واذا اذقنا الناس رحمة هذه الاية في الكفار وتتضمن
النهي لمن كان كذلك من غيرهم والمكر هنا الطعن في ايات الله وترك
شكره ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا
مشاكلة لفعلهم وتسمية للعقوبة باسم الذنب وجرين بهم الضمير
المونث في جرين للفلك والضمير في بهم للناس وفيه الخروج من
الخطاب الي الغيبة وهو يسمي الالتفات وجواب اذا كنتم قوله
جاتها ريح عاصف وقوله دعوا الله قال الزمخشري هو بدل من
ظنوا ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه متاع الحياة
الدنيا رفع علي انه خبر ابتدا مضمر تقديره وذلك متاع او يكون
خبرا لما بغيكم ويختلف الوقف باختلاف الاعراب انما مثل الحياة
الدنيا كما انزلناه من السماء معني الاية تحقير الدنيا وبيان سرعة
فنايها وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات ثم تصيب ذلك النبات
افة عند حسنه وكماله مما ياكل الناس كالزرع والفواكه والانعام
يعني الرعي التي ترعاها من العشب وغيرها اخذت الارض زخرفها
تمثيل بالعروس اذا تزينت بالحلي والثياب قادرون عليها
اي متمكنون من الانتفاع بها اتاها امرنا اي بعض الجوايح كالريح والشرهم
وغير ذلك فجعلناها حصيدا اي جعلنا زرعها كالذي حصد وان
كان لم يحصد كان لم تغن كان لم تنعم والله يدعوا الي دار السلام
اي الي الجنة وسميت دار السلام اي دار السلامة من العنا والتعب

وقيل السلام هنا اسم الله اي يدعوا الي داره ويهدي من يشا ذكر
الدعوة الي الجنة عامة مطلقة والهداية خاصة بمن يشا للذين
احسنوا الحسني وزيادة الحسني الجنة والزيادة النظر الي وجه
الله وقيل الحسني جزا الجنة بعشرة امثالها والزيادة التضعيف
فوق ذلك الي سبعماية والاول اصح لوروده في الحديث وكثرة القايلين
به قتر اي غبار يغبر الوجه والذين كسبوا السيات مبتدا علي حذف
مضاف تقديره جزا الذين كسبوا السيات جزا سية بمثلها او علي
تقديرلهم جزا سية بمثلها او معطوفا علي الذين احسنوا او يكون
جزا سية مبتدا وخبره بمثلها ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم
احد من عذاب الله قطعا من الليل مظلما من قرا بفتح الطا فهو جمع
قطعة واعراب مظلما علي هذه القراة حال من الليل ومن قرا
قطعا باسكان الطا فمظلما صفة له او حال من الليل تقديره الزموا
مكانكم اي لا تبرحوا حتي تنظروا ما يفعل بكم فزيلنا بينهم اي
فرقنا تبلوا كل نفس اي تختبر ما قدمت من الاعمال وقري تتلوا
بتاين بمعني تتبع او تقراه في المصاحف قل من يرزقكم الاية
احتجاج علي الكفار بحجج كثيرة واضحة لا محيص لهم عن الاقرار بها
يخرج الحي من الميت مذكور في ال عمران ربكم الحق اي الثابت
الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه فماذا بعد الحق الا الضلال
اي عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق وتدل الاية علي
انه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات اذ
الحق فيها في طرف واحد بخلاف مسايل الفروع كذلك حقت
كلمات ربك علي الذين فسقوا المعني كما حق الحق في الاعتقادات
كذلك حقت كلمات ربك علي الذين عتوا وتمردوا في كفرهم انهم
لا يومنون والكلمات يراد بها القدر والقضا قل هل من شركايكم
من يبدا الخلق ثم يعيده الاية احتجاج علي الكفار فان قيل

كيف

كيف يحتج عليهم باعادة الخلق وهم لا يعترفون بها فالجواب انهم معترفون
ان شركاوهم لا يقدرون لا علي الابتدا ولا علي الاعادة وفي ذلك
ابطال لربوبيتهم وايضا فوضعت الاعادة هنا موضع المتفق عليه
لظهور برهانها ام من لا يهدي بتشديد الدال معناه لا يهتدي
في نفسه فكيف يهدي غيره وقري بالتخفيف بمعني يهدي
يهدي غيره والقراة الاولي ابلغ في الاحتجاج فما لكم ما
استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه
كيف تحكمون ام تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله وما يتبع
اكثرهم الا ظنا اي غير تحقيق لانه لا يستند الي برهان ان الظن
لا يغني من الحق شيا ذلك في الاعتقادات اذ المطلوب فيها
اليقين بخلاف الفروع تصديق الذي بين يديه مذكور في
البقره ام يقولون ام هنا بمعني بل والهمزة فاتوا بسورة
تعجيز لهم واقامة حجة عليهم من استطعتم يعني من
شركايهم وغيرهم والانس من دون الله اي غير الله بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اي سارعوا الي التكذيب بما لم يفهموه ولم
يعلموا تفسيره ولما ياتهم تاويله اي علم تاويله او يعني تاويله
الوعيد الذي لهم فيه ومنهم من يومن به الاية فيها قولان احدهما
انها اخبار عن حالهم ان منهم من هو مومن به ويكتم ايمانه
ومنهم من هو مكذب فقل لي عملي الاية موادعة منسوخة
بالقتال من يستمعون اليك اي يستمعون القران وجمع الضمير
بالحمل علي معني من افانت تسمع الصم المعني اتريد ان تسمع
الصم وذلك لا يكون لا سيما اذا انضاف الي الصمم عدم العقل افانت
تهدي العمي المعني اتريد ان تهدي العمي وذلك لا يكون لا سيما اذا
انضاف الي عمي البصر عمي البصيرة والصمم والعمي عبارة عن
قلة فهمهم ثم الله شهيد ذكرت ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر

اخبار بما يكون منهم في المستقبل
وان بعضهم يومن وبعضهم
يتمادي علي الكفر والاخر صح

قاله ابن عطية وقال الزمخشري ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
وهو العقاب فالترتيب علي هذا صحيح فاذا جاء رسولهم قيل
مجيئه في الاخرة للفصل وقيل مجيئه في الدنيا وهو بعثه
ويقولون متي هذا الوعد كلام فيه استبعاد واستخفاف بياتا
اي بالليل ماذا يستعجل منه المجرمون المعني اي شي يستعجلون
من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به وقوله ماذا جواب ان اتاكم
والجملة متعلقة بارايتم اثم اذا ما وقع امنتم به دخلت همزة التقرير
علي ثم العاطفة والمعني اذا وقع العذاب وعاينتموه امنتم به الان
وذلك لا ينفعكم لانكم كنتم تستعجلونه ويستنبئونك احق هو
اي يسلونك عن الوعيد حق او هل الشرع والدين حق والاول
ارجح لقوله وما انتم بمعجزين اي لا تفوتون من الوعيد قل اي
نعم ظلمت صفة لنفس اي لو ملك الظالم الدنيا لافتدي بها
من عذاب الاخرة واسروا الندامة اي اخفوها في نفوسهم
وقيل اظهروها موعظة من ربكم يعني القران وشفا لما في الصدور
اي يشفي ما فيها من الجهل والشك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا يتعلق بفضل الله بقوله فليفرحوا وكرر الفا في قوله
فبذلك تاكيد والمعني الامران يفرحوا بفضل الله وبرحمته
لا بغيرهما والفضل والرحمة عموم وقد قيل الفضل الاسلام
والرحمة القران هو خير مما يجمعون اي فضل الله ورحمته
خير مما يجمعون من حطام الدنيا قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق الاية مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسايبة
وغير ذلك قل الله اذن لكم متعلق بارايتم وكرر قل للتاكيد
ولما قسم الامر الي اذن الله لهم وافترايهم ثبت افتراوهم لانهم
معترفون ان الله يا ذن لهم في ذلك وما ظن وعيد للذين

يفترون

يفترون يوم القيامة ظرف منصوب بالظن والمعني اي شي يظنون
ان يفعل بهم في ذلك اليوم وما تكونوا في شان الشان الامر
والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق ولذلك
قال في اخرها وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ومعني الاية
احاطة علم الله بكل شي وما تتلوا منه من قران الضمير عايد
علي القران وان لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه كانه قال
ما تتلوا شيا من القران وقيل يعود علي الشان والاول ارجح
لان الاضمار قبل الذكر تفخيم للشي اذ تفيضون فيه يقال افاض
الرجل في الامر اذا اخذ فيه بجد وما يعزب ما يغيب مثقال ذرة
وزنها والذرة صغار النمل قال الزمخشري ان قلت لم قدمت
السما علي الارض بخلاف سورة سبا فالجواب ان السما تقدمت
في سبا لان حقها التقديم وقدمت الارض هنا لما ذكرت الشهادة
علي اهل الارض ولا اصغر من ذلك من قراها بالفتح فهو عطف علي ولا اكبر
لفظ مثقال ومن قراها بالرفع عطف علي موضعه او رفع بالابتدا
اوليا الله اختلف الناس في معني الولي اختلافا كثيرا والحق فيه
ما فسره الله بعد هذا بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون فمن جمع بين
الايمان والتقوي فهو الولي واعراب الذين امنوا صفة للاوليا
او منصوب علي التخصيص او مرفوع باضمار هم الذين ولا يكون
ابتدا مستانفا لا ينقطع ما قبله لهم البشري في الحياة الدنيا الاخرة فهي
وفي الاخرة اما بشري الجنة اتفاقا واما بشري الدنيا فهي الرويا
الصالحة يراها الرجل الصالح او تري له روي ذلك عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم وقيل محبة الناس للرجل الصالح
وقيل ما بشر به في القران من الثواب لا تبديل لكلمات الله
اي لا تغيير لاقواله ولا خلف لمواعيده وقد استدل بها ابن عمر
علي ان القران لا يقدر احد ان يبدله ولا يحزنك قولهم يعني

مايقوله الكفار من التكذيب ان العزة لله اخبار في ضمنه وعد للنبي
صلي الله عليه وسلم بالنصر وتسلية له وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن فيها وجهان احدهما ان
تكون ما نافية واجيبت بقوله الا الظن وكررت ان يتبعون توكيدا
والمعني ما يتبع الكفار الا الظن والوجه الثاني ان تكون ما استفهامية
ويتم الكلام عند قوله شركا والمعني اي شي يتبعون علي وجه
التحقير لما يتبعون ثم ابتدا اخبار بقوله ان يتبعون الا الظن والعامل
في شركا علي الوجهين يدعون لتسكنوا فيه من السكون وهو
ضد الحركة والنهار مبصرا اي مضيا تبصرون فيه الاشيا
قالوا اتخذ الله ولدا الضمير للنصارى ولمن قال ان الملايكة
بنات الله هو الغني وصف يقتضي نفي الولد والرد علي من نسبه
لله لان الغني المطلق لا يفتقر الي اتخاذ ولد له ما في السموات
وما في الارض بيان وتوكيد للغني وباقي الاية توبيخ للكفار ووعيد
لهم متاع في الدنيا تقديره لهم متاع في الدنيا نوح روي ان اسمه
عبد الغفار وانما سمي نوحا لكثرة نوحه علي نفسه من خوف الله
كبر عليكم اي صعب وشق مقامي اي قيامي لوعظكم والكلام معكم
وقيل معناه مكاني يعني نفسه كقولك فعلت ذلك لمكان فلان
فاجمعوا بقطع الهمزة من اجمع الامر اذا عزم عليه وقري بالف وصل
من الجمع وشركاكم اي ما تعبدون من دون الله واعرابه مفعول
معه او مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاكم وهذا علي القراة
بقطع الهمزة واما علي الوصل فهو معطوف ثم لا يكن امركم عليكم
غمة اي لا يكون قصدكم الي اهلاكي مستورا ولكن مكشوفا تجاهروني
به وهو من قولك غم الهلال اذا لم يظهر والمراد بقوله امركم في
الموضعين اهلاكم لنوح عليه السلام اي لا تقصروا في اهلاكي
ان قدرتم علي ذلك ثم اقضوا الي اي انفذوا فيما تريدون ومعني الاية
ان

ان نوحا عليه السلام قال لقومه ان صعب عليكم دعاي لكم الي الله
فاصنعوا بي غاية ما تريدون فاني لا ابالي بكم لتوكلي علي الله وثقتي
به سبحانه وجعلناهم خلايف اي يخلفون من هلك بالغرق ثم بعثنا
من بعده رسلا يعني هودا وصالحا وابراهيم وغيرهم اسحر هذا
قيل انه معمول اتقولون فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف
لانهم كانوا يصممون علي انه سحر لقولهم ان هذا لسحر مبين
فكيف يستفهمون عنه وقيل انه من كلام موسي تقريرا وتوبيخا
لهم فيوقف علي قوله اتقولون للحق لما جاكم ويكون معمول القول
محذوف تقديره اتقولون للحق لما جاكم انه لسحر ويدل علي
هذا المحذوف ما حكي عنهم في قوله ان هذا لسحر مبين فلما
تم الكلام ابتدا موسي توبيخهم بقوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
وهذا هو اختيار شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير رحمه الله
لتلفتنا اي لتصرفنا وتردنا عن دين اباينا وتكون لكما الكبريا
الملك والخطاب لموسي واخيه عليهما السلام ما جيتم به السحر ما موصولة
مرفوعة بالابتدا والسحر الخبر وقري السحر بالاستفهام فما علي
هذا استفهامية والسحر خبر ابتدا مضمر ويحق الله الحق
يحتمل ان يكون من كلام موسي او اخبارا من الله تعالي فما امن لموسي
الا ذرية من قومه الضمير عايد علي موسي ومعني الذرية
شبان وفتيان من بني اسرايل امنوا به علي خوفهم من فرعون
وقيل ان الضمير عايد علي فرعون فالذرية علي هذا من
قوم فرعون وروي في هذا انها امراة فرعون وخازنه
وامراة خازنه وهذا بعيد لان هولا لا يقال لهم ذرية ولان
الضمير ينبغي ان يعود علي اقرب مذكور علي خوف من فرعون
وملايهم الضمير يعود علي الذرية اي امنت الذرية من
بني اسرايل علي خوف من فرعون وملا بني اسرايل

لان الاكابر من بني اسرايل كانوا يمنعون اولادهم من الايمان خوفا
من فرعون وقيل يعود علي فرعون بمعني ال فرعون كما يقال
ربيعة ومضر او لانه ذوا اصحاب يا تمرون له ان يفتنهم بدل
من فرعون لعال في الارض اي متكبر قاهر ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين اي لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هولا
علي الحق ما عذبنا هم فيفتنون بذلك ان تبوا لقومكما بمصر
بيوتا اي اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعباده وقيل انذار ادا الاسكند ربيا
واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد وقيل موجهة الي جهة القبلة
فان قيل لم خص موسي وهارون بالخطاب في قوله ان تبوا
ثم خوطب معهما بني اسرايل في قوله واجعلوا فالجواب
ان قوله تبوا من الامور التي يختص بها الانبيا واولوا الامر
وبشر المومنين امر لموسي عليه السلام وقيل لمحمد صلي الله
عليه وسلم ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا بلفظ الامر وقيل اللام
لام كي وتتعلق بقوله اتيت اطمس علي اموالهم اي اهلكهما
واشدد علي قلوبهم اي اجعلها شديدة القسوة فلا يومنوا جواب
للدعا الذي هو اشدد او دعا بلفظ النفي قد اجيبت دعوتكما
الخطاب لموسي وهارون علي انه لم يذكر الدعا الا عن موسي وحده
لكن كان موسي يدعوا وهارون يومن علي دعايه فاستقيما
اي اثبتا علي ما انتما عليه من الدعوة الي الله فاتبعهم
فرعون اي لحقهم يقال اتبعه حتي اتبعه هكذا قال الزمخشري
وقال ابن عطية اتبع بمعني تبع واما اتبع بالتشديد فهو طلب
الامر سوا ادرك او لم يدرك لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل
يعني الله عز وجل وفي لفظ فرعون بجهلة وتلعثم لانه لم يصرح
باسم الله الان وقد عصيت قبل اي قيل له اتومن الساعه
في وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك ننجيك ببدنك
بما

بما نجري علي قومك من الوصول الي قعر البحر وقيل نلقيك علي نجوة
من الارض اي علي موضع مرتفع ببدنك اي جسدك جسد ابدون
روح وقيل بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها والمجرور
في موضع الحال والبا للمصاحبة لتكون لمن خلفك اية اي لمن وراك
وهم بنوا اسرايل مبوا صدق منزلا حسنا وهو مصر والشام فما اختلفوا
حتي جاهم العلم قيل يريد اختلافهم في دينهم وقيل اختلافهم في امر
محمد صلي الله عليه وسلم فان كنت في شك قيل الخطاب للنبي
صلي الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل ذلك كقول القايل
لابنه ان كنت ابني فبرني مع انه لا يشك انه ابنه ولكن من شان
الشك ان يزول بسوال اهل العلم فامره بسوالهم قال ابن عطيه
لم يشك النبي صلي الله عليه وسلم ولم يسال وقال الزمخشري
ان ذلك علي وجه الفرض والتقدير اي ان فرضت ان تقع في
شك فاسيل مما انزلنا اليك قيل يعني القران او الشرع
بجملته وهذا اظهر وقيل يعني ما تقدم من ان بني اسرايل
ما اختلفوا الا من بعد ما جاهم الحق فاسال الذين يقرون الكتاب
من قبلك يعني الذين يقرون التوراة والانجيل قال السهيلي
هم عبد الله بن سلام ومخيرق ومن اسلم من الاحبار وهذا
بعيد لان الاية مكية وانما اسلم هولا بالمدينة فحمل الاية
علي الاطلاق اولي فلا تكونن خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم
والمراد غيره حقت عليهم كلمة ربك اي قضي انهم لا يومنون
فلولا كانت قرية امنت لولا هنا للتحضيض بمعني هلا وهو
استثنا منقطع وقري في الشاذ هلا والمعني هلا كانت قرية من
القري المتقدمة امنت قبل نزول العذاب فنفعها ايمانها اي
لا ينفع بعد نزول العذاب كما جري لفرعون الا قوم يونس استثنا معاينة
من القري لان المراد اهلها وهو استثنا منقطع بمعني ولكن قوم

يونس لما امنوا كشفنا عنهم العذاب ويجوز ان يكون متصلا والجملة في
موضع النفي كانه قال ما امنت قرية الا قوم يونس وروي في قصصهم معني
ان يونس عليه السلام انذرهم العذاب فلما راوه قد خرج من بين
اظهرهم علموا ان العذاب ينزل بهم تابوا وتضرعوا الي الله تعالي
فرفعه عنهم **ومتعناهم الي حين** يريد الي اجالهم المكتوبة في
الازل **افانت تكره الناس حتي يكونوا مومنين** الهمزة للانكار
اي اتريد انت ان تكره الناس في ادخال الايمان في قلوبهم وتتطاول
الي ذلك وليس ذلك اليك انما هو بيد الله وقيل المعني افانت
تكره الناس بالقتال حتي يومنوا وكان هذا في صدر الاسلام
قبل الامر بالجهاد ثم نسخت بالسيف **انظروا** امر بالاعتبار
والنظر في ايات الله **وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون**
يعني من قضي الله عليه انه لا يومن وما نافية او استفهامية
يراد بها النفي **فهل ينتظرون** الاية تهديد **حقا علينا** اعتراض
بين العامل ومعموله وهما كذلك ننج المومنين **وان اقم وجهك**
الوجه هنا بمعني القصد والدين **وما انا عليكم بوكيل** منسوخ
بالقتال وكذلك قوله واصبر حتي يحكم الله وعد بالنصر والظهور علي
الكفار

سورة هود عليه السلام

كتاب يعني القران وهو خبر ابتدا مضمر **احكمت** اي اتقنت فهو من
الاحكام للشي **ثم فصلت** قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة
سورة ولست ثم هنا ليست للترتيب في الزمان وانما هي
لترتيب الاحوال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل **الا تعبدوا
الا الله** ان مفسرة وقيل مصدرية في موضع مفعول من اجله
او بدل من الايات او يكون كلاما مستانفا منقطعا عما قبله علي
لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم ويدل علي ذلك قوله انني
لكم منه نذير وبشير **وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** اي

استغفروه

استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي ثم ارجعوا اليه بالطاعة
والاستقامة عليها **يمتعكم متاعا حسنا** اي ينفعكم في الدنيا بالارزا ق
والنعم والخيرات وقيل هو طيب عيش المومن برجاه في الله ورضاه
بقضايه لان الكافر يمتع في الدنيا بالارزاق **الي اجل مسمي** يعني
الموت **ويوت كل ذي فضل فضله** اي يعطي في الاخرة كل ذي
عمل جزا عمله والضمير يحتمل ان يعود علي الله تعالي او علي ذي فضل
وان تولوا خطاب للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه احدي
التاين **الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه** قيل كان الكفار
اذا لقيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم يردون اليه ظهورهم
ليلا يره من شدة البغضة والعداوة والضمير في منه علي
هذا يعود الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل ان ذلك
عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل وقيل
هو عبارة عن اعراضهم لان من اعرض عن شي انثني عنه وانحرف
والضمير في منه علي هذا يعود علي الله تعالي اي يريدون ان
يستخفوا من الله تعالي فلا يطلع رسوله ولا المومنين علي ما في
قلوبهم **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يجعلونها اغشية واغطية
كراهة لاستماع القران والعامل في حين يعلم ما يسرون وقيل
المعني يريدون ان يستخفوا حين يستغشون ثيابهم فيوقف عليه
علي هذا ويكون يعلم استينافا **وما من دابة في الارض الا علي الله
رزقها** وعد وضمان صادق فان قيل كيف قال علي الله بلفظ
الوجوب وانما هو تفضل لان الله لا يجب عليه شي فالجواب
انه ذكره كذلك تاكيد الضمان لانه لما وعد به صار واقعا لا محالة
لانه لا يخلف الميعاد **ويعلم مستقرها ومستودعها** المستودع
صلب الاب والمستقر بطن المراه وقيل المستقر المكان في الدنيا
والمستودع القبر **وكان عرشه علي الما** دليل علي ان العرش

والماكانا موجودين قبل خلق السموات والارض ليبلوكم اي ليختبركم
اختبارا تقوم به الحجة عليكم لانه كان عالما باعمالكم قبل خلقكم
ويتعلق ليبلوكم بخلق سحر مبين يحتمل ان يشير والي القران
او للقول بالبعث يعنون انه باطل كبطلان السحر ولئن اخرنا
عنهم العذاب يحتمل ان يريد عذاب الدنيا والاخرة الي امة
معدودة اي الي وقت محدود ليقولن ما يحبسه اي اي شي يمنع هذا
العذاب الموعود به وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف
ولئن اذقنا الاية ذم لمن يقنط عند الشدايد ولمن يفتخر ويتكبر
عند النعم والرحمة هنا والنعما يراد بهما الخيرات الدنيا وبه
والانسان عام يراد به الجنس والاستثنا على هذا متصل وقيل
المراد بالانسان الكافر فالاستثنا على هذا منقطع فلعلك
تارك بعض ما يوحي اليك الاية كان الكفار يقترحون على
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ياتي بكنز او ياتي معه
ملك وكانوا يستهزون بالقران فقال الله تعالي له لعلك تارك
ان تلقي اليهم بعض ما انزل اليك ويثقل عليك تبليغهم من
اجل استهزايهم او لعلك يضيق صدرك من اجل ان يقولوا لولا
انزل عليه كنز او جا معه ملك والمقصود بالاية تسلية النبي
صلي الله عليه وسلم عن قولهم حتي يبلغ الرسالة ولا يبالي
بهم وانما قال ضايق ولم يقل ضيق ليدل على اتساع صدره
عليه السلام وقلة ضيقه انما انت منذر اي ليس عليك الا
الانذار والتبليغ والله هو الوكيل الذي يقضي بما يشا من ايمانهم
او كفرهم ام يقولون افتراه ام هنا منقطعة بمعني بل والهمزة
والضمير في افتراه لما يوحي اليه قل فاتوا بعشر سور مثله
تحداهم اولا بعشر سور فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة
فقال فاتوا بسورة مثله والمماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه

مفتريات صفة لعشر سور وذلك مقابلة لقولهم افتراه وليست
المماثلة في الافترا وادعوا من استطعتم اي استعينوا بمن شيتم
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله فيها وجهان احدهما
ان تكون مخاطبة للنبي صلي الله عليه وسلم وللمومنين اي ان لم
يستجيبوا الكفار الي ما دعوتم اليه من معارضة القران فاعلموا
انه من عند الله وهذا بمعني دوموا على علمكم بذلك او زيدوا
يقينا والثاني ان يكون خطابا من النبي صلي الله عليه وسلم
للكفار اي ان لم يستجب من تدعونه من دون الله الي شي من المعارضة
ولا قدر جميعكم عليه فاعلموا انه من عند الله وهذا اقوي
لقوله فهل انتم مسلمون ومعني بعلم الله باذنه او بما لا يعلمه
الا الله من الغيوب وقوله فهل انتم مسلمون لفظه استفهام ومعناه
استدعا الي الاسلام والزام للكفار ان يسلموا لما قدم الدليل
علي صحة الاسلام لعجزهم عن الاتيان بمثل القران من كان يريد الحياة
الدنيا الاية نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الاخرة
اذ هم لا يصدقون بها وقيل نزلت في اهل الريا من المومنين الذين
يريدون باعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القاري والمنفق
والمجاهد الذين ارادوا ان يقال انهم اول من تسعر لهم النار والاول
ارجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقران فانما قصد بهذه الاية
اولئك نوف اليهم اعمالهم فيها نوف اليهم اجور اعمالهم فيها نعطيهم
في الدنيا من الصحة والرزق والضمير في فيها يعود على الدنيا
والمجرور يتعلق بقوله نوف او باعمالهم حبط ما صنعوا فيها الضمير
في فيها هنا يعود على الاخرة ويتعلق المجرور بحبط ويعود على
الدنيا ان تعلق بصنعوا افمن كان على بينة من ربه الاية معادلة
لما تقدم والمعني افمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة
من ربه والمراد بمن كان على بينة من ربه النبي صلي الله عليه وسلم

والمومنين لقوله بعد ذلك اوليك يومنون به ومعني البينة البرهان
العقلي والامر الجلي **ويتلوه شاهد منه** الضمير في يتلوه للبرهان
وهو البينة او لمن كان علي بينة من ربه والضمير في منه للرب
تعالي ويتلوه هنا بمعني يتبع والشاهد يراد به القران فالمعني
يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القران فيزيد وضوحه
وتعظم دلالته وقيل ان الشاهد المذكور هنا هو علي بن ابي طالب
ومن قبله كتاب موسي اي ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب
موسي وهو ايضا دليل اخر متقدم وقد قيل اقوال كثيرة في
معني هذه الاية وارجحها ما ذكرنا **ومن الاحزاب** اي من اهل مكة
ويقول الاشهاد جمع شاهد كاصحاب ويحتمل ان يكون من الشهادة
فيراد به الملائكة والانبيا او من الشهود اي الحضور فيراد به كل
من حضر الموقف **ويبغونها عوجا** اي يطلبون اعوجاجها ويصفونها
بالاعوجاج **لم يكونوا معجزين** اي لا يفلتون **يضاعف لهم العذاب**
اخبار عن شديد عذابهم وليس بصفة لاوليا **ما كانوا يستطيعون**
السمع الاية ما نافية والضمير للكفار والمعني وصفهم بانهم لا يسمعون
ولا يبصرون كقوله ختم الله علي قلوبهم الاية وقيل غير ذلك
وهو بعيد **لا جرم** اي لابد ولا شك **اخبتوا** اخشعوا وقيل انابوا
مثل الفريقين يعني المومنين والكافرين **كالاعمي والاصم والسميع**
والبصير شبه الكفار بالاعمي والاصم وشبه المومنين بالسميع والبصير
فهو علي هذا تمثيل المومنين بمثالين وتمثيل الكافر بمثالين
وقيل التقدير كالاعمي والاصم والبصير والسميع فالواو لعطف
الصفات فهو علي هذا تمثيل للمومنين بمثال واحد وهو من
جمع بين السمع والبصر وتمثيل للكافر بمثال واحد وهو من
جمع بين العمي والصمم **عذاب يوم اليم** وصف اليوم بالاليم علي
وجه المجاز لوقوع الالم فيه **اراذلنا** جمع ارذل وهم سفلة الناس

وانما

وانما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقادهم ان الشرف بالمال
والجاه وليس الامر كما اعتقدوا بل المومنون كانوا اشرف منهم علي حال
فقرهم وخمولهم في الدنيا وقيل انهم كانوا حاكة وحجامين واختار
ابن عطية انهم ارادوا انهم اراذل في افعالهم لقول نوح وما علمي
بما كانوا يعملون **بادي الراي** اي اول الراي من غير نظر ولا تدبر وبادي
منصوب علي الظرفية اصله وقت حدوث اول رايهم والعامل
فيه اتبعوك علي اصح الاقوال والمعني اتبعك الاراذل من غير
نظر ولا تثبت وقيل هو صفة لبشرا مثلنا اي غير متثبت في الراي
وما نري لكم علينا من فضل اي من زيادة وشرف والخطاب
لنوح عليه السلام ومن معه **علي بينة من ربي** اي علي برهان
وامر جلي وكذلك في قصة صالح وشعيب **واتاني رحمة** يعني النبوة
فعميت عليكم اي خفيت عليكم والفاعل البينة او الرحمة **انلزمكموها**
اي نكرهكم علي قبولها قهرا وهذا هو جواب ارايتم ومعني الاية
ان نوحا عليه السلام قال لقومه ارايتم ان هداني الله واضلكم
اجبركم علي الهدي وانتم لها كارهون **لا اسالكم عليه مالا**
الضمير في عليه عايد علي التبليغ **وما انا بطارد الذين امنوا**
يقتضي انهم طلبوا منه طرد الضعفا **انهم ملاقوا ربهم** المعني انه يجازيهم
علي اعمالهم **من ينصرني من الله ان طردتهم** اي من يدفع عني
عقاب الله ان ظلمتهم بالطرد **ولا اقول لكم عندي خزاين الله**
الاية اي لا ادعي ما ليس لي فتنكرون قولي **تزدري** اي تحتقر
من قولك زريت علي الرجل اذا قصرت به والمراد بالذين تزدري
اعينهم ضعفا المومنين **اني اذا لمن الظالمين** اي ان قلت للمومنين
لن يوتيهم الله خيرا والخير هنا يحتمل ان يريد به خير الدنيا والاخرة
جادلتنا الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة **فاتنا بما**
تعدنا اي بالعذاب **ولا ينفعكم نصحي** الاية جزا قوله ان اردت

ان انصح لكم هو ما دل عليه نصحي وجزا قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
هو ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي فتقديرها ان اراد الله ان يغويكم
لن ينفعكم نصحي ان نصحت لكم ثم استانف قوله هو ربكم ولا يجوز
ان يكون هو ربكم جواب الشرط افتراه الاية الضمير في يقولون لكفار
قريش وفي افتراه لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا قول جميع المفسرين
واختار ابن عطيه ان تكون في شان نوح عليه السلام فيكون
الضمير في يقولون لقوم نوح وفي افتراه لنوح لئلا يعترض ما بين
قصة نوح بغيرها وهذا بعيد اجرامي اي ذنبي ولا تبتئس
اي فلا تحزن واصنع الفلك باعيننا تحت نظرنا وحفظنا ووحينا
اي وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك ولا تخاطبني في الذين ظلموا
اي لا تشفع لي فيهم فاني قد قضيت عليهم بالغرق كلما يحتمل
ان يكون جوابها سخروا منه او قال ان تسخروا فسوف تعلمون
تهديد ومن ياتيه منصوب بتعلمون عذاب يخزيه هو الغرق
والعذاب المقيم عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله يصنع الفلك
وفار التنور اي فار بالما جعل الله تلك علامة لنوح ليركب حينئذ
في السفينة والمراد بالتنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره
وروي انه كان تنور ادم خلص الي نوح وقيل التنور وجه
الارض قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين المراد بالزوجين
الذكر والانثي من الحيوان وقري من كل بغير تنوين فعمل احمل في
اثنين وقري بالتنوين فعمل احمل في زوجين وجعل اثنين توكيدا
واهلك اي قرابتك وهو معطوف على ما عمل فيه احمل
الا من سبق عليه القول اي من قضي عليه بالعذاب فهو
مستثني من اهله والمراد بذلك ابنه الكافر وامراته
ومن آمن معطوف علي اهلك اي احمل اهلك ومن امن من
غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا ثمانون وقيل عشرة

وقيل

وقيل ثمانية وقال اركبوا الضمير في قال لنوح والخطاب لمن كان
معه والضمير في فيها للسفينة روي انهم ركبوا فيها اول يوم من
رجب واستقرت علي الجودي يوم عاشورا بسم الله مجراها
ومرساها اشتقاق مجراها من الجري واشتقاق مرساها من
الارسا وهو الثبوت اي وقوف السفينة ويمكن ان يكونا ظرفين
للزمان او المكان او مصدرين ويحتمل الاعراب من وجهين
احدهما ان يكون بسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا
والتقدير اركبوا متبركين بسم الله او قائلين بسم الله فيكون
مجراها ومرساها علي هذا ظرفين للزمان بمعني وقت
اجرائها وارسائها او ظرفين للمكان ويكون العامل فيهما
ما في قوله بسم الله من معني الفعل ويكون بسم الله متصلا مع
ما قبله والجملة كلام واحد والوجه الثاني ان يكون كلامين
فيوقف علي اركبوا فيها ويكون بسم الله في موضع خبر ومجراها
ومرساها مبتدا بمعني المصدر اي اجراوها وارساوها ويكون
بسم الله علي هذا مستانفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام
نوح حسبما روي ان نوحا كان اذا اراد ان يجري السفينة قال
بسم الله فتجري واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتوقف
وهي تجري بهم في موج كالجبال روي ان الما طبق ما بين
السما والارض فصار الكل كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف
واين كان الموج كالجبال علي هذا وصوبه الزمخشري وقال
كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق وقبل ان يغمر الماء
الجبال ونادي نوح ابنه اسمه كنعان وقيل يام وكان له ثلاث
بنون سواه وهم سام وحام ويافث ومنهم تناسل الخلق
في معزل اي في ناحية لا عاصم اليوم من امر الله يحتمل اربعة
اوجه احدها ان يكون عاصم فاعل ومن رحم لذلك بمعني الراحم

وهو الله تعالي والثاني ان يكون عاصم بمعني ذي عصمة اي معصوم
ومن رحم بمعني مفعول اي من رحمه الله فالمعني لا معصوم الا من
رحمه والاستثنا علي هذين الوجهين متصل الثالث ان يكون
عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعني المفعول والمعني لا عاصم من
امر الله لكن من رحمه الله هو المعصوم والرابع عكسه والاستثنا
علي هذين منقطع ابلعي ماءك عبارة عن جفوف الارض من الما
اقلعي اي امسكي عن المطر وروي انها امطرت من كل موضع
منها وغيض الما اي تم وكمل واستوت علي الجودي اي استقرت
السفينة علي الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا
اي هلاكا وانتصب علي المصدر ونادي نوح ربه يحتمل ان يكون
هذا الندا قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب او يكون
بعده قال رب ان ابني من اهلي اي وقد وعدتني ان تنجي اهلي
قال يا نوح انه ليس من اهلك اي ليس من اهلك الذين وعدتك
بنجاتهم لانه كافر وقال الزمخشري لم يكن ابنه ولكنه خانته امه
وكان لغير رشدة وهذا ضعيف لان الانبيا عليهم السلام قد عصمهم
الله ان تزني نساهم ولقوله ونادي نوح ابنه انه عمل غير صالح
فيه ثلاث تاويلات علي قراة الجمهور احدها ان يكون الضمير
في انه لسوال نوح نجاة ابنه والثاني ان يكون الضمير لابن نوح
وحذف المضاف من الكلام تقديره انه ذو عمل غير صالح
والثالث ان يكون الضمير لابن نوح وعمل مصدر وصف به مبالغة
كقولك رجل صوم وقرا الكساي عمل بفعل ماض غير صالح
بالنصب والضمير علي هذا الابن نوح بلا اشكال فلا تسالني
ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني امرا لا تعلم اصواب هو
ام غير صواب حتي تقف علي كنهه فان قيل لم سمي نداه سوالا
ولا سوال فيه الجواب انه تضمن السوال وان لم يصرح به

اني

اني اعظك ان تكون من الجاهلين ان في موضع مفعول من اجله تقديره
اعظك كراهة ان تكون من الجاهلين وليس في ذلك وصف له بالجهل
بل فيه ملاطفة واكرام اهبط بسلام منا اي اهبط من السفينة
بسلامة وعلي امم ممن معك اي ممن معك في السفينة واختار
الزمخشري ان يكون المعني من ذرية ممن معك ويعني به المومنين الي
يوم القيامة فمن علي هذا لابتدا الغاية والتقدير علي امم ناشية
ممن معك وعلي الاول تكون من لبيان الجنس وامم سنمتعهم
يعني نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار الي يوم القيامة تلك من انبا
الغيب اشارة الي القصة وفي الاية دليل علي ان النبوة والاستغفار
القران من عند الله لان النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن يعلم ذلك
قبل الوحي ان انتم الا مفترون يعني في عبادتهم لغير الله يرسل السما
عليكم مدرارا السما هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر يقال در المطر
واللبن وغيره وفي الاية دليل علي ان الاستغفار والتوبة سبب لنزول
الامطار وروي ان عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين فامرهم
بالتوبة والاستغفار ووعدهم علي ذلك بالمطر والمراد بالتوبة هنا
الرجوع عن الكفر ثم عن الذنوب لان التوبة من الذنوب لا تصح الا بعد
الايمان قالوا يا هود ما جيتنا ببينة اي بمعجزة وذلك كذب منهم وجحود
او يكون معناه باية تضطرنا الي الايمان بك وان كان قد اتاهم باية
نظرية عن قولك اي بسبب قولك ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسو
معناه الا ان بعض الهتنا اصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون هذا امر بمعني التعجيز اي لا تقدرون
انتم ولا الهتكم علي شي ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته
بهم فقال اني توكلت علي الله الاية ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
اي هي في قبضته وتحت قهره والاخذ بالناصية تمثيل لذلك وهذه
الجملة تعليل لقوة توكله علي الله وعدم مبالاته بالخلق الذي

وقوله صدق ووعده ان افعال الله جميلة يريد على صراط مستقيم
حق والاستقامة تامة فان تولو فقد ابلغتكم اصل تولو هنا تتولو
لانه فعل مستقبل حذفت منه تا المضارعة فان قيل كيف وقع الابلاغ
جوابا للشرط وقد كان الابلاغ قبل التولي فالجواب ان المعنى ان تتولو
فلا عتب علي لاني قد بلغتكم رسالة ربي ولا تضرونه شيا اي لا تنقصونه
شيا اي اذا اهلكم واستخلف غيركم ولما جا امرنا ان قيل لم قال هنا
وفي قصة شعيب ولما بالواو وقال في قصة صالح فلما بالفا فالجواب
على ما قال الزمخشري انه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد
ذكر الوعيد فجي بالفا التي تقتضي التسبيب كما تقول وعدته فلما
جا الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب فانه لم يتقدم ذلك فيهما
فعطف بالواو ونجيناهم من عذاب غليظ يحتمل ان يريد به عذاب
الاخرة ولذلك عطفه على النجاة الاولى التي اراد بها النجاة من الريح
ويحتمل ان يريد بالثاني ايضا الريح وكرره اعلاما بانه عذاب
غليظ وتعديد النعمة في نجاتهم وعصوا رسله في جمع الرسل هنا
وجهان احدهما ان من عصى رسولا لزمه عصيان جميعهم فانهم
متفقون على الايمان بالله وعلى توحيده والثاني ان يراد الجنس
كقولك فلان يركب الخيل وان لم يركب الا فرسا واحدا الا ان عادا
كفروا ربهم هذا تشنيع لكفرهم وتهويل لحرف التنبيه وتكرار
اسم عاد الا بعدا اي هلاكا وهذا دعا عليهم وانتصابه بفعل
مضمر فان قيل كيف دعا عليهم بالهلاك بعد ان هلكوا فالجواب
ان المراد انهم اهل لذلك لعاد قوم هود بيان لان عاد اثنان احدهما
قوم هود والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لان ادم خلق من تراب
واستعمركم فيها اي جعلكم تعمرونها فهو من العمران للارض وقيل
هو من العمر نحو استبقاكم من البقا قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجوا
ان ننتفع بك حتى قلت ما قلت وقيل المعنى كنا نرجوا ان تدخل

في

في ديننا في داركم ثلاثة ايام قيل انها الخميس والجمعة والسبت
لانهم عقروا الناقة يوم الاربعا واخذهم العذاب يوم الاحد ومن
خزي معطوف على نجينا اي نجيناهم من خزي يومئذ جاثمين
ذكر في الاعراف كان لم يغنوا فيها اي كان لم يقيموا فيها والضمير للديار
وكذلك في قصة شعيب ولقد جاءت رسلنا الرسل هنا الملائكة ابراهيم
بالبشرى بشروه بالولد قالوا سلاما نصب على المصدر والعامل
فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليك سلاما قال سلام تقديره
عليكم سلام او سلام عليكم وهذا على ان يكون بمعنى التحية وانما
رفع جوابه ليدل على اثبات السلام فيكون قد حياهم باحسن مما
حيوه ويحتمل ان يكون السلام بمعنى السلامة ونصب الاول لانه
بمعنى الطلب ورفع الثاني لانه في معنى الخبر فما لبث ان جا اي ما لبث
مجيئه بل عجل وما نافية وان جا فاعل بلبث بعجل حنيذ اي مشوي
وفعيل هنا بمعنى مفعول نكرهم اي انكرهم ولم يعرفهم يقال نكر
وانكر بمعنى واحد واوجس منهم خيفة قيل انه لم يعرفهم فخاف
منهم لما لم ياكلوا طعامه وقيل عرف انهم ملايكة ولكن خاف ان
يكونوا ارسلوا بما يخاف فامنوه بقولهم لا تخف وامراته قايمة
قيل قايمة خلف ستر وقيل قايمة في الصلاة وقيل قايمة
تخدم القوم واسمها سارة فضحكت قيل معناه حاضت وهو
ضعيف وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا في اي شي
ضحكت فقيل سرورا بالولد الذي بشرت به وفي الكلام على هذا
تقديم وتاخير وقيل سرورا بالامن بعد الخوف وقيل سرورا
بهلاك قوم لوط فبشرناها باسحاق اسند البشارة الى ضمير
الله تعالى لانها كانت بامره ومن ورا اسحاق يعقوب اي من بعده
وهو ولده وقيل الورا ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدا وبالفتح
معطوف على اسحاق قالت يا ويلتا الالف فيه مبدلة من يا المتكلم

وكذلك في ياللهف ويااسفي ويا عجبا ومعناه التعجب من الولادة وروي
انما كانت حينيذ بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم مايه سنة
رحمة الله وبركاته عليكم يحتمل الدعا والخبر اهل البيت اي اهل بيت
ابراهيم وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص او منادي
حميد اي محمود مجيد من المجد وهو العلو والشرف
هذا جواب لما على ان يكون المضارع في موضع الماضي او على تقدير
ظل او اخذ يجادلنا او يكون يجادلنا مستانفا والجواب محذوف
ومعني جداله كلامه مع الملايكة في دفع العذاب عن قوم لوط
وقد ذكر في اللغات حليم وفي براة اواه ولما جاءت رسلنا لوطا
سي بهم الرسل هم الملايكة ومعني سي اصابه سوء وضجر لما ظن
انه من بني ادم وخاف عليهم من قومه يوم عصيب اي شديد وجاءه
قومه يهرعون اليه اي يتسارعون وكانت امراة لوط قد اخبرتهم
بنزول الاضياف عندهم فاسرعوا اليه ليعملوا بهم عمل الخبيث ومن قبل
كانوا يعملون السيات اي كانت عادتهم اتيان الفواحش في الرجال
قال يا قوم هولا بناتي المعني فتزوجوهن وانما قال ذلك ليقي اضيافه
بناته وقيل ان اسم بناته الواحدة ريثا والاخري غوثا وان
اسم امراته الهالكة والهة واسم امراة نوح والعة قالوا لقد علمت
مالنا في بناتك من حق اي مالنا فيهم ارب وانك لتعلم ما نريد
يعنون نكاح الذكور قال لو ان لي بكم قوة جواب لو محذوف تقديره
لو كان لي قدرة على دفعكم لفعلت ويحتمل ان تكون لو للتمني او اوي
الي ركن شديد معني اوي الجا والمراد بالركن الشديد ما يلجا
اليه من عشيرة وانصار يحمونه من قومه وقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا لقد كان ياوي الي ركن
شديد يعني الي الله والملايكة قالوا يا لوط انا رسل ربك الضمير
في قالوا للملايكة والضمير في لن يصلوا للقوم لوط وذلك ان الله

طمس على اعينهم حينيذ فاسر باهلك اي اخرج بهم بالليل فان
العذاب ينزل باهل هذه المداين وقري فاسر بوصل الالف وقطعها
وهما لغتان يقال سري واسري بقطع من الليل اي قطعة منه
ولا يلتفت منكم احد نهوا عن الالتفات ليلا تنفطر اكبادهم ما جري
على قريتهم وقيل يلتفت معناه يلتوي الا امراتك قري بالنصب
والرفع فالنصب استثنا من قوله فاسر باهلك فيقتضي هذا
انه لم يخرجها مع اهله والرفع بدل من لا يلتفت منكم احد
وروي على هذا انه اخرجها معه وانها التفتت وقالت يا قوماه
فاصابها حجر فقتلها ان موعدهم الصبح اي وقت عذابهم الصبح
اليس الصبح بقريب ذكر انه لما قال ان موعدهم الصبح قال لهم
لوط هلا عذبوا الان فقالوا له اليس الصبح بقريب جعلنا عاليها
سافلها الضمير للمداين روي ان جبريل ادخل جناحه تحت مداين
قوم لوط واقتلعها فرفعها حتي سمع اهل السما صراخ الديكة
ونباح الكلاب ثم ارسلها مقلوبة وامطرنا عليها حجارة اي على
المداين والمراد اهلها وروي انه من كان منهم خارج المداين اصابته
حجارة من السما واما من كان في المداين فهلك لما قلبت من سجيل
قيل معناه من ما وطين وانما كان من الاجر المطبوخ وقيل من سجله
اذا ارسله وقيل هو لفظ اعجمي منضود اي مضموم بعضه فوق
بعض مسومة عند ربك معناه معلمة بعلامة وروي انه كان
فيها بياض وحمرة وقيل كان في كل حجر اسم صاحبه وما هي من
الظالمين ببعيد الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش فهذا
تهديد لهم اي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لاجل كفرهم وقيل
الضمير للمداين فالمراد ليست ببعيد منهم افلا يعتبرون بها كقوله
ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء وقيل الظالمين على العموم
اني اراكم بخير يعني رخص الاسعار وكثرة الارزاق عذاب يوم محيط

يوم القيامة او يوم عذابهم في الدنيا بقية الله خير لكم اي ما ابقاه
الله لكم من رزقه ونعمته اصلواتك تامرك الصلوات هي المعروفة و
ونسب الامر اليها مجاز كقوله ان الصلاة تنهي عن الفحشا والمنكر
والمعني اصلواتك تامرك ان نترك عبادة الاوثان وانما قال
الكفار هذا علي وجه الاستهزا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان وان نفعل
عطف علي ان نترك انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوا ذلك
علي وجه التهكم والاستهزا وقيل معناه الحليم الرشيد عند
نفسك ورزقني منه رزقا حسنا اي سالما من الفساد الذي ادخلتم
انتم في اموالكم وجواب ارايتم محذوف يدل عليه المعني وتقديره
ارايتم ان كنت علي بينة من ربي ايصلح لي ترك تبليغ رسالته
وما اريد ان اخالفكم الي ما انهاكم عنه يقال خالفني فلان الي كذا
اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وانت
قاصده ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
اي لا يكسبنكم عداوتي ان يصيبكم مثل عذاب الامم المتقدمة وشقاقي
فاعل وان يصيبكم مفعول وما قوم لوط منكم ببعيد يعني في الزمان
لانهم كانوا اقرب الامم الهالكين اليهم ويحتمل ان يريد ببعيد في البلاد
ما نفقه اي ما نفهم وانا لنراك فينا ضعيفا اي ضعيف الانتصار والقدرة
وقيل نحيل البدن وقيل اعمي ولولا رهطك لرجمناك الرهط
القرابة والرمي بالحجارة او السب ارهطي اعز عليكم من الله
هذا توبيخ لهم فان قيل انما وقع الكلام فيه وفي رهطه وانهم هم
الاعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم فالجواب انه تهاونهم
به وهو رسول الله صلي الله عليه وسلم تهاون بالله فلذلك
قال ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
الضمير في اتخذتموه لله تعالي او لدينه وامره والظهري ما يطرح

ورا

ما يطرح ورا الظهر ولا يعبو به وهو منسوب الي الظهر بتغيير النسب
اعملوا علي مكانتكم تهديد ومعني مكانتكم تمكنكم في الدنيا وعزتكم
فيها من ياتيه عذاب يخزيه عذاب في الدنيا والاخرة وارتقبوا تهديد
ولقد ارسلنا موسي باياتنا اي بالمعجزات وسلطان اي برهان بين
يقدم قومه اي يتقدمهم قدامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه
علي الضلال والكفر فاوردهم النار الورود هنا بمعني الدخول وذكره
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ويوم القيامة عطف علي في هذه
فان المراد بها الدنيا بيس الرفد المرفود اي العطية المضاعفة
قايم وحصيد باق وداثر فما اغنت عنهم الهتهم حجة علي التوحيد
ونفي الشرك تتبيب اي تخسير يوم مجموع له الناس اي يجمعون
فيه للحساب والثواب والعقاب وانما عبر باسم المفعول دون
الفعل ليدل علي ثبوت الجمع لذلك اليوم لان لفظ مجموع ابلغ من
لفظ يجمع يوم مشهود اي يحضره الاولون والاخرون يوم يات
العامل في الظرف لا تكلم او فعل مضمر وفاعل يات ضمير يعود علي
مشهود وقال الزمخشري يعود علي الله تعالي كقوله او ياتي ربك
ويعضده عود الضمير عليه في قوله باذنه فمنهم شقي وسعيد
الضمير يعود علي اهل الموقف الذين دل عليهم قوله لا تكلم نفس
زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير
صوت المحزون والشهيق صوت الباكي وقيل الزفير من الحلق
والشهيق من الصدر خالدين فيها ما دامت السموات والارض
فيه وجهان احدهما ان يراد بها سموات الاخرة وارضها وهي
دايمة ابدا والاخر ان يكون عبارة عن التابيد كقول العرب ما لاح
كوكب وما ناح الحمام وشبه ذلك مما يقصد به الدوام الا ما شا ربك
في هذا الاستثنا ثلاثة اقوال قيل انه علي طريق التادب مع
الله كقولك ان شا الله وان كان الامر واجبا وقيل المراد به زمان

خروج المذنبين من النار ويكون الذين شقوا علي عذايم الكفار
والمذنبين وقيل استثني مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ واما الاستثنا
في اهل الجنة فيصح القول الاول والثالث دون الثاني غير مجذوذ
اي غير مقطوع فلا تك في مرية مما يعبد هولا المرية الشك والاشارة
الي عبدة الاصنام اي لا تشك في فساد دين هولا ما يعبدون الا
كما يعبد اباوهم اي هم متبعون لاباييهم تقليدا من غير برهان وانا
لموفوهم نصيبهم يعني من العذاب وذلك ان الله قضي ان يفصل
بينهم يوم القيامة فلا يفصل في الدنيا وان كلا قري بتشديد
ان وتخفيفها واعمالها عمل الثقيلة والتنوين في كل عوضا من المضاف
اليه يعني كلهم واللام في لما موطية للقسم وما زايدة وليوفينهم
جواب وقري لما بالتشديد علي ان تكون ان نافية ولما بمعني الا
ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزا اعمالهم ولا تركنوا الي الذين ظلموا
يعني الكفار وقيل انهم الظلمة من الولاة وغيرهم ثم لا تنصرون
مستانف غير معطوف وانما قال ثم لبعد النصرة واقم الصلاة
الاية يراد بها الصلاة المفروضة فالطرف الاول الصبح والطرف
الثاني الظهر والعصر والزلف من الليل المغرب والعشا ان الحسنات
يذهبن السيات لفظه عام وخصصه اهل التاويل بان الحسنات
الصلوات الخمس ويمكن ان يكون ذلك علي وجه التمثيل روي
ان رجلا قبل امراة ثم ندم فذكر ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم
وصلي معه فنزلت الاية فقال النبي صلي الله عليه وسلم اين
السايل فقال ها انا ذا فقال قد غفر لك فقال الرجل الي خاصة
او للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة والاية علي هذا
مدنية وقيل ان الاية كانت قبل ذلك وذكرها النبي صلي الله
عليه وسلم للرجل مستدلا بها والاية علي هذا مكية كساير
السورة وانما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغاير اذا اجتنبت

الكباير

ذلك اشارة الي الصلوات او الي كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد مح

الكباير فلولا تحضيض بمعني هلا اولو بقية اي اولو خير ودين
بقي لهم دون غيرهم من انجينا منهم استثنا منقطع معناه ولكن قليلا
ممن انجينا من القرون ينهون عن الفساد في الارض وقيل هو متصل
فان الكلام الذي قبله في حكم النفي كانه قال ما كان منهم من ينهي
عن الفساد في الارض الا قليلا علي ان الوجه في مثل هذا البدل
ويجوز فيه النصب الذين ظلموا يعني الذين لم ينتهوا عن الفساد
بظلم هذا المجرور في موضع الحال من ربك والمعني انه لا يهلك
اهل القري ظالما لهم تعالي عن ذلك ولو شا ربك لجعل الناس امة
واحدة يعني مومنة لا خلاف بينهم في الايمان ولا يزالون مختلفين
يعني في الاديان والملل والمذاهب ولذلك خلقهم قيل الاشارة
الي الاختلاف وقيل الي الرحمة وقيل اليهما وكلا نقص انتصب كلا
بنقص وما بدل من كلا وجاءك في هذه الحق الاشارة الي السورة
اعملوا وانتظروا تهديد سورة يوسف عليه السلام
الكتاب المبين يعني القران والمبين يحتمل ان يكون بمعني البين فيكون
غير متعد او يكون متعديا بمعني انه ابان الحق اي اظهره لعلكم
يتعلق بانزلنا او بعربيا احسن القصص يعني قصة يوسف
او قصص الانبيا علي الاطلاق والقصص يكون مصدرا واسم مفعول
بمعني المقصوص فان اريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف
لان ذكر القران يدل عليه وان كنت من قبله لمن الغافلين الضمير
في قبله للقصص اي من الغافلين عن معرفته وفي هذا احتجاج
علي انه من عند الله لكونه جا به من غير تعليم اذ قال العامل فيه
اذكر المضمر او القصص يا ابت اي يا ابي والتا للمبالغة وقيل للتانيث
وكسرت دلالة علي يا المتكلم والتا عوض من يا المتكلم رايتهم لي
ساجدين كرر الفعل لطول الكلام واجري الكواكب والشمس والقمر
مجري العقلا في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل وهو السجود

وتاويل الكواكب في المنام اخوته والشمس والقمر ابواه وسجودهم
له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو مالك **لا تقصص رؤياك**
علي اخوتك انما قال ذلك لانه علم ان تاويلها ارتفاع منزلته
فخاف عليه من الحسد **يجتبيك** يختارك **ويعلمك من تاويل الـ**
الاحاديث قيل هي عبارة الرويا واللفظ اعم من ذلك **الـ**
يعقوب يعني ذريته **ايات للسايلين** اي لمن سال عنها روي
ان اليهود سالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قصة
يوسف اوامروا قريشا ان يسالوا عنها فهم السايلون علي هذا
واللفظ اعم من ذلك **ليوسف واخوه** هو بنيامين وهو اصغر
من يوسف ويقال انه شقيق يوسف وكان اصغر اولاد يعقوب
ونحن عصبة اي جماعة نقدر علي النفع والضر بخلاف الصغيرين
والعصبة العشرة فما فوقها الي الاربعين **ان ابانا لفي ضلال مبين**
اي خطا وخروج عن الصواب بافراط حبه ليوسف واخيه
يخل لكم وجه ابيكم اي لا يشاركم غيره في محبته لكم واقباله
عليكم **قوما صالحين** اي بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح
حالهم مع ابيهم **قال قايل** هو يهوذا وقيل روبيل **غيابة الجب**
غوره وما غاب منه **السيارة** جمع سيار وهم القوم الذين
يسيرون في الارض للتجارة وغيرها **ان كنتم فاعلين** اي هذا
هو الراي ان فعلتموه **مالك لا تامنا علي يوسف** اي لم تخاف
عليه منا وقرا السبع تامنا بالادغام والاشمام لان اصله بضم
النون الاولي **يرتع** من قرا بكسر العين فهو من الرعي اي من
رعي الابل او من رعي بعضهم لبعض وحراسته ومن قرا بالاسكان
فهو من الرتع وهي الاقامة في الخصب والتنعم والنا علي هذا
اصلية ووزن الفعل يفعل ووزنه علي الاول يفتعل ومن
قرا يرتع ويلعب فالضمير ليوسف ومن قرا بالنون فالضمير للمتكلمين

وهم

وهم اخوته وانما قالوا نلعب لانهم لم يكونوا حينيذ انبيا وكان اللعب
من المباح لتعليم القتال كالمسابقة بالخيل **واجمعوا** اي عزموا
وجواب لما محذوف وقيل انه اجمعوا او اوحينا علي زيادة الواو
واوحينا يحتمل ان يكون هذا الوحي بواسطة ملك او بالهام والضمير
في اليه ليوسف وقيل ليعقوب والاول هو الصحيح **وهم لا يشعرون**
في موضع الحال من لتنبينهم اي لا يشعرون حين تنباهم فيكون
خطابا ليوسف عليه السلام او من اوحينا اي لا يشعرون حين
اوحينا اليه فيكون خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم
نستبق اي نجري علي اقدامنا لتنظر اينا يسبق **وما انت بمومن**
اي بمصدق لمقالتنا **ولو كنا صادقين** اي لا تصدقنا ولو كنا عندك
من اهل الصدق فكيف وانت تتهمنا وقيل معناه لا تصدقنا وان
كنا صادقين في هذه المقالة وذلك علي وجه المغالطة منهم
والاول اظهر **وجاوا علي قميصه بدم كذب** اي ذي كذب او وصف
بالمصدر مبالغة وروي انهم لطخوا قميصه بدم جدي وقالوا
ليعقوب هذا دمه في قميصه فقال لهم ما بال الذيب اكله
ولم يخرق قميصه فاستدل بذلك علي كذبهم **سولت** زينت
فصبر جميل وعد من نفسه بالصبر وارتفاعه علي انه مبتدا
تقديره صبر جميل امثل او خبر مبتدا تقديره شاني صبر جميل
وجات سيارة روي ان هولا السيارة من مدين وقيل هم اعراب
واردهم الوارد هو الذي يستقي الماء لجماعته ونقل السهيلي
ان اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ولم يكن له
ولد فسال يوسف ان يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني
عشر ولدا اعقب كل واحد منهم قبيلة **قال يا بشراي** نادي
البشري كقوله يا حسرتي واضافها الي نفسه وقيل يا بشرا
بحذف يا المتكلم والمعني كذلك وقيل علي هذه القراءة نادي رجلا

منهم اسمه بشري وهذا بعيد ولما ادلي الوارد الحبل في الجب تعلق
به يوسف فحينئذ قال يا بشراي هذا غلام واسروه بضاعة الضمير
الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف اي اخفوه من الرفقة
وقالوا دفعه لنا قوم لنبلغهم لهم لمصر وشروه اي باعوه
والضمير ايضا للذين اخذوه وقيل الضمير لاخوة يوسف وانهم
رجعوا اليه وقالوا للسيارة هو عبدنا وشروه بثمن بخس
اي ناقص عن قيمته وقيل البخس هو الظلم دراهم معدودة
عبارة عن قلتها وكانوا الضمير للذين اخذوه او لاخوته وقال
الذي اشتراه يعني العزيز وكان حاجب الملك وخازنه وقال
السهيلي اسمه قطفير من مصر هو البلد المعروف ولذلك لم
ينصرف وكان يوسف قد سيق الي مصر فنودي عليه بالسوق
حتي بلغ ثمنه وزنه ذهبا وقيل فضة فاشتراه العزيز
تاويل الاحاديث قد تقدم والله غالب علي امره في عود
الضمير وجهان احدهما ان يعود علي الله فالمعني انه يفعل ما يشا
لا راد لامره والثاني يعود علي يوسف اي يدبر الله امره
بالحفظ له والكرامة بلغ اشده قيل الاشد البلوغ وقيل
ثمانية عشر سنة وقيل ثلاثا وثلاثون وقيل اربعون
حكما هو الحكم والنبوة وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
اي طلبت منه ما يكون من الرجل الي المراة وهي زليخا امراة
العزيز وغلقت الابواب روي انها كانت سبعة ابواب هيت لك
اسم فعل معناه تعال واقبل وقري بفتح الها وكسرها وفتح
التا وكسرها وضمها والمعني في ذلك كله واحد وحركة التا
للبنا واما من قرا بالهمز فهو فعل من تهيت كقولك جيت معاذ
الله منصوب علي المصدرية والمعني اعوذ بالله انه ربي يحتمل
ان يكون الضمير لله تعالي او للذي اشتراه لان السيد يقال له رب

فالمعني

فالمعني لا ينبغي لي ان اخونه انه لا يفلح الضمير للامر والشان ويحتمل
ذلك في الاول ولقد همت به وهم بها اكثر الناس الكلام في هذه
الاية حتي الفوا فيها التواليف فمنهم مفرط ومفرط وذلك ان منهم
من جعل هم المراة وهم يوسف من حيث الفعل للذي ارادته
وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة
وغير ذلك مما لا ينبغي ان يقال به لضعف نقله ولنزاهة الانبيا
عن مثله ومنهم من جعل انما همت به لتضربه علي امتناعه
وهم بها ليقتلها او يضربها ليدفعها عن نفسه وهذا بعيد
يرده قوله لولا ان را برهان ربه ومنهم من جعل همها به من
حيث مرادها وهمه بها ليدفعها وهذا ايضا بعيد لاختلاف
سياق الكلام والصواب ان شا الله انما همت به من حيث مرادها
وهم بها كذلك لكنه لم يعزم الي ذلك ولم يبلغ الي ما ذكر من
حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرة علي قلبه لم
يطعها ولم يتابعها ولكنه بادر بالتوبة والاقلاع عن تلك
الخطرة حتي محاها من قلبه لما راي برهان ربه ولا يقدح هذا
في عصمة الانبيا لان الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه
في ذلك فانه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة لولا ان راي
برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راي برهان ربه
لخالطها وانما حذف لان قوله وهم بها يدل عليه وقد قيل
ان همّ بها هو الجواب وهذا ضعيف لان جواب لولا لا يتقدم
عليها واختلف في البرهان الذي راه فقيل ناداه جبريل
يا يوسف اتكون في ديوان الانبيا وتفعل فعل السفها وقيل
راي يعقوب ينهاه وقيل تفكر فاستبصر وقيل راي زليخا غطت
وجه صنم لها حيا منه فقال انا اولي ان استحي من الله
كذلك لنصرف الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمر

التقدير بتناه مثل ذلك التثبيت او في موضع رفع تقديره الامر مثل ذلك
السوء والفحشا خيانة سايكم والوقوع في الفحشا المخلصين قرئ بفتح
اللام حيث وقع اي الذين اخلصهم الله لطاعته وبالكسر اخلصوا دينهم
لله واستبقا الباب معناه سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب
يقصد هو الخروج والهروب عنها وقصدت هي ان ترده فان قيل
كيف قال هنا الباب بالافراد وقد قال وغلقت الابواب والجواب
ان المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار وقدت قميصه
من دبر اي قطعته من ورا وذلك انها قبضت في قميصه من
خلفه لترده فتمزق القميص والقد القطع بالطول والقطع بالعرض
والفيا سيدها اي وجدا زوجها عند الباب قالت ما جزا من اراد
باهلك سوا الا ان يسجن لما رات الفضيحة عكست القضية وادعت
ان يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزا كل من فعل ذلك على
العموم ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم وبنا على ان الذنب
عليه بدعواها وما جوابحمل ان تكون ما نافية او استفهامية
قال هي راودتني عن نفسي برا نفسه من دعواها وشهد شاهد قيل
هو ابن عمها وقيل كان طفلا في المهد فتكلم وكونه من اهلها اوجب
للحجة عليها واوثق لبراة يوسف وكونه لم يتكلم قط ثم تكلم بذلك
كرامة ليوسف عليه السلام والتقدير وشهد شاهد فقال
او ضمنت الشهادة معنى القول ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
لانها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل وان كان قميصه قد
من دبر فكذبت لانها جذبته الى نفسها حتى فر منها فقدت قميصه
قد من دبر فلما راى قميصه قد من دبر فاعل راى زوجها او الشاهد
انه من كيدكن الضمير للامر او لقولها ما جزا يوسف اعرض عن هذا
اي اكتمه ولا تحدث به ويوسف منادى حذف منه حرف الندا
لانه قريب وفي حذف الحرف اشارة الى تقريبه وملاطفته

واستغفري

واستغفري لذنبك خطاب لها وذلك من كلام زوجها او من كلام
الشاهد من الخاطين جاء بلفظ التذكير ولم يقل من الخاطات تغليبا
وقال نسوة في المدينة اي في مصر وروي انهن خمس نسوة امراة الساقي
وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
وامراة الحاجب فتاها اي خادمها والفتى يقال بمعنى الشاب وبمعنى
الخادم شغفها بلغ شغاف قلبها وهو غلافه وقيل السويدا منه
وقيل الشغاف دا يصل الى القلب سمعت بمكرهن اي بقولهن
وسماه مكرا لانه كان في خفية وقيل كانت قد استكتمتهن سرها
فافشينه عليها واعتدت لهن متكا اي اعتدت لهن ما يتكا و
عليها من الفراش ونحوها وقيل المتكا الطعام وقرى في الشاذ متكا
بسكون التا وتنوين الكاف وهو الاترج واعطاوها السكاكين لهن يدل
على ان الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالاترج وقيل كان لحما
وقالت اخرج عليهن امر ليوسف وانما اطاعها لانه كان مملوك زوجها
اكبرنه اي عظمن شانه وجماله وقيل معنى اكبرن حضن والها
للسكت وهذا بعيد جدا وقطعن ايديهن اي اشتغلن بالنظر اليه
وبهتن من جماله حتى قطعن ايديهن وهم لا يشعرون كما يقطع الطعام
حاش لله معناه براة وتنزيه اي تنزيه لله وتعجب من قدرته
على خلقة مثله وحاش في باب الاستثنا تخفض على انها حرف واجاز
المبرد النصب فيها على ان تكون فعلا واما هنا فقال ابو علي الفار سي
انها فعل والدليل على ذلك من وجهين احدهما انها دخلت على
لام الخبر وهو اللام في قوله لله ولا يدخل الحرف على حرف والاخر انها
حذف منها الالف على قراة الجماعة والحروف لا يحذف منها شي وقراها
ابو عمرو بالالف على الاصل وانما يحذف من الافعال كقولك لم يك
ولا ادر والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف
عن الفاحشة لخوف الله وقال الزمخشري ان حاش وضع موضع

المصدر كانه قال تنزيها ثم قال لله ليبين ما ينزه قال وانما حذف
منه النون مراعاة لاصله من الحروف ما هذا بشرا اخرجته من
البشر وجعلته من الملايكة مبالغة في وصف الحسن ان هذا
الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه توبيخ لهن علي اللوم فاستعصم
اي طلب العصمة وامتنع مما ارادت منه اصب اليهن اي اميل
وكلامه هذا التفرع الي الله ثم بدا لهم اي ظهر والفاعل محذوف
تقديره را والضمير في لهم لزوجها واهله او من يشاوره في ذلك
راو الايات اي الادلة علي براته ودخل معه السجن فتيان اي
شابان وقيل هذا محذوف لابد منه وهو فسجنوه وكان
يوسف قد قال لاهل السجن اني اعبر الرويا فلذلك سالوه الفتيان
عن منامهما وقيل انهما استعملاها ليجرباه وقيل راياذلك حقا
اعصر خمرا قيل فيه سمي العنب خمرا بما يول اليه وقيل هو لغة
انا نراك من المحسنين قيل معناه في تاويل الرويا وقيل احسانه
الي اهل السجن قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الاية تقتضي انه
وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة الي دعايهما
الي توحيد الله وفيه وجهان احدهما انه قال انه يخبرهما بكل
ما ياتيهما في الدنيا من طعام قبل ان ياتيهما وذلك من الاخبار
بالغيوب الذي هو معجزة الانبيا والاخر انه قال لا ياتيكما طعام
في المنام الا اخبرتكما بتاويله قبل ان يظهر تاويله في الدنيا
ذلكما مما علمني ربي روي انهما قالا له من اين لك هذا العلم وانت
لست بكاهن ولا منجم فقال ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة
قوم لا يومنون بالله يحتمل ان يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله
من قوله علمني ربي او يكون استينافا يا صاحبي السجن نسبهما
الي السجن اما لانهما سكناه او لانهما صاحباه فيه كانه قال
يا صاحبي في السجن ءارباب متفرقون الاية دعاهما الي توحيد

الله

الله واقام عليهما الحجة رغبة في ايمانهما ما تعبدون من دونه الا
اسماء اوقع الاسما هنا موقع المسميات والمعني سميتم الهة ما لا
يستحق الالهية ثم عبدتموها من سلطان اي حجة وبرهان فيسقي
ربه خمرا يعني الملك وقال للذي ظن انه ناج منهما الظن هنا يحتمل
ان يكون بمعني اليقين لان قوله قضي الامر يقتضي ذلك او يكون
علي بابه لان عبارة الرويا ظن اذكرني عند ربك يعني الملك
فانساه الشيطان ذكر ربه قيل الضمير ليوسف اي نسي في ذلك
الوقت ان يذكر الله ورجا غيره فعاقبه الله علي ذلك بان لبث
في السجن وقيل الضمير للذي نجا منهما وهو الساقي اي نسي ذكر يوسف
عند ربه فاضاف الذكر الي ربه اذ هو عنده والرب علي هذا
التاويل الملك بضع سنين البضع من الثلاثة الي العشرة وقيل
الي التسعة وروي ان يوسف عليه السلام سجن خمس سنين
اولا ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين وقال الملك هو ملك
مصر الذي كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد وقيل
مصعب بن الريان وكان من الفراعنة وقيل انه فرعون موسي
عمر اربعماية سنة حتي ادرك موسي وهذا بعيد اني اري سبع
بقرات يعني في المنام عجاف اي ضعاف في غاية الهزال يا ايها الملا
خطاب لجلسايه واهل دولته للرويا تعبرون اي تعرفون
تاويلها يقال عبرت الرويا بتخفيف البا وانكر بعضهم التشديد
وهو مسموع من العرب وادخلت اللام علي المفعول به لما تقدم
من الفعل اضغاث احلام اي تخالطها واباطيلها وما يكون منها
من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر واصل الاضغاث
ما جمع من اخلاط النبات واحده ضغث فان قيل لم قال اضغاث
احلام بالجمع وانما كانت الرويا واحدة فالجواب ان هذا كقولهم
فلان يركب الخيل وان ركب فرسا واحدا وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين

اما يريد واما ويل الاحلام الباطلة او تاويل الاحلام على الاطلاق وهو
الاظهر **وقال الذي نجا منهما** هو ساقي الملك **وادكر بعد امة** اي بعد
حين **يوسف ايها الصديق** يقدر بعده محذوف لابد منه وهو فارسلوه
فقال يا يوسف وسماه صديقا لانه كان قد جرب صدقه في تعبير
الرويا وغيرها والصديق مبالغة في الصدق **افتنا في سبع بقرات**
اي فيمن راى سبع بقرات وكان الملك قد راى سبع بقرات سمان اكلتهن
سبع عجاف فتعجب كيف غلبتهن وكيف وسعت في بطونهن
وراى سبع سنبلات خضر وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت
خضرتها **تزرعون سبع سنين** هذا تعبير الرويا وذلك انه عبر
البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع
سنين مجدبة وكذلك السنبلات الخضر واليابسة **دابا**
بسكون الهمزة وفتحها مصدر داب على العمل اذا دام عليه وهو
مصدر في موضع الحال **فذروه في سنبله** هذا راي ارشدهم يوسف
اليه وذلك ان ارض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين فعلمهم
حيلة يبقى بها من السنين المخصبة الى سنين الجدبة وهي
ان يتركوه في سنبله غير مدروس فان الحبة اذا بقيت في غشائها
انحفظت **الا قليلا مما تاكلون** اي لا تدرسوا منه الا ما يحتاج الى
الاكل خاصة **سبع شداد** ذات شدة وجوع **ياكلن ما قدمتم لهن**
اي تاكلون فيهن ما اخترتم من الطعام في سنبله واسند الاكل
الى السنين مجازا **تحصنون** اي تحرزون وتخبون **ثم ياتي من
بعد ذلك عام** هذا زيادة على ما تقتضيه الرويا وهو اخبار
بالعام الثامن **يغاث الناس** يحتمل ان يكون من الغيث اي
يمطرون او من الغوث اي يفرج الله عنهم **وفيه يعصرون** اي
يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر
وقال الملك ايتوني به قيل هذا محذوف وهو فرجع الرسول
الى

الى الملك فقص عليه مقالة يوسف فراى علمه وعقله فقال ايتوني
به **قال ارجع الى ربك فسأله** لما امر الملك باخراج يوسف من
السجن واتيانه اليه اراد يوسف ان يبري نفسه مما نسب اليه
من مراودة امراة العزيز عن نفسها وان يعلم الملك وغيره
انه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين
له الامر وكان ذلك الفعل من يوسف صبرا وحلما اذ لم يجب
الى الخروج من السجن ساعة دعي الى ذلك بعد طول المدة
ومع ذلك فانه لم يذكر امراة العزيز رعيا لزمام زوجها وسترا
لها بل ذكر النسوة اللاتي قطعن ايديهن **قال ما خطبكن** الاية
جمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن فسالهن عن قصة يوسف
واسند المراودة الى جميعهن لانه لم يكن عنده علم بان امراة
العزيز هي التي راودته وحدها **قلن حاش لله** تبرية ليوسف
او تبرية لانفسهن من مراودته وتكون تبرية يوسف لقولهن
ما علمنا عليه من سوء **الان حصحص الحق** اي تبين وظهر
ثم اعترفت على نفسها بالحق **ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب**
قيل انه من كلام امراة العزيز متصلا بما قبله والضمير في يعلم
واخنه على هذا ليوسف عليه السلام اي ليعلم يوسف اني
لم اكذب عليه في حال غيبته والاشارة بذلك الى توبتها واقرارها
وقيل انه من كلام يوسف عليه السلام والضمير للعزيز اي لم
اخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها والاشارة بذلك
الى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براته **وما ابري
نفسي** اختلف ايضا هل هو من كلام امراة العزيز او من كلام
يوسف فان كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف وان كان
من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه
لا على وجه العزم والقصد وقاله في عموم الاحوال على وجه

التواضع ان النفس لامارة بالسوء النفس هنا للجنس والنفوس
ثلاثة انواع امارة بالسوء ولوامة وهي التي تلوم صاحبها
ومطمينة الا ما رحم ربي استثنا من النفس اذ هي بمعنى النفوس
اي الا النفس المرحومة وهي المطمينة فما على هذا بمعنى الذي
ويحتمل ان تكون ظرفية اي الا حين رحمة الله استخلصه لنفسي
اي اجعله خاصتي وخلاصتي قال اولا ايتوني به فلما تبين له
حاله قال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال
انك اليوم لدينا مكين امين اي لما راى حسن كلامه وعرف
وفور عقله وعلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين والمكين
من التمكين والامين من الامانة قال اجعلني على خزاين الارض
لما فهم يوسف من الملك انه يريد تصريفه والاستعانة به قال
له ذلك وانما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل واقامة
الحق والاحسان وكان هذا الملك كافرا ويستدل بذلك على انه
يجوز للرجل الفاضل ان يعمل للرجل الفاجر اذا علم انه يصلح
بعض الافعال وقيل ان الملك اسلم واراد بقوله خزاين الارض
ارض مصر اذ لم يكن للملك غيرها والخزاين كلما يخزن من طعام
ومال وغير ذلك اني حفيظ عليم صفتان تعم وجوه المعرفة
والضبط للخزاين وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن واللفظ
اعم من ذلك ويستدل بذلك على انه يجوز للرجل ان يعرف
بنفسه ويمدح نفسه بالحق اذا جهل امره واذا كان في ذلك
فايدة وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاشارة بذلك الى ما تقدم
من جميل صنع الله به وروي ان الملك ولاه في موضع العزيز
واسند له جميع الامور حتى تغلب على امره وان امراة العزيز
شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها
جمالها وشبابها وانه باع من اهل مصر في اعوام القحط الطعام

بالدنانير

بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق لهم شي منهما ثم
بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم
جميعا ثم اعتقهم ورد عليهم املاكهم نصيب برحمتنا من نشا
الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الاجر في قوله ولا نضيع اجر
المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولاجر الاخرة خير فاخبر تعالى
ان رحمته في الدنيا يصيب بها من يشا من مومن وكافر ومطيع
وعاص وان المحسن لا بد له من اجره في الدنيا فالاول في المشية
والثاني واقع لا محالة ثم اخبر ان اجر الاخرة خير من ذلك كله
للذين امنوا وكانوا يتقون وفي الاية اشارة الى ان يوسف عليه
السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والاخرة وجا اخوة يوسف
كان سبب مجيهم انهم اصابهم مجاعة في بلادهم فخرجوا الى مصر
ليشتروا بها من الطعام الذي ادخره يوسف فعرفهم وهم له
منكرون انما انكروه لبعد العهد به وتغير منه او لانه كان متلثما
وروي انهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وانه
سالهم عن احوالهم واخبروه انهم تركوا اخا لهم فحينئذ قال لهم
ايتوني باخ لكم من ابيكم وهو بنيامين شقيق يوسف ولما جهزهم
بجهازهم الجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد وغيره والمراد
به هنا الطعام الذي باع منهم خير المنزلين المضيفين وانا
لفاعلون اي نفعل ذلك لا محالة وقال لفتيته جمع فتى وهو
الخادم سوا كان حرا او عبدا اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
امر ان يجعلوا البضاعة التي اشتروا بها الطعام في اوعيتهم
لعلهم يعرفونها اي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة
اليهم وليس الضمير للبضاعة لعلهم يرجعون اي لعل معرفتهم
بها تدعوهم الى الرجوع وقصد برد البضاعة اليهم مع الطعام استيلافهم
بالاحسان اليهم منع منا الكيل اشارة الى قوله فان لم تاتوني

به فلا كيل لكم عندي فهو خوف من المنع في المستقبل نكتل وزنه
نفتعل من الكيل ما نبغي ما استفهامية ونبغي بمعنى نطلب والمعنى
اي شي نطلب بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام ويحتمل
ان تكون ما نافية ونبغي من البغي اي لا نتعدي علي اخينا ولا نكذب
علي الملك ونمير اهلنا اي نسوق لهم الطعام ونزداد كيل بعير
يريدون بعير اخيهم اذ كان يوسف لا يعطي الا كيل بعير من الطعام
لانسان فاعطاهم عشرة ابعرة ومنعهم الحادي عشر لغيبة صاحبه
حتي ياتي والبعير الجمل ذلك كيل يسير ان كانت الاشارة الي الاحمال
فالمعني انها قليل لا تكفيهم حتي يضاف اليها كيل بعير وان كانت
الاشارة الي كيل بعير فالمعني انه يسير علي يوسف اي قليل عنده
او سهل عليه فلا يمنعهم منه تؤتون موثقا من الله اراد ان يحلفوا
له ولتاتنني به جواب اليمين الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا
تطيقون الاتيان به يا بني لا تدخلوا من باب واحد خاف عليهم
العين ان يدخلوا مجتمعين اذ كانوا اهل جمال وهيبة ما كان
يغني عنهم جواب لما والمعني ان ذلك لا يدفع ما قضاه الله
الا حاجة استثنا منقطع والحاجة هنا هي شفقته عليهم
ووصيته لهم اوي اليه اخاه اي ضمه قال اني انا اخوك اخبره
بانه اخوه واستكتمه ذلك فلا تبتئس اي لا تحزن فهو من البوس
بما كانوا يعملون الضمير لاخوة يوسف ويعني ما فعلوا بيوسف
واخيه ويحتمل ان يكون لفتيانه اي لا تبالي بما تراه من تحيلي في
اخذك جعل السقاية في رحل اخيه السقاية هي الصواع
وهي انا يشرب فيه الملك وياكل فيه الطعام وكان من فضة
وقيل من ذهب وقصد بجعله في رحل اخيه ان يحتال علي
امساكه معه اذ كان شرع يعقوب ان من سرق استعبده
المسروق له ثم اذن مؤذن اي نادي مناد ايتها العير اي ايتها

الرفقة

الرفقة انكم لسارقون خطاب لاخوة يوسف وانما استحل ان يرميهم
بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من امساك اخيه وقيل ان حافظ
السقاية نادي انكم لسارقون بغير امر يوسف وهذا بعيد لتفتيش
الاوعية ولمن جاء به حمل بعير اي لمن جبره وزاده حمل بعير من
طعام علي وجه الجعل وانا به زعيم اي ضامن لحمل البعير لمن رد
الصواع وهذا من كلام المنادي قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض اي استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم
في دخولهم ارضهم حتي كانوا يجعلون الاكمة في افواه ابلهم لئلا
تنال زروع الناس قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي قال
فتيان يوسف ما جزا اخذ الصواع ان كنتم كاذبين في قولكم
وما كنا سارقين فالضمير في قوله جزاؤه يدل علي الاخذ
المفهوم من الكلام قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
المعني ان اخوة يوسف افتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزا السارق
ان يستعبد ويؤخذ في السرقة واما الاعراب فيحتمل وجهين
الاول ان يكون جزاؤه الاول مبتدا ومن مبتدا وهي شرطية
او موصولة وخبرها فهو جزاؤه والجملة خبر جزاؤه الاول
والوجه الثاني ان يكون من المبتدا الاول علي حذف مضاف
وتقديره جزاؤه اخذ من وجد في رحله وتم الكلام ثم قال
فهو جزاؤه اي هذا الحكم جزاؤه كذلك نجزي الظالمين من كلام
اخوة يوسف اي هذا حكمنا في السراق وقد كان هذا الحكم في اول
الاسلام ثم نسخ بقطع الايدي فبدا باوعيتهم هذا تمكين للحيلة
ودفع التهمة ثم استخرجها من وعا اخيه ليصح له بذلك امساكه
معه وانما انث الصواع في هذا الموضع لانه سقاية او لان الصواع
يذكر ويؤنث كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا له هذا الصنع ما كان
لياخذ اخاه في دين الملك اي في شرعه او عادته لانه انما كان

خبر

جزا السارق عنده ان يضرب ويضاعف عليه الغرم ولكن حكم في
هذه القضية بحكم ال يعقوب نرفع درجات من نشا يعني الرفعة
بالعلم بدليل ما بعده وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل عالم من
هو اعلم منه من البشر او الله عز وجل قالوا ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل الضمير في قالوا الاخوة يوسف واشاروا الي يوسف
ومعني كلامهم ان يسرق بنيامين فقد سرق اخوه يوسف من
قبل فهذا الامر انما صدر من ابني راحيل لا منا وقصدوا بذلك
دفع المعرة عن انفسهم ورموا بها يوسف وشقيقه واختلف
في السرقة التي رموا بها يوسف علي ثلاثة اقوال الاول ان عمته
ربته فاراد والده ان ياخذه منها وكانت تحبه ولا تصبر عنه
فجعلت عليه منطقة لها ثم قالت انه اخذها فاستعبدته بذلك
وبقي عندها الي ان ماتت والثاني انه اخذ صنما لجده والد
امه فكسره والثالث انه كان ياخذ الطعام من دار ابيه ويعطيه
المساكين فاسرها يوسف في نفسه قال الزمخشري الضمير
للجملة التي بعد ذلك وهي قوله انتم شر مكانا والمعني قال
في نفسه انتم شر مكانا وقال ابن عطيه الضمير للحزازة
التي وجد في نفسه من قولهم فقد سرق اخ له من قبل
واضمر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله انتم شر مكانا
اي لسوء افعالكم والله اعلم بما تصفون اشارة الي كذبهم
فيما وصفوه به من السرقه ان له ابا شيخا كبيرا استعطاف
وكانوا قد اعلموه بشدة محبة ابيه فيه فخذ احدنا مكانه
علي وجه الضمان والاسترهان او الاستعباد وهذا هو
الاظهر لقوله معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
من المحسنين اي احسنت الينا فيما فعلت معنا من قبل او علي
الاطلاق استيئسوا اي ييسوا نجيا اي انفردوا عن غيرهم يناجي

بعضهم بعضا والنجي يكون بمعني المناجي ومصدرا قال كبيرهم
قيل كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل كبيرهم في الراي وهو
شمعون وقيل يهوذا ومن قبل ما فرطتم في يوسف يحتمل ما
وجوها الاول ان تكون زايدة والثاني ان تكون مصدرية ومحلها
الرفع بالابتدا تقديره تفريطكم في يوسف وقع من قبل والثالث
ان تكون موصولة ومحلها ايضا الرفع كذلك والاول اظهر فلن
ابرح الارض يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة ارجعوا الي
ابيكم من قول كبيرهم وقيل من كلام يوسف وهو بعيد ان ابنك
سرق قرا الجمهور بفتح الرا والسين وروي عن الكسايي سرق
بضم السين وتشديد الرا اي نسب له السرقة وما شهدنا الا بما علمنا
اي قولنا لك ان ابنك انما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جري
وما كنا للغيب حافظين اي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس
الامر ام لا اذ يمكن ان يدس الصواع في رحله من غير علمه وقال
الزمخشري ما شهدنا الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع
استخرج من وعايه وما كنا للغيب حافظين اي ما علمناه انه
سيسرق حين اعطيناك الميثاق وقراه سرق بالفتح تعضد
قول الزمخشري والقراة بالضم تعضد القول الاول واسال
القرية تقديره واسال اهل القرية وكذلك اهل العير يعنون
الرفقة هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سوال القرية بنفسها
ولا يبعد ان تخبره لانه نبي والاول اظهر واشهر
علي انه مجاز والقرية هنا مصر قال بل سولت لكم قبله محذوف
تقديره فرجعوا الي ابيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت
الاية بهم جميعا يعني يوسف واخاه بنيامين واخاهم الكبير
الذي قال لن ابرح الارض وتولي عنهم لما لم يصدقهم اعرض عنهم
ورجع الي التاسف وقال يا اسفي علي يوسف تاسف علي يوسف

دون اخوه الثاني والثالث الذاهبين لانه حزنه عليه كان اشد لافراط
محبته فيه ولان مصيبته كانت السابقة وابيضت عيناه من
الحزن اي من البكا الذي هو ثمرة الحزن فقيل انه عمي وقيل
كان يدرك ادراكا ضعيفا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
يعقوب حزن حزن سبعين ثكلا واعطي اجر مائة شهيد وما سا
ظنه بالله قط فهو كظيم قيل انه فعيل بمعنى فاعل اي كاظم
لحزنه لا يظهره لاحد ولا يشكوا الى الله وقيل بمعنى مفعول
كقوله نادى وهو مكظوم اي مملوء القلب بالحزن او بالغيظ
على اولاده وقيل الكظيم الشديد الحزن تالله تفتؤ اي لا تفتؤ
او المعنى لا تزال وحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه
لو كان اثباتا لكان موكدا باللام والنون حرضا اي مشرفا على الهلاك
قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله رد عليهم في تفنيدهم له
اي انما اشكوا الى الله لا اليكم ولا لغيركم والبث اشد الحزن واعلم
من الله ما لا تعلمون اي اعلم من لطفه ورافته ورحمته
ما يوجب حسن ظني به وقوة رجائي فيه يا بني اذهبوا
يعني الى الارض التي تركتم بها اخويكم فتحسسوا من يوسف واخيه
اي تعرفوا اخبرهما والتحسس طلب الشي بالحواس السمع والبصر
وانما لم يذكر الولد الثالث لانه بقي هناك اختيارا منه ولان
يوسف واخاه كانا احب اليه ولا تيأسوا من روح الله اي من
رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
انما جعل الياس من صفة الكافر لان سببه تكذيب للربوبية
او جهل بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته فلما دخلوا
عليه اي على يوسف وقبل هذا المحذوف تقديره فرجعوا الى
مصر الضر يريد المجاعة او الهم على اخوتهم ببضاعة
مزجاة يعنون الدراهم التي جاوا بها لشرا الطعام والمزجات

القليلة

القليلة وقيل الردية وقيل الناقصة وقيل ان بضاعتهم
كانت عروضا فلذلك قالوا هذا وتصدق علينا قيل يعنون
بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم وقيل اوف لنا الكيل الذي هو
حقنا وزدنا على حقنا وسموا الزيادة صدقة ويقتضي هذا
ان الصدقة كانت حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل تصدق علينا برد اخينا الينا ان الله يجزي المتصدقين
قال النقاش هو من المعارض وذلك انهم يعتقدون انه كافر
لانهم لم يعرفوه فظنوا انه على دين اهل مصر فلو قالوا ان الله
يجزيك بصدقتك كذبوا فقالوا لفظا يوهم انهم ارادوه وهم
لا يريدوه قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه لما شكوا
اليه رق لهم وعرفهم بنفسه وروي انه كان يكلمهم وعلى
وجهه لثام ثم ازال اللثام ليعرفوه واراد بقوله ما فعلتم
بيوسف واخيه التفريق بينهما في الصغر ومضرتهم ليوسف
واذايته اخيه من بعده فانهم كانوا يذلونه ويشتمونه
اذ انتم جاهلون اعتذار عنهم فيحتمل ان يريد الجهل بقبح
ما فعلوه او جهل الشباب قالوا اءنك لانت يوسف قرى
للاستفهام وللخبر فالخبر على انهم عرفوه والاستفهام على
انهم توهموا انه هو ولم يحققوه من يتق ويصبر قيل انه اراد
من يتق في ترك المعصية ويصبر على السجن واللفظ اعم من
ذلك اثرك الله علينا اي فضلك لخاطين اي عاصين وفي كلامهم
استعطاف واعتراف لا تثريب عليكم عفو جميل والتثريب هو
التعنيف والعقوبة وقوله اليوم راجع الى ما قبله فيوقف
عليه وهو يتعلق بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى
الاستقرار وقيل انه يتعلق بيغفر وهذا بعيد لانه يحكم
على الله وانما يغفر دعا فكانه اسقط حق نفسه بقوله

لاتثريب عليكم اليوم ثم دعا الي الله ان يغفر لهم حقه اذهبوا بقميصي
روي ان هذا القميص كان لابراهيم كساه الله له حين اخرج من النار
وكان من ثياب الجنة ثم صار لاسحاق ثم ليعقوب ثم دفعه يعقوب
ليوسف وهذا يحتاج الي سند يوثق به والظاهر انه كان قميص
يوسف الذي بمنزلة قميص كل احد يأت بصيرا الظاهر انه علم
ذلك بوحي من الله فصلت العير اي خرجت من مصر متوجهة
الي يعقوب قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف كان يعقوب بيت
المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة لولا ان تفندون
اي تلوموني او تردون علي قولي وقيل معناه تقولون ذهب
عقلك لان الفند هو الخرف في ضلالك القديم اي ذهابك عن
الصواب بافراط محبتك في يوسف قديما فلما ان جا البشير روي
ان البشير كان يهوذا لانه كان جا بقميص الدم فقال لاخوته اني
ذهبت بقميص الترحة فدعوني اذهب اليه بقميص الفرحة
قال سوف استغفر لكم ربي وعدهم بالاستغفار لهم فقيل سوفهم
الي السحر لان الدعا يستجاب فيه وقيل الي ليلة الجمعة فلما دخلوا
علي يوسف هنا محذوف يدل عليه الكلام وهو فرحل يعقوب
باهله حتي بلغوا يوسف اوي اليه ابويه اي ضمهما واراد
بالابوين اباه وامه وقيل اباه وخالته لان امه كانت قد
ماتت وسمي الخالة علي هذا اما ان شا الله راجع الي
الامن الذي في قوله امنين ورفع ابويه علي العرش اي علي
سرير الملك وخروا له سجدا كان السجود عندهم تحية
وكرامة لا عبادة وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل
يعني حين راي احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا
له وكان بين رؤياه وبين ظهورها ثمانون عاما وقيل
اربعون احسن بي يقال احسن اليه وبه اخرجني من السجن

انما

انما لم يقل اخرجني من الجب لوجهين احدهما ان في ذكر الجب خزي لاخوته
وتثريبهم بما فعلوا فترك ذكره توقيرا لهم والاخر انه خرج من
الجب الي الرق ومن السجن الي الملك فالنعمة به اكثر وجاء بكم من
البدو اي من البادية وكانوا اصحاب ابل وغنم فعد في النعم
مجيئهم للمعاشرة نزغ الشيطان اي افسد واغوي لطيف لما يشا
اي لطيف التدبير لما يشا من الامور من الملك من للتبعيض
لانه لم يعطه الله الا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر توفني
مسلما لما عدد النعم التي انعم الله بها عليه اشتاق الي لقاء
ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم فدعا بالموت وقيل
ليس ذلك دعا بالموت وانما دعا ان الله يتم عليه النعم بالوفاة
علي الاسلام اذا حان اجله ذلك من انبا الغيب احتجاج علي
صحة نبوة محمد صلي الله عليه وسلم باخباره بالغيوب
وما كنت لديهم الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم تاكيدا
لحجته والضمير لاخوة يوسف اذ اجمعوا اي عزموا وهم يمكرون
يعني فعلهم بيوسف وما اكثر الناس عموم لان الكفار اكثر من
المومنين وقيل اراد اهل مكة ولو حرصت بمومنين اعتراض
اي لا يومنون ولو حرصت علي ايمانهم وكاين من اية يعني
المخلوقات والحوادث الدالة علي الله سبحانه وما يومن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون نزلت في كفار العرب الذين
يقرون بالله ويعبدون معه غيره وقيل في اهل الكتاب
لقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله غاشية هي ما يغشي
ويعم قل هذه سبيلي اشارة الي شريعة الاسلام
ادعوا الي الله علي بصيرة اي ادعوا الناس الي عبادة الله
وانا علي بصيرة من امري وحجة واضحة انا ومن اتبعني انا تاكيد
للضمير في ادعوا ومن اتبعني معطوف عليه وعلي بصيرة

في موضع الحال وقيل انه مبتدا وعلي بصيرة خبره فعلي هذا يوقف علي قوله ادعوا الي الله وهذا ضعيف وسبحان الله تقديره واقول سبحان الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد علي من انكر ان يكون النبي من البشر وقيل فيه اشارة الي انه لم يبعث رسولا من النسا من اهل القرى اي من اهل المدن لا من اهل البوادي فان الله لم يبعث رسولا من اهل البادية لجفايهم حتي اذا استياس الرسل متصل بالمعني بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الي قوله عاقبة الذين من قبلهم ويا سهم يحتمل ان يكون من ايمان قومهم او من النصر والاول احسن وظنوا انهم قد كذبوا قري بتشديد الدال وتخفيفها فاما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل والظن يحتمل ان يكون علي بابه او بمعني اليقين اي علم الرسل ان قومهم قد كذبوهم ويئسوا من ايمانهم واما التخفيف فالضميران فيه للقوم الرسل اليهم قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة او من النصرة عليهم في قصصهم الضمير للرسل علي الاطلاق او ليوسف واخوته ما كان حديثا يفتري يعني القران ولكن تصديق الذي بين يديه تقدم معناه في البقره

سورة الرعد

تلك ايات الكتاب اي ايات هذه السورة ويحتمل ان يريد ايات الكتاب علي الاطلاق وهذا بعيد لتكرار القران بعد ذلك والذي انزل اليك يعني القران واعرابه مبتدا وخبره الحق بغير عمد اي بغير شي تقف عليه الا قدرة الله ترونها قيل الضمير للسموات وترونها علي هذا في موضع الحال او استينا ف وقيل الضمير للعمد اي ليس لها عمد مرئية فيقتضي المفهوم من ان لها عمد الا تري وقيل ان عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا وقال الجمهور لا عمد لها البتة فالمراد نفي العمد ونفي رويتها

ثم

ثم استوي علي العرش ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب وقوع الامر فان العرش كان قبل خلق السموات وتقدم الكلام علي الاستوا في الاعراف يدبر الامر يعني امر الملكوت يفصل الايات يعني ايات كتبه مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كورة وهو ظاهر الشريعة وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير لان كل قطعة من الارض ممدودة علي حدتها وانما التكوير لجملة الارض رواسي يعني الجبال الثابتة زوجين اثنين يعني صنفين من التمر كالاسود والابيض والحلو والحامض فان قيل تقتضي انه تعالي خلق من كل ثمرة صنفين وقد خلق كثير من الثمرات اصنافا كثيرة فالجواب ان ذلك زيادة في الاعتبار واعظم في الدلالة علي القدرة فذكر الاثنين لان دلالة غيرهما من باب اولي وقيل ان الكلام تم في قوله ومن كل الثمرات ثم ابتدا بقوله جعل فيها زوجين يعني الذكر والانثي والاول احسن يغشي الليل النهار اي يلبسه اياه فيصير كالغشا وذلك تشبيه قطع متجاورات يعني قري متلاصقة ومع تلاصقها فان ارضها تتنوع الي طيب وردي وصلب ورخو وغير ذلك وكل ذلك دليل علي الصانع المختار المريد القاصد صنوان وغير صنوان هي النخلات الكثيرة ويكون اصلها واحد وغير الصنوان المفترق فردا فردا وواحد الصنوان صنو تسقي بما واحد ونفضل بعضها علي بعض في الاكل حجة وبرهان علي انه تعالي قدير مريد لان اختلاف مذاقها واشكالها والوانها مع اتفاق الماء الذي تسقي به دليل علي القدرة والارادة وفي ذلك رد علي القايلين بالطبيعة وان تعجب فعجب قولهم اي ان تعجب يا محمد فان انكارهم للبعث حقيق ان يتعجب منه فان الذي قدر علي انشا ما ذكرنا من السموات والارض والثمار قادر علي انشا الخلق بعد موتهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد

صح

هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث واختلف القراء في هذا الموضع
وفي ساير المواضع التي فيها استفهامان وهي احد عشر موضعا
اولها هذا وفي الاسرا موضعان وفي المومنين موضع وفي النمل
موضع وفي العنكبوت موضع وفي الم السجده موضع وفي الصافات
موضعان وفي الواقعة موضع وفي النازعات موضع فمنهم من
قرا بالاستفهام في الثاني فقط واصل الاستفهام في المعنى انما
هو عن الثاني في مثل هذا الموضع فان همزة الاستفهام معناها
الانكار وانما انكروا ان يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا ان يكونوا
ترابا فمن قرا بالاستفهام الثاني فقط وهو على الاصل ومن قرا
بالاستفهام في الاول فالقصد بالاستفهام الثاني ومن قرا
بالاستفهام فيهما فذلك للتاكيد **واوليك الاغلال في اعناقهم**
يحتمل ان يريد الاغلال في الاخرة فيكون حقيقة او يريد انهم
ممنوعون من الايمان كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فيكون مجازا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب **ويستعجلونك**
بالسيئة قبل الحسنة اي بالنقمة قبل العافية والمعنى انهم
طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف **وقد خلت من قبلهم المثلات**
جمع مثلة على وزن ثمرة وهي العقوبة العظيمة التي تجعل
الانسان مثلا والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد اصابت العقوبات
الامم الذين كانوا قبلهم افلا يخافون مثل ذلك **وان ربك لذو مغفرة**
للناس على ظلمهم يريد ستره وامهاله في الدنيا للكفار والعصاة
وقيل يريد مغفرته لمن تاب والاول اظهر هنا **ويقول الذين**
كفروا الاية اقترحوا نزول اية على النبي صلى الله عليه وسلم
من نزول ملك معه او شبه ذلك ولم يعتبروا بالقران ولا بغيره
من الايات العظام التي جا بها وذلك منهم معاندة **انما انت منذر**
اي انما عليك انذارهم وليس عليك ان تاتيهم باية انما ذلك الى

الله

الله **ولكل قوم هاد** فيه ثلاثة اقوال احدها ان يراد بذلك الله
تعالى فالمعنى انما عليك الانذار والله هو الهادي لمن يشا اذا شاء
والوجه الثاني ان يراد بالهادي النبي صلى الله عليه وسلم
فالمعنى انما انت نبي منذر ولكل قوم هاد من الانبيا ينذرهم
فليس امرك ببديع ولا مستنكر الثالث روي انها لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا المنذر وانت يا علي الهادي
الله يعلم ما تحمل كل انثى كقوله يعلم ما في الارحام وهي من الخمس
التي لا يعلمها الا الله ويعني يعلم هل هو ذكر او انثى او تام او خداج او
حسنا او قبيحا او غير ذلك **وما تغيض الارحام وما تزداد** معنى
تغيض تنقص ومعنى تزداد من الزيادة وقيل ان الاشارة لدم الحيض
فانه يقل ويكثر وقيل للولد فالغيض السقط او الولادة لاقل من
ستة اشهر والزيادة ابقاه اكثر من تسعة اشهر ويحتمل ان يكون
ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد موصولة او مصدرية
سوا منكم من اسر القول ومن جهر به المعنى ان الله يسمع كل
شي فالجهر والاسرار عنده سوا وفي هذا وفي ما بعده تقسيم
وهو من ادوات البيان فانه ذكر اربعة اقسام وفيه ايضا مطابقة
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار المعنى سوا عند الله
المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفا مع السارب بالنهار وهو
في غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف في سربه بالفتح اي
في طريقه ووجهه والسارب والمستخفي اثنان تقصد التسوية بينهما
في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما وقيل ان المستخفي بالليل
والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر
بالنهار ويعضد هذا كونه قال وسارب فعطفه عطف الصفات
ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال من اسر القول ومن
جهر به الا ان جعلهما اثنين ارجح ليقابل من اسر القول ومن جهر

على هذا

به فيكمل التقسيم الى اربعة ويكون قوله وسارب عطف على الجملة
وهو قوله ومن هو مستخف لا على مستخف وحده **له معقبات**
المعقبات هنا جماعات الملايكة وسميت معقبات لان بعضهم
يعقب بعضا والضمير في قوله له يعود على من المتقدمة
كانه قال لمن اسر ومن جهر ولمن استخفى ومن ظهر معقبات
وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لان الضماير التي بعده
تعود على العبد باتفاق **يحفظونه** صفة المعقبات وهذا الحفظ
يحتمل ان يراد به حفظ اعماله او حفظه وحراسته من الافات **من
امر الله** صفة للمعقبات اي معقبات من اجل امر الله اي امرهم
بحفظه وقرئ بامر الله وهذه القراءة تعضد ذلك ولا يتعلق
من امر الله على هذا بيحفظونه وقيل يتعلق به على انهم
يحفظونه من عقوبة الله اذا اذنب بدعايهم له واستغفارهم
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم المعنى ان الله
لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم بانفسهم بالمعاصي
فيقتضي ذلك ان الله لا يسلب النعم ولا ينزل النقم الا بالذنوب
يريكم البرق خوفا وطمعا الخوف مما يكون في البرق من الصواعق
والامور الهايلة والطمع في المطر الذي يكون معه **السحاب الثقال**
وصفها بالثقال لانها تحمل الما **ويسبح الرعد بحمده** الرعد اسم
ملك وصوته المسموع تسبيح وتدجا في الاثر ان صوته زجر السحاب
فعلى هذا يكون تسبيحه غير هذا **ويرسل الصواعق** قيل
اشارة الى الصاعقة التي نزلت على اربد الكافر وقتلته حين هم
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم هو واخوه عامر بن الطفيل
واللفظ اعم من ذلك **وهم يجادلون في الله** يعني الكفار والواو للاستيناف
او للحال **شديد المحال** اي شديد القوة والمحال مشتق من الحيلة
فالميم زايدة ووزنه مفعل وقيل معناه شديد المكر من قولك

محل

محل بالرجل اذا مكر به فالميم على هذا اصلية ووزنه فعال
وتاويل المكر على هذا كتاويله في المواضع التي وردت في القران
له دعوة الحق قيل هي لا اله الا الله والمعنى ان دعوة العباد بالحق لله
ودعوتهم بالباطل لغيره **والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشي** يعني بالذين ما عبد من دون الله من الاصنام وغيرها
والضمير في يدعون للكفار والمعنى ان المعبودين لا يستجيبون لمن
دعاهم **الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه وما هو ببالغه** شبه
اجابة الاصنام لمن عبدهم باجابة الما لمن بسط اليه كفيه واشار
اليه بالاقبال الى فاه ولا يبلغ فمه على هذا ابدا لان الما جماد لا يعقل
المراد فكذلك الاصنام والضمير في قوله وما هو للما وفي ببالغه
للفم **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها** من لا تقع الا
على من يعقل فهي هنا يراد بها الملايكة والانس والجن فان جعلنا
السجود بمعنى الانقياد لامر الله وقضايه فهو عام في الجميع من شا
منهم ومن ابى فيكون طوعا لمن اسلم وكرها لمن كره وسخط وان
جعلنا السجود هو المعروف بالجسد فيكون سجود الملايكة
والمومنين من الجن والانس طوعا واما الكره فهو سجود المنافق
او سجود ظل الكافر **وظلالهم** معطوف على من والمعنى ان الظلال
تسجد غدوة وعشية وسجودها انقياد للتصرف بمشية الله
وقيل سجودها فيها بالعشي **قل الله** جواب عن السوال المتقدم
وهو من رب السموات والارض وانما جا الجواب والسوال من جهة واحدة
لانه امر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه ولذلك اقام به الحجة
على المشركين بقوله افاتخذتم من دونه اوليا **قل هل يستوي الاعمى
والبصير** الاعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمومن **الظلمات** الكفر
والنور الايمان وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل **ام جعلوا
لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم** ام هنا بمعنى بل والهمزة

وخلقوا صفة لشركا والمعني ان الله وفقهم هل خلق شركاوهم خلقا كخلق
الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله علي ان جعلوا الها غيرا لله
ثم ابطل ذلك بقوله قل الله خالق كل شي فحصل الرد عليهم انزل
من السما ما فسالت اودية بقدرها الاية هذا مثل ضربه الله
للحق واهله والباطل وحزبه فمثل الحق واهله بالما الذي ينزل
من السما فتسيل به الاودية وينتفع به اهل الارض وبالذهب
والفضه والحديد والصفر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها
الناس وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي
يرمي به السيل وبزبد تلك المعادن التي يطفوا فوقها اذا اذيب
وليس في الزبد منفعة وليس له دوام بقدرها يحتمل ان يريد
ما قدر لها من الما ويحتمل ان يريد بقدر ما تحتمله علي قدر صغرها
وكبرها زبدا رابيا الزبد ما يحمله السيل من غثا ونحوه والرابي
المنتفخ الذي ربي ومنه الربوه ومما توقدون المجرور في موضع
خبر المقدم والمبتدا زبد مثله اي ينشا من الاشيا التي يوقد عليها
زبد مثل زبد السيل ابتغا حلية او متاع الذي يوقد عليه ابتغا
الحلي هو الذهب والفضة والذي يوقد عليه ابتغا متاع هو الحديد
والرصاص والنحاس والصفر وشبه ذلك ومعني المتاع ما يستمتع
الناس به في مرافقهم وحوايجهم يضرب الله الحق والباطل اي
يضرب امثال الحق والباطل جفا يجفون السيل اي يرمي به
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يريد الخالص من الما ومن
تلك الاحجار للذين استجابوا لربهم الحسني الذين استجابوا هم
المومنون وهذا استيناف كلام والحسني الجنة واعرابها مبتدا
وخبرها للذين استجابوا والذين استجابوا مبتدا وخبر لو ان لهم
ما في الارض الاية فيوقف علي الامثال وعلي الحسني وقيل
للذين استجابوا يتعلق بيضرب والحسني مصدر من معني استجابوا

اي

اي استجابوا الاستجابة الحسني والذين لم يستجيبوا معطوف علي الذين
استجابوا والمعني يضرب الله الامثال للطايفتين وعلي هذا انما
يوقف علي الذين لم يستجيبوا له سو الحساب اي المناقشة
والاستقصا افمن يعلم تقرير والمعني سوا من امن ومن لم يومن
والاعمي هنا من لم يومن بالنبي صلي الله عليه وسلم وقيل
انما نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي جهل
لعنه الله يصلون ما امر الله به ان يوصل القرابات وغيرها
ويدرون بالحسنة السيئة قيل يدفعون الشرك بقول لا اله الا
الله وقيل يدفعون من اسا عليهم بالتي هي احسن والاظهر
يفعلون بها الحسنات فيدرون بها السيات كقوله ان الحسنات
يذهبن السيات وقيل ان هذه الاية نزلت في الانصار ثم هي
عامة في كل مومن اتصف بهذه الصفات عقبي الدار يعني
الجنة ويحتمل ان يريد بالدار الاخرة واضاف العقبي اليها لانها فيها
ويحتمل ان يريد بالدار الدنيا واضاف العقبي اليها لانها عاقبتها
جنات عدن بدل من عقبي الدار او خبر ابتدا مضمر تفسير العقبي
الدار ومن صلح اي من كان صالحا سلام عليكم اي يقولون لهم سلام
عليكم بما صبرتم يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز
ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم بما صبرتم والذين ينقضون عهد
الله الي اخر الاية ذا وصاف مضادة لما تقدم وقيل انها في الخوارج
والاظهر انها في الكفار سو الدار يحتمل ان يريد بها الدنيا او الاخره
الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع علي من يشا وهذا
تفسير حيث وقع وفرحوا بالحياة الدنيا اخبار في ضمنه ذم وتسفيه
لمن فرح بالدنيا ولذلك حقرها بقوله الا متاع اي قليل بالنظر الي
الاخرة قل ان الله يضل من يشا خرج به مخرج التعجب منهم
اي طلبوا اية اي قد جاكم محمد صلي الله عليه وسلم بالقران

وبايات كثيره فعميتم عنها وطلبتم غيرها وتماديتم علي الكفر
لان الله يضل من يشا مع ظهور الايات فقد يهدي من يشا دون
ذلك **الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله** بدل ممن اناب او
خبر ابتدا مضمر والذين امنوا وعملوا الصالحات بدل ثان او مبتدا
طوبي مصدر من طاب كبشري ومعناها اصابت خيرا وطيبا
وقيل هي شجرة في الجنة واعرابها مبتدا **كذلك ارسلناك** الكاف
تتعلق بالمعني الذي في قوله يضل من يشا ويهدي من يشاء
وهم يكفرون بالرحمن قيل انها نزلت في ابي جهل وقيل
نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
يوم الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
قايلهم لا نعرف الرحمن وهذا ضعيف لان الاية نزلت قبل ذلك
ولان تلك القصة انما انكروا فيها التسمية فقط ومعني الاية
انهم يكفرون بالله مع تلاوة القران عليهم **متاب** مفعل من
التوبة وهو اسم مصدر **ولو ان قرانا سيرت به الجبال**
الاية جواب لمحذوف تقديره لو ان قرانا علي هذه الصفة
من تسيير الارض به وتقطيع الجبال وتكليم الموتي لم يومنوا
به فالمعني كقوله لا يومنون ولو جاتهم كل اية وقيل تقديره
لو ان قرانا علي هذه الصفة لكان هذا القران الذي هو غاية
في التذكير ونهاية في الانذار كقوله لو انزلنا هذا القران علي
جبل لرايته خاشعا متصدعا وقيل هو متعلق بما قبله من
المعني وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال
افلم ييايس معناه افلم يعلم وهي لغة هوازن وقري اولم يتبين
ولا يزال الذين كفروا هو فتح مكة وقيل قيام الساعة يعني كفار
قريش والاية مقصدها تانيس وتسلية للنبي صلي الله عليه
وسلم وهكذا حيث وقع **قارعة** مصيبة في انفسهم واموالهم

اد

او غزوات المسلمين اليهم **او تحل** الفاعل ضمير القارعة والمعني اما ان تصيبهم
واما ان تقرب منهم وقيل التا للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي
صلي الله عليه وسلم والاول اظهر **حتي ياتي وعد الله** هو فتح مكة وقيل
قيام الساعة **ولقد استهزي** الاية مقصدها تانيس وتسلية
للنبي صلي الله عليه وسلم وهكذا حيث وقع **فامليت** اي امهلتهم
افمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت هو الله تعالي اي حفيظ رقيب
علي عمل كل احد والخبر محذوف تقديره افمن هو قايم علي كل نفس بما
كسبت احق ان يعبد ام غيره ويدل علي ذلك قوله وجعلوا لله شركا
قل سموهم اي اذكروا اسماهم **ام تنبونه بما لا يعلم في الارض**
المعني ان الله لا يعلم لنفسه شركا وان لم يعلمه هو فليسوا بشي فكيف
تفترون الكذب في عبادتهم وتعبدون الباطل وذلك كقولك
قل من زيد ام هو قل من يعرف فهو كالعدم **ام بظاهر من القول**
المعني اتسمونهم شركا بظاهر اللفظ ان يكون لذلك حقيقة كقولك
ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم **لهم عذاب في الحياة الدنيا**
يعني بالقتل والاسر والخوف وغير ذلك **مثل الجنة** هنا وفي القتال
صفتها وليس بضرب مثل لها والخبر عند سيبويه محذوف مقدم
تقديره فيما يتلي عليكم صفة الجنة وقال الفرا الخبر موخر وهو
تجري من تحتها الانهار **اكلها دايم** يعني ما يوكل فيها من الثمرات
وغيرها والاكل بضم الهمزة الماكول ويجوز فيه ضم الكاف واسكانها
والاكل بفتح الهمزة المصدر **والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما**
انزل اليك يعني من اسلم من اليهود والنصاري كعبد الله بن سلام
والنجاشي واصحابه وقيل يعني المومنين والكتاب علي هذا القران
ومن الاحزاب قيل هم بنو امية وبنو المغيرة من قريش والاظهر
انها في ساير كفار العرب وقيل هم اليهود والنصاري لانهم لا ينكرون
القصص والاشيا التي في كتبهم وانما ينكرون البعض مما لا يعرفونه

او حرفوه قل انما امرت ان اعبد الله وحده اتصاله بما قبله انه
جواب المنكرين ورد عليهم كانه قال انما امرت بعبادة الله وتوحيده
فكيف تنكرون هذا اماب مفعل من الاوب وهو الرجوع اي مرجعي في
الاخرة او مرجعي بالتوبة وجعلنا لهم ازواجا وذرية رد على من
انكر ان يكون الرسول من البشر او يحتاج الى ما يحتاج اليه البشر
من النسا والذرية فالمعنى لست ببدع في ذلك بل انا كمن تقدم
من الرسل وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله رد على
الذين اقترحوا الايات لكل اجل كتاب قال الفرا لكل كتاب اجل
بالعكس هذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس اي لكل اجل كتاب
كتبه الله في اللوح المحفوظ يمحوا الله ما يشا ويثبت قيل يعني
ينسخ ما يشا من القران والاحكام ويثبت منها ما يشا وقيل
هي في اجال بني ادم وذلك ان الله تعالى في ليلة القدر او في ليلة
النصف من شعبان يكتب اجال من يموت في ذلك العام فيمحى من ديوان
الاحيا ويثبت من لا يموت في ذلك وقيل ان المحو والاثبات على
العموم في جميع الاشيا وهذا ترده القاعدة المتقررة ان القضا
لا يبدل وان علم الله لا يتغير فقال بعضهم المحو والاثبات في كل
شي الا في السعادة والشقاوة الاخراوية والاجال وعنده
ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله
مقادير الاشيا كلها اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
الاتيان هنا بالقدرة والامر والارض ارض الكفار ونقصها هو بما
يفتح الله على المسلمين منها والمعنى اولم يروا ذلك فيخافوا ان
نمكنك منهم وقيل الارض جنس ونقصها بموت الناس وهلاك
الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك لا معقب لحكمه المعقب الذي
يكر على الشي فيبطله فلله المكر جميعا تسمية للعقوبة باسم الذنب
وسيعلم الكافر تهديد والمراد بالكافر الجنس بدليل قراة الكفار بالجمع

وعقبى

وعقبى الدار الدنيا والاخرة قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم امره
الله ان يستشهد بالله على نبوته وشهادة الله له هي علمه بذلك
واظهاره الايات الدالة على ذلك ومن عنده علم الكتاب معطوف
على اسم الله على وجه استشهاده به وقيل المراد عبد الله بن
سلام ومن اسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته صلى
الله عليه وسلم من التوراة والانجيل وقيل المراد المومنون
الذين يعلمون علم القران ودلالته على النبوة وقيل المراد الله
تعالى فهو الذي عنده ام الكتاب ويضعف هذا لانه عطف صفة
على موصوف ويقويه قراة ومن عنده بمن الجارة وخفض عنده

سورة ابراهيم عليه السلام

لتخرج الناس من الظلمات الى النور والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والظلمات الكفر والجهل والنور الايمان والعلم باذن ربهم
اي بامره وهو ارساله الى صراط العزيز الحميد بدل من الى النور
الله قرئ بالرفع وهو مبتدا مضمر وبالخفض بدل يستحبون اي يوثرون
ويبغونها قد ذكر بلسان قومه اي بلغتهم وكلامهم ان اخرج ان مفسرة
او مصدرية على تقدير بان وذكرهم بايام الله اي عقوباته للامم
المتقدمه وقيل انعامه على بني اسرائيل والمقصود النعم والنقم وعبر
عنهما بالايام لانها كانت في ايام وفي ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا
ويوم كذا ويذبحون ابناكم ذكرهنا بالواو ليدل على ان سوء العذاب
غير الذبح او اعم من ذلك ثم جرد الذبح كقولك وملايكته وجبريل
وميكال ذكر في البقره بغير واو وتفسير للعذاب واذ تاذن ربكم
من كلام موسى وتاذن بمعنى اذن اي اعلم كقولك توعد واوعد
واعلم الله مقترن بانفاذ ما اعلم به لين شكرتم لازيدنكم هذا معمول
تاذن لانه يتضمن معنى قال او يحتمل ان تكون الزيادة من خير الدنيا
او من الثواب في الاخرة او منهما ولين كفرتم يحتمل ان يريد كفر النعم

او الكفر بالايمان والاول ارجح لمقابلته بالشكر **لا يعلمهم الا الله**
عبارة عن كثرتهم كقوله وقرونا بين ذلك كثيرا قوله اتتهم
فردوا ايديهم في افواههم فيه ثلاثة اقوال احدها ان الضماير
لقوم الرسل والمعنى انهم ردوا ايديهم في افواه انفسهم غيظا من
الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او استهزاوا وضحكا
كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه والثاني ان الضماير لهم
والمعنى انهم ردوا ايديهم في افواه انفسهم اشارة الى الانبياء
بالسكوت والثالث انهم ردوا ايديهم في افواه الانبيا تسكيتا
لهم وردا لقولهم **افي الله شك** المعنى افي وجود الله شك او في
الهيته شك وقيل في وحدانيته والهمزة للتقرير والتوبيخ
لانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة ولذلك وصفه بعد بقوله فاطر
السموات والارض **من ذنوبكم** قيل ان من زايدة ومنع سيبويه
زيادتها في الواجب وهي عنده للتبعيض ومعناه انه يغفر للكافر
اذا اسلم ما تقدم من ذنبه قبل الاسلام ويبقى ما يذنب بعده
في المشية فوقعت المغفرة في البعض ولم يات في القران غفران
بعض الذنوب الا للكافر كهذا الموضع والذي في الاحقاف وسورة
نوح وجا للمومنين بغير من كالذي في الصف **ويؤخركم الى اجل**
مسمى قال الزمخشري واهل مذهبه من المعتزلة معناه يؤخركم
ان امنتم الى اجالكم وان لم تومنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت
وهذا بنا على قولهم بالاجلين واهل السنة يابون هذا فان الاجل
عندهم واحد محتوم **قالوا ان انتم الا بشر مثلنا** يحتمل ان يكون
قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة او يكون
احالة لنبوة البشر والاول اظهر لطلبهم البرهان في قولهم فاتونا
بسلطان مبين ولقول الرسل ولكن الله يمن على من يشا من
عباده اي بالتفضيل بالنبوة **وما لنا ان لا نتوكل على الله**

والمعنى

والمعنى اي شي يمنعنا من التوكل على الله **وعلى الله فليتوكل المتوكلون**
ان قيل لم كرر الامر بالتوكل فالجواب عندي ان قوله وعلى الله فليتوكل
المومنون راجع الى ما تقدم من طلب الكفار سلطان مبين اي حجة
ظاهرة فتوكل الرسل في ورودها على الله واما قوله فليتوكل
المتوكلون فهو راجع الى قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا اي نتوكل
على الله في دفع اذاكم وقال الزمخشري ان هذا بمعنى الثبوت على
التوكل **او لتعودن في ملتنا** او هنا بمعنى الا ان او على اصلها لوقوع
احد الشيئين والعود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب
ولا يقتضي ان الرسل كانوا في ملة الكفار قبل ذلك **خاف مقامي**
فيه ثلاثة اوجه هنا وفي ولمن خاف مقام ربه في الرحمن فالاول
ان معناه مقام الحساب في القيامة والثاني ان معناه قيام الله
على عباده باعمالهم والثالث ان معناه خافني وخاف ربه على اقحام
المقام او على التعبير به عن الذات **واستفتحوا** الضمير للرسل اي
استنصروا بالله واصله طلب الفتح وهو الحكم **جبار** او قاهر او
متكبر **عنيد** مخالف للانقياد **من ورايه** في الموضعين والورا
هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان وقيل معناه هنا امامه وهو بعيد
ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورايه جهنم يلقى فيها
ويسقى وانما ذكر هذا السقي تجريدا بعد ذكر جهنم لانه من اشد
عذابها **يتجرعه ولا يكاد يسيغه** اي يتكلف جرعه وتصعب عليه
اساغته ونفي كاد يقتضي وقوع الاساغة بعد جهد ومعنى
يسيغه يبتلعه **وياتيه الموت من كل مكان** اي يجد الما مثل الم
الموت وكرابته من جميع الجهات **وما هو بميت** اي لا يراح بالموت
مثل الذين كفروا مذهب سيبويه والفرا فيه كقولهما في مثل
الجنة في الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره
فيما يتلى عليكم والخبر عند الفرا الجملة التي بعد والمثل هنا

بمعني التشبيه اعمالهم كرماد تشبيهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها في يوم
عاصف اي شديد الريح والعصوف في الحقيقة من صفة الريح لا يقدرون
مما كسبوا علي شي اي لا يرون له منفعة وبرزوا لله اي ظهروا ومعني
الظهور هنا خروجهم من القبور وقيل معناه صاروا بالبراز وهي
الارض المتسعة تبعا جمع تابع او مصدر وصف به مبالغة او علي
حذف مضاف من عذاب الله من شي من الاولي بيانية والثانية
للتبعيض ويجوز ان تكونا للتبعيض معا قاله الزمخشري والاظهر
ان الاولي للبيان والثانية زايدة والمعني هل انتم دافعون او متحملون
عنا شيا من عذاب الله محيص اي مهرب حيث وقع ويحتمل ان يكون
مصدرا او اسم مكان وقال الشيطان يعني ابليس الاقدم روي
انه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة او في النار بقوله لاهلها
لما قضي الامر ان كان كلام ابليس في القيامة فمعني قضي الامر
تعيين قوم للنار وقوم للجنة وان كان في النار فمعني قضي الامر
حصول اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة الا ان دعوتكم
استثنا منقطع ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اي ما انا
بمغيثكم وما انتم بمغيثين لي بما اشركتموني ما مصدرية اي باشراككم
لي مع الله في الطاعة من قبل يتعلق بما اشركتموني ويحتمل ان
يتعلق بكفرتم والاول اظهر وارجح ان الظالمين استيناف من كلام
الله تعالي ويحتمل ان يكون حكاية عن ابليس باذن ربهم يتعلق
بادخل او بخالدين والاول احسن كلمة طيبة ابن عباس وغيره
هي لا اله الا الله وقيل كلمة حسنة كشجرة طيبة هي النخلة في قول
الجمهور واختار ابن عطية انها شجرة غير معينة الا انها كل ما اتصف
بتلك الصفات وفرعها في السما اي في الهوا وذلك عبارة عن طولها
تؤتي اكلها كل حين الحين في اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به
قرينة تحدده وقيل في كل حين في كل سنة لان النخلة تطلع في كل

سنة

سنة وقيل غير ذلك ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر وقيل كل كلمة قبيحة
كشجرة خبيثة هي الحنظلة عند الجمهور واختار ابن عطية انها غير معينة
اجتثت اقتلعت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة وهذا في مقابلة
قوله اصلها ثابت بالقول الثابت هو لا اله الا الله والاقرار بالنبوة
في الحياة الدنيا اي اذا فتنوا لم يزلوا وفي الاخرة هو عند السوال
في القبر عند الجمهور بدلوا نعمة الله كفرا نعمة الله هنا محمد صلي
الله عليه وسلم ودينه انعم الله به علي قريش فكفروا النعمة
ولم يقبلوها والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا واحلوا قومهم اي
من اطاعهم واتبعهم دار البوار وفسرها بقوله جهنم يقيموا الصلاة
وينفقوا هو جواب شرط مقدر يتضمنه قوله قل تقديره ان
تقل لهم اقيموا يقيموا ومعمول القول علي هذا محذوف وقيل جزم
باضمار لام الامر تقديره ليقيموا ولا خلال من الخلة وهي المودة
ان الانسان يريد الجنس البلد امنا ذكر في البقرة واجنبني اي
امنعني والماضي منه جنب يقال جنب وجنب بالتشديد واجنب
بمعني واحد وبني يعني بني من صلبي وفيهم اجيبت دعوته
واما اعقاب بنيه فعبدوا الاصنام ومن عصاني يعني من عصاه
بغير الكفر او بالكفر ثم تاب منه فهو الذي يصح ان يدعا له بالمغفرة
ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان فيه عليه السلام من الرحمة للخلق
وحسن الخلق اسكنت من ذريتي يعني ابنه عليه السلام لما
ولدته امه هاجر غارت منها سارة زوجة ابراهيم فحمله مع امه
من الشام الي مكة بواد يعني مكة والوادي ما بين جبلين وان لم
يكن فيه ما عند بيتك المحرم يعني الكعبة فاما ان يكون البيت اقدم
من ابراهيم علي ما جا في بعض الروايات واما ان يكون ابراهيم
قد علم انه سيبني هناك بيتا ليقيموا الصلاة اللام يحتمل ان تكون لام
الامر بمعني الدعا او لام كي ويتعلق باسكنت وجمع الضمير يدل علي

تسبيحه واسراع **تهوي اليهم** نسلا هناك يعقوب ابنه ان علم كان قد انه
ولهذه الدعوه حبب الله حج البيت الي الناس علي انه قال من الناس
بالتبعيض قال بعضهم لو قال افيدة الناس لحجته فارس والروم
وارزقهم من الثمرات اي ارزقهم في ذلك الوادي مع انه غير ذي زرع
واجاب الله دعوته فجعل مكة يجبي اليها ثمرات كل شي **وما يخفي
علي الله** الاية يحتمل ان تكون من كلام الله تعالي او حكاية عن ابراهيم
وهب لي علي الكبر اسماعيل واسحاق روي انه ولد له اسماعيل
وهو ابن ماية وسبعة عشر عاما وروي اقل من هذا واسماعيل
اسن من اسحاق **ربنا وتقبل دعاي** ان اراد بالدعا الطلب والرغبة
بمعني القبول والاستجابه وان اراد بالدعا العباده فالقبول
علي حقيقته **ربنا اغفر لي ولوالدي** قيل انما دعا بالمغفره لابويه
الكافرين بشرط اسلامهما والصحيح انه دعا لهما قبل ان يتبين له
انه عدو لله حسبما ورد في قراة **ولا تحسبن الله غافلا** هذا وعيد
للظالمين وهم الكفار علي الاظهر فان قيل لمن هذا الخطاب وفي
قوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله فالجواب يحتمل ان يكون
خطابا بالنبي صلي الله عليه وسلم او لغيره فان كان لغيره فلا
اشكال وان كان له فهو مشكل لان النبي صلي الله عليه وسلم
لا يحسب ان الله محلفا غافلا وتاول ذلك بوجهين احدهما ان المراد
الثبوت علي علمه بان الله غير غافل وغير مخلف وعده والاخر
ان المراد اعلامه بعقوبة الظالمين فمقتضي الكلام الوعيد لهم
تشخص فيه الابصار اي يحد النظر من الخوف **مهطعين** قيل الاهطاع
الاسراع وقيل شدة النظر من غير ان يطرف **مقنعي روسهم**
قيل الاقناع هو رفع الراس وقيل خفضه من الذلة **لا يرتد اليهم
طرفهم** اي لا يطرقون بعيونهم من الحذر والجزع **وافيدتهم هوا**
اي منخرقة لا تغني شيا من شدة الجزع فشبهها بالهوا في تفرغه
من

من الاشيا ويحتمل ان يريد مضطربة في صدورهم **يوم ياتيهم العذاب**
يعني يوم القيامة وانتصاب يوم علي انه مفعول ثان لا انذر ولا
يجوز ان يكون ظرفا **اولم تكونوا** تقدير يقال لهم اولم تكونوا الاية
مالكم من زوال هو المقسم عليه ومعني من زوال من الارض يعني بعد
الموت اي حلفتم انكم لا تبعثون **وعند الله مكرهم** اي جزا مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ان هنا نافيه واللام لام
الجحود والجبال يراد بها الشرايع والنبوات شبهت بالجبال في
ثبوتها والمعني تحقير مكرهم لانه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة
الراسخه وقرا الكسايي لتزول بفتح اللام ورفع تزول وان علي
هذه القراة مخففة من الثقيلة واللام للتاكيد والمعني تعظيم
مكرهم اي ان مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال
ولكن الله عصم ووقي منه **ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله**
يعني وعد النصر علي الكفار فان قيل هلا قال مخلف رسله
وعده ولم قدم المفعول الثاني علي الاول فالجواب انه قدم الوعد
ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا علي الاطلاق ثم قال رسله ليعلم
انه اذا لم يخلف وعد احد من الناس فكيف يخلف وعد رسله
وخيرة خلقه فقدم الوعد اولا بقصد الاطلاق ثم ذكر الرسل
لقصد التخصيص **يوم تبدل الارض غير الارض** العامل في الظرف
ذو انتقام او محذوف وتبدل الارض بان تكون يوم القيامة
بيضا عفرا كقرصة النقي هكذا ورد في الحديث الصحيح **والسموات**
تبديل بانشقاقها وانتثار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها
وقيل تبدل ارضا من فضة وسما من ذهب وهذا ضعيف
وتري المجرمين يعني الكفار **مقرنين في الاصفاد** اي مربوطين
في الاغلال **سرابيلهم** اي قمصهم والسربال القميص **من قطران**
هو الذي تهنا به الابل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل

فقص اهل النار منه **ليجزي** يتعلق بمحذوف اي فعل الله ذلك ليجزي
هذا بلاغ اشارة الي القران او الي ما تضمنته هذه السورة
ولينذروا معطوف علي محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا

سورة الحجر

تلك ايات الكتاب وقران مبين يحتمل ان يريد بالكتاب الكتب
المتقدمه وعطف القران عليهما والظاهر انه القران وعطف عطف
الصفات **ربما** قري بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وما حرف
كافة لرب ورب معني للتقليل وقد تكون للتكثير وقيل ان هذه منه
وقيل انما عبر بها عن التكثير باداة التقليل علي وجه التهكم
كقوله قد نري تقلب وجهك في السما وقد يعلم ما انتم عليه
وقيل ان معني التقليل في هذه انهم لو كانوا يودون الاسلام
مرة واحدة لوجب ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه مرارا
كثيرة ولا تدخل الا علي الماضي **يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**
قيل ان ذلك عند الموت وقيل في القيامة وقيل اذا خرج عصاة
المسلمين من النار وهذا هو الارجح لحديث روي في ذلك **ذرهم**
وما بعده تهديد **كتاب معلوم** اي وقت محدود **وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون** الضمير في قالوا لكفار قريش وقولهم
نزل عليه الذكر علي وجه الاستخفاف اي بزعمك ودعواك
لوما تاتينا بالملايكة لو ما عرض وتحضيض والمعني انهم طلبوا
من النبي صلي الله عليه وسلم ان ياتيهم بالملايكة معه
ما ننزل الملايكة الا بالحق رد عليهم فيما اقترحوا والمعني ان
الملايكة لا تنزل الا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله
لا باقتراح مقترح واختيار كافر وقيل الحق هنا العذاب **وما
كانوا اذا منظرين** اذا حرف جواب وجزا والمعني لو نزل الملايكة
لم يوخر عذاب هولا الكفار الذين اقترحوا نزولهم لان من عادة

الله

الله ان من اقترح اية فراها ولم يومن انه يعجل له العذاب وقد
علم الله ان هولا القوم يومن كثير منهم ويومن اعقابهم فلم يفعل بهم
ذلك **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** الذكر هنا هو القران
وفي قوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستخفافهم في قولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك اكده بنحن واحتج عليه بحفظه
ومعني حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جري في غيره
من الكتب فتولي الله حفظ القران فلم يقدر احد علي الزيادة
فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب
فان حفظها موكول الي اهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب
الله **في شيع الاولين** الشيع جمع شيعة وهي الطايفة التي تتشيع
لمذهب او رجل **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين** معني نسلكه
ندخله والضمير في نسلكه يحتمل ان يكون للاستهزا الذي دل
عليه قوله به يستهزون او يكون للقران اي نسلكه في قلوبهم
مستهزا به ويكون قوله كذلك تشبيها بالاستهزا المتقدم
ولا يومنون به تفسير للوجه الذي ادخاله في قلوبهم والضمير
في به للقران **وقد خلت سنة الاولين** اي تقدمت طريقتهم
علي هذه الحالة من الكفر والاستهزا حتي هلكوا بسبب ذلك
ففي الكلام تهديد لقريش **ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا** الضماير لكفار قريش
المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل الضمير في ظلوا وفي يعرجون
للملايكة وفي قالوا للكفار ومعني يعرجون يصعدون والمعني
ان هولا الكفار لو راوا اعظم اية لقالوا انها تخيل او سحر
وقري سكرت بالتشديد والتخفيف ويحتمل ان يكون مشتقا
من السكر فيكون معناه اجيرت ابصارنا فراينا الامر علي
غير حقيقته او من السكر وهو السد فيكون معناه منعت

ابصارنا من النظر بروجا يعني المنازل الاثني عشر الامن استرق
السمع استثنا من حفظ السموات فهو في موضع نصب من كل شي
موزون اي مقدر بقدر وارادة فالوزن علي هذا استعارة
وقيل المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والاطعمة والطعام
واحسن ومن لستم له برازقين يعني البهايم والحيوانات
ومن معطوف علي معايش وقيل علي الضمير في لكم وهذا
ضعيف في النحو لانه عطف علي الضمير المخفوض من غير اعادة
الخافض وهو قوي في المعني اي جعلنا في الارض معايش لكم
وللحيوانات وان من شي الا عندنا خزاينه قيل يعني المطر
واللفظ اعم من ذلك والخزاين المواضع الخازنة وظاهر هذا
ان الاشيا موجودة قد خلقت وقيل ذلك تمثيل والمعني
ان من شي الا نحن قادرون علي ايجاده وتكوينه بقدر معلوم
اي بمقدار محدود وارسلنا الرياح لواقح يقال لقحت الناقة
والشجرة اذا حملت فهي لاقحة والقحت الريح الشجر فهي ملقحة
ولواقح جمع لاقحة لانها تحمل الما او جمع ملقحة علي حذف الميم
الزايدة ولقد علمنا المستقدمين الاية يعني الاولين والاخرين
من الناس وذكر ذلك علي وجه الاستدلال علي الحشر
الذي ذكر بعد ذلك في قوله وان ربك هو يحشرهم لانه اذا
احاط بهم علما لم تصعب عليه اعادتهم وحشرهم وقيل
يعني من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر وقيل من تقدم
الي الاسلام وما تاخر عنه ولقد خلقنا الانسان من صلصال
الانسان هنا هو ادم عليه السلام والصلصال الطين اليابس
الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار
من حما مسنون الحما الطين الاسود والمسنون المتغير المنتن
وقيل انه من اسن الما اذا تغير والتصريف يرد هذا القول

وموضع من حما صفة لصلصال اي صلصال كاين من حما والجان
خلقناه يراد به جنس الشياطين وقيل ابليس الاول وهذا
ارجح لتولد من قبل وتناسلت الجن من ابليس وهو للجن
كادم للناس السموم شدة الحر خالق بشرا يعني ادم عليه السلام
ونفخت فيه من روحي يعني الروح التي في الجسد واضاف الله تعالي
الروح الي نفسه اضافة ملك الي مالك اي الروح الذي هو لي
وخلق من خلقي وتقدم الكلام علي سجود الملايكة في البقرة
فاخرج منها اي من الجنة او من السما قال رب يقتضي
اقراره بالربوبية وان كفره كان بوجه غير الجحود وهو اعتراضه
علي الله في امره بالسجود لادم الي يوم الوقت المعلوم
اليوم الذي طلب ابليس ان ينظر اليه هو يوم القيامة وقيل
الوقت المعلوم الذي انظر اليه هو يوم النفخ في الصور النفخة
الاولي حين يموت من يموت في السموات ومن في الارض وكان
سوال ابليس الانتظار الي يوم القيامة جهلا منه ومغالطة
اذ سال ما لا سبيل اليه لانه لو اعطي ما سال لم يمت ابدا
لانه لا يموت احد بعد البعث فلما سال ما لا سبيل اليه اعرض
الله عنه واعطاه الانتظار الي يوم النفخة فبما اغويتني البا
للسببية اي لاغوينهم بسبب اغوايك لي وقيل للقسم كانه قال
بقدرتك علي اغواي لاغوينهم والضمير لذرية ادم قال هذا صراط
علي مستقيم القايل لهذا هو الله تعالي والاشارة بهذا الي نجاة
المخلصين من ابليس وانه لا يقدر عليهم او الي تقسيم الناس الي
غوي ومخلص الا عبادك يحتمل ان يريد بالعباد جميع الناس
فيكون قوله الا من اتبعك استثنا متصلا او يريد بالعباد
المخلصين فيكون الاستثنا منقطعا وان جهنم لموعدهم الضمير
للغاوين لها سبعة ابواب روي انها سبعة اطباق في كل طبقة باب

فاعلاها للمذنبين من المسلمين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين و
والسابع للمنافقين ادخلوها تقديره يقال لهم ادخلوها
والسلام يحتمل ان يكون التحية او السلامة اخوانا يعني اخوة
المودة والايمان متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا على الاسرة
نصب اي تعب نبئ عبادي الاية اعلمهم والاية اية ترجية
وتخويف ونبئهم عن ضيف ابراهيم ضيف هنا واقع على جماعة
وهم الملائكة الذين جاوا الى ابراهيم بالبشرى وجلون اي
خائفون والوجل الخوف لا توجل اي لا تخف انا نبشرك بغلام
عليم هو اسحاق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر المعنى
ابشرتموني بالولد مع اني قد كبر سني وكان حينئذ ابن مائة
سنة وقيل اكثر فبم تبشرون قال ذلك على وجه التعجب
من ولادته في كبره او على وجه الاستبعاد لذلك وقرئ
تبشروني بتشديد النون وكسرها على ادغام نون الجمع
في نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف احدى
النونين وبالفتح وهي نون الجمع قالوا بشرناك بالحق
اي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون دليل على تحريم القنوط وقرئ
يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان قال فما خطبكم اي
ما شانكم وباي شي جيتم الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط
الا ال لوط يحتمل ان يكون استثنا من قوم لوط فهو استثنا
من استثنا وقال الزمخشري انما هو استثنا من الضمير
المجرور في قوله لمنجوهم وذلك هو الذي يقتضيه المعنى
قوم فيكون منقطعا لوصف القوم بالاجرام ولم يكن ال لوط
مجرمين ويحتمل ان يكون استثنا من الضمير في المجرمين فيكون

متصلا لانه قال الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط فلم يجرموا
الا امراته استثنا من ال لوط فهو استثنا من استثنا وقال الزمخشري
انما هو استثنا من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وذلك هو
الذي يقتضيه المعنى قدرنا انها لمن الغابرين الغابر يقال بمعنى
الباقي وبمعنى الذاهب وانما اسند الملائكة فعل التقدير الى
انفسهم وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله
لا سيما في هذه القضية كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا ويحتمل
ان يكون حكاية عن الله قوم منكرون اي لا اعرفهم قالوا بل جيناك
بما كانوا فيه يمترون اي جيناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون
يشكون فيه واتبع ادبارهم اي كن خلفهم اي في ساقتهم حتى
لا يبقى منهم احد وليكونوا قدامه ولا يشتغل قلبه بهم لو كانوا
وراه لخوفه عليهم ولا يلتفت منكم احد تقدم في هود وامضوا
حيث تؤمرون قيل هو مصر وقيل حيث هنا الزمان اذ لم
يذكر مكان وقضينا اليه ذلك الامر هو من القضا والقدر
وانما تعدى بالى لانه ضمن معنى اوحينا وقيل معناه اعلمناه
بذلك الامر ان دابر هولا مقطوع هذا تفسير لذلك الامر ودابر
القوم اصلهم والاشارة الى قوم لوط وجا اهل المدينة يستبشرون
المدينة هي سدوم واستبشار اهلها بالاضياف طمعا ان ينالوا
منهم الفاحشة قالوا اولم ننهك عن العالمين كانوا قد نهوه
ان يضيف احدا قال هولا بناتي دعاهم الى تزويج بناته ليقي
بذلك اضيافه لعمرك قسم والعمر الحياة ففي ذلك كرامة للنبي
صلى الله عليه وسلم لان الله اقسم بحياته وقيل هو من قول
الملائكة للوط وارتفاعه بالابتدا وخبره محذوف تقديره
لعمرك والـلام للتوطية انهم لفي سكرتهم يعمهون الضمير لقوم
لوط وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ويعمهون اي يتحيرون فاخذتهم

الصيحة اي صيحة جبريل وهي اخذه لهم مشرقين اي داخلين في
الشروق وهو وقت بزوغ الشمس وقد تقدم تفسير ما بعد هذا
من قصتهم في هود للمتوسمين اي للمتفرسين ومنه فراسة المومن
وقيل للمعتبرين وحقيقة التوسم النظر الي السيمة وانها لبسبيل
مقيم اي بطريق ثابت يراه الناس والضمير للمداين المهلكة
وان كان اصحاب الايكة لظالمين اصحاب الايكة قوم شعيب
والايكة الغيضة من الشجر لما كفروا اضرمها الله عليهم نارا وانهما
لبامام مبين الضمير في انهما قيل انه لمدينة قوم لوط وقوم
شعيب فالامام على هذا الطريق اي انهما بطريق واضح يراه
الناس وقيل الضمير للوط وشعيب اي انهما على طريق من
الشرع واضح والاول اظهر اصحاب الحجر هم ثمود وقوم صالح
والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين ذكرهم بالجمع
وانما كذبوا واحدا منهم وفي ذلك تاويلان احدهما ان من كذب
واحدا من الانبيا لزمه التكذيب للجميع لانهم جاوا بامر متفق
من التوحيد والثاني انه اراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل
وانما يركب فرسا واحدا واتيناهم اياتنا يعني الناقة وما
كان معها من العجايب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا النحت
النقر بالمعاويل وشبهها في الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا
ينقرون بيوتهم في الجبال امنين يعني امنين من تهدم بيوتهم
لوثاقتها وقيل امنين من عذاب الله الا بالحق يعني انها لم تخلق
عبثا فاصفح الصفح الجميل قيل ان الصفح الجميل هو الذي ليس
معه عقاب ولا عتاب وفي الاية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف
ولقد اتيناك سبعا من المثاني قيل ام القران لانها سبع ايات وقيل
يعني السور السبع الطوال وهي البقره وال عمران والنسا والمايده
والانعام والاعراف والانفال مع براة والاول ارجح لوروده

في

في الحديث والمثاني مشتق من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة
تكرر قراتها في الصلاة ولان غيرها من السور تكرر فيها القصص
وغيرها وقيل هي مشتقة من الثنا لان فيها ثنا على الله ومن
تحتمل ان تكون للتبعيض او لبيان الجنس وعطف القران على السبع
المثاني لانه يعني ما سواها من القران فهو عموم بعد الخصوص
لا تمدن عينيك اي لا تنظر الي ما متعناهم به في الدنيا كانه يقول
قد اتيناك السبع المثاني والقران العظيم فلا تنظر الي الدنيا فان الذي
اعطيناك اعظم منها ازواجا منهم يعني اصنافا من الكفار ولا تحزن
عليهم اي لا تتاسف لكفرهم واخفض جناحك اي تواضع ولن للمومنين
والجناح هنا استعارة كما انزلنا على المقتسمين الكاف من كما متعلقة
بقوله انا النذير اي انذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي انزل
على المقتسمين وقيل متعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا
عليك كتابا كما انزلنا على المقتسمين واختلف في المقتسمين
فقيل هم اهل الكتاب الذين امنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه
فانقسموا الي قسمين وقيل هم قريش اقتسموا ابواب مكة في
الموسم فوقف كل واحد منهم على باب يقول احدهم هو
شاعر ويقول الاخر ساحر وغير ذلك الذين جعلوا القران
عضين اي اجزا وقالوا فيه اقوالا مختلفة وواحد عضين عضة
وقيل هو من العضة وهي السحر والعاضة الساحر والمعنى
على هذا قالوا انه سحر والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول
الاول واو وعلى الثاني ها فوربك لنسئلنهم اجمعين ان قيل
كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسيل عن ذنبه انس
ولا جان فالجواب ان السوال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ
وان السوال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض لان الله يعلم
الاعمال فلا يحتاج الي السوال عنها فاصدع بما تومر اي صرح

به وانقذه **انا كفيناك المستهزئين** يعني قوما من اهل مكة اهلكهم الله
بانواع من الهلاك من غير سعي النبي صلي الله عليه وسلم وكانوا
خمسة الوليد بن المغيره والعاصي بن وايل والاسود بن المطلب
والاسود بن عبد يغوث والحارث بن عيطلة وقصة اهلاكهم
مذكورة في السير وقيل هم الذين قتلوا ببدر كابي جهل وعتبة
بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن ابي معيط وغيرهم
والاول ارجح لان الله كفاه اياهم بمكة قبل الهجرة **ولقد نعلم انك**
يضيق صدرك بما يقولون تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم
وتانيس **حتي ياتيك اليقين** اي الموت **سورة النحل**
اتي امر الله قيل يعني القيامه وقيل النصر علي الكفار وقيل
عذاب الكفار في الدنيا ووضع الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوع
الامر ولقربه وروي انها لما نزلت وثب رسول الله صلي الله
عليه وسلم قايما فلما قال فلا تستعجلوه سكن **ينزل الملايكة**
بالروح اي بالنبوة وقيل بالوحي **خلق الانسان من نطفة** اي
من نطفة المني والمراد جنس الانسان **فاذا هو خصيم مبين**
فيه وجهان احدهما ان معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثاني
يخاصم في ربه ودينه وهذا في الكفار والاول اعم **لكم فيها دفء**
اي ما يتدفى به يعني ما يتخذ من جلود الانعام واصوافها من الثياب
ويحتمل ان يكون قوله لكم متعلقا بما قبله او بما بعده ويختلف
الوقف باختلاف ذلك **ومنافع** يعني شرب البانها والحرث بها وغير
ذلك **ومنها تاكلون** يحتمل ان يريد بالمنافع ما عدا الاكل فيكون الاكل
امرا زايدا او يريد بالمنافع الاكل وغيره ثم جرد ذكر الاكل لانه
اعظم المنافع **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** الجمال
حسن المنظر وحين تريحون يعني حين تردونها بالعشي الي المنازل
وحين تسرحون حين تردونها بالغداة الي الرعي وانما قدم تريحون

علي

علي تسرحون لان جمال الانعام بالعشي اكثر لانها ترجع وبطونها ملاء
وضروعها حافلة **وتحمل اثقالكم** يعني الامتعة وغيرها وقيل اجساد
بني ادم **الي بلد** اي الي اي بلد توجهتم وقيل يعني مكة **بشق الانفس**
اي مشقة **لتركبوها وزينة** استدل بعض الناس به علي تحريم
اكل الخيل والبغال والحمير لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة
دون الاكل ونصب زينة علي انه مفعول من اجله وهو معطوف
علي موضع لتركبوها **ويخلق ما لا تعلمون** عبارة علي العموم اي
يخلق ما لا تحيط البشر بعلمها وكل ما ذكر في هذه الاية شيا مخصوصا
فهو علي وجه المثال **وعلي الله قصد السبيل** اي علي الله تقويم طريق
الهدي بنصب الادلة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس
ومعني القصد القاصد الموصل واضافته الي السبيل من اضافة
الصفة الي الموصوف **ومنها جاير** الضمير في منها يعود علي السبيل
اذ المراد به الجنس ومعني الجاير الخارج عن الصواب اي ومن
الطريق جاير كطريق اليهود والنصاري وغيرهم **ما لكم** يحتمل
ان يتعلق لكم بانزل او يكون في موضع خبر لشراب او صفة لماء **ومنه**
شجر يعني ما ينبت بالمطر **فيه تسيمون** اي ترعون انعامكم **وما ذرا لكم** من الشجر
في الارض يعني الحيوان والاشجار والثمار وغير ذلك **مختلفا**
الوانه اي اصنافه واشكاله **لحما طريا** يعني الحوت **حلية تلبسونها**
يعني الجواهر والمرجان **مواخر فيه** جمع ماخرة يقال مخرت السفينة
والمخر شق الما وقيل صوت جري الفلك بالرياح **ولتبتغوا من فضله**
يعني في التجارة وهو معطوف علي لتاكلوا **والقي في الارض رواسي**
ان تميد بكم الرواسي الجبال واللفظ مشتق من رسي اذا ثبت وان
تميد في موضع مفعول من اجله والمعني القي الجبال في الارض لئلا
تميد الارض وروي انه لما خلق الله الارض جعلت تميد فقالت
الملايكة لا يستقر علي ظهر هذه احد فاصبحت وقد ارسيت بالجبال

وانهارا قال ابن عطية انهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل او
خلق انهارا قال واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على ان القي
اخص من جعل وخلق ولو كانت القي بمعنى خلق لم يحتج الي هذا الاضمار
وسبلا يعني الطرق وعلامات يعني ما يستدل به علي الطرق والمناهل
وغير ذلك وهو معطوف على انهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب
علي المصدر اي لعلكم تعتبرون وعلامات اي عبرة واعلام
وبالنجم هم يهتدون يعني الاهتدا بالليل في الطرق والنجم هنا
جنس وقيل المراد الثريا والفرقدان فان قيل قوله وبالنجم
هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كانه يقول
وبالنجم خصوصا هولا خصوصا يهتدون فمن المراد بهم فالجواب
انه اراد قريشا فانهم كان لهم في الاهتدا بالنجم في سيرهم علم
لم يكن لغيرهم وكان الاعتبار الزم لهم فخصصوا قال ذلك الزمخشري
افمن يخلق كمن لا يخلق تقرير يقتضي الرد علي من عبد غير الله وانما
عبر عنه بمن لان فيهم من يعقل ومن لا يعقل او مشاكلة لقوله
افمن يخلق وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ذكر من اول السورة
الي هنا انواعا من مخلوقاته تعالي علي وجه الاستدلال بها
علي وحدانيته ولذلك اعقبها بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ثم اعقب ذلك بقوله ان الله لغفور رحيم اي يغفر لكم التقصير
في شكر نعمه والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيا وهم
يخلقون نفي عن الاصنام صفة الربوبية واثبت لها اضدادها
وهي انهم مخلوقون غير خالقين وغير احيا وغير عالمين بوقت
البعث فلما قام البرهان علي بطلان ربوبيتهم اثبت الربوبية
لله فقال الهكم اله واحد اموات غير احيا اي لم تكن لهم حياة قط
ولا تكون وذلك اغرق في موتها ممن تقدم له حياة ثم مات
ثم يبعث بعد موته حياة وما يشعرون ايان يبعثون الضمير في

يشعرون للاصنام وفي يبعثون للكفار الذين عبدوهم وقيل
الضميرين للكفار قلوبهم منكرة اي تنكر وحدانية الله عز وجل
لا جرم اي لا بد ولا شك وقيل ان لا نفي لما تقدم وجرم معناه
وجب او حق وان فاعلة بجرم اساطير الاولين اي ما سطره
الاولون وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتب تواريخ وكان يقول
انما يحدث محمد باساطير الاولين وحديثي اجمل من حديثه
وماذا يجوز ان يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ويكون منصوبا
بانزل وان تكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتدا وذا بمعنى
الذي وفي انزل ضمير محذوف ليحملوا اوزارهم اللام لام العاقبة
والصيرورة اي قالوا اساطير الاولين فاوجب ذلك ان حملوا
اوزارهم واوزار غيرهم ويحتمل ان تكون للامر بغير علم حال
من المفعول في يضلونهم او من الفاعل وقيل للذين اتقوا
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا لمعارضة مقالة الكفار الذين قالوا
اساطير الاولين فاتي الله بنيانهم من القواعد الاية قيل المراد
بالذين من قبلهم نمرود فانه بني صرحا ليصعد فيه الي السما
بزعمه فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه
وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الامم المتقدمة
ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد علي هذا
تمثيل ويقول اين شركاي توبيخ للمشركين واضاف الشركا
الي نفسه اي علي زعمكم ودعواكم وفيه تهكم بهم الذين كنتم تشاقون
فيهم اي تعادون من اجلهم من قرا بكسر النون فالمفعول ضمير
المتكلم وهو الله عز وجل ومن قراها بفتحها فالمفعول محذوف
تقديره تعادون المومنين من اجلهم قال الذين اوتوا العلم
هم الانبيا والعلما من كل امة وقيل يعني الملايكة واللفظ اعم
من ذلك ظالمي انفسهم حال من الضمير المفعول في تتوفاهم

فالقوا السلم اي استسلموا الموت ماكنا نعمل من سو اي قالوا
ذلك ويحتمل قولهم لذلك ان يكونوا تقصدوا الكذب استعصاما به
كقولهم والله ربنا ماكنا مشركين او يكونوا اخبروا علي حسب اعتقادهم
في انفسهم فلم يقصدوا الكذب ولكنه كذب في نفس الامر بلي من
قول الملايكة للكفار اي قد كنتم تعملون السوء وقيل للذين اتقوا
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا
اساطير الاولين قابل ذلك بمقالة المومنين فان قيل لم
نصب جواب المومنين وهو قولهم خيرا ورفع جواب الكافرين
وهو اساطير الاولين فالجواب ان قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر
تقديره انزل خيرا ففي ذلك اعتراف بان الله انزله واما اساطير
الاولين واما اساطير الاولين فهو خبر ابتدا مضمر تقديره هو
اساطير الاولين فلم يعترفوا بان الله انزله فلا وجه لنصبه
ولو كان منصوبا لكان الكلام متنا قضا لان قولهم اساطير
الاولين تقتضي التكذيب بان الله انزله والنصب بفعل مضمر
تقتضي التصديق بان الله انزله لان تقديره انزل فان قيل
يلزم مثل هذا في الرفع لان تقديره هو اساطير الاولين فانه
غير مطابق للسوال الذي هو ماذا انزل ربكم فالجواب انهم عدلوا
بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين ولم ينزله الله
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ارتفع حسنة بالابتدا
وللذين خبره والجملة بدل من خيرا وتفسير للخير الذي قالوه
وقيل هي استيناف كلام الله لا من كلام الذين قالوا خيرا جنات
عدن يحتمل ان يكون هو اسم الممدوح بنعم فيكون مبتدا وخبره
يدخلونها او مضمر تقديره لهم جنات عدن هل ينظرون اي ينتظرون
والضمير للكفار والان تاتيهم الملايكة يعني لقبض ارواحهم
اوياتي امر ربك يعني قيام الساعة او العذاب في الدنيا فاصابهم

سيات

من

سيات ما عملوا اي جزا سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون
اي احاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزون وهذا تفسيره حيث وقع
وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي قالوا
ذلك علي وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج علي صحة فعلهم اي
اي فعلنا هو بمشية الله فهو صواب ولو شا الله ان لا نفعله ما فعلنا
والرد عليهم بان الله نهي عن الشرك ولكنه قضي علي من يشا من
عباده ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك في الاخرة علي وجه التمني
والمعني علي ذلك انهم لما راوا العذاب تمنوا ان يكونوا لم يعبدوا
غيره ولم يحرموا ما احل الله من البحيرة وغيرها فان الله لا يهدي
من يضل قري بضم اليا وفتح الدال علي البنا للمفعول اي لا يهدي
غير الله من يضله وقري يهدي بفتح اليا وكسر الدال والمعني علي
هذا لا يهدي الله من قضي باضلاله وما لهم من ناصرين
الضمير عايد علي من يضل الله لانه في معني الجمع بلي رد علي الذين
اقسموا لا يبعث الله من يموت اي انه يبعثه ليبين لهم الذي يختلفون
فيه اللام تتعلق بما دل عليه بلي اي يبعثهم ليبين لهم وهذا برهان
علي البعث فان الناس مختلفون في اديانهم ومذاهبهم فيبعثهم
الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه انما قولنا لشي الاية برهان
ايضا علي البعث لانه دخل تحت قدرة الله تعالي والذين هاجروا
في الله يعني الذين هاجروا من مكة الي ارض الحبشة لان الهجرة الي
المدينة كانت بعدها وقيل نزلت في ابي جندل بن سهيل وخبره
مذكور في السير في قصة الحديبية وهذا بعيد لان السورة نزلت
قبل ذلك لنبوينهم في الدنيا حسنة وعد ان ينزلهم بقعة حسنة
وهي المدينة التي استقروا بها وقيل ان حسنة صفة لمصدر اي
نبوينهم تبوية حسنة وقري لنثوينهم بالثا من الثوي الذين
صبروا وصف للذين هاجروا ويحتمل اعرابه ان يكون نعتا او علي

هم الذين او امدح الذين الا رجالا رد على من استبعد ان يكون الرسول
من البشر بالبينات والزبر يتعلق بارسلنا الذي في اول الاية
على التقديم والتاخير في الكلام او بارسلنا مضمرا او بيوحى او بتعلمون
وانزلنا اليك الذكر يعني القران لتبين للناس ما نزل اليهم يحتمل
ان يريد لتبين القران بسردك نصه وتعليمه للناس او تبين
معانيه بتفسير مشكله فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة
افامن الذين مكروا السيات اي مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
فيكون المكر على بابه او ياخذهم في تقلبهم يعني في اسفارهم
فما هم بمعجزين اي بمفلتين حيث وقع او ياخذهم على تخوف
فيه وجهان احدهما ان معناه على تنقص اي ينتقص اموالهم
وانفسهم شيا بعد شي حتى يهلكوا من غير ان يهلكهم جملة واحدة
ولهذا اشار بقوله فان ربكم لرؤف رحيم لان الاخذ هكذا
اخف من غيره وقد كان عمر بن الخطاب اشكل عليه معنى التخوف
في الاية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص في لغتنا
والوجه الثاني انه من الخوف اي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
هم ذلك فياخذهم بعد ان توقعوا العذاب وخافوه وذلك
خلاف قوله وهم لا يشعرون اولم يروا الى ما خلق الله من
شي تتفيا ظلاله معنى الاية اعتبار بانتقال الظل
ويعني بقوله ما خلق الله من شي الاجرام التي لها ظل من الجبال
والشجر والحيوان وغير ذلك وذلك ان الشمس من وقت طلوعها
الى وقت الزوال يكون ظلها الى جهة ومن الزوال الى الليل
الى جهة اخرى ثم يمتد الظل ويعم بالليل الى طلوع الشمس
وقوله تتفيوا من الفي وهو الذي يرجع بعكس ما كان غدوه
وقال روبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفي ولا يقال
قبله الا ظل فجمع لفظة تتفيوا هنا تجوز اما لوقوع المفعول

في

في موضع العموم لان المقصود الاعتبار من اول النهار الى اخره فوضع
تتفيو موضع تنتقل او يميل والضمير في ظلاله يعود على ما او
على شي عن اليمين والشمايل يعني عن الجانبين اي يرجع الظل
من جانب الى جانب واليمين بمعنى الايمان واستعار هنا الايمان
والشمايل للاجرام فان اليمين والشمايل انما هما في الحقيقة للانسان
سجدا لله حال من الظلال وقال الزمخشري حال من الضمير
من ظلاله اذ هو بمعنى الجمع لانه يعود على قوله من شي فعلى
الاول يكون السجود من صفة الظلال وعلى الثاني يكون من
صفة الاجرام واختلف في معنى هذا السجود فقيل عبر به
عن الخضوع والانقياد وقيل هو سجود حقيقة وهم داخرون
اي صاغرون وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلا
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل
ان يكون من دابة بيانا لما في السموات وما في الارض معا لان كل
حيوان يصح ان يوصف بانه يدب ويحتمل ان يكون بيانا لما في
الارض خاصة وانما قال ما في السموات وما في الارض ليعم
العقلا وغيرهم ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك
غير العقلا قال الزمخشري والملايكة ان كان قوله من دابة
بيانا لما في السموات والارض فقد دخل الملايكة في ذلك وكرر
ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وان كان من دابة لما
في الارض خاصة فلم تدخل الملايكة في ذلك فعطفهم على
ما قبلهم يخافون ربهم من فوقهم هذا اخبار عن الملايكة
لنفي الاستكبار ويحتمل ان يريد فوقية القدرة والعظمة
او يكون من المشكلات التي يمسك عن تاويلها وقيل
معناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم لا تتخذوا
الهين اثنين وصف الالهين باثنين تاكيدا وبيانا للمعنى

وقيل ان اثنين مفعول اول والهين مفعول ثان فلا يكون في الكلام
تاكيد **فاياي فارهبون** خرج من الغيبة الي التكلم لان الغايب هو المتكلم
واياي مفعول بفعل مضمر ولا يعمل فيه فارهبون لانه قد اخذ معموله
وله الدين واصبا اي واجبا ثابتا وقيل دايما وانتصابه علي الحال من
الدين **وما بكم من نعمة فمن الله** يحتمل ان تكون الواو للاستيناف او
للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله اي كيف تتقون غير الله وما
بكم من نعمة فمنه وحده **فاليه تجارون** اي ترفعوا اصواتكم بالاستغاثة
والتضرع **ليكفروا بما اتيناهم** اللام لام الامر علي وجه التهديد
لقوله بعدها فتمتعوا فسوف تعلمون فعلي هذا يبتدي بها
وقيل هي لام العاقبة فعلي هذا توصل بما قبلها لانها في الاصل
لام كي وذلك بعيد في المعني والكفر هنا يحتمل ان يكون كفر النعم
لقوله بما اتيناهم او كفر الجحود والشرك لقوله بربهم يشركون
فتمتعوا يريد التمتع في الدنيا وذلك امر علي وجه التهديد
ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم الضمير في يجعلون
لكفار العرب فانهم كانوا يجعلون للاصنام نصيبا من ذبايحهم
وغيرها والمراد بقوله لما لا يعلمون للاصنام والضمير في لا يعلمون
للكفار اي لما لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة وقيل
الضمير في لا يعلمون للاصنام اي لاشيا غير عالمة وهذا ابعد
ويجعلون لله البنات اشارة الي قول الكفار ان الملايكة بنات
الله ثم نزه تعالي نفسه عن ذلك بقوله **سبحانه ولهم ما يشتهون**
المعني انهم يجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني بذلك الذكور من
الاولاد واما الاعراب فيجوز ان يكون ما يشتهون مبتدا وخبره
المجرور قبله وان يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون وان يكون معطوفا علي البنات
علي ان هذا يمنعه البصريون لانه من باب ضربتني وكان

عندهم ان يقال لانفسهم **واذا بشر احدهم بالانثي ظل وجهه
مسودا وهو كظيم** اخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات
وظل هنا يحتمل ان تكون علي بابها او بمعني صار والسواد عبارة
عن العبوس والغم وقد يكون معه سواد حقيقة وكظيم قد ذكر
في يوسف **يتواري من القوم** اي يستخفي من اجل سوء ما بشر
به **ايمسكه علي هون ام يدسه في التراب** المعني يدبر و ينظر
هل يمسك الانثي التي بشر بها علي هوان وذل لها او يدفنها
في التراب حية وهي الموؤدة وهذا معني يدسه في التراب
مثل السوء اي صفة السوء من الحاجة الي الاولاد وغير ذلك
من صفة الافتقار والنقص **ولله المثل الاعلي** اي الوصف
الاعلي من الغني عن كل شي والنزاهة عن صفات المخلوقين
ولو يواخذ يعني لو عاقبهم في الدنيا **بظلمهم** اي بكفرهم
ومعاصيهم **ما ترك عليها** الضمير للارض **من دابة** يعم بني ادم
وغيرهم وهذا يقتضي ان تهلك الحيوانات بذنوب بني ادم
وقد ورد ذلك في الاثر وقيل يعني بني ادم خاصة **ويجعلون
لله ما يكرهون** يعني البنات **ان لهم الحسني** انه بدل من
الكذب والحسني هنا قيل هي الجنة وقيل ذكور الاولاد **وانهم
مفرطون** بكسر الرا والتخفيف من الافراط اي متجاوزون الحد
في المعاصي وبفتح الرا والتخفيف من الفرط اي معجلون الي النار
وبكسر الرا والتشديد من التفريط **فهو وليهم اليوم** يحتمل
ان يريد باليوم وقت نزول الاية او يوم القيامة **وهدي
ورحمة** معطوفان علي موضع التبيين وانتصبا علي انهما مفعول
من اجلهما اي لاجل البيان والهدي والرحمة **نسقيكم**
بفتح النون وضمها لغتان يقال سقي واسقي **مما في بطونه**
الضمير للانعام وانما ذكر لانه مفرد بمعني الجمع كقولهم ثوب

اخلاق لانه اسم جنس واذا انث فهو جمع ثم **من بين فرث ودم**
الفرث هو ما في الكرش من القذر والمعنى ان الله يخلق اللبن
متوسط بين الفرث والدم يكتنفانه فلا يغيران له لونا ولا
طعما ولا رايحة ومن في قوله مما في بطونه للتبعيض ومن في
قوله من بين فرث لابتدا الغاية **سايغا للشاربين** يعني
سهلا للشرب حتى قيل لم يغص احد قط باللبن **ومن ثمرات
النخيل والاعناب** المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره
نسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها ويدل
عليه نسقيكم الاول او يكون من ثمرات معطوف على مما
في بطونه او يتعلق من ثمرات بتتخذون وكرر منه توكيدا
او يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شي تتخذون
سكرا يعني الخمر ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة
بالتحريم وقيل ان هذا على وجه المنة فالمنفعة التي
في الخمر ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم فلا نسخ وقيل
السكر المايع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن
العنب والتمر والزبيب **واوحى ربك الى النحل** الوحي هنا بمعنى
الالهام فان الوحي على ثلاثة انواع وحي كلام ووحي منام
ووحي الهام **ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون** ان مفسرة للوحي الذي اوحي الى النحل وقد جعل الله
بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما في الجبال وكواها
واما في متجوف الاشجار واما فيما يعرشون بنو ادم من الاجباح
والحيطان ونحوها ومن في المواضع الثلاثة للتبعيض لان
النحل انما تتخذ بيوتها في بعض الجبال وبعض الشجر وبعض
الاماكن ويعرشون معناه هيا او بنا واكثر ما يستعمل فيما يكون
من الاغصان والخشب **ثم كلي من كل الثمرات** عطف كلي على

الثمري

التجزي ومن للتبعيض وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار
وقيل المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها **فاسلكي سبل ربك**
يعني الطرق في الطيران واضافها الى الرب لانه مالكه وخالقه
ذللا اي مطيعة منقادة ويحتمل ان يكون حالا من السبل
قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق او حالا من النحل
اي منقادة لما امرها الله به **يخرج من بطونها شراب**
يعني العسل **مختلفا الوانه** اي منه ابيض واصفر واحمر
شفا للناس الضمير للعسل لان اكثر الادوية مستعملة من
العسل كالمعاجين والاشربة النافعة من الامراض وكان ابن
عمر يتداوى به من كل شي فكانه اخذه على العموم وعلى
ذلك يدل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
جا اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع قال فاذهب فاسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله عز وجل
الى ارذل العمر اي الى اخسه واحقره وهو الهرم وقيل حده
خمسة وسبعون عاما وقيل ثمانون والصحيح انه لا ينحصر
الى مدة معينة وانه مختلف بحسب الناس **لكيلا يعلم بعد علم
شيا** اللام لام الصيرورة اي يصير اذا هرم لا يعلم شيا بعد
ان كان يعلم قبل الهرم وليس المراد نفي العلم بالكلية بل
ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان وقيل المعنى لئلا
يعلم زيادة على علمه شيا **والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق** الاية في معناها قولان احدهما انها احتجاج على
الوحدانية كانه يقول انتم لا تسوون بين انفسكم وبين
مماليككم في الرزق ولا تجعلونهم شركا لكم فكيف تجعلون
عبيدي شركا لي والاخر انها عتاب وذم لمن لا يحسن الى مملوكه

حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث اطعموهم مما تاكلون واكسوهم
مما تلبسون والاول ارجح افبنعمة الله يجحدون الجحد هنا على المعنى
الاول اشارة الى الاشراك بالله وعبادة غيره وعلى المعنى الثاني
الى بخس المماليك فيما يجب لهم من الانفاق والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا يعني الزوجات ومن انفسكم يحتمل ان يريد من نوعكم وعلى
خلقتكم او يريد ان حوا خلقت من ضلع ادم واسند ذلك الى بني
ادم لانهم من ذريته وحفدة جمع حافد ابن عباس هم اولاد البنين
وقيل الاصهار وقيل الخدم وقيل البنات الا ان لفظ المذكر لا يدل
عليهن والحفدة في اللغة الخدمة ويعبدون من دون الله
الاية توبيخ للكفار ورد عليهم في عبادتهم للاصنام وهي لا تملك
لهم رزقا وانتصب رزقا لانه مفعول بيملك ويحتمل ان يكون
مصدرا او اسما لما يرزق فان كان مصدرا فاعراب شيئا مفعول
به لان المصدر ينصب المفعول وان كان اسما فاعراب شيئا
بدل منه ولا يستطيعون الضمير عائد على ما لان المراد به الالهة
ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك لان نفيهما ابلغ في الذم ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا الاية مثل لله تعالى وللاصنام فالاصنام
كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي والله تعالى له الملك وبيده
الرزق يتصرف فيه كيف يشا فكيف يسوي بينه وبين الاصنام
وانما قال لا يقدر على شي لان بعض العبيد يقدرون على بعض
الامور كالمكاتب والماذون له ومن رزقناه من هنا نكرة موصوفة
والمراد بها من هو حر قادر كانه قال وحرا رزقناه ليطابق
عبدا ويحتمل ان تكون موصولة هل يستوون اي هل يستوي
العبيد والاحرار الذين ضرب بهم المثل الحمد لله شكرا
لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق بل اكثرهم لا يعلمون

يعني

يعني الكفار وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم الاية مثل لله تعالى
وللاصنام كالذي قبله والمقصود بهما ابطال مذاهب المشركين واثبات
الوحدانية لله تعالى وقيل ان الرجل الابكم ابو جهل والذي يامر
بالعدل عمار بن ياسر والاظهر عدم التعيين وهو كل على مولاه
الكل الثقيل يعني انه عيال على وليه او سيده وهو مثل للاصنام
والذي يامر بالعدل هو الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب بيان لقدرة الله على اقامتها وان ذلك يسير عليه
كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقيل المراد سرعة
اتيانها والله اخرجكم من بطون امهاتكم جمع ام زيدت فيه الها
فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل وقري بضم الهمزة وبكسرها اتباعا
للكسرة قبلها في جو السما اي في الهوي البعيد من الارض والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا السكن مصدر يوصف به وقيل هو
فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت او يسكن اليه
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يعني بيوت الادم من القباب
وغيرها تستخفونها اي تجدونها خفيفة يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
يعني في السفر والحضر واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن
الرجل اذا رحل وقري ظعنكم بفتح العين واسكانها تخفيف ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الاصواف للغنم والاوبار للابل
والاشعار للمعز والبقر اثاثا الاثاث متاع البيت من البسط
وغيرها وانتصابه على انه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل
ومتاعا الى حين اي الى وقت غير معين ويحتمل ان يريد الى ان تبلى
وتفنى او الى ان تموتوا والله جعل لكم مما خلق ظلالا اي نعمة
عدد بها الله عليهم بالظل لان الظل مطلوب في بلادهم محبوب
لشدة حرها ويعني بما خلق الشجر وغيرها وجعل لكم من
الجبال اكنانا الاكنان جمع كن وهو ما يقي من المطر والريح

وغير ذلك ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر السرابيل هي الثياب من القمص وغيرها
وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد لان وقاية الحر اهم عندهم
لحرارة بلادهم وقيل لان ذكر احدهما يغني عن ذكر الاخر وسرابيل
تقيكم باسكم يعني دروع الحديد يعرفون نعمة الله اشارة الى ما ذكر
من النعم من اول السورة الى هنا والضمير في يعرفون للكفار
وانكارهم لنعم الله اشراكهم به وعبادة غيره وقيل نعمة الله
هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويوم نبعث من كل امة
شهيدا اي يشهد عليهم بايمانهم او كفرهم ثم لا يوذن للذين
كفروا اي لا يوذن لهم في الاعتذار ولا هم يستعتبون اي لا يسترضون
وهو من العتبى وهو بمعنى الرضى ولا هم ينظرون يحتمل ان
يكون بمعنى التاخير او بمعنى النظر اي لا ينظر الله اليهم فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون الضمير في القوا للمعبودين والمعنى
انهم كذبوهم في قولهم انهم كانوا يعبدونهم كقولهم ما كنتم
ايانا تعبدون فان قيل كيف كذبوهم وهم كانوا يعبدونهم
فالجواب انهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم
لم تكن عبادة ويحتمل ان يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركا
لله لا في العبادة والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا
له وانقادوا زدناهم عذابا فوق العذاب روي ان الزيادة
في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم ان الله
يامر بالعدل والاحسان يعني بالعدل فعل الواجبات
وبالاحسان المندوبات وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق
المخلوقين قال ابن مسعود هذه اجمع اية في كتاب الله تعالى
وايتاء ذي القربى الايتاء مصدر اتى بمعنى اعطى وقد دخل
ذلك في العدل والاحسان ولكنه جرده بالذكر اهتماما به

وينهي

وينهي عن الفحشا قيل يعني الزنا واللفظ اعم من ذلك والمنكر
هو اعم من الفحشا لانه يعم جميع المعاصي والبغي يعني الظلم ولا تنقضوا
الايمان
الايمان بعد توكيدها هذا في الايمان التي في الوفا بها خير واما ما كان تركه
تركه اولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه
كما جا في الحديث او تكون الايمان هنا ما يحلفه الانسان في
في حق غيره او معاهدة لغيره وقد جعلتم الله عليكم كفيلا كفيلا
اي رقيبا ومتكفلا بوفايكم بالعهد وقيل ان هذه الاية نزلت
نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فيما فيما
كان بين العرب من حلف في الجاهلية ولا تكونوا كالتي نقضت
نقضت غزلها شبه الله من حلف ولم يفي بيمينه بالمراة
التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه وروي انه كان بمكة امراة
حمقا تسمى ريطة بنت سعد كانت تفعل ذلك وبها هو
وقع التشبيه وقيل انما شبه بامراة غير معينة انكاثا
جمع نكث وهو ما ينكث اي ينقض واتصابه على الحال
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم الدخل الدغل وهو قصد الخديعة
ان تكون امة هي اربى من امة ان في موضع المفعول من اجله
اي بسبب ان تكون امة ومعنى اربى اكثر عددا او اقوى ونزلت
الاية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الاخرى فاذا
جاها قبيلة اقوى منها غدرت الاولى وحالفت الثانية
وقيل الاشارة بالاربى هنا الى كفار قريش اذ كانوا حينئذ
اكثر من المسلمين انما يبلوكم الله به الضمير للامر بالوفاء
او لكون امة اربى من امة فان بذلك يظهر من يحافظ على الوفا
اولا فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة في الرجوع عن الخير الى الشر
وانما افرد القدم ونكرها لاستعظام الزلل في قدم واحد فكيف
في اقدام كثيرة وتذوقوا السوء يعني في الدنيا بما صددتم عن

سبيل الله يدل على ان الاية فيمن بايع النبي صلى الله عليه وسلم
ولكم عذاب عظيم يعني في الدنيا ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
الثمن القليل عرض الدنيا وهذا نهي لمن بايع النبي صلى الله عليه
وسلم ان ينكث لاجل ضعف الاسلام حينيذ وقوة الكفار ورجا
الانتفاع في الدنيا ان رجع عن البيعة ما عندكم ينفد اي يفنا
فلنحيينه حياة طيبة يعني في الدنيا قال ابن عباس هي
الرزق الحلال وقيل هي القناعة وقيل هي حياة الاخرة
فاذا قرات القران فاستعذ بالله ظاهر اللفظ ان يستعاذ بعد
القراة لان الفا تقتضي الترتيب وقد شذ قوم فاخذوا بذلك
وجمهور الامة على ان الاستعاذة قبل القراة وتاويل الاية
اذا اردت قراة القران فاستعذ او اذا اخذت في قراة القران
فاستعذ بالله انه ليس له سلطان على الذين امنوا اي ليس
له عليهم سبيل ولا يقدر على اضلالهم انما سلطانه على الذين
يتولونه اي يتخذونه وليا والذين هم به مشركون الضمير لابليس
والباسيه واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل جملة[2]
التبديل هنا النسخ كان الكفار اذا نسخت اية يقولون هذا افترا
ولو كان من عند الله لم يبدل قل نزله روح القدس يعني جبريل
بالحق اي مع الحق في امره ونواهيه واخباره ويحتمل ان يكون
قوله بالحق بمعني حقا او بمعني واجب النزول يقولون انما يعلمه
بشر كان بمكة غلام اعجمي اسمه يعيش وقيل كانا غلامين
اسم احدهما حير والاخر يسير فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يجلس اليهما ويدعوهما الى الاسلام فقالت قريش
هذان يعلمان محمد لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اللسان
هنا بمعني اللغة والكلام ويلحدون من الحد اذا مال وقري بفتح
اليا من لحد وهما بمعني واحد وهذا رد عليهم فان الشخص الذي

اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار اي الله اعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك صح

اشاروا

اشاروا اليه انه يعلمه انه اعجمي اللسان وهذا القران عربي في
غاية الفصاحة ولا يمكن ان ياتي به اعجمي ان الذين لا يومنون
بايات الله لا يهديهم الله هذا في حق من علم الله انه لا يومن
كقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون فاللفظ عام
يراد به الخصوص كقوله ان الذين كفروا سوا عليهم اانذرتهم
الاية وقال ابن عطية معناه ان الذين لا يهديهم الله لا يومنون
بالله ولكنه قدم في هذا الترتيب واخرتهما بتقبيح افعالهم
انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله رد على قولهم
انما انت مفتر يعني انما يليق الكذب بمن لا يومن بالله اي هم الذين
عادتهم الكذب لانهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي ويحتمل ان
يكون الكذب المنسوب اليهم قولهم انما انت مفتر من كفر بالله
الاية من شرطية في موضع رفع بالابتدا وكذلك من في قوله
من شرح لانه تخصيص من الاول وقوله فعليهم غضب جواب
عن الاولى والثانية لانهما بمعني واحد او يكون جوابا للثانية
وجواب الاولى محذوف يدل عليه جواب الثانية وقيل من
كفر بدل من الذين لا يومنون او من المبتدا في قوله اوليك هم
الكاذبون او من الخبر الا من اكره استثنا من قوله من كفر وذلك
ان قوما ارتدوا عن الاسلام فنزلت فيهم الاية وكان فيهم من
اكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الايمان منهم عمار
ابن ياسر وصهيب وبلال فعذرهم الله روي ان عمار بن ياسر
شكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب
وما تسامح به من القول فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف تجد قلبك قال اجده مطمينا بالايمان قال فاجبهم
بلسانك فانه لا يضرك وهذا الحكم فيمن اكره بالنطق على الكفر
واما الاكراه على فعل كل كفر كالسجود للصنم فاختلف هل يجوز

قال مالك لا يلزم المكره
امر لا فا جازه الجمهور ومنعه قوم وكذلك
يمين ولا طلاق ولا عتاق ولا شي فيما بينه وبين الله ويلزمه
ما كان من حقوق الناس ولا تجوز الاجابة اليه كالاكراه على
قتل احد او اخذ ماله **ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا** الاشارة
الي العذاب والبا للتعليل فعلل عذابهم بعلتين احدهما ايثارهم
الحياة الدنيا والاخري ان الله لا يهديهم **ثم ان ربك للذين هاجروا**
من بعد ما فتنوا قراة الجمهور فتنوا بضم الفا اي عذبوا فالاية
علي هذا في عمار وشبهه من المعذبين علي الاسلام وقرا ابن
عباس بفتح الفا اي عذبوا المسلمين فالاية علي هذا فيمن عذب
المسلمين ثم هاجر وجاهد كالحضرمي واشباهه **ان ربك من**
بعدها لغفور رحيم كرر ان ربك توكيدا والضمير في بعدها
يعود علي الافعال المذكوره وهي الهجرة والجهاد والصبر
يوم تاتي يحتمل ان يتعلق بغفور رحيم او بمحذوف تقديره
اذكر وهذا اظهر **كل نفس** النفس هنا بمعني الجملة كقولك
انسان والنفس في قوله عن نفسها بمعني الذات المعينه
التي تقتضيها الغير اي تجادل عن ذاتها لا عن غيرها كقولك جا
زيد نفسه وعينه **تجادل عن نفسها** اي تحتج وتعتذر فان
قيل كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا
يوذن لهم فيعتذرون فالجواب ان الحال مختلف باختلاف
المواطن والاشخاص **وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة**
الاية قيل ان القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي
ذكرها الله **فكفرت بانعم الله** يعني بنبوة محمد صلي الله عليه
وسلم فاصابهم الجدب والخوف من غزو النبي صلي الله عليه
وسلم وقيل انما قصد قرية غير معينة اصابها ذلك فضرب
الله بها مثلا لمكة وهذا اظهر لان المراد وعظ اهل مكة

بما

بما جري علي غيرهم والضماير في قوله فكفرت واذاقها يراد بهما
اهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون **فاذاقها الله لباس**
الجوع والخوف الاذاقه هنا واللباس مستعارتان اما الاذاقه
فقد كثر استعمالها في البلايا حتي صارت كالحقيقة واما اللباس
فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما علي اللابس ومباشرتهما له
كمباشرة الثوب **ولقد جاهم رسول منهم** ان كان المراد بالقرية
مكة فالرسول هنا محمد صلي الله عليه وسلم والعذاب الذي
اخذهم القحط وغيره وان كانت القرية غير معينة فالرسول
من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما والعذاب ما اصابهم
من الهلاك **فكلوا** وما بعده مذكور في البقرة **ولا تقولوا**
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام هذه الاية
مخاطبة للعرب الذين احلوا اشيا كالبحيرة وغيرها مما ذكر في
سورة المايدة والانعام ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال
او حرام بغير علم وانتصب الكذب بلا تقولوا ويكون قوله
هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا **متاع قليل** يعني
عيشهم في الدنيا او انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم
وعلي الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني
قوله في الانعام حرمنا كل ذي ظفر الي اخر الاية فحكي
فذكر ما حرم علي المسلمين وما حرم علي اليهود ليعلم ان
تحريم ما عدا ذلك افترا علي الله كما فعلت العرب **ثم ان ربك**
للذين عملوا السوء بجهالة هذه الاية تانيس لجميع الناس
وفتح باب التوبة **ان ابراهيم كان امة** امة فيه وجهان احدهما
ان كان امة من الامم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر
فليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد والاخر ان
تكون امة بمعني امام كقوله اني جاعلك للناس اماما قال ابن

مسعود الامة معلم الناس الخير وقد ذكر معني القانت والحنيف
واتيناه في الدنيا حسنة يعني لسان الصدق وان جميع الامم
متفقون عليه وقيل يعني المال والاولاد لمن الصالحين اي
من اهل الجنة ولم يك من المشركين نفي عنه الشرك لقصد
الرد علي المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون اليه انما جعل
السبت علي الذين اختلفوا فيه امر موسي بني اسرايل ان يجعلوا
يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي بعضهم بذلك وقال اكثرهم
بل يكون يوم السبت فالزمهم الله يوم السبت فاختلافهم
فيه ما ذكر والسبت علي هذا هو اليوم وقيل اختلافهم فيه هو
هو ان منهم من حرم الصيد فيه ومنهم من احله فعاقبهم الله
بالمسخ قردة فالمعنى انما جعل وبال السبت علي الذين اختلفوا
فيه والسبت علي هذا مصدر من سبت اذا عظم يوم السبت
قاله الزمخشري وتقتضي الاية ان السبت لم يكن من ملة
ابراهيم عليه السلام ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة المراد بالسبيل هنا الاسلام والحكمة هو الكلام الذي
يظهر صوابه والموعظة هي الترغيب والترهيب والجدال
هو الرد علي المخالف وهذه الاشيا الثلاثة تسميها اهل العلوم
العقلية بالبرهان والخطابية والجدال وهذه الاية تقتضي
مهادنة نسخت بالسيف وقيل ان الدعا الي الله بهذه الطريقة
من التلطف والرفق غير منسوخ وانما السيف لمن لا تنفعه
هذه الملاطفة من الكفار واما العصاة فهي في حقهم محكمة
الي يوم القيامة باتفاق وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به المعنى ان صنع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه
والعقوبة في الحقيقة انما هي الثانية وسميت الثانية عقوبة
لمشاكلة اللفظ ويحتمل ان يكون عاقبتم بمعنى اصبتم عقبي

كقوله في الممتحنة عاقبتم بمعني غنمتم فيكون في الكلام تجنيس
وقال الجمهور ان الاية نزلت في شان حمزه بن عبد المطلب لما
بقر المشركون بطنه يوم احد قال النبي صلي الله عليه وسلم
لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم فنزلت الاية فكفر
النبي صلي الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما اراد من
المثلة ولا خلاف ان المثلة حرام وقد وردت الاحاديث بذلك
ويقتضي ذلك انها مدنية ويحتمل ان تكون الاية عامة ويكون
ذكرهم لحمزة علي وجه المثال وتكون علي هذا مكية كساير السورة
واختلف العلما فيمن ظلمه رجل في مال ثم اوتمن المظلوم الظالم
علي مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه فاجاز ذلك
قوم لظاهر الاية ومنعه مالك لقوله صلي الله عليه وسلم
اد الامانة الي من ايتمنك ولا تخن من خانك ولين صبرتم لهو
خير للصابرين هذا ندب الي الصبر وترك عقوبة من اسا
اليك فان العقوبة مباحة وتركها افضل والضمير راجع الي
الصبر ويحتمل ان يريد بالصابرين هنا العموم او يريد المخاطبين
كانه قال خير لكم واصبر وما صبرك الا بالله هذا عزم علي النبي
صلي الله عليه وسلم في خاصته في الصبر وروي انه قال
لاصحابه اما انا فاصبر كما امرت فماذا تصنعون قالوا نصبر كما ندبنا
ثم اخبره انه لا يصبر الا بمعونة الله وقد قيل ان ما في هذه الاية
من الامر بالصبر منسوخ بالسيف وهذا ان كان الصبر يراد به ترك
القتال واما ان كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها
بحمزه فذلك غير منسوخ ولا تحزن عليهم اي لا تتاسف لكفرهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون اي لا يضيق صدرك بمكرهم والضيق
بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت وقري بالكسر وهو
مصدر ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدران ان الله مع

الذين اتقوا يريد انه معه بمعونته ونصره والذين هم محسنون
الاحسان هنا يحتمل ان يراد به فعل الحسنات او المعني الذي اشار
له النبي صلي الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وهذا هو الاظهر لانه رتبة فوق التقوي

سورة الاسرا

سبحان الذي اسري بعبده معني سبحان تنزه وهو مصدر غير
منصرف واسري وسري لغتان وهو غير متعدي واختار ابن
عطية ان يكون اسري هنا متعديا اي اسري الملايكة بعبده
وهذا بعيد والعبد هنا هو نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
وانما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا ليلا ان قيل
ما فايدة قوله ليلا مع ان السري هو السير بالليل فالجواب
انه اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري
به في بعض الليل مسيرة اربعين ليلة وذلك ابلغ في العجوبة
من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي يعني بالمسجد الحرام
مسجد مكة المحيط بالكعبة وقد روي في الحديث انه صلي الله
عليه وسلم قال بينما انا نايم في الحجر اذ جاني جبريل وقيل
كان النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا في بيته فالمسجد
الحرام علي هذا مكة اي بلاد المسجد الحرام واما المسجد الاقصا
فهو بيت المقدس الذي بايليا وسمي الاقصي لانه لم يكن وراه
حينئذ مسجد ويحتمل ان يريد بالاقصي الابعد فيكون المقصد
اظهار العجب في الاسرا الي الموضع البعيد في ليلة واختلف
العلما في كيفية الاسرا فقال الجمهور كان بجسد النبي صلي الله
عليه وسلم وروحه وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت
رويا نوم حق ‌‌‌وحجة الجمهور انه لو كان مناما لم تنكره قريش
ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار الا تري قول ام هاني له

لاتخبر بذلك فيكذب بك قومك وحجة من قال ان الاسرا كان مناما
قوله تعالي وما جعلنا الرويا التي اريناك وانما تقال الرويا
في المنام ويقال فيما يري بالعين روية وفي الحديث انه صلي
الله عليه وسلم قال بينما انا بين النايم واليقظان وذكر الاسري
وقال في اخر الحديث فاستيقظت وانا في المسجد الحرام وجمع
بعض الناس بين الادلة فقال الاسري كان مرتين احدهما
بالجسد والاخر بالروح وان الاسري بالجسد كان من مكة الي
بيت المقدس وهو الذي انكرته قريش وان الاسري بالروح
كان الي السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الانبيا
في السموات الذي باركنا حوله صفة للمسجد الاقصي والبركة
حوله بوجهين احدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الانبياء
والاخر كثرة ما فيه من الزروع والاشجار التي خص الله بها
الشام لنريه من اياتنا اي لنري محمدا صلي الله عليه وسلم
تلك الليلة من العجايب فانه راي السموات والجنة والنار
وسدرة المنتهي والملايكة والانبيا وكلمه الله تعالي حسبما
ورد في احاديث الاسرا وهي في مصنفات الحديث فاغني
ذلك عن ذكرها هنا وجعلناه هدي يحتمل ان يعود الضمير
علي الكتاب او علي موسي الا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا
تكلون اليه اموركم وان يحتمل ان تكون مصدرية او مفسرة
ذرية من حملنا مع نوح نداوفي ندايهم بذلك تلطف وتذكير
بنعمة الله وقيل هو مفعول تتخذوا ويتبين معني ذلك علي
قراة من قرا يتخذ باليا ويعني بمن حملنا مع نوح اولاده الثلاثة
وهم سام وحام ويافث ونسلهم ومنهم تناسل الناس
بعد الطوفان انه كان عبدا شكورا اي كثير الشكر كان يحمد الله
علي كل حال وهذا تعليل لما تقدم اي كونوا شاكرين كما كان ابوكم

نوح وقضينا الي بني اسرايل في الكتاب قيل ان قضينا هنا بمعني
اعلمنا وقضينا كما قيل في وقضينا اليه ذلك الامر والكتاب
علي هذا التوراة وقيل قضينا اليه من القضا والقدر والكتاب
علي هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الاشيا والي بمعني
علي لتفسدن في الارض مرتين هذه الجملة بيان للمقضي وهي
في موضع جواب قضينا اذا كان من القضا والقدر لانه جري
مجري القسم وان كان بمعني اعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره
والله لتفسدن والجملة في موضع مفعول قضينا والمرتان المشار
اليهما قتل زكريا والاخري قتل يحيي عليهما السلام ولتعلن
علوا كبيرا من العلو وهو الكبر والتجبر فاذا جا وعد اولاهما
بعثنا عليكم عبادا لنا معناه انهم اذا افسدوا في المرة الاولي
بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم علي ايديهم واختلف في
هولا العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بخت نصر ملك بابل
فجاسوا خلال الديار اي ترددوا بينها بالفساد روي انهم
قتلوا علمايهم واحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسبوا منهم
سبعين الفا ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة علي
الذين بعثوا عليكم ويعني رجوع الملك الي بني اسرايل واستنقاذ
اسراهم وقتل بخت نصر وقيل قتل جالوت اكثر نفيرا
اي اكثر عددا وهو مصدر من قولك نفر الرجل اذا خرج مسرعا
او جمع نفير ان احسنتم احسنتم لانفسكم احسنتم الاولي بمعني
فعل الحسنات والثاني بمعني الاحسان كقولك احسنت
الي فلان ففيه تجنيس واللام فيه بمعني الي وكذلك اللام في
قوله وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوا وجوهكم
يعني اذا افسدوا في المرة الاخرة بعث الله عليهم اوليك العباد
للانتقام منهم فالاخرة صفة للمرة ومعني ليسوا يجعلونها

تظهر

تظهر فيهما اثار الشر والسو كقوله سيت وجوه الذين كفروا واللام
لام كي وهي تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الاول عليه وقيل هي
لام الامر وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس وليتبروا من التبار
وهو الاهلاك وشدة الفساد ما علوا ما مفعول ليتبروا اي يملكوا
ما غلبوا عليه من البلاد وقيل ان ما ظرفية اي يفسدوا مدة
علوهم عسي ربكم ان يرحمكم خطاب لبني اسرايل اي ان عدتم
الي الفساد عدنا الي عقابكم وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدا
صلي الله عليه وسلم امته يقتلونهم ويذلونهم الي يوم القيا مة
حصيرا اي سجنا وهو من الحصر وقيل اراد به ما يفرش
ويبسط كالحصير المعروف يهدي للتي هي اقوم اي الطريقة
والحالة التي هي اقوم وقيل لا اله الا الله واللفظ اعم من ذلك
ويدع الانسان دعاه بالخير المعني ذم وعتاب لما يفعله الناس
عند الغضب من الدعا علي انفسهم واموالهم واولادهم وانهم
يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت
التثبت وقيل ان الاية نزلت في النضر بن الحارث حين قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقد تقدم ان الصحيح
في قايلها انه ابو جهل وكان الانسان عجولا الانسان هنا
وفي الذي قبله اسم جنس وقيل يعني هنا ادم وهو بعيد
فمحونا اية الليل فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار
ايتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار
كقولك مسجد الجامع اي الاية التي هي الليل والاية التي هي النهار
ومحونا اية الليل علي هذا كونه مظلما والوجه الثاني ان يراد
باية الليل القمر واية النهار الشمس ومحو اية الليل علي هذا
كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس وجعلنا اية النهار مبصرة
يحتمل ان يريد النهار بنفسه او الشمس ومعني مبصرة تبصر فيه الاشيا

لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتتوصلوا بضوء النهار الي التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الليل والنهار وبمسير الشمس والقمر **عدد السنين والحساب** الاشهر والايام **وكل شي فصلناه تفصيلا** انتصب كل بفعل مضمر والتفصيل البيان **وكل انسان الزمناه طايره في عنقه** انتصب كل بفعل مضمر والطاير هنا العمل والمعني ان عمله لازم له وقيل ان طايره ما قدر عليه وله من خير وشر والمعني علي هذا ان كل ما يلقي الانسان قد سبق به القضا وانما عبر عن ذلك بالطاير لان العرب كانت عادتها التيمن والتشاوم بالطير وقوله في عنقه اي هو كالقلادة او الغل لا ينفك **كتابا يلقاه منشورا** يعني صحيفة اعماله بالحسنات والسيات **اقرا كتابك** تقديره يقال له اقرا **حسيبا** اي محاسبا او من الحساب بمعني العذاب **ولا تزر وازرة وزر اخري** معناه حيث وقع لا يواخذ احد بذنب احد والوزر في اللغة الثقل والحمل ويراد به هنا الذنوب ومعني تزر تحمل وزر اخري اي وزر نفس اخري **وماكنا معذبين حتي نبعث رسولا** قيل ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة الا بعد الاعذار اليهم بارسال رسول اليهم وقيل هو عام في الدنيا والاخرة وان الله لا يعذب قوما في الاخرة الا وقد ارسل اليهم رسولا فكفروا به وعصوه ويدل علي هذا قوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلي ومن هذا يوخذ حكم اهل الفترات واستدل اهل السنة بهذه الاية علي ان التكليف لا يلزم العباد الا من الشرع لا من حكم العقل **واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها** في تاويل امرنا هنا ثلاثة اوجه احدها ان يكون في الكلام حذف تقديره امرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا

وفسقوا

وفسقوا والثاني ان يكون امرنا عبارة عن القضا عليهم بالفسق اي قضينا عليهم بالفسق ففسقوا والثالث ان يكون امرنا بمعني كثرنا واختاره ابو علي الفارسي واما علي قراة امرنا بمد الهمزة فهو بمعني كثرنا واما علي قراة امرنا بتشديد الميم فهو من الامارة اي جعلناهم امرا يفسقون والمترف الغني المنعم في الدنيا **فحق عليها القول** اي الغضب الذي قضاه الله **وكم اهلكنا من القرون** القرن ماية سنة وقيل اربعون **من كان يريد العاجلة** الاية في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يومنون بالاخرة علي ان لفظها اعم من ذلك والمعني انهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين احدهما تقييد المقدار المعجل بمشية الله والاخر تقييد الشخص المعجل له بارادة الله ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل **مدحورا** اي مبعدا او مهانا **وسعي لها سعيها** اي عمل لها عملها **كلا نمد** انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطايانا **هولا وهولا** بدل من كلا والاشارة الي الفريقين المتقدمين **من عطا ربك** يعني رزق الدنيا وقيل من الطاعات لمن اراد الاخرة ومن المعاصي لمن اراد الدنيا والاول اظهر **محظورا** اي ممنوعا **فضلنا بعضهم علي بعض** يعني في رزق الدنيا **لا تجعل** خطاب لواحد والمراد به جميع الخلق لان المخاطب غير معين **مذموما** اي يذمه الله وخيار عباده **مخذولا** اي غير منصور **وقضي ربك** اي حكم والزم واوجب او امر ويدل علي ذلك ما في مصحف ابن مسعود ووصي ربك **ان لا تعبدوا** ان مفسرة او مصدرية علي تقدير بان لا تعبدوا **اما يبلغن عندك** هي ان الشرطية دخلت عليها ما الموكدة وجوابها فلا تقل لهما اف والمعني الوصية ببر الوالدين اذا كبرا او كبر احدهما وانما خص حالة الكبر لانها حين ذا احوج الي البر والقيام بحقوقهما

تقنفهما ومعني عندك اي في بيتك وتحت كنفك **اف** حيث وقعت
اسم فعل معناها قول مكروه يقال عند الضجر ونحوه وانما المراد
بها اقل كلمة مكروهة تصدر من الانسان فنهي الله ان يقال ذلك
للوالدين فاولي واحري الايقال لهما فوق ذلك ويجوز في اف
الكسر والفتح والضم وهي حركات بنا واما تنوينها فهي للتنكير
ولا تنهرهما من الانتهار وهو الاغلاظ في القول **واخفض لهما**
جناح الذل من الرحمة استعارة في معني التواضع لهما والرفق
بهما فهو كقولك اخفض جناحك للمومنين واضافه الي الذل
مبالغة في المعني كانه قال الجناح الذليل ومن في قوله من الرحمة
للتعليل اي من اجل افراط الرحمة لهما والشفقة بهما **للاوابين**
قيل معناه الصالحين وقيل المسبحين وهو مشتق من الاوبة
بمعني الرجوع فحقيقته الراجعين الي الله **وات ذا القربي**
خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والاحسان اليهم وقيل
خطاب خاص بالنبي صلي الله عليه وسلم ان يوتي قرابته
حقهم من بيت المال والاول ارجح **واما تعرضن** الاية معناه
ان اعرضت عن ذوي القربي والمساكين وابن السبيل اذا لم تجد
ما تعطيهم فقل لهم كلاما حسنا وكان النبي صلي الله عليه
وسلم اذا ساله احد فلم يكن عنده ما يعطيه اعرض عنه
حيا منه فامر بحسن القول مع ذلك وهو ان يقول رزقكم
الله وشبه ذلك والميسور مشتق من اليسر **ابتغا رحمة من**
ربك ترجوها مفعول من اجله يحتمل ان يتعلق بقوله اما
تعرضن عنهم والمعني علي هذا انه يعرض عنهم انتظار الرزق
ياتيه فيعطيه اياهم فالرحمة علي هذا هو الاجر والثواب
ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك استعارة في معني غاية
البخل كان البخيل حبست يده عن الاعطا وشدت الي عنقه

ولا

267

ولا تبسطها كل البسط استعارة في معني غاية الجود فنهي الله
عن الطرفين وامر بالتوسط بينهما كقوله اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا **ملوما** اي يلومك صديقك عن كثرة عطايك واضرا
بنفسك او يلومك من يستحق العطا لانك لم تترك ما تعطيه
او يلومك ساير الناس علي التبذير في العطا **محسورا** اي منقطعا
بك لاشي عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير اذا اتعبه
حتي لم تبق له قوة **ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر**
اي يوسع علي من يشا ويضيق علي من يشا فلا تهتم بما تراه
من ذلك فان الله اعلم بمصالح عباده **ولا تقتلوا اولادكم** ذكر
في الانعام **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** الحق الموجب
لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من قوله صلي الله عليه
وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا باحدي ثلاث كفر بعد ايمان
او زني بعد احصان او قتل نفس اخري وتتصل بهذه الاشيا
اشيا اخر لانها معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا المظلوم هنا
من قتل بغير حق والولي هو ولد المقتول وساير العصبة
وليس النسا من الاوليا عند مالك والسلطان الذي جعل
الله له هو القصاص او تخييره بين العفو والقصاص **فلا يسرف**
في القتل نهي ان يسرف ولي المقتول بان يقتل غير قاتل وليه
او يقتل اثنين بواحد او غير ذلك من وجوه التعدي وقري
فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل او لولي المقتول **انه كان**
منصورا الضمير للمقتول او لوليه ونصره هو القصاص **ولا تقربوا**
مال اليتيم ذكر في الانعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا
معطوفان علي الا تعبدوا والظاهر انهما مجزومات بالنهي بدليل
قوله بعدها ولا تقف ولا تمش ويصح ان تكون معطوفات

اذا جعلنا لا نتبد وا مجزو ما علي الدني وان منصرة واوفوا بالعهد
عام في العهود مع الله ومع الناس ان العهد كان مسولا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون من معني الطلب اي يطلب الوفا به والثاني
ان يكون المعني يسيل عنه يوم القيامة مده وفي به ام لا واوزنوا
بالقسطاس قيل القسطاس الميزان وقيل العدل وقري بكسر
القاف وهي لغة واحسن تاويلا اي احسن عاقبة ومالا وهو
من ال اذا رجع ولا تقف ماليس لك به علم المعني لا تقل ما لا تعلم
من ذم الناس وشبه ذلك واللفظ مشتق من قفوته اذا اتبعته
ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا اوليك
اشارة الي السمع والبصر والفواد وانما عاملها معاملة العقلا
في الاشارة با وليك لانها حواس لها ادراك والضمير في عنه يعود
علي كل ويتعلق عنه بمسولا والمعني ان الانسان يسيل عن سمعه
وبصره وفواده وقيل الضمير يعود علي ماليس لك به علم
والمعني علي هذا ان السمع والبصر والفواد هي التي تسيل عما
ليس لها به علم وهذا بعيد ولا تمش في الارض مرحا المرح
الخيلا والكبر في المشية وقيل هو افراط السرور بالدنيا واعرابه
مصدر في موضع الحال انك لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها
خرقا بمشيك عليها والخرق هو القطع وقيل معناه لا تقدر ان
تستوفي جميعها بالمشي والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلا
اي اذا كنت ايها الانسان لا تقدر علي خرق الارض ولا علي مطاولة
الجبال فكيف تتكبر وتختال في مشيك وانما الواجب عليك
التواضع كل ذلك كان سيئة عند ربك الاشارة الي ما تقدم
من المنهيات والمكروه هنا بمعني الحرام لا علي اصطلاح الفقها
في ان المكروه دون الحرام واعراب مكروها نعت لسيئة او بدل
منها او خبر ثان لكان افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب علي وجه

التوبيخ للعرب الذين قالوا ان الملايكة بنات الله والمعني كيف يجعل
لكم الاعلا من النسل وهو الذكور ويتخذ لنفسه الادني وهو البنات
ومعني اصفاكم خصكم قولا عظيما اي عظيم النكر والشناعة
قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الي ذي العرش سبيلا
هذا احتجاج علي الوحدانية وفي معناه قولان احدهما ان المعني
لو كان مع الله الهة لابتغوا سبيلا الي التقرب اليه بعبادته وطاعته
فيكون من جملة عباده والاخر لابتغوا سبيلا الي فساد ملكه
ومعاندته في قدرته ومعلوم ان ذلك لم يكن فلا اله الا هو
تسبح له السموات السبع الاية اختلف في كيفية هذا التسبيح
فقيل هو تسبيح بلسان الحال اي بما تدل عليه صنعتها من قدرة
وحكمة وقيل انه تسبيح حقيقة وهذا ارجح لقوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا
في معناه قولان احدهما ان الله اخبر نبيه صلي الله عليه وسلم
ان يستره من الكفار اذا اراد وابه سوا ويحجبه منهم والاخر
انه يحجب الكفار عن فهم القران وهذا ارجح لما بعده والمستور
هنا قيل معناه مستور عن اعين الخلق لانه من لطف الله
وكفايته فهو من المغيبات وقيل معناه ساتر اكنة
جمع كنان وهو الغطا وان يفقهوه مفعول من اجله تقديره
كراهة ان يفقهوه وهذه كلها استعارات في اضلالهم
واذا ذكرت ربك في القران وحده معناه اذا ذكرت في القران
وحدانية الله تعالي فر المشركون من ذلك لما فيه من رفض
الهتهم وذمها ونفورا مصدر في موضع الحال نحن اعلم بما
يستمعون به كانوا يستمعون القران علي وجه الاستهزا والضمير
في به عايد علي ما اي نعلم ما يستمعون به من الاستهزا واذ هم
نجوي جماعة يتناجون او ذو نجوي والنجوي كلام السر

رجلا مسحورا قيل معناه جن سحر وقيل معناه ساحر وقيل
هو من السحر بفتح السين وهي الرية اي بشرا ذا سحر مثلكم وهذا
بعيد انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالساحر والشاعر
والمجنون فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الي الهدي ونزلت
الاية في الوليد بن المغيرة واصحابه من الكفار وقالوا ايذا كنا
عظاما ورفاتا الاية معناها انكارهم البعث واستبعادهم
ان يجعلهم الله خلقا جديدا بعد فنايهم والرفات الذي بلي حتي
صار غبارا او فتاتا وقد ذكر في الرعد اختلاف القرا في الاستفهام
قل كونوا حجارة او حديدا المعني لو كنتم حجارة او حديدا لقدرنا
علي بعثكم واحياكم مع ان الحجارة والحديد اصلب الاشيا وابعدها
عن الرطوبة الذي في الحياة فاولي واحري ان نبعث اجسادكم
ونحيي عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما علي
ما هو اسهل في الحياة منهما ومعني قوله كونوا اي كونوا في الوهم
والتقدير وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك
او خلقا مما يكبر في صدوركم قيل يعني السموات والارض والجبال
وقيل بل احال علي فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم
اي لو كنتم حجارة او حديدا او شيا اكبر عندكم من ذلك وابعد
عن الحياة لقدرنا علي بعثكم فسينغضون اليك رءوسهم
اي يحركونها تحريك المستبعد للشي والمستهزي ويقولون
متي هو اي متي يكون البعث يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
الدعا هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور والاستجابة عبارة
عن قيامهم من القبور طايعين منقادين وبحمده في موضع الحال
اي حامدين له وقيل معني بحمده بامره وتظنون ان لبثتم
الا قليلا يعني لبثتم في الدنيا او في القبور وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن العباد هنا المومنون امرهم ان يقول بعضهم

لبعض

لبعض كلاما لينا عجيبا وقيل ان يقولوه للمشركين ثم نسخ بالسيف واعرابه
يقولوا كقوله يقيموا الصلاة في ابراهيم وقد ذكر ذلك قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه قيل يعني الملايكة وقيل عيسي وامه وعزير
وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم والمعني انهم لا يقدرون علي
كشف الضر عنكم فكيف تعبدونهم اوليك الذين يدعون يبتغون
الي ربهم الوسيلة المعني ان اوليك الالهة الذين يدعون من دون
الله يبتغون القربة الي الله ويرجونه ويخافونه فكيف تعبدونهم
معه واعراب اوليك مبتدا والذين تدعون صفة له ويبتغون
خبره والفاعل في يدعون ضمير الكفار وفي يبتغون للالهة
المعبودين وقيل الضمير في يدعون ويبتغون للانبيا المذكورين
قبل في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض والوسيلة
هي ما يتوسل به ويتقرب ايهم اقرب بدل من الضمير في
يبتغون اي يبتغي الوسيلة من هو اقرب منهم فكيف بغيره
او ضمن يبتغون معني يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم
يكون اقرب الي الله بالاجتهاد في طاعته ويحتمل ان يكون المعني
انهم يتوسلون بايهم اقرب الي الله محذورا من الحذر وهو الخوف
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة يحتمل هذا
الهلاك وجهين احدهما ان يكون بالموت والفنا الذي لا بد منه
والاخر ان يكون بامر من امر الله ياخذ المدينة دفعا فيهلكها
وهذا اظهر لان الاول معلوم لا يفتقر الي الاخبار به والهلاك
والتعذيب المذكوران في الاية في الحقيقة لاهل القري اي
مهلكوا اهلها او معذبوهم وروي ان هلاك مكة بالحبشة
والمدينة بالجوع والكوفة بالترك والاندلس بالخيل وسيل
الاستاذ ابو جعفر بن الزبير عن غرناطة فقال اصابها العذاب
يوم قتل الموحدون بها في ثورة بن هود واما هلاك

قرطبه واشبيله وطيطله وغيرها باخذ الروم لها **في الكتاب مسطورا**
يعني اللوح المحفوظ **وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها**
الاولون الايات يراد بها هنا التي يقترحوها الكفار فاذا اروها
ولم يومنوا اهلكهم الله وسبب الاية ان قريشا اقترحوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا
فاخبر الله انه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا وعبر بالمنع عن
ترك ذلك وان نرسل في موضع نصب وان كذب في موضع رفع
ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لانهم اقترحوها وكانت سبب
هلاكهم ومعنى مبصرة بينة واضحة الدلالة **وما نرسل بالايات**
الا تخويفا ان اراد بالايات هنا المقترحة فالمعنى انه يرسل بها تخويفا
من عذاب الاخرة ليراها الكافر فيومن وقيل المراد بالايات هنا
الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف **واذ قلنا**
لك ان ربك احاط بالناس المعنى اذكر اذ اوحينا اليك ان
ربك احاط بقريش يعني بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك
قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وانما قال احاط بلفظ الماضي
وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد وقيل المعنى احاط
بالناس في منعك وحمايتك منهم كقوله والله يعصمك من
الناس **وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس**
اختلف في هذه الرويا فقيل انها الاسرا فمن قال انه كان في
اليقظة فالرويا بمعنى الروية بالعين ومن قال انه كان في المنام
فالرويا منامية والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك وارتداد
بعض المسلمين حينئذ وقيل انها رويا النبي صلى الله عليه وسلم
هزيمة الكفار وقتلهم ببدر والفتنة على هذا تكذيب قريش
بذلك وقيل انها رويا انه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية
فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك وقيل راي في المنام ان

بني

بني امية يصعدون على منبره فاغتم لذلك **والشجرة الملعونة في**
القران يعني شجرة الزقوم وهي معطوفة على الرويا اي جعل
الرويا والشجرة فتنة للناس وذلك ان قريشا لما سمعوا ان في
جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة في
النار والنار تحرق الشجر وقال ابو جهل ما اعرف الزقوم
الا التمر بالزبد فان قيل لم لعنت شجرة الزقوم في القران
فالجواب ان المراد لعنة اكلها وقيل اللعنة بمعنى الابعاد لانها
في اصل الجحيم **ونخوفهم** الضمير لكفار قريش **طينا** تمييز او حال
من من او من مفعول خلقت **قال ارايتك هذا الذي كرمت علي**
الكاف من ارايتك للخطاب لا موضع لها من الاعراب وهذا مفعول
بارايت والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته
وانما حيوسنه فاختصر الكلام بحذف ذلك وقال ابن عطية
ارايتك هنا بمعنى اتاملت ونحوه لا بمعنى اخبرني **لاحتنكن**
ذريته معناه لاستاصلنهم ولاقودنهم وهو ماخوذ من تحنيك الدابة
وهو ان يشد على حنكها بحبل فتنقاد **قال اذهب** قال ابن
عطية اذهب وما بعده من الاوامر صيغة الامر على وجه
التهديد وقال الزمخشري ليس المراد الذهاب الذي هو ضد
المجي وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا له وتخلية
ويحتمل عندي ان يكون الطرد والابعاد **فمن تبعك منهم فان**
جهنم جزاوكم كان الاصل ان يقال جزاوهم بضمير الغيبة ليرجع الى
من تبعك ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغايب
وليدخل ابليس معهم **جزاء موفورا** مصدر في موضع الحال
والموفور المكمل **واستفزز** اي اخدع واستخف **بصوتك** قيل يعني
الغنا والمزامير وقيل الدعا الى المعاصي **واجلب عليهم** اي هول
وهو من الجلبة وهي الصياح **بخيلك ورجلك** الخيل هنا يراد بها

الفرسان الراكبون علي الخيل والرجل جمع راجل وهو الذي يمشي
علي رجليه فقيل هو مجاز واستعارة بمعني افعل جهدك
وقيل ان له من الشياطين خيلا ورجالا وقيل المراد فرسان الناس
ورجالتهم المتصرفون في الشر وشاركهم في الاموال والاولاد
مشاركته في الاموال بكسبها من الربا وانفاقها في المعاصي
وغير ذلك ومشاركته في الاولاد هي الاستيلاد بالزنا
وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك وعدهم
يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الاصنام وشبه ذلك ان
عبادي يعني المومنون الذين يتوكلون علي الله بدليل قوله
بعد ذلك وكفي بربك وكيلا ونحوه انه ليس له سلطان علي
الذين امنوا وعلي ربهم يتوكلون يزجي لكم الفلك اي يجريها
ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغا الفضل في التجارة وغيرها
الضر في البحر يعني خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه
ضل هنا بمعني تلف وفقد اي تلف عن اوهامكم وخواطركم
كل من تدعونه الا الله وحده فلجاتم اليه حينيذ دون غيره
فكيف تعبدون غيره وانتم لا تجدون في تلك الشدة الا اياه
وكان الانسان كفورا اي كفورا بالنعم والانسان هنا جنس
افامنتم الهمزة للتوبيخ والفا للعطف اي انجاكم من البحر فامنتم
الخسف في البر حاصبا يعني حجارة او ريحا شديدة ترمي
بالحصبا وكيلا اي قايما بامور ربكم وناصركم قاصفا من الريح
يعني الذي يقصف ما يلقي اي يكسره تبيعا اي مطالبا بثاركم
اي لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها وفضلناهم
علي كثير ممن خلقنا تفضيلا يعني فضلهم علي الجن وعلي ساير
الحيوان ولم يفضلهم علي الملايكة ولذلك قال علي كثير وانواع
التفضيل كثيرة لا تحصي وقد ذكر المفسرون منها كون الانسان

يأكل

يأكل بيده وكونه منتصب القامة وهذه امثلة بامامهم قيل يعني بنبيهم
يقال يا امة فلان وقيل يعني كتابهم الذي انزل عليهم وقيل كتابهم
الذي فيه اعمالهم ولا يظلمون فتيلا الفتيل هو الخيط الذي في شق
النواة نواة التمرة والمعني انهم لا يظلمون من اعمالهم قليلا ولا كثيرا
فعبر باقل الاشيا تنبيها علي الاكثر ومن كان في هذه اعمي فهو
في الاخرة اعمي الاشارة بهذه الي الدنيا والعمي يراد به عمي
القلب اي من كان في الدنيا اعمي عن الهدي والصواب فهو في
يوم القيامة اعمي اي حيران يايس من الخير ويحتمل ان يريد
بالعمي في الاخرة عمي البصر كقوله ونحشره يوم القيامة اعمي
وانما جعل الاعمي في الاخرة اضل سبيلا لانه حينيذ لا ينفعه
الاهتدا ويجوز في اعمي الثاني ان يكون صفة كالاول وان يكون
من الافعال التي للتفضيل وهذا اقوي في قوله واضل سبيلا
فعطف اضل الذي هو من افعل من كذا علي ما هو شبيهه وقال
سيبويه لا يجوز ان يقال فهو اعمي من كذا ولكن انما يمتنع ذلك في
عمي البصر لا في عمي القلب وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا
اليك الاية سببها ان ثقيفا قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم
اقبل بعض امرنا ونقبل بعض امرك وقيل ان ثقيفا طلبوا من
النبي صلي الله عليه وسلم ان يؤخرهم بعد اسلامهم سنة
يعبدون فيها اللات والعزي والاية علي هذا القول مدنية
لتفتري علينا غيره الافترا هنا يراد به المبالغة لما اوحي اليه
من القران وغيره واذا لاتخذوك خليلا اي لو فعلت ما ارادوا
منك لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا
قليلا لولا تدل علي امتناع شي لوجود غيره فدلت هنا علي
امتناع مقاربة النبي صلي الله عليه وسلم الركون اليهم لاجل
تثبيت الله له وعصمته وقد تقتضي نفي الركون لان معني

كاد فلان ان يفعل كذا انه لم يفعله فانتفى الركون اليهم ومقاربته
فليس في ذلك غض من جانب النبي صلى الله عليه وسلم
لان التثبيت منعه من مقاربة الركون ولولم يثبته الله لكانت
مقاربته الركون اليهم شيا قليلا واما مع التثبيت فلم يركن
قليلا ولا كثيرا ولا قارب ذلك اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اي ضعف عذابهما لو فعلت ذلك وان كادوا
ليستفزونك من الارض الضمير لقريش كانوا قد هموا ان
يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وذلك قبل
الهجرة فالارض هنا يراد بها مكة لانها بلده واذا لايلبثون
خلفك الا قليلا اي لو اخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة
الا قليلا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا
من مكة الي المدينة لاجل اذاية قريش له ولاصحابه لم
يبقوا بعد ذلك الا قليلا وقتلوا يوم بدر سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا انتصب سنة على المصدر
ومعناه العادة اي هذه عادة الله مع رسله اقم الصلاة
لدلوك الشمس الي غسق الليل وقران الفجر هذه الاية
اشارة الي الصلوات المفروضة فدلوك الشمس زوالها
والاشارة الي الظهر والعصر وغسق الليل ظلمته وهذا ذلك
اشارة الي المغرب والعشا وقران الفجر صلاة الصبح وانتصب
قران الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله لدلوك الشمس
فان اللام فيه ظرفية بمعنى عند وقيل هو عطف على الصلاة
وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرا قران الفجر وانما عبر
عن صلاة الصبح بقران الفجر لان القران يقرا فيها اكثر من
غيرها لانها تصلى بسورتين طويلتين ان قران الفجر
كان مشهودا اي تشهده ملايكة الليل والنهار فيجتمعون

فيه

فيه اذ تصعد ملايكة الليل وتنزل ملايكة النهار ومن الليل
فتهجد به نافلة لك لما امر بالفرايض امر بعدها بالنوافل
ومن للتبعيض والضمير في به للقران والتهجد والسهر وهو
ترك الهجود ومعنى الهجود النوم فتفعل هنا للخروج عن
الشي كالتحرج والتاثم في الخروج عن الاثم والحرج عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعني الشفاعة يوم
القيامة وانتصب مقاما على الظرف وقل رب ادخلني
مدخل صدق الاية مدخله الي المدينة والمخرج خروجه
من مكة وقيل المدخل في القبر والمخرج الي البعث واختار
ابن عطية ان يكون على العموم في جميع الامور سلطانا نصيرا
قيل معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي وقيل
قوة ورياسة تنصرني بها على الاعدا وهذا اظهر وقل جاء
الحق وزهق الباطل الحق الايمان والباطل الكفر وننزل من القران
ما هو شفا من للتبعيض او لبيان الجنس والمراد بالشفا انه يشفي
القلوب من الريب والجهل ويحتمل ان يريد نفعه من الامراض
بالرقاية والتعويذ واذا انعمنا على الانسان الاية المراد
بالانسان هنا الجنس لان ذلك من سجية الانسان وقيل
انما يراد الكافر لانه هو الذي يعرض عن الله ونا ي بجانبه
اي بعد وذلك تاكيد وبيان للاعراض وقري نا وهو بمعنى واحد
كل يعمل على شاكلته اي مذهبه وطريقته التي تشاكله
ويسالونك عن الروح السايلون اليهود وقيل قريش باشارة
اليهود والاول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك قل الروح
من امر ربي اي من الامور التي استاثر الله بها ولم يطلع عليها
خلقه وكانت اليهود قد قالت لقريش اسالوه عن الروح
فان لم يجبكم فيه بشي فهو نبي وذلك انه كان عندهم في

التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه وقال ابن بريدة لقد مضى
النبي صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ولقد كثر اختلاف
الناس في النفس والروح وليس في اقوالهم في ذلك ما يعول
عليه **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** خطاب عام لجميع الناس
لان علمهم قليل بالنظر الى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة
والاول اظهر لان فيه اشارة الى انهم لا يصلون الى العلم بالروح
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اي ان شئنا ذهبنا
بالقران فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الاية هو
متصلة المعنى بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في
قدرتنا ان نذهب بالذي اوحينا اليك فلا يبقى عندك شي من
العلم **وكيلا** اي من يتوكل باعادته ورده بعد ذهابه **الا رحمة
من ربك** يحتمل ان يكون استثنا متصلا بمعنى ان رحمة
ربك تمسكه عن الذهاب **قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله** عجز الخلق عن الاتيان
بمثله لما تضمنه من العلوم الالهية والبراهين الواضحة والمعاني
العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها ولا يصلون اليها ثم جات
فيه على الكمال وقال اكثر الناس انهم عجزوا عنه لفصاحته
وحسن نظمه ووجوه اعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا
منها خمسة عشر وجها **ظهيرا** اي معينا **ولقد صرفنا للناس
في هذا القران من كل مثل** اي بينا لهم كل شي من العلوم النافعة
والبراهين القاطعة والحجج الواضحة وهذا يدل على ان اعجاز القران
بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا **فابى اكثر الناس الا كفورا**
الكفور الجحود وانتصب بقوله ابى لانه في معنى النفي **وقالوا لن
نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا** الذين قالوا هذا القول
هم اشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم انواعا

من

من خوارق العادات وهي التي ذكرها الله في هذه الاية وقيل
ان الذي قاله عبد الله بن امية بن المغيرة وكان ابن عمة النبي
صلى الله عليه وسلم ثم اسلم بعد ذلك والينبوع العين
قالوا له ان مكة قليلة الما فتفجر لنا فيها عينا من الما **او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا** اشارة الى قوله تعالى ان نشا نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما وكسفا بفتح السين
جمع كسفة وهي القطعة وقرى بالاسكان اي قطعا واحدا
قبيلا قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنا شاهدا
بصدق ذلك والقبالة في اللغة الضمان **بيت من زخرف** اي من
ذهب **قل سبحان ربي** تعجب من اقتراحاتهم او تنزيه لله عن
قولهم تاتي بالله وعن ان يطلب منه هذه الاشيا التي طلبها
الكفار لان ذلك سو ادب **هل كنت الا بشرا رسولا** اي انما انا
بشر فليس في قدرتي شي مما طلبتم وانا رسول فليس علي الا
التبليغ **الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا** المعنى ان الذي منع
الناس من الايمان هو انكارهم لبعث الرسل من البشر **قل لو كان
في الارض ملايكة** الاية معناها انه لو كان اهل الارض ملايكة
لكان الرسول اليهم ملكا ولكنهم بشر فالرسول اليهم بشر
من جنسهم ومعنى مطمينين ساكنين الارض **شهيدا بيني
وبينكم** ذكر في الانعام **عميا وبكما وصما** قيل هي استعارة بمعنى
انهم يوم القيامة حيارى وقيل حقايق وانهم يكونون عميا
وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم **كلما خبت** معناه في اللغة
سكن لهبها والمراد هنا كلما اكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا
احسادا اخر ثم صارت ملتهبة اكثر مما كانت **اولم يروا ان الله**
الاية احتجاج على الحشر فان السموات والارض اكبر من الانسان
فكما قدر الله على خلقهما اولى واحرى ان يقدر على اعادة جسد

جسد الانسان بعد فنايه والرويا في الاية روية قلب قل لو انتم
تملكون لو حرف امتناع لايليها الفعل الا ظاهرا او مضمرا فلا بد من فعل
يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر
وانتم تاكيد للضمير الذي في تملكون المضمر خزاين رحمة ربي اي
الاموال والارزاق اذا لامسكتم خشية الانفاق اي لو ملكتم الخزاين
لامسكتم عن العطا خشية الفقر فالمراد بالانفاق عاقبة
الانفاق وهو الفقر ومفعول امسكتم محذوف وقال الزمخشري
لا مفعول له لان معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك ومعني
الاية وصف الانسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله تعالي
بالجود والغنا تسع ايات بينات الخمس منها الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والاربع انقلاب العصا حية واخراج
يده بيضا وحل العقدة من لسانه وفلق البحر وقد عد فيها
رفع الطور فوقه وانفجار الما من الحجر علي ان يسقط اثنان من
الاخر وقد عد فيها ايضا السنون والنقص من الثمرات روي
ان بعض اليهود سالوا النبي صلي الله عليه وسلم عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببري الي السلطان
ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا
تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود الا تعدوا في السبت
فاسال بني اسرايل اي اسال المعاصرين لك من بني اسرايل
عما ذكرنا من قصة موسي لتزداد يقينا والاية علي هذا خطاب
لمحمد صلي الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان المعني قلنا لموسي
اسال بني اسرايل من فرعون اي اطلب منه ان يرسلهم معك
فهو كقوله ان ارسل معنا بني اسرايل فلا يرد قوله اسال
لموسي علي اضمار القول وقال ايضا يحتمل ان يكون المعني

اسال

اسال بني اسرايل ان يعضدوك ويكونوا معك وهذا ايضا علي ان
يكون الخطاب لموسي والاول اظهر اذ جاءهم الضمير لبني اسرايل
والمراد اباهم الاقدمون والعامل في اذ علي القول الاول اتينا
موسي او فعل مضمر والعامل فيه علي قول الزمخشري القول
المحذوف مسحورا هنا وفي الفرقان اي سحرت واختلط عقلك
وقيل ساحر لقد علمت بفتح التا خطاب لفرعون والمعني انه
علم ان الله انزل الايات ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم والاشارة بهولا الي الايات مثبورا اي
مهلكا وقيل مغلوبا وقيل مصروفا عن الخير قابل موسي
قول فرعون اني لاظنك يا موسي مسحورا بقوله اني لاظنك
يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض اي ارض مصر
اسكنوا الارض يعني ارض الشام لفيفا اي جميعا مختلطين وبالحق
انزلناه وبالحق نزل الضمير للقران وبالحق معناه في الموضعين
بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معني الاول كذلك
ومعني الثاني ضد الباطل اي بالحق في اخباره واوامره ونواهيه
وقرانا فرقناه انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ومعناه
بيناه واوضحناه علي مكث قيل معناه علي تمهل وترتيل
في قراءته وقيل علي طول مدة نزوله شيا شيا من حين
بعث النبي صلي الله عليه وسلم الي وفاته وذلك عشرون
سنة وقيل ثلاث وعشرون قل امنوا به او لا تومنوا امر
باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم كانه يقول سوا امنتم او لم تومنوا
لكنكم لستم بحجة وانما الحجة اهل العلم من قبله وهم المومنون
من اهل الكتاب ان الذين اوتوا العلم من قبله يعني المومنين
من اهل الكتاب وقيل الذين كانوا علي الحنيفية قبل البعثة
كزيد بن عمرو بن نوفل وورقة بن نوفل والاول اظهر وهذه

الجملة تعليل لما تقدم والمعني ان لم تومنوا به انتم فقد امن به من هو
اعلم منكم **ويخرون للاذقان** اي لناحية الاذقان كقولهم خر لليدين
وللفم والاذقان جمع ذقن وهو اسفل الوجه حيث اللحية وانما
كرر يخرون للاذقان لان الاول للسجود والاخر للبكا **قل ادعوا الله**
او ادعوا الرحمن سببها ان الكفار سمعوا النبي صلي الله عليه وسلم
يدعو يا الله يا رحمن فقالوا ان كان محمد يامرنا بدعا اله واحد
وها هو يدعو الهين فنزلت الاية مبينة ان قوله الله والرحمن
اسما لمسمي واحد وانه مخير في الدعا باي الاسمين شا والدعا
في الاية بمعني التسمية كقولك دعوت ولدي زيدا لا بمعني الندا
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسني ايا اسم شرط منصوب بتدعوا
والتنوين فيه عوض من المضاف اليه وما زايدة للتاكيد
والضمير في به لله تعالي وهو المسمي لا الاسم والمعني اي هذين
الاسمين تدعوا فحسن لان الله له الاسما الحسني موضع قوله
لله الاسما الحسني موضع الحال وهو في المعني تعليل للجواب
لانه اذا حسنت اسماوه كلها حسن هذان الاسمان **ولا تجهر**
بصلاتك ولا تخافت بها المخافته هي الاسرار وسبب الاية
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جهر بالقران في الصلاة
فسمعه المشركون فسبوا القران ومن انزله فامر رسول
الله صلي الله عليه وسلم بالتوسط بين الاسرار والجهر
ليسمع اصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون
وقيل المعني لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها
واجعل منها سرا وجهرا حسبما احكمته السنة وقيل الصلاة
هنا الدعا **ولم يكن له ولي من الذل** اي ليس له ناصر يمنعه
من الذل لانه تعالي عزيز لا يفتقر الي ولي يحميه فنفي الولاية
علي هذا المعني لانه غني عنها ولم ينف الولاية علي وجه

المحبة

المحبة والكرامة لمن شا من عباده وحكي الطبري ان قوله لم يتخذ ولدا
رد علي النصاري واليهود الذين نسبوا له ولدا وقوله ولم يكن له
شريك رد علي المشركين وقوله ولم يكن له ولي من الذل رد علي
الصابين في قولهم لولا اوليا الله لذل الله تعالي الله عن قولهم
وكبره معطوف علي قل ويحتمل هذا التكبير ان يكون بالقلب
وهو التعظيم او باللسان وهو قوله ان يقول الله اكبر مع قوله
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية

سورة الكهف

الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب العبد هنا هو النبي
صلي الله عليه وسلم وصفه بالعبودية تشريفا له واعلاما
باختصاصه وقربه والكتاب القران **ولم يجعل له عوجا**
العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحس وبالفتح في الاشخاص
كالعصا ونحوه ومعناه عدم الاستقامة وقيل فيه هنا
معنا لا تناقض فيه ولا خلل وقيل لم يجعله مخلوقا واللفظ
اعم من ذلك **قيما** اي مستقيما وقيل قيما علي الخلق بامر
الله تعالي وقيل قيما علي ساير الكتب بتصديقها وانتصابه
علي الحال من الكتاب والعامل فيه انزل ومنع الزمخشري
ذلك للفصل بين الحال وذي الحال واختار ان العامل فيه
فعل مضمر تقديره جعله قيما **لينذر باسا شديدا** متعلق
بانزل او بقيما والفاعل ضمير الكتاب او النبي صلي الله عليه
وسلم والباس العذاب وحذف المفعول الثاني وهو الناس
كما حذف المفعول الاخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعني
علي المحذوف **من لدنه** اي من عنده والضمير عايد علي الله
تعالي **اجرا حسنا** يعني الجنة **ماكثين** اي دايمين وانتصابه
علي الحال من الضمير في لهم **وينذر الذين قالوا اتخذ الله**
ولدا هم النصاري لقولهم في عيسي واليهود لقولهم في عزير

وبعض العرب في الملايكة **ما لهم به من علم** الضمير عايد علي قولهم
او علي الولد **كبرت كلمة** انتصب علي التمييز او علي الحال
ويعني بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا او علي هذا يعود الضمير في
كبرت **فلعلك باخع نفسك** اي قاتلها بالحزن والاسف والمعني
تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم عن عدم ايمانهم
علي اثارهم استعارة فصيحة كانهم من فرط ادبارهم قد
بعدوا وانت تتبع اثارهم تاسفا عليهم وانتصب اسفا علي انه
مفعول من اجله والعامل فيه باخع نفسك **انا جعلنا ما علي
الارض زينة لها** يعني ما يصلح للتزين كالملابس والمطاعم
والاشجار والانهار وغير ذلك **لنبلوهم ايهم احسن عملا**
اي لنختبرهم ايهم ازهد في زينة الدنيا **وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا** المعني اخبار بفنا الدنيا وزينتها والصعيد هو
التراب والجرز الارض التي لا نبات فيها اي سنفني الارض من
الزينة وتبقي كالارض التي لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا
بهجة **ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا
عجبا** ام هنا استفهام والمعني احسبت انهم عجب بل ساير
اياتنا اعظم منها واعجب والكهف الغار الواسع والرقيم اسم
كلبهم وقيل هو لوح رقمت فيه اسماوهم علي باب الكهف
وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم وقيل هو القرية التي
كانت باز الكهف وقيل الجبل الذي فيه الكهف وقال ابن
عباس لا ادري ما الرقيم **اذ اوي الفتية الي الكهف** نذكر من
قصتهم علي وجه الاختصار ما لا غني عنه اذ قد اكثر الناس
فيها مع قلة الصحة في كثير ما نقلوا وذلك انهم كانوا قوما
مومنين وكان ملك بلادهم كافرا يقتل كل مومن ففروا بدينهم
ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه

فامر

فامر الملك باتباعهم فانتهي المتبعون لهم الي الغار فوجدوهم
وعرفوا الملك بذلك فوقف عليه في جنده وامر بالدخول
اليهم فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا
وكان الله قد القي عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا فبقوا علي
ذلك مدة طويلة ثم ايقظهم الله وظنوا انهم لبثوا يوما او
بعض يوم فبعثوا احدهم يشتري لهم طعاما بدراهم كانت لهم
فعجب لها البياع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك
في قديم الزمان من اين جاتك وشاع الكلام بذلك في الناس
وقال الرجل انما خرجت انا واصحابي بالامس فاوينا الي الكهف
فقال هولا الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم فمشوا
اليهم فوجدوهم موتي واما موضع كهفهم فقيل انه بمقربة
فلسطين وقال قوم انه الكهف الذي بالاندلس بمقربة من
لوشه من جهة غرناطه وفيه موتي ومعهم كلب وقد ذكر
ابن عطية ذلك وقال انه دخل عليهم وراهم وعليهم مسجد
وقريب منهم بنا يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانه وروي
ان الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس وفي تلك الجهة
اثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله اعلم ومما يبعد
ذلك ما روي ان معاوية مر عليهم واراد الدخول اليهم ولم
يدخل معاوية الاندلس قط وايضا فان الموتي التي في غار
لوشه يراهم الناس ولم يدرك احد منهم الرعب الذي ذكر
الله في اصحاب الكهف **فضربنا علي اذانهم في الكهف** عبارة عن
القا النوم عليهم وقال الزمخشري المعني ضربنا علي اذانهم
حجابا ثم حذف هذا المفعول **سنين عددا** اي كثيرة **ثم بعثناهم**
اي ايقظناهم من نومهم **لنعلم اي الحزبين احصي لما لبثوا امدا** اي
لنعلم علما يظهر في الوجود لان الله قد كان علم ذلك والمراد

بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم فالحزب الواحد اصحاب
الكهف والحزب الاخر القوم الذين بعث الله اصحاب الكهف في
مدتهم وقيل ان الحزبين معا اصحاب الكهف اذ كان بعضهم قد
قال لبثنا يوما او بعض يوم وقال بعضهم ربكم اعلم بما لبثتم
واحصي فعل ماض وامدا مفعول به وقيل احصي اسم
التفضيل وامدا تمييز وهذا ضعيف لان افعل من التي
للتفضيل لا يكون من فعل رباعي الا في الشاذ وربطنا علي
قلوبهم اي قوينا عزمهم والهمناهم الصبر اذ قاموا يحتمل ان
يريد قيامهم من النوم او قيامهم بين يدي الملك الكافر
لقد قلنا اذا شططا اي لو دعونا من دونه الها لقلنا قولا
شططا والشطط الجور والتعدي لولا ياتون عليهم بسلطان
بين تحضيض بمعني التعجيز لانهم لا ياتون بحجة بينة علي عبادة
غير الله واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا
علي الفرار بدينهم وما يعبدون عطف علي المفعول في اعتزلتموهم
اي تركتموهم وتركتم ما يعبدون الا الله اي ما يعبدون من دون
الله والا هنا بمعني غير وهذا الاستثنا متصل ان كان قومهم
يعبدون الله ويعبدون معه غيره ومنقطع ان كانوا لا يعبدون
الله وفي مصحف ابن مسعود وما يعبدون من دون الله فاووا
الي الكهف هذا الفعل هو العامل في اذ اعتزلتموهم والمعني
ان بعضهم قال لبعض اذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا
ماوي ونتكل علي الله فهو يرحمنا ويرفق بنا مرفقا بفتح
الميم وكسرها ما يرتفق به وينتفع وتري الشمس اذا طلعت
تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال قبل هذا الكلام محذوف تقديره فاوي القوم الي
الكهف ومكثوا فيه وضرب الله علي اذانهم ومعني تزاور تميل

وتزوغ

وتزوغ ومعني تقرضهم تقطعهم اي تبعد عنهم وهو بمعني القطع
وذات اليمين والشمال اي جهته ومعني الاية ان الشمس لا تصيبهم
عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها فقيل ان ذلك
كرامة لهم وخرق عادة وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل
بنات نعش فلذلك لا تصيبهم الشمس والاول اظهر لقوله
ذلك من ايات الله وهم في فجوة منه اي في موضع واسع وذلك
مفتح لاصابة الشمس ومع ذلك حجبها الله عنهم ذلك من ايات الله
الاشارة الي حجب الشمس عنهم ان كان خرق عادة وان كان لكون
بابهم الي الشمال فالاشارة الي امرهم بجملته وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ايقاظا جمع يقظ وهو المنتبه كانت اعينهم مفتوحة
وهم نايمون فيحسبهم من يراهم ايقاظا وفي قوله ايقاظا
ورقود مطابقة وهي من ادوات البيان ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال اي نقلبهم من جانب الي جانب ولولا ذلك لاكلتهم الارض
وكان هذا التقليب من فعل الله وملايكته وهم لا ينتبهون من
نومهم وروي انهم كانوا يتقلبون مرتين في السنة وقيل من سبع
سنين الي مثلها وكلبهم باسط ذراعيه قيل انه كان كلبا لاحدهم
يصيد به وقيل كان كلبا لراع مروا عليه فصحبهم وتبعه
كلبه واعمل اسم الفاعل وهو بمعني المضي لانه حكاية حال
بالوصيد اي بباب الكهف وقيل عتبته وقيل الفنا ولمليت
منهم رعبا ذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية
انه غزي الروم فمر بالكهف فاراد الدخول اليه فقال له ابن
عباس لا تستطيع ذلك فقد قال الله لمن هو خير منك لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فبعث ناسا اليهم فلما دخلوا الكهف
بعث الله ريحا فاحرقتهم وكذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم

اي كما امتناهم كذلك بعثناهم ليسال بعضهم بعضا واللام في ليتسالوا
لام الصيروره قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هذا انول من استشعر انهم
ان مدة لبثهم طويلة فانكرعلي من قال يوما او بعض يوم ولكنه
لم يعلم مقدارها فاسند علمها الي الله فابعثوا احدكم بورقكم الورق
الفضة وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم الي الكهف ويستدل
بذلك علي ان التزود للمسافر افضل من تركه ويستدل ببعث
احدهم علي جواز الوكالة فان قيل كيف اتصل بعث احدهم
بتذكر مدة لبثهم فالجواب انهم كانهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
ولا سبيل لكم الي العلم بذلك فخذوا فيما هو اهم من هذا وانفع
لكم فابعثوا احدكم الي المدينة قيل انها طرسوس ازكى طعاما
قيل اكثر وقيل احل وقيل انه ارادشرا زبيب وقيل تمر
وليتلطف في اختفايه وتحيله ان يظهروا عليكم يرجموكم
اي ان يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة وقيل بمعنى يرجموكم بالقول
والاول اظهر وكذلك اعثرنا عليهم اي كما انمناهم وبعثناهم
اطلعنا الناس عليهم ليعلموا الضمير للقوم الذين اطلعهم الله
علي اصحاب الكهف اي اطلعناهم علي حالهم من انتباههم من
الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك علي صحة البعث من القبور
اذ يتنازعون بينهم امرهم العامل في اذ اعثرنا او مضمر
تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا
فيما يفعلون في اصحاب الكهف او تنازعوا هل هم اموات
او احيا وقيل تنازعوا هل تحشر الاجساد او الارواح بالاجساد
فاراهم الله حال اصحاب الكهف ليعلموا ان الاجساد تحشر
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي علي باب كهفهم اما ليطمس اثرهم
او لحفظهم ومنعهم ممن يريد اخذ تربتهم تبركا واما ليكون
علما علي كهفهم ليعرف بهم به قال الذين غلبوا علي امرهم

قيل

قيل يعني الولاة وقيل يعني المسلمين لانهم كانوا احق بهم من الكفار
فبنوا علي باب الكهف مسجد العبادة الله سيقولون الضمير لمن كان
في زمان النبي صلي الله عليه وسلم من اليهود او غيرهم
من تكلم في اصحاب الكهف رجما بالغيب اي ظنا وهو مستعار
من الرجم بمعنى الرمي سبعة وثامنهم كلبهم قال قوم ان الواو
واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله سبع ليال وثمانية ايام
وفي قوله في اهل الجنة وفتحت ابوابها وفي قوله في براة
والناهون عن المنكر وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية
وانما الواو هنا كقولك جا زيد وفي يده سيف قال الزمخشري
وفايدتها التوكيد والدلالة علي ان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم صدقوا وحبروا بحق بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم
كلبهم والذين قالوا خمسة سادسهم كلبهم وقال ابن عطية
دخلت الواو في اخر الاخبار عن عددهم لتدل علي ان هذا
نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وكذلك دخلت السين
في قوله سيقولون الاول ولم تدخل في الثاني والثالث استغنا
بدخولها في الاول ما يعلمهم الا قليل لا يعلم عددهم الا قليل
من الناس وهم من اهل الكتاب قال ابن عباس انا من
ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم لانه قال في الثلاثة
والخمسة رجما بالغيب ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم
فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا الامترا من المرا وهو الجدال والمخالفة
والاحتجاج والمعنى لا تمار اهل الكتاب في اصحاب الكهف الا
مرا ظاهرا اي غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف
في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا اي لا تسال احدا من
اهل الكتاب عن اصحاب الكهف لان الله قد اوحى اليك في شانهم
ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله سببها

ان قريشا سالوا اليهود عن امر رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالوا لهم اسالوه عن فتية ذهبوا في الزمان الاول وهم اصحاب
الكهف وعن رجل بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو ذو القرنين
وعن الروح فان اجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو
نبي فسالوه فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شا الله فامسك
الله الوحي عنه خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش عنه
وتكلموا في ذلك فشق ذلك علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ثم جا جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة
اصحاب الكهف وذو القرنين وانزل الله عليه هذه الاية
تاديبا له وتعليما فامره بالاستثنا فيما يستقبل وقوله
غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصة
وفي الكلام حذف يقتضيه المعني وتقديره ولا تقولن لشي اني
فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شا الله او تقول الا ان يشا الله
والمعني ان يعلق الامر بمشية الله وحوله وقوته ويبري هو
من الحول والقوة وقيل ان قوله الا ان يشا الله يتعلق
بقوله لا تقولن والمعني لا تقولن ذلك القول الا ان يشا الله ان
تقوله بان ياذن لك فالمشية علي هذا راجعة الي القول
لا الي الفعل ومعناه اباحة القول بالاذن فيه حكي ذلك
الزمخشري وحكاه ابن عطية وقال انه من الفساد بحيث
كان الواجب الا يحكي واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس
الاشارة بذلك الي الاستثنا اي استثن بعد مدة اذا نسيت
الاستثنا اولا وذلك علي مذهبه فان الاستثنا في اليمين
ينفع بعد سنة واما مذهب مالك والشافعي فانه لا ينفع
الا ان كان متصلا باليمين وقيل معني الاية اذكر ربك اذا
غضبت وقيل اذكر اذا نسيت شيا ليذكرك ما نسيت

والظاهر

والظاهر ان المعني اذكر ربك اذا نسيت ذكره اي ارجع الي الذكر
اذا غفلت عنه واذكره في كل حال ولذلك قالت عايشة رضي
الله عنها كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يذكر الله علي
كل حالاته وقل عسي ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا
هذا كلام امر النبي صلي الله عليه وسلم ان يقوله والاشارة
بهذا الي خبر اصحاب الكهف اي عسي الله ان يوتيني من الايات
والحجج ما هو اعظم في الدلالة علي نبوتي من خبر اصحاب الكهف
واللفظ يقتضي ان المعني عسي ان يوفقني الله من العلوم
والاعمال الصالحة لما هو ارشد من خبر اصحاب الكهف
واقرب الي الله وقيل الاشارة بهذا الي المنسي اي اذا نسيت
شيا فقل عسي ان يهدين الله الي شي اخر هو ارشد من
المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا
في هذا قولان احدهما انه حكاية عن اهل الكتاب يدل علي
ذلك ما في قراة ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم وهو معطوف
علي سيقولون ثلاثة في قوله قل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم
في هذا العدد المحكي عنهم والقول الثاني انه من كلام الله
تعالي وانه بيان لما اجمل في قوله فضربنا علي اذانهم
في الكهف سنين عددا ومعني قوله قل الله اعلم بما لبثوا
علي هذا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم وقد اخبر بمدة لبثهم
فاخباره هو الحق لانه اعلم من الناس وكان قوله قل الله
اعلم احتجاجا علي صحة ذلك الاخبار وانتصاب سنين
علي البدل من ثلاثماية او عطف بيان او علي التمييز وذلك
علي قراة التنوين في ثلاثماية وقري بغير تنوين علي الاضافة
ووضع الجمع موضع المفرد ابصر به واسمع اي ما ابصره وما
اسمعه لان الله يدرك الخفيات ما لهم الضمير لجميع الخلق او للمعاصرين

النبي صلي الله عليه وسلم ولا يشرك في حكمه احدا هو خبر عن القراة
بالنيا والرفع وقري بالتا والجزم علي النهي لا مبدل لكلماته يحتمل ان
يراد بالكلمات هنا القران فالمعني لا يبدل احد القران ولا يغيره
ويحتمل ان يريد بالكلمات القضا والقدر ملتحدا اي ملجا يميل اليه
واصبر نفسك اي احبسها صابرا مع الذين يدعون ربهم هم فقرا
المسلمين كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قالوا له اطرد
هولا الضعفا نجالسك نحن فنزلت الاية بالغداة والعشي قيل
المراد الصلواة الخمس وقيل الدعا علي الاطلاق ولا تعد عيناك
عنهم اي لا تتجاوزهم الي ابنا الدنيا قال الزمخشري يقال عداه
اذا جاوزه فهذا الفعل يتعدي بنفسه دون حرف وانما تعدي
هنا بعن لانه تضمن معني نبت عينه عن الرجل اذا احتقره
تريد زينة الحياة الدنيا جملة في موضع الحال فهي متصلة
بما قبلها وهي في معني تعليل الفعل المنهي عنه في قوله
ولا تعد عيناك عنهم اي لا تنبعد عنهم من اجل ارادتك لزينة
الدنيا اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا او وجدناه غافلا
وقيل انه يعني عيينة بن حصن الفزاري والاظهر انها مطلقة
من غير تقييد فرطا من التفريط والتضييع او من الافراط
والاسراف وقل الحق من ربكم اي هذا هو الحق فمن شا فليومن
لفظه امر وتخيير ومعناه ان الحق قد ظهر فليختر كل انسان
لنفسه اما الحق الذي ينجيه او الباطل الذي يهلكه ففي ضمن
ذلك تهديد سرادقها السرادق في اللغة ما احاط بالشي كالسور
والجدار واما سرادق جهنم فقيل حائط من نار وقيل دخان
كالمهل هو دردي الزيت اذا انتهي حره روي ذلك عن النبي
صلي الله عليه وسلم وقيل ما اذيب من الرصاص ونحوه
مرتفقا اي شيا يرتفق به فهو من الرفق وقيل يرتفق عليه

فهو من الارتفاق بمعني الاتكا اوليك لهم خبران واذا لا نضيع اعتراض ويجوز
ان يكونا خبرين او يكون انا لا نضيع الخبر واوليك استيناف ويقوم
العموم في قوله من احسن مقام الضمير الرابط او يقدر من احسن
عملا منهم وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال انها نزلت في
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اساور جمع اسوار وسوار
وهو ما يجعل في اليد وقيل اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار
من سندس واستبرق السندس رقيق الديباج والاستبرق الغليظ
منه الارائك الاسرة والفرش واضرب لهم الضمير للكفار الذين
قالوا اطرد فقرا المسلمين وللفقرا الذين ارادوا طردهم اي مثل
هولا وهولا كمثل هذين الرجلين وهما اخوان من بني اسرايل
احدهما مومن والاخر كافر ورثا مالا عن ابيهما فاشتري الكافر
بماله جنتين وانفق المومن ماله في طاعة الله حتي افتقر
فعيره الكافر بفقره فاهلك الله مال الكافر وروي ان اسم
المومن تمليخا واسم الكافر فرطوس وقيل كانا شريكين اقتسما
المال فاشتري احدهما بماله جنتين وتصدق الاخر بماله
اكلها بضم الهمزة اسم لما يوكل ويجوز ضم الكاف واسكانها ولم
تظلم اي لم تنقص وكان له ثمر بضم الثا والميم اصناف المال
من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس وقتاده
وقيل هو الذهب والفضة خاصة وهو من ثمر ماله اذا كثره
ويجوز اسكان الميم تخفيفا واما بفتح الثا والميم فهو الماكول
من الشجر ويحتمل المعني الاخر وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام
واعز نفرا يعني الانصار والخدم ودخل جنته افرد الجنة هنا
لانه انما دخل الجنة الواحدة من الجنتين اذ لا يمكن دخوله
الجنتين دفعة واحدة وهو ظالم لنفسه اما بكفره او بمقالته
لاخيه فانها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لاخيه قال ما اظن

ان تبيد هذه ابدا يحتمل ان تكون الاشارة الي السموات والارض
وساير المخلوقات فيكون قايلا ببقا هذا الوجود كافرا بالاخرة
او تكون الاشارة الي جنتيه فيكون قوله افراطا في الاغترار
وقلة التحصيل ولين رددت الي ربي ان كان هذا علي سبيل الفرض
والتقدير كما يزعم اني لاجدن في الاخرة خيرا من جنتي في الدنيا
وقوله خيرا منهما بضمير الاثنين للجنتين وبضمير الواحد للجنة
منقلبا اي مرجعا اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق منه
ابيك ادم وانما جعله كافرا لشكه في البعث سواك رجلا
ان كان كما تقول سوالت انسانا ويحتمل ان يقصد الرجولية علي
وجه تعديد النعمة في ان لم يكن انثي لكنا هو الله ربي قرا
الجمهور باثبات الالف في الوقف وحذفها في الوصل والاصل
علي هذا لكن انا ثم القيت حركة الهمزة علي الساكن قبلها وحذفت
ثم ادغمت النون في النون وقرا ابن عامر باثبات الالف في الوصل
والوقف ويتوجه ذلك بان تكون لحقتها نون الجماعة
التي في خرجنا وضربنا ثم ادغمت النون في النون ولولا اذ دخلت
جنتك الاية وصية من المومن للكافر ولولا تحضيض فعسي
ربي ان يوتين خيرا من جنتك يحتمل ان يريد في الدنيا والاخرة
حسبانا اي امرا مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك صعيدا زلقا
الصعيد وجه الارض والزلق الذي لا يثبت قدم يعني انه تذهب
اشجاره ونباته غورا اي غايرا ذاهبا وهو مصدر وصف به
صعيدا زلقا عبارة عن هلاكهما يقلب كفيه عبارة عن تلهفه
وتاسفه وندمه وهي خاوية علي عروشها يريد ان السقوف
وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان
علي العروش وقيل ان كرومها المعرشة سقطت علي عروشها
ثم سقطت الكروم عليها ويقول يا ليتني لم اشرك قال ذلك علي وجه

التمني

التمني لما هلك بستانه او علي وجه التوبة من الشرك هنالك
ظرف يحتمل ان يكون العامل فيه منتصرا او يكون في موضع خبر
الولاية الولاية لله بكسر الواو بمعني الرياسة والملك وبفتحها
من الموالاة والمودة وخير عقبا اي عاقبة فاختلط البا سببيه
والمعني صار به النبات مختلطا اي ملتفا بعضه ببعض من
شدة تكاثفه فاصبح هشيما اي متفتتا واصبح هنا بمعني صار
تذروه الرياح اي تفرقه ومعني المثل تشبيه الدنيا في سرعة
فنايها بالزرع في فنايه بعد قدرته المال والبنون الاية
هذا من الجمع بين شيين في خبر واحد وذلك من ادوات البيان
وقري زينتا بالتثنية لانه خبر عن اثنين واما قراة الجمهور
فافردت فيها الزينة لانها مصدر والباقيات الصالحات هي سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هذا قول الجمهور وقد
روي ذلك عن النبي صلي الله عليه وسلم وقيل الصلوات
الخمس وقيل الاعمال الصالحات علي الاطلاق نسير الجبال
اي نحملها ومنه قوله وهي تمر مر السحاب وبعد ذلك نصيرها هبا
وتري الارض بارزة اي ظاهرة لزوال الجبال عنها وحشرناهم
قال الزمخشري انما جا حشرناهم بلفظ الماضي بعد قوله نسير
للدلالة علي ان حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك
الاهوال فلم نغادر اي نترك صفا اي صفوفا فهو افراد تنزل
منزلة الجمع وقد جا في الحديث ان اهل الجنة مائة وعشرون
صفا انتم منها ثمانون لقد جيتمونا يقال هذا للكفار علي وجه
التوبيخ كما خلقناكم اي حفاة عراة غرلا ووضع الكتاب
يعني صحايف الاعمال فالكتاب اسم جنس كان من الجن
كلام مستانف جري مجري التعليل لاباية ابليس عن السجود
وظاهر هذا الموضع يقتضي ان ابليس لم يكن من الملايكة

وان استثناه منهم استثنا منقطع فان الجن صنف غير الملايكة
وقد يجيب عن ذلك من قال انه كان من الملايكة اذ كان هنا
بمعني صار اي خرج من صنف الملايكة الي صنف الجن او بان
الملايكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من
نار **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن ما امره به والفسق في
اللغة الخروج **افتتخذونه وذريته اوليا** هذا توبيخ ووعظ
وذرية ابليس هم الشياطين واتخاذهم اوليا في طاعتهم
في عصيان الله والكفر به **ما اشهدتهم** الضمير للشياطين علي
وجه التحقير لهم او للكفار او لجميع الخلق فيكون فيه رد
علي المنجمين واهل الطبايع وساير الطوايف المتخوضة
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي معينا ومعني المضلين
الذي يضلون العباد وذلك يقوي ان المراد الشياطين **ويوم
يقول نادوا شركاي** يقول هذا للكفار علي وجه التوبيخ
لهم واضاف تعالي الشركا الي نفسه علي زعمهم وقد بين
هذا بقوله الذين زعمتم **موبقا** اي مهلكا وهو اسم موضع
او مصدر من وبق الرجل اذا اهلك وقد قيل انه واد من
اودية جهنم والضمير في بينهم للمشركين وشركاوهم **فظنوا
انهم مواقعوها** الظن هنا بمعني اليقين **مصرفا** اي معدلا
ينصرفون اليه **جدلا** اي مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضي
سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر
ابن الحارث علي ان الانسان هنا يراد به الجنس **وما منع
الناس ان يومنوا** الاية معناها ان المانع للناس من الايمان
هو القضا عليهم بان تاتيهم سنة الامم المتقدمة وهي الاهلاك
في الدنيا او ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة ومعني قبلا
معاينة وقرء بضمتين وهو قبيل اي انواعا من العذاب
جمع

ليدحضوا اي ليبطلوا **وما انذروا هزوا** يعني العذاب وما موصولة
والضمير محذوف تقديره انذروه او مصدرية **انا جعلنا علي
قلوبهم اكنة** هذه عقوبة علي الاعراض المحكي عنهم او تعليل لهم
والاكنة جمع كنان وهو الغطا والوقر الصمم وهما علي وجه الاستعارة
في قلة فهمهم للقران وعدم استجابتهم للايمان **فلن يهتدوا اذا ابدا**
يريد به من قضي الله انه لا يومن **لو يواخذهم** الضمير لكفار قريش
او لساير الناس كقوله ولو يواخذ الله الناس والجملة خبر مبتدا
والغفور الرحيم صفتان اعترضتا بين المبتدا والخبر توطية
لما ذكر بعد من ترك المواخذة ويحتمل ان يكون الغفور هو الخبر
ويواخذهم بيان لمغفرته ورحمته والاول اظهر **بل لهم موعد**
قيل الموت وقيل عذاب الاخرة وقيل يوم بدر **موىلا** اي ملجا
يقال وال الرجل اذا التجا **وتلك القري** يعني عادا وثمودا وغيرهم
من المتقدمين والمراد اهل القري ولذلك قال اهلكناهم وفي
ضمن هذا الاخبار تهديد الكفار قريش **وجعلنا لمهلكهم موعدا**
اي وقتا معلوما والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر
من اهلك فالمصدر علي هذا مضاف للمفعول لان الفعل متعدي
وقري بفتح الميم من هلك فالمصدر علي هذا مضاف للفاعل
واذ قال موسي لفتاه هذا ابتدا قصة موسي مع الخضر وهو
موسي بن عمران نبي الله وقال قوم هو موسي اخر وذلك باطل
رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث علي بطلانه وفتاه هو
يوشع بن نون وهو ابن اخت موسي وهو من ذرية يوسف
عليه السلام والفتي هنا بمعني الخديم وسبب القصة فيما
روي عن النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
ان موسي عليه السلام خطب يوما في بني اسرايل فقيل
له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحي الله اليه ان

بل عبدنا الخضر اعلم منك فقال يا رب دلني علي السبيل الي لقايه
فاوحي الله اليه ان يحمل حوتا في مكتل ويسير بطول سيف البحر
حتي يبلغ مجمع البحرين فاذا افتقد الحوت فان الخضر هناك ففعل
موسي ذلك حتي لقيه **لا ابرح حتي ابلغ مجمع البحرين** قال موسي
هذا الكلام وهو سايراي لا ابرح اسير حتي ابلغ مجمع البحرين
فحذف خبر لا ابرح اختصارا لدلالة المعني ومعني لا ابرح هنا
لا ازال لان حقيقة لا ابرح تقتضي الاقامة في الموضع وكان
موسي حين قالها علي سفر لا يريد اقامة ومجمع البحرين عند
طنجه حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر
الاندلس وقيل هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق
او امضي حقبا اي زمانا طويلا والحقب بضم القاف واسكانها
ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هي جمع حقبة
وهي السنة **فلما بلغا مجمع بينهما** الضمير في بلغا لموسي
وفتاه والضمير في بينهما للبحرين **نسيا حوتهما** نسب النسيان
اليهما وانما كان النسيان من الفتا وحده كما تقول فعل بنو فلان
كذا اذا فعله واحد منهم وقيل نسي الفتي ان يقدمه ونسي
موسي ان يامره فيه بشي **فاتخذ سبيله في البحر** فاعل اتخذ
الحوت والمعني انه سار في البحر فقيل ان الحوت كان ميتا مملوحا
ثم صار حيا باذن الله ووقع في الما فسار فيه وقال
ابن عباس انما حيي الحوت لانه مسه ماعين يقال لها عين
الحياة ما مست قط شيا الا حيي وفي الحديث ان الله امسك
جرية الما علي الحوت فصار عليه مثل الطاق اي بقي موضع
سلوكه في الما فارغا من الما فصار مثل السرب وهو المسلك
في جوف الارض وذلك معجزة لموسي عليه السلام وقيل
اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتي وصل الي البحر فعام

علي

علي العادة ويرد هذا ما ورد في الحديث **فلما جاوزا** اي جاوزا
الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت
في البحر بينما كان موسي نايما وكان ذهاب الحوت امارة لقايه
للخضر فلما استيقظ موسي اصابه الجوع فقال لفتاه اتنا
غدانا لقد **نصبا** اي تعبا **قال ارايت اذ اوينا الي الصخرة**
قال الزمخشري ارايت هنا بمعني اخبرني ثم قال فان قلت
ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا
وفاني نسيت الحوت لا متعلق له فالجواب انه لما طلب موسي
الحوت ذكر يوشع ما راي منه وما اعتراه من نسيانه فدهش
فطفق يسيل موسي عن سبب ذلك فكانه قال ارايت
ما دهاني اذ اوينا الي الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف بعض
الكلام **نسيت الحوت** اي نسيت ان اذكر لك ما رايت من ذهابه
في البحر فتقديره نسيت ذكر الحوت **ان اذكره** بدل من الها
في انسانيه وهو بدل اشتمال **واتخذ سبيله في البحر عجبا**
يحتمل ان يكون هذا من كلام يوشع اي اتخذ الحوت سبيله في البحر
عجبا للناس او يكون اخبارا من الله تعالي اي اتخذ الحوت سبيله
في البحر عجبا للناس او اتخذ موسي سبيل الحوت عجبا اي تعجب
هو منه واعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل
ان الكلام تم عند قوله في البحر ثم ابتدا التعجب فقال عجبا
وذلك بعيد **قال ذلك ما كنا نبغي** اي فقد الحوت هو ما كنا
نطلب لانه امارة علي وجدان الرجل **فارتدا علي اثارهما**
قصصا اي رجعا في طريقهما يقصان اثرهما الاول ليلا يخرجا
عن الطريق **فوجدا عبدا من عبادنا** هو الخضر **اتيناه رحمة**
يعني النبوة علي قول من قال ان الخضر نبي وقيل انه ليس
بنبي ولكنه ولي وتظهر قصه نبوته من هذه القصة

لانه نقل اشيا لا يعلمها الا بوحي واختلف ايضا هل مات او هو حي
الان ويذكر كثير من الصلحا انهم يرونه ويكلمهم **وعلمناه من
لدنا علما** في الحديث ان موسي وجد الخضر مسجا بثوبه فقال
له السلام عليك فرفع راسه وقال وانا بارضك السلام
ثم قال له من انت قال انا موسي قال موسي بني اسرايل قال
نعم قال اولم يكن لك في بني اسرايل ما يشغلك عن السفر
الي هنا قال بلي ولكني احببت لقاك وان اتعلم منك
قال اني علي علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت علي علم
من علم الله علمكه لا اعلمه انا **قال له موسي هل اتبعك**
الاية مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع ولذلك ينبغي ان يكون
الانسان مع من يريد ان يتعلم منه **رشدا** قري بضم الرا
واسكان الشين وبفتحهما والمعني واحد وانتصب علي انه
مفعول ثان بتعلمني او حال من الضمير في اتبعك **فانطلقا**
الضمير لموسي والخضر وفي الحديث انهما انطلقا ماشيين
علي سيف البحر حتي مرت بهما سفينة فعرفوا الخضر فحمل
فيها بغير نول اي بغير اجرة **خرقها** روي ان الخضر ازال
لوحين من الواحها **شيا امرا** اي عظيما وقيل منكرا
فانطلقا يعني بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون
وفيهم غلام وضي الصورة فاقتلع الخضر راسه وقيل ذبحه
وقيل اخذ صخرة فضرب بها راسه والاول هو الصحيح لوروده
في الحديث الصحيح وروي ان اسم الغلام جيسور بالجيم
وقيل بالحا المهملة قال الزمخشري ان قلت لم قال خرقها
بغير فا وقال فقتله بالفا فالجواب ان خرقها جواب الشرط
وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال اقتلت
نفسا فان قيل لم خولف بينهما فالجواب ان خرق السفينة

لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام **نفسا زاكية**
قيل انه كان لم يبلغ فمعني زاكية ليس له ذنب وقيل انه كان
بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا **بغير نفس** يقتضي انه لو كان
قد قتل نفسا لم يكن بقتله باس علي وجه القصاص وهذا
يدل علي ان الغلام كان بالغا فان غير البالغ لا يقتل وان قتل
نفسا **شيا نكرا** اي منكرا وهو ابلغ من قوله امرا ويجوز
ضم الكاف واسكانها **قال الم اقل لك** بزيادة لك فيه من
الزجر والاغلاظ ما ليس في قوله اولا الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا **بعدها** الضمير للقصة وان لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق
الكلام يدل عليها **قد بلغت من لدني عذرا** اي قد اعذرت الي
فانت معذور عندي وفي الحديث كانت الاولي من موسي نسيانا
اتيا اهل قرية قيل هي انطاكية وقيل برقة وقال ابو هريرة
وغيره هي الاندلس ويذكر انها الجزيرة الخضرا وليس ذلك علي
قول ان مجمع البحرين عند طنجة وسبتة **استطعما اهلها** اي طلبا
منهم طعاما **جدارا يريد ان ينقض** اي يسقط واسناده الارادة
الي الجدار مجاز ومثل ذلك كثير في كلام العرب وحقيقته
انه قارب ان ينقض ووزن ينقض ينفعل وقيل يفعل كيحمر
فاقامه قيل انه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده واقامه
فقام **لو شيت لتخذت عليه اجرا** اي قال موسي للخضر لو شيت
لتخذت عليه اجرا اي طعاما ناكله **قال هذا فراق بيني وبينك**
انما قال له هذا لاجل شرطه في قوله ان سالتك عن شي بعدها
فلا تصاحبني علي ان قوله لو شيت لتخذت عليه اجرا ليس
بسوال ولكن في ضمنه امر باخذ الاجرة عليه لانهما كانا محتاجين
الي الطعام والبين هنا ليس بظرف وانما معناه الوصلة والقرب
وقال الزمخشري الاصل هذا فراق بيني وبينك بتنوين فراق

ونصب بيني على الظرفيه ثم اضيف المصدر الي الظرف والاشارة
بقوله هذا الي السوال الثالث الذي اوجب الفراق **اما السفينة**
فكانت لمساكين قيل انهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على
وجه الاشفاق عليهم لانهم كانوا يغصبون سفينتهم او لكونهم
في لجج البحر وقيل كانوا اخوة عشرة منهم خمسة عاملون
بالسفينة وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم وقري مساكين
بتشديد السين اي يمسكون السفينة **وكان وراهم** قيل معناه
قدامهم وقرا ابن عباس امامهم وقال ابن عطيه ان وراهم
على بابه ولكن روعي به الزمان فالورا هو المستقبل والامام
الماضي **كل سفينة غصبا** عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح
من السفن ولذلك قرا ابن مسعود كل سفينة صالحة وقيل
ان اسم هذا الملك هدد بن بدد وهذا يفتقر الي نقل صحيح
وفي الكلام تقديم وتاخير لان قوله فاردت ان اعيبها موخر
في المعني عن ذكر غصبها لان خوف الغصب سبب في انه اعابها
وانما قدم للعناية به **واما الغلام** روي انه كان كافرا وروي انه
كان يفسد في الارض **فخشينا ان يرهقهما** المتكلم بذلك الخضر
وقيل انه من كلام الله وتاويله على هذا فكرهنا وقال ابن عطية
انه من نحو ما وقع من عسي ولعل وانما هو في حق المخاطبين
ومعني يرهقهما طغيانا وكفرا يكلفهما ذلك والمعني ان يحملهما
حبه علي اتباعه او يغريهما لمخالطته مع مخالفته لهما **خيرا**
منه اي غلاما اخر خيرا من الغلام المذكور المقتول **زكاة** اي
طهارة وفضيلة في دينه **واقرب رحما** اي رحمة وشفقة فقيل
المعني ان يرحمهما وقيل يرحمانه **لغلامين يتيمين** اليتيم من فقد
ابواه قبل البلوغ وروي ان اسم الغلامين اصرم وصريم واسم
ابيهما كاشح وهذا يحتاج الي صحة نقل **كنز لهما** قيل مال عظيم

وقيل

وقيل كان علما في صحف مدفونة والاول اظهر **وكان ابوهما صالحا**
قيل انه السابع وظاهر اللفظ انه الاقرب **فاراد ربك** اسند الارادة
هنا الي الله لانها في امر مغيب مستانف لا يعلم ما يكون منه الا الله
واسند الخضر الي نفسه في قوله فاردت ان اعيبها لانها لفظة
عيب فتادب بان لا يسندها الي الله وذلك كقول ابراهيم عليه
السلام واذا مرضت فهو يشفين فاسند المرض الي نفسه والشفا
الي الله تادبا واختلف في قوله فاردنا ان يبدلهما هل هو مسند
الي ضمير الخضر او الي الله **وما فعلته عن امري** هذا دليل على
نبوة الخضر لان المعني انه فعله بامر الله وبوحيه **ويسلونك**
عن ذي القرنين السايلون اليهود او قريش باشارة اليهود
وذو القرنين هو الاسكندر الملك وهو يوناني وقيل رومي
وكان رجلا صالحا وقيل كان نبيا وقيل كان ملكا بفتح اللام
والصحيح انه ملك بكسر اللام واختلف لم سمي ذو القرنين
فقيل كان له ظفيرتان من شعر هما قرناه فسمي بذلك وقيل
لانه بلغ المشرق والمغرب وكانه جاز قرني الدنيا **انا مكنا له**
في الارض التمكين له انه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم
واتيناه من كل شي سببا اي علما ومهما يتوصل به الي معرفة
الاشيا والسبب ما يتوصل به الي المقصود من علم او قدرة او
غير ذلك **فاتبع سببا** اي طريقا يوصله **وجدها تغرب في عين**
حمية قري بالهمز علي وزن فعلة اي ذات حمية وقري بالبا
علي وزن فعله وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس
فقال ابن عباس حمية وقال معاوية حامية فبعثا الي كعب
الاحبار ليخبرهما بالامر فقال اما العربية فانتما اعلم بها مني ولكني
اجد في التوراة انها تغرب في ما وطين فوافق ذلك قراة ابن
ابن عباس ومعني حامية حارة ويحتمل ان يكون بمعني حميه

ولكن سهلت همزته فيتفق معني القرانين وقد قيل يمكن ان يكون فيها
حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للوصفين ويجمع
معني القراتين قلنا يا ذا القرنين استدل بهذا من قال ان ذا القرنين
نبي لان هذا القول وحي ويحتمل ان يكون بالهام فلا يكون فيه
دليل علي نبوته اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا كانوا كفارا
فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل او يدعوهم الي الاسلام فيحسن
اليهم وقيل الحسن هنا هو الاسر وجعله حسنا بالنظر الي القتل
قال اما من ظلم فسوف نعذبه اختار ان يدعوهم الي الاسلام فمن
تمادي علي الكفر قتله ومن اسلم احسن اليه والظلم هنا الكفر
والعذاب القتل واراد بقوله عذابا نكرا عذاب الاخرة فله جزا
الحسني المراد بالحسني الجنة او الاعمال الحسنة وسنقول له من
امرنا يسرا وعدهم بان ييسر عليهم وجدها تطلع علي قوم لم
نجعل لهم من دونها سترا هولا القوم هم الزنج وهم اهل الهند
ومن وراهم ومعنا لم نجعل الاية انهم ليس لهم بنيان اذ لا تحمل
ارضهم البنا وانما يدخلون من حر الشمس في اسراب تحت الارض
وقال ابن عطية الظاهر انها عبارة عن قرب الشمس منهم
وقيل الستر اللباس فكانوا علي هذا لا يلبسون الثياب كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقيل
كذلك راجع لما قبله اي لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني
والثياب وقيل المعني وجد عندها قوما كذلك اي مثل القوم
الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله بين
السدين وهما جبلان في طرف الارض وقري بالفتح والضم
وهما بمعني واحد وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما
كان من فعل الناس فهو مفتوح وجد من دونهما قوما قيل
هم الترك لا يكادون يفقهون قولا عبارة عن بعد لسانهم عن

السنة

السنة الناس فهم لا يفقهون القول الا بالاشارة ونحوها ياجوج وماجوج
قبيلتان من بني ادم في خلقتهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر
مفسدون في الارض لفسادهم بالقتل والظلم وساير وجوه الشر
وقيل كانوا ياكلون بني ادم فهل نجعل لك خرجا علي ان تجعل بيننا
وبينهم سدا هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة والخرج الجباية
ويقال فيه خراج وقري بهما ففرضوا عليه ان يجعلوا له اموالا يقيم
بها السد قال ما مكني فيه ربي خير اي ما بسط الله لي من الملك
خير من خرجكم فلا حاجة لي به ولكن اعينوني بقوة الابدان وعمل
الايدي ردما اي حاجزا حصينا والردم اعظم من السد ساوي
بين الصدفين اي بين الجبلين قال انفخوا يريد نفخ الكير اي اوقدوا
النار علي الحديد قطرا اي نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص
وروي انه حفر الاساس حتي بلغ الما ثم جعل البنيان من زبر الحديد
حتي ساوي به ما بين الجبلين ثم افرغ عليه النحاس المذاب فما اسطاعوا
ان يظهروه اصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التا تخفيفا
والضمير في يظهروه للسد ومعني يظهروه يعلوه ويصعدوا علي
ظهره فالمعني ان ياجوج وماجوج لا يقدرون ان يصعدوا السد
لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته قال هذا رحمة من ربي القايل
ذو القرنين واشار الي الردم فاذا جا وعد ربي يعني القيامة
جعله دكا اي مبسوطا مسوي بالارض وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض الضمير في تركنا لله عز وجل ويومئذ يحتمل ان
يريد به يوم القيامة لانه قد تقدم ذكره فالضمير في قوله
بعضهم علي هذا لجميع الناس او يريد بقوله يومئذ يوم كمال
السد ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم ونفخ في الصور
الصور القرن الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جا في الحديث
ينفخ فيه اسرافيل نفختين احداهما للصعق والاخري للقيام

من القبور **وعرضنا جهنم** اي اظهرناها **كانت اعينهم في غطا** عبارة
من عمي بصايرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا **افحسب**
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا يعني انهم لا يكونون
لهم اوليا كما حكي عنهم انهم يقولون انت ولينا من دونهم والعباد
هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملايكة وعيسي بن مريم
اعتدنا اي يسرنا **نزلا** ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله
والمعني ان جهنم لهم بدل النزول كما ان الجنة نزل في قوله
كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويحتمل ان يكون النزل موضع
النزول **هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا** الاية في كفار العرب
كقوله كفروا بايات ربهم ولقايه وقيل في الرهبان لانهم
يتعبدون ويظنون ان عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم
وفي قوله يحسبون انهم يحسنون تجنيس الخط وهو يسمي
تجنيس التصحيف **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** اي ليس
لهم حسنة توزن لان اعمالهم قد حبطت **جنات الفردوس**
هي اعلا الجنة حسبما ورد في الحديث ولفظ الفردوس اعجمي
معرب **حولا** اي تحولا وانتقالا **قل لو كان البحر مدادا لكلمات**
ربي الاية اخبار عن اتساع علم الله وكذلك لو جي ببحر
اخر مثله وذلك لان البحر متناه وعلم الله غير متناه **بمثله**
مددا اي زيادة والمدد هو ما يمد به الشي اي يكثر **من كان**
يرجوا لقا ربه ان كان الرجا هنا علي بابه فالمعني يرجو حسن
لقا ربه وان يلقاه لقا رضي وقبول وان كان الرجا بمعني
الخوف فالمعني يخاف سو لقا ربه **ولا يشرك بعبادة ربه**
احدا يحتمل ان يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا
الي قوله يوحي الي انما الهكم اله واحد او يريد الريا لانه الشرك
الاصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد ان يحمل علي العموم

في المومنين والله اعلم كمل النصف الاول من كتاب التسهيل في علوم
التنزيل والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلي الله علي سيدنا
محمد وعلي اله وصحبه وسلم **سورة مريم عليها السلام**
كهيعص قد تكلمنا في اول البقرة علي حروف الهجا وقيل في هذا
ان الكاف من كريم او كبير او كاف والها من هادي والياء من علي
والعين من عزيز او عليم والصاد من صادق وكان علي بن ابي
طالب يقول في دعايه يا كهيعص فيحتمل ان تكون الجملة عنده
اسما من اسما الله تعالي او ينادي بالاسما التي اقتطعت منها
هذه الحروف **ذكر** تقديره هذا ذكره **عبده زكريا** وصفه
بالعبودية تشريفا له واعلاما بتخصيصه وتقريبه ونصب
عبده علي انه مفعول لرحمة فانها مصدر اضيف الي الفاعل
ونصب المفعول وقيل هو مفعول بفعل مضمر تقديره رحم عبده
وعلي هذا يوقف علي ما قبله وفيه تكلف لاضمار من غير حاجة
اليه وقطع العامل عن العمل بعد تهييه اليه **اذ نادي ربه** يعني
دعاه **ندا خفيا** اخفاه لانه يسمع الخفي كما يسمع الجهر ولان الخفي
اقرب الي الاخلاص وابعد من الريا ولئلا يلومه الناس علي
طلب الولد **وهن العظم** اي ضعف **واشتعل** استعارة للشيب من اشتعال
النار **ولم اكن بدعايك رب شقيا** اي قد سعدت بدعايي لك فيما
تقدم فاستجب لي في هذا فتوسل الي الله باحسانه القديم اليه
واني خفت الموالي يعني الاقارب قيل خاف ان يرثوه دون نسله
وقيل خاف ان يضيعوا الدين من بعده **من وراي** اي بعدي
عاقرا اي عقيما **فهب لي من لدنك وليا** يعني وارثا يرثني
قيل يعني وراثة المال وقيل وراثة العلم والنبوة وهو ارجح
لقوله صلي الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا لا نورث وكذلك
يرث من ال يعقوب العلم والنبوة وقيل الملك ويعقوب هنا

٢٨٨

هو يعقوب بن اسحاق على الاصح رضيا اي مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول
سميا يعني من سمي باسمه وقيل مثلا ونظيرا والاول احسن هنا
انى يكون لي غلام تعجب واستبعاد ان يكون له ولد مع شيخوخته
وعقم امراته فسال ذلك اولا لعلمه بقدرة الله عليه وتعجب منه
لانه نادر في العادة وقيل ساله وهو في سن من يرجوه ثم
اجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ عتيا قيل يبسا في الاعضا
والمفاصل وقيل مبالغة في الكبر كذلك الكاف في موضع رفع اي
الامر كذلك تصديقا له فيما ذكر من كبره وعقم امراته وعلى هذا يوقف
على قوله كذلك ثم يبتدي قال ربك وقيل الكاف في موضع نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين اجعل لي اية
اي علامة على حمل امراته سويا اي سليما غير اخرس وانتصابه
على الحال من الضمير في تكلم والمعنى انه لا يكلم الناس مع انه سليم
من الخرس وقيل ان سويا يرجع الى الليالي اي مستويات فاوحى
اليهم اي اشار وقيل كتبه في التراب اذ كان لا يقدر على الكلام
ان سبحوا قيل معناه صلوا والسبحة في اللغة الصلاة وقيل قولوا
سبحان الله يا يحيى التقدير قال الله ليحيى بعد ولادته خذ الكتاب
يعني التوراة بقوة اي في العلم به والعمل به واتيناه الحكم صبيا
قيل الحكم معرفة الاحكام وقيل الحكمة وقيل النبوة وحنانا
قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا ادري ما الحنان وزكاة
اي طهارة وقيل ثنا كما يزكي الشاهد واذكر في الكتاب مريم
خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القران اذ انتبذت من
اهلها اي اعتزلت منهم وانفردت عنهم مكانا شرقيا الى جهة الشرق
ولذلك يصلي النصارى الى المشرق ارسلنا اليها روحنا يعني
جبريل وقيل عيسى والاول هو الصحيح لان جبريل هو الذي تمثل
لها في صورة البشر فلما دخل عليها خافت ان يكون من بني ادم

فقالت

فقالت له هذا الكلام ومعناه ان كنت ممن يتقي الله فابعد عني فاني اعوذ
بالله منك وقيل ان تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم وهذا
ضعيف لاهب لك غلاما زكيا الغلام الزكي هو عيسى عليه السلام
وقرئ ليهب بالياء والفاعل فيه ضمير الرب سبحانه وقرئ بهمزة
التكلم وهو جبريل وانما نسب الهبة الى نفسه لانه هو الذي ارسله
الله بها او يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى ولم اك بغيا البغي
هي المراة المجاهرة بالزنا ووزن بغي فعول ولنجعله اية الضمير
للولد واللام تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله اية فعلنا ذلك
فحملته يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية اشهر وقال ابن
عباس حملته وولدته من ساعته مكانا قصيا اي بعيدا وانما
بعدت حيا من قومها ان يظنوا بها الشر فاجاءها معناه الجاها
وهو منقول من جا بهمزة التعدية المخاض اي النفاس الى جذع
النخلة روي انها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس قالت
يا ليتني مت انما تمنت الموت خوفا من انكار قومها وظنهم بها
الشر ووقوعهم في ذمها وتمني الموت جائز في مثل هذا وليس
هذا من تمني الموت لضر نزل بالبدن فانه منهي عنه وكنت نسيا
الشي الحقير الذي لا يؤبه به ويقال بفتح النون وكسرها
فناداها من تحتها قرئ من بفتح الميم وكسرها وقد اختلف على
كلتا القراءتين هل هو جبريل او عيسى وعلى انه جبريل قيل
انه كان تحتها كالقابلة وقيل كان في مكان اسفل من مكانها
ان لا تحزني تفسير للنداء فان مفسرة سريا يعني جدولا وهي
ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم فسره بذلك وقيل يعني عيسى فان السري
الرجل الكريم وهزي اليك بجذع النخلة كان جذعا يابسا
فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتانيسا وقد استدل بعض الناس

بهذه الاية علي ان الانسان ينبغي له ان يتسبب في طلب الرزق لان
الله امر مريم بهز النخلة والبا في بجذع زايدة كقوله لا تلقوا بايديكم
تساقط عليك رطبا جنيا الفاعل تساقط النخلة وقري بالبا
والفاعل علي ذلك الجذع ورطبا تمييز والجني معناه الذي طاب وصلح
لان يجتني فكلي واشربي اي كلي من الرطب واشربي من ما الجدول
وهو السري وقري عينا اي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة
نبي كريم او من تيسير الماكول والمشروب فاما ترين هي ان الشرطية
دخلت عليها ما الزايده للتاكيد وترين فعل خوطبت به المراة
ودخلت عليه النون الثقيلة للتاكيد نذرت للرحمن صوما
اي صمتا عن الكلام وقيل يعني الصيام لان من شرطه في شريعتهم
الصمت وانما امرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها
ولان عيسي تكلم عنها فاخبرها بانما نذرت الصمت كان بهذا الكلام
وقيل بالاشارة ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت فاتت به قومها
لما رات الايات علمت انها سيبين عذرها فجات به من المكان القصي
الي قومها شيا فريا اي شنيعا وهو من الفرية يا اخت هارون
كان هارون عابدا من بني اسرايل شبهت به مريم في كثرة العباده
فقيل لها اخته بمعني انها تشبهه وقيل كان اخاها من ابيها وكان
رجلا صالحا وقيل هو هارون النبي اخو موسي وكانت من ذريته
فاخت علي هذا كقولك اخو بني فلان اي واحد منهم ولا يتصور
علي هذا القول ان تكون اخته من النسب حقيقة فان بين زمانهما
دهرا طويلا فاشارت اليه اي الي ولدها ليتكلم وصمتت هي كما
امرت كان في المهد صبيا كان بمعني يكون والمهد هو المعروف
وقيل المهد هنا حجرها اتاني الكتاب يعني الانجيل او التوراة والانجيل
مباركا من البركة وقيل نفاعا وقيل معلم للخير واللفظ اعم من
ذلك واوصاني بالصلاة والزكاة هي المشروعتان وقيل الصلاة

هنا

معنا الدعا والزكاة التطهير من العيوب وبرا معطوف علي مباركا
روي ان عيسي تكلم بهذا الكلام وهو في المهد ثم عاد الي حالة
الاطفال علي عادة البشر وفي كلامه هذا رد علي النصاري لانه
اعترف انه عبد الله وعلي اليهود لقوله وجعلني نبيا والسلام علي
ادخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيي فهو كقولك
رايت رجلا فاكرمت الرجل وقال الزمخشري الصحيح ان هذا التعريف
تعريض بلعنة من اتهم مريم كانه قال السلام كله علي لا عليكم بل
عليكم ضده قول الحق بالرفع خبر مبتدا تقديره هذا قول الحق او بدل
او خبر بعد خبر وبالنصب منصوب علي المدح بفعل مضمر او علي المصدرية
من معني الكلام المتقدم فيه يمترون اي يختلفون فهو من المرا او يشكون
فهو من المرية والضمير لليهود والنصاري وان الله ربي من كلام عيسي
وقري بفتح الهمزة تقديره ولان الله ربي وربكم فاعبدوه وبكسرها
لابتدا الكلام وقيل هو من كلام النبي صلي الله عليه وسلم والمعني
قل لهم يا محمد ذلك عيسي بن مريم وان الله ربي وربكم والاول اظهر
فاختلف الاحزاب هذا ابتدا اخبار والاحزاب اليهود والنصاري
لانهم اختلفوا في امر عيسي اختلافا شديدا فكذبه اليهود وعبده
النصاري والحق خلاف اقوالهم كلها من بينهم معناه من تلقايهم
ومن انفسهم وان الاختلاف لم يخرج عنهم من مشهد يوم عظيم
يعني يوم القيامة اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم
وما ابصرهم يوم القيامة علي انهم في الدنيا في ضلال مبين
يوم الحسرة هو يوم يوتي بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال
يا اهل الجنة الخلود لا موت ويا اهل النار الخلود لا موت وقيل
هو يوم القيامة وانتصاب يوم علي المفعولية لا علي الظرفية
وهم في غفلة يعني في الدنيا فهو يتعلق بقوله في ضلال مبين
او بانذرهم صديقا بناء مبالغة من الصدق او من التصديق ووصفه

بانه صديق قبل الوحي نبي بعده ويحتمل انه جمع الوصفين ما لا يسمع
ولا يبصر يعني الاصنام صراطا سويا اي قويما لارجمنك قيل يعني
الرجم بالحجارة وقيل الشتم واهجرني مليا اي حينا طويلا واعطف
اهجرني علي محذوف تقديره احذر رجمي لك قال سلام عليك
هو وداع ومفارقة وقيل مسالمة لا تحية لان ابتدا الكافر بالسلام
لا يجوز ساستغفر وعد وهو الذي اشير اليه بقوله عن موعدة
وعدها اياه قال ابن عطية معناه سادعوا الله ان يهديك فيغفر
لك بايمانك وذلك لان الاستغفار للكافر لا يجوز وقيل وعده
ان يستغفر له مع كفره ولعله كان لم يعلم ان الله لا يغفر للكفار
حتي اعلمه الله بذلك ويقوي هذا القول واغفر لابي انه كان
من الضالين ومثل هذا قول النبي صلي الله عليه وسلم لابي
طالب لاستغفرن لك ما لم انه عنك حفيا اي بارا متلطفا
واعتزلكم وما تدعون اي ما تعبدون اسحاق ويعقوب هما
ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من ابيه وقومه
الذين اعتزلهم من رحمتنا النبوه وقيل المال والولد واللفظ
اعم من ذلك لسان صدق يعني الثنا الباقي عليهم الي اخر
الدهر مخلصا بكسر اللام اي اخلص نفسه واعماله لله
وبفتحها اي اخلصه الله للنبوة والتقريب وكان رسولا نبيا
النبي اعم من الرسول لان النبي كل من اوحي الله اليه ولا يكون
رسولا حتي يرسله الله الي الناس مع النبوة فكل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا وناديناه هو تكليم الله له الطور
وهو الجبل المشهور بالشام الايمن صفة للجانب وكان علي
يمين موسي حين وقف عليه ويحتمل ان يكون من اليمين
نجيا النجي فعيل وقيل المنفرد بالمناجات وقيل هو
من المناجات والاول اصح من رحمتنا من سببيه او للتبعيض هو

واخاه علي الاول مفعول وعلي الثاني بدل انه كان صادق الوعد
روي انه وعد رجلا الي مكان فانتظره فيه سنة وقيل الاشارة
الي صدق وعده في قصة الذبح في قوله ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وهذا علي قول من قال ان الذبيح اسماعيل
ادريس هو اول نبي بعث الي اهل الارض بعد ادم وهو اول
من خط بالقلم ونظر في النجوم وخاط الثياب وهو من اجداد
نوح عليه السلام ورفعناه مكانا عليا قال ابن عباس رفعه
الله الي السما وهو هنالك وفي حديث الاسرا وانه في السما الرابعة
وقيل يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته والاول اشهر وبرجحه
الحديث اوليك اشارة الي كل من ذكر في هذه السورة من
زكريا الي ادريس من النبيين من هنا للبيان والتي بعدها
للتبعيض من ذرية ادم يعني نوحا وادريس وممن حملنا يعني
ابراهيم ومن ذرية ابراهيم يعني اسماعيل واسحاق ويعقوب
واسرايل يعني ان من ذريته موسي وهارون ومريم وعيسي
وزكريا ويحيي وممن هدينا يحتمل العطف علي من الاولي او الثانيه
بكيا جمع باك ووزنه فعول فخلف من بعدهم خلف
يقال في خلف الخير خلف بفتح اللام وفي خلف الشر خلف بالسكون
وهو المعني هنا واختلف فيمن المراد بذلك فقيل النصاري لانهم
بعد نبي خلفوا اليهود وقيل كل من كفر وعصي من بني اسرايل اضاعوا
الصلوات قيل تركوها وقيل اخرجوها عن اوقاتها يلقون
غيا الغي الخسران وقد يكون بمعني الضلال فيكون علي حذف
مضاف تقديره يلقون جزاء الغي الا من تاب استثنا يحتمل
الاتصال والانقطاع بالغيب اي اخبرهم من ذلك بما غاب
عنهم ماتيا وزنه مفعول فقيل انه بمعني فاعل لان الوعد
هو الذي ياتي وقيل انه علي بابه لان الوعد هو الجنة

وهم باتونها لغوا يعني ساقط الكلام الا سلاما استثنا منقطع
بكرة وعشيا قيل المعني ان زمانهم يتقدر بالايام والليالي
اذ ليس في الجنة نهار ولا ليل وقيل المعني ان الرزق ياتيهم
في كل حين يحتاجون اليه وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي
علي عادة الناس في اكلهم وما نتنزل الا بامر ربك حكاية
قول جبريل حين غاب عن النبي صلي الله عليه وسلم
فقال له ابطات عني واشتقت اليك فقال اني كنت اشوق
ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست
ونزلت هذه الاية له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
اي له ما قدامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات
والاماكن وليس لنا الانتقال من مكان الي مكان الا بامره
وقيل ما بين ايدينا الدنيا الي النفخة الاولي في الصور وما
خلفنا الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وقيل ما مضي
من اعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها والاول اكثر
مناسبة لسياق الاية وما كان ربك نسيا هو فعيل من النسيان
بمعني الذهول وقيل بمعني الترك والاول اظهر هل تعلم
له سميا اي مثيلا ونظيرا فهو من المسامي والمضاهي وقيل
من يسمي باسمه لانه لم يتسم باسم الله غير الله تعالي ويقول
الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا هذا حكاية قول من
انكر البعث من القبور والانسان هنا جنس يراد به الكفار
وقيل ان القايل لذلك ابي بن خلف وقيل امية بن خلف والهمزة
التي دخلت علي ايذا ما مت للانكار والاستبعاد واللام في
قوله لسوف سيقت علي الحكاية لقول من قال بهذا المعني
والاخراج يراد به البعث اولا يذكر الانسان انا خلقناه من
قبل احتجاج علي صحة البعث ورد علي من انكره لان النشاة

الاولي

الاولي دليل علي الثانية لنحشرنهم والشياطين يعني قرناءهم
من الشياطين الذين اضلوهم والواو للعطف او بمعني مع فيكون
الشياطين مفعول معه جثيا جمع جاث ووزنه فعول من
قولك جث الرجل اذا جلس جلسة الذليل الخايف ثم لننزعن
من كل شيعة الشيعة الطايفة من الناس التي تتفق علي مذهب
او اتباع انسان ومعني الاية ان الله ينزع من كل طايفة اعتاها
فيقدمه الي النار قال بعضهم المعني نبدا بالاكبر جرما فالاكبر
جرما ايهم اختلف في اعرابه فقال سيبويه هو مبني علي
الضم لانه حذف العايد اليه من الصلة وكان التقدير ايهم
هو اشد فوجب البنا وقال الخليل هو مرفوع علي الحكاية
تقديره الذي يقال له اشد وقال يونس علق عنها الفعل
وارتفعت بالابتدا اولي بها صليا الصلي مصدر صلي النار
ومعني الاية ان الله هو اولي بان يصلي العذاب وان منكم يعلم من
الا واردها خطاب لجميع الناس عند الجمهور فاما المومنون
فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم فالورود علي هذا
بمعني الدخول كقوله حصب جهنم انتم لها واردون واوردهم
النار وقيل الورود بمعني القدوم عليها كقوله ورد ماء
مدين والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار بلا
اشكال حتما اي امرا لا بد منه ثم ننجي الذين اتقوا ان كان الورود
بمعني الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما
ثم بالخروج منها وان كان بمعني المرور علي الصراط فنجاتهم
بالجواز والسلامة من الوقوع فيها اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا الفريقان هم المومنون والكفار والمقام اسم مكان
من قام وقري بالضم من اقام والندي المجلس ومعني الاية
ان الكفار قالوا للمومنين نحن خير منكم مقاما اي احسن حالا

في الدنيا واجمل مجلسا فنحن اكرم علي الله منكم **وكم اهلكنا من قرن**
كم مفعول باهلكنا ومعني الاية رد علي الكفار في قولهم المذكور
اي ليس حسن الحال في الدنيا دليلا علي الكرامة عند الله لان الله
قد اهلك من كان احسن منكم في الدنيا **هم احسن** قال الزمخشري
هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم **اثاثا** اي متاع البيت
وقال ابن عطية هو اسم عام في المال العين والعروض والحيوان
وهو اسم جمع وقيل هو جمع واحده اثاثة **ورئيا** بهمزة ساكنة
قبل اليا معناه منظر حسن وهو من الرؤية والزي اسم
المرئي وقرئ بتشديد اليا من غير همز وهو تخفيف من الهمز
فالمعني متفق وقيل هو من ري الشارب اي النعم بالمشارب
والماكل وقرا ابن عباس زيا بالزاي **فليمدد له الرحمن مدا**
اي يمهله ويملي له واختلف هل الفعل دعا او خبر سيق
بلفظ الامر تاكيدا **حتي** هنا غاية للمد في الاضلال
اما العذاب يعني عذاب الاخرة الدنيا **شر مكانا واضعف**
جندا في مقابلة قولهم خير مقاما واحسن نديا **الباقيات**
الصالحات ذكر في الكهف **خير مردا** اي مرجعا وعاقبة **افرايت**
الذي كفر هو العاصي بن وايل **وقال لاوتين مالا وولدا**
كان قد قال لين بعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مالا
وولد **اطلع الغيب** الهمزة للانكار والرد علي العاصي في قوله
كلا ردع له عن كلامه **سنكتب ما يقول** انما جعله مستقبلا
لانه انما يظهر الجزا والعقاب في المستقبل **ونمد له من**
العذاب اي نزيد له فيه **ونرثه ما يقول** اي نرث الاشيا
التي قال انه يوتاها في الاخرة وهي المال والولد ووراثتها
هي بان يهلك العاصي ويتركها وقد اسلم ولداه هشام
وعمرو رضي الله عنهما **ويأتينا فردا** اي بلا مال ولا ولد

ولا

ولا ولي ولا نصير **سيكفرون بعبادتهم** قيل ان الضمير في يكفرون
للكفار وفي عبادتهم للمعبودين فالمعني كقولهم ما كنا مشركين
وقيل ان الضمير في يكفرون للمعبودين وفي عبادتهم للكفار
فالمعني كقولهم ما كنتم ايانا تعبدون **ويكونون عليهم ضدا**
معناه يكون لهم خلاف ما املوه منهم فيصير العز الذي املوه
ذلة وقيل معناه اعدا **ارسلنا الشياطين علي الكافرين**
تضمن معني سلطنا ولذلك تعدي بعلي **تؤزهم ازا** اي
تزعجهم الي الكفر والمعاصي **فلا تعجل عليهم** اي لا تستبطي
عذابهم وتطلب تعجيله **انما نعد لهم عدا** اي نعد مدة بقايهم
في الدنيا وقيل نعد انفاسهم **وفدا** قيل معناه ركبانا ومعني
وفدا
الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك
وقيل مكرمون لان العادة اكرام الوفود **وردا** معناه
عطاشا لان من يرد الما لا يرده الا للعطش **لا يملكون الشفاعة**
الضمير يحتمل ان يكون للكفار والمعني لا يملكون ان يشفع لهم
ويكون من اتخذ استثنا منقطعا بمعني لكن او يكون الضمير
للمتقين فالاستثنا متصل والمعني لا يملكون ان يشفعوا
الا لمن اتخذ عهدا او لا يملكون ان يشفع منهم الا من اتخذ عهدا
او يكون الضمير للفريقين اذ تقدم ذكر واتصل ذلك فالاستثنا
ايضا متصل ومن اتخذ يحتمل ان يراد به الشافع او المشفوع
له **عهدا** يريد به الايمان والاعمال الصالحة ويحتمل ان يريد
به الاذن في الشفاعة وهذا ارجح لقوله لا تنفع الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن والظاهر ان ذلك اشارة الي شفاعة
سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم في الموقف حين ينفرد
بها ويقول غيره من الانبيا نفسي نفسي **شيا ادا** اي شنيعا
صعبا **يتفطرن منه** يتشققن من قول الكفار اتخذ الله ولدا

هدا اي انهدا اسا ان دعوا اي من اجل ان دعو للرحمن ولدا وقري
ولدا بضم الواو واسكان اللام وهي لغة ان كل من في السموات
والارض رد علي مقالة الكفار والمعني ان الكل عبيده فكيف
يكون احد منهم ولدا له وان نافية وكل مبتدا وخبره اتي
الرحمن سيجعل لهم الرحمن ودا هي المحبة والقبول الذي
يجعله الله في القلوب لمن شا من عباده وقيل انما نزلت في علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه يسرناه الضمير للقران وبلسانك
اي بلغتك قوما لدا جمع الد وهو الشديد الخصومة والمجادلة
والمراد بذلك قريش وقيل معناه فجارا او تسمع لهم ركزا
هو الصوت الخفي والمعني انهم لم يبق منهم اثر وفي ذلك تهديد
لقريش

سورة طه

قيل في طه انه من اسما النبي صلي الله عليه وسلم وقيل
معناه يا رجل وانظر الكلام علي حروف الهجا في اول سورة
البقره ما انزلنا عليك القران لتشقي قيل ان النبي صلي
الله عليه وسلم قام في الصلاة حتي تورمت قدماه فنزلت
الاية تخفيفا عنه فالشقا علي هذا افراط التعب في العباده
وقيل المراد به التاسف علي كفر الكفار واللفظ عام في ذلك
كله والمعني انه نفي عنه جميع انواع الشقا في الدنيا والاخرة
لانه انزل عليه القران الذي هو سبب السعاده الا تذكرة
نصب علي الاستثنا المنقطع واجاز ابن عطية ان يكون بدلا
من موضع لتشقي اذ هو في موضع مفعول من اجله ومنع
ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسين ويصح ان ينتصب بفعل
مضمر تقديره انزلناه تذكره تنزيلا نصب علي المصدرية
والعامل فيه مضمر او ما انزلنا وبدا السورة بلفظ المتكلم
في قوله ما انزلنا ثم رجع الي الغيبة في قوله تنزيلا

ممن

ممن خلق الارض الاية وذلك هو الالتفات والسموات العلي
جمع عليا علي العرش استوي تكلمنا عليه في الاعراف الثرا هو
في اللغة التراب الندي والمراد به هنا الارض وان تجهر مطابقة
هذا الشرط لجوابه كانه قال يقول ان جهرت او اخفيت فانه
يعلم ذلك لانه يعلم السر واخفي السر الكلام الخفي والاخفي
ما في النفس وقيل السر ما في نفوس البشر والاخفي ما انفرد
الله بعلمه الاسما الحسني تكلمنا عليها في الاعراف وهل اتاك
لفظ استفهام والمراد به التنبيه اذ راء العامل في اذ حديث
لان فيه معني الفعل وكان من قصة موسي انه رحل باهله
من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج الي نار فقدحه
بزناده فلم يقدح فرا نارا فقصد اليها فناداه الله وارسله
الي فرعون انست نارا اي رايت بقبس هو الجذوة من النار
تكون علي راس العود والقصبة ونحوها او اجد علي النار هدي
يعني هدي الي الطريق من دليل او غيره فاخلع نعليك
قيل انما امر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميته فامر
بخلع النجاسة واختار ابن عطية ان يكون امر بخلعهما لينال ادب
ويعظم البقعة المباركه ويتواضع في مقام مناجات الله وهذا
احسن الواد المقدس اي المطهر طوي في معناه قولان احدهما
انه اسم للوادي واعرابه علي هذا بدل ويجوز تنوينه علي
انه مكان وترك صرفه علي انه بقعة والثاني ان معناه مرتين
فاعرابه علي هذا مصدر اي قدس الوادي مرة بعد مرة
او نودي موسي مرة بعد مرة واقم الصلاة لذكري قيل
المعني لتذكرني فيها وقيل لاذكرك بها فالمصدر علي الاول
مضاف للمفعول وعلي الثاني مضاف للفاعل وقيل معني
لذكري عند ذكري كقوله اقم الصلاة لدلوك الشمس

اي عند دلوك الشمس وهذا ارجح لان النبي صلي الله عليه وسلم استدل بالاية علي وجوب الصلاة علي الناسي اذا ذكرها **اكاد اخفيها** اضطرب الناس في معناه فقيل اخفيها بمعني اظهرها واخفيت علي هذا من الاضداد قال ابن عطية هذا قول مختل وذلك ان المعروف في اللغة ان يقال اخفي بالالف من الاخفى وخفي بغير الف بمعني اظهر فلو كانت بمعني الظهور لقال اخفيها بفتح همزة المضارع وقد قرئ بذلك في الشاذ وقال الزمخشري قد جا في بعض اللغات اخفي بمعني خفي اي اظهر فلا يكون هذا القول مختلا علي هذه اللغة وقال اكاد بمعني اريد فالمعني اريد اخفاها وقيل ان المعني ان الساعة اتية اكاد وتم هنا الكلام بمعني اكاد انفذها لقربها ثم استانف الاخبار فقال اخفيها وقيل المعني اكاد اخفيها عن نفسي فكيف منكم وهذه الاقوال ضعيفة وانما الصحيح ان المعني ان الله ابهم وقت الساعة فلم يطلع عليه احدا حتي انه كاد ان يخفي وقوعها لابهام وقتها ولكنه لم يخفها اذ اخبر بوقوعها فالاخفى علي معناه المعروف في اللغة وكاد علي سبيلها من مقاربة الشي دون وقوعه وهذا المعني هو اختيار المحققين **لتجزي** يتعلق باتية **بما تسعي** اي بما تعمل **فلا يصدنك عنها** الضمير للساعة اي لا يصدنك عن الايمان بها والاستعداد لها وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد والخطاب لموسي عليه السلام وقيل لمحمد صلي الله عليه وسلم وذلك بعيد **فتردي** معناه تهلك والردي هو الهلاك وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدنك **وما تلك بيمينك ياموسي** انما ساله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية فمعني السوال تقرير انها عصي فتبين له

الفرق بين حالها قبل ان يقلبها وبعد ان قلبها وقيل انما ساله ليونسه ويبسطه بالكلام **واهش بها علي غنمي** معناه اضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم **مارب** اي حوايج **حية تسعي** اي تمشي **سيرتها الاولي** يعني انه لما اخذها عادت كما كانت اول مرة وانتصب سيرتها علي انه ظرف او مفعول باسقاط حرف الجر **واضمم يدك الي جناحك** الجناح هنا الجنب اي تحت الابط وهو استعارة من جناح الطاير **تخرج بيضا** روي ان يده خرجت وهي بيضا تضي كالشمس **من غير سوء** يريد من غير برص ولا عاهة **لنريك من اياتنا الكبري** يحتمل ان يكون الكبري مفعول لنريك وان تكون صفة للايات ويختلف المعني علي ذلك **اشرح لي صدري** ان قيل لم قال اشرح لي ويسر لي مع ان المعني يصح دون قوله لي فالجواب ان ذلك تاكيد وتحقيق للرغبة **واحلل عقدة من لساني** العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فمه وهو صغير حين اراد فرعون ان يجربه وانما قال عقدة بالتنكير لانه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة **وزيرا** اي معينا واعراب هارون بدل او مفعول اول **ازري** اي ظهري والمراد القوة ومنه فازره اي قواه **قال قد اوتيت سولك** اي قد اعطيناك كلما طلبت من الاشيا المذكوره **اذ اوحينا الي امك** يحتمل ان يكون وحي كلام بواسطة ملك او وحي الهام كقوله واوحي ربك الي النحل **ما يوحي** ابهام يراد به تعظيم الامر **ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم** الضمير الاول لموسي والثاني للتابوت او لموسي واليم البحر والمراد به هنا النيل وكان فرعون قد ذكر له ان هلاكه وخراب ملكه علي يد غلام من بني اسرايل فامر بذبح كل ولد

ذكر يولد لهم فاوحى الله الى ام موسى ان تلقيه في التابوت
وتلقي التابوت في البحر ففعلت ذلك وكان فرعون في موضع
مشرف على النيل فراى التابوت فامر به فسيق اليه وامراته
معه ففتحه فاشفقت عليه امراته وطلبت ان تتخذه ولدا
فاباح لها ذلك **ياخذه عدو لي وعدو له** هو فرعون **محبة
مني** اي احببتك وقيل اراد محبة الناس فيه اذ كان لا يراه
احد الا احبه وقيل اراد محبة امراة فرعون ورحمتها له
وقوله مني يحتمل ان يتعلق بقوله القيت او يكون صفة
لمحبة فيتعلق بمحذوف **ولتصنع على عيني** اي تربى ويحسن
اليك بمرئ مني وحفظ والعامل في لتصنع محذوف **اذ
تمشي اختك** العامل في اذ تصنع او القيت او فعل مضمر
تقديره ومننا عليك **فتقول هل ادلكم على من يكفله**
كان لا يقبل ثدي امراة فطلبوا له مرضعة فقالت اخته
ذلك ليردوه الى امه **وقتلت نفسا** يعني القبطي الذي
وكزه فقضى عليه **فنجيناك من الغم** يعني الخوف من ان
يطلب بثار المقتول **وفتناك فتونا** اي اختبرناك اختبارا
حتى ظهر منك انك تصلح للنبوة والرسالة وقيل خلصناك
من محنة بعد محنة لانه خلصه من الذبح ثم من البحر ثم من
القصاص بالقتل والفتون يحتمل ان يكون مصدرا او جمع
فتنة **فلبثت سنين** يعني الاعوام العشرة التي استاجره
فيها شعيب **جئت على قدر** اي بميقات محدود قدره الله
لنبوتك **واصطنعتك لنفسي** عبارة عن الكرامة والتقريب
اي استخلصتك وجعلتك موضع صنعتي واحساني
ولا تنيا اي لا تضعفا ولا تقصرا والونى هو الضعف
عن الامور والتقصير فيها **ان يفرط** اي يعجل بالشر فارسل

منا

فارسل معنا بني اسرائيل اي سرحهم وكانوا تحت يد فرعون وقومه
فكانت رسالة موسى الى فرعون بالايمان بالله وتسريح بني اسرائيل
ولا تعذبهم كان يعذبهم بذبح ابنائهم وتسخيرهم في خدمته
واذلالهم **قد جئناك باية** يعني قلب العصا حية واخراج
اليد بيضاء وانما وحدها وهما اثنان لانه اراد اقامة البرهان
وهو معنى واحد **والسلام على من اتبع الهدى** يحتمل ان يريد
التحية او السلامة **قال فمن ربكما يا موسى** افرد موسى بالنداء
بعد جمعه مع اخيه لانه الاصل في النبوة واخوه تابع له
الذي اعطى كل شيء خلقه المعنى ان الله اعطى خلقه كل شيء
اليه لخلقه على هذا بمعنى المخلوقين واعرابه مفعول اول
وكل شيء مفعول ثان وقيل المعنى اعطى كل شيء خلقته وصورته
اي اكمل ذلك واتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة واعرابه
مفعول ثان وكل شيء مفعول اول والمعنى الاول احسن
ثم هدى اي هدى خلقه الى التوصل لما اعطاهم وعلمهم
كيف ينتفعون به **قال فما بال القرون** يحتمل ان يكون سواله
عن القرون الاولى محاجة ومناقضة لموسى اي ما بالها
لم تبعث كما زعم موسى في قوله ان العذاب على من كذب وتولى
ويحتمل ان يكون ذلك قطعا للكلام الاول وروغانا عنه
وحيدة لما راى انه مغلوب بالحجة ولذلك اضرب موسى عن
الكلام في شانها فقال علمها عند ربي ثم عاد الى وصف
الله رجوعا الى الكلام الاول **في كتاب** يعني اللوح المحفوظ
الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وانظر كيف وصفه
موسى ربه تعالى باوصاف لا يمكن فرعون ان يتصف بها
لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ولو قال له هو
القادر والرازق وشبه ذلك لامكن فرعون ان يغالطه

ويدعي ذلك لنفسه وسلك لكم فيها سبلا اي نهج لكم فيها طرقا تمشون
فيها فاخرجنا يحتمل ان يكون من كلام موسي علي تقدير يقول
الله عز وجل فاخرجنا ويحتمل ان يكون كلام موسي تم عند قوله
وانزل من السما ما ثم ابتدا كلام الله به ازواجا من نبات شتي
اي اصنافا مختلفة كلوا وارعوا انعامكم المعني انها تصلح لان
توكل وترعي فيها الانعام وعبر عن ذلك بصيغة الامر لانه
اذن في ذلك فكانه امر به لاولي النهي اي العقول واحده
نهية منها خلقناكم الضمير للارض يريد خلقة ادم من تراب
وفيها نعيدكم يعني بالدفن عند الموت ومنها نخرجكم يعني
يعني عند البعث اريناه اياتنا يعني الايات التي راها فرعون
وهي تسع ايات وليس يريد جميع ايات الله علي العموم
فالاضافة في قوله اياتنا تجري مجري التعريف بالعهد اي
اي اياتنا التي اعطينا موسي كلها وانما اضافها الله الي نفسه
تشريفا فاجعل بيننا وبينك موعدا يحتمل الموعد ان يكون
اسم مصدر او اسم زمان او اسم مكان ويدل علي انه اسم
مكان الموعد علي انه اسم مكان قوله مكانا سوي ولا يضعف
بقوله موعدكم يوم الزينة لانه اجاب بظرف الزمان ويدل
علي ان الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف
بقوله مكانا سوي ويدل علي انه اسم مصدر بمعني الوعد
قوله لا نخلفه لان الاخلاف انما يوصف به الوعد لا الزمان
ولا المكان ولا لمن يضعف ذلك بقوله مكانا وبقوله يوم
الزينة فلا بد علي كل وجه من تاويل او اضمار ويختلف
اعراب قوله مكانا باختلاف تلك الوجوه فاما ان كان
الموعد اسم مكان فيكون قوله موعدا ومكانا مفعولين
لقوله اجعل ويطابقه قوله يوم الزينة من طريق المعني

لامن

لا من طريق اللفظ وذلك ان الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة وان
كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا علي انه ظرف زمان والتقدير
موعدا كائنا في مكان وان كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا علي
انه مفعول بالمصدر وهو الموعد او بفعل من معناه ويطابقه قوله
يوم الزينة علي حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة
وقرا الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق ان يكون الموعد
اسم مصدر من غير تقدير محذوف مكانا سوي معناه مستوي
القرب منا ومنكم وقيل معناه مستو في الارض ليس فيه انخفاض
ولا ارتفاع وقري بكسر السين وضمها ومعناه متفق يوم الزينة
يوم عيد لهم وقيل يوم عاشورا وان يحشر عطف علي الزينة فهو
في موضع خفض او علي اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسي ان
يكون موعدهم عند اجتماع الناس علي روس الاشهاد لتظهر
معجزته ويستبين الحق للناس فيسحتكم معناه يهلككم ويقال
سحت واسحت وقد قري بفتح اليا وضمها والمعني متفق قالوا
ان هذان لساحران قري ان هذين باليا ولا اشكال في ذلك
وقري بتخفيف ان وهي مخففة من الثقيلة وارتفع بعدها هذان
بالابتدا واما قراة نافع وغيره بتشديد ان ورفع هذان فقيل
ان هنا بمعني نعم فلا تنصب ومنه ما روي في الحديث ان الحمد
لله بالرفع وقيل اسم ان ضمير الرفع والشان تقديره انه الامر
وهذان لساحران مبتدا وخبره في موضع خبر ان وقد جا
القران في هذه الاية بلغة بني الحرث بن كعب وهو القا التثنية
بالالف حال النصب والخفض وقالت عايشة رضي الله عنها
هذا مما لحن فيه كتاب المصحف ويذهبا بطريقتكم المثلي
اي يذهبا بسيرتكم الحسنة فاجمعوا كيدكم واعزموا وانفذوه
يخيل اليه من سحرهم انها تسعي استدل بعضهم بهذه الاية

على ان السحر تخييل لا حقيقة وقال بعضهم ان حيلة السحر في سعي
الحبال والعصي هي انهم حشوها بالزيبق واوقدوا تحتها نارا او غطوا
النار لئلا يراها الناس ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم وقيل جعلوها
للشمس فلما احس الزيبق بحر النار او الشمس سال وهو في حشو
الحبال والعصي فحملها فتخيل الناس انها تمشي فالقي موسى عصاه
فصارت ثعبانا فابتلعتها انما صنعوا كيد ساحر هنا موصولة
وهي اسم ان وكيد خبرها امنا برب هارون وموسى قدم هارون
لتعادل رؤس الاي من خلاف اي تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
والذي فطرنا معطوف على ما جاءنا من البينات وقيل هي واو القسم
هذه الحياة نصب على الظرفية اي انما قضاؤك في هذه الدنيا
انه من يات ربه مجرما قيل ان هذا وما بعده من كلام السحرة
لفرعون على وجه الموعظة وقيل هو من كلام الله ان اسر بعبادي
يعني بني اسرايل واضافهم الى نفسه تشريفا لهم وكانوا ايما
قبل سماية يبسا اي يابسا وهو مصدر وصف به لا تخاف دركا
ولا تخشى اي لا تخاف ان يدركك فرعون وقومه ولا تخشى الغرق في
البحر ما غشيهم ابهام لقصد التهويل وما هدى ان قيل ان قوله
واضل فرعون قومه يغني عن قوله وما هدى فالجواب انه مبالغة
وتاكيد وقال الزمخشري هو تهكم بفرعون في قوله وما اهديكم الا
سبيل الرشاد يا بني اسرايل خطاب لهم بعد خروجهم من البحر
واغراق فرعون وقيل هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاول اظهر وواعدناكم جانب الطور
الايمن لما اهلك الله فرعون وجنوده امر موسى وبني اسرايل ان
يسيروا الى جانب طور سينا ليكلم فيه ربه والطور هو الجبل
واختلف هل هذا الطور هو الذي راى فيه النار في اول نبوته
او هل هو غيره ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكر في البقرة

فقد

فقد هوى اي هلك وهو استعارة من السقوط من علو الى سفل واني
لغفار لمن تاب المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمومن الذي
لم يتب في مشية الله عند اهل السنة وقالت المعتزلة لا يغفر الا لمن
تاب ثم اهتدى اي استقام ودام على الايمان والتوبة والعمل الصالح
ويحتمل ان يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في قلب
من تاب وامن وعمل صالحا وما اعجلك عن قومك يا موسى قصص
هذه الاية ان موسى عليه السلام لما امره الله ان يسير هو وبنوا
اسرايل الى الطور تقدم هو وحده مبادرة الى امر الله وطلبا لرضاه
وامر بني اسرايل ان يسيروا بعده واستخلف عليهم اخاه هارون
فامرهم السامري حينئذ بعبادة العجل فلما وصل موسى الى
الطور دون قومه قال الله له تعالى ما اعجلك عن قومك وانما
سال الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى م
بانهم ياتون على اثره فيخبره بما صنعوا بعده من عبادة العجل
وقيل ساله على وجه الانكار لتقدمه وحده دون قومه
فاعتذر موسى بعذرين احدهما ان قومه على اثره اي قريب منه
فلم يتقدم عليهم بكثير يوجب العتاب والثاني انه انما تقدم طلبا
لرضا الله واضلهم السامري كان السامري رجلا من بني اسرايل
يقال انه ابن خال موسى وقيل لم يكن منهم وهو منسوب الى قرية
بمصر يقال لها سامرة وكان ساحرا منافقا فرجع موسى الى
قومه يعني رجع من الطور بعد اكمال الاربعين يوما التي كلمه الله
فيها اسفا ذكر في الاعراف الم يعدكم ربكم وعدا حسنا يعني
ما وعدهم من الوصول الى الطور افطال عليكم العهد وهذا
الكلام توبيخ بملكنا قرئ بالفتح والضم والكسر ومعناه ما اخلفنا
موعده فان ملكنا امرنا ولكن غلبنا بكيد السامري ويحتمل
انهم اعتذروا بانه قد دنفهم رطاقتهم ويناسب هذا المعنى

وانقلة ملكهم لانفسهم وعدم توفيقهم
القراة بضم الميم اواعند د
للراي الشديد ويناسب هذا المعني القراة بالفتح والكسر **حملنا**
اوزارا من زينة القوم الاوزار هنا الاحمال سميت اوزارا لثقلها
اولانهم اكتسبوا بسببها الاوزار اي الذنوب هي حلي القبط قوم فرعون
كانوا بنو اسرايل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم وقيل اخذوه
بعد هلاكهم فقال لهم السامري اجمعوا هذا الحلي في حفرة
حتي يحكم الله فيه ففعلوا ذلك واوقد السامري نارا علي الحلي
وصاغ منه وقيل بل خلق الله منه العجل من غيران يصنعه السامري
ولذلك قال لموسي قد فتنا قومك من بعدك **فقذفناها** اي
قذفنا احمال الحلي في الحفرة **فكذلك القي السامري** كان السامري
قد راي جبريل عليه السلام فاخذ من وطي فرسه قبضة
من تراب والقي الله في نفسه انه اذا جعلها علي شي موات
صار حيوانا فالقاها علي العجل فخار العجل اي صاح صياح العجول
فالمعني انهم قالوا لما القينا الحلي في الحفرة القي السامري قبضة
جسدا اي جسما بلا روح والخوار صوت البقر **فقالوا هذا الهكم**
اي قال ذلك بنو اسرايل بعضهم لبعض **فنسي** يحتمل وجهين
احدهما ان يكون من كلام بني اسرايل والفاعل موسي اي نسي
موسي الاله هنا وذهب يطلبه في الطور والنسيان علي هذا
بمعني الذهول **افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا** معناه لا يرد عليهم
كلاما اذا كلموه وذلك رد عليهم في دعوي الربوبية له وقري
يرجع بالرفع وان مخففة من الثقيلة وبالنصب هي مصدرية
قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني لا زايده
للتاكيد والمعني ما منعك ان تتبعني في المشي الي الطور او
تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم
بمن لم يعبده **قال يا ابن ام** ذكر في الاعراف **لا تاخذ بلحيتي ولا براسي**
كان

كان موسي قد اخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بنوا
اسرايل قد عبدوا العجل **اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل**
اي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم
واوقعت العداوة بينهم وهذا علي معني ان يكون معني قوله
تتبعني في الزجر والقتال اي لو اتبعتك في المشي الي الطور
لتبعني بعضهم دون بعض فتتفرق جماعتهم **ولم ترقب قولي**
يعني قوله له اخلفني في قومي واصلح **قال فما خطبك يا سامري**
اي قال موسي ما شانك ولفظ الخطب يقتضي انه يستعمل في
المكاره **قال بصرت بما لم يبصروا به** اي رايت ما لم يروه
يعني جبريل عليه السلام وفرسه **فقبضت قبضة من اثر**
الرسول اي قبضت قبضة من تراب من اثر فرس الرسول
وهو جبريل وقرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول وانما
سمي جبريل بالرسول لان الله ارسله الي موسي والقبضة
مصدر قبض واطلاقها علي المفعول من تسمية المفعول
بالمصدر كضرب الامير ويقال قبض بالضاد اذا اخذ باصابعه
وكفه وبالصاد المهملة اذا اخذ باطراف الاصابع وقد قري
بذلك في الشاذ **فنبذتها** اي القيتها علي الحلي فصار عجلا
او علي العجل فصار له خوار **ان لك في الحياة ان تقول لا مساس**
عاقب موسي السامري بان منع الناس من مخالطته ومجالسته
ومواكلته ومكالمته وجعل له مع ذلك اي يقول طول حياته
لا مساس اي لا مماسة ولا اذاية وروي انه كان اذا مسه
احد اصابته الحمي له وللذي مسه فصار هو يبعد عن الناس
والناس يبعدون عنه **وان لك موعدا** يعني العذاب في
الاخرة وهذا تهديد ووعيد اصله ظللت حذفت احدي
اللامين والاصل في معني ظل اقام بالنهار ثم استعمل في

الدوب علي الشي ليلا ونهارا لنحرقنه من الاحراق بالنار وقري
بفتح النون وضم الرا بمعني نبرده بالمبرد وقد حمل بعضهم قراة الجماعة
علي انها من هذا المعني لان الذهب لاينفني بالاحراق بالنار والصحيح
ان المقصود باحراقه بالنار اذابته وافساد صورته فيصح
حمل قراة الجماعة علي ذلك ثم لننسفنه في اليم نسفا اي
نلقيه في البحر والنسف تفريق الغبار ونحوه انما الهكم الله
الاية من كلام موسي لبني اسرايل كذلك نقص عليك مخاطبة
من الله تعالي لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وانبا ما قد سبق
اخبار المتقدمين ذكرا يعني القران من اعرض عنه يعني
اعراض تكذيب به وزرا الوزر في اللغة الثقل ويعني هنا
العذاب لقوله خالدين فيه او الذنوب لانها سبب العذاب
وسا لهم يوم القيامة حملا شبه الوزر بحمل لثقله قال
الزمخشري سا تجري مجري بيس ففاعلها مضمر يفسره
حملا وقال غيره فاعلها مضمر يعود علي الوزر يوم ينفخ
في الصور اي ينفخ الملك في القرن وقري ننفخ بالنون اي
بامرنا زرقا اي زرق الالوان كالسواد وقيل زرق العيون
من العمي يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اي يقول بعضهم
لبعض في السر ان لبثتم في الدنيا الا عشر ليال وذلك لاستقلالهم
مدة الدنيا وقيل يعنون لبثهم في القبور يقول امثلهم طريقة
ان لبثتم الا يوما اي يقول اعلمهم بالامور بالاضافة اليهم
ان لبثتم الا يوما واحدا فاستقل المدة اشد مما استقلها غيره
وينسفها اي يجعلها كالغبار ثم يفرقها فيذرها قاعا
صفصفا الضمير في فيذرها للجبال والمراد مواضعها من الارض
والقاع الصفصف المستوي من الارض الذي لا ارتفاع فيه
لا تري فيها عوجا المعروف في اللغة ان العوج بالكسر في

المعاني

المعاني وبالفتح في الاشخاص والارض شخص فكان الاصل ان يقال
فيها بالفتح وانما قاله بالكسر مبالغة في نفيه فان الذي في المعاني
ادق من الذي في الاشخاص فنفاه ليكون غاية في نفي العوج
من كل وجه ولا امتا الامت هو الارتفاع اليسير يتبعون الداعي
يعني الذي يدعو الخلق الي المحشر لا عوج له اي لا يعوج احد عن
اتباعه والمشي نحوه او لا عوج لدعوته لانها حق همسا هو
الموت الخفي لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن يحتمل ان
يكون الاستثنا متصلا ومن في موضع نصب بتنفع وهي واقعة
علي المشفوع له فالمعني لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن له
الرحمن في ان يشفع له وان يكون الاستثنا منقطعا ومن
واقعة علي الشافع والمعني لكن من اذن له الرحمن يشفع
ورضي له قولا ان اريد بمن اذن له الرحمن المشفوع فيه فاللام
في له بمعني لاجله اي رضي قول الشافع لاجل المشفوع فيه
وان اريد الشافع فالمعني رضي قوله في الشفاعة يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم الضميران لجميع الخلق والمعني ذكر في اية الكرسي
ولا يحيطون به علما قيل المعني بمعلوماته كقوله ولا يحيطون بشي
من علمه الا بما شا والصحيح عندي ان المعني لا يحيطون بمعرفة
ذاته اذ لا يعرف الله علي الحقيقة الا الله ولو اراد المعني الاول
لقال ولا يحيطون بعلمه ولذلك استثنا الا بما شا هنالك ولم
يستثن هنا وعنت الوجوه اي ذلت يوم القيامة ولا هضما
اي بخسا ونقصا لحسناته او يحدث لهم ذكرا اي تذكرا وقيل
شرفا وهو هنا بعيد ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضي
اليك وحيه اي اذا اقراك جبريل القران فاسمع اليه
واصبر حتي يفرغ وحينيذ تقراه انت فالاية كقوله لا تحرك
به لسانك لتعجل به وقيل كان النبي صلي الله عليه وسلم

اذا اوحي اليه القران يا مر بكتبه في الحين فا مر بان يتاني حتي
تفسر له المعاني والاول اشهر عهدنا الي ادم اي وصيناه
ان لا ياكل من الشجره فنسي يحتمل ان يكون النسيان الذي هو
ضد الذكر فيكون ذلك عذرا لادم او يريد الترك وقال ابن عطية
ولا يمكن غيره لان الناسي لا عقاب عليه وقد تقدم الكلام علي
قصة ادم وابليس في البقره فلا يخرجنكما من الجنة فتشقي
اي لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل السبب موضع السبب
وخص ادم بقوله فتشقي لانه كان المخاطب اولا والمقصود
بالكلام وقيل لان الشقا في معيشة الدنيا مختص بالرجال
لا تظما فيها ولا تضحي الظما هو العطش والضحي هو البروز
للشمس يخصفان ذكر في الاعراف وكذلك الشجرة واكل ادم
منها ذكر ذلك في البقره اهبطا خطاب لادم وحوا فاما
ياتينكم هي ان الشرطية دخلت علي ما الزايده وجوابها
فمن اتبع فلا يضل ولا يشقي اي لا يضل في الدنيا ولا يشقي
في الاخرة معيشة ضنكا اي ضيقة فقيل ان ذلك في الدنيا
فان الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وان كان واسع الحال
وقد قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر الله الا اظلم
عليه وقته وتكدر عليه عيشه وقيل ان ذلك في البرزخ
وقيل في جهنم باكل الزقوم وهذا ضعيف لانه ذكر بعد هذا يوم
القيامة وعذابها الاخرة ونحشره يوم القيامة اعمي اي
يعني اعمي البصر فنسيتها وكذلك اليوم تنسي من الترك
لا من الذهول ولعذاب الاخرة اشد وابقي اي عذاب جهنم
اشد وابقي من المعيشة الضنك ومن الحشر اعمي افلم يهد
لهم معناه افلم يتبين لهم والضمير لقريش والفاعل مقدر

تقديره

تقديره الم يهد لهم الهدي او الامر وقال الزمخشري الفاعل الجملة التي
بعده وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل ويدل عليه قراة الم
نهد بالنون وقال الكوفيون الفاعل كم يمشون في مساكنهم
يريد ان قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود ويعاينون اثار
هلاكهم لاولي النهي اي ذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما الكلمة هنا القضا السابق والمعني لولا قضي الله
بتاخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما اي واقعا بهم واجل مسمي
معطوف علي كلمة اي لولا الكلمة والاجل المسمي لكان لزاما
وانما اخره لتعدل روس الاي والمراد بالاجل المسمي يوم بدر
وبذلك ورد تفسير في البخاري وقيل المراد اجل الموت
وقيل القيامه وسبح يحتمل ان يريد بالتسبيح الصلاة او قول
سبحان الله وهو ظاهر اللفظ بحمد ربك في موضع الحال اي
وانت حامد لربك علي ان وفقك للتسبيح ويحتمل ان يكون
المعني سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون امرا بالجمع بين قول
سبحان الله وقول الحمد لله وقد قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم سبحان الله والحمد لله تملان ما بين السما والارض قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها اشارة الي الصلوات الخمس عند من
قال ان معني فسبح الصلاة والتي قبل طلوع الشمس الصبح
والتي قبل غروبها الظهر والعصر ومن انا الليل العشا الاخرة
واطراف النهار المغرب والصبح وكرر الصبح في ذلك تاكيدا
للامر بها وسمي الطرفين اطرافا لوجهين احدهما اما علي نحو
فقد صغت قلوبكما واما ان يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف
وانا الليل ساعاته واحدها انا ولا تمدن عينيك ذكر في الحجر
ومد العينين تطويل النظر ففي ذلك دليل علي ان النظر غير
الطويل معفو عنه زهرة الحياة الدنيا شبه نعم الدنيا

العذاب

لاحد

بالزهر وهو النوار لان الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل
وفي نصب زهرة خمسة اوجه ان ينتصب بفعل مضمر على
الذم او بتضمين متعنا معنى اعطينا ويكون زهرة مفعولا ثانيا
له او يكون بدلا من موضع الجار والمجرور او يكون بدلا من
ازواجا على تقدير ذوي زهرة او ينتصب على الحال
لنفتنهم فيه اي لنختبرهم **لا نسألك رزقا** اي لا نسألك ان
ترزق نفسك ولا اهلك فتفرغ انت واهلك للصلاة فنحن
نرزقك وكان بعض السلف اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امركم الله ويتلو هذه الاية **اولم تأتهم
بينة ما في الصحف الاولى** البينة هنا البرهان والصحف الاولى
هي التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله والضمير في قالوا
وفي اولم تأتهم لقريش لما اقترحوا اية على وجه العناد
والتعنت اجابهم الله بهذا الجواب والمعنى قد جاءكم برهان ما في
التوراة والانجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلاي
شيء تطلبون اية اخرى ويحتمل ان يكون المعنى قد جاءكم القران
وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الاولى فذلك
بينة وبرهان على انه من عند الله **ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله** الاية معناها لو اهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد
صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بان يقولوا لولا
ارسلت الينا رسولا ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة
ببعثه صلى الله عليه وسلم **قل كل متربص** اي كل واحد
منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا **فتربصوا** تهديد
الصراط السوي المستقيم **سورة الانبيا عليهم السلام**
اقترب للناس حسابهم الناس لفظ عام وقال ابن عباس
اراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك فانه

من

من صفاتهم وانما اخبر عن الساعة بالقرب لان الذي مضى من الزمان
قبلها اكثر مما بقي فيها ولكن كل ات قريب **ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث** يعني بالذكر القران ومحدث اي محدث النزول
واسروا النجوى الذين ظلموا الواو في اسروا ضمير فاعل
يعود على ما قبله والذين ظلموا بدل من الضمير وقيل ان
الفاعل هو الذين ظلموا وجاء ذلك على لغة من قال اكلوني البراغيث
وهي لغة بني الحرث بن كعب وقال سيبويه لم تات هذه اللغة
في القران ويحتمل ان يكون الذين ظلموا منصوبا بفعل مضمر
على الذم او خبرا ابتدا مضمر والاول احسن **هل هذا الا بشر
مثلكم** هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى لانه هو
الكلام الذي تناجوا به والبشر المذكور في الاية هو سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم **قل ربي يعلم القول** فانه سمع
ما تناجوا به على انهم اسروه فان قيل هلا قال يعلم السر
مناسبة لقوله السر والنجوى فالجواب ان القول يشمل
السر والجهر فحصل في ذكره السر وزيادة **بل قالوا اضغاث
احلام** اي اخلاط منامات وحكى عنهم هذه الاقوال الكثيرة
ليظهر اضطراب امرهم وبطلان اقوالهم **كما ارسل الاولون**
اي كما جاء الرسل المتقدمون بالايات فليأتنا محمد باية فالتشبيه
في الاتيان بالمعجزات **ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها**
لما قالوا فليأتنا باية اخبرهم الله ان الذين من قبلهم طلبوا
الايات فلما راوها ولم يؤمنوا هلكوا **ثم قال افهم لا يؤمنون**
اي حالهم في عدم الايمان وفي الهلاك كحال من قبلهم ويحتمل
ان يكون المعنى ان كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون
على هذا جوابا لقولهم فليأتنا باية بل يكون اخبارا مستانفا

علي وجه التهديد واهلكناها في موضع الصفة لقرية والمراد
اهل القرية وما ارسلنا قبلك الا رجالا رد علي قولهم هل
هذا الا بشر مثلكم والمعني ان الرسل المتقدمين رجالا من
البشر فكيف تنكرون ان يكون هذا الرجل رسولا اهل الذكر
يعني احبار اهل الكتاب وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام اي ما جعلنا الرسل اجسادا غير طاعمين و وحد الجسد
لارادة الجنس ولا ياكلون الطعام صفة لجسد وفي الاية
رد علي قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ومن نشا يعني
المومنين فيه ذكركم اي شرفكم وقيل تذكيركم قصمنا
اي اهلكنا واصله من قصم الظهر اي كسره من قرية يريد
اهل القرية قال ابن عباس هي قرية باليمن يقال لها حضور
بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر ملك
بابل فاهلكهم بالقتل وظاهر اللفظ علي العموم لان كم للتكثير
فلا يريد قرية معينة يركضون عبارة عن فرارهم فيحتمل
ان يكونوا ركبوا الدواب وركضوها للشروع الجري او شبهوا
في سرعة جريهم علي ارجلهم بمن يركض الدابة لا تركضوا
اي قيل لهم لا تركضوا والقايل لذلك هم الملايكة قالوه تهكما
بهم او رجال بخت نصر اذ كانت في القرية المعينة قالوا ذلك
لهم خدعا ليرجعوا فيقتلوهم اترفتم اي نعمتم لعلكم تسالون
تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الي نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسالون
عما جري عليكم ويحتمل تسالون بمعني يطلب لكم الناس
معروفكم وهذا ايضا تهكم قالوا يا ويلنا الاية اعتراف وندم
حين لم ينفعهم حصيدا خامدين شبهوا في هلاكهم بالزرع
المحصود ومعني خامدين موتي وهو تشبيه بخمود النار
لاعبين حال منفية اي ما خلقنا السموات والارض لاجل اللعب

بل

بل للاعتبار بهما والاستدلال علي صانعهما لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا اللهو في لغة اليمن الولد وقيل المراة و من
لدنا اي من الملايكة فالمعني علي هذا لو اردنا ان نتخذ ولدا
لاتخذناه من الملايكة لا من بني ادم فهو رد علي من قال المسيح
ابن الله وعزير ابن الله والظاهر ان اللهو بمعني اللعب لاتصاله
بقوله لاعبين وقال الزمخشري المعني لو اردنا ان نتخذ لهوا
لكان ذلك في قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لانه مناقض
للحكمة وفي كلا القولين ان كنا فاعلين يحتمل ان تكون شرطية
وجوابها فيما قبلها او نافية والاول اظهر نقذف بالحق علي
الباطل الحق عام في القران والرسالة والشرع وكلما هو حق
والباطل عام في اضداد ذلك فيدمغه اي يقطعه ويبطله
واصله من اصابة الدماغ ومن عنده يعني الملايكة ولا يستحسرون
اي لا يعيون ولا يملون ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون
ام هنا للاضراب عما قبلها والاستفهام علي وجه الانكار لما بعدها
ومن الارض يتعلق بينشرون والمعني ان الالهة التي اتخذها
المشركون لابد دون ان ينشروا الموتي من الارض فليست
في الحقيقة بالهة لان من صفة الاله القدرة علي الاحيا والاماتة
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا هذا برهان علي وحدانية الله
تعالي والضمير في قوله فيهما للسموات والارض والا الله صفة للالهة
والا بمعني غير فاقتضي الكلام امرين احدهما نفي كثرة الالهة ووجوب
ان يكون الاله واحدا والامر الثاني ان يكون ذلك الواحد هو
الله دون غيره ودل علي ذلك قوله الا الله واما الاول فكانت الاية
تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة وقال كثير من الناس في
معني الاية انها دليل علي التمانع الذي اورده الاصوليون
وذلك انا لو فرضنا الهين فاراد احدهما شيا واراد الاخر نقيضه

فاما ان تنفذ ارادة كل واحد منهما وذلك محال لان النقيضين لا يجتمعان
واما ان تنفذ ارادة واحد منهما وذلك ايضا محال لان النقيضين
لا يرتفعان معا ولان ذلك يودي الي عجزهما وقصورهما فلا يكونان
المعين واما واحد وهذا الدليل ان سلمنا حجته فلفظ الاية
لا يطابقه بل الظاهر من اللفظ استدلال اخراصح من دليل
التمانع وهو انه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لما يحدث بينهما
من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة الا ترى
انه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ولا واليان لخمسة
واحدة لا يسيل عما يفعل لانه مالك كل شي والمالك يفعل في
ملكه كيف يشا ولانه حكيم فافعاله كلها جارية علي الحكمة
وهم يسيلون لفقد العلتين **ام اتخذوا من دونه الهة** كرر
هذا الانكار استفظاعا للشرك ومبالغة في تقبيحه لان قبله من
صفة الله ما يوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز
المشركين وانهم ليس لهم علي الشرك برهان لا من جهة العقل
ولا من جهة الشرع **هاتوا برهانكم** تعجيز لهم وقد تكلمنا علي
هاتوا في البقرة **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** رد علي
المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي
ليس فيها ما يقتضي الاشراك بالله بل كلها متفقة علي التوحيد
وما ارسلنا الاية رد علي المشركين والمعنى ان كل رسول انما
اتى بلا اله الا الله **عباد مكرمون** يعني الملايكة وهم الذين قال
فيهم بعض الكفار انهم بنات الله فوصفهم بالعبودية لانها تناقض
البنوة ووصفهم بالكرامة لان ذلك هو الذي غرّ الكفار حتى قالوا
فيهم ما قالوا **لا يسبقونه بالقول** اي لا يتكلمون حتى يتكلم هو
تادبا معه **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** ان يشفع له ويحتمل
ان تكون هذه الشفاعة في الاخرة او في الدنيا وهي استغفارهم

لمن

لمن في الارض **مشفقون** خايفون **ومن يقل منهم** الاية علي فرض
ان لو قالوا ذلك ولكنهم لا يقولونه وانما مقصد الاية الرد علي
المشركين وقايل ان الذي قال اني اله هو ابليس لعنه الله
كانتا رتقا ففتقناهما الرتق مصدر وصف به ومعناه الملتصق
بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح والفتق الفتح فقيل
كانت السموات ملتصقة بالارض ففتقها الله بالهوى وقيل
كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والارضون كذلك
ففتقها الله سبعا سبعا والروية في قوله اولم ير وعلى
هذا روية قلب وقيل فتق السما بالمطر والارض بالنبات
والروية علي هذا روية عين **وجعلنا من الماء كل شي حي**
اي خلقنا من الما كل حيوان ويعني بالما المني وقيل الما الذي
يشرب لانه سبب لحياة الحيوان ويدخل في ذلك النبات
باستعارة **رواسي** يعني الجبال **ان تميد** تقديره كراهة
ان تميد **فجاجا** يعني الطرق الكبار واعرابه عند الزمخشري
حال من السبل لانه صفة تقدمت علي النكرة **لعلهم يهتدون**
يعني في طرقهم وتصرفاتهم **سقفا محفوظا** اي حفظ من السقوط
ومن الشياطين **عن اياتها** يعني الكواكب والامطار والرعد والبرق
وغير ذلك **في فلك يسبحون** التنوين في كل عوض عن الاضافة
اي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار
اذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك فالجملة في موضع
حال من الشمس والقمر وساير الكواكب السيارة وعبر عنها
بضمير الجماعة العقلا في قوله يسبحون لانه وصفهم بفعل
العقلا وهو السبح فان قيل كيف قال في فلك وهي افلاك
كثيرة فالجواب انه اراد كل واحد يسبح في فلكه وذلك كقولهم
كساهم الامير حلة اي كسا كل واحد منهم حلة ومعنى الفلك

جسم مستدير وقال بعض المفسرين انه من موج وذلك بعيد والحق
انه لا تعلم صفته وكيفيته الا باخبار صحيح عن الشارع وذلك
غير موجود ومعني يسبحون يجرون او يدورون وهو مستعار
من السبح بمعني العوم في الما وقوله في فلك من المقلوب الذي
يقرا من الطرفين **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** سببها ان
الكفار طعنوا علي النبي صلي الله عليه وسلم بانه بشر يموت
وقيل انهم تمنوا موته ليشمتوا به وهذا السبب لما بعده **افان
مت فهم الخالدون** موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وقدمت
لان الاستفهام له صدر الكلام **كل نفس ذايقة الموت** اي
كل نفس مخلوقة لابد لها ان تذوق الموت والذوق هنا استعارة
ونبلوكم بالشر والخير اي نختبركم بالفقر والغنا والصحة والمرض
وغير ذلك من احوال الدنيا ليظهر الصبر علي الشر والشكر
علي الخير او خلاف ذلك **فتنة** مصدر من معني نبلوكم **اهذا
الذي يذكر الهتكم** اي يذكرهم بالذم دلت علي ذلك قرينة
الحال فان الذكر قد يكون بذم او مدح والجملة تفسير للهزا
اي يقولون اهذا الذي **يذكر الرحمن هم كافرون** الجملة في
موضع الحال اي كيف ينكرون ذلك لالهتهم وهم
يكفرون بالرحمن فهم احق بالملامة وقيل معني يذكر
الرحمن تسميته بهذا الاسم لانهم انكروها والاول اعرق
في ضلالهم **خلق الانسان من عجل** خلق شديد الاستعجال
وجاءت هذه العبارة للمبالغة كقولهم خلق حاتم من جود
والانسان هنا جنس وسبب الاية ان الكفار استعجلوا الايات
التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه فذكر الله هذا توطية
لقوله فلا تستعجلون وقيل المراد هنا ادم لانه لما وصل
الروح الي صدره اراد ان يقوم وهذا ضعيف وقيل

من

من عجل اي من طين وهذا ضعيف **سأريكم اياتي** وعيد وجواب
علي ما طلبوه من الايات التعجيل **ويقولون** الاية تفسير لاستعجالهم
الوعد بالقيامة او نزول العذاب بهم **لو يعلم** جواب لو
محذوف **حين** مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي يحيط
بهم العذاب لامنوا وما استعجلوا **بل تاتيهم** الضمير الفاعل للنار
وقيل للساعة **فتبهتهم** اي تفجاهم **ولا هم ينظرون** اي
لا يوخرون عن العذاب **ولقد استهزي** الاية تسلية بالتاسي
فحاق اي احاط **من يكلوكم** اي من يحفظكم من امر الله ومن
استفهامية والمعني تهديد واقامة حجة لانهم لو اجابوا عن
هذا السوال لاعترفوا انهم ليس لهم مانع ولا حافظ ثم جا قوله
بل هم عن ذكر ربهم معرضون بمعني انهم اذا سيلوا عن ذلك
السوال لم يجيبوا عنه لانهم تقوم عليهم الحجة ان اجابوا ولكنهم
يعرضون عن ذكر الله اي عن الجواب الذي فيه ذكر الله وقال
الزمخشري معني الاضراب هنا انهم معرضون عن ذكره فضلا
عن ان يخافوا باسه **ام لهم الهة تمنعهم من دوننا** اي تمنعهم
عن العذاب وام هنا للاستفهام والمعني الانكار والنفي وذلك
انه لما سالهم عن من يكلوهم اخبر بعد ذلك ان الهتهم لا تمنعهم
ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله لا يستطيعون نصر
انفسهم فان من لا ينصر نفسه اولي ان لا ينصر غيره **ولا هم
منا يصحبون** الضمير للكفار اي لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ
بل متعنا هولا وابا هم اي متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا
فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله والاضراب ببل عن معني الكلام
المتقدم اي لم يحملهم علي الكفر والاستهزا نصر ولا حفظ بل
حملهم علي ذلك انا متعناهم واباهم **ننقصها من اطرافها**
ذكر في الرعد **ولا يسمع الصم الدعا** اشارة الي الكفار والصم

استعارة في افراط اعراضهم نفحة اي خطرة وفيها تقليل العذاب
والمعنى انهم لو راوا اقل شي من عذاب الله لاذعنوا واعترفوا
بذنوبهم ونضع الموازين القسط اي العدل وانما افرد القسط
وهو صفة للجمع لانه مصدر وصف به كعدل ورضي وعلى
تقدير ذوات القسط ومذهب اهل السنة ان الميزان يوم
القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الاعمال
والخفة والثقل متعلقة باجسام اما صحف الاعمال او ماشا
الله وقالت المعتزلة ان الميزان عبارة عن العدل في الجزا
ليوم القيامة وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة
او لحكمه فهي على حذف مضاف فهي كقوله كتبت الكتاب م
لسنة خلون من الشهر مثقال حبة اي وزنها والرفع على
ان كان تامة والنصب على انها ناقصة واسمها مضمر
الفرقان هنا التوراة وقيل التفرقة بين الحق والباطل
بالنصر واقامة الحجة وهذا ذكر يعني رشده او ارشاده الى
توحيد الله وكسر الاصنام وغير ذلك من قبل اي قبل موسى
وموسى وهارون وقيل اتيناه رشده قبل النبوة وكنا
به عالمين اي علمناه انه يستحق ذلك التماثيل يعني الاصنام
وكانت على صور بني ادم وجدنا اباءنا اعتراف بالتقليد من
غير دليل قالوا اجئتنا بالحق اي هل الذي تقول حق
ام مزاح وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل وعن اللعب بالجملة
الاسمية لانه اثبت عندهم فطرهن اي خلقهن والضمير
للسموات والارض او التماثيل وهذا اليق بالرد عليهم
بعد ان تولوا مدبرين يعني خروجهم الى عيدهم جذاذا
اي فتاتا ويجوز فيه الضم والكسر والفتح وهو من الجذ
بمعنى القطع الا كبيرا لهم ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق

القدوم

القدوم من يده لعلهم اليه يرجعون الضمير للصنم الكبير اي يرجعون اليه
فيسئلونه فلا يجيبهم فيظهر لهم انه لا يقدر على شي وقيل الضمير
لابراهيم عليه الصلاة والسلام اي يرجعون اليه فيبين لهم
الحق قالوا من فعل هذا قبله محذوف تقديره فرجعوا من
عيدهم فراوا الاصنام مكسورة فقالوا من فعل هذا فتى
يذكرهم اي يذكرهم بالذم وبقوله لاكيدن اصنامكم يقال له
ابراهيم قيل ان اعراب ابراهيم منادى وقيل خبر ابتدا مضمر
وقيل رفع على الاهمال والصحيح انه مفعول لم يسم فاعله
ويقال لان المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية
والزمخشري لعلهم يشهدون اي يشهدون عليه بما فعل
او يحضرون عقوبتنا له بل فعله كبيرهم قصد ابراهيم عليه
السلام بهذا القول تبكيتهم واقامة الحجة عليهم كانه يقول ان
كان الها فهو قادر على ان يفعل وان لم يقدر فليس باله
ولم يقصد الاخبار المحض لانه كذب فان قيل فقد جاء في
الحديث ان ابراهيم كذب ثلاث كذبات احدها فعله كبيرهم
فالجواب ان معنى ذلك انه قال قولا ظاهره الكذب وان
كان القصد به معنى اخر ويدل على ذلك قوله فاسالوهم
ان كانوا ينطقون لانه اراد به ايضا تبكيتهم وبيان ضلالهم
فرجعوا الى انفسهم اي رجعوا اليها بالفكرة والنظر او رجعوا
اليها بالملامة فقالوا انكم انتم الظالمون اي الظالمون
لانفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شي او الظالمون
لابراهيم في قولكم عنه انه لمن الظالمين وفي تعنيفه على اعين
الناس ثم نكسوا على رؤسهم استعارة لانقلابهم برجوعهم
من الاعتراف بالحق الى الباطل والمعاندة فقالوا لقد علمت
ما هولاء ينطقون اي فكيف تامرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا

بانهم لاينطقون وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم
وغاية المكابرة والمجادلة في دفاعهم لمعاندة في حد الهتهم
ويحتمل ان يكون نكسوا علي روسهم بمعني رجوعهم عن المحاجة الي
الانقطاع فان قولهم لقد علمت ما هولا ينطقون اعتراف يلزم
منه انهم مغلوبون بالحجة ويحتمل علي هذا ان يكون نكسوا
علي روسهم حقيقة اي اطرقوا من الخجل لما قامت عليهم
الحجة **اف لكم** تقدم الكلام علي اف في الاسري **قالوا حرقوه**
لما غلبهم بالحجة رجعوا الي التغلب بالظلم **قلنا يا نار كوني بردا**
وسلاما اي ذات برد وسلام وجاءت العبارة هكذا للمبالغة
واختلف كيف بردت النار فقيل ازال الله عنها ما فيها من
الحر والاحراق وقيل دفع عن جسم ابراهيم حرها واحراقها
مع ترك ذلك فيها وقيل خلق بينه وبينها حاجزا ومعني
السلام هنا السلامة وقد روي انه لو لم يقل سلاما لهلك
ابراهيم من البرد وقد اضربنا عما ذكره الناس في قصة ابراهيم
لعدم صحته ولان الفاظ القران لا تقتضيه **الي الارض التي**
باركنا فيها هي الشام خرج اليها من العراق وبركتها بخصبها
وكثرة الانبيا فيها **نافلة** اي عطية والنفل العطا وقيل
سماه نافلة لانه عطا بغير سوال وكانه تبرع وقيل الهبة
اسحاق والنافلة يعقوب لانه سال اسحاق بقوله هب
لي من الصالحين فاعطي يعقوب زيادة علي ما سال واختار
بعضهم علي هذا الوقف علي اسحاق لبيان المعني وهذا ضعيف
لانه معطوف علي كل قول **يهدون بامرنا** اي يرشدون
الناس باذننا **ولوطا** قيل انه انتصب بفعل مضمر يفسره
اتيناه والاظهر انه انتصب بالعطف علي موسي وهارون
او ابراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم

بالعطف ايضا وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر **اتيناه حكما**
اي حكما بين الناس اي حكمة **من القرية** هي سدوم من ارض
الشام **وادخلناه في رحمتنا** اي في الجنة او في اهل رحمتنا
نادي من قبل اي دعا قبل ابراهيم ولوط **من الكرب** يعني
من الغرق **ونصرناه من القوم** تعدي نصرناه بمن لانه مطاوع
انتصر المتعدي بمن او تضمن معنا نجيناه او اجرناه
وداود وسليمان كان داود نبيا ملكا وكان سليمان ابن
احد عشر عاما **في الحرث** قيل زرع وقيل كرم والحرث
يقال فيهما **نفشت** رعت فيه بالليل **لحكمهم** الضمير
لداود وسليمان والمتحاكمين وقيل لداود وسليمان
خاصة علي ان يكون اقل الجمع اثنان **ففهمناها سليمان**
تخاصم الي داود رجلان دخلت غنم احدهما علي زرع
الاخر بالليل فافسدته فقضي داود بان ياخذ صاحب
الزرع الغنم ووجه هذا الحكم ان كانت قيمة الزرع مثل
قيمة الغنم فخرج الرجلان علي سليمان وهو بالباب فاخبراه
بما حكم به ابوه فدخل عليه فقال يا نبي الله لو حكمت
بغير هذا كان ارفق للجميع فقال وما هو قال ياخذ
صاحب الغنم الارض ليصلحها حتي يعود زرعها كما كان
وياخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بالبانها واصوافها
ونسلها فاذا كمل الزرع ردت الغنم الي صاحبها والارض
بزرعها الي ربها فقال لداود وفقت يا بني وقضي
بينهما بذلك ووجه حكم سليمان انه جعل الانتفاع
بالغنم بازا ما فات من الزرع واوجب علي صاحب
الغنم ان يعمل في الحرث حتي يزول الضرر والنقصان
ويحتمل ان يكون ذلك اصلاحا لا حكما واختلف الناس

هل كان حكمهما بوحي او باجتهاد فمن قال كان باجتهاد اجاز
الاجتهاد للانبيا ورواه ان داود رجع عن حكمه لما تبين له
ان الصواب خلافه وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الانبيا
وعلى القول بالجواز اختلف هل وقع ام لا وظاهر قوله
ففهمناها سليمان انه كان باجتهاد وخص الله به سليمان
ففهم القضية ومن قال كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخا
لحكم داود واما حكم افساد المواشي الزرع في شرعنا
فقال مالك والشافعي يضمن ارباب المواشي ما افسدت
بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك وعلى هذا
يدل حكم داود وسليمان لان النفش لا يكون الا بالليل
وقال ابو حنيفة لا يضمن ما افسدت بالليل ولا بالنهار لقوله
صلى الله عليه وسلم العجما جرحها جبار وكلا اتينا حكما وعلما
قيل يعني في هذه النازلة وان داود لم يخط فيها ولكنه
رجع الى ما هو ارجح ويدل على هذا القول على ان كل
مجتهد مصيب وقيل بل يعني حكما وعلما في غير هذه
النازلة وهذا على القول بانه اخطا فيها وان المصيب
واحد من المجتهدين وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير كان هذا التسبيح قول سبحان الله وقيل الصلاة
معه اذا صلى وقدم الجبال على الطير لان تسبيحها اعجب
اذ هي جماد وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا
وقال ابن عطية معناه كان ذلك في حقه لاجل ان داود
استوجب ذلك منا وصنعة لبوس يعني دروع الحديد
واول من صنعها داود عليه السلام قال ابن عطية
اللبوس في اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس
لتحصنكم من باسكم اي لتقيكم في القتال وقري بالياء

والتا

والتا والنون فالنون لله تعالى والتا للصنعة والياء لداود
او للبوس فهل انتم شاكرون لفظ استفهام ومعناه استدعا
الى الشكر ولسليمان الريح عاصفة عطف الريح على الجبال
والعاصفة هي الشديدة فان قيل كيف يقال عاصفة وقال
في ص رخا اي لينة فالجواب انها كانت في نفسها لينة
طيبة وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين
وقيل كانت رخا في ذهابه وعاصفة في رجوعه
الى وطنه لان عادة المسافرين الاسراع في الرجوع وقيل
كانت تشتد اذا رفعت البساط وتلين اذا حملته الى الارض
التي باركنا فيها يعني ارض الشام وكانت مسكنه وارض
ملكه فخص في الاية الرجوع اليها لانه يدل على الانتقال منها
يغوصون اي يدخلون في الما ليستخرجون له الجواهر من البحار
عملا دون ذلك اقل من الغوص كالبنيان والخدمة وكنا
لهم حافظين اي نحفظهم عن ان يزيغوا عن امره او نحفظهم
من افساد ما صنعوه وقيل معناه عالمين بعددهم
وايوب اذ نادى ربه كان ايوب عليه السلام نبيا من
الروم وقيل من بني اسرائيل وكان له اولاد ومال كثير
فاذهب الله المال فصبر ثم اهلك الاولاد فصبر ثم سلط
البلا على جسمه فصبر الى ان مر به قومه فشمتوا به فحينئذ
دعا الله تعالى على ان قولي مسني الضر وانت ارحم
الراحمين ليس تصريحا بالدعا ولكنه ذكر في نفسه بما يوجب
الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه فكان في ذلك
من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب فكشفنا
ما به من ضر لما استجاب الله له انبع له عينا من ما فشرب
منه واغتسل فبري من المرض والبلا واتيناه اهله

روي ان الله احيا اولاده الموتي ومثلهم معهم
ومثلهم معهم
واخلف الله عليه اكثر مما ذهب من ماله رحمة من عندنا
اي رحمة لايوب وذكري لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
ويحتمل ان تكون الرحمة والذكري معا للعابدين وذا الكفل
قيل هو الياس وقيل زكريا وقيل نبي بعث الي رجل واحد
وقيل رجل صالح غير نبي وسمي ذا الكفل اي ذا الحض من
الله وقيل لانه تكفل لليسع بالقيام بالامر بعده وذا النون
هو يونس عليه السلام والنون الحوت نسب اليه لانه
التقمه اذ ذهب مغاضبا اي مغاضبا لقومه اذ كان يدعوهم
الي الله فيكفرون حتي ادركه ضجر منهم فخرج عنهم ولذلك
قال الله ولا تكن كصاحب الحوت ولا يصح قول من قال مغاضبا
لربه فظن ان لن نقدر عليه اي ظن ان لن نضيق عليه فهو
من معني قوله قدر عليه رزقه وقيل هو من القدر والقضا
اي ظن ان لن نضيق عليه بعقوبة ولا يصح قول من قال
انه من القدرة فنادي في الظلمات قبل هذا الكلام محذوف
لبيانه في غير هذه الاية وهو انه لما خرج ركب السفينة
فرمي في البحر فالتقمه الحوت فنادي في الظلمات وهي ظلمة
الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل انه عبر عن بالظلمات
عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم في ظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ان مفسرة
او مصدرية علي تقدير نادي بان والظلم الذي اعترف به
كونه لم يصبر علي قومه وخرج عنهم ونجيناه من الغم يعني
من بطن الحوت واخراجه الي البر وكذلك ننجي المومنين يحتمل
ان يكون مطلقا او لمن دعا بدعا يونس ولذلك قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم دعوة اخي يونس ذا النون ما دعا
به

به مكروب الا استجيب له لا تذرني فردا اي بلا ولد ولا وارث
وانت خير الوارثين ان لم ترزقني وارثا فانت خير الوارثين
فهو استسلام لله واصلحنا له زوجه يعني ولدت بعد ان كانت
عقيما واسم زوجته اشياع قاله السهيلي يسارعون في
الخيرات الضمير للانبيا المذكورين رغبا ورهبا الرغب الرجا
والرهب الخوف وقيل الرغب ان ترفع الي السما بطون الايدي
والرهب ان ترفع ظهورها والتي احصنت فرجها هي مريم
بنت عمران ومعني احصنت من العفة اي اعفته عن الحرام
والحلال كقولها لم يمسسني بشر فنفخنا فيها من روحنا
اي اجرينا فيها روح عيسي لما نفخ جبريل في جيب درعها
ونسب الله النفخ الي نفسه لانه كان بامره والروح هنا هو
الذي في الجسد واضاف الله الروح الي نفسه للتشريف او
للملك اية اي دلالة ولذلك لم يثن ان هذه امتكم اي
ملتكم ملة واحدة وهو خطاب للناس كافة او للمعاصرين
لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم اي انما بعث الانبيا المذكور ون
بما امرتم به من الدين لان جميع الانبيا متفقون في اصول
العقايد فتقطعوا امرهم اي اختلفوا فيه وهو استعارة
من جعل الشي قطعا والضمير للمخاطبين قبل فالاصل
تقطعتم فلا كفران لسعيه اي لا ابطال لثواب عمله وانا له
كاتبون اي نكتب عمله في صحيفته وحرام علي قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون قري حرم بكسر الحا وهو بمعني حرام واختلف
في معني الاية فقيل حرام بمعني ممتنع علي قرية اراد الله
اهلاكها ان يرجعوا الي الله بالتوبة او ممتنع علي قرية
اهلكها الله ان يرجعوا الي الدنيا ولا زايدة في الوجهين
وقيل حرام بمعني حتم واقع لا محالة ويتصور فيه الوجهان

وتكون لا نافية بينهما اي حتم عدم رجوعهم الي الله بالتوبة او حتم
عدم رجوعهم الي الدنيا وقيل المعني ممتنع علي قرية اهلكها
الله انهم لا يرجعون اليه في الاخرة ولا علي هذا نافية ايضا
فقيه رد علي من انكر البعث حتي اذا فتحت ياجوج وماجوج
حتي هنا حرف ابتدا وغاية متعلقة بيرجعون وجواب اذا
فاذا هي شاخصة وقيل الجواب يا ويلنا لان تقديره
يقولون يا ويلنا وفتحت ياجوج وماجوج اي فتح سدها
فحذف المضاف وهم من كل حدب ينسلون الحدب المرتفع من
الارض وينسلون اي يسرعون والضمير لياجوج وماجوج
اي يخرجون من كل طريق لكثرتهم وقيل لجميع الناس الوعد
الحق يعني القيامة فاذا هي شاخصة اذا هنا للمفاجات والضمير
عند سيبويه ضمير القصة وعند الفرا للابصار وشاخصة من
الشخوص وهو احداد النظر من الخوف انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم هذا خطاب للمشركين والحصب ما توقد
به النار كالحطب وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه
حطب جهنم والمراد بما تعبدون الاصنام وغيرها يحرق
في النار توبيخا لمن عبدها واردون الورود هنا الدخول
زفير ذكر في هود لا يسمعون قيل توابيت من نار فلا يسمعون
شيا وقيل يصمهم الله كما يعميهم سبقت لهم منا الحسني سبقت
اي قضيت في الازل والحسني السعادة ونزلت هذه الاية
لما اعترض ابن الزبعري علي قوله انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم فقال ان عيسي وعزيز والملايكة قد
عبدوا فالمعني اخراج هولا من الوعيد واللفظ مع ذلك علي
عمومه في كل من سبقت له الحسني السعادة حسيسها اي
صوتها الفزع الاكبر اهوال القيامة علي الجملة وقيل ذبح

الموت

الموت وقيل النفخة الاولي في الصور لقوله ففزع من في السموات
ومن في الارض كطي السجل للكتاب السجل الصحيفة والكتاب
مصدر اي كما يطوي السجل ليكتب فيه اوليصان الكتاب
الذي فيه وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف وقيل هو
ملك في السما الثانية ترفع اليه الاعمال وهذا ايضا ضعيف
كما بدانا اول خلق نعيده اي كما قدرنا علي البداة نقدر علي
الاعادة فهو كقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقيل
المعني نعيدهم علي الصورة التي بداناهم كما جا في الحديث
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا
اول خلق نعيده والكاف متعلقة بقوله نعيده انا كنا فاعلين
تاكيد لوقوع البعث ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر في الزبور
هنا قولان احدهما انه كتاب داود والذكر علي هذا التوراة
التي انزل الله علي موسي او ما في الزبور من ذكر الله تعالي
والقول الثاني ان الزبور جنس الكتب التي انزلها الله
علي جميع الانبيا والذكر علي هذا هو اللوح المحفوظ اي كتب
الله هذا في الكتب التي انزلت بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ
حين قضي الامور كلها والاول ارجح لان اطلاق الزبور
علي كتاب داود اظهر واكثر استعمالا ولان الزبور مفرد
فدلالته علي الواحد ارجح من دلالته علي الجمع ولان النص
قد ورد في زبور داود بان الارض يرثها الصالحون ان الارض
يرثها عبادي الصالحون والارض هنا علي الاطلاق في مشارق
الارض ومغاربها وقيل الارض المقدسة وقيل ارض الجنة
والاول اظهر والعباد الصالحون امة محمد صلي الله عليه وسلم
ففي الاية ثنا عليهم واخبار بغيب ظهر مصداقه في الوجود
اذ قد فتح الله لهذه الامة مشارق الارض ومغاربها وما ارسلناك

الا رحمة للعالمين هذا خطاب لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وفيه
تشريف عظيم وانتصب رحمة علي انه حال من ضمير المخاطب
المفعول والمعني علي هذا ان النبي صلي الله عليه وسلم هو
الرحمة ويحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل
تقديره ارسلناك راحمين للعالمين او يكون مفعولا من اجله
والمعني علي كل وجه ان الله رحم العالمين با رسال سيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم لانه جاهم بالسعادة الكبري
والنجاة من الشقاوة العظمي ونالوا علي يديه الخيرات الكثيرة
في الاخرة والاولي وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة
فان قيل رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب
من وجهين احدهما انهم كانوا معرضين للرحمة به لو امنوا فهم
الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم والاخر انهم رحموا به لكونهم
لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان
والصيحة وشبه ذلك اذنتكم علي سوا اي اعلمتكم علي استوا
في الاعلام وتبليغ الي جميعكم لم يختص به واحد دون اخر
وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ان هنا وفي الموضع
الاخر نافيه وادري فعل علق عن معموله لانه من افعال
القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعني ويجب
وصله معه والهمزة في قوله اقريب للتسوية لا لمجرد
الاستفهام وقيل يوقف علي ان ادري في الموضعين ويبتدا
بما بعده وهذا خطاب لانه يطلب ما بعده لعله فتنة
الضمير لا مهالهم وتاخير عقوبتهم ومتاع الي حين اي الي الموت
او القيامة المستعان علي ما تصفون اي استعين به علي
الصبر علي ما تصفون من الكفر و التكذيب

سورة الحج

اتقوا ربكم تكلمنا علي التقوي في اول البقرة ان زلزلة الساعة
اي شدتها وهولها كقوله وزلزلوا او تحريك الارض حينئذ
كقوله اذا زلزلت الارض زلزالها والجملة تعليل للامر بالتقوي
واختلف هل الزلزلة والشدايد المذكورة بعد ذلك في الدنيا
بين يدي القيامة او بعد ان تقوم القيامة والارجح ان ذلك
قبل القيامة لان في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة
ووضع الحامل لا بعد القيامة يوم ترونها العامل في
الظرف تذهل والضمير للزلزلة وقيل الساعة وذلك
ضعيف لما ذكرنا الان يريد ابتدا امرها تذهل الذهول
هو الذهاب عن الشي بعد دهشة مرضعة انما لم يقل مرضع
لان المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها للصبي
والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال
وصفها به فقال مرضعة ليكون ذلك اعظم في الذهول
اذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ وتري الناس سكاري
تشبيه للسكاري من شدة الغم وما هم بسكاري نفي لحقيقة
السكر وتري سكري والمعني متفق ومن الناس من يجادل
في الله نزلت في النضر بن الحرث وقيل في ابي جهل وهي
تتناول كل من اتصف بذلك شيطان مريد اي شديد
الاغوا ويحتمل ان يريد شيطان الجن او الانس كتب تمثيل
لثبوت الامر كانه مكتوب ويحتمل ان تكون بمعني قضي كقوله
كتب الله انه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وفانه
عطف عليه وقيل تاكيد من تولاه اي تبعه او اتخذه وليا
والضمير في عليه وفي انه في الموضعين وفي تولاه للشيطان
وفي يضله ويهديه للمتولي له ويحتمل ان تكون تلك الضماير
اولا لمن يجادل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث

الايه معناها ان شككتم في البعث الاخروي فزوال ذلك الشك
ان تنظروا في ابتدا خلقتكم فتعلموا ان الذي قدر علي خلقكم
اول مرة قادر علي ان يعيدكم ثاني مرة وان الذي قدر علي
اخراج النبات من الارض بعد موتها قادر علي ان يخرجكم
من قبوركم خلقناكم من تراب اشارة الي خلق ادم واسند
ذلك الي الناس لانهم من ذريته وهو اصلهم من علقة
العلقة قطعة من دم جامد من مضغة اي قطعة من لحم
مخلقة المخلقة التامة الخلقة وغير المخلقة الغير التامة
كالسقط وقيل المخلقة المساوات السالمة من النقصان
لنبين لكم اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبين
قدرتنا علي البعث ونقر فعل مستانف الي اجل مسمي
يعني وقت وضع الحمل وهو مختلف اقله ستة اشهر الي
ما فوق ذلك نخرجكم طفلا افرده لانه اراد الجنس او اراد
نخرج كل واحد منكم طفلا لتبلغوا اشدكم هو كمال القوة
والعقل والتمييز وقد اختلف فيه من ثمانية عشر سنة
الي خمس واربعين ارذل العمر ذكر في النحل هامدة يعني
لا نبات فيها اهتزت تحركت بالنبات وتخلخلة اجزاوها
لما داخلها الما وربت انتفخت زوج بهيج اي صنف عجيب
ذلك بان الله هو الحق اي ذلك المذكور من امر الانسان
والنبات حاصل فان الله هو الحق هكذا قدره الزمخشري
والبا علي هذا سببية وبهذا المعني فسرها ايضا ابن عطية
ويلزم علي هذا ان لا يكون قوله وان الساعة اتية
معطوفا علي ذلك لانه ليس بسبب لما ذكر فقال ابن عطية
قوله ان الساعة ليس بسببه لما ذكر ولكن المعني مرتبط
بعضه ببعض فلا رتباط هنا انما يكون بالعطف والعطف

لايصح

لا يصح واما قوله علي تقدير الامر ان الساعة فذلك استيناف وقطع
الكلام الاول ولا شك ان المقصود من الكلام الاول هو اثبات
الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله والذي يظهر
لي ان البا ليست بسببيه وانما يقدر لها فعل تتعلق به
ويقتضيه المعني وذلك ان يكون التقدير ذلك الذي تقدم
من خلقة الانسان والنبات شاهد بان الله هو الحق
وانه يحيي الموتي وبان الساعة اتية فيصح عطف علي
وان الساعة علي ما قبله بهذا التقدير وتكون هذه الاشيا
المذكوره بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلقة الانسان
والنبات ومن الناس من يجادل نزلت فيمن نزلت الاولي
وقيل في الاخنس بن شريق ثاني عطفه كناية عن التكبر
المعرض له في الدنيا خزي ان كانت في النضر بن الحرث
فالخزي اسره ثم قتله وكذلك قتل ابي جهل ذلك بما قدمت
يداك اي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله لانه لا يظلم العباد
من يعبد الله علي حرف نزلت في قوم من الاعراب كان احدهم
اذا اسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين
حسن وان اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الاسلام
فالحرف هنا كناية عن المقصد واصله من الانحراف عن
الشي او من الحرف بمعني الطرف اي انه في طرف من الدين
لا في وسطه خسر الدنيا والاخره خسارة الدنيا بما جرا
عليه قبل وخسارة الاخرة بارتداده وسوء اعتقاده
ما لا يضره يعني الاصنام ويدعوا بمعني يعبد يدعوا لمن
ضره اقرب من نفعه فيها اشكالان الاول في المعني
وهو كونه وصف الاصنام بانها لا تضر ولا تنفع ثم وصفها
بان ضرها اكثر من نفعها فنفي الضر ثم اثبته فالجواب

ان الضر المنفي اولا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل
شيا والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب
وغيره والاشكال الثاني دخول اللام على من وهي في
الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول واجاب
الناس عن ذلك بثلاثة اوجه ان اللام مقدمة على
موضعها كان الاصل ان يقال يدعوا من لضره اقرب
من نفعه فوضعها الدخول على المبتدا والثاني ان يدعوا
كرر تاكيدا ليدعوا الاول وتم الكلام عنده ثم ابتدا
قوله لمن ضره فمن مبتدا وخبره لبيس المولى وثالثها
ان معنى يدعوا يقول يوم القيامة هذا الكلام اذا راى
مضرة الاصنام فدخلت اللام على مبتدا في اول الكلام
المولى بمعنى الولي **العشير** الصاحب فهو من العشرة **ان**
الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما ذكر
ان الاصنام لا تنفع من عبدها قابل ذلك بان الله ينفع
من عبده باعظم النفع وهو دخول الجنة **فليمدد بسبب**
الى السماء ثم ليقطع السبب هنا الحبل والسما سقف البيت ونحوه
من الاشيا التي يعلق منها الحبال والقطع هنا يراد به الاختناق
بالحبل يقال قطع الرجل اذا اختنق ويحتمل ان يراد به قطع الرجل
من الارض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف والمراد
بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته او طمعا
فيما لا يصل اليه كقوله للحسود مت كمدا او اختنق فانك لا تقدر
على غير ذلك وفي معنى الاية قولان الاول ان الضمير في ينصره
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى على هذا من كان من
الكفار يظن ان لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل فان الله ناصره
ولا بد على غيظ الكفار فموجب الاختناق هو الغيظ من نصره

سيدنا

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقول ان الضمير في ينصره
عايد على من والمعنى على هذا من ظن بسبب فكثرة ضيق صدره
وكثرة غمه ان لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه فانه لا يقدر
على غير ذلك فموجب الاختناق القنوط والتسخط من القضا
وسوء الظن بالله حتى ييس من نصره ولذلك فسر بعضهم
ان لن ينصره بمعنى ان لن يرزقه وهذا القول ارجح من
الاول لوجهين احدهما ان هذا القول مناسب لمن يعبد الله
على حرف لانه اذا اصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن ان
الله لن ينصره فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله ويدل
على ذلك قوله قبل هذه الاية ان الله يفعل ما يريد اي
الامور بيد الله فلا ينبغي لاحد ان يتسخط من قضا الله ولا
ينقلب اذا اصابته والوجه الثاني ان الضمير في ينصره
على هذا القول يعود على ما تقدمه واما في القول الاول
فلا يعود على مذكور قبله لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق
الكلام عليه دلالة ظاهرة **فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ**
الكيد هنا يراد به اختناقه وسمي كيدا لانه وضعه موضع
الكيد اذ هو غاية حيلته والمعنى اذا خنق نفسه فلينظر
هل يذهب كيده ذلك ما يغيظه من الامر الذي ليس يذهبه
وكذلك انزلناه الضمير للقران اي مثل هذا انزلنا القران
كله **ايات بينات وان الله يهدي من يريد** قال ابن عطية ان في
موضع الابتدا والتقدير الامر ان الله وهذا ضعيف لان فيه
تكلف اضمار وقطع الكلام عن المعنى الذي قبله وقال
الزمخشري التقدير لان الله يهدي من يريد انزلناه كذلك
ايات بينات فجعل ان تعليلا للانزال وهذا ضعيف للفصل

بينهما بالواو والصحيح عندي ان قوله وان الله معطوف علي ايات
بينات لان مقدر بالمصدر فالتقدير انزلنا ايات بينات وهدي
لمن اراد الله ان يهديه الصابين ذكروا في البقره وكذلك الذين
هادوا والمجوس هم الذين يعبدون النار ويقولون ان الخير من
النور والشر من الظلمه والذين اشركوا هم الذين يعبدون
الاصنام من العرب وغيره ان الله يفصل بينهم هذه الجملة
هي خبر ان الذين امنوا والذين هادوا والاية وكررت مع الخبر
للتاكيد ويفصل الله بينهم بان يبين لهم ان الايمان هو الحق
وساير الاديان باطلة وبان يدخل الذين امنوا الجنة ويدخل
غيرهم النار يسجد له من في السموات ومن في الارض دخل
في هذا من في السموات من الملايكة ومن في الارض من
الملايكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لانه ذكرهم في اخر
الاية الا ان يكون ذكرهم في اخرها علي وجه التجريد وليس
المراد بالسجود ههنا السجود المعروف لانه لا يصح في حق
الشمس والقمر وما ذكر بعدها وانما المراد به الانقياد ثم ان
الانقياد يكون علي وجهين احدهما الانقياد لطاعة الله
طوعا والاخر الانقياد لما يجري الله من المخلوقات في افعاله
وتدبيره شاووا او ابوا وكثير من الناس ان جعلنا السجود بمعني
الانقياد لطاعة الله فيكون كثير من الناس معطوف علي
ما قبله من الاشيا التي تسجد ويكون قوله وكثير حق
عليهم العذاب مستانفا يراد به من لا ينقاد الي الطاعة
ويوقف علي قوله وكثير من الناس وهذا القول هو الصحيح
وان جعلنا السجود بمعني الانقياد لقضا الله وتدبيره فلا
يصح تفصيل الناس علي ذلك الي من يسجد ومن لا يسجد
لان جميعهم يسجد بذلك المعني وقيل ان قوله كثير من الناس

معطوف

معطوف علي ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب
والجميع علي هذا يسجد وهذا ضعيف لان قوله حق عليه العذاب
يقتضي ظاهره ان تقديره يسجد سجود طاعة او مرتفعا بالابتدا
وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد هذان خصمان
الاشارة الي المومنين والكفار علي العموم ويدل علي ذلك ما ذكر
قبلهما من اختلاف الناس في اديانهم وهو قول ابن عباس وقيل
نزلت في علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن
الحرث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة فالاية علي هذا مدنية الي تمام ست ايات
والخصم يقع علي الواحد والاثنين والجماعة والمراد به هنا جماعة
والاشارة بهذان الي الفريقين اختصموا في ربهم اي في دينه
وفي صفاته والضمير في اختصموا للجماعة الفريقين فالذين كفروا
الاية حكم بين الفريقين بان جعل للكفار النار وللمومنين الجنة
المذكورة بعد هذا قطعت لهم ثياب من نار اي علي قدر اجسادهم
وهو مستعار من تفصيل الثياب الحميم الما الحار يصهر به
ما في بطونهم اي يذاب وذلك ان الحميم اذا صب علي روسهم
وصل حره الي بطونهم فاذاب ما فيها وقيل معني يصهر ينضج
مقامع جمع مقمعة اي مقرعة من حديد يضربون بها وقيل
هي السياط من غم بدل من المجرور قبله ذوقوا التقدير يقال
لهم ذوقوا اساور من ذهب من لبيان الجنس او للتبعيض وفسرنا
الاساور في الكهف ولولوا بالنصب مفعول بفعل مضمر اي يعطون
لولوا ومعطوف علي موضع اساور اذ هو مفعول وبالخفض
معطوف علي اساور او علي ذهب الطيب من القول قيل هو
لا اله الا الله واللفظ اعم من ذلك صراط الحميد اي صراط
الله فالحميد اسم الله ويحتمل ان يريد الصراط الحميد واضاف

واضاف الصفة كقولك مسجد الجامع ان الذين كفروا خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب اليم وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو وهذا ضعيف وانما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل سوا بالرفع مبتدا وخبره مقدم والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا وقري بالنصب على انه المفعول الثاني والعاكف فاعل به العاكف فيه والبادي العاكف المقيم في البلد والبادي القادم عليه من غيره والمعنى ان الناس سوا في المسجد الحرام لا يختص به احد دون احد وذلك اجماع وقال ابو حنيفة حكم ساير مكة في ذلك كالمسجد الحرام فيجوز للقادر ان ينزل منها حيث شا وليس لاحد فيها ملك والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة وقال مالك وغيره ليست الدور في ذلك كالمسجد بل هي متملكة بالحاد بظلم الالحاد الميل عن الصواب والظلم هنا عام في المعاصي من الكفر الى الصغاير لان الذنوب في مكة اشد منها في غيرها وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد احدا او من يرد شيا وبالحاد بظلم حالان مترادفان وقيل المفعول قوله بالحاد على زيادة البا واذ بوانا لابراهيم مكان البيت العامل في اذ مضمر تقديره اذكر وبوانا اصله من باء اذا رجع ثم ضوعف للتعدي واستعمل بمعنى انزلنا في الموضع كقوله تبوء المومنين الا ان هذا الموضع يشكل هنا لقوله لابراهيم لتعدي الفعل باللام وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زايدة وقيل معناه هيانا وقيل جعلنا والبيت هنا الكعبة وروي انه كان آدم يعبد الله فيه ثم درس بالطوفان فدل الله ابراهيم عليه السلام على مكانه وامره ببنايه ان لا تشرك

بمعنى

ان

ان مفسرة والخطاب لابراهيم عليه السلام وانما فسرت تبوية البيت بالنهي عن الاشراك والامر بالتطهير لان التبوية انما قصدت لاجل العبادة التي تقتضي ذلك طهر بيتي عام في التطهير من الكفر والمعاصي والانجاس وغير ذلك للطايفين يعني المصلين واذن في الناس بالحج خطاب لابراهيم وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاول هو الصحيح روي انه لما امر بالاذان بالحج صعد على جبل ابي قبيس ونادى ايها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت فحجوا فسمعه كل من يحج الى يوم القيامة وهم في اصلاب ابايهم واجابه في ذلك الوقت كل شي من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية على ذلك ياتوك رجالا جمع راجل اي ماشيا على رجليه وعلى كل ضامر الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك ووصفه بالضمور لانه لا يصل الى البيت الا بعد ضمره وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كانه قال رجالا وركبانا واستدل بعضهم بتقديم الرجال في الاية على ان المشي في الحج افضل من الركوب واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الاية على انه يسقط فرض الحج على من يحتاج الى ركوب البحر ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع من كل فج عميق اي طريق بعيد منافع لهم اي بالتجارة وقيل اعمال الحج وثوابه واللفظ اعم من ذلك ويذكروا اسم الله يعني التسمية عند ذبح البهايم ونحوها في الهدايا والضحايا وقيل يعني الذكر على الاطلاق وانما قال اسم الله لان الذاكر باللسان انما يذكر لفظ الاسما في ايام معلومات هي عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لان هذه هي ايام الضحايا عنده ولم يجز ذبحها بالليل لقوله في ايام

وقيل الايام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده وقيل
عشر ذي الحجة خاصة واما الايام المعدودات فهي الثلاثة بعد
يوم النحر فيوم النحر من المعلومات لامن المعدودات واليومان بعده
من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لامن المعلومات
فكلوا منها ندب او اباحة ويستحب ان ياكل الاقل من الضحايا
ويتصدق بالاكثر **البايس** الذي اصابه البوس وقيل هو المتعفف
وقيل الذي يظهر عليه اثر الجوع **ثم ليقضوا تفثهم** التفث في
اللغة الوسخ فالمعني ليقضوا ازالة تفثهم بقص الاظفار والاستحداد
وساير خصال الفطرة والتنظف بعد ان يحلوا من الحج وقيل
التفث اعمال الحج وقري بكسر اللام واسكانها وهي لام الامر
وكذلك وليوفوا وليطوفوا **وليطوفوا** المراد هنا طواف الافاضة
عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب **بالبيت العتيق**
اي القديم لانه اول بيت وضع للناس وقيل العتيق القديم
كقولهم فرس عتيق وقيل اعتق من الجبابرة اي منع منهم
وقيل العتيق لم يملكه احد قط **ذلك** هنا وفي الموضع
الثاني مرفوع على تقدير الامر كذلك كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه ثم يقول هذا وقد كان كذا واجاز بعضهم الوقف
على قوله ذلك في ثلاثة مواضع من هذه السورة وهي
هذا وذلك ومن يعظم شعاير الله وذلك ومن يشرك بالله
لانها جملة مستقلة اذ هو خبر ابتدا مضمر والاحسن وصلها
بما بعدها عند شيخنا ابي جعفر بن الزبير لان ما بعدها
ليس كلاما اجنبيا ومثلها ذلك ومن عاقب وذلكم فذوقوه
في الانفال وهذا وان للطاغين في ص **حرمات الله**
جمع حرمة وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة فيحتمل
ان يكون هنا على العموم او يكون خاصا بما يتعلق بالحج لان

الاية

الاية فيه **فهو خير له** اي التعظيم الي الحرمات خير **الا ما يتلى عليكم**
يعني ما حرمه في غير هذا الموضع كالميتة **الرجس من الاوثان**
من لبيان الجنس كانه قال الرجس الذي هو الاوثان والمراد
النهي عن عبادتها والذبح تقربا لها كما كانت العرب تفعل
قول الزور اي الكذب وقيل شهادة الزور **فكانما خر من السما**
الاية تمثيل للمشرك بمن هو اهلك نفسه اشد المهالك **سحيق**
اي بعيد **شعاير الله** هي الهدايا في الحج وتعظيمها اجلالها وتوفيرها
والقصد اليها بان تختار سمانا عظاما غالية الاثمان وقيل
مواضع الحج كعرفات ومني والمزدلفة وتعظيمها اجلالها
وتوفيرها والقصد اليها وقيل امور الدين على الاطلاق
وتعظيمها القيام بها واجلالها **فانها من تقوي القلوب**
الضمير عايد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر
يعظم وقال الزمخشري التقدير فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوي القلوب فحذفت هذه المضافات **لكم فيها منافع**
من قال ان شعاير الله هي الهدايا فالمنافع بها شرب لبنها
وركوبها لمن اضطر اليها والاجل المسمي نحرها ومن قال ان
شعاير الله مواضع الحج فالمنافع التجارة فيها او الاجر والاجل
المسمي الرجوع الي مكة لطواف الافاضة **ثم محلها الي البيت
العتيق** من قال ان الشعاير الهدايا فمحلها موضع نحرها وهي
مني ومكة وخص البيت بالذكر لانه اشرف الحرم وهو المقصود
بالهدي وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لان
محلها قبل نحرها وانما هي لترتيب الجمل ومن قال ان الشعاير
موضع الحج فمحلها ماخوذ من احلال المحرم اي اخر ذلك كله
الطواف بالبيت يعني طواف الافاضة اذ به يحل المحرم من
احرامه ومن قال ان الشعاير امور الدين على الاطلاق

قوله محلها الي البيت ولكل امة جعلنا منسكا
قدلك لا يستقيم مع فوله محلها الي البيت
اي لكل امة مومنة والمنسك اسم مكان اي موضعها العبادتهم
ويحتمل ان يكون اسم مصدر بمعني عباده والمراد بذلك الذبايح
لقوله ليذكروا اسم الله علي ما رزقهم من بهيمة الانعام بخلاف
ما يفعله الكفار من الذبح تقربا الي الاصنام فالهكم اله واحد
في وجه اتصاله بما قبله وجهان احدهما لما ذكر الاسم
المتقدمه مخاطبا بقوله اله واحد فلا تذبح تقربا لغيره
المخبتين الخاشعين وقيل المتواضعين وقيل نزلت في
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وكذلك قوله بعد ذلك وبشر
المحسنين واللفظ فيهما اعم من ذلك وجلت خافت والبدن
جمع بدنة وهو ما اشعر من الابل واختلف هل يقال للبقر
بدنة وانتصابه بفعل مضمر من شعاير الله واحدها شعيرة
ومن للتبعيض واستدل بذلك من قال ان شعاير الله المذكورة
اولا علي العموم في امور الدين لكم فيها خير قيل الخير هنا المنافع
المذكوره قبل وقيل الثواب والصواب العموم في خير الدنيا
والاخرة صواف معناه قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وهو منصوب علي الحال من الضمير المجرور ووزنه فواعل
وواحده صافة وجبت جنوبها اي سقطت الي الارض عند
موتها يقال وجب الحايط وغيره اذا سقط القانع معناه
السايل وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون اذا سال وقيل
معناه المتعفف عن السوال فهو علي هذا من قولك قنع بالسكون
اذا رضي بالقليل والمعتر المعترض بغير سوال ووزنه
مفتعل يقال اعتررت بالقوم اذا تعرضت لهم فالمعني
اطعموا من سال ومن لم يسال ممن تعرض بلسان حاله
واطعموا من تعفف عن السوال بالكلية ومن تعرض للعطا

كذلك

كذلك سخرها لكم اي كما امرناكم بهذا كله سخرناها لكم وقال
الزمخشري التقدير مثل التسخير الذي علمتم سخرناها لكم
لن ينال الله لحومها ولا دماوها المعني لن تصلوا الي رضي الله
باللحوم ولا بالدما وانما تصلون اليه بالتقوي اي بالاخلاص
لله وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا فعبر
عن هذا المعني بلفظ ينال مبالغة وتاكيدا لانه قال
لن تصل لحومها ولا دماوها الي الله وانما يصل التقوي منكم
فان ذلك هو الذي طلب منكم وعليه يحصل لكم الثواب
وقيل كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بالدما
فاراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الاية
كذلك سخرها لكم كرر للتاكيد لتكبروا الله قيل يعني قول
الذابح بسم الله والله اكبر واللفظ اعم من ذلك ان الله يدافع
عن الذين امنوا كان الكفار يوذون المومنين بمكة فوعدهم
الله ان يدفع عنهم شرهم واذاهم وحذف مفعول يدافع
ليكون اعظم واعم وقري يدافع بالالف ويدفع بسكون الدال
من غير الف وهما بمعني واحد اجريت فاعل مجري فعل مثل
قولك عاقبة اللص وقال الزمخشري يدافع معناه يبالغ
في الدفع عنهم لانه للمبالغة وفعل المغالب اقوي ان الله
لا يحب كل خوان كفور الخوان مبالغة في خاين والكفور
مبالغة في كافر قال الزمخشري هذه الاية علة لما قبلها
اذن للذين يقاتلون هذه اول اية نزلت في الاذن في القتال
ونسخت المواعده مع الكفار وكان نزولها عند الهجرة وقري
اذن بضم الهمزة علي البنا لما لم يسم فاعله وبالفتح علي البنا
للفاعل وهو الله تعالي والمعني اذن لهم في القتال فحذف
الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقري يقاتلون بفتح

التا وكسرها بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا الذين اخرجوا من
ديارهم يعني الصحابة فان الكفار اذوهم واضروا بهم حتي اضطروهم
الي الخروج من مكة فمنهم من هاجر الي ارض الحبشة ومنهم من
هاجر الي المدينة ونسب الاخراج الي الكفار لان الكلام في معرض
الزامهم الذنب ووصفهم بالظلم الا ان يقولوا ربنا الله قال
ابن عطية هو استثنا منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه
وقال الزمخشري ان يقولوا في محل جر على الابدال من حق
ولولا دفع الله الناس الاية تقوية للاذن في القتال واظهار
للمصلحة التي فيه كانه يقول لولا القتال والجهاد لاستولي
الكفار علي المسلمين وذهب الدين وقيل المعني لولا دفع
ظلم الظلمة بعدل الولاة والاول اليق بسياق الاية وقري
دفاع بالالف مصدر دافع وبغير الف مصدر دفع لهدمت قري
بالتخفيف والتشديد للمبالغة صوامع جمع صومعة بفتح الميم
وهي موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصاري
ثم سمي بها في الاسلام موضع الاسلام والبيع جمع بيعة بكسر
البا وهي كنايس النصاري والصلوات كنايس اليهود
وهي مشتركة لكل امة والمراد بها مواضع الصلوات
والمساجد للمسلمين فالمعني لولا دفع الله لاستولي الكفار علي
اهل الملل المتقدمة في ازمانهم ولاستولي المشركون علي
هذه الامة فهدموا مواضع عباداتهم يذكر فيها اسم الله
الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات وقيل للمساجد خاصة
ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه واولياءه وهو
وعد تضمن الحض علي القتال الذين ان مكناهم الاية
قيل يعني امة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وقيل
الصحابة وقيل الخلفا الاربعة لانهم الذين مكنوا في الارض

بالخلافة

بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به وان يكذبوك الاية ضمير الفاعل
لقريش والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم على وجه
التسلية له والوعيد لهم نكير مصدر بمعني الانكار
علي عروشها العروش السقف فان تعلق الجار بخاوية فالمعني
ان العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها
وان كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعني انها خاوية مع
بقاء عروشها بير معطلة اي لا يستقي الما منها لهلاك اهلها
وروي ان هذه البير هي الرس وكانت بعدن لامة من بقايا
ثمود والاظهر انه لم يرد التعيين لقوله كاين من قرية
وهذا اللفظ يراد به التكثير وقصر مشيد اي مبني بالشيد
وهو الجص وقيل المشيد المرفوع البنيان قلوب يعقلون
دليل علي ان العقل في القلب خلافا للفلاسفة في قولهم
انه بالدماغ فانها لا تعمي الابصار لا تعمي الابصار عمي يعتد به
وانما العمي الذي يعتد به عمي القلوب وان هولا القوم ما عميت
ابصارهم ولكن عميت قلوبهم فالمعني الاول لقصد المبالغة
والثاني خاص بهولا القوم التي في الصدور مبالغة كقوله
يقولون بافواههم ويستعجلونك بالعذاب الضمير لكفار
قريش ولن يخلف الله وعده اخبار تضمن الوعيد بالعذاب
وسماه وعدا لان المراد به مفهوم وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون المعني ان يوما من ايام الاخرة مقداره الف
سنة من اعوام الدنيا ولذلك قال صلي الله عليه وسلم
يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وذلك خمسماية
سنة وقيل المعني ان يوما واحدا من ايام العذاب كالف سنة
لطول العذاب فان ايام البأس طويلة وان كانت في الحقيقة
قصيرة وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا

العذاب الان الاول ارجح لان الالف سنة فيهما حقيقة وقيل ان
اليوم المذكور في الاية هو يوم من الايام الستة التي خلق
فيها السموات والارض وكاين من قرية ذكر اولا القرية التي
اهلكها بغير املا وذكرها هنا التي اهلكها بعد الاملا والاملا هو
الامهال مع ارادة المعاقبة فيما بعد وعطف هذه الجملة
بالواو وعلي الجمل المعطوفة قبلها بالواو وقال في الاولي
فكاين لانه بدل من قوله فكيف كان نكير سعوا في اياتنا
اي سعوا فيها بالطعن عليها وهو من قولك سعي في الامر
اذا جد فيه لقصد اصلاحه او افساده معاجزين بالالف
اي مغالبين لانهم قصدوا عجز صاحب الايات والايات
تقتضي عجزهم فصارت مفاعلة وقري بالتشديد من
غير الف ومعناه انهم يعجزون الناس عن الاسلام اي يثبطونهم
عنه من رسول ولا نبي النبي اعم من الرسول فكل نبي رسول نبي
وليس كل نبي رسول فقدم الرسول لمناسبته لقوله ارسلنا
واخر النبي لتحصيل العموم لانه لو اقتصر علي رسول لم يدخل
في ذلك من كان نبيا غير رسول اذا تمني القي الشيطان في
امنيته سبب هذه الاية ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قرا سورة النجم بالمسجد الحرام بحضرة المشركين والمسلمين
فلما بلغ الي قوله افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة
الاخري القي الشيطان تلك الغرانقة العلي لمنها الشفاعة
ترتجي فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر
الهتنا بما نريد واختلف في كيفية القا الشيطان فقيل
ان الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس ان النبي
صلي الله عليه وسلم هو المتكلم به لانه قرب صوته
من صوت النبي صلي الله عليه وسلم حتي التبس الامر

بعد

وقيل

وقيل ان النبي صلي الله عليه وسلم هو الذي تكلم بذلك علي
وجه الغلط والسهو لان الشيطان انساه ووسوس في قلبه
حتي خرجت تلك الكلمة علي لسانه من غير قصد والقول
الثاني اشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة
والقول الاول ارجح لان النبي صلي الله عليه وسلم معصوم
في التبليغ فمعني الاية ان كل نبي وكل رسول قد جري له
مثل ذلك من القا الشيطان واختلف في معني تمني وامنيته
في هذه الاية فقيل تمني بمعني تلي والامنية التلاوة
اي اذا قرا الكتاب القي الشيطان من عنده في تلاوته
وقيل هو من التمني بمعني حب الشي وهذا المعني اشهر في
اللفظ اي تمني النبي صلي الله عليه وسلم مقاربة قومه
واستيلافهم والقي الشيطان ذلك الكلام في هذه الامنية
ليعجبهم ذلك فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله
كقولك نسخت الشمس الظل ليجعل متعلق بقوله ينسخ
ويحكم للذين في قلوبهم مرض اي اهل الشك والقاسية
قلوبهم المكذبون وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار
والقاسية قلوبهم اشد كفرا وعتوا كابي جهل وان الظالمين
لفي شقاق بعيد يعني بالظالمين المكذبين قبل ولكنه جعل
الظاهر موضع المضمر ليقضي عليهم بالظلم والشقاق العداوة
ووصفه ببعيد لانه في غاية الضلال والبعد عن الخير
الذين اوتوا العلم قيل يعني الصحابة واللفظ اعم من ذلك
انه الحق الضمير عايد علي القران وقال الزمخشري هو
للتمكين من الالقا فتخبت اي تخشع في مرية منه الضمير
للقران او للنبي صلي الله عليه وسلم او لالقا الشيطان
يوم عقيم يعني يوم بدر ووصفه بالعقيم لانه لا ليلة لهم

بعده ولا يوم لانهم يتقاتلون فيه وقيل هو يوم القيامة والساعة
مقدماته ويقوي ذلك قوله الملك يوميذ لله يحكم ثم تقسيم
الناس الي قسمين اصحاب الجحيم واصحاب النعيم قتلوا او ماتوا
روي ان قوما قالوا يا رسول الله قد علمنا ما اعطي الله لمن قتل
من الخير فالمن مات معك فنزلت الاية معلمة ان الله يرزق من
قتل ومن مات مطلقا لا يقتضي ذلك المساوات بينهم لان الشهدا
في البرزخ والاول ادنح لانه يعم الشهدا والموتي مدخلا يعني الجنة
ذلك تقديره هذا الامر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا
اذا اراد ان يخرج الي حديث اخر ومن عاقب بمثل ما عوقب به
سمي الابتدا عقوبة باسم الجزا عليها تجوزا كما سمي العقوبة
ايضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغي عليه ان الله
لعفو غفور ان قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة
فالجواب من وجهين احدهما ان في ذكرها ذين الوصفين
اشعارا بان العفو افضل من العقوبة فكانه حض علي العفو
والثاني ان في ذكرهما اعلاما بان الله ما يعفو الله عن المعاقب
حين عاقب ولم ياخذ بالعفو الذي هو اولي ذلك بان الله
يولج الليل اي ذلك النصر بسبب ان الله قادر ومن ايات
قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
ومعني الايلاج هنا انه يدخل ظلمة هذا في مكان ضو هذا
ويدخل ضو هذا مكان ظلمة هذا وقيل الايلاج هو
ما ينقص من احدهما ويزيد في الاخر ذلك بان الله هو الحق
اي ذلك الوصف الذي وصف الله هو بسبب انه الحق
فتصبح الارض مخضرة تصبح هنا بمعني تصير وفهم بعضهم انه
اراد صبيحة ليلة المطر فقال لا تصبح الارض مخضرة الا بمكة
والبلاد الحاره واما علي معني تصير فذلك عام في كل

تفضيل الشهدا ثابت
رزقا حسنا يحتمل
ان يريد به الرزق في الجنة
لبعد يوم القيامة او رزق
الشهدا ا[illegible]

بلد والفا للعطف وليست بجواب ولو كانت جوابا لقوله
الم تر لنصبت الفعل وكان المعني نفي خضرتها وذلك خلاف
المقصود وانما قال تصبح بلفظ المضارع ليفيد بقاها كذلك
مدة سخر لكم ما في الارض يعني البهايم والثمار والمعادن
وغير ذلك ان تقع في موضع مفعول علي تقدير عن ان تقع
وقال الزمخشري كراهة ان تقع فهو مفعول من اجله باذنه
يحتمل ان يريد يوم القيامة فجعل طي السما كوقوعها او يريد
باذنه لو شا متي شا احياكم اي اوجدكم بعد العدم وعبر
عن ذلك بالحياة لان الانسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا
روح ثم احياه بنفخ الروح ثم يميتكم يعني الموت المعروف
ثم يحييكم يعني البعث لكفور اي جحود للنعمة منسكا هو
اسم مصدر لقوله فاسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون
فيه فلا ينازعنك ضمير الفاعل للكفار والمعني انهم لا ينبغي
منازعة النبي صلي الله عليه وسلم لان الحق قد ظهر بحيث
لا يسع النزاع فيه فجا الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي وقيل
ان المعني لا تنازعهم فينازعوك فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه ويحتمل ان يكون نفيا لهم عن المنازعة علي ظاهر
اللفظ في الامر اي في الدين والشريعة او في الذبايح وادع
الي ربك اي ادع الناس الي عبادة ربك وان جادلوك الاية
تقتضي موادعة منسوخة بالقتال ان ذلك في كتاب
يعني اللوح المحفوظ والاشارة بذلك الي معلوماته ان ذلك
علي الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة بذلك الي كتب المعلومات
في الكتاب او الي الحكم في الاختلاف والاول اظهر ما لم ينزل
به سلطانا يعني الاصنام والسلطان هنا الحجة والبرهان
وما ليس لهم به علم قيل يعني ان ما ليس لهم به علم ضروري

فتنفي اولا البرهان النظري ثم العلم الضروري وليس اللفظ بظاهر
في هذا بل الاحسن نفي العلم الضروري والنظري معا تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار لما يسمعون فالمنكر
مصدر بمعنى المكرم بمعنى الاكرام ويعرف ذلك في وجوههم
بعبوسهما واعراضهما يسطون من السطوة وهي سرعة البطش
النار وعدها الله يحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها
الله خبرا ويكون النار خبرا ابتدا مضمر كانه قاليلا قال ما هو
فقيل هي النار ويكون وعدها الله استينافا وهذا اظهر ضرب
مثل اي ضربه الله لاقامة الحجة على المشركين لن يخلقوا
ذبابا تنبيه بالاصغر على الاكبر من باب اولى واحرى
والمعنى ان الاصنام التي تعبد ونها لا تقدر على خلق الذباب
ولا غيره فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شي ثم
اوضح عجزهم بقوله ولو اجتمعوا له اي تعاونوا على خلق
الذباب لم يقدروا عليه وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه
منه بيان ايضا لعجز الاصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم
شيا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه وقد
قيل ان المراد بما سلب الذباب منهم الطيب الذي كانت
تحمله العرب على الاصنام واللفظ اعم من ذلك ضعف الطالب
والمطلوب المراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب لان
الاصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها وقيل الطالب
الكفار والمطلوب الاصنام لان الكفار يطلبون الخير منهم
ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس رد على من انكر ان يكون
الرسول من البشر اركعوا واسجدوا في هذه الاية سجدة
عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافا

للمالكية

للمالكية واعبدوا ربكم عموم في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبر
عنها بالركوع والسجود وانما قدمها لانها اهم العبادات وافعلوا
الخير قيل المراد صلة الرحم وقال ابن عطية هي في الندب
ما عدا الواجبات واللفظ اعم من ذلك كله وجاهدوا في
الله يحتمل ان يريد جهاد الكفار او جهاد النفس والشيطان
والهوى او العموم في ذلك كله حق جهاده قيل انه منسوخ
كنسخ حق تقاته بقوله ما استطعتم وفي ذلك نظر وانما
اضاف الجهاد الى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله
اجتباكم اي اختاركم من بين الامم من حرج اي مشقة
واصل الحرج الضيق ملة ابيكم ابراهيم انتصب ملة بفعل
مضمر تقديره اعني بالدين ملة ابراهيم او التزموا ملة ابراهيم
وقال الفرا على تقدير حذف الكاف كانه قال كملة وقال
الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم كانه قال وسع عليكم
توسعة ملة ابيكم ابراهيم ثم حذف المضاف فان قيل
لم يكن ابراهيم ابا المسلمين كلهم فالجواب انه ابو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابا امته لان الرسول في حكم
اولاده ولذلك قرى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وايضا
فان قريش واكثر العرب من ذرية ابراهيم وهم اكثر الامة
فاعتبرهم دون غيرهم هو سماكم الضمير لله تعالى ومعنى
من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقيل
الضمير لابراهيم والاشارة الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة
لك ومعنى من قبل على هذا من قبل وجودكم وهنا يتم
الكلام على هذا القول ويكون قوله وفي هذا مستانفا.
اي وفي هذا البلاغ والقول الاول ارجح واقل تكلفا ويدل
عليه قراة ابي بن كعب الله سماكم المسلمين شهيدا عليكم

تقدم معني هذه الشهادة في البقرة **فاقيموا الصلاة** الظاهر انها
المكتوبة لاقترانها مع الزكاة **هو مولاكم** معناه هنا وليكم
وناصركم بدلالة ما بعد ذلك **سورة المومنون**
الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع حالة في القلب
من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولي جل جلاله
ثم يظهر اثر ذلك علي الجوارح بالسكون والاقبال علي
الصلاة وعدم الالتفات والبكا والتضرع وقد عد بعض
الفقها الخشوع في فرايض الصلاة لانه جعله بمعني حضور
القلب فيها وقد جا في الحديث لا يكتب للعبد من صلاته
الا ما عقل منها والصواب ان الخشوع امر زايد علي حضور
القلب فقد يحضر القلب ولا يخشع **عن اللغو معرضون**
اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو والكلام بما لا يعني
وعد انواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا ومعني
الاعراض عنه عدم الاستماع اليه والدخول فيه ويحتمل
ان يريد انهم لا يتكلمون به ولكن اعراضهم عن سماعه يقتضي
ذلك من باب اولي واحري **للزكاة فاعلون** اي مودون
فان قيل لم قال فاعلون ولم يقل مودون فالجواب
الزكاة لها معنيان احدهما الفعل الذي يفعله المزكي اي ادا
ما يجب علي المال والاخر المقدار المخرج من المال كقولك
هذا زكاة مالي والمراد هنا الفعل لقوله فاعلون ويصح
المعني الاخر علي تقديرهم لادا الزكاة فاعلون **علي ازواجهم**
هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين اي
لا يلامون علي ازواجهم ويمكن ان يتعلق بقوله حافظون
علي ان يكون علي بمعني عن **او ما ملكت ايمانهم** يعني النسا
المعلومات قال الزمخشري انما قال ما ملكت ولم يقل من

لان الاناث تجري مجري غير العقلا **وراء ذلك** يعني ما سوي
الزوجات والمملوكات **لاماناتهم وعهدهم** يحتمل ان يريد
امانة الناس وعهودهم وامانة الله وعهده في دينه
او العموم والامانة اعم من العهد لانها قد تكون بعهد وبغير
عهد متقدم **راعون** اي حافظون لها قايمون بها **علي صلواتهم
يحافظون** المحافظة عليها هي فعلها في اوقاتها مع توفية
شروطها فان قيل كيف كرر الصلاة اولا واخرا فالجواب
انه ليس بتكرار لانه قد ذكر اولا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة
عليها فهما مختلفان واضاف الصلاة في الموضعين اليهم دلالة
علي ثبوت فعلهم لها **الوارثون** اي المحصلون للجنة فالميراث
استعارة وقيل ان الله جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا
في النار فيرث المومنون مساكن الكفار في الجنة **الفردوس**
مدينة الجنة وهي جنة الاعناب واعاد الضمير عليها مونثا علي
معني الجنة **ولقد خلقنا الانسان** اختلف هل يعني ادم او جنس
بني ادم **من سلالة من طين** السلالة هي ما يسيل من الشي اي يستخرج
منه ولذلك قيل انها الخلاصة والمراد هنا القطعة التي اخذت
من الطين وخلق منها ادم فان اراد بالانسان ادم فالمعني
انه خلق من تلك السلالة الماخوذة من الطين ولكن قوله
بعد هذا ثم جعلناه نطفة لا بد ان يراد به بنو ادم فيكون
الضمير يعود علي غير من ذكر اولا ولكن يفسره سياق الكلام
وان اراد بالانسان ابن ادم فيستقيم عود الضمير عليه ويصح المعني
ويكون معني خلقه من سلالة من طين اي خلق اصله وهو
ابوه ادم ويحتمل عندي ان يراد بالانسان الجنس الذي يعم
ادم وذريته فاجمل ذكر الانسان اولا ثم فصله بعد ذلك
الي الخلقة المختصة بادم وهي من طين والي الخلقة المختصة

بذريته وهي النطفة فان قيل ما الفرق بين من ومن فالجواب
علي ما قال الزمخشري ان الاولي للابتدا والثانية للبيان
كقولك من الاوثان في قرار مكين يعني رحم الام ومعني
مكين متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرة
لا من صفة المحل المستقر فيه ولكنه كقولك طريق سائر اي
يسير الناس فيه وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة
والعلقة في اول الحج خلقا اخر قيل هو نفخ الروح فيه
وقيل خروجه الي الدنيا وقيل استوي الشباب وقيل
علي العموم من نفخ الروح فيه الي موته فتبارك الله هو
مشتق من البركة وقيل معناه تقدس احسن الخالقين
اي احسن الخالقين خلقا فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه
وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق
بانه خالق ولا يجب ان ينفي عن المخلوق انه خالق بمعني
صانع كقوله واذ تخلق من الطين وانما الذي يجب ان ينفي
عنه معني الاختراع والايجاد من العدم فهذا الذي انفرد
الله به سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين يحتمل ان يريد
بالخلق المخلوقين او المصدر ماء بقدر يعني المطر الذي ينزل
من السما فتكون منه العيون والانهار في الارض وقيل
يعني اربعة انهار وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون
ولا دليل علي التخصيص ومعني بقدر بمقدار معلوم لا يزيد
عليه ولا ينقص عنه وشجرة تخرج من طور سينا يعني
الزيتون وانما خص النخيل والاعناب والزيتون بالذكر
لانها اكرم الشجر واكثرها منافع وطور سينا اسم الجبل
اضافه اليه كقوله جبل احد وقري بفتح السين ولم ينصرف
للتانيث اللازم وقري بالكسر ولم ينصرف للعجمة او للتانيث

مع التعريف لان فعلا بالكسر لا يكون الفه للتانيث وقيل معناه
مبارك وقيل ذو شجر ويلزم علي ذلك صرفه تنبت بالدهن
يعني الزيت وقري تنبت بفتح التا فالمجرور علي هذا في موضع
الحال كقولك جا زيد بسلاحه وقري بضم التا وكسر البا وفيه
ثلاثة اوجه الاول تنبت بمعني نبت والثاني حذف المفعول
تقديره تنبت ثمرها بالدهن والثالث زيادة البا وصبغ
للاكلين الصبغ الغمس في الادام في الانعام هي الابل والبقر والغنم
والمقصود بالذكر الابل لقوله وعليها وعلي الفلك تحملون
وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتانيثها
ما هذا الا بشر استبعدوا ان تكون النبوة لبشر فيا عجبا منهم
اذ اثبتوا الربوبية لحجر يريد ان يتفضل اي يطلب الفضل
والرياسة عليكم ما سمعنا بهذا اي بمثل ما دعاهم
اليه من عبادة الله او بمثل الكلام الذي قال لهم وهذا
يدل علي انه كان قبل نوح فترة طويلة به جنة اي
جنون فتربصوا اختلاف قولهم فيه فتارة نسبوه الي
طلب الرياسة وتارة الي الجنون حتي حين اي الي وقت
لم يعينوه ولكن اراد وقت زوال جنونه علي قولهم
او وقت موته انصرني بما كذبون تضمن هذا دعا عليهم
لان نصرته انما هي باهلاكهم وقد تقدم تفسير زوجين
اثنين وان كنا لمبتلين ان مخففة من الثقيلة ومبتلين اسم
فاعل من ابتلي ويحتمل ان يكون بمعني الاختبار او انزال
البلا قرنا اخرين قيل انهم عاد ورسولهم هود لانهم
الذين يلون قوم نوح وقيل انهم ثمود ورسولهم صالح
وهذا اصح لقوله فاخذتهم الصيحة وثمود هم الذين هلكوا
بالصيحة واما عاد فاهلكوا بالريح من قومه قدم هذا

المجرور على قوله الذين كفروا والبلاء يوهم انه متصل بقوله
الحياة الدنيا بخلاف قوله قال الملا الذين كفروا من قومه
في غير هذا الموضع **اترفناه** اي نعمناهم **بشر مثلكم** يحتمل
انهم قالوا ذلك لانكارهم ان يكون نبي من البشر او قالوه انفة
من اتباع بشر مثلهم وكذلك قول قوم نوح **ايعدكم** استفهام
على وجه الاستهزاء والاستبعاد **انكم مخرجون** كرران تاكيدا
للاولى ومخرجون خبر عن الاولى **هيهات هيهات لما توعدون**
هذا من حكاية كلامهم وهيهات اسم فعل بمعنى بعد وقال
الغزنوي هي للتاسف والتاوه ويجوز فيه الفتح والضم
والكسر والاسكان وتارة يجي فاعله دون لام كقوله
فهيهات هيهات العقيق واهله وتارة يجي باللام كهذه
الاية قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون فنزله
منزلة المصدر وقال الزمخشري وفيه وجه اخر وهي ان
تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به
ان هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا
فوضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها **نموت ونحيا**
اي يموت بعض ويولد بعض فينقرض قرن ويحدث قرن اخر
ومرادهم انكارهم البعث **عما قليل** ما زائدة وقيل صفة
للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون **فجعلناهم غثا**
يعني هالكين كالغثا والغثا ما يحمله السيل من الورق
وغيره مما يبلى ويسود فشبه به الهالكين **فبعدا**
مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا اي هلكوا والعامل
فيه مضمر لا يظهر **تترا** مصدر ووزنه فعلى ومعناه
التواتر التتابع وهو موضوع موضع الحال اي متواترين

واحد

واحدا بعد واحد فمن قراه بالتنوين فالفه للالحاق ومن قراه
بغير تنوين فالفه للتانيث فلم ينصرف وتانيثه لان الرسل
جماعة والتاء الاولى فيه بدل من واو وهي فاء الكلمة **وجعلناهم**
احاديث اي يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل ان يكون
جمع حديث او جمع احدوثة وهذا اليق لانها تقال في الشر
قوما عالين اي متكبرين **وقومهما لنا عابدون** اي خادمون
منقادون **لعلهم يهتدون** الضمير لبني اسرائيل لا لقوم فرعون
لانهم هلكوا قبل انزال التوراة **واويناهما الى ربوة** الربوة الموضع
المرتفع من الارض ويجوز فيها فتح الراء وضمها وكسرها واختلف
في موضع هذه الربوة فقيل بيت المقدس وقيل بغوطة
دمشق وقيل بفلسطين **ذات قرار ومعين** القرار المستوي
من الارض فمعناه انها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة
وقيل ان القرار هنا الثمار والحبوب والمعين الماء الجاري
فقيل انه مشتق من قولك معن الماء اذا كثر فالميم على هذا
اصلية ووزنه فعيل وقيل انه مشتق من العين فالميم
زائدة ووزنه مفعول **يا ايها الرسل** هذا النداء ليس على
ظاهره لان الرسل كانوا في ازمنة متفرقة وانما المعنى
ان كل رسول في زمانه خوطب بذلك وقيل الخطاب لسيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم واقامه مقام الجماعة وهذا بعيد
كلوا من الطيبات اي من الحلال فالامر على هذا للوجوب او من
المستلذات فالامر للاباحة **وان هذه امتكم امة واحدة**
قرئ ان بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لان وهي متعلقة
بقوله اخرا فاتقون وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا
والامة هنا الدين وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد
وغيره **فتقطعوا امرهم** اي افترقوا واختلفوا والضمير

لام الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم **زبرا**
جمع زبور وهو الكتاب والمعنى انهم افترقوا في اتباع الكتب فاتبعت
طايفة التوراة وطايفة الانجيل وغير ذلك او وضعوا كتابا
من عند انفسهم **فذرهم في غمرتهم** الضمير لقريش والغمرة
الجهل والضلال واصلها من غمرة الماء **حتى حين** هنا يوم
بدر ويوم موتهم **ايحسبون** الاية رد عليهم فيما ظنوا من ان
اموالهم واولادهم خير لهم وانهم بسبب رضي الله عنهم
نسارع لهم هذا خبر ان والضمير الرابط محذوف
تقديره نسارع به **بل لا يشعرون** اي لا يشعرون ان ذلك
استدراج لهم ففيه معنى التهديد **يوتون ما اتوا** قيل
معناه يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل انه عام
في جميع افعال البر اي يفعلونها وهم يخافون ان لا تقبل منهم
وقد روت عايشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا انها قرات يأتون ما أتوا بالقصر فيحتمل ان يكون الحديث
تفسيرا لهذه القراة وقيل انه عام في الحسنات والسيات
اي يفعلونها وهم خايفون من الرجوع الى الله **انهم الى
ربهم راجعون** ان في موضع المفعول من اجله او في موضع
المفعول بوجلت اذ هي في معنى خايفة **يسارعون في
الخيرات** فيه معنيان احدهما انهم يبادرون الى فعل
الطاعات والاخر انهم يتعجلون ثواب الخيرات وهذا مطابق
للاية المتقدمة لانه نفي ما اثبت عن الكفار من المسارعة.
وهم لها سابقون فيه المعنيان المذكوران في يسارعون
للخيرات وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الازل
ولا نكلف نفسا الا وسعها يعني ان هذا الذي وصفه به
الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة وقد تقدم

الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة **ولدينا كتاب** يعني
صحايف الاعمال ففي الكلام تهديد وتامين من الظلم والحيف
في غمرة من هذا اي في غفلة من الدين بجملته ومن القران
وقيل من الكتاب المذكور وقيل من الاعمال التي وصف
بها المومنون **ولهم اعمال من دون ذلك** اي لهم اعمال سية
دون الغمرة التي هم فيها فالمعنى انهم يجمعون بين الكفر وسوء
الاعمال والاشارة بذلك على هذا الى الغمرة وانما اشار اليها
بالتذكير لانها في معنى الكفر وقيل الاشارة الى قوله من
هذا اي لهم اعمال سية غير ذلك المشار اليه حسبما اختلف
فيه **هم لها عاملون** قيل هو اخبار عن اعمالهم في الحال
وقيل عن الاستقبال وقيل المعنى انهم يتمادون على عملها
حتى ياخذهم الله فجعل حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية لقوله
عاملون **مترفيهم** اي اغنياهم وكبراهم **يجارون** اي يستغيثو
ويصيحون فان اراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر
فالضمير في يجارون لساير قريش اي ناحوا وصاحوا
على القتلى وان اراد بالعذاب شدايد الدنيا او عذاب الاخرة
فالضمير لجميعهم **لا تجاروا** يحتمل ان يكون هذا القول حقيقة
وان يكون بلسان الحال ولفظه نهي ومعناه ان الجوار لا ينفعهم
على اعقابكم تنكصون اي ترجعون الى ورا وذلك عبارة
عن اعراضهم عن الايات وهي القران **مستكبرين به** قيل ان
الضمير عايد على المسجد الحرام لانهم اهله وولاته وقيل انه
عايد على القران او على العموم وان لم يذكر ولكنه يفهم من
سياق الكلام والمعنى انهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام
لانهم اهله وولاته وقيل انه عايد على القران من حيث ذكرت
الايات والمعنى على هذا ان القران يحدث لهم عتوا وتكبرا

وقيل انه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على هذا
متعلق بسامر فسامرا مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل
للحديث وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد فيتحدثون
وكان اكثر حديثهم سب النبي صلى الله عليه وسلم وسامر
مفرد بمعنى الجمع وهو منصوب على الحال فمن جعل الضمير
في به للنبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى انهم سامرون
بذكره وسبه تهجرون من قرا بضم التا وكسر الجيم فهو من
الهجر بفتح الها اي تهجرون الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم
والمومنون او من قولك هجر المريض اذا هذي اي تقولون
اللغو من القول افلم يدبروا القول يعني القران وهذا توبيخ
لهم ام جاهم ما لم يات اباوهم الاولين معناه ان النبوة ليست
ببدع فينكروها بل جات اباءهم الاولين فقد كانت النبوة
لنوح وابرهيم واسماعيل وغيرهم ام لم يعرفوا رسولهم
المعنى ام لم يعرفوا محمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انه
اشرفهم حسبا واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وارجحهم
عقلا فكيف ينسبونه الى الكذب او الى الجنون او غير ذلك
من النقايص مع انه جاهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي
عقل سليم وانه عين الصواب ولو اتبع الحق اهواهم
لفسدت السموات والارض الاتباع هنا استعارة والحق هنا
يراد به الصواب والامر المستقيم فالمعنى لو كان الامر على
ما تقتضي اهواهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت
السموات والارض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقيل ان الحق في الاية هو الله تعالى وهذا بعيد في المعنى
وانما حمله عليه ان جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه
الاستعارة وانما الحق هنا هو المذكور في قوله بل جاهم

بالحق واكثرهم للحق كارهون بل اتيناهم بذكرهم يحتمل ان يكون
بتذكيرهم ووعظهم او بفخرهم وشرفهم وهذا اظهر ام تسالهم
خرجا الخرج هو الاجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد
وقري بالوجهين في الموضعين فهو كقوله ام تسالهم اجرا
فيثقل عليهم اتباعك فخراج ربك خير اي رزق ربك خير
من اموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم عن الصراط لناكبون
اي عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم المذكور ولو رحمناهم
الاية قول الاكثرون نزلت هذه الاية حين دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قريش بالقحط فنالهم الجوع
حتى اكلوا الجلود وغيرها فالمعنى لو رحمناهم بالخصب
وكشفنا ما بهم من ضر الجوع والقحط لتمادوا على طغيانهم
وفي هذا عندي نظر فان الاية مدنية باتفاق وانما دعا
النبي صلى الله عليه وسلم على قريش بعد الهجرة حسبما
ورد في الحديث وقيل المعنى لو رحمناهم بالرد الى الدنيا
بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه وهذا القول لا يلزم عليه
ما لزم على الاخر ولكنه خارج عن معنى الاية ولقد اخذناهم
بالعذاب قيل ان هذا العذاب هو الجوع بالقحط وان الباب ذا
العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر وهذا مردود
بان القحط الذي اصابهم انما كان بعد بدر وقيل ان العذاب
الذي اخذهم هو يوم بدر والباب المتوعد به هو القحط وقيل
الباب ذا العذاب الشديد عذاب الاخرة وهذا ارجح ولذلك وصفه
بالشدة لانه اشد من عذاب الدنيا وقال انهم فيه مبلسون
اي يايسون من الخير وانما يقع لهم الاياس في الاخرة كقوله
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون فما استكانوا اي ما تذللوا
لله عز وجل وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في ال عمران

ان قيل هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا اي فما يستكينون وما
يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي او في المستقبل فالجواب
ان ما استكانوا عند العذاب الذي اصابهم وما يتضرعون حتى
يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفي الاستكانة فيما مضي ونفي
التضرع في الحال والاستقبال **قليلا ما تشكرون** ما زائدة
وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون
وذكر السمع والبصر والافئده وهي القلوب لعظم المنافع التي
فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره توحيده واتباع رسوله
عليه الصلاة والسلام ففي ذكرها تعديد نعمة واقامة
حجة **ذراكم في الارض** اي نشركم فيها **وله اختلاف الليل والنهار**
اي هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص وقد
ذكر في البقره معني اختلاف الليل والنهار **بل قالوا مثل ما قال
الاولون** اي قالت قريش مثل قول الامم المتقدمة ثم فسر
قولهم بانكارهم البعث واليه الاشارة بقولهم لقد
وعدنا نحن واباونا هذا وقد ذكر الاستفهامان في الرعد
واساطير الاولين في الانعام **قل لمن الارض ومن فيها**
هذه الايات توقيف لهم على امور لا يمكنهم الاقرار بها واذا
اقروا بها لزمهم توحيد خالقها والايمان بالدار الاخرة
فسيقولون لله قري في الاول لله باللام باجماع جوابا لقوله
لمن الارض وكذلك قرا الجمهور والثاني والثالث وذلك
على المعني لان قوله من رب السموات في معني لمن هي وقرا
ابو عمرو الثاني والثالث الله بالرفع على اللفظ ملكوت
مصدر وفي بنائه مبالغة **يجير ولا يجار عليه** الاجارة
المنع من الانسان يقال اجرت فلانا على فلان اذا منعته
من مضرته واهانته فالمعني ان الله تعالي يغيث من شا

ممن

ممن شا ولا يغيث احد منه احدا **فاني تسحرون** اي تخدعون عن الحق
والخادع لهم الشيطان وذلك تشبيه بالسحر في التخليط والوقوع
في الباطل ورتبة هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج
فقال اولا افلا تذكرون ثم قال ثانيا افلا تتقون وذلك
ابلغ لان فيه زيادة تخويف ثم قال ثالثا فاني تسحرون
وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره **وانهم لكاذبون** يعني فيما
ينسبون لله من الشركا والاولاد ولذلك رد عليهم بنفي ذلك
اذا لذهب كل اله بما خلق هذا برهان على الوحدانية وبيانه
ان يقال لو كان مع الله اله اخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته
عن مخلوقات الاخر واستبد كل واحد بملكه وطلب غلبة الاخر
والعلو عليه كما نري حال ملوك الدنيا ولكن لما راينا جميع
المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كان العالم كله كرة
واحدة علمنا ان مالكه ومدبره واحد لا اله غيره وليس هذا
البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره بل هو دليل
اخر فان قيل اذا لا تدخل الا على كلام هو جزا وجواب فكيف
دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سوال سائل
فالجواب ان الشرط محذوف تقديره لو كان معه الهة وانما
حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله وهو جواب الكفار
الذين وقع الرد عليهم **عالم الغيب** بالرفع خبر ابتدا وبالخفض
صفة لله **قل رب اما تريني ما يوعدون** الاية معناها ان
الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو لنفسه بالنجاة
من عذاب الظالمين ان قضي ان يري ذلك وفيها تهديد
للظالمين وهم الكفار وان شرطيه وما زائده وجواب
الشرط فلا تجعلني وكرر قوله رب مبالغة في الدعا
والتضرع **ادفع بالتي هي احسن السيئة** قيل التي هي احسن

لا اله الا الله والسبة الشرك والاظهر انه امر بالصفح والاحتمال
وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ وانما نسخ ما يقتضيه من
مسالمة الكفار من همزات الشياطين يعني نزغاته ووساوسه .
وقيل يعني الجنون واللفظ اعم من ذلك ان يحضرون معناه
ان يكونوا معه وقيل يعني حضورهم عند الموت حتى اذا جا
احدهم الموت قال ابن عطية حتى هنا حرف ابتدا اي ليست
غاية لما قبلها وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون
اي لم يزالون كذلك حتى ياتيهم الموت قال رب ارجعون يعني
الرجوع الى الدنيا وخاطب ربه مخاطبة الجماعة للتعظيم
قال ذلك الزمخشري وغيره ومثله قول الشاعر
الا فارحموني يا اله محمد ۰ وقيل انه نادى ربه ثم خاطب
الملايكة فيما تركت قيل يعني فيما تركت من المال
وقيل فيما تركت من الايمان فهو كقوله او كسبت في ايمانها
خيرا والمعني ان الكافر رغب ان يرجع الى الدنيا ليومن ويعمل
صالحا في الايمان الذي تركه اول مرة كلا ردع له عما طلب
انها كلمة هو قايلها يعني قوله رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فسمى هذا الكلام كلمة وفي تاويل معناه ثلاثة
اقوال احدها انه يقول هذه الكلمة لا محالة لافراط ندمه
وحسرته فهو اخبار بقوله والثاني ان المعني انها كلمة
يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيا والثالث ان يكون
المعني انه يقولها كاذبا فيها ولو رجع الى الدنيا لم يعمل صالحا
ومن ورايهم اي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة
المذكورين في قوله جا احدهم برزخ يعني المدة التي
بين الموت والقيامة وهي تحول بينهم وبين الرجوع الى
الدنيا واصل البرزخ الحاجز بين شيين فلا انساب بينهم

المعني انه ينقطع يوميذ التعاطف والشفقة فان قيل كيف الجمع بين هذا
وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتسالون فالجواب ان ترك التسال
عند النفخة الاولى ثم يتسالون بعد ذلك فان يوم القيامة يوم طويل
فيه مواقف كثيره تلفح وجوههم النار اي تصيبهم بالاحراق
كالحون الكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وكثير ما يجري ذلك
للكلاب وقد يجري للكباش اذا شويت روسها وفي الحديث ان
شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط راسه وفي ذلك
عذاب وتشويه غلبت علينا شقوتنا اي ما قدر عليهم من
الشقا وقرى شقاوتنا والمعني واحد قال اخسوا كلمة تستعمل
في زجر الكلاب ففيها اهانة وابعاد ولا تكلمون اي لا تكلمون
في رفع العذاب فحينيذ ييسون من ذلك اعاذنا الله من ذلك
برحمته سخريا بضم السين من السخرة بمعني التخديم وبالكسر من
السخر بمعني الاستهزا وقد يقال هذا بالضم وقرى هنا بالوجهين
لاحتمال المعنيين على ان معني الاستهزا هنا اليق لقوله وكنتم
منهم تضحكون كم لبثتم في الارض يعني في جوف الارض امواتا
وقيل احيا في الدنيا فاجابوا بانهم لبثوا يوما او بعض يوم
لاستقصارهم المدة او لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون
شيا فسال العادين اي اسال من يقدر ان يعد وهو من عوفي
مما ابتلوا به او يعنون الملايكة ان لبثتم الا قليلا معناه انه
قليل بالنسبة الى بقايهم في جهنم خالدين ابدا عبثا اي باطلا
والمعني اقامة حجة على الحشر للثواب والعقا لا برهان له به
اي لا حجة ولا دليل والجملة صفة لقوله الها اخر وجواب الشرط
فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون الضمير للامر
والشان وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المومنين وختمها
بعد فلاح الكافرين ليبين البون بين الفريقين والله اعلم

سورة النور

سورة انزلناها السورة خبر ابتدا مضمر او مبتدا وخبره محذوف
تقديره فيما انزل عليكم سورة وانزلناها صفة للسورة وفرضناها
اي فرضنا الاحكام التي فيها وقري بالتشديد للمبالغة ايات بينات
يعني ما فيها من المواعظ والاحكام والامثال وقيل معنا بينات
هنا ليس فيها مشكل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة الزانية والزاني يراد بهما الجنس وقدم الزانية لان
الزنا حينيذ كان في النسا اكثر فانه كان منهن اما بغايا يجاهرن
بذلك واعراب الزاني والزانية كاعراب السارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما وقد ذكر في المايده وهذه الاية ناسخة باجماع
لما في سورة النسا من الامساك في البيوت في الاية الواحدة
ومن الاذي في الاخري ثم ان لفظ هذه الاية عند مالك ليس
علي عمومه فان جلد المائة انما هو حد الزاني والزانية اذا كانا
مسلمين حرين غير محصنين فيخرج منها الكفار فيردون الي
اهل دينهم ويخرج منها العبد والامة والمحصن والمحصنة
فاما العبد والامة فحدهما خمسون جلدة سوا كانا محصنين
او غير محصنين واما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا علي
مذهب مالك واما الكلام علي الاية بالنظر الي ساير المذاهب
فاعلم ان لفظ هذه الاية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين
وفي الاحرار والعبيد والاما وفي المحصن وغير المحصن ثم ان العلما
خصصوا من هذا العموم اشيا منها باتفاق ومنها باختلاف فاما
الكفار فراي ابو حنيفة واهل الظاهر ان حدهم جلد مائة
احصنوا او لم يحصنوا اخذا بعموم الاية وراي الشافعي ان حدهم
كحد المسلمين الجلد ان لم يحصنوا والرجم ان احصنوا اخذا بالاية
وبرجم النبي صلي الله عليه وسلم لليهودي واليهودية اذ زنيا

وراي

وراي مالك ان يردوا الي اهل دينهم لقوله تعالي في سورة النساء
واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم فخص نسا المسلمين علي انها
قد نسخها هذه ولكن بقيت في محلها واما العبد والامة
فراي اهل الظاهر ان حد الامة خمسون جلدة لقوله تعالي
فعليهن نصف ما علي المحصنات من العذاب وان حد العبد الجلد
مائة لعموم الاية وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس
علي الامة اذ لا فرق بينهما واما المحصن فقال الجمهور حكمه
الرجم فهو مخصوص من هذه الاية وبعضهم يسمي هذا التخصيص
نسخا ثم اختلفوا في المخصص او الناسخ فقيل الاية التي ارتفع
لفظها وبقي حكمها وهي قوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقيل الناسخ لها السنة
الثابتة في الرجم وقال اهل الظاهر وعلي بن ابي طالب
يجلد المحصن بالاية ثم يرجم بالسنة فجمعوا عليه الحدين ولم
يجعلوا الاية منسوخة بالرجم ولا مخصصة وقال الخوارج لا رجم
اصلا فان الرجم ليس في كتاب الله ولا يعتد بقولهم وظاهر
الاية الجلد دون تغريب وبذلك قال ابو حنيفة وقال مالك
بالجلد والتغريب سنة للحديث وهو قوله صلي الله عليه
وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ولا تغريب علي
النسا ولا علي العبيد عند مالك وصفة الجلد عند مالك
في الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرق علي جميع
الاعضا والمجلود قايم وتستر المراة بثوب لا يقيها الضرب
ويجرد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد علي قميص ولا تاخذكم
بهما رافة قيل يعني في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وقيل في
تخفيف الضرب وقيل في الوجهين فعلي القول الاول يكون الضرب
في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح وهو مذهب مالك والشافعي

وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا اشد واختلف
هل يجوز ان يجمع ماية سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه
مالك واجازه ابو حنيفة لما ورد في قصة ايوب عليه السلام
واجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث **وليشهد**
عذابهما طايفة من المومنين المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة
عليهم واختلف في اقل ما يجزي من الطايفة فقيل اربعة اعتبارا
بشهادة الزنا وهو قول ابن ابي زيد وقيل عشرة وقيل
اثنين وهو مشهور مذهب مالك وقيل واحد **الزاني لا ينكح**
الا زانية او مشركة الاية معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا
وانه لا يقع فيه الا زان او مشرك ولا يوافقه عليه من النسا
الا زانية او مشركة وينكح على هذا بمعنى يجامع وقيل معناها
لا يحل لزان ان يتزوج الا زانية او مشركة ولا يحل لزانية ان
تتزوج الا زانيا او مشركا ثم نسخ هذا الحكم وابيح لهما التزوج
بمن شاوا والاول هو الصحيح **وحرم ذلك على المومنين**
الاشارة بذلك الى الزنا اي حرم الزنا على المومنين وقيل
الاشارة الى تزوج المومن غير الزاني لزانية فان قوما منعوا
ان يتزوجها وهذا على القول الثاني في الاية قبلها وهو
بعيد واجاز تزويجها مالك وروي عنه كراهته **والذين**
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين
جلدة هذا حد القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها هنا
بالرمي والمحصنات يراد به هنا العفايف من النسا وخصهن
بالذكر لان قذفهن اكثر واشنع من قذف الرجال ودخل الرجال
في ذلك بالمعنى اذ لا فرق بينهم واجمع العلما على ان حكم الرجال
والنسا هنا واحد وقيل ان المعنى يرمون الانفس المحصنات
فيعم اللفظ على هذا النسا والرجال ويحتاج هنا الى الكلام في

القذف

في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك فاما القذف
فهو الرمي بالزنا اتفاقا او بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي
لعموم لفظ الرمي في الاية خلافا لابي حنيفة او النفي من النسب
ومذهب مالك ان التعريض بذلك كله كالتصريح خلافا للشافعي
وابي حنيفة واما القاذف فيحد سوا كان مسلما او كافرا
لعموم الاية وسوا كان حرا او عبدا الا ان العبد والامة انما يحدان
اربعين عند الجمهور فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه
في الزنا خلافا للظاهرية ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما
غير مكلفين واما المقذوف فمذهب مالك انه يشترط فيه
الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراة مما رمي به
والتمكن من الوطي تحرزا من المجبوب وشبهه فلا يحد عنده من قذف
صبيا او كافرا او مجنونا او عبدا او لا يمكنه الوطي وقد قيل يحد
من قذف واحدا منهم لعموم الاية واتفقوا اشتراط البراة مما
رمي به واما الشهادة التي تسقط حد القذف فهي ان يشهد
شاهدان عدلان بان المقذوف عبدا او كافرا ويشهد اربعة
شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود في
المكحلة ويودون الشهادة مجتمعين **الا الذين تابوا** تقدم
قبل هذا الاستثنا ثلاثة احكام وهي الحدود وشهادة القاذف
وتفسيقه فاتفق على ان الاستثنا راجع الى التفسيق وان
ذلك يزول عنه بالتوبة واتفق على انه لا يرجع الى الحد وانه
لا يسقط عنه بالتوبة واختلف هل يرجع الى حد الشهادة
ام لا فقال مالك اذا تاب قبلت شهادته خلافا لابي حنيفة
وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل اكذاب نفسه
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم
هذه الاية في قذف الرجل لامراته فيجب اللعان بذلك

وسببها ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يجد مع امراته رجلا
ايقتله فتقتلونه ام كيف يصنع فسكت عنه نبي الله صلى الله
عليه وسلم ثم عاد فقال مثل ذلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاتني بها
فاوتي بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وموجب اللعان عند مالك شيان احدهما ان يدعي الزوج انه
راي امراته تزني والاخر ان ينفي حملها ويدعي الاستبرا قبله
فاذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة احكام نفي حد القذف
عنه وانتفا نسب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها ان لم
تلاعن فان تلاعنت سقط الحد عنها ولفظ الاية عام في الزوجات
الحراير والمماليك والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم
وبذلك اخذ مالك واشترط في الزوج الاسلام واشترط ابو
حنيفه ان يكونا مسلمين حرين عدلين فشهادة احدهم اربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين اي يقول الزوج اربع
مرات اشهد بالله لقد رايت هذه المراة تزني او اشهد بالله
ما هذا الحمل مني ولقد زنت واني في ذلك لمن الصادقين
ثم يقول في الرابعة لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
وزاد اشهب ان يقول اشهد بالله الذي لا اله الا هو وانتصب
اربع شهادات بالله على المصدرية والعامل فيه شهادة
احدهم وقري بالرفع وهو خبر شهادة احدهم وقوله بالله
وانه لمن الصادقين من صلة اربع شهادات او من صلة
شهادة احدهم والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين قري بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثاني
وانتصب بفعل مضمر تقديره ويشهد الشهادة او بالعطف
على اربع شهادات على قراة النصب وقري بالرفع على الابتدا

او

او عطف على اربع شهادات بقراة الرفع وقري ان لعنة وان
غضب بتشديد ان ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب
على الابتدا ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين العذاب هنا حد الزنا اي يدفعه التعان المراة
وهو ان تقول اربع مرات اشهد بالله ما زنيت وانه في ذلك
لمن الكاذبين ثم تقول في الخامسة غضب الله عليها ان كان
من الصادقين ويتعلق بالتعانها ثلاثة احكام دفع الحد عنها
والتفريق بينها وبين زوجها وتابيد الحرمة ولولا فضل الله
جواب لولا محذوف هنا وفي الموضع الاخر تقديره لولا فضل
الله عليكم لواخذكم او نحو هذا ان الذين جاوا بالافك عصبة
منكم الافك اشد الكذب ونزلت هذه الاية وما بعدها الى تمام
ستة عشر اية في شان سيدتنا عايشة رضي الله عنها وفي
براتها مما رماها اهل الافك وذلك ان الله برا اربعة باربعة
برا يوسف بشهادة الشاهد من اهلها وبرا موسى من قول
اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بكلام ولدها في
حجرها وبرا عايشة من الافك بانزال القران في شانها
ولقد تضمنت هذه الايات الغاية القصوى في الاعتنا بها
والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث
الافك البخاري ومسلم وغيرهما واختصاره ان عايشة
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني
المصطلق فضاع لها عقد فتاخرت على التماسه حتى رحل
الناس فجا رجل يقال له صفوان بن المعطل فراها فنزل
عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عايشة واخذ يقول حتى
بلغ الجيش فقال اهل الافك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال رجال رموا اهلي

والله ما علمت علي اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا
وسال جارية عايشة فقالت والله ما اعلم عليها الا ما يعلم الصايغ
علي تبر الذهب الاحمر والعصبة الجماعة من العشرة الي الاربعين
ولم يذكر في الحديث من اهل الافك الا اربعة وهم عبد الله بن ابي
ابن سلول راس المنافقين وحمنة بنت جحش ومسطح بن اثاثة
وحسان بن ثابت وقيل ان حسانا لم يكن منهم وارتفاع
عصبة لانه خبر ان واختار ابن عطية ان يكون عصبة بدلا
من الضمير في جاوا ويكون الخبر لا تحسبوه شرا لكم علي تقدير
ان حديث الذين جاوا بالافك والاول اظهر بل هو خير
لكم خطاب للمسلمين والخير في ذلك من خمسة اوجه تبرية
ام المومنين وكرامة الله لها بانزال الوحي في شانها والاجر
الجزيل لها في الفرية عليها وموعظة المومنين والانتقام
من المفترين والذي تولي كبره هو عبد الله بن ابي بن سلول
المنافق وقيل الذي بدا بهذه الفرية هو غير معين والعذاب
العظيم هنا يحتمل ان يراد به الحد او عذاب الاخرة لولا اذ سمعتموه
ظن المومنين والمومنات في انفسهم خيرا لولا هنا عرض والمعني
انه كان ينبغي للمومنين والمومنات ان لا يقيسوا ذلك الامر
علي انفسهم فان كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عايشة ابعد
لفضلها وروي ان هذا النظر وقع لابي ايوب الانصاري فقال
لزوجته اكنت انت تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعايشة
افضل منك قالت نعم فان قيل لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب
ثم عدل الي لفظ الغيبة في قوله ظن المومنون ولم يقل ظننتم
فالجواب ان ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالايمان
الذي يوجب ان لا يصدق المومن علي المومن شرا لولا جاوا
عليه باربعة شهدا لولا هنا عرض والضمير في جاوا لاهل

الافك

الافك ثم حكم الله بكذبهم اذ لم ياتوا بالشهدا افضتم فيه يقال
افاض في الحديث وخاض فيه اذا اكثر فيه اذ تلقونه بالسنتكم
العامل في اذ قوله مسكم او افضتم ومعني تلقونه ياخذه
بعضكم من بعض وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب
لهم علي خوضهم في حديث الافك وان كانوا لم يصدقوه
فان الواجب كان الاغضا عن ذكره والترك له بالكلية فعاتبهم
علي ثلاثة اشيا وهي تلقيه بالالسنة اي السوال عنه
واخذه من المسوول والثاني قولهم ذلك والثالث حسبوه هينا
وهو عند الله عظيم وفايدة قوله بالسنتكم وبافواهكم الاشارة
الي ان ذلك الحديث كان باللسان دون القلب اذ كانوا لم يعلموا
حقيقته بقلوبهم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان
نتكلم بهذا اي كان الواجب ان يبادروا الي انكار هذا الحديث
اول سماعكم له ولولا ايضا في هذه الاية عرض وكان حقها
ان يليها الفعل من غير فاصل بينهما ولكنه فصل بينهما
بقوله اذ سمعتموه لان الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها
والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتنا به وبيان انه كان الواجب
المبادرة الي انكار الكلام في اول وقت سمعتموه ومعني
ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحل لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
تنزيه لله عن ان تكون زوجة رسوله صلي الله عليه وسلم
علي ما قال اهل الافك وقال الزمخشري هو بمعني التعجب من
عظم الامر والاستبعاد له والاصل في ذلك ان يسبح الله
عند روية العجايب بهتان عظيم البهتان ان يقال في الانسان
ما ليس فيه والغيبة ان يقال ما فيه ان تعودوا لمثله تقديره
يعظكم كراهة ان تعودوا لمثله ثم عظم الامر واكده بقوله ان
كنتم مومنين ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاشارة

بذلك الي المنافقين الذين احبوا ان يشيع حديث الافك ثم هو عام
في غيرهم ممن اتصف بصفتهم والعذاب في الدنيا الحد واما عذاب
الاخرة فقد ورد في الحديث ان من عوقب في الدنيا علي ذنب
لم يعاقب عليه في الاخرة فاشكل اجتماع الحد مع عذاب الاخرة
في هذا الموضع فيحتمل ان يكون القاذف يعذب في الاخرة ولا
يسقط الحد عنه عذاب الاخرة بخلاف ساير الحدود او يكون
هذا مختصا بمن قذف عايشة فانه روي عن ابن عباس
انه قال من اذنب ذنبا ثم تاب عنه قبلت توبته الا من
خاض في امر عايشة او يكون لمن مات مصرا غير تايب
او يكون للمنافقين خطوات الشيطان ذكر في البقرة الفحشا والمنكر
ذكر في النحل زكي اي تطهر من الذنوب وصلح دينه ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربي معنى
ياتل يحلف من قولك اليت اذا حلفت وقيل معناه يقصر
فهو من قولك الوت اي قصرت ومنه لا يالونكم خبالا والفضل
هنا يحتمل ان يريد به الفضل في الدين او الفضل في المال
وهو ان يفضل له عن مقدار ما يكفيه والسعة هي اتساع
المال ونزلت الاية بسبب ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين حلف ان لا ينفق علي مسطح لما تكلم في حديث الافك
وكان ينفق عليه لمسكنته ولانه قريبه وكان ابن بنت خالته
فلما نزلت الاية رجع الي مسطح النفقة والاحسان وكفر عن
يمينه قال بعضهم هذه ارجي اية في القران لانه اوصي
بالاحسان الي القاذف ثم ان لفظ الاية علي عمومه في ان
لا يحلف احد علي ترك عمل صالح الا تحبون ان يغفر الله لكم اي كما
تحبون ان يغفر الله لكم كذلك اغفروا انتم لمن اسا اليكم ولما
نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه اني لاحب ان يغفر الله لي

ثم

ثم رد النفقة الي مسطح المحصنات الغافلات معنى المحصنات
هنا العفايف ذوات الصون ومعنى الغافلات السليمات الصدور
فهو من الغفلة عن الشر لعنوا في الدنيا والاخرة هذا الوعيد
للقاذفين لعايشة ولذلك لم يذكر فيه توبة قال ابن عباس
كل مذنب تقبل توبته اذا تاب الا من خاض في حديث عايشة
وقيل الوعيد لكل قاذف والعذاب العظيم يحتمل ان يريد
به الحد او عذاب الاخرة يوم تشهد العامل فيه يوفيهم
وكرر يومئذ تاكيد وقيل العامل فيه عذاب او فعل مضمر
دينهم الحق اي جزاؤهم الواجب لهم ويعلمون ان الله هو الحق
المبين هذه الاية تدل علي ان ما قبلها في المنافقين لان المومن
قد علم في الدنيا ان الله هو الحق المبين ومعنى المبين الظاهر
الذي لا شك فيه الخبيثات للخبيثين الاية معناها ان
الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال وان الطيبات من
النسا للطيبين من الرجال ففي ذلك رد علي اهل الافك لان
النبي صلي الله عليه وسلم هو اطيب الطيبين فزوجته
اطيب الطيبات وقيل المعنى ان الخبيثات من الاعمال
للخبيثين من الناس والطيبات من الاعمال للطيبين من الناس
ففيه ايضا رد علي اهل الافك وقيل معناه ان الخبيثات
من الاقوال للخبيثين من الناس والاشارة بذلك الي اهل
الافك اي ان اقوالهم الخبيثة لا يقولها الا خبيث مثلهم اوليك
مبرون مما يقولون الاشارة باوليك الي الطيبين والطيبات
والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرية عايشة
رضي الله عنها مما رميت به لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا علي اهلها هذه الاية امر بالاستيذان
في غير بيت الداخل فيعم ذلك بيوت الاقارب وغيرهم وقد جا

في الحديث الامر بالاستيذان علي الام خيفة ان يراها عريانة ومعني
تستانسوا تستاذنوا وهو من قولك انست الشي اذا علمته
فالاستيناس ان يستعلم هل يريد اهل الدار الدخول ام لا
وقيل هو ماخوذ من الانس ضد الوحشة وقرا ابن عباس
حتي تستاذنوا والاستيذان واجب واما السلام فلا ينتهي
الي الوجوب واختلف ايهما يقدم فقيل يقدم السلام ثم
يستاذن فيقول السلام عليكم ثم يقول ادخل وقيل
يقدم الاستيذان لتقديمه في الاية وليس في الاية عدد
الاستيذان وجا في الحديث ان يستاذن ثلاث مرات وهو
تفسير للاية ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة فيها متاع لكم سبب هذه الاية لما نزلت اية الاستيذان
تعمقوا فيها فكانوا يا تون المواضع غير المسكونة فيسلمون
فيسلمون ويستاذنون فاباحت هذه الاية دخولها بغير
استيذان واختلف في البيوت الغير المسكونة في هذه الاية
فقيل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها احد بل هي
موقوفة ليا وي اليها كل ابن سبيل والمتاع علي هذا التمتع
بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك وقيل هي الخرب التي تدخل
للبول والغايط والمتاع علي هذا حاجة الانسان وقيل
هي حوانيت القيسارية والمتاع علي هذا الثياب والبسط
وشبهها وهذا القول خطا لان الاستيذان في الحوانيت واجب
باجماع قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
اعرابها كاعراب يقيموا الصلاة في ابراهيم وقد ذكر ومن ابصارهم
للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به علي ما يحل
وقيل معني التبعيض فيه ان النظرة الاولي لا حرج فيها ويمنع
ما بعدها واجاز الاخفش ان تكون من زايدة وقيل هي لابتدا

الغاية لان البصر مفتاح القلب والغض المامور به هو من النظر
الي العورات او الي ما لا يحل من النسا او الي كتب الغير وشبه ذلك
مما يستر وحفظ الفروج المامور به هو من الزنا وقيل اراد
ستر العورة والاظهر ان الجميع مراد وقل للمومنات يغضضن
من ابصارهن تومر المراة بغض بصرها عن عورة الرجل
وعن عورة المراة اجماعا واختلف هل يجب عليها غض
بصرها عن ساير جسد الرجل الاجنبي ام لا وعن ساير
جسد المراة ام لا فعلي القول بذلك تشتمل الاية عليه
والكلام في حفظ فروج النسا كحفظ فروج الرجال ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها نهي عن اظهار الزينة بالجملة ثم
استثنا الظاهر منها وهو ما لا بد من النظر اليه عند حركتها
او اصلاح شانها وشبه ذلك فقيل الا ما ظهر منها يعني الثياب
فعلي هذا يجب ستر جميع جسدها وقيل الثياب والوجه
والكفان وهذا مذهب مالك لانه اباح كشف وجهها وكفيها
في الصلاة وزاد ابو حنيفة القدمين وليضربن بخمرهن
علي جيوبهن الجيوب هي التي يقول لها العامة اطواق وسببها
ان النسا كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب
يظهر منها صدورهن وكن اذا غطين روسهن بالاخمرة سدلنها
من وراء الظهر فيبقي الصدر والعنق والاذنان لا ستر عليها
فامرهن الله بلي الاخمرة علي الجيوب ليستر جميع ذلك ولا يبدين
زينتهن الا لبعولتهن او ابايهن الاية المراد بالزينة هنا
الباطنة فلما ذكر في الاية قبلها ما اباح ان يراه غير ذي المحرم
من الزينة الظاهرة ذكر في هذه ما اباح ان يراه الزوج
وذوي المحارم من الزينة الباطنة وبدا بالبعولة وهم الازواج
لان اطلاعهم يقع علي اعظم من هذا ثم ثني بذوي المحارم

الذي يكرهن اذا تاب من ذلك ايات مبينات بفتح اليا اي بينها الله
وبالكسر مبينات للاحكام والحلال والحرام ومثلا يعني ضرب لكم
الامثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا لانه كان حراما في كل ملة
اوبراة عايشة كما برا يوسف ومريم الله نور السموات والارض
النور يطلق حقيقة علي الضوء الذي يدرك بالابصار ومجازا
علي المعاني التي تدرك بالقلوب والله ليس كمثله شي فتا وقيل
الاية الله ذو انوار السموات والارض او وصف نفسه بانه نور كما
تقول زيد كرم اذا اردت المبالغة في انه كريم فان اراد بالنور
المدرك بالابصار فمعني نور السموات والارض انه خلق النور
الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم او انه خلقهما واخرجهما
من العدم فانما ظهرت به كما تظهر الاشيا بالضوء ومن هذا
المعني قرا علي بن ابي طالب الله نور السموات والارض بفتح
النون والواو والراو وتشديد الواو اي جعل فيهما النور وان
اراد بالنور المدرك بالقلوب فمعني نور السموات والارض
جاعل النور في قلوب اهل السموات والارض ولهذا قال ابن
عباس معناه هادي اهل السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحايط
ويكون المصباح فيها شديد الاضاة وقيل المشكاة العمود
الذي يكون المصباح علي راسه والاول اصح واشهر والمعني
صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح علي
اعظم ما يتصوره البشر من الاضاة والانارة وانما شبهه
بالمشكاة وان كان نور الله اعظم لان ذلك غاية ما يدركه
الناس من الانوار فضرب المثل لهم بما يصلون الي ادراكه
وقيل الضمير في نوره عايد علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم
وقيل علي القران وقيل علي المومنين وهذه الاقوال ضعيفه

لانه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير فان قيل كيف يصح ان يقال
الله نور السموات والارض فاخبر انه هو النور ثم اضاف النور
اليه في قوله مثل نوره والمضاف غير المضاف اليه فالجواب
ان ذلك يصح مع التاويل الذي قدمناه اي الله ذو نور السموات
والارض اوكما تقول زيد كرم ثم تقول ينعش الناس بكرمه
المصباح في زجاجة المصباح هو الفتيل بناره والمعني انه
في قنديل من زجاج لان الضوء فيه ازهر لانه جسم شفاف
الزجاجة كانها كوكب دري شبه الزجاجة في انارتها بكوكب
دري وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها تضي بالمصباح
الذي فيها واما ان يريد انها في نفسها شديدة الضوء
لصفايها ورقة جوهرها وهذا ابلغ لاجتماع نورها مع
نور المصباح والمراد بالكوكب الدري احد الدراري المضيئة
كالمشتري والزهرة وسهيل ونحوها وقيل اراد الزهرة
ولا دليل علي هذا التخصيص وقرا نافع دري بضم الدال
وتشديد اليا من غير همز ولهذه القراة وجهان اما ان ينسب
الكوكب الي الدر لبيا منه وصفايه او يكون مسهلا من المهموز
وقري بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال وهو مشتق
من الدرا بمعني الدفع يوقد من شجرة مباركة زيتونة
من قرا يوقد باليا او توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند الي
المصباح ومن قرا توقد بالتا والفعل المضارع فهو مسند
الي الزجاجة والمعني توقد من زيت شجرة مباركة ووصفها
بالبركة لكثرة منافعها او لانها تنبت في الارض المباركة وهي
الشام لا شرقية ولا غربية قيل يعني انها بالشام فليست
من شرق الارض ولا من غربها واجود الزيتون زيتون الشام
وقيل هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار فليس خالصة

المشرق فتسمي شرقية ولا للمغرب فتسمي غربية بل هي غربية و
شرقية لان الشمس تستديو عليها من الشرق والغرب وقيل
انها في وسط دوحة فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا
في جهة الغرب وقيل انها من شجر الجنة ولو كانت في الدنيا
لكانت شرقية او غربية **يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار**
مبالغة في وصف صفايه وحسنه **نور علي نور** يعني اجتماع
نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت والمراد بذلك
كمال النور والممثل به **يهدي الله لنوره من يشا** اي يوفق
الله من يشا لاصابة الحق **في بيوت** يعني المساجد وقيل
بيوت اهل الايمان من مساجد او مساكن والاول اصح والجار
يتعلق بما قبله اي المشكاة في بيوت او توقد في بيوت وقيل
بما بعده وهو يسبح وكرر الجار بعد ذلك تاكيدا وقيل بمحذوف
اي سبحوا في بيوت اذن الله ان ترفع والمراد بالاذن الامر
ورفعها بناوها وقيل تعظيمها **بالغدو والاصال** اي غدوة
وعشية وقيل اراد الضحي والعصر **رجال** فاعل يسبح
بالقراة علي كسر البا واما علي القراة بالفتح فهو مرفوع
بفعل مضمر يدل عليه الاول **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن**
ذكر الله اي لا تشغلهم ونزلت الاية في اهل الاسواق الذين
اذا سمعوا بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا اليها والبيع
من التجارة ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله فاكهة ونخل
ورمان او اراد بالتجارة الشري **تتقلب فيه القلوب**
والابصار اي تضطرب من شدة الهول والخوف وقيل
تفقه القلوب وتبصر الابصار بعد العمي لان الحقايق تنكشف
حينئذ والاول اصح كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر وفي قوله تتقلب فيه القلوب تجنيس **ليجزي الله**

متعلق

متعلق بما قبله او بفعل من معني ما قبله **احسن ما عملوا**
اي جزا احسن ما عملوا **ويزيدهم من فضله** يعني زيادة علي ثواب
اعمالهم **بغير حساب** ذكر في البقرة **والذين كفروا اعمالهم كسراب**
بقيعة لما ذكر الله حال المومنين اعقب ذلك بمثالين لاعمال الكافرين
الاول يقتضي حال اعمالهم في الاخرة وانها لا تنفعهم بل يضمحل
ثوابها كما يضمحل السراب والثاني يقتضي حال اعمالهم في الدنيا
وانها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها
فوق بعض والسراب هو ما يري في الفلوات من ضو الشمس
في الهجيرة حتي يظهر كانه ما يجري علي وجه الارض والقيعة
جمع قاع وهو المنبسط من الارض وقيل القيعة بمعني القاع
وليس بجمع **يحسبه الظمان ما** الظمان العطشان اي يظن
العطشان ان السراب ما فيا تيه ليشربه فاذا جاه خاب
ما امل وبطل ما ظن وكذلك الكافر يظن ان اعماله تنفعه فاذا
كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب **حتي اذا جاه** ضمير
الفاعل للظمان وضمير المفعول للسراب او ضمير الفاعل للكافر
وضمير المفعول لعمله **ووجد الله عنده** ضمير الفاعل في وجد
للكافر والضمير المضاف في عنده لعمله والمعني وجد الله
عنده بالجزا او وجد زبانية الله **او كظلمات** هذا هو المثال
الثاني وهو عطف علي قوله كسراب والمشبه بالظلمات اعمال
الكافر اي هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة
من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب **في بحر لجي** منسوب
الي اللج وهو معظم الما وذهب بعضهم الي ان اجزا هذا المثال
قوبلت به اجزا الممثل به فالظلمات اعمال الكافر والبحر اللجي
صدره والموج جهله والسحاب الغطا الذي علي قلبه وذهب
بعضهم الي انه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف

هذه الظلمات بهذه الاوصاف مبالغة كما ان وصف النور المذكور قبلها
مبالغة اذا اخرج يده لم يكد يراها المعني مبالغة في وصف الظلمة
والضمير في اخرج وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمة الموصوفة
واختلف في تاويل الكلام فقيل المعني اذا اخرج يده لم يقارب رويتها
فنفي الروية ومقاربتها وقيل بل راها بعد عسر وشدة
لان كاد اذا نفيت تقتضي الايجاب واذا اوجبت تقتضي النفي
وقال ابن عطية انما ذلك اذا دخل حرف النفي علي الفعل
الذي بعدها فاما اذا دخل حرف النفي علي كاد كقوله
لم يكد فانه يحتمل النفي والايجاب ومن لم يجعل الله له نورا
اي من لم يهده الله لم يهتد والنور كناية عن الهدي والايمان
في الدنيا وقيل اراد في الاخرة اي من لم يرحمه الله
فلا رحمة له والاول اليق بما قبله الم تران الله يسبح له
من في السموات والارض الروية هنا بمعني العلم والتسبيح التنزيه
والتعظيم وهو من العقلا بالنطق واما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل
فقال الجمهور انه حقيقي ولا يبعد ان يلهمها الله التسبيح كما يلهمها
الامور الدقيقة التي لا يهتدي اليها العقلا وقيل تسبيحه ظهور
الحكمة فيه صافات يصففن اجنحتهن في الهوي كل قد علم
الضمير في علم لله او لكل والضمير في صلاته وتسبيحه لكل يزجي
معناه يسوق والازجا انما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب
ركاما متكاثف بعضه فوق بعض الودق المطر من خلاله
اي من بينه وهو جمع خلل كجبل وجبال وينزل من السما من جبال
فيها من برد قيل ان الجبال هنا حقيقة وان الله جعل في السما
جبالا من برد وقيل انه مجاز كقولك عند فلان جبل من مال
او علم اي هي في الكثرة كالجبال ومن في قوله من السما لابتدا
الغاية وفي قوله من جبال كذلك وهي بدل من الاولي وتكون

للتبعيض

للتبعيض فتكون مفعول ينزل ومن في قوله من برد لبيان الجنس
او للتبعيض فتكون مفعول ينزل وقال الاخفش هي زايدة وذلك
ضعيف وقوله فيها صفة للجبال والضمير يعود علي السما سنا برقه
السنا بالقصر الضوء وبالمد المجد والشرف يقلب الله الليل
والنهار اي ياتي هذا بعد هذا خلق كل دابة يعم بني ادم والبهايم
والطير لان ذلك كله يدب من ما يعني المني وقيل الما الذي في
الطين الذي خلق منه ادم وغيره علي بطنه كالحيات والحوت
ويقولون امنا الاية نزلت في المنافقين وسببها ان رجلا من
المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة فدعاه اليهودي
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعرض عنه ودعاه
الي كعب بن الاشرف مذعنين اي منقادين طايعين لقصد
الوصول الي حقوقهم افي قلوبهم مرض توقيف يراد به التوبيخ
وكذلك ما بعده ان يحيف معناه ان يجوروا والحيف الميل واسنده
الي الله لان الرسول انما يحكم بامر الله وشرعه انما كان قول
المومنين الاية معناها انما الواجب ان يقول المومنون سمعنا
واطعنا اذا دعوا الي الله ورسوله وجعل الدعا الي الله
من حيث هو الي شرعه ومن يطع الله ورسوله الاية قال
ابن عباس معناها من يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه
ويخش الله فيما مضي من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وسال
بعض الملوك عن اية كافية جامعة فذكرت له هذه الاية
وسمعها بعض البطارقة فاسلم وقال انها جمعت كل ما في
التوراة والانجيل واقسموا اي حلفوا والضمير للمنافقين
جهد ايمانهم اي بالغوا في اليمين واكدوها ليخرجن يعني
الي الغزو قل لا تقسموا نهي عن اليمين الكاذبة لانه قد عرف
انهم يحلفون علي الباطل طاعة معروفة مبتدا وخبره محذوف

الله تعالى ويحتمل ان يكون ايضا من كلام ابراهيم الا من اتى الله
بقلب سليم قيل سليم من الشرك والمعاصي وقيل الذي
يلقى ربه وليس في قلبه شي غيره وقيل بقلب لديغ من
خشية الله والسليم هو اللديغ لغة وقال الزمخشري
هذا من بدع التفاسير وهذا الاستثنا يحتمل ان يكون متصلا
فيكون من اتى الله مفعولا لقوله لا ينفع والمعنى على هذا
ان المال لا ينفع الا من انفقه في طاعة الله وان البنين لا ينفعهم
الا من علمهم الدين واوصاهم بالحق ويحتمل ايضا ان يكون
متصلا ويكون من اتى الله بدلا من قوله مال وبنون على
حذف مضاف تقديره الا مال من اتى الله وبنوه ويحتمل ان يكون
منقطعا بمعنى لكن وازلفت الجنة اي قربت الغاوين يعني
المشركين بدلالة ما بعده فكبكبوا فيها كبكبوا مضاعف
مركب كوزن حروفه ودلالة على تكرير معناه اي كبهم الله
في النار مرة بعد مرة والضمير للاصنام والغاوون هم
المشركون وقيل الضمير للمشركين والغاوين هم الشياطين
نسويكم برب العالمين اي نجعلكم سوا معه وما اضلنا الا
المجرمون يعني كبراهم واهل الجرم والجراة منهم حميم اي
خالص الود وقال الزمخشري جمع الشفعا ووحد الصديق
لكثرة الشفعا في العادة وقلة الاصدقا كذبت قوم نوح
المرسلين اسند الفعل الى القوم وفيه علامات التانيث لان
القوم في معنى الجماعة والامة فان قيل كيف قال المرسلين
بالجمع وانما كذبوا نوحا وحده فالجواب من وجهين احدهما
اراد الجنس كقوله فلان يركب الخيل وان لم يركب الا
فرسا واحدا والاخر ان من كذب نبيا واحدا فقد كذب
جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان قولهم واحد

ودعوتهم سوا وكذلك الجواب في كذبت عاد المرسلين وغيره واتبعك
الارذلون جمع ارذل وقد تقدم الكلام عليه في قوله اراذلنا
في هود وما انا بطارد المومنين يعني الذين سموهم ارذلين
فان الكفار ارادوا من نوح ان يطردهم كما ارادت قريش من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطرد عمار بن ياسر
وصهيبا وبلالا واشباههم من الضعفا المرجومين يحتمل ان
يريد والرجم بالحجارة او بالقول وهو الشتم فافتح بيني وبينهم
اي احكم بيننا في الفلك المشحون اي المملوء بكل ريع الريع
المكان المرتفع وقيل الطريق اية يعني المباني الطوال
وقيل ابراج الحمام مصانع جمع مصنع وهو ما اتقن صنعه من
المباني وقيل ماخذ الما امدكم بانعام الاية تفسير لقوله
امدكم بما تعلمون فابهم اولا ثم فسره خلق الاولين بضم الخا
واللام اي عادتهم والمعنى انهم قالوا ما هذا الذي عليه من
ديننا ومبانينا الا عادة الناس الاولين وقري بفتح الخا
واسكان اللام ويحتمل على هذين الوجهين معنيان احدهما
انها بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها الا
خلقة الاولين والاخر انها من الاختلاق بمعنى الكذب
والمعنى ما هذا الذي جيت به الا كذب الاولين اتتركون
تخويف لهم معناه اتطمعون ان تتركوا في النعم على كفركم
ونخل طلعها هضيم الطلع عنقود التمر في اول نباته قبل
ان يخرج من الكم والهضيم اللين الرطب فالمعنى ان طلعها
يتم ويرطب وقيل هو الرخص اول ما يخرج وقيل الذي
ليس فيه نوى فان قيل لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات
والجنات تحتوي على النخل فالجواب ان ذلك تجريد
كقوله فاكهة ونخل ورمان ويحتمل انه اراد الجنات التي

ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل **وتنحتون** ذكر في الاعراف
فرهين قري بالف وبغير الف وهو منصوب علي الحال من
الفاعل في تنحتون وهو مشتق من الفراهة وهي النشاط
والكيس وقيل معناه اقويا وقيل اشرين بطرين **من**
المسحرين مبالغة في المسحورين وهو من السحر بكسر السين
وقيل من السحر بفتح السين وهي الرية والمعني علي هذا
انما انت بشر **لها شرب** اي حظ من الما **فاصبحوا نادمين**
لما تغيرت الوانهم حسبما اخبرهم صالح عليه السلام ندموا
حين لم تنفعهم الندامة **فاخذتهم الصيحة** التي ماتوا فيها
وهي العذاب المذكور هنا **من القالين** اي من المبغضين
وفي قوله قال ومن القالين ضرب من ضروب التجنيس
مما يعملون اي نجني من عقوبة عملهم او اعصمني من عملهم
والاول ارجح **الا عجوزا** يعني امراة لوط **في الغابرين** ذكر
في الاعراف وكذلك امطرنا **اصحاب الايكة** قري بالهمز وخفض
التا مثل الذي في الحجر وق ومعناه الغيضة من الشجر وقري
هنا وفي ص بفتح اللام والتا فقيل انه مسهل من الهمزة وقيل انه
اسم بلدهم ويقوي هذا القول بانه علي هذه القراة بفتح التا
غير منصرف يدل ذلك علي انه اسم علم وضعف ذلك الزمخشري
وقال ان ليكة اسم لا يعرف **اذ قال لهم شعيب** لم يقل هنا
اخوهم كما قال في قصة نوح وغيره وقيل ان شعيبا بعث الي
مدين وكان من قبيلتهم فلذلك قال الي مدين اخاهم شعيبا
وبعث ايضا الي اصحاب الايكة ولم يكن منهم فلذلك لم
يقل انه اخوهم فكان شعيبا علي هذا مبعوث الي قبيلتين
وقيل ان اصحاب الايكة هم مدين ولكن قال اخوهم حين
ذكرهم باسم قبيلتهم ولم يقل اخوهم حين نسبهم الي الايكة

التي

٢٥١

التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسب اليها **من المخسرين**
اي من الناقصين للكيل والوزن **بالقسطاس** الميزان المعتدل
والجبلة يعني القرون والامم المتقدمة **عذاب يوم الظلة**
هي سحابة من نار احرقتهم فاهلك الله مدين بالصيحة واهلك
اصحاب الايكة بالظلة فان قيل لم كرر قوله ان في ذلك
لاية مع كل قصة فالجواب ان ذلك ابلغ في الاعتبار واشد
تنبيها للقلوب وايضا فان كل قصة منها كانها كلام قايم
مستقل بنفسه فختمت بما ختمت صاحبتها **وانه لتنزيل**
رب العالمين الضمير للقران **الروح الامين** يعني جبريل عليه
السلام **علي قلبك** اشارة الي حفظه اياه لان القلب هو الذي يحفظ
بلسان عربي يعني كلام العرب وهو متعلق بنزل او بالمنذرين
وانه لفي زبر الاولين المعني ان القران مذكور في كتب المتقدمين
ففي ذلك دليل علي صحته ثم اقام الحجة علي قريش بقوله
اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل بانه من عند الله
اية لكم وبرهان والمراد من اسلم من بني اسرايل كعبد الله بن
سلام وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام
ولو نزلناه علي بعض الاعجمين الاية الاعجمين جمع اعجم وهو الذي
لا يتكلم سوا كان انسانا او جمادا والاعجمي المنسوب الي الاعجم
وقيل بمعني الاعجم ومعني الاية ان القران لو نزل علي من
لا يتكلم ثم قراه عليهم لم يومنوا لافراط عنادهم ففي ذلك تسلية
للنبي صلي الله عليه وسلم علي كفرهم به مع وضوح برهانه
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين معني سلكناه ادخلناه والضمير
للتكذيب الذي دل عليه ما تقدم من الكلام او للقران
اي سلكناه في قلوبهم مكذبا به وتقدير قوله كذلك مثل
هذا السلك سلكناه والمجرمين يحتمل ان يريد به قريشا

او الكفار المتقدمة ولا يؤمنون تفسير للسلك الذي سلكه في قلوبهم
فيقولون هل نحن منظرون تمنوا ان يؤخروا حين لم ينفعهم
التمني افبعذابنا يستعجلون توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب
في قولهم امطر علينا حجارة من السما وشبه ذلك افرايت ان
متعناهم سنين المعنى مدة امهالهم لا تغني مع نزول العذاب
بعدها وان كانت مدة سنين لان كل ما هو ات قريب وقال
بعضهم سنين يريد به عمر الدنيا وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون المعنى ان الله لا يهلك قوما الا بعد ان اقام الحجة عليهم
بان ارسل اليهم رسولا فانذرهم فكذبوه ذكرى منصوب
على المصدر من معنى الانذار او على الحال من الضمير في منذرون
او على المفعول من اجله او مرفوع على انه خبر ابتدا مضمر
وما تنزلت به الشياطين الضمير للقران وهو رد على من قال
انه كهانة نزلت به الشياطين على سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وما ينبغي لهم وما يستطيعون اي ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون
عليه ولفظ ما تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة لا يليق انهم عن
السمع لمعزولون تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة
لانهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد كان امر الكهانة كثيرا منتشرا قبل ذلك وانذر عشيرتك
الاقربين عشيرة الرجل قرابته الادنون ولما نزلت هذه الاية
انذر النبي صلى الله عليه وسلم قرابته فقال يا بني هاشم
انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من
النار ثم نادى بنته كذلك بنته فاطمة وعمته صفية قال
الزمخشري في معناها قولان احدهما انه امر ان يبدا بانذار
اقاربه قبل غيرهم من الناس والاخر انه امر ان لا ياخذه
ما ياخذ القريب من الرافة بقريبه ولا يحابيهم بالانذار

واخفض جناحك عبارة عن لين الجانب والرفق وعن التواضع
الذي يراك حين تقوم اي حين تقوم في الصلاة ويحتمل ان يريد
ساير التصرفات وتقلبك في الساجدين معطوف على الضمير
المفعول في قوله يراك والمعنى انه يراك حين تقوم وحين تسجد
وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلين ففي ذلك اشارة الى الصلاة
مع الجماعة وقيل يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك
لانه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره تنزل
على كل افاك اثيم هذا جواب السوال المتقدم وهو قوله
هل انبيكم على من تنزل الشياطين والافاك الكذاب والاثيم
الفاعل الاثم يعني بذلك الكهان وفي هذا رد على من قال ان
الشياطين تنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة
لانها لا تنزل الا على افاك اثيم وكان صلى الله عليه وسلم على
غاية الصدق والبر يلقون السمع معناه يستمعون والضمير
يحتمل ان يكون الى الشياطين بمعنى انهم يستمعون الى الملايكة
او يكون للكهان بمعنى انهم يستمعون الى الشياطين وقيل يلقون
بمعنى يلقون المسموع والضمير يحتمل ايضا على هذا ان يكون
للشياطين لانهم يلقون الكلام الى الكهان او يكون للكهان
لانهم يلقون الكلام الى الناس واكثرهم كاذبون يعني الشياطين
او الكهان لانهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين والشعرا
يتبعهم الغاوون لما ذكر الكهان ذكر الشعرا ليبين ان القران ليس
بكهانة ولا شعر لتباين ما بين اوصافه واوصاف الشعر
والكهانة واراد الشعرا الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي
كالهجا والمدح بالباطل وغير ذلك وقيل اراد شعرا الجاهلية
وقيل شعرا كفار قريش الذين كانوا يوذون المسلمين
باشعارهم والغاوون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفها

الناس الذين يعجبهم الاشعار لما فيهما من اللغو والباطل وقيل
هم الشياطين في كل واد يهيمون استعارة وتمثيل اي يذهبون
في كل وجه من الكلام الحق والباطل ويفرطون في التجوز
حتى يخرجوا الى الكذب الا الذين امنوا الاية استثنا من الشعرا
يعني به شعرا المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف
بهذه الاوصاف وقيل ان هذه الاية مدنية ذكروا الله
قيل معناه ذكروا الله في اشعارهم وقيل يعني الذكر على
الاطلاق وانتصروا من بعد ما ظلموا اشارة الى ما قاله
حسان بن ثابت وغيره من الشعر في هجو الكفار بعد ان هجا
الكفار النبي صلى الله عليه وسلم وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتدا
على الناس لقوله من بعد ما ظلموا وعمل ينقلبون في
اي لتاخره وقيل ان العامل فيه اي سيعلم

سورة النمل

تلك ايات القران وكتاب مبين عطف الكتاب على القران
كعطف الصفات بعضها على بعض وان كان الموصوف واحدا
هدى وبشرى في موضع نصب على المصدر او في موضع رفع
على انه خبر ابتدا مضمر وهم بالاخرة هم يوقنون تحتمل هذه
الجملة ان تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين او تكون
مستانفة وتمت الصلة قبلها ورجح الزمخشري هذا
يعمهون يتحيرون سو العذاب يعني في الدنيا وهو القتل
يوم بدر ويحتمل ان يريد عذاب الاخرة والاول ارجح لانه
ذكر عذاب الاخرة بعد لتلقى القران اي تعطاه انست
ذكر في طه وكذلك قبس والشهاب النجم شبه القبس به
وقرى باضافة شهاب الى قبس وبالتنوين على البدل

او

او الصعد فان قيل كيف قال هنا ساتيكم وفي الموضع الاخر لعلي
اتيكم والفرق بين الترجي والتسويف ان التسويف متيقن الوقوع
بخلاف الترجي فالجواب انه قد يقول الراجي سيكون كذا اذا قوي
رجاوه تصطلون معناه تستدفيون بالنار من البرد ووزنه
تفتعلون وهو مشتق من صلي بالنار والطا بدل من التا
ان بورك من في النار ومن حولها ان مفسرة وبورك من البركة
ومن في النار يعني من في مكان النار ومن حولها من حول مكانها
يريد الملايكة الحاضرين وموسى عليه السلام قال الزمخشري
والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي
وما حوله من ارض الشام وسبحان الله يحتمل ان يكون مما
قيل في الندا لموسى عليه السلام او يكون مستانفا وعلى كل
الوجهين فقصد به تنزيه الله مما عسى ان يخطر ببال السامع
في معنى الندا وفي قوله بورك من في النار اذ قال بعض
الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه والق عصاك هذه الجملة
معطوفة على قوله بورك من في النار لان المعنى يودي الى ان
بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير للندا كانها جان
الجان الحية وقيل الحية الصغيرة وعلى هذا اشكل قوله فاذا
هي ثعبان والجواب انها ثعبان في جرمها جان في سرعة
حركتها ولم يعقب لم يرجع او لم يلتفت الا من ظلم استثنا منقطع
تقديره لكن من ظلم من ساير الناس لا من المرسلين وقيل
انه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم على الانبيا وهذا
بعيد لان الصحيح عصمتهم من الذنوب وايضا فان تسميتهم
ظالمين ممتنع على القول بتجويز الذنوب عليهم بدل حسنا اي
عملا صالحا في جيبك ذكر في طه في تسع ايات متصل بقوله الق
وادخل تقديره نيسر لك ذلك في جملة تسع ايات وقد ذكرت

الايات التسع في الاسرا الي فرعون متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام
تقديره اذهب بالايات التسع الي فرعون مبصرة اي ظاهرة
واضحة الدلالة اسند الابصار لها مجازا وهو في الحقيقة لمتاملها
واستيقنتها انفسهم يعني انهم جحدوا بها مع انهم تيقنوا انها
الحق فكفرهم عناد ولذلك قال فيه ظلما والواو واو الحال
واضمرت بعدها قد علوا يعني تكبروا وورث سليمان داود
اي ورث عنه النبوة والعلم والملك علمنا منطق الطير
اي فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها واوتينا
من كل شي عموم معناه الخصوص والمراد بهذا اللفظ التكثير
كقولك فلان يقصده كل احد وقوله علمنا واوتينا يحتمل
ان يريد نفسه واباه او نفسه خاصة علي وجه التعظيم
لانه كان ملكا وحشر لسليمان جنوده اختلف الناس
في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره
لعدم صحته فهم يوزعون اي يكفون ويرد اولهم الي اخرهم
ولا بد لكل ملك او حاكم من وزعة يدفعون الناس حتي
اذا اتوا علي واد النمل ظاهر هذا ان سليمان وجنوده
كانوا ماشيا بالارض حتي اخافت منهم النملة ويحتمل انهم كانوا
في الكرسي المحمول بالريح واحست النملة بنزولهم في الارض
قالت نملة النمل حيوان فطن قوي الحس يدخر قوته
ويقسم الحبة بقسمين لئلا تنبت ويقسم حبة الكزبرة
علي اربع قطع لانها تنبت اذا قسمت اثنين ولا فراط ادراكها
قالت هذا القول وروي ان سليمان سمع كلامها وكان
بينه وبينها ثلاثة اميال وهذا لا يسمعه البشر
الا من خصه الله بذلك ادخلوا خاطبهم مخاطبة العقلا
لانها امرتهم بما يومر به العقلا لا يحطمنكم يحتمل ان يكون

جوابا للامر او نهيا بدلا من الامر لتقارب المعني وهم لا يشعرون
الضمير لسليمان وجنوده والمعني اعتذار عنهم لو حطموا النمل
اي لو شعروا انهم لم يحطموهم فتبسم ضاحكا تبسم لامرين
احدهما سروره بما اعطاه الله والاخر ثنا النملة عليه وعلي
جنوده فان قولها وهم لا يشعرون وصف لهم بالتقوي
والتحفظ من مضرة الحيوان وتفقد الطير اختلف الناس
في معني تفقده للطير فقيل ذلك لعنايته بامور ملكه
وقيل لان الطير كان تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس
عليه من موضعه ام كان من الغايبين ام منقطعة فانه
نظر الي مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اري الهدهد
اي لا اراه ولعله حاضر وستره ساتر ثم علم بانه غايب
فاخبر بذلك لاعذبنه روي ان تعذيبه للطير كان بنتف
ريشه بسلطان مبين اي حجة بينة فمكث اي اقام ويجوز
فتح الكاف وضمها وبالفتح قراها هم والفعل يحتمل ان يكون
مسندا الي سليمان عليه السلام او الي الهدهد وهو اظهر
غير بعيد يعني زمان قريب احطت اي احطت علما بما لم
تعلمه من سبا يعني قبيلة من العرب جدهم الذي يعرفون
به سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومن صرفه اراد الحي
او الاب ومن لم يصرفه اراد القبيلة او البلده وقري بالسكون
لتوالي الحركات وعلي القراة بالتنوين يكون من سبا بنبا
ضرب من ادوات البيان وهو التسميع وجدت امراة
تملكهم المراة بلقيس بنت شراحيل كان ابوها ملك اليمن
ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده علي الملك والضمير
في تملكهم يعود علي سبا وهم قومها من كل شي عموم
يراد به الخصوص فيما يحتاج الملك ولها عرش عظيم

يعني سرير ملكها ووقف بعضهم علي عرش ثم ابتدا عظيم
وجدتها علي تقدير عظيم اي وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وهذا اخطا وانما حمله عليه النزار من
وصف عرشها بالعظمه الا يسجدوا لله من كلام الهدهد
او من كلام الله وقرا الجمهور بالتشديد وان في موضع نصب
علي البدل من اعمالهم او في موضع خفض علي البدل من
السبيل او يكون التقدير لا يهتدون لان يسجدوا وحذف اللام
وزاد لا وقري بالتخفيف علي ان تكون لا حرف تنبيه وان
تكون يا حرف ندا فيوقف عليها بالالف علي تقدير يقوم
ثم يبتدي اسجدوا يخرج الخبا الخبا في اللغة الخفي
فقيل معناه هنا الغيب وقيل يخرج النبات من الارض
واللفظ يعم كل خفي وبه فسره ابن عباس ثم تول عنهم
اي تنح الي مكان قريب لتسمع ما يقولون وروي انه دخل
عليها من كوة فالقي اليها الكتاب وتواري في الكوة وقيل
التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب
والاول احسن ماذا يرجعون من قوله يرجع بعضهم الي بعض
القول قالت يا ايها الملا قبل هذا الكلام محذوف تقديره
فالقي الهدهد اليها الكتاب فقراته ثم جمعت اهل ملكها
فقالت لهم يا ايها الملا كتاب كريم وصفته بالكرم لانه
من عند سليمان او لانه فيه اسم الله او لانه مختوم كما جا
في الحديث كرم الكتاب ختمه من سليمان يحتمل ان يكون هذا
نص الكتاب بدا فيه بالعنوان وان يكون من كلامها اخبرتهم
ان الكتاب من سليمان واتوني مسلمين يحتمل ان يكون بمعني
بمعني مستسلمين من الانقياد ويكون من الدخول في
الاسلام نحن اولوا قوه يحتمل ان يريد قوة الاجساد او قوة

الملك والعدد وكذلك يفعلون من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها
فيوقف علي ما قبله او من كلام بلقيس تاكيد المعني الذي ارادته
اي وكذلك يفعل هولا بنا واني مرسلة اليهم بهدية قالت لقومها
اني اجرب هذا الرجل بهدية من نفايس الاموال فان كان ملكا
دنيا ويا ارضاه المال وان كان نبيا لم يرضه المال وانما يرضه
دخولنا في دينه فبعثت اليه هدية عظيمة وصفها الناس
واختصرنا وصفها لعدم صحته اتمدونني بمال انكار للهدية
لان الله اغناه عنها بما اعطاه بل انتم بهديتكم تفرحون وانما
لست كذلك ارجع اليهم خطاب للرسول وقيل للهدهد
والاول ارجح لان قوله فلما جا سليمان مسند الي الرسول
لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها قال يا ايها الملا ايكم ياتيني
بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين القايل سليمان والملاء
جماعة من الجن والانس وطلب عرشها قبل ان ياتوه مسلمين
لانه وصف له بعظمة فاراد ان ياخذ قبل ان يسلموا فيمنع اسلامهم
من اخذ اموالهم فمسلمين علي هذا من الدخول في الاسلام وقيل
انما طلب عرشها قبل ان ياتوه مسلمين ليظهر لهم قوته فمسلمين
علي هذا بمعني منقادين قال عفريت روي عن وهب بن منبه
ان اسم هذا العفريت الكودن قبل ان تقوم من مقامك اي قبل
ان تقوم من موضع الحكم وكان يجلس من بكرة الي الظهر وقيل
معناه قبل ان تستوي من جلوسك قايما قال الذي عنده علم
من الكتاب هو اصف بن برخيا وكان رجلا صالحا من بني اسرايل
كان يعلم اسم الله الاعظم وقيل هو الخضر وقيل جبريل والاول
اشهر وقيل سليمان وهذا بعيد اتيك به في الموضعين يحتمل ان
يكون فعلا مستقبلا واسم فاعل قبل ان يرتد اليك طرفك
الطرف العين فالمعني علي هذا قبل ان تغمض بصرك اذا نظرت الي

شي وقيل الطرف تحريك الاجفان اذا نظرت فلما راه مستقرا عنده
قيل هذا محذوف تقديره فجاه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها
ومعنى مستقرا عنده حاصلا عنده وليس هذا بمستقر الذي يقدر
النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك يشكر لنفسه
اي منفعة الشكر لنفسه قال نكروا لها عرشها تنكيره تغيير وصفه
وستر بعضه وقيل الزيادة فيه والنقص منه وقصد بذلك
اختبار عقلها وفهمها اتهتدي يحتمل ان يريد تهتدي لمعرفة
عرشها او للجواب عنه اذا سيلت او للايمان فلما جات قيل
اهكذا عرشك كان عرشها قد وصل قبلها الى سليمان فامر
بتنكيره وان يقال لها اهكذا عرشك اي امثل هذا عرشك
لئلا تفطن انه هو فاجابت بقولها كانه هو جوابا عن السوال
ولم تقل هو هو تحرزا من الكذب ومن التحقيق في محل الاحتمال
واوتينا العلم من قبلها هذا من كلام سليمان وقومه لما راوها
قد امنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم في ان اتاهم العلم
قبل بلقيس وهداهم للاسلام قبلها والجملة معطوفة على كلام
محذوف تقديره قد اسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة
النبوة واوتينا نحن العلم قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون
الله هذا يحتمل ان يكون من كلام سليمان وقومه او من كلام الله
تعالى ويحتمل ان يكون ما كانت تعبد فاعلا او مفعولا فان كان
فاعلا فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في
الاسلام حتى الى هذا الوقت وان كان مفعولا فهو على اسقاط
حرف الجر والمعنى صدها الله او سليمان عن ما كانت تعبد من
دون الله فدخلت في الاسلام قيل لها ادخلي الصرح فلما
راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها الصرح في اللغة هو القصر
وقيل صحن الدار روي ان سليمان امر قبل قدومها فبني لها

علي

٤٥٦

على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى الما من تحته والقى فيه دواب
البحر من السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما
راته حسبته لجة واللجة الما المجتمع كالبحر فكشفت عن ساقيها لتدخله
لما امرت بدخوله روي ان الجن كرهوا تزوج سليمان لها فقالوا له
ان عقلها مجنون وان رجليها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير
العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقيها بالصرح فلما كشفت
عن ساقيها وجدها احسن الناس ساقا فتزوجها واقرها على
ملكها باليمن وكل ياتيها مرة في كل شهر وقيل اسكنها معه بالشام
قال انه صرح ممرد من قوارير لما ظنت ان الصرح لجة ما وكشفت
عن ساقيها لتدخل الما قال لها سليمان انه صرح ممرد والممرد
الاملس وقيل الطويل والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة
قالت اني ظلمت نفسي يعني بكفرها فيما تقدم واسلمت مع
سليمان هذا ضرب من ضروب التجنيس فريقين يختصمون الفريقان
من امن ومن كفر واختصامهم اختلافهم وجدالهم في الدين لم
تستعجلون اي لم تطلبون العذاب قبل الرحمة او المعصية قبل
الطاعة قالوا اطيرنا بك اي تشاممنا بك وكانوا قد اصابهم
القحط قال طايركم عند الله اي السبب الذي يحدث عنه خيركم
او شركم هو عند الله وهو قضاوه وقدره وذلك رد عليهم في
تطيرهم ونسبتهم ما اصابهم من القحط الى صالح عليه السلام
وكان في المدينة يعني مدينة ثمود يفسدون في الارض قيل انهم كانوا
يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد اعم من ذلك تقاسموا
بالله اي احلفوا بالله وقيل انه فعل ماض وذلك ضعيف والصحيح
انه فعل امر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه لنبيتنه
واهله اي لنقتلنه بالليل وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه
ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله اي تبرانا من دمه ان

ان طلبنا به وليه ومهلك يحتمل ان يكون اسم مصدر او زمان او
مكان فان قيل ان قولهم ما شهدنا يقتضي التبري من دم اهله
دون التبري من دمه فالجواب من ثلاثة اوجه الاول ما شهدنا
مهلكه ومهلك اهله وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه واهله
الثاني ان اهل الانسان قد يراد به هو وهم لقوله واغرقنا ال فرعون
يعني فرعون وقومه الثالث انهم قالوا مهلك اهله خاصة
ليكونوا صادقين فانهم شهدوا مهلكه ومهلك اهله معا وارادوا
التعريض في كلامهم لئلا يكذبوا **وانا لصادقون** يحتمل قولهم
وانا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم انهم كاذبون ويحتمل انهم
قصدوا وجها من التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه
في الجواب الثالث عن مهلك اهله وهو انهم قصدوا ان يقتلوا
صلحا واهله معا ثم يقولون ما شهدنا مهلك اهله وحدهم
وانا لصادقون في ذلك يعنون انهم شهدوا مهلكه ومهلك
اهله معا وعلى هذا حمله الزمخشري **انا دمرناهم وقومهم**
روي ان الرهط الذي تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا
في غار قريبا من داره ليخرجوا منه الى داره بالليل فوقعت
عليهم صخرة فاهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم
بعضهم بهلاك بعض ونجا صالح ومن امن به **وانتم تبصرون**
قيل معناه تبصرون بعقولكم انها معصية وقيل تبصرون
بابصاركم لانهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستر بعضهم
من بعض وقيل تبصرون اثار الكفار قبلكم وما نزل بهم
من العذاب يتطهرون والغابرين وامطرنا قد ذكر **قل الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى** امر الله رسوله ان يتلو
الايات المذكورة بعد هذا لانها براهين على وحدانيته وقدرته
وان يستفتح ذلك بحمده والسلام على من اصطفاه من عباده

انهم آرادوا

كما

كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمنا بذكر الله قال ابن
عباس يعني بعباده الذين اصطفى الصحابة واللفظ اعم من ذلك
يعم الملايكة والانبيا والصحابة والصالحين **الله خير اما يشركون**
على وجه الرد على المشركين فدخلت خير التي يراد بها التفضيل
لتبكيتهم وتعنيتهم مع انه معلوم لا خير فيما اشركوا اصلا ثم
اقام عليهم الحجة بان الله هو الذي خلق السموات والارض وبغير
ذلك مما ذكره الى تمام هذه الايات واعقب كل برهان منها بقوله
اله مع الله على وجه التقرير لهم على انه لم يفعل ذلك كله الا الله
وحده فقامت عليهم الحجة بذلك ايضا وام في قوله اما تشركون
متصلة عاطفة وام في المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة
قوم يعدلون اي يعدلون عن الحق والصواب او يعدلون بالله غيره
اي يجعلون له عديلا ومثيلا **رواسي** يعني الجبال **البحرين**
ذكر في الفرقان **يجيب المضطر** الرزق من السما والمطر ومن الارض
النبات قيل هو المجهود وقيل الذي لا حول له ولا قوة واللفظ
مشتق من الضرر اي الذي اصابه الضر او من الضرورة اي الذي
الجته الضرورة الى الدعا **خلفاء الارض** اي خلفا فيها تتوارثون
سكناها **امن يهديكم** يعني الهداية بالنجوم والطرقات **نشرا**
ذكر في الاعراف **من السما والارض** الرزق من السما المطر ومن
الارض النبات **هاتوا برهانكم** تعجيز للمشركين **قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله** هذه الاية تقتضي انفراد الله
تعالى بعلم الغيب وانه لا يعلمه سواه ولذلك قالت عايشة رضي
الله عنها من زعم ان محمدا يعلم الغيب فقد اعظم الفرية على الله
ثم قرات هذه الاية فان قيل فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخبر بالغيوب وذلك معدود في معجزاته فالجواب انه صلى الله
عليه وسلم قال اني لا اعلم الغيب الا ما علمني الله فان قيل

كيف ذلك مع ما ظهر من اخبار الكهان والمنجمين واشباههم بالامور المغيبة
فالجواب ان اخبارهم بذلك تدلك علي ظن ضعيف او وهم و هم
لا عن علم وانما اقتضت الاية نفي العلم وقد قيل ان الغيب في هذه
الاية يراد به متي تقوم الساعة لان سبب نزولها انهم سالوا عن
ذلك ولذلك قال وما يشعرون ايان يبعثون فعلي هذا يندفع
السوال الاول والثاني لان علم الساعة انفرد به الله تعالي
لقوله تعالي قل انما علمها عند الله ولقوله صلي الله عليه وسلم
في خمس لا يعلمها الا الله ثم قرا ان الله عنده علم الساعة الي اخر
السورة فان قيل كيف قال الا الله علي البدل والبدل لا يصح الا
اذا كان الاستثنا متصلا ويكون ما بعد الا من جنس ما قبلها
والله تعالي ليس من السموات والارض باتفاق فان القايلين بالجهة
والمكان يقولون انه فوق السموات والارض والقايلون بنفي الجهة
يقولون ان الله تعالي ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا
عنهما فهو علي هذا استثنا منقطع فكان يجب ان يكون منصوبا
فالجواب من اربعة اوجه الاول ان البدل هنا جاء علي لغة
بني تميم في البدل وان كان منقطعا كقولهم ما في الدار احد
الا حمارا بالرفع والحمار ليس من الاحدين وهذا ضعيف لان القران
انزل بلغة الحجاز لا بلغة بني تميم الثاني ان الله في السموات والارض
بعلمه فيا البدل علي هذا المعني وهذا ضعيف لان قوله في السموات
والارض وقعت فيه لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة
واحدة عند المحققين الثالث ان قوله من في السموات والارض
يراد به كل موجود فكانه قال من في الوجود فيكون الاستثنا علي
هذا متصلا فيصح الرفع علي البدل وانما قال من في السموات
والارض جريا علي منهاج العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو
اعم منه الرابع ان يكون الاستثنا متصلا علي ان يتناول من

كما قال وهو معكم يعني بعلمه

في

في السموات في حق الله كما يتناول قوله امنتم من في السما وحديث
سودة وسند ذلك **وما يشعرون ايان يبعثون** اي لا يشعرون
من في السموات والارض متي يبعثون لان علم الساعة مما انفرد
الله به روي ان سبب نزول هذه الاية ان قريشا سالوا النبي صلي
الله عليه وسلم متي الساعة **بل ادارك علمهم في الاخرة** وزن
ادارك تفاعل ثم سكنت التا فادغمت في الدال واجتلبت الف
الوصل والمعني تتابع علمهم بالاخرة وتناهي الي ان يكفروا بها
او تناهي الي ان لا يعلموا وقتها وقري بهمزة قطع ادرك علي وزن
افعل والمعني علي هذا يدرك علمهم في الاخرة ان يعلموا فيه الحق
لانهم يشاهدون حينيذ الحقايق فقوله في الاخرة علي هذا ظرف
وعلي معني القراة الاولي بمعني البا **عمون** جمع عم وهو من عمي القلوب
ردف لكم اي تبعكم واللام زايدة او ضمن معني قرب وتعدي باللام
ومعني الاية انهم استعجلوا العذاب بقولهم متي هذا الوعد فقيل
لهم عسي ان يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون وهو
قتلهم يوم بدر **غايبة** الها فيه للمبالغة اي ما من شي في غاية
الخفا الا وهو عند الله في كتاب **انك لا تسمع الموتي** شبه من لا يسمع
ولا يعقل بالموتي في انهم لا يسمعون وان كانوا احيا ثم شبههم
بالصم وبالعمي وان كانوا صحاح الحواس واكد عدم سماعهم بقوله
اذا ولوا مدبرين لان الاصم اذا ادبر وبعد من الداعي زاد صممه
وعدم سماعه بالكلية **واذا وقع القول عليهم** اي اذا كان وقت
عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله في ذلك وهو قضاوه
والمعني اذا قربت الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض وخروج
الدابة من اشراط الساعة وروي انها تخرج من المسجد الحرام
وقيل من الصفا وان طولها ستون ذراعا وقيل هي الجساسة
التي وردت في الحديث **تكلمهم** قيل انها تكلمهم ببطلان الاديان

كلمها الا دين الاسلام وقيل تقول لهم الا لعنة الله علي الظالمين وروي
انها تسم الكافر وتخطم انفه وتسود وجهه وتبيض وجه المومن
ان الناس من قرا بكسر الهمزة وهو ابتدا الكلام ومن قرا بالفتح
فهو مفعول تكلمهم اي تقول لهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
او مفعول من اجله تقديره تكلمهم لان الناس لا يوقنون ثم حذف اللام
ويحتمل قوله لا يوقنون لخروج الدابة او لا يوقنون بالاخرة وامور
الدين وهذا الظهر **فهم يوزعون** اي يساقون بعنف **اما ذا كنتم تعملون**
ام استفهامية والمعني اقامة الحجة عليهم كانه قيل لهم ان كان لكم
عمل وحجة فهاتوها **ووقع القول عليهم** اي حق العذاب عليهم
او قامة الحجة عليهم **فهم لا ينطقون** انما يسكتون لان الحجة قامت
عليهم وهذا في بعض مواطن القيامة وقد جا انهم يتكلمون في مواطن
اخر **لتسكنوا فيه** ذكر في يونس **ينفخ في الصور** ذكر في الكهف
الا من شا الله قيل هنا الشهدا وقيل جبريل وميكايل واسرافيل
عليهم الصلاة والسلام **داخرين** صاغرين متذللين **تحسبها**
جامدة اي قايمة ثابتة **وهي تمر** يكون مرورها في اول احوال
يوم القيامة ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن
ثم تصير هبا منبثا **صنع الله** مصدر والعامل فيه محذوف
وقيل هو منصوب علي الاغرا اي انظر صنع الله **من جا بالحسنة**
فله خير منها قيل ان الحسنة لا اله الا الله واللفظ اعم ومعني خير
منها اي له بالحسنة الواحدة عشر **فزع يومئذ** من نون فزع
فتح الميم من يومئذ ومن اسقط التنوين للاضافة قرا بفتح الميم
علي البنا او بكسرها علي الاعراب **ومن جا بالسيئة** السيئة
هنا الكفر والمعاصي التي قضي الله بتعذيب فاعلها **هذه البلدة**
يعني مكة **التي حرمها** اي جعلها حرما امنا لا يقاتلها احد
ولا ينتهك حرمتها ونسب تحريمها هنا الي الله لانه بقضايه

وامره

وامره ونسبه النبي صلي الله عليه وسلم الي ابراهيم عليه السلام
في قوله ان ابراهيم حرم مكة لان ابراهيم هو الذي اعلم الناس
بتحريمها فليس بين الحديث والاية تعارض وقد جا في حديث اخر
ان مكة حرمها الله يوم خلق السموات والارض **ومن ضل فقل**
انما انا من المنذرين اي انما علي الانذار **سيريكم اياته** وعيد
بالعذاب الذي يضطرهم الي معرفة ايات الله اما في الدنيا او في الاخرة

سورة القصص

علا في الارض اي تكبر وطغا **شيعا** اي فرقا مختلفين فجعل فرعون
القبط ملوكا وبني اسرايل خداما لهم وهم الطايفة الذين استضعفهم
واراد الله ان يمن عليهم ويجعلهم ايمة اي ولاة في الارض ويورثهم
ارض فرعون وقومه **هامان** هو وزير فرعون **واوحينا الي ام موسي**
اختلف هل كان هذا الوحي بالهام او منام او كلام بواسطة الملك
وهذا الظهر لقصتها بما اوحي اليها وامتثالها ما امرت به **فاذا**
خفت عليه اي اذا خفت عليه ان يذبحه فرعون لانه كان يذبح
ابنا بني اسرايل لما اخبره الكهان ان هلاكه علي يد غلام منهم
فالتقطه ال فرعون الالتقاط اللقا من غير قصد روي ان اسية
امراة فرعون رات التابوت في البحر وهو النيل فامرت ان يساق
لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فاحبته وقالت لفرعون هذا
قرة عين لي ولك **ليكون لهم عدوا** اللام لام العاقبة وتسمي ايضا
لام الصيرورة **لا تقتلوه** روي ان فرعون هم بذبحه اذ توهم
انه من بني اسرايل فقالت امراته لا تقتلوه **وهم لا يشعرون**
اي ان هلاكهم يكون علي يده والضمير الفاعل لفرعون وقومه
واصبح فواد ام موسي فارغا اي ذاهلا لا عقل معها وقيل فارغا
من الصبر وقيل فارغا من كل شي الا من هم موسي وقيل فارغا
من وعد الله اي نسيت ما اوحي اليها وقيل فارغا من الحزن

اذلم يعرف وقيل فارغا من كل شي الا من ذكر الله كادت لتبدي به
اي تظهر امره وفي الحديث كادت ام موسي ان تقول وابناه وتخرج
صايحة علي وجهها ربطنا علي قلبها اي رزقناها الصبر
لتكون من المومنين اي من المصدقين بالوعد الذي وعدالله وقالت
لاخته قصيه اي اتبعيه والقص طلب الاثر فخرجت اخته تتحث
عنه في خفية فبصرت به عن جنب اي راته من بعيد لم تقرب
منه لئلا يعلموا انها اخته وقيل عن جنب عن شوق اليه وقيل
معناه انها نظرت اليه كانها لا تريده وهم لا يشعرون اي لا يشعرون
انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه بان بغضه الله
اليه والمراضع جمع مرضعة وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع
بفتح الميم والضاد وهو موضع الرضاع اعني الثدي من قبل
اي من اول مرة فقالت هل ادلكم القايله اخته تخاطب ال
فرعون فرددناه الي امه لما منعه الله من المراضع وقالت اخته
هل ادلكم علي اهل بيت الاية جات بامه فقبل ثديها فقال
فرعون ومن انت منه فما قبل ثدي امراة الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة اللبن فذهبت به الي بيتها وقرت عينها بذلك
وعلمت ان وعدالله حق في قوله انا رادوه اليك بلغ اشده
ذكر في يوسف واستوي اي كمل عقله وذلك مع الاربعين سنة
ودخل المدينة يعني مصر وقيل قرية حولها والاول اشهر
علي حين غفلة قيل في القايلة وقيل بين العشايين وقيل
يوم عيد وقيل كان قد جفا فرعون وخاف علي نفسه
فدخل مختفيا متخوفا هذا من شيعته اي من شيعة بني اسرايل
والذي من عدوه من القبط فوكزه موسي اي ضربه والوكز
الضرب باطراف الاصابع وقيل بجميع الكف فقضي عليه اي
قتله ولم يرد ان يقتله ولكن وافقت وكزته الاجل فندم وقال

هذا من عمل الشيطان اي الغضب الذي اوجب هذا كان من الشيطان
ثم اعترف واستغفر فغفر الله له فان قيل كيف استغفر من
القتل وكان المقتول كافرا فالجواب انه لم يوذن له في قتله
ولذلك يقول يوم القيامة اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين الظهير المعين
والبا سببيه والمعني بسبب انعامك علي لا اكون ظهيرا للمجرمين
فهي معاهدة عاهد موسي ربه وقيل البا باء القسم وهذا ضعيف
لان قوله فلن اكون لا يصلح لجواب القسم وقيل جواب القسم
محذوف تقديره وحق نعمتك لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
ويحتج بهذه الاية علي المنع عن صحبة ولاة الجور يترقب
في الموضعين اي يتجسس هل يطلبه احد يستصرخه اي يستغيث
به لقي موسي الاسرايلي الذي قاتل القبطي بالامس يقاتل رجلا
اخر من القبط فاستغاث بموسي لينصره كما نصره بالامس
فعظم ذلك علي موسي وقال له انك لغوي مبين فلما ان اراد
ان يبطش بالذي هو عدو لهما الضمير في اراد ويبطش لموسي
وفي قال للاسرايلي والمعني لما اراد موسي ان يبطش بالقبطي
الذي هو عدو له وللاسرايلي ظن الاسرايلي انه يبطش به
اذ قال له انك لغوي مبين فقال الاسرايلي لموسي اتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقيل الضمير في اراد للاسرايلي
والمعني فلما اراد الاسرايلي ان يبطش موسي بالقبطي ولم يفعل
موسي ذلك لندامته علي قتل الاخر بالامس فصيحه الاسرايلي
فقال له اتريد ان تقتلني فاشتهر قتله للاخر الي ان وصل
الي فرعون وجا رجل قيل انه مومن ال فرعون وقيل غيره
يسعي اي يسرع في مشيه ليدرك موسي فينصحه ان الملا
ياتمرون بك يتشاورون وقيل يامر بعضهم بعضا بقتلك

كما قتلت القبطي **ولما توجه تلقا مدين** اي قصد بوجهه ناحية مدين
وهي مدينة شعيب عليه السلام **قال عسي ربي ان يهديني سوا**
السبيل اي وسط الطريق يعني طريق مدين اذ كان قد خرج فارا
بنفسه وكان لا يعرف الطريق وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية
ايام وقيل اراد سبيل الهدي وهذا اظهر ويدل كلامه هذا علي
انه كان عارفا بالله قبل نبوته **ولما ورد ما مدين** اي وصل اليه
وكان بير **يسقون** اي يسقون مواشيهم **امراتين** روي ان
اسمهما ليا وصفوريا وقيل صفرا وصفيرا **تذودان** اي تمنعان
الناس عن غنمهما وقيل تذودان غنمهما عن الما حتي يسقي
الناس وهذا اظهر لقولهما لا نسقي حتي يصدر الرعا اي كانت
عادتهما لا يسقيا غنمهما الا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما
او لكراهتهما التزاحم بين الناس **يصدر** بضم اليا وكسر الدال
فعل متعد والمفعول محذوف تقديره حتي يصدر الرعا
مواشيهم وقري بفتح اليا وضم الدال اي ينصرفون عن الما
وابونا شيخ كبير اي لا يستطيع ان يباشر سقي غنمه وهذا
الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور وقيل ابن اخيه
وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب **فسقي لهما** اي
ادركته شفقة عليهما فسقي لهما وروي انه كان علي فم البير
صخرة لا يرفعها الا ثلاثون رجلا فرفعها وحده **ثم تولي الي الظل**
اي جلس في الظل وروي انه كان ظل سمرة **اني لما انزلت الي**
من خير فقير طلب من الله ما ياكله وقد اشتد عليه الجوع
فجاته احداهما قبل هذا الكلام محذوف تقديره فذهبتا الي
ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطا في السقي فاخبرتاه
بما كان من امرهما سقي الرجل لهما فامر احداهما ان تدعوه
له فجاته اختلف هل التي جاته الصغري او الكبري **علي استحيا**

روي

روي انها سترت وجهها بكم درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده
وهو ضعيف **وقص عليه القصص** اي ذكر قصته **لا تخف** اي قد نجوت
من فرعون وقومه لان بلد مدين لم يكن من ملك فرعون **استاجره**
اي اجعله اجيرا لك **ان خير من استاجرت القوي الامين** هذا الكلام
حكمة جامعة بليغة روي ان اباها قال لها من اين عرفت قوته
وامانته قالت اما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البير واما امانته
فانه لم ينظر اليها **قال اني اريد ان انكحك احدي ابنتي** زوجه
التي دعته واختلف هل زوجه الكبري او الصغري واسم التي
زوجه صفورة وقيل صفوريا ومن لفظ شعيب حسن ان
يقال في عقود الانكحة انكحه اياها اكثر من ان يقال انكحها
اياه **علي ان تاجرني ثماني حجج** اي ازوجك بنتي علي ان تخدمني
ثمانية اعوام قال مكي في هذه الاية خصايص في النكاح
منها انه لم يعين الزوجة ولا حد اول الامد وجعل المهر اجارة
قلت فاما التعيين فيحتمل ان يكون عند النكاح بعد هذه المراودة
وقد قال الزمخشري ان كلامه معه لم يكن عقد نكاح وانما كان
مواعدة واما ذكر اول الامد فالظاهر انه من حين العقد
واما النكاح بالاجرة فظاهره من الاية وقد تقرر شرعنا حسبما
ورد في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل
قد زوجتكها علي ما معك من القران اي علي ان تعلمها ما عندك
من القران وقد اجاز النكاح بالاجرة الشافعي وابن حنبل وابن
حبيب للاية والحديث ومنعه مالك **فان اتممت عشرا فمن عندك**
جعل الاعوام الثمانية شرطا ووكل العامين الي مروة موسي
فوفي له العشر وقيل وفي العشر وعشرا بعدها وهذا ضعيف
لقوله فلما قضي موسي الاجل اي الاجل المذكور **وسار باهله**
الاهل هنا الزوجة مشي بها الي مصر **جذوة** اي قطعة ويجوز

كسر الجيم وضمها وقد ذكر انس والطور وتصطلون **شاطي الواد**
جانبه الايمن صفة للشاطي وهو جانبه الايمن ويحتمل ان يكون من اليمن
فيكون صفة للوادي **من الشجرة** روي انها كانت عوسجة **جان**
ذكر في النمل **اسلك يدك في جيبك** اي ادخلها فيه والجيب هو
فتح الجبة من حيث يدخل الانسان راسه **واضمم اليك جناحك**
الجناح اليد والابط والعضد امره الله لما خاف من الحية ان يضمه
الي جنبه ليخف بذلك خوفه فان من شان الانسان اذا فعل ذلك
في وقت فزعه ان يخف خوفه وقيل ذلك علي وجه المجاز
وان المعني انه امر بالعزم علي ما امر به كقولهم
اشدد حيازيمك واربط جاشك **من الرهب** اي من اجل
الرهب وهو الخوف وفيه ثلاث لغات فتح الرا والها وفتح الرا
واسكان الها وضم الرا واسكان الها **فذانك برهانان** اي حجتان
والاشارة الي العصا واليد **الي فرعون** يتعلق بفعل محذوف
يقتضيه الكلام **ردا** اي معينا وقري بالهمز وبغير همز
علي التسهيل من المهموز او يكون من اردیت اذا زدت
سنشد عضدك باخيك استعادة في المعونة **باياتنا**
يحتمل ان يتعلق بقوله نجعل او بيصلون او بالغالبون
فاوقد لي يا هامان علي الطين اي اصنع الاجر لبنيان الصرح
الذي رام ان يصعد منه الي السما وروي انه اول من عمل
الاجر وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما
وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالي في كونهم طمعوا ان يصلوا
الي السما ببنيان الصرح وقد روي انه عمله وصعد عليه
ورمي به الي السما فرجع مخضبا بدم وذلك فتنة له ولقومه
وتهكم بهم ثم قال **واني لاظنه من الكاذبين** يعني به
في دعوي الرسالة والظن هنا يحتمل ان يكون علي بابه
او

اوبمعني اليقين **فهم يدعون الي النار** اي كانوا يدعون الناس الي الكفر
الموجب للنار **من المقبوحين** اي من المطرودين المبعدين وقيل تقبح
وجوههم وقيل يقبح ما يفعل بهم وما يقال لهم **وما كنت بجانب الغربي**
خطاب لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم والمراد به اقامة حجته
لاخباره بحال موسي وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي
الطور وهو الذي كلم الله فيه موسي والامر المقضي الي موسي هو
النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك **ولكنا انشانا**
قرونا فتطاول عليهم العمر المعني لم تحضر يا محمد علي هذه الغيوب
التي تخبر بها ولكنها صارت اليك بوحينا فكان الواجب علي الناس
المسارعة الي الايمان ولكن تطاول الامر علي القرون التي انشانا ها
فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا وقيل المعني
لكنا انشانا قرونا بعد زمان موسي فتطاول عليهم العمر
وطالت الفترة فارسلناك علي فترة من الرسل **ثاويا**
اي مقيما **اذ نادينا** يعني تكليم موسي والمراد بذلك اقامة
حجة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم لاخباره بهذه الامور
مع انه لم يكن حاضرا حينئذ **ولكن رحمة** انتصب علي المصدر
وعلي انه مفعول من اجله والتقدير ولكن ارسلناك رحمة
منا لك او رحمة للخلق بك **ولولا ان تصيبهم مصيبة** لولا هنا
حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض والمعني لولا ان
تصيبهم مصيبة بكفرهم لم ترسل الرسل وانما ارسلناهم
علي وجه الاعذار عليهم واقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين
فلما جاهم الحق يعني القران ونبوة سيدنا محمد صلي الله عليه
وسلم **قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسي** يعنون انزال الكتاب
عليه من السما جملة واحدة وقلب العصا حية وفلق البحر وشبه

ذلك **اولم يكفروا بما اوتي موسي من قبل** هذا رد عليهم فيما طلبوه والمعنى
انهم قد كفروا بما اوتي موسي فلو اتينا محمد مثل ذلك لكفروا به ومن
قبل هذا يتعلق بقوله اوتي موسي ويحتمل ان يتعلق بقوله اولم
يكفروا ان كانت الاية في بني اسرايل والاول احسن **قالوا ساحران
تظاهرا** يعنون موسي وهارون او موسي ومحمد صلي الله عليه
وسلم والضمير في اولم يكفروا وفي قالوا الكفار قريش وقيل
لابايهم وقيل لليهود والاول اظهر واصح لانهم المقصودون
بالرد عليهم **فاتوا بكتاب** امر علي وجه التعجيز لهم **اهدي منهما**
الضمير يعود علي كتاب موسي وكتاب سيدنا محمد صلي الله
عليه وسلم **فان لم يستجيبوا لك** قد علم انهم لا يستجيبوا الا تيان
بكتاب هو اهدي منهما ابدا ولكنه ذكره بحرف ان مبالغة في
اقامة الحجة عليهم كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلم انما
يتبعون اهواءهم المعني ان لم ياتوا بكتاب فاعلم ان كفرهم عناد
واتباع اهواءهم لا بحجة وبرهان **ولقد وصلنا لهم القول** الضمير
لقريش وقيل لليهود والاول اظهر لان الكلام من اوله معهم
والقول هنا القران ووصلناه لهم ابلغناه لهم لعلهم يتذكرون وقيل
او جعلناه موصلا بعضه ببعض **الذين اتيناهم الكتاب من
قبله** يعني من اسلم من اليهود وقيل النجاشي وقومه وقيل
نصاري نجران الذين قدموا علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فامنوا به والضمير في قبله
للقران وقولهم انه الحق تعليل لايمانهم وقولهم انا كنا من
قبله مسلمين بيان لان اسلامهم قديم لانهم وجدوا ذكر
سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم في كتبهم قبل ان يبعث
اولئك يوتون اجرهم مرتين قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب ثم

امن

٢٦٢

امن بمحمد صلي الله عليه وسلم ورجل مملوك ادي حق الله وحق
مواليه ورجل كانت له امة فاعتقها وتزوجها **بما صبروا** يعني
صبرهم علي اذاية قومهم لهم لما اسلموا وغير ذلك من انواع الصبر
ويدرون بالحسنة السيئة اي يدفعون ويحتمل ان يريد بالسيئة
ما يقال لهم من الكلام القبيح وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام
الحسن او يريد سيات اعمالهم وحسنا تهما كقوله ان الحسنات
يذهبن السيات **واذا سمعوا اللغو** يعني ساقط الكلام **لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم** هذا علي وجه التبري والبعد من القايلين للغو
سلام عليكم معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية او كانه
سلام الانصراف والبعد **لا نبتغي الجاهلين** اي لا نطلبهم للجدال
والمراجعة في الكلام **انك لا تهدي من احببت** نزلت في ابي طالب
اذ دعاه النبي صلي الله عليه وسلم ان يقول عند موته لا اله
الا الله فقال لولا ان يعايرني بها قريش لاقررت بها عينك
ومات علي الكفر ولفظ الاية مع ذلك علي عمومه **ولكن الله
يهدي من يشا** لفظ عام وقيل اراد به العباس بن عبد المطلب
وقالوا ان نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا القايلون
لذلك قريش وروي ان الذي قالها منهم الحرث بن عامر بن نوفل
والهدي هو الاسلام ومعناه الهدي علي زعمك وقيل انهم قالوا
قد علمنا ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك تخطفتنا العرب
اي اهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم **اولم نمكن لهم حرما امنا**
هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم والمعني
ان الحرم لا تتعرض له العرب بقتل ولا يمكن الله احدا من
اهلاك اهله فقد كانت العرب يغير بعضهم علي بعض واهل
الحرم امنون من ذلك **يجبي اليه ثمرات كل شي** اي تجلب
اليه الارزاق مع انه واد غير ذي زرع **بطرت معيشتها**

معني بطرت طغت وتسفهت ومعيشتها نصب علي التفسير مثل
سفه نفسه او علي اسقاط حرف الجر تقديره بطرت في معيشتها
او بتضمن معني بطرت كفرت الا قليلا يعني قليلا من السكني
او قليلا من الساكنين اي لم يسكنها بعد اهلاكها الا مار
علي الطريق ساعة وماكان ربك مهلك القري حتي يبعث
في امها رسولا ام القري مكة لانها اول ما خلق الله من الارض
ولان فيها بيت الله والمعني ان الله اقام الحجة علي اهل الارض
القري بان بعث سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم في ام
القري فان كفروا اهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم واقامة الحجة
عليهم وما اوتيتم من شي الاية تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب
فيما افمن وعدناه الاية ايضا ايضاح لما قبلها من البون بين
الدنيا والاخرة والمراد بمن وعدناه المومنون وبمن متعناه
الكافرون وقيل سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وابو جهل
وقيل حمزة وابو جهل والعموم احسن لفظا ومعني من المحضرين
اي من المحضرين في العذاب ويوم يناديهم العامل في الظرف
مضمر وفاعل يناد الله تعالي ويحتمل ان يكون نداوه بواسطة
او بغير واسطة والمفعول به المشركون اين شركاي توبيخ للمشركين
ونسبهم الي نفسه علي زعمهم ولذلك قال الذين كنتم تزعمون
فحذف المفعول تقديره تزعمون انهم شركاي او تزعمون انهم
شفعا لكم قال الذين حق عليهم القول ربنا هولا الذين
اغوينا معني حق عليهم القول وجب عليهم العذاب والمراد
بذلك روسا المشركون وكبراوهم والاشارة بقولهم هولا الذين
اغوينا الي اتباعهم من الضعفا فان قيل كيف الجمع بين قولهم
اغوينا وبين قولهم تبرانا اليك فانهم اعترفوا باغوايهم
وتبروا مع ذلك منهم فالجواب ان اغواهم لهم هو امرهم

لهم

لهم بالشرك والمعني انا حملناهم علي الشرك كما حملنا انفسنا
عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا انما كانوا يعبدون غيرنا من
الاصنام وغيرها فتبرانا اليك من عبادتهم لنا فتحمل من كلام
هولا الروسا انهم اعترفوا انهم اغووا الضعفا وتبروا من ان يكونوا
هم الهتهم فلا تناقض في الكلام وقد قيل في معني الاية غير
هذا انما هو تكلف بعيد لو انهم كانوا يهتدون فيه اربعة
اوجه الاول ان المعني لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا
الاصنام والثاني لو انهم كانوا يهتدون لم يعذبوا والثالث
لو انهم كانوا يهتدون في الاخرة لحيلة يدفعون بها العذاب
لفعلوا فلو علي هذه الاقوال حرف امتناع وجوابها محذوف
والرابع ان يكون لو للتمني اي تمنوا لو كانوا مهتدين ماذا
اجبتم المرسلين اي هل صدقتم المرسلين او كذبتموهم
فعميت عليهم الانبا يومئذ عميت عبارة عن حيرتهم والانبا
الاخبار اي اظلمت عليهم الامور فلم يعرفوا ما يقولون فهم
لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الانبا لانهم قد تساووا
في الحيرة والعجز عن الجواب وربك يخلق ما يشا ويختار قيل
سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلي الله عليه
وسلم بالنبوة فالمعني ان الله يخلق ما يشا ويختار لرسالته
من يشا من عباده ولفظها اعم من ذلك والاحسن حمله علي
عمومه اي يختار ما يشا علي الاطلاق ويفعل ما يريد ما كان
لهم الخيرة ما نافية والمعني ما كان للعباد اختيار انما الاختيار
والارادة لله وحده فالوقف علي قوله ويختار وقيل ان ما
مفعولة بيختار ومعني الخيرة علي هذا الخير والمصلحة وهذا
يجري علي قول المعتزلة وذلك ضعيف لرفع الخيرة علي انها اسم
كان ولو كانت ما مفعولة لكان اسم كان مضمرا يعود علي

ما وكانت الخيرة منصوبة على انها خبر كان وقد اعتذر عن هذا
من قال ان ما موصولة بان قال تقدير الكلام يختار ما كان لهم
الخيرة فيه ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف وقال ابن
عطية يتجه ان تكون ما مفعولة اذا قدرنا كان تامة ويوقف
على قوله ما كان اي يختار كل كائن ويكون لهم الخيرة جملة مستانفة
وهذا بعيد جدا يعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه قلوبهم وعبر عن
القلب بالصدر لانه يحتوي عليه له الحمد في الاولى والاخرة
قيل ان حمدهم في الاخرة قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده
او قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وفي ذكر الاولى مع الاخرة
مطابقة سرمدا اي دايما والمراد بهذه الايات اثبات الوحدانية
وابطال الشرك فان قيل كيف قال ياتيكم بضيا وهلا قال
ياتيكم بنهار في مقابلة قوله ياتيكم بليل فالجواب انه
ذكر الضيا لجملة ما فيه من المنافع والعبر لتسكنوا فيه اي في
الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار ففي الاية لف ونشر ونزعنا
من كل امة شهيدا اي اخرجنا من كل امة شهيدا منهم يشهد
عليهم باعمالهم وهو نبيهم لان كل نبي يشهد على امته هاتوا
برهانكم اي هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر وذلك
اعذار لهم وتوبيخ وتعجيز ان قارون كان من قوم موسى اي من
بني اسرايل وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمه وقيل ابن خالته
فبغى عليهم اي تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام
واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة المفاتح هي
التي يفتح بها وقيل هي الخزاين والاول اظهر والعصبة جماعة
الرجل من العشرة الى الاربعين وتنوء معناه تثقل يقال ناء
به الحمل اذا اثقله وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف
والوجه على هذا ان يقال ان العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب
كما

كما قلب الكلام عند العرب كثيرا ولا يحتاج الى قلب على القول
الاول لا تفرح الفرح هنا هو الذي يقود الى الاعجاب والطغيان
ولذلك قال ان الله لا يحب الفرحين وقيل السرور بالدنيا
لانه لا يفرح بها الا من غفل عن الاخرة ويدل على هذا
قوله ولا تفرحوا بما اتاكم وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة
اي اقصد الاخرة بما اعطاك الله من المال وذلك بفعل الحسنات
والصدقات ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تضيع حظك
من دنياك وتمتع بها مع عملك للاخرة وقيل معناه لا تضيع
عمرك بترك الاعمال الصالحات فان حظ الانسان من الدنيا
انما هو ما يعمل فيها من الخير فالكلام على هذا وعظ وعلى
الاول اباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة
واحسن كما احسن الله اليك اي احسن الى عباد الله كما احسن
الله اليك بالغنا قال انما اوتيته على علم عندي لما وعظ قومه
اجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما الزموه
من الموعظة والمعنى ان هذا المال انما اعطاه الله لي بالاستحقاق
له بسبب علم عندي استوجبته به واختلف في هذا العلم
فقيل انه علم الكيميا وقيل التجارب للامور والمعرفة بالمكاسب
وقيل حفظ التوراة وهذا بعيد لانه كان كافرا وقيل المعنى
انما اوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به ثم جعل
قوله عندي كما تقول في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله
قد اهلك من قبله من القرون هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا
واكثر جمعا للمال او جمعا للخدام والاول اظهر ولا يسال عن
ذنوبهم المجرمون في معناه قولان احدهما انه متصل بما قبله
والضمير في ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون
من بعدهم اي لا يسال المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الامم

الهالكة لان كل احد انما يسيل عن ذنوبه خاصة والثاني انه اخبار
الهالك عن حال المجرمين في الاخرة وانهم لا يسيلون عن ذنوبهم لكونهم
يدخلون النار من غير حساب والصحيح انهم يحاسبون علي ذنوبهم
ويسيلون عنها لقوله فوربك لنسلنهم اجمعين عما كانوا يعملون
وان هذا السوال المنفي السوال علي وجه الاختبار وطلب
التعريف لانه لا يحتاج الي سوالهم علي هذا الوجه لكن يسيلون
علي وجه التوبيخ وحيث ما ورد في القران اثبات السوال في
الاخرة فهو علي معني المحاسبة والتوبيخ وحيث ما ورد نفيه
فهو علي وجه الاستخبار والتعريف وهو قوله فيومئذ لا يسيل
عن ذنبه انس ولا جان **فخرج علي قومه في زينته** قيل في ثياب
حمر وقيل في عبيده وحاشيته واللفظ اعم من ذلك **ويلكم**
زجر للذين تمنوا مثل حال قارون **ولا يلقاها الا الصابرون** الضمير عايد
علي الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم وهي الايمان والعمل
الصالح وقيل علي الكلمة التي قالها الذين اوتوا العلم اي لا تصدر
الكلمة الا عن الصابرين والصبر هنا امساك النفس عن الدنيا
وزينتها **فخسفنا به وبداره الارض** روي ان قارون لما بغي علي
قومه بني اسرايل واذي موسي دعا موسي عليه فاوحي
الله اليه ان قد امرت الارض ان تطيعك فيه وفي اتباعه
فقال موسي يا ارض خذيهم فاخذتهم الي الركب فاستغاثوا بموسي
وقال يا ارض خذيهم حتي تم بهم الخسف **مكانه** اي منزلته
في المال والعزة **بالامس** يحتمل ان يريد به اليوم الذي كان قبل
ذلك اليوم او ما تقدم من الزمان القريب **ويكان** مذهب
سيبويه ان وي حرف تنبيه ثم ذكرت بعدها كان والمعني
علي هذا انهم تنبهوا لخطايهم في قولهم ياليت لنا مثل ما اوتي
قارون ثم قالوا كان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر

اي

اي ما اشبه الحال بذلك وقال الكوفيون ويك هي ويلك حذفت منها
اللام لكثرة الاستعمال ثم ذكرت بعدها ان والمعني لم يعلموا ان الله
وقيل ويك كلمة واحدة معناها الم تعلم **علوا في الارض** اي تكبرا
وطغيانا **فسادا** الرفعة المنزلة فان اراده تمنا جايزة **فرض عليك القران**
اي انزله عليك واثبته وقيل المعني اعطاك القران والمعني
متقارب وقيل فرض عليك احكام القران فهي علي حذف مضاف
لرادك الي معاد المعاد الموضع الذي يعاد اليه فقيل يعني مكة
والاية نزلت حين الهجرة فوعدها وعد بالرجوع الي مكة وفتحها
وقيل يعني الاخرة فمعناها اعلام بالحشر وقيل يعني الجنة
وماكنت ترجوا ان يلقي اليك الكتاب اي ماكنت تطمع ان تنال
النبوة ولا ان ينزل عليك الكتاب الا رحمة من ربك او رحمة للناس
ورحمة علي هذا مفعول من اجله او حال وعلي الاول منصوب
علي الاستثنا **وادع الي ربك** يحتمل ان يكون من الدعا بمعني الرغبة
او من دعوة الناس الي الايمان بالله فالمفعول محذوف تقديره
ادع الناس **ولا تدع** اي لا تعبد **مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي**
هالك الا وجهه الا يه الا اياه والوجه هنا عبارة عن الذات

سورة العنكبوت

الم ذكر في البقره **احسب الناس ان يتركوا** نزلت في قوم من
المومنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره
وكان كفار قريش يوذونهم ويعذبونهم علي الاسلام فضاقت
صدورهم بذلك فانسهم الله بهذه الاية ووعظهم واخبرهم
ان ذلك اختبار وليوطنوا انفسهم علي الصبر علي الاذي والثبوت
علي الايمان فاعلمهم تعالي ان تلك سيرته في عباده يسلط
الكفار علي المومنين ليمحصهم بذلك ويظهر الصادق في ايمانه
من الكاذب ولفظها مع ذلك عام فحكمها علي العموم في كل من

علي هذا

اصابته فتنة من مصيبة او مضرة في النفس والمال وغير ذلك ومعني
حسب ظن وان يتركوا مفعولها والهمزة للانكار وهم لا يفتنون
في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مفتونين وان تقولوا
تعليل في موضع المفعول من اجله **فليعلمن الله الذين صدقوا**
اي يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود وقد كان علمه في الازل
والصدق والكذب في الاية يعني بهما صحة الايمان والثبوت عليه
او ضد ذلك **ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا** ام معادلة
لقوله احسب الناس والمراد بالذين يعملون السيات الكفار
الذين يعذبون المومنين ولفظها مع ذلك عام في كل كافر وعاص
ومعني يسبقون يفوتون عقابنا ويعجزوننا فمعني الكلام نفي
سبقهم كما ان معني الاية قبلها نفي ترك المومنين بغير فتنة
من كان يرجو لقاء الله الاية تسلية للمومنين ووعد لهم
بالخير في الدار الاخرة والرجا هنا علي بابه وقيل هو بمعني
الخوف واجل الله هو الموت ومعني الاية قريب الاتيان فان كل
ما هو ات قريب **ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه** اي منفعة
جهاده فانما هي لنفسه وان الله لا تنفعه طاعة العباد والجهاد
هنا يحتمل ان يراد به القتال او جهاد النفس **حسنا** منصوب
بفعل مضمر تقديره وصينا الانسان يفعل بوالديه حسنا
او مصدر بمعني وصينا اي وصية حسنة **وان جاهداك**
لتشرك بي الاية نزلت في سعد بن ابي وقاص فانه لما اسلم
حلفت امه ان لا تستظل بظل حتي يكفر وقيل نزلت في غيره ممن
جري له مثل ذلك فامرهم الله بالثبوت علي الاسلام ولا
يطيعوا الوالدين اذا امروهم بالكفر وعبر عن امر الوالدين
بالجهاد مبالغة **ومن الناس من يقول امنا بالله** نزلت
في قوم كانوا مومنين بالسنتهم فاذا عذبهم الكفار رجعوا عن

الايمان فاذا نصر الله المومنين قالوا انا كنا معكم فمعني اوذي في
الله اوذي بسبب ايمانه بالله وفتنة الناس تعذيبهم وقيل نزلت
في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه **اتبعوا سبيلنا**
اي قال الكفار للمومنين اكفروا كما كفرنا ونحمل نحن عنكم الاثم
والعقاب ان كان روي ان قايل هذه المقالة الوليد بن المغيرة
حكاه المهدوي وقولهم ولنحمل خطاياكم جزا قولهم اتبعوا
سبيلنا ولكن ذكروه علي وجه الامر للمبالغة ولما كان معني
الخبر صحة تكذيبهم فيه فاخبر الله انهم كاذبون اي لا يحملون
اوزارهم لا بل يحملون اوزار انفسهم واوزار اتباعهم من الكفار
فلبث فيهم الف سنة الظاهر انه لبث هذه المدة بعد بعثه
ويحتمل ان يكون ذلك من اول ولادته وروي انه بعث وهو
ابن اربعين سنة وانه عمر بعد الطوفان ثلاثماية وخمسين
سنة فان قيل لم قال الف سنة ثم قال خمسين عاما فاختلف
اللفظ مع اتفاق المعني فالجواب ان ذلك كراهة لتكرار لفظ
السنة فان التكرار مكروه الا اذا قصد به تفخيم او تهويل
وجعلناها اية يحتمل ان يعود الضمير علي السفينة او علي النجاة
او علي القصة بكمالها **وتخلقون افكا** هو من الخلقة يريد
به نحت الاصنام فسماه خلقة علي وجه التجوز وقيل هو
من اختلاق الكذب **لا يملكون لكم رزقا** الاية احتجاج علي
الوحدانية ونفي الشركا فان قيل لم نكر الرزق اولا ثم عرفه
بقوله فابتغوا عند الله الرزق فالجواب انه نكره في قوله
لا يملكون لكم رزقا لقصد العموم في النفي فان النكرة في سياق
النفي تقتضي العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب
الرزق كله من الله لانه لا يقتضي العموم او من كلام الله تعالي
ويحتمل مع ذلك ان يراد به وعيد الكفار وتهديدهم او يراد

به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له
بالتاسي بغيره من الانبيا الذين كذبهم قومهم اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق يقال بدا الله الخلق وابداه بمعنى واحد
وقد جات اللغتان في هذه السورة والمعنى اولم ير الكفار
ان الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الاولى على الاعادة
في الحشر فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدي لان
المعنى فيهما مختلف لان روية البداية بالمشاهدة بخلاف
الاعادة فانما يعلم بالنظر والاستدلال وانما هو معطوف
على الجملة كلها وقد قيل انه يريد اعادة النبات وابداه
وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفا على يبدي لاتفاق
المعنى والاول احسن واليق بمقاصد الكلام ان ذلك على
الله يسير يعني اعادة الخلق وهي حشرهم ثم امرهم
بالسير في الارض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على
قدرته على حشرهم ولذلك ختمها بقوله ان الله على كل
شي قدير واليه تقلبون اي ترجعون وما انتم بمعجزين اي
لاتفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الارض ولا في
السما اوليك يئسوا من رحمته يحتمل ان ييسوا في الاخرة
او يكون وصف لحالهم في الدنيا لان الكافر ييئس من رحمة الله
والمومن راجي خايف وهذا الكلام من قوله اولم يروا الى
هنا يحتمل ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم معترضا
بين قصة ابرهيم ويحتمل ان يكون خطابا لابراهيم وبعد
ذلك ذكر جواب قومه له مودة بينكم نصب مودة على
انه مفعول من اجله او مفعول ثان لاتخذتم ورفعها على
انه خبر ابتدا مضمر او خبر ان وتكون ما موصولة ونصب
بينكم على الظرفية وخفضه بالاضافة فامن له لوط

تتضمن

تتضمن امن معنى انقاد ولذلك تعدى باللام وقال اني مهاجر
الى ربي القايل لذلك ابراهيم وقيل لوط وهاجر من بلادهما
بارض بابل الى الشام وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
اكثر الانبيا من ذرية ابراهيم وعلى ذريته انزل الله التوراة
والانجيل والزبور والفرقان وتقطعون السبيل قيل اراد قطع
الطرق للسلب والقتل وقيل اراد قطع سبيل النسل بترك
النسا واتيان الرجال وتاتون في ناديكم المنكر النادي
المجلس الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال وقيل
اذايتهم للناس ولما جات رسلنا ابراهيم بالبشرى الرسل
هنا الملايكة والبشرى بشارة ابراهيم بالولد وهو قوله
فبشروه بغلام حليم او بشارته بنصره لوط والاول اظهر
اهل هذه القرية هذه قرية لوط قالوا ان فيها لوطا
ليس اخبارا بانه فيها وانما قصد نجاة لوط من العذاب الذي
يصيب اهل القرية وبرايته من الظلم الذي وصفوه به فكانه
قال كيف تهلكون القرية وفيهم لوط وكيف تقولون انهم ظالمون
وفيهم لوط من الغابرين قد ذكر وكذلك سي بهم رجزا من السما
اي عذابا وارجوا اليوم الاخر قيل الرجا هنا بمعنى الخوف
وقيل هو على بابه ولا تعثوا في الارض يعني نقصهم المكيال
والميزان الرجفة هي الصيحة وقد تبين لكم من مساكنهم اي ان
اثار مساكنهم باقية يدل على ما اصابهم وكانوا مستبصرين
قيل معناه لهم بصيرة في كفرهم واعجاب بهم وقيل لهم بصيرة
في الايمان ولكن كفروا وقيل معنى مستبصرين عقلا متمكنين
من النظر ولكنهم لم يفعلوا وما كانوا سابقين اي لم يفوتونا
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الحاصب الحجارة والحاصب
ايضا الريح الشديده ويحتمل عندي انه اراد به المعنيين

لان قوم لوط اهلكوا بالحجارة وعادا اهلكوا بالريح وان حملنا على
المعنى الواحد تقتضى ذكر الاخر وقد اجاز كثير من الناس استعمال
اللفظ الواحد في معنيين كقوله ان الله وملائكته يصلون على
النبي ويقوي ذلك هنا لان المقصود هنا ذكر عموم اخذ اصناف
الكفار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومدين ومنهم من خسفنا
به الارض يعني قارون ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون
وقومه مثل الذين اتخذوا من دونه اوليا كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا شبه الله الكفار في عبادتهم للاصنام بالعنكبوت
في بنايها بيتا ضعيفا فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها
ليس بشي فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من الهتهم ليس بشي
لانهم لا ينفعون ولا يضرون اوهن البيوت اي اضعفها لو
كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم ان الله يعلم
ما تدعون من دونه من شي ما موصولة بمعنى الذي مفعول
للفعل الذي قبلها وقيل هي نافية والفعل معلق عنها
والمعنى على هذا الشتم تدعون من دون الله شيا له بال فيصلح
ان يسمى شيا بالحق اي بالواجب لا على وجه العبث واللعب
ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر اذا كان المصلي خاشعا في
صلاته متذكرا لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على
التوبة من الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر قيل فيه ثلاثة
معان الاول ان المعنى ان الصلاة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها ذكر الله لان ذكر الله اعظم ما فيها كانه اشار بذلك الى
تعليل نهيها عن الفحشا والمنكر ولان ذكر الله فيها هو الذي
ينهى عن الفحشا والمنكر الثاني ان ذكر الله على الدوام اكبر
في النهي عن الفحشا والمنكر من الصلاة لانها في بعض الاوقات
دون بعض الثالث ان ذكر الله اكبر اجرا من الصلاة ومن

ساير

ساير الطاعات كما ورد في الحديث الا انبيكم بخير اعمالكم قالوا بلى قال
ذكر الله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي لا تجادلوا
كفار اهل الكتاب اذا اختلفتم معهم في الدين الا بالتي هي احسن
لا بضرب ولا بقتال وكان هذا قبل ان يفرض الجهاد ثم نسخ
بالسيف ومعنى الا الذين ظلموا اي ظلموكم وصرحوا باذاية نبيكم
صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية لا تجادلوا من اسلم من
اهل الكتاب فيما حدثوكم به من الاخبار الا بالتي هي احسن ومعنى
الا الذين ظلموا على هذا من بقي منهم على كفره والمعنى الاول
اظهر وقولوا امنا هذا وما بعده يقتضي موادعة ومسالمة
وهي منسوخة بالسيف ويقتضي ايضا الاعراض عن مكالمتهم
وفي الحديث لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالذي انزل الينا وانزل اليكم فان كان باطلا لم تصدقوهم وان
كان حقا لم تكذبوهم وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي كما
انزلنا الكتاب على من قبلك انزلنا عليك فالذين اتيناهم
الكتاب يعني عبد الله بن سلام وامثاله ممن اسلم من اليهود
والنصارى ومن هولا من يومن به اراد بالذين اتيناهم
اوتوا الكتاب المتقدمين من اهل التوراة والانجيل واراد
بهولا المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبد الله بن
سلام وما كنت تتلوا من قبله من كتاب هذا احتجاج على
ان القران من عند الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرا
ولا يكتب ثم جا بالقران فان قيل ما فايدة قوله بيمينك
فالجواب ان ذلك تاكيد للكلام وتصوير للمعنى المراد اذا لارتاب
المبطلون اي لو كنت تقرا وتكتب لتطرق الشك الى الكفار
وكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب او قراه وقيل وجه
الاحتجاج ان اهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم ان النبي صلى

الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب فلما جعله الله كذلك قامت عليهم
الحجة ولو كان يقرا ويكتب لكان مخالفا للصفة التي وصفه الله
بها عندهم والمذهب الصحيح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
لم يقرا قط ولا كتب وقال الباجي وغيره انه كتب لظاهر حديث
الحديبية وهذا القول ضعيف بل هو ايات الضمير للقران والاضراب
بل عن كلام محذوف تقديره ليس الامر كما حسب الظالمون و
والمبطلون اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب المعني كيف
يطلبون اية والقران اعظم الايات واوضحها دلالة علي صحة
النبوة فهلا اكتفوا به عن طلب الايات قل كفي بالله ذكر
معناه في الرعد وفي الانعام ويستعجلونك بالعذاب الضمير
للكفار يعني قولهم ايتنا بما تعدنا وقولهم فامطر علينا حجارة
من السما وشبه ذلك ولولا اجل مسمي اي لولا ان الله قدر لعذابهم
اجلا مسمي لجاهم به حين طلبوه وليا تينهم بغتة يحتمل ان يريد
القتل الذي اصابهم يوم بدر او الجوع الذي اصابهم بتوالي القحط
او يريد عذاب الاخرة وهذا اظهر لقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين
يوم يا تيهم العذاب اي يحيط بهم والعامل في الظرف محذوف
او محيطة ان ارضي واسعة تحريض علي الهجرة من مكة اذ كان
المومنون يلقون فيها اذي الكفار وترغيبا في غيرها من ارض
الله فحينئذ هاجروا الي ارض الحبشة ثم الي المدينة لنبوينهم
اي لننزلنهم وقري لنثوينهم بالثا المثلثة من الثوي وهو الاقامة
في المنزل وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي كم من دابة ضعيفة
لا تقدر علي حمل رزقها ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد
بالاية تقوية لقلوب المومنين اذ خافوا الفقر والجوع في
الهجرة الي بلاد الناس اي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة
كذلك يرزقكم اذا هاجرتم من بلدكم ولين سالتهم في الموضعين

اقامة

اقامة حجة عليهم فاني يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق قل الحمد لله
حمد الله علي ظهور الحجة او يكون المعني الزامهم ان يحمدوا الله لما
اعترفوا انه خلق السموات والارض بل اكثرهم لا يعقلون اضراب
عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم ان يحمدوا الله لما اعترفوا
به ولكنهم لا يعقلون لهي الحيوان اي الحياة الدايمة التي لا موت
فيها ولفظ الحيوان مصدر كالحياة فاذا ركبوا في الفلك الاية
اقامة حجة عليهم بدعايهم حين الشدايد ثم يشركون به حال
الرخا ليكفروا امر علي وجه التهديد او علي وجه الخذلان
والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعمل ما شيت
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا الضمير لقريش والحرم الامن مكة
لانها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير علي ساير البلاد ولا ينتهك
احد حرمتها ويتخطف الناس من حولهم عبارة عما يصيب غير
اهل مكة من القتال واخذ الاموال والذين جاهدوا فينا
يعني جهاد النفس من الصبر علي اذاية الكفار واحتمال الخروج
عن الاوطان وغير ذلك وقيل يعني القتال وذلك ضعيف
لان القتال لم يكن مامورا به حين نزول الاية لنهدينهم
سبلنا اي لنوفقنهم لسبيل الخير وان الله لمع المحسنين المعني انه معهم باعانته ونصره

سورة الروم

غلبت الروم اي هزم كسري ملك الفرس جيش ملك الروم
وسميت الروم باسم جدهم وهو روم بن عيصو ابن اسحاق بن
ابراهيم في ادني الارض قيل هي الجزيرة وهي بين الشام والعراق
وهي ادني ارض الروم الي فارس وقيل ادني ارض العرب منهم
وهي اطراف الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون اخبار بان الروم
سيغلبون الفرس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الي التسع
ويوميذ يفرح المومنون روي ان غلب الروم فارس وقع يوم بدر

وقيل يوم الحديبية يفرح المومنون بنصر الله لهم علي كفار قريش
وقيل فرح المومنون بنصر الروم علي الفرس لان الروم اهل
كتاب فهم اقرب الي الاسلام وكذلك فرح الكفار من قريش
بنصر الفرس علي الروم لان الفرس ليسوا باهل كتاب فهم اقرب
الي كفار قريش وروي انه لما فرح الكفار بذلك خرج اليهم ابو
بكر الصديق رضي الله عنه فقال ان نبينا صلي الله عليه
وسلم قد اخبرنا عن الله تعالي انهم سيغلبون وراهنهم علي
عشر قلاص الي ثلاث سنين وذلك قبل ان يحرم القمار فقال
له رسول الله صلي الله عليه وسلم زدهم في الرهن واستزدهم
في الاجل فجعل القلاص مائة والاجل تسعة اعوام وجعل معه
ابي بن خلف مثل ذلك فلما وقع الامر علي ما اخبر به اخذ ابو
بكر القلاص من ذرية ابي بن خلف اذ كان قد مات وجاء بها
الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال له تصدق بها وعد الله
مصدر موكد كقولك له علي الف درهم عرفا لان معناه اعترفت
له بها اعترافا يعلمون ظاهرا قيل معناه يعلمون ما يدرك
بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهايم وقيل
الظاهر ما يعلم باوايل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل
وقيل هو من الظهور بمعني العلو في الدنيا وقيل ظاهر بمعني
زايل ذاهب والاظهر انه اراد بالظاهر المعرفة بامور الدنيا
ومصالحها لانه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الاخرة وذلك
يقتضي عدم معرفتهم بها وانظر كيف نفي العلم عنهم اولا ثم
اثبت لهم العلم بالدنيا خاصة وقال بعض اهل البيان ان هذا
من المطابقة لاجتماع النفي والاثبات وجعل بعضهم العلم المثبت
كالعدم لقلة منفعته فهو علي هذا بيان النفي اولم يتفكروا في
انفسهم يحتمل معنيين احدهما ان تكون النفس ظرفا للفكرة

في

في خلق السموات والارض كانه قال الم يتفكروا ويعتبروا لعلهم فيعلموا
ان الله ما خلق السموات والارض الا بالحق والثاني ان يكون المعني
اولم يتفكروا في ذواتهم وخلقتهم فيستدلوا بذلك علي الخالق ويكون
قوله ما خلق الاية استينافا كلام والمعني الاول اظهر واثاروا الارض
اي حرثوها ثم كان عاقبة الذين اساوا السوا معني السوا هلاك
الكفار ولفظ السوا تانيث الاسوا كما ان الحسني تانيث الاحسن
وقري عاقبة بالرفع علي انه اسم كان والسواء خبرها وقري
بنصب عاقبة علي انها خبر كان والسوا اسمها وان كذبوا مفعول
من اجله ويحتمل ان تكون السوا مصدرا اساوا يبلس
المجرمون الابلاس الكون في شر مع الاياس من الخير يتفرقون
معناه في المنازل والجزا تحبرون تنعمون من الحبور وهو السرور
والنعيم وقيل تكرمون سبحان الله هذا تعليم للعباد اي قولوا
سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون
اي حين تدخلون في وقت الظهيرة وهي وسط النهار وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين المعطوفات وقيل
اراد بذلك الصلوات الخمس وحين تمسون المغرب والعشا وحين
تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر يخرج
الحي ذكر في ال عمران ويحيي الارض اي ينبت فيها النبات وكذلك
تخرجون اي كما يخرج الله النبات من الارض كذلك يخرجكم من الارض
للبعث يوم القيامة تنتشرون اي تتصرفون في الدنيا
من انفسكم ازواجا اي من صنفكم وجنسكم وقيل اراد خلقة
حوا من ضلع ادم وخاطب الناس بذلك لانهم ذرية ادم مودة
ورحمة قيل المودة الجماع والرحمة الولد والعموم احسن وابلغ
واختلاف السنتكم اي لغاتكم والوانكم يعني البياض والسواد
وقيل يعني اصنافكم والاول اظهر خوفا وطمعا ذكر في الرعد

ان تقوم السما والارض معناه تثبت او بقوم تدبرها ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون واذا الاولي شرطية والثانية
فجائية وهي جواب الاولي والدعوة في هذه الاية قوله للموتي
قوموا او النفخة الثانية في الصور ومن الارض يتعلق بقوله
تخرجون او بقوله دعاكم علي ان تكون الغاية بالنظر الي
الدعوا كقولك دعوتك من الجبل اذا كان المدعوا في الجبل
قانتون ذكر في البقره وهو اهون عليه اي الاعادة يوم
القيامة اهون عليه من الخلقة الاولي وهذا تقريب لفهم
السامع وتحقيق للبعث فان من صنع صنعة اولا كانت اسهل
عليه ثاني مرة ولكن الامور كلها متساوية عند الله فان كل
شي علي الله يسير وله المثل الاعلي اي الوصف الاعلي الذي
يصفه به اهل السموات والارض هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركا هذا هو المثل المضروب معناه انكم ايها الناس لا يشاركم
عبيدكم في اموالكم ولا يستوون معكم في احوالكم فكذلك الله
تعالي لا يشاركه عبيده في ملكه ولا يماثله احد في ربوبيته
ذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير علي النفي ودخل في
النفي قوله فانتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي لستم
في اموالكم سوا مع عبيدكم ولستم تخافونهم كما تخافون الاحرار
مثلكم لان العبيد عندكم اقل واذل من ذلك بل اتبع الذين
ظلموا اهواهم الاضراب ببل بما تضمنه معني الاية المتقدمة
كانه يقول ليس لهم حجة في اشراكهم بالله بل اتبعوا في ذلك
اهواهم بغير علم فاقم وجهك للدين هو دين الاسلام واقامة
الوجه في الموضعين من السورة عبارة عن الاقبال عليه
والاخلاص فيه في قوله اقم والقيم ضرب من ضروب التحسين
فطرة الله منصوب علي المصدر كقوله صبغة الله او مفعولا
بفعل

بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله ومعناه
خلقة الله والمراد به دين الاسلام لان الله خلق الخلق عليه اذ
هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة وانما كفر من كفر لعارض
اخرجه عن اصل فطرته كما قال صلي الله عليه وسلم
كل مولود يولد علي الفطرة فاباه يهودانه او ينصرانه
لا تبديل لخلق الله يعني بخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها
من الايمان ومعني ان الله لا يبدلها اي لا يخلق الناس علي
غيرها ولكن يبدلها شياطين الانس والجن بعد الخلقة الاولي
او يكون المعني ان تلك الفطرة لا ينبغي للناس ان يبدلوها
فالمعني علي هذا حكم لا خبر وقيل انه خصوص في المومنين
اي لا تبديل لفطرة الله في حق من قضي الله انه يثبت علي
ايمانه وقيل انه نهي عن تبديل خلقة الله كالخصا الفحول
من الحيوان وقطع اذانها وشبه ذلك منيبين اليه منصوب
علي الحال من قوله اقم وجهك لان الخطاب للنبي صلي
الله عليه وسلم والمراد هو وامته ولذلك جمع في قوله
منيبين وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا
فطرة الله وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد
واتقوه وما بعده معطوف علي اقم وجهك او علي العامل
في فطرة الله وهو الزموا المضمر من الذين فرقوا دينهم
المجرور بدل من المجرور قبله ومعني فرقوا دينهم جعلوه فرقا
اي اختلفوا فيه وقري فارقوا من المفارقة اي تركوه والمراد
بالمشركين هنا اصناف الكفار وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا
فرقا مختلفة وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ولعل قايل
هذا القول انما قاله في قول الله في الانعام ان الذين فرقوا
دينهم لانه ليس هناك ذكر المشركين واذا مس الناس ضر

الاية اخي علي المشركين لانهم يدعون الله في الشدايد ويشركون به
في الرخا ليكفروا ذكر في النحل ام انزلنا عليهم سلطانا ام هنا
منقطعة بمعني بل والسلطان الحجة وكلامه مجاز كما تقول نطق
الكتاب بذا والمعني ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم واذا
اذقنا الناس رحمة اخي علي من يفرح ويبطر اذا اصابه الخير
ويقنط اذا اصابه الشر وانظر كيف قال هنا اذا وقال في
الشر ان تصبهم سيئة لان اذا للقطع بوقوع الشرط بخلاف ان فانها
للشك في وقوعه ففي ذلك اشارة الي ان الخير الذي يصيب به
عباده اكثر من الشر بما قدمت ايديهم المعني انما يصيب الناس
من المصايب فانه بسبب ذنوبهم فات ذا القربي حقه يعني صلة
الرحم القرابة بالاحسان والمودة ولو بالكلام الطيب وما اتيتم
من ربا ليربوا في اموال الناس الاية معناها كقوله يمحق الله
الربا ويربي الصدقات اي ما اعطيتم من اموالكم علي وجه الربي
فلا يزكوا عند الله وما اتيتم من الصدقات فهو الذي يزكوا عند الله
وينفعكم به وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له
ليعوض له اكثر من ذلك فهذا وان كان جايز فانه لا ثواب فيه
وقري وما اتيتم بالمد بمعني اعطيتم وبالقصر بمعني جيتم اي
فعلتموه وقري لتربوا بالتا المضمومة وليربوا بالياء مفتوحة
ونصب الواو فاوليك هم المضعفون المضعف ذو الاضعاف
من الحسنات وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة الي الخطاب
وكان الاصل ان يقال وما اتيتم من زكاة فانتم المضعفون
وفيه ايضا حذف لانه لابد من ضمير يرجع الي ما وتقديره
المضعفون به او فموتوه هم المضعفون ظهر الفساد في البر
والبحر قيل البر البلاد البعيدة من البحر والبحر هو البلاد التي
علي ساحل البحر وقيل البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف
والصحيح

والصحيح ان البر والبحر المعروفان فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن
وشبه ذلك وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد
التجارات وشبه ذلك وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر
والعصيان لا مرد له اي لا رجوع له ولابد من وقوعه من الله
يتعلق بقوله ياتي او بقوله لا مرد له اي لا يرده الله يومئذ
يصدعون من الصدع وهو التفرقة اي يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير فلانفسهم يمهدون اي يوطئون وهو استعارة
من تمهيد الفراش ونحوه والمعني انهم يعملون ما ينتفعون به في الاخرة
ليجزي يتعلق بيمهدون او بيصدعون او بمحذوف مبشرات اي
تبشر بالمطر وليذيقكم عطف علي مبشرات كانه قال ليبشركم
وليذيقكم من رحمته ارسلها وكان حقا انتصب حقا لانه خبر
كان واسمها نصر المومنين وقيل اسمها مضمر يعود علي مصدر انتقمنا
اي وكان الانتقام حقا فعلي هذا يوقف علي حقا ويكون نصر المومنين
مبتدا وهذا ضعيف تثير سحابا اي تحركها وتنشرها كسفا
اي قطعا وقري باسكان السين وهما بنا ان للجمع وقيل معني
الاسكان ان السحاب قطعة واحدة الودق هو المطر من خلاله
الخلال الشقاق التي بين بعضه وبعض لانه متخلل الاجزاء
والضمير يعود علي السحاب من قبله كرر للتاكيد وليفيد سرعة
تقلب قلوب الناس من القنوط الي الاستبشار لمبلسين اي
قانطين كقوله ينزل الغيث من بعد ما قنطوا فراه مصفرا الضمير
للنبات الذي ينبته الله بالمطر والمعني لين ارسلنا به ريحا فاصفر
به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض علي الله وقيل الضمير
للريح وقيل للسحاب والاول احسن في المعني فانك لا تسمع الموتي
الاية استعارة في عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين فشبه الكفار
بالموتي في عدم احساسهم خلقكم من ضعف الضعف الاول كون

الانسان من ما مهين وكونه ضعيف في حال الطفولية والضعف الثاني
الاخير هو الهرم وقري بفتح الضاد وضمها وهما لغتان ما لبثوا
غير ساعة هذا جواب القسم ومعناه انهم يحلفون انهم ما لبثوا
في القبور تحت التراب الا ساعة او ما لبثوا في الدنيا الا ساعة
وذلك لاستقصار تلك المدة كذلك كانوا يوفكون اي مثل هذا
الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتي
يروا الاشيا علي غير ما هي عليه وقال الذين اوتوا العلم
والايمان هم الملايكة او الانبيا والمومنون ردوا مقالة الكفار
التي حلفوا عليها في كتاب الله يعني اللوح المحفوظ او علم الله
والمجرور علي هذا يتعلق بقوله لبثتم وقيل يعني القران فعلي
هذا يتعلق هذا المجرور بقوله اوتوا العلم وفي الكلام تقديم
وتاخير وتقديره علي هذا قال الذين اوتوا العلم في كتاب الله
اي العلما بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم خطاب للكفار وقولهم
فهذا يوم البعث تقرير لهم وهو في المعني جواب لشرط مقدر
تقديره ان كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث ولا هم
يستعتبون من العتبي بمعني الرضا اي لا يرضون وليس استفعل
هنا للطلب ان وعد الله حق يعني ما وعد من النصر علي الكفار
ولا يستخفنك من الخفة اي لا تضطرب لكلامهم

سورة لقمان

الكتاب الحكيم ذكر في يونس ومن الناس من يشتري لهو الحديث
لهو الغني وفي الحديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
شراء المغنيات وبيعهن حرام وقرا هذه الاية وقيل نزلت في
قريشي اشتري جارية مغنية تغني بهجا رسول الله صلي الله عليه
وسلم فالشترى علي هذا حقيقة وقيل نزلت في النضر بن الحارث
وكان قد تعلم اخبار فارس فذلك هو لهو الحديث وشرا لهو الحديث

استجابه

استجابه وسماعه فالشرا علي هذا مجاز وقيل لهو الحديث الطبل
وقيل الشرك ومعني اللفظ يعم ذلك كله وظاهر الاية انه لهو مضاف
الي كفر واستخفاف بدليل قوله ليضل عن سبيل الله الاية وان المراد
شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة اوصاف بغير عمد ترونها
ذكر في الرعد ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم لقمان رجل ينطق
بالحكمة واختلف هل هو نبي ام لا وفي الحديث لم يكن لقمان نبيا
ولكن كان عبدا حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة
روي انه كان ابن اخت ايوب او ابن خالته وروي انه كان قاضي
بني اسرايل واختلف في صناعته فقيل كان نجارا وقيل
خياطا وقيل راعي غنم وقيل كان ابنه كافرا فما زال يوصيه
حتي اسلم وروي ان اسم ابنه ثاران ووصينا الانسان هذه
الاية والتي بعدها اعتراض في اثنا وصية لقمان لابنه علي وجه
التاكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله ونزلت الاية
في سعد بن ابي وقاص وامه حسبما ذكرنا في العنكبوت حملته
امه وهنا علي وهن اي ضعفا علي ضعف لان الحمل كلما عظم ازدادت
الحامل به ضعفا وانتصاب وهنا بفعل مضمر تقديره تهن
وهنا وفصاله اي فطامه واشار بذلك الي غاية مدة الرضاع
ان اشكر تفسير للوصية واعترض بينهما وبين تفسيرها بقوله
وحمله وفصاله في عامين ليبين ما يكابده الام بالولد مما يوجب
عظيم حقها ولذلك كان حقها اعظم من حق الاب يا بني الاية رجع
الي كلام لقمان والتقدير وقال لقمان يا بني مثقال حبة من خردل
اي وزنها والمراد بذلك ان الله ياتي بالقليل والكثير من اعمال
العباد فعبر بحبة الخردل ليدل علي ما هو اكثر في صخرة قيل
المراد الصخرة التي عليها الارض وهذا ضعيف وانما معني الكلام
ان مثقال خردلة من الاعمال او من الاشيا ولو كانت في اخفي

موضع كجوف صخرة فان الله ياتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت
في السموات او في الارض واصبر علي ما اصابك امر بالصبر علي
المصايب عموما وقيل معني ما يصيب من يامر بمعروف او ينهي
عن منكر لمن عزم الامور يحتمل ان يريد بما امر الله به علي وجه
العزم والايجاب او من مكارم الاخلاق التي يعزم عليها اهل الحزم
والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول اي من معزومات
الامور ولا تصاعر خدك للناس الصعر في اللغة الميل اي لا تول
الناس خدك وتعرض عنهم تكبرا عليهم مرحا ذكر في الاسرا
مختال من الخيلا واقصد في مشيك اي اعتدل فيه ولا
تسرع اسراعا يدل علي البطش والخفة ولا تبطي ابطا يدل
النعرة والكبر نعمه ظاهرة وباطنة الظاهره الصحة والمال
وغير ذلك والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس ومنها ستر
القبيح من الاعمال وقيل الظاهره نعم الدنيا والباطنة نعم العقبي
واللفظ اعم من ذلك كله ومن الناس من يجادل نزلت في النضر
ابن الحارث وامثاله اولو كان الشيطان يدعوهم الي عذاب
السعير معناه يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الي النار
ومن يسلم وجهه الي الله يسلم اي يخلص او يستسلم او ينقاد
والوجه هنا عبارة عن المقصد بالعروة الوثقي ذكر في البقرة
قل الحمد لله وما بعده ذكر في العنكبوت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام الاية اخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتساع علمه
ومعني الاية ان شجر الارض لو كانت اقلاما والبحر لو كان مدادا
تصب فيه سبعة ابحر دايما وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت
الاشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله لان الاشجار والبحار متناهية
وكلمات الله غير متناهية فان قيل لم يقل والبحر مدادا كما
قال في الكهف قل لو كان البحر مدادا فالجواب انه اغني عن ذلك

قوله

قوله يمده لانه من قولك مد الدوات وامدها فان قيل لم قال من
شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذي يقتضي العموم فالجواب
انه اراد تفصيل الشجر الي شجرة شجرة حتي لا يبقي منها واحدة فان قيل
لم قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمع الكثرة فالجواب ان هذا ابلغ
لانه اذا لم تنفد الكلمات مع انه جمع قلة فكيف تنفد الجمع الكثير وروي
ان سبب الاية ان اليهود قالوا قد اوتينا التوراة وفيها العلم كله
فنزلت الاية لتدل ان ما عندهم قليل من كثير والاية علي هذا
مدنية وقيل ان سببها ان قريشا قالوا ان القران سينفد ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة بيان لقدرة الله علي بعث الناس ورد
علي من استبعد ذلك يولج الليل في النهار يدخل كل منهما في الاخر
بما يزيد في احدهما وينقص من الاخر او بادخال ظلمة الليل علي
ضوء النهار وادخال ضوء النهار علي ظلمة الليل الي اجل مسمي
يعني يوم القيامة ذلك بان الله يحتمل ان تكون البا سببيه او يكون
المعني ذلك بان الله شاهد هو الحق بنعمة الله يحتمل ان يريد بذلك
ما تحمله السفن من الطعام والتجارات فتكون البا للالصاق او
للمصاحبة او يريد الريح فتكون البا سببيه صبار شكور مبالغة
في صابر وشاكر كالظلل جمع ظلة وهو ما يعلوك من فوق شبه الموج
بذلك اذا ارتفع وعظم حتي علا فوق الانسان فمنهم مقتصد
المقتصد المتوسط في الامر فيحتمل ان يريد كافرا متوسطا في كفره
لم يسرف فيه او مومنا متوسطا في ايمانه لان الاخلاص الذي كان
عليه في البحر يزول عنه وقيل معني مقتصد موف ثبت في البر
علي ما عاهد الله عليه في البحر ختار اي غدار شديد الغدر وذلك
ان جحد نعمة الله غدر لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه شيا
والمعني انه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة ولا مولود اي ولد كما
لا يقدر الولد لوالده علي شي كذلك لا يقدر الوالد لولده علي شي

الغرور الشيطان وقيل الامل والتسويف **علم الساعه** اي متي تكون
فان ذلك مما انفرد الله بعلمه ولذلك جا في الحديث مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية **وما تدري نفس ماذا تكسب غدا** يعني من خير او شر او مال او ولد او
غير ذلك

سورة السجده

تنزيل الكتاب يعني القران **لا ريب فيه** اي لا شك انه من عند الله
عز وجل ونفي الريب علي اعتقاد اهل الحق وعلي ما هو الامر
في نفسه لا علي اعتقاد اهل الباطل **من رب العالمين** يتعلق
بتنزيل **ام يقولون** الضمير لقريش وام بمعني بل والهمزة **لتنذر**
يتعلق بما قبله او بمحذوف **ما اتاهم من نذير** يعني في الفترة
من زمان عيسي وقد جا الرسل قبل ذلك ابراهيم وغيره
ولما طالت الفترة علي هولا ارسل الله رسولا ينذرهم ليقيم
الحجة عليهم **استوي علي العرش** قد ذكر في الاعراف **ما لكم من
دونه من ولي ولا شفيع** نفي الشفاعة علي وجهين احدهما
الشفاعة للكفار وهي معدومة علي الاطلاق والاخر ان
الشفاعة للمومنين لا تكون الا باذن الله كقوله ما من شفيع
الا من بعد اذنه **يدبر الامر** اي واحد الامور وقيل الماموريه
به من الطاعات والاول اصح **من السما الي الارض** اي ينزل
ما دبره وقضاه من السما الي الارض **ثم يعرج اليه في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون** قال ابن عباس المعني ينفذ الله
قضاه من السما الي الارض ثم يعرج اليه خبر ذلك في يوم من
ايام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر الف
سنة لان ما بين السما والارض خمسماية عام فالالف ما بين نزول
الامر الي الارض وعروجه الي السما وقيل ان الله يلقي الي
الملايكة امور الف سنة من اعوام البشر وهو يوم من ايام
الله فاذا فرغت القي اليهم مثلها فالمعني ان الامور تنفذ عنده

لهذه

لهذه المدة ثم تصير اليه اخر الان عاقبة الامور اليه فالعروج
علي هذا عبارة عن مصير الامور اليه **عالم الغيب والشهادة**
الغيب ما غاب عن المخلوقين والشهادة ما شاهدوه **احسن كل
شي خلقه** اي اتقن جميع المخلوقات وقري خلقه باسكان اللام
علي البدل **وبدا خلق الانسان من طين** يعني ادم عليه السلام
نسله يعني ذريته **من سلالة من ما مهين** يعني المني والسلالة
مشتقة من سل يسل فكان الما يسل من الانسان والمهين
الضعيف **ثم سواه** اي قومه **ونفخ فيه من روحه** عبارة عن
ايجاد الحياة فيه واضافة الروح الي الله اضافة ملك الي مالك
وتشريف بما الاختصاص لان الروح لا يعلم كنهه الا الله **ائذا
ضللنا في الارض** اي تلفنا وصرنا ترابا ومعني هذا الكلام المحكي
عن الكفار استبعاد البعث والعامل في اذا معنا قولهم ائنا لفي
خلق جديد تقديره نبعث **يتوفاكم ملك الموت** اسمه عزرايل
وتحت ملكه **ولو تري** يحتمل ان تكون لو للتمني وتاويله في
حق الله كما ذكر للترجي وقد ذكر او تكون للامتناع وجوابها
محذوف تقديره لو تري حال المجرمين في الاخرة لرايت امرا
مهولا **ناكسوا روسهم** عبارة عن الذل والغم والندم **ربنا ابصرنا
وسمعنا** تقديره يقولون ربنا قد علمنا الحقايق **ولو شينا لاتينا
كل نفس هداها** يعني لو اراد ان يهدي جميع الخلايق لفعل فانه
قادر علي ذلك بان يجعل الايمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان
والشهوات ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا **فذوقوا بما
نسيتم** اي يقال لهم ذوقوا والنسيان بمعني الترك **تتجافي جنوبهم
عن المضاجع** اي ترتفع والمعني يتركون مضاجعهم بالليل من
كثرة صلاتهم النوافل ومن صلي العشا والصبح في جماعة فقد
اخذ بحظه من هذا **فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين**

يعني انه لا يعلم احد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم وقري اخفي
باسكان اليا علي ان يكون فعل المتكلم وهو الله تعالي افمن كان
مومنا الاية يعني المومنين والفاسقين علي العموم وقيل يعني
علي بن ابي طالب وعقبة بن ابي معيط ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون الذي نعت للعذاب ولذلك قال اعاد
عليه الضمير المذكر في قوله به فان قيل لم وصف هنا العذاب
واعاد عليه الضمير ووصف في سبا النار واعاد عليها الضمير
فقال عذاب النار التي كنتم بها تكذبون فالجواب من
ثلاثة اوجه الاول انه خص العذاب في السجدة بالوصف
اعتنا به لما تكرر وصفه في قوله لنذيقنهم من العذاب
الادني دون العذاب الاكبر الثاني انه تقدم في السجدة
ذكر النار فكان الاصل ان يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير
لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لا يوصف
ما قام مقامه وهو النار فوصف العذاب ولم يصف النار
الثالث وهو الاقوي انه امتنع في السجدة وصف النار فوصف
العذاب وانما امتنع وصفها لتقدم ذكرها فانك اذا ذكرت شيا
ثم كررت ذكره لم يجز وصفه كقولك رايت رجلا فاكرمت الرجل
فلا يجوز وصفه لئلا يفهم انه غيره ولنذيقنهم من العذاب الادني
دون العذاب الاكبر يعني الجوع ومصايب الدنيا وقيل القتل
يوم بدر وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله لعلهم يرجعون
انا من المجرمين منتقمون هذا وعيد لمن ذكر بايات ربه
ثم اعرض عنها وكان الاصل ان يقول انا منه منتقمون
ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالاجرام وقدم
المجرور علي منتقمون للمبالغة فلا تكن في مرية من
لقائه المرية الشك والضمير لموسي اي لا تشك في لقا

موسي ليلة الاسرا وقيل المعني لا تشك في لقا موسي للكتاب
الذي انزل عليه والكتاب علي هذا التوراة وقيل الكتاب
هنا جنس والمعني لقد اتينا موسي الكتاب فلا تشك انت في لقايك الكتاب
الذي انزل عليك وعبر باللقا عن انزال الكتاب كقوله وانك لتلقي القران
يفصل بينهم الضمير لجميع الخلق وقيل لبني اسرايل خاصة اولم يهد لهم
ذكر في طه يمشون في مساكنهم الضمير في يمشون لاهل مكة اي يمشون
في مساكن القوم المهلكين كقوله وقد تبين لكم من مساكنهم وقيل
الضمير للمهلكين اي اهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم والاول احسن
لان فيه حجة علي اهل مكة الارض الجرز يعني التي لا نبات فيها من
شدة العطش متي هذا الفتح اي الحكم بين المسلمين والكفار في
الاخرة وقيل يعني فتح مكة وهذا بعيد لقوله قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم وذلك في الاخرة لان من امن بيوم الفتح نفعه
ايمانه وانتظر انهم منتظرون اي انتظر هلاكهم انهم ينتظرون هلاكك
وهذا تهديد لهم

سورة الاحزاب

يا ايها النبي ندا فيه تكريم له لانه ناداه بالنبوة ونادي ساير
الانبيا باسمايهم اتق الله اي دم علي التقوي وزد منه ولا تطع
الكافرين والمنافقين اي لا تقبل اقوالهم وان اظهروا انها نصيحة
ويعني بالكافرين المظهرين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون
الاسلام ويخفون الكفر وروي ان الكافر هنا ابي بن خلف والمنافق
هنا عبد الله بن ابي بن سلول والعموم اظهر ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه قال ابن عباس كان في قريش رجل يقال
له ذو القلبين لشدة فهمه فنزلت الاية نفيا لذلك وقيل
انه ابن خطل وقيل جميل بن معمر وقيل انما جاء هذا اللفظ توطية
لما بعده من النفي كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه كذلك
لم يجعل ازواجكم امهاتكم ولا ادعياكم ابناكم اللاي تظاهرون منهن

اي تقولون للزوجة انت علي كظهر امي وكانت العرب تطلق هذا اللفظ
بمعني التحريم وسياتي حكمه في المجادلة ان شا الله تعالي وانما تعدي
هذا الفعل بمن لانه تضمن معني يتباعدون منهن وما جعل ادعياكم
ابناكم الادعيا جمع دعي وهو الذي يدعي ولد فلان وليس بولده
وسببها امر زيد بن حارثة وذلك انه كان فتي من كلب فسباه
بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي صلي الله عليه
وسلم فتبناه فكان يقال له زيد بن محمد حتي انزلت هذه
الاية ذلك قولكم بافواهكم الاشارة الي نسبة الدعي الي غير ابيه
او الي كل ما تقدم من المنهيات وقوله بافواهكم تاكيد لبطلان
القول ادعوهم لابايهم الضمير للادعيا اي انسبوهم الي ابايهم
الذي ولدوهم النبي اولي بالمومنين من انفسهم يقتضي ان
يحبوه صلي الله عليه وسلم اكثر مما يحبون انفسهم وان
ينصروا دينه اكثر مما ينصرون انفسهم وازواجه امهاتهم
جعل الله تعالي ازواج النبي صلي الله عليه وسلم حرمة
الامهات في تحريم نكاحهن ووجوب برهن ولكن اوجب حجبهن
عن الرجال واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض هذا نسخ لما
كان في صدر الاسلام من التوارث باخوة الاسلام وبالهجرة
وقد تكلمنا عليها في الانفال في كتاب الله يحتمل ان يريد
القران او اللوح المحفوظ من المومنين يحتمل ان يكون بيانا لاولي
الارحام او يتعلق باولي اي اولوا الارحام اولي بالميراث من
المومنين الذين ليسوا بذوي ارحام الا ان تفعلوا الي اوليايكم
معروفا يريد الاحسان الي الاوليا الذين ليسوا بقرابة ونفعهم
في الحياة والوصية لهم عند الموت فذلك جايز ومندوب اليه
وان لم يكون قرابة واما الميراث فللقرابة خاصة واختلف
هل يعني الاوليا المومنين خاصة او المومنين والكافرين

في

٢٧٨

في الكتاب مسطورا يعني القران او اللوح المحفوظ واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرايع
وقيل هو الميثاق الذي اخذه حين اخرج بني ادم من صلب
ادم كالذر والاول ارجح لانه هو المختص بالانبيا ومنك ومن
نوح قد دخل هولا في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر
تشريفا لهم وقدم محمدا صلي الله عليه وسلم تفضيلا له
ميثاقا غليظا يعني الميثاق المذكور وانما كرره تاكيدا ووصفه
بانه غليظ وثيق ثابت يجب الوفا به ليسال الصادقين اللام
يحتمل ان تكون لام كي او لام الصيرورة والصدق هنا يحتمل ان
يكون الصدق في الاقوال والصدق في الاحوال والعزايم
ويحتمل ان يريد بالصادقين الانبيا او غيرهم من المومنين
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود هذه الاية وما بعدها
نزلت في قصة غزوة الخندق والجنود المذكورة هم قريش
ومن كان معهم من الكفار وسماهم الله في هذه السورة
الاحزاب وكانوا نحو عشرة الاف حاصروا المدينة وحفر رسول
الله صلي الله عليه وسلم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها
فارسلنا عليهم ريحا ارسل الله عليهم ريح الصبا فاطفات
نيرانهم واكفات قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خايبين
وجنودا لم تروها يعني الملايكة اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم اي حصروا المدينة من اعلاها ومن اسفلها وقيل معني
من فوقكم اهل نجد لان ارضهم فوق المدينة ومن اسفل منكم
اهل مكة وساير تهامة واذ زاغت الابصار اي مالت عن
مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف وبلغت القلوب
الحناجر جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب اليها مجاز
وعبارة عن شدة الخوف وقيل بل هو حقيقة لان الرية

تشخص من شدة الخوف فتربوا ويرتفع القلب بارتفاعها الى الحنجرة
وتظنون بالله الظنونا اي تظنون ان الكفار يغلبونكم وقد
وعدكم الله بالنصر عليهم فاما المنافقون فظنوا ظن السوء
وصرحوا به واما المومنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما
لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله وقرا
نافع الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف في الوصل وفي الوقف
وقرى باسقاطها في الوصل والوقف وباثباتها في الوقف
دون الوصل فاما اسقاطها فهو الاصل واما اثباتها فلتعديل
روس الاي لانها كالقوافي وتقتضي هذه العلة ان تثبت في
الوقف خاصة واما من اثبتها في الحالين فانه اجرى الوصل
مجرى الوقف هنالك ابتلي المومنون اي اختبروا واصابهم
بلا والعامل في الظرف ابتلي وقيل ما قبله وزلزلوا
اصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب
القلوب واذ يقول المنافقون روي انه معتب بن قشير واذ قالت
طايفة قال السهيلي الطايفة تقع على الواحد فما فوقه
والمراد هنا اوس بن قيظي يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي المدينة في طرف
منها ومقام اسم موضع من القيام اي لا قرار لكم هنا يعنون
موضع القتال وقرى بالضم وهو اسم موضع من الاقامة
وقولهم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال
ويستاذن فريق منهم النبي اي يستاذنوه في الانصراف
والمستاذن اوس بن قيظي وعشيرته وقيل بنو حارثة
ان بيوتنا عورة اي منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق
فكذبهم الله في ذلك ولو دخلت عليهم من اقطارها اي لو دخلت
عليهم المدينة من جهاتها ثم سيلوا الفتنة لاتوها قرى بالقصر

يعني

يعني جاووها وبالمد يعني اعطوها من انفسهم وما تلبثوا بها
الضمير للمدينة قد يعلم الله قد دخلت قد على الفعل المضارع يعني
التهديد وقيل للتقليل على وجه التهكم المعوقين منكم اي
الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه باقوالهم
وافعالهم والقايلين لاخوانهم هلم الينا هم المنافقين الذين
قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم او للمنافقين
مثلهم هلم الى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال وقد ذكر
هلم في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الباس القتال
وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره الا اتيانا قليلا او
مستثنى من فاعل ياتون اي الا قليلا منهم اشحة عليكم
الاشحة جمع شحيح فقيل معناه يشحون بانفسهم فلا يقاتلون
وقيل يشحون باموالهم وقيل معناه اشحة عليكم وقت الحرب
اي يشفقون عليكم ان تقتلوا ونصب اشحة على الحال من
القايلين او على المعوقين او من الضمير في ياتون او نصب
على الذم فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك اي اذا اشتد
الخوف من الاعدا نظروا اليك هولا في تلك الحالة ولاذوا بك
من شدة خوفهم تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
عبارة عن شدة خوفهم فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد
السلق بالالسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ومعنى
حداد فصيحا قادرين على الكلام اذا نصركم الله وزال الخوف
رجع المنافقون الى اذايتكم بالسب وتنقص الشريعة
وقيل اذا غنمتم طلبوا من الغنايم اشحة على الخير اي
يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالغنايم وانتصابه هنا
على الحال من الفاعل في سلقوكم لم يومنوا فاحبط الله
اعمالهم ليس المعنى انها حبطت بعد ثبوتها وانما المعنى انها لم

تقبل لان الايمان شرط في قبول الاعمال وقيل انهم نافقوا بعد
ان امنوا فالاحباط علي هذا حقيقة **يحسبون الاحزاب لم**
يذهبوا الاحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم فالمعني ان
المنافقين من شدة جزعهم يظنون ان الاحزاب لم ينصرفوا
عن المدينة وهم قد انصرفوا **وان يات الاحزاب يودوا لو انهم**
بادون في الاعراب معني يودوا يتمنوا وبادون خارجون في
البادية والاعراب هم اهل البوادي من العرب فمعني الاية
انه ان اتي الاحزاب الي المدينة مرة اخري تمني هولا المنافقين
من شدة جزعهم ان يكونوا في البادية مع الاعراب وان
لايكونوا في المدينة بل غايبين عنها يسلون من ورد
عليهم عن انبايكم **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**
اي قدوة تقتدون به صلي الله عليه وسلم في اليقين والصبر
وساير الفضايل وقري اسوة بضم الهمزة والمعني واحد
هذا ما وعدنا الله ورسوله قيل ان هذا الوعد ما اعلمهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم حين امر بحفر الخندق من ان الكفار
ينزلون وانهم ينصرفون خايبين وقيل انه قول الله تعالي
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم الباسا والضرا الاية فعلموا انهم يبتلون ثم
ينصرون **فمنهم من قضي نحبه** يعني قتل شهيدا قال انس بن
مالك يعني عمي انس بن النضر وقيل يعني حمزة بن عبد المطلب
وقضي النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره وقيل
قضي نحبه وفي العهد الذي عاهد الله عليه ويدل علي هذا
ما ورد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال طلحة ممن
قضي نحبه وهو لم يقتل حينيذ **ومنهم من ينتظر** المفعول
محذوف اي ينتظر ان يقضي نحبه او ينتظر الشهادة في سبيل
الله

الله علي قول ابن عباس او ينتظر الحصول في اعلا مراتب الايمان والصلاح
علي القول الاخر **وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم**
الصياصي هي الحصون ونزلت الاية في بني قريظة وذلك انهم كانوا عاهدوا
رسول الله صلي الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش
فلما انصرف قريش عن المدينة حصر رسول الله صلي الله عليه وسلم
بني قريظة حتي نزلوا علي حكم سعد بن معاذ فحكم بان يقتل رجالهم
ويسبي نساهم وذريتهم **فريقا تقتلون** يعني الرجال وقتل منهم
يوميذ كل من انبت وكانوا بين ثمانماية او تسعماية **وتاسرون فريقا**
يعني النسا والذرية **واورثكم ارضهم** يعني ارض بني قريظة قسمها
رسول الله صلي الله عليه وسلم بين المهاجرين **وارضا لم تطوها**
هذا وعد بفتح ارض لم يكن المسلمون قد وطوها حينيذ وهي مكة
واليمن والشام والعراق ومصر فاورث الله المسلمين جميع ذلك
وما وراها الي اقصي المشرق والمغرب ويحتمل عندي ان يريد
ارض بني قريظة لانه قال اورثكم بالفعل الماضي وهي التي كانوا
اخذوها حينيذ واما غيرها من الارضين فانما اخذوها بعد ذلك
فلو ارادها لقال يورثكم وانما كررها بالعطف ليصفها بقوله
لم تطوها اي لم تدخلوها قبل ذلك **يايها النبي قل لازواجك ان**
كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الاية سببها ان ازواج رسول
الله صلي الله عليه وسلم تغايرن حتي غمه ذلك وقيل طلبن منه
الملابس ونفقات كثيرة وكان ازواجه يوميذ تسع نسوة خمس
من قريش وهن عايشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وسودة بنت زمعة
وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية واربع من
غير قريش وهم ميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي
من بني اسرايل وزينب بنت جحش الاسدية وجويرة بنت

الحرث من بني المصطلق فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
اصل تعال ان يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض
ثم استعملت بمعني اقبل في جميع الامكنة وامتعكن من المتعة وهي
الاحسان الي المراة اذا طلقت والسراح الطلاق فمعني الاية ان
الله امر رسوله صلي الله عليه وسلم ان يخير نساه بين الطلاق
والمتعة ان ارادوا زينة الدنيا وبين البقا في عصمته ان ارادوا
الاخرة فبدا صلي الله عليه وسلم بعايشة فاختارت البقا
في عصمته ثم تبعها سايرهن في ذلك فلم يقع طلاق قالت عايشة
خيرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده ذلك
طلاقا ولذلك اختارت المخيرة الطلاق فمذهب مالك انه ثلاث
وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل يحتمل ان يريد
انه دون الثلاث او يريد انه ثلاث وجماله حسن الرعي والثنا
وحفظ العهد للمحسنات منكن من للبيان لا للتبعيض لان جميعهن
محسنات بفاحشة مبينة قيل يعني الزنا وقيل يعني عصيان
زوجهن عليه الصلاة والسلام او تكليفه ما يشق عليه
وقيل عموم في المعاصي يضاعف لها العذاب ضعفين اي
يكون عذابها في الاخرة مثل عذاب غيرها مرتين وانما
ذلك لعلو رتبتهن لان كل احد يطالب علي مقدار حاله وقري
يضاعف باليا ورفع العذاب علي البنا للمفعول وبالنون ونصب
العذاب علي البنا للفاعل ومن يقنت منكن لله ورسوله
قري باليا حملا علي لفظ من وبالتا حملا علي المعني وكذلك تعمل
والقنوت هنا بمعني الطاعة نوتها اجرها مرتين اي يضاعف
لها ثواب الحسنات رزقا كريما يعني الجنة وقيل في الدنيا والاول
هو الصحيح لستن كاحد من النسا ان اتقيتن فضلهن الله
علي النسا بشرط التقوي وقد حصل لهن التقوي فحصل

التفضيل

التفضيل علي جميع النسا الا انه يخرج من هذا العموم فاطمة
بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ومريم بنت عمران
واسية امراة فرعون لشهادة رسول الله صلي الله عليه
وسلم لكل واحدة منهن بانها سيدة نسا عالمها فلا تخضعن
بالقول نهي عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن الي
النسا في قلبه مرض اي فجور وميل للنسا وقيل هو النفاق
وهذا بعيد في هذا الموضع وقلن قولا معروفا هو الصواب
من الكلام او الذي ليس فيه شي مما نهي عنه وقرن في بيوتكن
بكسر القاف ويحتمل وجهين ان يكون من الوقار او من القرار
في الموضع ثم حذفت الرا الواحدة كما حذفت اللام في ظلت
واما القراة بالفتح فمن القرار في الموضع علي لغة من يقول
اقررت بالكسر اقر بالفتح والمشهور في اللغة عكس ذلك وقيل
هي من قار يقار اذا اجتمع ومعني القرار ارجح لان سودة رضي
الله عنها قيل لها لم تخرجين فقالت امرنا الله بان نقر في بيوتنا
وكانت عايشة اذا قرات هذه الاية تبكي علي خروجها ايام
الجمل وحينئذ قال لها عمار ان الله امرك ان تقري في بيتك ولا تبرجن
التبرج اظهار الزينة تبرج الجاهلية الاولي اي مثل ما كان
نسا الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر وجعلها
اولي بالنظر الي حال الاسلام وقيل الجاهلية الاولي ما بين
ادم ونوح وقيل ما بين موسي وعيسي الرجس اصله النجس
والمراد به هنا النقايص والعيوب اهل البيت منادي او
منصوب علي التخصيص واهل بيت النبي صلي الله عليه
وسلم هم ازواجه وذريته واقاربه كالعباس وعلي وكل من
حرمت عليه الصدقة وقيل المراد هنا ازواجه خاصة
والبيت علي هذا المسكن وهذا ضعيف لان الخطاب بالتذكير

ولواراد ذلك لقال منكن وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال نزلت هذه الاية في خمسة في و دعلي وفاطمة والحسن
والحسين **واذكرن** خطاب لازواج النبي صلي الله عليه وسلم
خصهن به بعد دخولهن مع اهل البيت وهذا الذكر يحتمل ان يكون
التلاوه او التذكر بالقلب وايات الله هي القران والحكمة هي
السنة **ان المسلمين والمسلمات الاية** سببها ان بعض النسا
قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا فنزل فيها ذكر النسا **والمومنين**
والمومنات الاسلام هو الانقياد والايمان هو التصديق ثم انهما
يطلقان بثلاثة اوجه باختلاف المعني كقوله لم تومنوا ولكن
قولوا اسلمنا وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله فاخرجنا من كان
فيها من المومنين الاية وبالعموم فيكون الاسلام اعم لانه بالقلب
والجوارح والايمان اخص لانه بالقلب خاصة وهذا هو الاظهر
في هذا الموضع **والقانتين والقانتات** يحتمل ان يكون بمعني
العباده او الطاعة **والصادقين والصادقات** يحتمل ان يكون من
صدق القول او من صدق العزم او العهد **وما كان لمومن**
الاية معناها انه ليس لمومن ولا مومنة اختيار مع الله ورسوله
بل يجب عليهم التسليم والانقيا د لامر الله ورسوله والضمير في
قوله من امرهم راجع الي الجمع الذي يقتضيه قوله لمومن
ولا مومنة لان معناه العموم في جميع المومنين والمومنات
وهذه الاية توطية للقصة المذكورة بعدها وقيل سببها
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم خطب امراة ليزوجها
لمولاه زيد بن حارثة فكرهته هي واهلها ذلك فلما نزلت الاية
قالوا رضينا يا رسول الله واختلف هل هذه المخطوبة زينب
بنت جحش او غيرها وقد قيل انها ام كلثوم بنت عقبة بن ابي
معيط **واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه** هو زيد

ابن

ابن حارثة الكلبي وانعام الله عليه بالاسلام وغيره وانعام
النبي صلي الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت
جحش وهي بنت اميمة عمة النبي صلي الله عليه فشكي زيد
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاظمها
عليه واراد ان يطلقها فقال له رسول الله صلي الله عليه
وسلم امسك عليك زوجك واتق الله يعني فيما وصفها به
من سوء المعاشرة واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق
علي وجه التنزيه كما قال عليه الصلاة والسلام ابغض المباح
الي الله الطلاق **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** الذي اخفاه
رسول الله صلي الله عليه وسلم امر جايز مباح لا اثم فيه
ولا عتب ولكنه خاف ان يسلط الله عليه السنتهم وينالوا منه
فاخفاه حيا وحشمة وصيانة لعرضه وذلك انه روي ان
النبي صلي الله عليه وسلم كان حريصا علي ان يطلق زيد
زينب ليتزوجها هو صلي الله عليه وسلم لقرابتها منه
ولحسنها فقال امسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص
عليها خوفا من كلام الناس لئلا يقولوا تزوج امراة ابنه
اذ كان قد تبناه فالذي اخفاه صلي الله عليه وسلم هو
ارادة تزوجها فابدا الله ذلك بان قضي له بتزوجها قالت
عايشة لو كان رسول الله صلي الله عليه وسلم كاتما شيا
من الوحي لكتم هذه الاية لشدتها عليه وقيل ان الله كان
اوحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يتزوج زينب
بعد طلاق زيد فالذي اخفاه رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما اعلمه الله من ذلك **فلما قضي زيد منها وطرا زوجناكها**
لم يذكر احد من الصحابة في القران باسمه غير زيد بن حارثة
والوطر الحاجة قال ابن عطية ويراد به هنا الجماع والاحسن

ان يكون اعم من ذلك اي لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله
من نبيه صلي الله عليه وسلم واسند الله تزويجها اليه تشريفا
لها ولذلك كانت زينب تفتخر علي نسا النبي صلي الله عليه وسلم
وتقول ان الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات واستدل
بعضهم بقوله زوجناكها علي ان الاولي ان يقال في كتاب
الصداق انكحه اياها بتقديم ضمير الزوج علي ضمير الزوجة
كما في الاية **لكيلا يكون علي المومنين حرج في ازواج ادعيايهم**
المعني ان الله زوج زينب امراة زيد من رسول الله صلي الله
عليه وسلم ليعلم المومنون ان تزوج نسا ادعيايهم حلال لهم
فان الادعيا ليسوا لهم ابنا حقيقة **ما كان علي النبي من حرج
فيما فرض الله له** المعني ان تزوج النبي صلي الله عليه وسلم
لزينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا اثم ولا عتاب وفي ذلك
رد علي من تكلم في ذلك من المنافقين ومعني فرض هنا بمعني قسم
له **سنة الله في الذين خلوا من قبل** اي عادة الله في الانبيا
المتقدمين ان ينالوا ما احل الله لهم وقيل الاشارة بذلك الي
داود بتزويج المراة التي جري له فيها ما جري والعموم احسن
ونصب سنة علي المصدر او علي اضمار فعل او علي الاغرا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا من قبل وهم
الانبيا او رفع علي اضمار مبتدا او نصب باضمار فعل **ما كان محمد
ابا احد من رجالكم** هذا رد علي من قال في زيد بن حارثة زيد
ابن محمد فاعترض علي النبي صلي الله عليه وسلم تزوج امراة زيد
وعموم النفي في الاية لا يعارضه وجود الحسن والحسين لانه
صلي الله عليه وسلم ليس ابا لهما في الحقيقة لانهما ليسا من
صلبه وانما كانا ابني بنته واما ذكور اولاده فماتوا صغارا
فليسوا من الرجال **وخاتم النبيين** اي اخرهم فلا نبي بعده صلي

الله

صلي الله عليه وسلم وتري بكسر التا بمعني انه ختمهم فهو خاتم
وبالفتح بانهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم فان قيل
ان عيسي ينزل في اخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام
فالجواب ان النبوة اوتيت عيسي قبله عليه الصلاة والسلام
وايضا فان عيسي يكون اذا نزل علي شريعته عليه الصلاة
والسلام فكانه واحد من امته **اذكروا الله ذكرا كثيرا** اشترط
الله الكثرة في الذكر حيث ما امر به بخلاف ساير الاعمال والذكر
يكون بالقلب وباللسان وهو علي انواع كثيرة من التهليل
والتسبيح والحمد والتكبير وذكر اسما الله تعالي **وسبحوه بكرة واصيلا**
قيل ان ذلك اشارة الي صلاة الصبح والعصر والاظهر انه امر
بالتسبيح في اول النهار واخره وقال ابن عطية اراد كل الاوقات
لحد النهار بطرفيه **هو الذي يصلي عليكم وملايكته**
هذا خطاب للمومنين وصلاة الله عليهم رحمة لهم وصلاة الملايكة
عليهم دعاوهم لهم فاستعمل لفظ يصلي علي اختلافهما وقيل انه
علي حذف مضاف تقديره وملايكته يصلون **تحيتهم فيها
سلام** قيل يعني يوم القيامة وقيل في الجنة وهو الارجح
لقوله وتحيتهم فيها سلام ويحتمل ان يريد تسليم بعضهم علي
بعض او قول الملايكة لهم سلام عليكم طبتم **انا ارسلناك
شاهدا** اي يشهد علي امته **وداعيا الي الله باذنه** اي بامره
وارساله **وسراجا منيرا** استعارة للنور الذي تضمنه الدين **ودع
اذاهم** يحتمل وجهين احدهما لا تؤذيهم فالمصدر علي هذا مضاف
الي المفعول ونسخ من الاية علي هذا التاويل ما يخص الكافرين
باية السيف والاخر احتمل اذايتهم لك واعرض عن اقوالهم فالمصدر
علي هذا مضاف للفاعل **اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن**
الاية معناه سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح

في الاية هو العقد والمس هو الجماع وتعتدونها من العدد **فمتعوهن**
هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول سوا فرض لها او لم يفرض
لها صداق وقوله تعالى في البقرة وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم يقتضي
ان المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق
ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الاية ناسخة لاية البقرة
او منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بان تكون اية البقرة مبينة
لهذه مخصصة لعمومها **يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك**
اللاتي اتيت اجورهن في معناها قولان احدهما ان المراد ازواجه
اللاتي في عصمته حينيذ كعايشة وغيرها وكان قد اعطاهن
مهورهن والاخر ان المراد جميع النسا فاباح الله له ان يتزوج
كل امراة يعطي مهرها وهذا اوسع من الاول **وما ملكت**
يمينك اباح الله له مع الازواج السراري بملك اليمين ويعني
بقوله افا الله عليك الغنايم **وبنات عمك وبنات عماتك**
وبنات خالك وبنات خالاتك يعني قرابته من جهة ابيه
ومن جهة امه وكان له عليه الصلاة والسلام اعمام اخوة
لابيه ولم يكن لامه عليه الصلاة والسلام اخ ولا اخت وانما
يعني بخاله وخالاته عشيرة امه وهم بنو زهرة ولذلك كانوا
يقولون نحن اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال
ان المراد بقوله احللنا لك ازواجك من كانت في عصمته فهو
عطف عليهن واباحة لان يتزوج قرابته زيادة على من كان في
عصمته ومن قال ان المراد جميع النسا فهو تجريد منهن على وجه
التشريف بعد دخول هولا في العموم **اللاتي هاجرن معك**
تخصيص تخرز به ممن لم يهاجر كالطلقا الذين اسلموا يوم فتح
مكة **وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي** اباح الله له صلى الله

عليه

عليه وسلم من وهبت له نفسها من النسا واختلف هل وقع
ذلك ام لا فقال ابن عباس لم تكن عند النبي صلى الله عليه
وسلم امراة الا بنكاح او ملك يمين لا بهبة نفسها ويويد
هذا قراة الجمهور ان وهبت بكسر الهمزة اي ان وقع وقيل قد
وقع ذلك وهو على هذا القول قرئ ان وهبت بفتح الهمزة واختلف
على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت
الحرث وقيل زينب بنت خزيمة ام المساكين وقيل ام شريك
الانصارية وقيل ام شريك العامرية **خالصة لك من دون**
المومنين اي وهبت المراة نفسها مزية خالصة بالنبي صلى
الله عليه وسلم دون غيره وانظر كيف رجع من الغيبة الى الخطاب
ليخص المخاطب وحده وقيل ان خالصة يرجع الى كل ما تقدم
من النسا المباحات له صلى الله عليه وسلم لان ساير المومنين
قصروا على اربع نسوة وابيح له عليه الصلاة والسلام اكثر
من ذلك ومذهب مالك ان النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد خلاف
ابي حنيفة واعراب خالصة مصدرا وحال او صفة لامراة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم يعني احكام النكاح من
الصداق والولي والاقتصار على اربع وغير ذلك **لكيلا يكون**
عليك حرج يتعلق بالاية التي قبله اي بينا احكام النكاح
ليلا يكون عليك حرج او ليلا يظن بك انك فعلت ما لا يجوز
وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك **ترجي من تشا منهن**
وتوي اليك من تشا معنى ترجي توخر وتبعد ومعنى توي تضم
وتقرب واختلف في المراد بهذا الارجا والايوا فقيل ان ذلك
في القسمة بينهن اي تكثر لمن شيت وتقلل لمن شيت وقيل انه
في الطلاق اي تمسك من شيت وتطلق من شيت وقيل معناه
تتزوج من شيت وتترك من شيت والمعنى على كل قول توسعة

علي النبي صلي الله عليه وسلم واباحة له ان يفعل ما يشا وقد اتفق
الناقلون علي انه صلي الله عليه وسلم كان يعدل في القسمة بين
نسايه اخذا منه بافضل الاخلاق مع ما اباحه الله له والضمير
في قوله منهن يعود علي ازواجه صلي الله عليه وسلم خاصة
او علي كل ما احل الله له علي حسب الخلاف المتقدم ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك في معناه قولان احدهما من اعتزلته
من نسايك فلا جناح عليك في رده بعد عزله والاخر من ابتغيت
ومن عزلت سوا في اباحة ذلك لك فمن للتبعيض علي القول الاول
واما علي القول الثاني فهو قولك من لقيك ومن لم يلقك سوا
ذلك ادني ان تقر اعينهن اي اذا علمن ان هذا حكم الله قرت به
اعينهن ورضين به وزال ما كان بهن من الغيرة فان سبب نزول
هذه الاية ما وقع للنبي صلي الله عليه وسلم من غيرة بعضهن
علي بعض لا يحل لك النسا من بعد فيه قولان احدهما لا يحل لك
النسا غير اللاتي في عصمتك الان ولا تزيد عليهن قال ابن عباس
لما خيرهن رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله
جازاهن الله بذلك بان حرم غيرهن من النسا كرامة لهن والقول
الثاني لا يحل لك النسا غير الاصناف التي سميت والخلاف يجري
علي الخلاف في المراد بقوله انا احللنا لك ازواجك اي لا يحل لك
غير من ذكر حسبما تقدم وقيل معنا لا يحل لك النسا لا يحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسميات المذكورات وهذا بعيد
واختلف في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة بقوله انا احللنا
لك ازواجك علي القول بان المراد جميع النسا وقيل ان هذه الاية
ناسخة لتلك علي القول بان المراد من كان في عصمته وهذا هو
الاظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ولان التسع في حقه عليه الصلاة
والسلام كالاربع في حق امته ولا ان تبدل بهن من ازواج معناه

لازواج

لا يحل

لا يحل لك ان تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها وقيل
معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النسا بان ينزل الرجل
عن زوجته لرجل وينزل الاخر عن زوجته له وهذا ضعيف
ولو اعجبك حسنهن في هذا دليل علي جواز النظر الي المراة
اذا اراد الرجل ان يتزوجها الا ما ملكت يمينك المعني ان الله اباح لنا
الايما والاستثنا في موضع رفع علي البدل من النسا او في موضع
نصب علي الاستثنا من الضمير في حسنهن لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يوذن لكم الي طعام سبب هذه الاية ما رواه انس ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش اولم عليها
فدعي الناس فلما طعموا قعد نفر في طايفة من البيت فثقل ذلك
علي النبي صلي الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر
علي حجر نسايه ثم عاد فوجدهم في مكانهم فانصرف فخرجوا عن ذلك
وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلي الله
عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون الي ان يطبخ
ما ياكلون ولا يخرجون فامروا ان لا يدخلوا حتي يوذن لهم وان
ينصرفوا اذا اكلوا قلت والقول الاول اشهر وقول ابن عباس اليق
بما في الاية من النهي عن الدخول حتي يوذن لهم فعلي قول ابن عباس
في النهي عن الدخول قبلها حتي يوذن لهم والقول الاول في النهي
عن القعود بعد الاكل فان الاية تضمنت الحكمين غير ناظرين اناه
اي غير منتظرين لوقت الطعام والانا الوقت وقيل انا الطعام نضجه
وادراكه يقال انا ياني اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا امر
بالدخول بعد الدعوة وفي ذلك تاكيد للنهي عن الدخول قبلها
فاذا طعمتم فانتشروا اي انصرفوا قال بعضهم هذا ادب ادب الله به
الثقلا وقالت عايشة رضي الله عنها حسبك من الثقلا ان الله
لم يحتملهم ولا مستانسين لحديث معطوف علي غير ناظرين او تقديره

ولاتدخلوا مستاسنين ومعناه النهي عن ان يطلب الجلوس للانس
بحديث بعضهم مع بعض او يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه
تسمعه وتجسسه ان ذلكم كان يوذي النبي اي جلوسهم للحديث
او دخولهم بغير اذن فيستحي منكم تقديره فيستحي من اخراجكم
بدليل قوله والله لايستحي من الحق اي ان اخراجكم حق لايتركه
الله واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب المتاع
الحاجة من الاثاث وغيره وهذه الاية نزلت في احتجاب ازواج
النبي صلي الله عليه وسلم وسببها ما رواه انس من قعود القوم
يوم الوليمة في بيت زينب وقيل سببها ان عمر بن الخطاب اشار
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يحجب نساه فنزلت
الاية موافقة لقول عمر قال بعضهم لما نزلت في امهات المومنين
واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب كن لايجوز للناس
كلا مهن الا من ورا حجاب ولايجوز ان يراهن متنقبات ولا غير متنقبات
خصصن بذلك دون ساير النسا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
يريد انقي من الخواطر التي تعرض للرجال في امر النسا والنسا في امر
الرجال لاجناح عليهن في اباهن ولا ابنايهن الاية لما اوجب الله
الحجاب اباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة ولاان تنكحوا
ازواجه سببها ان بعض الناس قال لو مات رسول الله صلي
الله عليه وسلم لتزوجت عايشة فحرم الله علي الناس تزوج
نساه بعده كرامة له صلي الله عليه وسلم لاجناح عليهن في
اباهن ولا ابنايهن الاية لما اوجب الله الحجاب اباح لهن الظهور
لذوي محارمهن من القرابة وهم الابا والابنا والاخوة واولادهم
واولاد الاخوات ولانسايهن قيل يريد بالنسا القرابة والتصرفات
لهن وقيل يريد نسا جميع المومنات ويقوي الاول تخصيصها
النسا بالاضافة لهن ويقوي الثاني انهن كن لايحتجبن من النسا

علي

علي الاطلاق وما ملكت ايمانهن واختلف فيمن ابيح لهن الظهور
له من ملك اليمين فقيل الاما دون العبيد وقيل الايما والعبيد
وهذا اولي بلفظ الاية ثم اختلف من ذهب الي هذا فقال قوم
من ما ملكت من العبيد دون ملكه غيرهم وهذا هو الظاهر من لفظ
الاية وقال قوم بل جميع العبيد كن في ملكهن او ملك غيرهن
ان الله وملايكته يصلون علي النبي هذه الاية تشريف للنبي
صلي الله عليه وسلم وقد ذكرنا معني صلاة الله وصلاة الملايكة
في قوله يصلي عليكم وملايكته صلوا عليه وسلموا تسليما
الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم فرض اسلامي فالامر
به محمول علي الوجوب واقله مرة في العمر واما حكمها في الصلاة
فمذهب الشافعي انها فرض تبطل الصلاة بتركه ومذهب مالك
انها سنة وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح اللهم صل علي محمد
وعلي ال محمد كما صليت علي ابراهيم وبارك علي محمد وعلي ال محمد
كما باركت علي ابراهيم انك حميد مجيد وقد اختلفت الروايات في
ذلك اختلافا كثيرا واما السلام علي النبي صلي الله عليه وسلم فيحتمل
السلام عليه في التشهد في الصلاة والسلام عليه حين لقايه واما
السلام عليه بعد موته فقد قال صلي الله عليه وسلم من سلم علي
قريبا سمعته ومن سلم علي بعيدا ابلغته فان الله حرم علي الارض ان
تاكل اجساد الانبيا ان الذين يوذون الله ورسوله اذاية الله هي
الاشراك به ونسبة الصاحبة والولد له وليس معني اذايته انه
يضره الاذي لانه تعالي لايضره شي ولاينفعه شي وقيل انها علي
حذف مضاف تقديره يوذون اوليا الله والاول ارجح لانه ورد في
الحديث يقول الله تعالي يشتمني ابن ادم وليس له ان يشتمني ويكذبني
وليس له ان يكذبني اما شتمه اياي فقوله ان لي صاحبة وولدا
واما تكذيبه اياي فقوله لايعيدني كما بداني واما اذاية رسول الله

صلي الله عليه وسلم نهي التعرض له بما يكره من الاقوال والافعال
وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي
والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا الاية في البهتان
وهو ذكر الانسان بما ليس فيه وهو اشد من الغيبة مع ان الغيبة محرمة
وهي ذكر ما فيه مما يكره يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن كان نسا العرب يكشفن
وجوههن كما تفعل الاما وكان ذلك داعيا الي نظر الرجال لهن
فامرهن الله بادنا الجلابيب وهو ثوب اكبر من الخمار وقيل هو الردا
وصورة ادنايه عند ابن عباس ان تلويه علي وجهها حتي لا يظهر
منها الا عين واحدة تبصر بها وقيل ان تلويه حتي لا يظهر الا عيناها
وقيل ان تغطي نصف وجهها ذلك ادني ان يعرفن فلا يوذين
اي ذلك اقرب الي ان يعرفن الحراير من الاما فاذا عرف ان المراة
حرة لم تعارض بما يعارض به الامة وليس المعني ان تعرف المراة حتي
يعلم من هي انما المراد ان يفرق بينها وبين الامة لانه كان بالمدينة
اما يعرفن بالسوء وربما تعرض لهن السفها لين لم ينته المنافقون
الاية تضمنت وعيد هولا الاصناف ان لم ينتهوا وقيل انهم لم ينتهوا
ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليلا علي بطلان القول بوجوب
انفاذ الوعيد في الاخرة وقيل انهم انتهوا وستروا امرهم فكف عنهم
الوعيد والمنافقون هم الذين يظهرون الايمان ويخفون الكفر
والذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه
وقيل هم الزناة كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون
في المدينة قوم كانوا يشيعون اخبار السوء ويخوفون المسلمين
فيحتمل ان تكون هذه الاصناف مفترقة او تكون داخلة في جملة
المنافقين ثم جردها بالذكر لنغرينك اي نسلطك عليهم وهذا
هو الوعيد ثم لا يجاورونك فيها ذلك لانه ينفيهم او يقتلهم

والضمير المجرور للمدينة الا قليلا يحتمل ان يريد الا جوارا قليلا او وقتا
قليلا او عددا قليلا منهم والاعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات
فقليلا علي الاحتمال الاول مصدر وعلي الثاني ظرف وعلي
الثالث منصوب علي الاستثنا ملعونين نصب علي الذم او
بدلا من قليلا علي الوجه الثالث او حال من ضمير الفاعل في
يجاورونك تقديره سينفون ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
اي حيث ما ظفرتم بهم اسروا والاخذ الاسر سنة الله في الذين
خلوا من قبل اي عادته ونصبه علي المصدر اي عادته في
المنافقين من الامم المتقدمة وقيل يعني الكفار من بدر لانهم
اسروا وقتلوا تكون قريبا انما قال قريبا بالتذكير والساعة مونثة
علي تقدير شيا قريبا او زمانا قريبا او لان تانيثها غير حقيقي
يوم تقلب وجوههم في النار العامل في يوم قوله يقولون
او لا يجاورونك او محذوف وتقليب وجوههم تصريفها في جهة النار
كما تدور البضعة في القدر اذا غلت من جهة الي جهة او تغييرها
علي احوالها لا تكونوا كالذين اذوا موسي نعم قوم من بني اسرايل
واذايتهم له ما ورد في الحديث ان بني اسرايل كانوا يغتسلون
عراة وكان موسي يستتر منهم اذا اغتسل فقالوا انه لادر فاغتسل
موسي يوما وحده وجعل ثيابه علي حجر ففر الحجر بثيابه واتبعه
موسي وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر فمر في اتباعه علي ملا من بني
اسرايل فراوه سليما مما قالوا فذلك قوله فبراه الله مما قالوا وقيل
اذايتهم له انهم رموه بانه قتل اخاه هارون فبعث الله ملايكة فحملته
حتي راه بنو اسرايل ليس فيه اثر فبراه الله موسي وروي
ان الله احياه فاخبرهم ببراة موسي والقول الاول هو الصحيح لوروده
في الحديث الصحيح قولا سديدا قيل يعني لا اله الا الله واللفظ اعم
من ذلك انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال

الامانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي وقيل
هي الامانة في الاموال وقيل غسل الجنابة والصحيح العموم في التكاليف
وعرضها على السموات والارض والجبال يحتمل وجهين احدهما
ان يكون الله خلق لها ادراكا فعرضت عليها الامانة حقيقة فاشفقت
منها وامتنعت من حملها والثاني ان يكون المراد تعظيم شان الامانة
وانها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والارض والجبال
لابين من حملها واشفقن منها فهذا ضرب من المجاز كقوله عرضت
الحمل العظيم على الدابة فابت ان تحمله والمراد انها لا تقدر على
حمله **وحملها الانسان** اي التزم الانسان القيام بالتكاليف مع
شدة ذلك وصعوبته على الاجرام التي هي اعظم منه ولذلك
وصفه الله بانه ظلوم جهول والانسان هنا جنس وقيل يعني
ادم وقيل قابيل الذي قتل اخاه **ليعذب** اللام للصيرورة
فان حمل الامانة كان سبب تعذيب المنافقين والكافرين ورحمة المومنين

سورة سبا

وله الحمد في الاخرة يحتمل ان يكون الحمد الاول في الدنيا والثاني
في الاخرة وعلى هذا حمله الزمخشري ويحتمل عندي ان يكون الحمد
الاول للعموم والاستغراق لجميع الحمد في الدنيا والاخرة ثم جرد منه
الحمد في الاخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان ثم ان الحمد في الاخرة
يحتمل ان يريد به الجنس او يريد به قوله واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين او الحمد لله الذي صدقنا وعده **ما يلج في الارض** اي
يدخل فيها من المطر والاموات وغير ذلك **وما يخرج منها** من النبات
وغيره **وما ينزل من السما** من المطر والملايكة والرحمة والعذاب
وغير ذلك **وما يعرج فيها** اي يصعد ويرتفع من الاعمال وغيرها
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة روي ان قايل هذه المقالة
هو ابو سفيان بن حرب **لا يعزب** اي لا يغيب ولا يخفى **ولا اصغر** عطف

على

معطوف على مثقال وقال الزمخشري هو مبتدا لان حرف الاستثنا يمنع
من العطف ولا خلاف بين القرا في رفع اصغر واكبر في هذا الموضع
وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القرا السبعة وانما الخلاف
في يونس **في كتاب مبين** يعني اللوح المحفوظ **ليجزي** متعلق بقوله
لتاتينكم او بقوله لا يعزب بمعنى قوله في كتاب مبين **والذين سعو**
مبتدا وخبره الجملة بعده وقال ابن عطية هو معطوف على الذين
الاول وقد ذكر في الحج معنى سعو ومعاجزين **اليم** بالرفع صفة
لعذاب وبالخفض صفة لرجز **ويرى** معطوف على ليجزي او مستانف
وهذا اظهر **الذين اوتوا العلم** هم الصحابة او من اسلم من اهل
الكتاب او على العموم **الحق** مفعول ثان ليرى لان الرويا هنا بالقلب
بمعنى العلم والضمير ضمير فصل **وقال الذين كفروا** اي قال بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعني محمد صلى الله عليه وسلم **ينبيكم اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفي خلق جديد** معنى مزقتم بليتم في القبور وتقطعت
اوصالكم وكل ممزق مصدر والخلق الجديد هو الحشر في القيامة
والعامل في اذا انكم لفي خلق جديد لانه معناه تبعثون اذا مزقتم
وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك انكم تبعثون
بعد ان بليتم في الارض ومرادهم استبعاد الحشر **افترى على الله**
هذا من جملة كلام الكفار ودخلت همزة الاستفهام على الف
الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة **بل الذين لا يومنون بالاخرة
في العذاب** هذا رد عليهم اي انه لم يفتر على الله الكذب وليس به
جنة بل هولا الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب
ويحتمل ان يريد بالعذاب عذاب الاخرة او العذاب في الدنيا بمعاندة
الحق ومحاولة ظهور الباطل **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السما والارض** الضمير في يرون للكفار المنكرين البعث وجعل
السما والارض بين ايديهم وخلفهم لانهما محيطتان بهم والمعنى الم

يروا الي السما والارض فيعلموا ان الذي خلقهما قادر علي بعث الناس
بعد موتهم ويحتمل ان يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله ان نشاء
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما والارض اي افلم
يروا الي السما والارض انهما محيطتان بهم فيعلمون انهم لا مهرب لهم
من الله ان في ذلك لاية الاشارة الي احاطة السما بهم او الي عظمة
السما والارض بان فيهما اية تدل علي البعث يا جبال اوبي معه
تقديره قلنا يا جبال والجملة تفسير للفضل ومعنى اوبي سبحي
واصله من التاويب وهو الترجيع لانه كان يرجع التسبيح فترجعه
معه وقيل هو من التاويب بمعنى السير بالنهار وقيل كان
ينوح فتساعده الجبال بصداها والطير باصواتها والطير
بالنصب عطف علي موضع يا جبال وقيل مفعول معه وقيل
معطوف علي فضلا وقري بالرفع عطف علي لفظ يا جبال والنا
له الحديد اي جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين وقيل
لان له الحديد لشدة قوته سابغات هي الدروع الكاسية وقدر في
السرد معنى السرد هنا نسج الدروع وتقديرها ان لا يعمل الحلقة
صغيره فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها وقيل
لا تجعل المسامير رقيقا ولا غليظا غدوها شهر ورواحها شهر
اي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر
فكان يجلس علي سريره وكان من خشب يحمل فيما روي اربعة الاف
فارس فترفعه الريح ثم تحمله واسلنا له عين القطر قال ابن
عباس كانت تسيل له باليمن عين يصنع منها ما احب والقطر النحاس
وقيل القطر الحديد والنحاس وما جري مجري ذلك كان يسيل له
منه اربعة عيون وقيل المعنى ان الله اذاب له النحاس بغير نار
كما صنع بالحديد لداود نذقه من عذاب السعير يعني نار الاخرة
وقيل كان معه ملك يضربهم بسوط من نار محاريب هي القصور

وقيل

وقيل المساجد وتماثيل قيل انها كانت علي غير صورة الحيوانات
وكان ذلك جائز عندهم كالجوابي جمع جابية وهي البركة التي يجتمع
فيها الما وقدور راسيات اي ثابتات في مواضعها لا يستطيع احد ان ينقلها
من مواضعها لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية ما قيل لال داود
وانتصب شكرا علي انه مفعول من اجله او مصدر في موضع الحال
تقديره شاكرين او مصدر من المعنى لان العمل شكر تقديره اشكروا
شكرا او مفعول به وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان يكون
مخاطبة لال داود او مخاطبة لمحمد صلي الله عليه وسلم دابة
الارض تاكل منساته المنساة هي العصا وقري بهمز وبغير همز
ودابة الارض هي الارضة وهي السوسة التي تاكل الخشب وغيره
وقصص الاية ان سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير
وقام يصلي متكيا علي عصاه فقبض روحه وهو متكيا
عليها فبقي كذلك سنة لم يعلم احد بموته حتي وقعت العصا فخر
الي الارض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم
صحته تبينت الجن من تبين الشي اذا ظهر وان وما بعدها بدل
من الجن والمعنى ظهر للناس ان الجن لا يعلمون الغيب وقيل تبينت
بمعنى علمت وان وما بعدها مفعول به علي هذا والمعنى علمت
الجن انهم لا يعلمون الغيب وتحققوا ذلك بعد التباس الامر عليهم
او علمت الجن ان كفارهم لا يعلمون الغيب وانهم كاذبون في دعوي
ذلك في العذاب المهين يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان
وتسخيره لهم في انواع الاعمال والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب
واخفي عنها موت سليمان لقد كان لسبا في مساكنهم اية سبا
قبيلة من العرب سميت باسم ابيها الذي تناسلت منه وقيل
باسم امها وقيل باسم موضعها والاول اشهر لانه ورد في الحديث
وكانت مساكنهم بين الشام واليمن جنتان عن يمين وشمال كان

لهم واد وكانت الجنات عن يمينه وشماله وجنتان بدل من اية او مبتدا
او خبر مبتدا محذوف كلوا تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت
لهم ذلك الانبيا وروي انهم بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم
بلدة طيبة اي كثيرة الارزاق طيبة الهوي سليمة من الهوام
فاعرضوا اي اعرضوا عن شكر الله او عن طاعة الله فارسلنا
عليهم سيل العرم كان لهم سد يمسك الما ليرتفع فتسقي به الجنان
فارسل الله علي السد الجرد وهي دويبة خربته فيبست الجنات
وقيل لما خرب السد حمل السد الجنات وكثيرا من الناس واختلف
في معني العرم فقيل هو السد وقيل هو اسم ذلك الوادي
بعينه وقيل معناه الشديد فكانه صفة للسيل من العرامة
وقيل هو الجرد الذي خرب السد وقيل المطر الشديد اكل خمط
واثل وشي من سدر قليل الاكل بضم الهمزة الماكول والخمط شجر
الاراك وقيل كل شجرة ذات شوك والاثل شجر يشبه الطرفا
والسدر شجر معروف واعراب خمط بدل من اكل او عطف بيان
وقري بالاضافة واثل عطف علي الاكل لا علي خمط لان الاثل لا اكل
له والمعني انهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قيل ابدلهم الله
منهما جنتين بعيد وصفهما في الحسن والارزاق وهل يجازي الا الكفور
معناه لا يناقش ويجازي بمثل فعله الا الكفور لان المومن قد يسمح
الله له ويتجاوز عنه وجعلنا بينهم وبين القري التي باركنا فيها
قري ظاهرة هذه الاية وما بعدها وصف حال سبا قبل مجي
السيل وهلاك جنتيهم ويعني بالقري التي باركنا فيها الشام
والقري الظاهره قري متصله من بلادهم الي الشام ومعني
ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها وقيل مرتفعة في
الاكام وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول لظاهر
المدينة او خارجها وقدرنا فيها السير اي قسمنا مراحل

السفر

السفر وكانت القري متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في اخري
ولا يخاف جوعا ولا عطشا ولا يحتاج الي حمل زاد ولا يخاف من احد
فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا قري باعد وبعد بالتخفيف والتشديد
علي وجه الطلب والمعني انهم بطروا النعمة وملوا العافية وطلبوا
من الله ان يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا
للاسفار فعجل الله اجابتهم وقري باعد بفتح العين علي الخبر والمعني
انهم قالوا ان الله باعد بين قراهم وذلك تكذيب وجحد للنعمة وظلموا
انفسهم يعني بقولهم باعد بين اسفارنا او بذنوبهم علي الاطلاق
ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في البلاد حتي ضرب المثل
بفرقتهم فقيل تفرقوا ايادي سبا وفي الحديث ان سبا ابو عشرة
من القبايل فلما جا السيل علي بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة
وتشام اربعة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي وجد ظنه
فيهم صادقا يعني قوله لاغوينهم وقوله ولا تجد اكثرهم
قل ادعوا الذين زعمتم تعجيز للمشركين واقامة حجة عليهم ويعني
بالذين زعمتم الهتهم ومفعول زعمتم محذوف اي زعمتم انهم الهة
او زعمتم انهم شفعا وروي ان ذلك نزل عند الجوع الذي اصاب
قريشا من شرك اي نصيب والظهير المعين ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له المعني لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن
له ان يشفع فانه لا يشفع الا باذنه وقيل المعني لا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن الله ان يشفع فيه والمعني ان الشفاعة علي كل وجه
لا تكون الا باذن الله ففي ذلك رد علي المشركين الذين كانوا يقولون
هولا شفعاونا عند الله حتي اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم تظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان هذه الاية في الملايكة عليهم السلام فانهم اذا سمعوا الوحي الي
جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما فاذا زال الفزع عن قلوبهم

قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقول قال الحق ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملايكة فان قيل كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه فالجواب انه قد وقعت اليهم اشارة بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له لان بعض العرب كانوا يعبدون الملايكة ويقولون هولا شفعاونا عند الله فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين فعاد الضمير على الشفعا الذين دل عليهم لفظ الشفاعة فان قيل بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شي وقعت حتى غاية فالجواب انه اتصل بما فهم من الكلام بان ثم انتظارا للاذن وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالاذن في الشفاعة ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الاية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفار بعد الموت ومعنى فزع عن قلوبهم راوا الحقيقة فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقول قال الحق فيقرون حين لا ينفعهم الاقرار والصحيح انها في الملايكة لورود ذلك في الحديث ولان القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملايكة فذكر شدة خوف الملايكة من الله وتعظيمهم له **قل من يرزقكم** سوال قصد به اقامة الحجة على المشركين **قل الله** جواب السوال بما لا يمكن المخالفة فيه ولذلك جا السوال والجواب من جهة واحدة **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة الى غاية الانصاف كقولك الله يعلم ان احدنا على حق وان الاخر على باطل ولا تعين بالتصريح احدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل والمقصود من الاية ان المومنين على هدى وان الكفار على ضلال مبين **قل لا تسالون عما اجرمنا**

اخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف **يفتح بيننا** اي يحكم والفتاح العليم **قل اروني الذين الحقتم به شركا** اقامة حجة على المشركين والروية هنا روية قلب فشركا مفعول ثالث والمعنى اروني بالدليل والحجة من هم له شركا عندكم كيف وجه الشركة وقيل هي روية بصر وشركا حال من المفعول في الحقتم كانه قال اين الذين تعبدون من دونه وفي قوله اروني تحقير للشركا وازدرا بهم وتعجيز للمشركين وفي قوله كلا ردع لهم عن الاشراك وفي وصف الله بالعزيز الحكيم رد عليهم بان شركا وهم ليسوا كذلك **وما ارسلناك الا كافة للناس** المعنى ان الله ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس وهذه احدى الخصال التي اعطاه الله دون ساير الانبيا واعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام هكذا قال ابن عطية وقال الزمخشري في ذلك خطا لان تقدم حال المجرور عليه لا يجوز وتقديره عنده وما ارسلناك الا رسالة عامة للناس فكافة صفة للمصدر المحذوف وقال الزجاج ارسلناك جامعا للناس في الانذار والتبشير فجعله حالا من الكاف والتا على هذا للمبالغة كالتا في راوية وعلامة **قل لكم ميعاد يوم** يعني يوم القيامة او نزول العذاب بهم في الدنيا وهو الذي سالوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا متى هذا الوعد **ولا بالذي بين يديه** يعني الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل وانما قال الكفار هذه المقالة حين دفع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي بين يديه يوم القيامة وهذا خطا وعكس لان الذي بين يدي الشي هو ما تقدم عليه **ولو ترى** جواب لو محذوف تقديره لرايت امرا عظيما **يرجع بعضهم الى بعض القول** اي يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا **بل كنتم مجرمين** اي كفرتم باختياركم لا بامرنا **بل مكر الليل والنهار**

المعنى ان المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا في الليل والنهار
كفرنا واعراب مكر مبتدا وخبره محذوف او خبر ابتدا مضمر
واضاف مكر الى الليل والنهار على وجه الاتساع ويحتمل ان
يكون اضافة الى المفعول او الى الفاعل على وجه المجاز
كقولهم نهاره صايم وليله قايم اي يصام فيه ويقام ودلت
الاضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والليل فان قيل
لم اثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون الذين استكبروا
فالجواب انه قد تقدم الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف
عليه كلامهم الثاني ولم يتقدم للذين استكبروا كلام اخر
يعطف عليه واسروا الندامة اي اخفوها في نفوسهم وقيل
اظهروها فهو من الاضداد والضمير يعم المستضعفين والمستكبرين
مترفوها يعني اهل الغنا والتمتع في الدنيا وهم الذين يبادرون
الى تكذيب الانبيا والقصد بالاية تسلية النبي صلى الله عليه
وسلم على تكذيب اكابر قريش له وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
الضمير لقريش او للمترفين المتقدمين قاسوا امر الدنيا على الاخرة
وظنوا ان الله لما اعطاهم الاموال والاولاد في الدنيا لا يعذبهم
في الاخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اخبار
يتضمن الرد عليهم بان بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشية
الله فقد يوسع الله على الكافر والعاصي ويضيق على المومن والمطيع
وبالعكس فليس في الدنيا دليل على امر الاخرة زلفى مصدر
بمعنى التقرب كانه قال تقربكم قربى الا من امن استثنا من المفعول
في تقربهم والمعنى ان الاموال لا تقرب الا المومن الصالح الذي
ينفقها في سبيل الله وقيل الاستثنا منقطع والاول احسن
جزا الضعف يعني تضعيف الحسنات الى عشر امثالها فما فوق ذلك
يبسط الرزق الاية كررت هنا لاختلاف القصد فان القصد

بالاول

بالاول رد على الكفار والقصد هنا ترغيب المومنين بالانفاق
فهو يخلفه الخلف قد يكون بمال او بالثواب انت ولينا من دونهم
براة من ان يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم وليس في ذلك
نفي لعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون الجن عبادتهم الجن طاعتهم
لهم في الكفر والعصيان وقيل كانوا يدخلون في جوف الاصنام
فيعبدون بعبادتها ويحتمل ان يكون قوم قد عبدوا الجن
لقوله وجعلوا لله شركا الجن وما اتيناهم من كتب يدرسونها
الاية معناها وجهين احدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة
اقوالهم ولا جاهم نذير يشهد بما قالوه فاقوالهم باطلة اذ لا حجة
لهم عليها فالقصد على هذا رد عليهم والاخر انهم ليس عندهم
كتب ولا جاهم نذير فهم محتاجون الى من يعلمهم وينذرهم
ولذلك بعث الله اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فالقصد
على هذا اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما بلغوا
معشار ما اتيناهم المعشار العشر وقيل عشر العشر والاول
اصح والضمير في بلغوا الكفار قريش وفي اتيناهم للكفار المتقدمين
اي ان هولا لم يبلغوا عشر ما اعطى الله للمتقدمين من القوة
والاموال وقيل الضمير في بلغوا المتقدمين وفي اتيناهم لقريش
اي ما بلغ المتقدمون عشر ما اعطى الله هولا من البراهين والادلة
والاول اصح وهو نظير قوله كانوا اشد منهم قوة فكيف كان نكير
اي انكاري يعني عقوبة الكفار المتقدمين وفي ذلك تهديد لقريش
قل انما اعظكم بواحدة اي بقضية واحدة تقريبا عليكم ان تقوموا
لله هذا تفسير القضية الواحدة فان تقوموا بدل او عطف بيان
او خبر ابتدا مضمر ومعناه ان تقوموا للنظر في امر محمد صلى الله
عليه وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس فيه اتباع هوى
ولا ميل وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين انما المراد

القيام بالامر والجد فيه مثنى وثلاث حال من الضمير في تقوموا
والمعنى ان تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الامر وطلب التحقيق
وتقوموا واحدا واحدا لاحضار الذهن واستجماع الفكره ثم
تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان ما به
من جنة لانه جا بالحق الواضح ومع ذلك فان اقواله وافعاله تدل
على رجاحة عقله ومتانة علمه وانه بلغ في الحكمة مبلغا عظيما فيدل
ذلك على انه ليس بمجنون ولا مفتر على الله ما بصاحبكم من جنة
متصل بما قبله على الاصح اي تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة
وقيل هو استيناف قل ما سالتكم من اجر فهو لكم هذا كما يقول
الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيا
ولكنه يريد البراة من عطاييه وكذلك معنى هذا فهو كقوله
قل ما اسالكم عليه من اجر قل ان ربي يقذف بالحق القذف
الرمي ويستعار للالقا فالمعنى يلقي الحق الى انبيايه او يرمي
الباطل بالحق فيذهبه علام الغيوب خبر ابتدا مضمر او بدل من
الضمير في يقذف او من اسم ان على الموضع قل جا الحق يعني الاسلام
وما يبدي الباطل وما يعيد الباطل الكفر ونفي الابدا والاعاده
على انه لا يفعل شيا ولا يكون له ظهور او عبارة عن ذهابه
كقوله جا الحق وزهق الباطل وقيل الباطل الشيطان انه
سميع قريب يعني قربه تعالى بعلمه واحاطته ولو ترى اذ فزعوا
جواب لو محذوف تقديره لرايت امرا عظيما ومعنى فزعوا اسرعوا
الهروب والفعل ماض بمعنى الاستقبال وكذلك ما بعده من
الافعال وقت الفزع البعث وقيل الموت وقيل يوم بدر
فلا فوت اي لا يفوتون الله اذا هربوا واخذوا من مكان قريب
يعني من الموقف الى النار اذا بعثوا ومن ظهر الارض الى
بطنها اذا ماتوا ومن ارض بدر الى القليب والمراد على كل

قول

قول سرعة اخذهم وقالوا امنا به اي قالوا ذلك عند اخذهم
والضمير المجرور لله تعالى او للنبي صلى الله عليه وسلم او للقران
او للاسلام وانى لهم التناوش من مكان بعيد التناوش بالواو
التناول الا ان التناوش تناول قريب سهل لشي قريب وقرى
بهمز الواو فيحتمل ان يكون المعنى واحدا او يكون المهموز بمعنى الطلب
ومعنى الاية استبعاد وصولهم الى مرادهم والمكان البعيد عبارة عن
تعذر مقصودهم فانهم يطلبون ما لا يكون او يريدون ان ينالون
ما لا ينالون وهو رجوعهم الى الدنيا وانتفاعهم بالايمان حينيذ
وقد كفروا به الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم امنا
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقذفون فعل ماض في المعنى
معطوف على كفروا ومعناه انهم يرمون بظنونهم في الامور المغيبة
فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ويقولون في الرسول عليه الصلاة
والسلام انه ساحر او شاعر والمكان البعيد هنا عبارة عن
بطلان ظنونهم وبعد اقوالهم عن الحق وحيل بينهم وبين ما يشتهون
اي حيل بينهم وبين دخول الجنة وقيل حيل بينهم وبين الانتفاع
بالايمان حينيذ وقيل حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع اليها
كما فعل باشياعهم من قبل يعني الكفار المتقدمين وجعلهم اشياعهم
على حسب معنى ما قبله في شك مريب هو اقوى الشك واشده
اظلاما

سورة فاطر

جاعل الملايكة رسلا اي وسايط بين الله وبين الانبيا متصرفين
في امر الله يزيد في الخلق ما يشا صفة للاجنحة ولم ينصرف للعدل
والوصف والمعنى ان الملايكة منهم من له جناحان ومنهم من له
ثلاثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة يزيد في الخلق ما يشاء
قيل يعني حسن الصوت وقيل حسن الوجه وقيل حسن الخط
والاظهر انه يرجع الى اجنحة الملايكة او يكون على الاطلاق

في يل زيادة في المخلوقين ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
الفتح عبارة عن العطا والامساك عبارة عن المنع والارسال الاطلاق بعد
المنع والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خيري الدنيا والاخرة فمعنى
الاية لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع الله فان قيل لم انث الضمير
في قوله فلا ممسك لها وذكره في قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود
على ما الشرطية فالجواب انه لما فسر الاولى بقوله من رحمة
انثه لتانيث الرحمة وترك الاخر على الاصل من التذكير من بعده
اي من بعد امساكه هل من خالق غير الله رفع غير على الصفة
لخالق على الموضع وخفضه صفة على اللفظ ورزق السما المطر
ورزق الارض النبات والمعنى تذكير بنعم الله واقامة حجة على المشركين
ولذلك اعقبه بقوله لا اله الا هو وان يكذبوك الاية تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه كانه يقول ان يكذبوك
فلا تحزن لذلك فان الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك
فنصرهم الله الغرور الشيطان وقيل التسويف افمن زين له سو
عمله توقيف وجوابه محذوف تقديره كمن لم زين له سو عمله
لمن لم يزين له ثم بنا على ذلك ما بعده فالذي زين له سو
عمله هو الذي اضله الله والذي لم يزين له سو عمله هو الذي
هداه الله فلا تذهب نفسك عليهم تسلية للنبي صلى الله عليه حسرات
وسلم عن حزنه لعدم ايمانهم لان ذلك بيد الله كذلك النشور
في الحشر والمعنى كما يحيي الله الارض بالنبات كذلك يحيي الموتى
من كان يريد العزة الاية تحتمل ثلاثة معان احدها وهو الاظهر
من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فان العزة كلها لله
والثاني من كان يريد العزة بمغالبة لله العزة فالمغالب له
مغلوب والثالث من كان يريد ان يعلم لمن العزة فليعلم ان
العزة لله جميعا اليه يصعد الكلم الطيب قيل يعني لا اله الا الله
واللفظ

واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعا وتلاوة القران وتعلم
العلم فالعموم اولى اليه يصعد الكلم الطيب فيه ثلاثة اقوال احدها
ان ضمير الفاعل في يرفعه لله وضمير المفعول للعمل الصالح فالمعنى
على هذا ان الله يرفع العمل الصالح اي
يتقبله ويثيب عليه والثاني ان ضمير الفاعل للكلام الطيب
وضمير المفعول للعمل الصالح والمعنى على هذا لا يتقبل عمل صالح
الا ممن له كلام طيب وهذا يصح ان قلنا ان الكلام الطيب لا اله الا
الله لانه لا يتقبل العمل الا من موحد والثالث ان ضمير الفاعل
للعمل الصالح وضمير المفعول للكلام الطيب والمعنى على هذا
ان العمل الصالح هو الذي يرفع الكلام الطيب فلا يقبل الكلام الطيب
الا ممن له عمل صالح روي هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده
ابن عطية وقال لم يصح عنه لان اعتقاد اهل السنة ان الله يتقبل
من كل مسلم قال وقد يستقيم بان يتاول ان الله يزيد في رفعه
وحسن موقعه يمكرون السيات لا يتعدى مكر فتا ويله يمكرون
المكرات السيات فتكون السيات مصدرا او تضمن يمكرون
معنى يكتسبون فتكون السيات مفعولا والاشارة هنا
الى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين
اجتمعوا في دار الندوة وارادوا ان يقتلوه او يحبسوه او
يخرجوه ومكر اولئك هو يبور البوار الهلاك او الكساد ومعناه
هنا ان مكرهم يبطل ولا ينفعهم جعلكم ازواجا اي اصنافا
وقيل ذكرانا واناثا وهذا اظهر وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب
اللوح المحفوظ فان قيل ان التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص
واحد فكيف اعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص
المعمر فالجواب من ثلاثة اوجه الاول وهو الصحيح ان

المعني ما يعمر من احد ولا ينقص من عمره الا في كتاب ثم وضع من
معمر موضع من احد وليس المراد شخصا واحدا وانما ذلك
كقولك لا يعاقب الله ذنبا ولا يثيبه الا بحق والثاني ان المعني
لا يزاد في عمر انسان ولا ينقص من عمره الا في كتاب وذلك
ان يكتب في اللوح المحفوظ ان فلانا ان تصدق فعمره ستون
سنة وان لم يتصدق فعمره اربعون وهذا ظاهر قول
رسول الله صلي الله عليه وسلم صلة الرحم تزيد في العمر
الا ان ذلك مذهب المعتزلة القايلين بالاجلين وليس مذهب
الاشعرية وقد قال كعب حين طعن عمر لو دعا الله لزاد
في اجله فانكر الناس عليه فاحتج بهذه الاية والثالث
ان التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضي
منه في اللوح وذلك حق كل شخص وما يستوي البحران
قد فسرنا البحرين الفرات والاجاج في الفرقان وسايغ في النحل
والقصد بالاية التنبيه علي قدرة الله ووحدانيته
وانعامه علي عباده وقال الزمخشري ان المعني ان الله ضرب
للبحرين الملح والعذب مثلين للمومن والكافر وهذا بعيد
لحما طريا يعني الحوت حلية تلبسونها يعني الجوهر والمرجان
فان قيل ان الحلية لا تخرج الا من البحر الملح دون العذب فكيف
قال ومن كل اي من كل واحد منهما فالجواب من ثلاثة اوجه
الاول ان ذلك يجوز في العبارة كما قال يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم والرسل انما هي من الانس الثاني
ان المرجان انما يوجد في البحر المالح حيث تنصب انهار الما
العذب او ينزل المطر فلما كانت الانهار والمطر وهي البحر
العذب تصب في المالح كان الاخراج منهما جميعا الثالث
زعم قوم انه يخرج اللولو والمرجان من المالح والعذب

وهذا

وهذا قول يبطله الحس مواخر ذكر في النحل يولج ذكر في لقمان قطمير
هو القشر الرقيق الابيض الذي علي نوي التمر والمعني ان الاصنام لا يملكون
اقل الاشيا فكيف اكثرها يكفرون بشرككم اي باشراككم فالمصدر مضاف
للفاعل وكفر الاصنام بالشرك يحتمل ان يكون بكلام يخلقه الله عندها
او بقرينة الحال ولا ينبيك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل مخبر
عالم يعني نفسه تعالي ان الاصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم
انتم الفقرا الي الله خطاب لجميع الناس وانما عرف الفقرا بالالف
واللام ليدل علي اختصاص الفقر بجنس الناس وان كان غيرهم
فقرا ولكن فقر الناس اعظم ثم وصف نفسه بانه الغني في مقابلة
وصفهم بالفقر ووصفه بانه الحميد ليدل علي جوده وكرمه
الذي يوجب ان يحمده عباده وان تدع مثقلة الي حملها لا يحمل منه
شي الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل او النفس الكثيرة
الذنوب والمعني انها لو دعت احدا الي ان يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها
وحذف مفعول ان تدع لدلالة المعني وقصد العموم وهذه الاية
بيان وتكميل لقوله ولا تزر وازرة وزر اخري ولو كان ذا قربي
المعني ولو كان المدعو ذا قربي ممن دعاه الي حمل ذنوبه لم يحمل منه
شيا لان كل واحد يقول نفسي نفسي انما تنذر الذين يخشون ربهم
المعني ان الانذار لا ينفع الا الذين يخشون ربهم وهم غايبون عن الناس
فخشيتهم حق لاريا وليس المعني اختصاصهم بالانذار بالغيب
في موضع حال من الفاعل في يخشون اي يخشون ربهم وهم غايبون
عن الناس فخشيتهم حق لاريا وما يستوي الاعمي والبصير تمثيل
للكافر والمومن ولا الظلمات ولا النور تمثيل للكفر والايمان ولا الظل
ولا الحرور تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار
والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار
خاصة وما يستوي الاحيا ولا الاموات تمثيل لمن امن فهو كالحي

ولمن لم يومن فهو كالميت ان الله يسمع من يشا عبارة لهداية
الله لمن يشا وما انت بمسمع من في القبور عبارة عن عدم سماع
الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتي في عدم احساسهم
وقيل المعني ان اهل القبور وهم الموتي حقيقة لا يسمعون فليس
عليك ان تسمعهم وانما بعثت للاحيا وقد استدلت عايشة بالاية
علي ان الموتي لا يسمعون وانكرت ما ورد في خطاب النبي صلي
الله عليه وسلم لقتلي بدر حين جعلوا في القليب ولكن يمكن
الجمع بين قولها وبين الحديث بان الموتي في القبور اذا ردت اليهم
ارواحهم سمعوا وان لم ترد الي اجسادهم لم يسمعوا وان من امة
الا خلا فيها نذير معناه ان الله قد بعث الي كل امة نبيا يقيم عليهم
الحجة فان قيل كيف ذلك وقد كان بين الانبيا فترات وازمنة طويلة
الا تري ان بين عيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم ستماية سنة
لم يبعث فيها نبي فالجواب ان دعوة عيسي ومن تقدمه من الانبيا
كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة فان قيل كيف الجمع بين هذه
الاية وبين قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فالجواب
انهم لم ياتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم
وايضا فان المراد بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير ان نبوة محمد
صلي الله عليه وسلم ليست ببدع فلا ينبغي ان تنكر لان الله ارسله
كما ارسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك انهم محتاجون الي الانذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم
فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما وان يكذبوك الاية
تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم بالتاسي نكيري ذكر في
سبا ثمرات مختلفا الوانها يريد الصفرة والحمرة وغير ذلك من
الالوان وقيل يريد الانواع والاول اظهر لذكر البيض والحمر والسود
بعد ذلك وفي الوجهين دليل علي ان الله تعالي فاعل مختار يخلق

مايشا

مايشا ويختار وفيه رد علي الطبايعيين لان الطبيعة لا يصدر
عنها الا نوع واحد جدد جمع جدة وهي الخطط والطرايق في الجبال
وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الابلغ
وكان حقه ان يتاخر لقصد التاكيد ولان ذلك كثيرا ما ياتي
في كلام العرب كذلك يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعني
ان من الناس والدواب والانعام مختلف الوانه مثل الجبال
المختلف الوانها وذلك كله استدلال علي قدرة الله وارادته
انما يخشي الله من عباده العلما يعني العلما بالله وصفاته وشرايعه
علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم
له خشية لان العبد اذا عرف الله خاف من عقابه واذا لم يعرفه
لم يخف منه فلذلك خص العلما بالخشية ان الذين يتلون كتاب الله
اي يقرون القران وقيل معني يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة
او محذوف لن تبور اي لن تكسد ويعني بالتجارة طلب الثواب ويزيدهم
من فضله توفية الاجور هي ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة
التضعيف فوق ذلك وقيل الزيادة النظر الي وجه الله مصدقا لما
بين يديه تقدم في البقرة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا يعني امة
محمد صلي الله عليه وسلم والتوريث عبارة عن ان الله اعطاهم
الكتاب بعد غيرهم من الامم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات قال عمر وابن مسعود وابن عباس
وكعب وعايشة واكثر المفسرين هذه الاصناف الثلاثة في امة
محمد صلي الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصي والسابق
التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن السابق من رجحت حسناته
علي سياته والظالم لنفسه من رجحت سياته والمقتصد من
استوت حسناته وسياته وجميعهم يدخلون الجنة وروي ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال سابقنا سابق ومقتصدنا

ناج وظالمنا مغفور له وقيل الظالم الكافر والمقتصد المومن العاصي
والسابق المتقي فالضمير في منهم علي هذا يعود علي العباد واما علي
القول الاول فيعود علي الذين اصطفينا وهو ارجح لوروده في
الحديث وجهالة القايلين به فان قيل لم قدم الظالم ووسط
المقتصد واخر السابق فالجواب انه قدم الظالم لنفسه رفقا به لئلا
ييئس واخر السابق لئلا يعجب بنفسه وقال الزمخشري قدم
الظالم لكثرة الظالمين واخر السابق لقلة السابقين **ذلك هو الفضل
الكبير** اشارة الي الاصطفا **جنات عدن** بدل من الفضل او خبر
مبتدا تقديره ثوابهم جنات عدن او مبتدا تقديره لهم جنات
عدن **يدخلونها** ضمير الفاعل يعود علي الظالم والمقتصد والسابق
علي القول بان الاية في هذه الامة واما علي القول بان الظالم
هو الكافر فيعود علي المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشري
انه يعود علي السابق خاصة وذلك علي قول المعتزلة في
الوعيد **يحلون** ذكر في الحج **اذهب عنا الحزن** قيل هو عذاب
النار وقيل هول القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب
العموم في ذلك كله **دار المقامة** هي الجنة والمقامة هي الاقامة
والموضع وانما سميت الجنة دار المقامة لانهم يقيمون فيها **نصب**
النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن
يصطرخون يفتعلون من الصراخ اي يستغيثون فيقولون ربنا
اخرجنا وفي قولهم غير الذي كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم
عليه **اولم نعمركم** الاية توبيخ لهم واقامة حجة عليهم وقيل ان
مدة التذكر ستون سنة وقيل اربعون وقيل البلوغ والاول
ارجح لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم من عمره الله
ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر **وجاكم النذير** يعني النبي
صلي الله عليه وسلم وقيل يعني الشيب لانه نذير بالموت

والاول

والاول اظهر **انه عليم بذات الصدور** اي بما تضمره الصدور وتعتقده
وقال الزمخشري ذات هنا تانيث ذو بمعني صاحب لان المضمرات
تصحب الصدور **خلايف** ذكر في الانعام **مقتا** المقت احتقار الانسان
وبغضه لاجل عيوبه او ذنوبه **قل ارايتم شركاكم** الاية احتجاج
علي المشركين وبطلان لمذهبهم **ام لهم شرك** اي نصيب **علي بينة**
اي علي امر جلي والضمير في اتيناهم يحتمل ان يكون للاصنام او
للمشركين وهذا اظهر في المعني والاول اليق بما قبله من الضماير
ان تزولا في موضع مفعول من اجله تقديره كراهة ان تزولا او
مفعول به لان يمسك بمعني المنع **ولين زالتا** اي لو فرض زوالهما
لم يمسكهما احد وقيل اراد زوالها يوم القيامة عند طي السما
وتبديل الارض ونسف الجبال **من بعده** اي من بعد تركه الامساك
واقسموا بالله الضمير لقريش وذلك انهم قالوا لعن الله اليهود والنصاري
جاتهم الرسل فكذبوهم والله لين جانا رسول لنكونن اهدي منهم
احدي الامم يعني اليهود والنصاري **فلما جاهم نذير** يعني محمد صلي
الله عليه وسلم **استكبارا** بدل من نفورا او مفعول من اجله
ومكر السيي هذا من اضافة الصفة الي الموصوف كقولك مسجد
الجامع وجانب الغربي والاصل ان يقال المكر السيي **ولا يحيق
المكر السيي الا باهله** اي لا يحيط وبال المكر السيي الا بمن مكر به
ودبره وقال كعب لابن عباس ان في التوراة من حفر حفرة
لاخيه وقع فيها فقال ابن عباس انا اجد هذا في كتاب الله
ولا يحيق المكر السيي الا باهله **فهل ينظرون الا سنة الاولين**
اي هل ينتظرون الا عادة الامم المتقدمة في اخذ الله لهم واهلاكهم
بتكذيبهم للرسل **وما كان الله ليعجزه من شي** اي لا يفوته شي
ولا يصعب عليه **ما ترك علي ظهرها من دابة** الضمير للارض
والدابة عموم في كل ما يدب وقيل اراد بني ادم خاصة

الي اجل مسمي يعني يوم القيامة وباقي الاية وعد ووعيد

سورة يس

قد تكلمنا في البقرة علي حروف الهجا وقيل في يس انه من اسما
النبي صلي الله عليه وسلم وقيل معناه يا انسان تنزيل
بالرفع خبر ابتدا مضمر وبالنصب مصدرا ومفعول بفعل مضمر
لتنذر قوما هم قريش ويحتمل ان يدخل معهم ساير العرب وساير
الامم ما انذر اباوهم ما نافية والمعني لم يرسل اليهم ولا ابا وهم
رسول ينذرهم وقيل المعني لتنذر قوما مثل ما انذر اباوهم
فما علي هذا موصولة بمعني الذي او مصدرية والاول ارجح
لقوله فهم غافلون يعني ان غفلتهم بسبب عدم انذارهم ويكون بمعني
ما اتاهم من نذير من قبلك ولا يعارض هذا بعض الانبيا المتقدمين
فان هولا لم يدركوهم هم ولا اباوهم الاقدمون لقد حق القول
اي سبق القضا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاية فيها ثلاثة
اقوال الاول انها عبارة عن تماديهم علي الكفر ومنع الله لهم عن
الايمان فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطي
بصره فصار لا يري والثاني انها عبارة عن كفهم عن اذاية النبي
صلي الله عليه وسلم حين اراد ابو جهل ان يرميه بحجر فرجع
عنه فزعا مرعوبا والثالث ان ذلك حقيقة في حالهم في جهنم
والاول اظهر وارجح لقوله قبلها فهم لا يومنون وقوله بعدها
وسوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يومنون فهي الي الاذقان
الذقن هي طرف الوجه حيث تنبت اللحية والضمير للاغلال
وذلك ان الغل حلقة في العنق فاذا كان واسعا عريضا وصل
الي الذقن فكان اشد علي المغلول وقيل الضمير للايدي علي
انها لم يتقدم لها ذكر ولكنها تفهم من سياق الكلام لان المغلول
تضم يداه في الغل الي عنقه وفي مصحف ابن مسعود انا جعلنا

في

في ايديهم اغلالا فهي الي الاذقان وهذه القراة تدل علي هذا المعني
وقد انكره الزمخشري فهم مقمحون يقال قمح البعير اذا رفع راسه
واقمحه غيره اذا فعل به ذلك والمعني انهم لما اشتدت الاغلال حتي
وصلت الي اذقانهم اضطرت روسهم الي الارتفاع وقيل معني مقمحون
ممنوعون من كل خير وجعلنا من بين ايديهم سدا الاية السد الحايل
بين الشيئين وذلك عبارة عن منعهم عن الايمان فاغشيناهم
غطينا علي ابصارهم وذلك ايضا مجاز يراد به اضلالهم وسواء
عليهم الاية ذكر معناها واعرابها في البقرة انما تنذر من اتبع
الذكر المعني ان الانذار لا ينفع الا من اتبع الذكر وهو القران وخشي
الرحمن بالغيب معناه كقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
وقد ذكرناه في فاطر انا نحن نحيي الموتي اي نبعثهم يوم القيامة
وقيل احياهم اخراجهم من الشرك الي الايمان والاول اظهر ونكتب
ما قدموا واثارهم اي ما قدموا من اعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم
علموه او تحبيس حبسوه وقيل الاثر هنا الخطا الي المساجد
وجا ذلك في الحديث امام مبين اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ
او صحايف الاعمال واضرب لهم مثلا الضمير لقريش ومثلا واصحاب
القرية مفعولان باضرب علي القول بانها تتعدي الي مفعولين
وهذا القول الصحيح والقرية انطاكية اذ جاها المرسلون هم من
الحواريين الذين ارسلهم عيسي عليه السلام يدعون الناس الي
عبادة الله وقيل بل هم رسل ارسلهم الله ويدل علي هذا قول
قومهم ما انتم الا بشر مثلنا فان هذا انما يقال لمن ادعي ان الله
ارسله فعززنا بثالث اي قوينا الاثنين برسول ثالث وقيل
اسمه شمعون ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون انما اكد والخبر هنا باللام
لانه جواب المنكرين بخلاف الموضع الاول فانه اخبار مجرد قالوا
انا تطيرنا بكم اي تشامنا بكم واصل اللفظة من زجر الطير ليستدل

علي مايكون من شر او خير وانما تشاموا بهم لانهم جاوهم بدين غير
دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا وقيل قحطوا قالوا طايركم معكم
اي قال الرسل لاهل القرية شومكم معكم اي انما الشوم الذي اصابكم
بسبب كفركم لا بسببنا اين ذكرتم دخلت همزة الاستفهام علي حرف
الشرط وفي الكلام حذف تقديره اتتطيرون ان ذكرتم يسعي
اي يسرع بجده ونصيحته وقيل اسمه حبيب النجار اتبعوا من
لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي هولا المرسلون لا يسالونكم اجرة
علي الايمان ولا تخسرون معهم شيا من دنياكم وترجون معهم الاهتدا
في دينكم ومالي لا اعبد الذي فطرني المعني اي شي يمنعني من عبادة ربي
وهذا توقيف واخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ولذلك
قال واليه ترجعون فخاطبهم ان يردني الرحمن بضر لا تغني عني
شفاعتهم هذا وصف للالهة والمعني كيف اتخذ من دون الله
الهة لا يشفعون ولا ينقذوني من الضرر اني اذا لفي ضلال مبين
اي ان اتخذت الهة غير الله فاني لفي ضلال مبين اني امنت بربكم
فاسمعون خطاب لقومه اي اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي
وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له قيل ادخل الجنة قيل هذا
محذوف يدل عليه الكلام وروي في الاثر وهو ان الرجل لما
نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة واختلف هل
دخلها حين موته كالشهدا او هل ذلك بمعني البشارة بالجنة
ورويته لمقعده منها قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
تمني ان يعلم قومه يعلمون بما يغفر الله له علي ايمانه فيومنون
ولذلك ورد في الحديث انه نصح لهم حيا وميتا وقيل اراد ان يعلموا
ذلك فيندموا علي فعلهم ويحزنهم ذلك وما انزلنا علي قومه من
بعده من جند من السما لانهم اهون من ذلك وقيل المعني ما انزل
الله علي قومه ملايكة رسلا كما قالت قريش لولا انزل اليه ملك

فيكون

فيكون معه نذيرا ولفظ الجند اليق بالمعني الاول وكذلك ذكر الصيحة
بعد ذلك وما كنا منزلين اي ما كنا لننزل جندا من السما علي احد
فاذا هم خامدون اي ساكتون لا يتحركون ولا ينطقون ياحسرة
علي العباد ندا للحسرة كانه قال ياحسرة احضري فهذا وقتك
وهذا التفجع عليهم استعارة في معني التهويل والتعظيم لما فعلوا
من استهزايهم بالرسل ويحتمل ان يكون من كلام المومنين من الناس
وقيل المعني ياحسرة العباد علي انفسهم الم يروا الضمير
لقريش او للعباد علي الاطلاق والروية هنا بمعني العلم وان كل
لما جميع لدينا محضرون قري لما بالتخفيف وهي لام التاكيد دخلت
علي ما المزيدة وان هنا مخففة من الثقيلة وقري بالتشديد
وهي بمعني الا وان علي هذا نافية وما عملته ايديهم ما معطوفة
علي ثمره اي ليا كلوا من الثمر وما عملته ايديهم بالحرث والزراعة
والغراسة وقيل ما نافية وقري ما عملت من غير ها وما علي
هذا معطوفة الازواج يعني اصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله
مما تنبت الارض وما بعده فمن في المواضع الثلاثة للبيان ومما
لا يعلمون يعني اشيا لا يعلمها بنو ادم كقوله ويخلق ما لا تعلمون
نسلخ منه النهار اي نجرده منه وهي استعارة والشمس تجري
لمستقر لها اي لحد موقت تنتهي اليه من فلكها وهي نهاية جريها
الي ان ترجع في المنقلبين الشتوي والصيفي وقيل مستقرها وقوفها
كل وقت زوال بدليل وقوف الظل حينيذ وقيل مستقرها يوم
القيامة حين تكور وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد
فيه كل ليلة بعد غروبها وهذا اصح الاقوال لوروده عن النبي
صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقري لا مستقر لها اي
لا تستقر عن جريها والقمر قدرناه منازل قري بالرفع علي الابتدا
اوعطف علي الليل وبالنصب علي اضمار فعل ولا بد في قدرناه

الملايكة او

من حذف تقديره قدرنا سيره منازل ومنازل القمر ثمانية وعشرون
وينزل القمر كل ليلة واحدة منها من اول الشهر ثم يستتر في اخر
الشهر ليلة او ليلتين وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواقع
النجوم وهي السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الذراع
النثره الطرفة الجبهة الزبره الصرفه العوي السماك الغفر
الزبانان الاكليل القلب الشوله النعايم البلده سعد بلع
سعد الذابح سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم
فرع الدلو الموخر الرشا حتي عاد كالعرجون القديم العرجون
هو غصن النخلة شبه القمر به اذا انتهي في نقصانه والتشبه
في ثلاثة اوصاف وهي الرقة والانحنا والصفره ووصفه بالقديم
لانه حينيذ تكون له هذه الاوصاف لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر المعني لا يمكن الشمس ان تجتمع مع القمر بالليل
فتمحوا نوره وهكذا قال بعضهم ويحتمل ان يريد ان سير
الشمس في الفلك بطي فانما تقطع الفلك في سنة وسير
القمر سريع فانه يقطع الفلك في شهر والبطي لا يدرك السريع
ولا الليل سابق النهار يعني ان كل واحد منهما جعل الله له وقتا
موقتا وحدا معلوما لا يتعداه فلا ياتي الليل حتي ينفصل النهار
كما لا ياتي النهار حتي ينفصل الليل ويحتمل ان يريد ان اية
الليل وهي القمر لا تسبق اية النهار وهي الشمس اي لا تجتمع
معه فيكون المعني كالذي قيل في لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر فحصل من ذلك ان الشمس لا تجتمع مع القمر وان القمر
لا يجتمع مع الشمس وكل في فلك يسبحون ذكر في الانبيا واية
لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون معني المشحون المملوء
والفلك هنا يحتمل ان يريد به جنس السفن او سفينة نوح
عليه السلام واما الذرية فقيل انه يعني الاباالذين حملهم

الله

الله في سفينة نوح عليه السلام وسمي الابا ذرية لانها تناسلت
منهم وانكر ابن عطية ذلك وقال انه يعني النسا وهذا بعيد
والاظهر انه اراد بالفلك جنس السفن فيبقي جنس بني ادم
وانما خص ذريتهم بالذكر لانه ابلغ في الامتنان عليهم ولانه
فيه اشارة الي حمل اعقابهم الي يوم القيامة واراد بالفلك
سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة وسماهم
ذرية لانهم ذرية ادم ونوح فيعني بقوله من مثله سائر
السفن التي يركبها سائر الناس وان اراد بالسفن الابل فالضمير
في ذرياتهم علي هذا النوع بني ادم كانه يقول الذرية منهم
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ان اراد بالفلك سفينة نوح
فيعني بقوله من مثله ساير السفن التي يركبها ساير الناس
وان اراد بالسفن الابل وساير المركوبات غير الابل فتكون
المماثله علي هذا في انه مركوب لا غير والاول اظهر لقوله
وان نشا نغرقهم ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن
فلا صريخ لهم اي لا مغيث ولا منقذ لهم من الغرق الا رحمة منا
قال الكسايي نصب رحمة علي الاستثنا كانه قال الا ان نرحمهم
وقال الزجاج نصب رحمة علي المفعول من اجله كانه قال الا
لاجل رحمتنا اياهم ومتاعا الي حين يعني اجالهم واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الضمير لقريش وجواب اذ محذوف
تقديره اعرضوا ويدل عليه الا كانوا عنها معرضين والمراد بما
بين ايديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتاخرة وقيل ما بين
ايديهم عذاب الامم المتقدمة وما قبلهم عذاب الاخرة
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشا الله اطعمه كان النبي
صلي الله عليه وسلم والمومنون يحضون علي الصدقات واطعام
المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب وفي معناه قولان احدهما

انهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شا الله ان يطعمهم لاطعمهم ومن حرمهم الله نحن نحرمهم وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر والاخوان قولهم رد على المومنين وذلك ان المومنين كانوا يقولون ان الامور كلها بيد الله فكان الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لاطعم الله هولا فما بالكم تطلبون اطعامهم منا ومقصدهم في الوجهين احتجاجهم لبخلهم ومنعهم الصدقات واستهزا وهم بمن حضهم على الصدقة **ان انتم الا في ضلال مبين** يحتمل ان يكون من بقية كلامهم خطابا للمومنين او يكون من كلام الله خطابا للكافرين **ويقولون متى هذا الوعد** يعنون يوم القيامة او نزول العذاب بهم **ما ينظرون الا صيحة واحدة** اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي النفخة الاولى في الصور وهي نفخة الصعق **تاخذهم وهم يخصمون** اي يتكلمون في امورهم واصل يخصمون يختصمون ثم ادغم وقري بفتح الخا وبكسرها واختلاس حركتها **فلا يستطيعون توصية** اي لا يقدرون ان يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الامر **ولا الى اهلهم يرجعون** اي لا يستطيعون ان يرجعوا الى منازلهم لسرعة الامر **ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون** هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور والاجداث هي القبور وينسلون يسرعون المشي وقيل يخرجون **قالوا يا ويلنا** الويل منادي او مصدر **من بعثنا من مرقدنا** المرقد يحتمل ان يكون اسم مصدر او اسم مكان قال ابي بن كعب ومجاهد ان البشر ينامون نومة قبل الحشر قال ابن عطية هذا غير صحيح الاسناد وانما الموجه في معنى قولهم من مرقدنا انها استعارة وتشبيه به يعني ان قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد وان لم يكن رقاد في الحقيقة **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** هذا مبتدا وما بعده خبر وقيل ان هذا صفة لمرقدنا وما وعد

الرحمن مبتدا محذوف الخبر وهذا ضعيف ويحتمل ان يكون هذا الكلام من بقية كلامهم او من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة والمومنين يقولونها للكفار على وجه التقريع **في ظلال** جمع ظل وبالضم جمع ظلة **ان كانت الا صيحة واحدة** يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل** قيل هو افتضاض الابكار وقيل سماع الاوتار والاظهر انه عام في الاشغال واللذات **فاكهون** قري بالالف ومعناه اصحاب فاكهة وبغير الف وهي الفاكهة بمعنى الراحة والسرور **في ظلال** جمع ظل وبالضم جمع ظلة **على الارايك** جمع اريكة وهي السرير **ولهم ما يدعون** اي يتمنون وقيل معناه ان ما يدعون به ياتيهم **سلام** مبتدا وقيل بدل مما يدعون **قولا** مصدر موكد والمعنى ان السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك وبغير الواسطة **وامتازوا اليوم ايها المجرمون** اي انفردوا عن المومنين وكونوا على حدة **جبلا كثيرا** الجبل الامة الكثيرة العظيمة وقال الضحاك اقلها عشرة الاف ولا نهاية لاكثرها وقري بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وبضمهما مع التخفيف وبضم الجيم واسكان البا وهي لغات بمعنى واحد **اليوم نختم على افواههم** اي نمنعهم من الكلام فتنطق اعضاوهم يوم القيامة **ولو نشا لطمسنا على اعينهم** هذا تهديد بالمسخ فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة وقيل معناه لو نشا لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا وقيل ان هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة والاظهر انه في الدنيا **على مكانتهم** المكانة المكان والمعنى لو نشا لمسخناهم مسخا يقعدهم في مكانهم **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** اي اذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا ان يذهبوا ولا ان يرجعوا **ومن نعمره ننكسه في الخلق** اي نحول خلقته من القوة الى الضعف ومن الفهم الى البله ونحو ذلك كما قال تعالى ثم جعل

قوة

من بعد ضعفا وشيبة وانما ذكر ذلك هنا للاستدلال علي قدرته
تعالي علي مسخ الكفار كما قدر تنكيس الانسان اذا هرم **وما علمناه
الشعر وما ينبغي له** الضمير لمحمد صلي الله عليه وسلم وذلك
رد علي الكفار في قولهم انه شاعر وكان صلي الله عليه وسلم
لا ينظم الشعر واذا ذكر بيت شعر كسر وزنه فان قيل قد
روي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وروي ايضا عنه صلي الله عليه وسلم
وهل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وهذا الكلام
علي وزن الشعر فالجواب انه شعر ليس بشعر وانه لم يتعمد
به الشعر وانما جا موزون بالاتفاق لا بالقصد فهو كالكلام المنثور
ومثل هذا يقال في مثل ما جا في القران من الكلام الموزون
ويقتضي قوله وما ينبغي له تنزيه النبي صلي الله عليه وسلم
عن الشعر لما فيه من الاباطيل وافراط التجاوز حتي يقال ان
الشعر الطيبة الكذا طيبه اكذبه وليس كل الشعر كذلك فقد قال
صلي الله عليه وسلم وان من الشعر لحكمة وقد اكثر الناس
في ذم الشعر ومدحه وانما الانصاف قول الشافعي الشعر
كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح **ان هو الا ذكر** الضمير للقران
يعني انه ذكر الله او تذكير للناس او شرف لهم **لينذر من كان حيا**
اي حي القلب والبصيرة **ويحق القول علي الكافرين** اي يجب عليهم العذا
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما قيل ان
مقتضي الاية تعديد نعمة واقامة حجة والايدي هنا عند اهل
التاويل عبارة عن القدرة وعند اهل التسليم من المتشابه
الذي يجب الايمان به وعلمه عند الله **فمنها ركوبهم** الركوب بفتح
الرا هو المركوب **ولهم فيها منافع** يعني الاكل منها والحمل عليها
والانتفاع بالجلود والصوف وغيره **ومشارب** يعني الالبان

لا يستطيعون

لا يستطيعون نصرهم الضمير في يستطيعون للاصنام وفي نصرهم
للمشركين ويحتمل العكس ولكن الاول ارجح فانه لما ذكر ان المشركين
اتخذوا الاصنام لينصروهم اخبر ان الاصنام لا يستطيعون
نصرهم فخاب املهم **وهم لهم جند محضرون** الضمير الاول
للمشركين والثاني للاصنام يعني ان المشركين يخدمون الاصنام
ويتعصبون لهم حتي انهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعني ان الاصنام
حينيذ محضرون لعذاب المشركين في الاخرة والاول ارجح لانه
تقبيح لحال المشركين **فلا يحزنك قولهم** تسلية للنبي صلي الله
عليه وسلم معللة بما قبلها **اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة** هذه الاية وما بعدها براهين علي الحشر يوم القيامة
ورد علي من انكر ذلك والنطفة هي نطفة المني التي خلق الانسان
منها ولا شك ان الاله الذي قدر علي ان خلقه من نطفة قادر
علي ان يخلقه مرة اخري عند البعث وسبب الاية ان العاصي
ابن وايل جا الي النبي صلي الله عليه وسلم بعظم رميم فقال
يا محمد من يحيي هذا وقيل ان الذي جا بالعظم امية بن خلف
وقيل ابي بن خلف فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم
الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم **فاذا هو خصيم
مبين** اي متكلم قادر علي الخصام يبين ما في نفسه بلسانه
وضرب لنا مثلا اشارة الي قول الكافر من يحيي هذا العظم **ونسي
خلقه** اي نسي الاستدلال بخلقه علي بعثه والنسيان هنا
يحتمل ان يكون بمعني الذهول او الترك **وهي رميم** اي بالية
متفتتة **قل يحييها الذي انشاها اول مرة** استدلال بالخلقة
الاولي علي البعث **وهو بكل خلق عليم** اي يعلم كيف يخلق كل شي
فلا يصعب عليه بعث الاجساد بعد فنايها والخلق هنا يحتمل
ان يكون مصدرا او بمعني المخلوق **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا**

هذا دليل اخر علي انكار البعث وذلك ان الذين انكروه من الكفار
والطبائعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة كيف تصير العظام
حية فاقام النبي عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الاخضر
الممتلي ماء مع مضادة طبع الما للنار ويعني بالشجر رماد العرب
وهو شجر المرخ والعفار فانه يقطع من كل واحد منهما غصن
اخضر يقطر منه الما فيسحق المرخ علي العفار فينقدح النار
بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب
ولكنه في المرخ والعفار اكثر **اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر علي ان يخلق مثلهم** هذا دليل اخر علي البعث بان الاله
الذي قدر علي خلق السموات والارض علي عظمهما وكبر اجرامهما
قادر علي ان يخلق اجساد بني ادم بعد فنايها والضمير في مثلهم
يعود علي الناس **وهو الخلاق العليم** في ذكر هذين الاسمين ايضا
استدلال علي البعث وكذلك في قوله انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون لان هذا عبارة عن قدرته علي جميع
الاشيا ولا شك ان الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه
اعادة الاجساد **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي** في هذا
استدلال علي البعث وتنزيه لله عما نسبه الكفار اليه من العجز
عن البعث فانهم ما قدروا الله حق قدره وكل من انكر البعث
فانما انكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالي

سورة والصافات

والصافات صفا تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف
فيها فقيل هي الملايكة التي تصف في السما صفوفا لعبادة الله
وقيل هو من يصف من بني ادم في الصلاة والجهاد والاول ارجح
لقوله حكاية عن الملايكة وانا لنحن الصافون **فالزاجرات
زجرا** هي الملايكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون من

بني

بني ادم وقيل هي ايات القران المتضمنة للزجر عن المعاصي **فالتاليات
ذكرا** هي الملايكة تتلو القران والذكر وقيل هم التالون للقران
والذكر من بني ادم وهي كلها اشيا اقسم الله بها علي انه واحد
ورب المشارق يعني مشارق الشمس وهي ثلاثماية وستون مشرقا
وكذلك المغارب فانها تشرق كل يوم من ايام السنة في مشرق
منها وتغرب في مغرب واستغني بذكر المشارق عن ذكر المغارب
لانها معادلة لها فتفهم من ذكرها **بزينة الكواكب** قري باضافة الزينة
الي الكواكب والزينة تكون مصدرا واسما لما يزان به فان كانت
مصدرا فهو مضاف الي الفاعل تقديره بان زينة الكواكب اسما
او مضاف الي المفعول تقديره بان زين الكواكب وان كانت اسما
فالاضافة بيان للزينة وقري بتنوين زينة وخفض الكواكب علي
البدل ونصب الكواكب علي انها مفعول بزينة او بدل من موضع
زينة **وحفظا** منصوب علي المصدر تقديره وحفظناها حفظا
او مفعول من اجله والواو زايدة او محمول علي المعني لان المعني
انا جعلنا الكواكب زينة للسما وحفظا **مارد** اي شديد الشر
لا يسمعون الي الملا الاعلي الضمير في يسمعون للشياطين والملا
الاعلي هم الملايكة الذين يسكنون في السما والمعني ان الشياطين
منعت من سماع احاديث الملايكة وقري يسمعون بتشديد السين
والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفي السماع علي
القراة الاولي ونفي طلبه علي القراة بالتشديد والاول ارجح لقوله
انهم عن السمع لمعزولون ولان ظاهر الاحاديث انهم يسمعون لكنهم
لا يسمعون شيا منذ بعث محمد صلي الله عليه وسلم لانهم يرمون
بالكواكب **ويقذفون** اي يرجمون يعني بالكواكب وهي التي يراها
الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجمة للشياطين
بالكواكب الجارية في السما لان تلك لا تري حركتها لقربها منا قال

ابن عطية وفي هذا نظر دحورا اي طردا وابعادا واهانة لان الدحر
الدفع بعنف واعرابه مفعول من اجله او مصدر من يقذفون على
المعنى او مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين عذاب واصب
اي دايم لانهم يرجمون بالنجوم في الدنيا ثم يقذفون في جهنم
الا من خطف الخطفة من في موضع رفع بدل من الضمير في قوله
لا يسمعون والمعنى لا يسمع الشياطين اخبار السما الا الشيطان
الذي خطف الخطفة شهاب ثاقب اي شديد الاضاءة فاستفتهم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا الضمير لكفار قريش والاستفتا نوع
من السوال بما تقوم به الحجة عليهم به ومن خلقنا يراد به ما تقدم
ذكره من السموات والارض والمشارق والكواكب وقيل يراد به
ما تقدم من الامم والاول ارجح لقراة ابن مسعود ام من عددنا
ومقصد الاية اقامة الحجة عليهم في انكارهم البعث في الاخرة
كانه يقول هذه المخلوقات اشد خلقا منكم فكما قدرنا على
خلقهم كذلك نقدر على اعادتكم بعد فنايكم انا خلقناهم
من طين لازب اللازب اللازم اي يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه
بذلك يراد به ضعف خلقة بني ادم بل عجبت اي عجبت يا محمد
من ضلالهم واعراضهم عن الحق انه جعله على حال يعجب منه
الناس او عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام
المذكورة وقري عجبت بضم التا واشكل ذلك على من يقول
ان التعجب مستحيل على الله فتاولوه بمعنى انه جعله على حال
يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جا
التعجب من الله في القران والحديث كقوله صلى الله عليه
وسلم يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة وهو صفة فعل
وانما جعلوه مستحيلا على الله لانهم قالوا ان التعجب استعظام
خفي سبب والصواب انه لا يلزم ان يكون خفي السبب بل هو

لمجرد

لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله ويسخرون تقديره
وهم يسخرون منك او من البعث واذا راوا اية يستسخرون
الاية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه وروي انها نزلت في
مشرك اسمه ركانة اراه النبي صلى الله عليه وسلم ايات فلم
يومن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستفعل
بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضا لان يسخر
وقيل يبالغون في السخرية ايذا كنا ترابا الاية معناها استبعاد
البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في الرعد اوآباونا
بفتح الواو دخلت همزة الانكار على واو العطف وقري بالاسكان
عطف باو قل نعم وانتم داخرون اي قل تبعثون والداخر الصاغر
الذليل زجرة واحدة هي النفخة في الصور للقيام من القبور
فاذاهم ينظرون يحتمل ان يكون من النظر بالابصار او من الانتظار
اي ينتظرون ما يفعل بهم هذا يوم الدين يحتمل ان يكون من كلامهم
مثل الذي قبله او مما يقال لهم مثل الذي بعده احشروا الاية
خطاب للملايكة خاطبهم به الله تعالى او خاطب به بعضهم بعضا
وازواجهم يعني نساهم المشركات وقيل يعني اصنافهم وقرناهم
من الجن والانس وما كانوا يعبدون يعني الاصنام والادميين
الذين كانوا يرضون ذلك فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم
على طريق جهنم ليدخلوها انهم مسولون يعني انهم يسالون
عن اعمالهم توبيخا لهم وقيل يسالون عن قول لا اله الا الله والاول
ارجح لانه اظهر ويحتمل ان يسالوا عن عدم تناصرهم على وجه
التهكم بهم فيكون مسولون عاملا فيما بعده والتقدير يقال لهم
ما لكم لا يسال بعضكم بعضا وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع
منتصر مستسلمون اي منقادون عاجزون عن الانتصار
قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين الضمير في قالوا للضعفا من الكفار

من الكفار خاطبوا الكبرا منهم في جهنم او الانس خاطبوا الجن واليمين
هنا يحتمل ثلاث معان الاول ان يراد بها طريق الخير والصواب
وجات العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما ان العبارة عن الشر
بالشمال والمعني انهم قالوا لهم انكم كنتم تاتوننا عن طريق الخير
فتصد وننا عنه والثاني ان يراد به القوة والمعني علي هذا
انكم كنتم تاتوننا بقوتكم وسلطانكم فتامروننا بالكفر وتمنعوننا
من الايمان والثالث ان يراد بها اليمين التي يحلف بها اي كنتم
تاتوننا بان تحلفوا لنا انكم علي الحق فنصدقكم في ذلك ونتبعكم
قالوا بل لم تكونوا مومنين الضمير في قالوا للكبرا من الكفار او
للشياطين والمعني انهم قالوا لاتباعهم ليس الامر كما ذكرتم بل كفرتم
باختياركم فحق علينا قول ربنا انا لذايقون اي وجب العذاب
علينا وعليكم وانا لذايقون معمول القول وحذف معمول ذايقون
تقديره وجب القول بانا ذايقون العذاب فاغويناكم انا كنا غاوين
اي دعوناكم الي الغي لانا كنا علي غي فانهم يومىذ في العذاب
مشتركون اي ان المتبوعين والاتباع مشتركون في عذاب النار
يقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون الضمير في يقولون لكفار
قريش ويعنون بشاعر مجنون محمد صلي الله عليه وسلم فرد
الله عليهم بقوله بل جا بالحق وصدق اي جاء بالتوحيد والاسلام
وهو الحق وصدق المرسلين الذين قبله لانه جا بمثل ما جاوا به
ويحتمل المعني ان يكون صدقهم لانهم اخبروا بنبوته فظهر صدقهم
لما بعث عليه الصلاة والسلام الا عباد الله المخلصين استثنا
منقطع بمعني لكن وقرى مخلصين بفتح اللام وكسرها في كل موضع
وقد تقدم تفسيره علي سرر متقابلين السرر جمع سرير وتقابلهم
في بعض الاحيان للسرور بالانس وفي بعض الاحيان ينفرد
كل واحد بقصره يطاف عليهم بكاس من معين الذين يطوفون

عليهم

٤٠٥

عليهم الولدان حسبما ورد في الاية الاخري والكاس الانا الذي فيه خمر قاله
ابن عباس وقيل الكاس انا واسع الفم ليس له مقبض سوا كان فيه خمر ام لا
والمعين الجاري الكثير ووزنه فعيل والميم فيه اصلية وقيل هو
مشتق من العين والميم زايدة ووزنه مفعول لذة اي ذات لذة
فوصفها بالمصدر زايدا عالا فيها غول الغول اسم عام في الاذي والضرر
ومنه يقال غاله يغوله اذا اهلكه وقيل الغول وجع في البطن وقيل
صداع في الراس وانما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا لان الغول
فيها ولاهم عنها ينزفون اي لا يسكرون من خمر الجنة ومنه النزيف
وهو السكران وعن هنا سببية كقولك فعلته عن امرك اي لا ينزفون
بسبب شربها قاصرات الطرف معناه انهن قصرت اعينهن علي النظر
الي ازواجهن ولا ينظرن الي غيرهن عين جمع عينا وهي الكبيرة
العينين في جمال كانهن بيض مكنون قيل شبههن في اللون ببيض
النعام فانه من بياضه خالطه صفرة حسنة ولذلك قال امرو القيس
مقاناة البياض بصفرة وقيل انما التشبيه بلون قشر البيضة الداخل
الرقيق وهو المكنون اي المصون تحت القشر الاول وقيل اراد
الجوهر المصون فاقبل بعضهم علي بعض يتسالون هذا اخبار
عن تحدث اهل الجنة قال الزمخشري هذه الجملة معطوفة
علي يطاف عليهم والمعني اي يشربون فيتحدثون علي الشراب
بما جري لهم في الدنيا اني كان لي قرين قيل ان هذا القايل
وقرينه من البشر مومن وكافر وقيل ان قرينه كان من الجن
يقول اينك لمن المصدقين معناه انه كان يقول له علي وجه
الانكار اتصدق بالدنيا والاخرة لمدينون اي مجازون
ومحاسبون علي الاعمال ووزنه مفعول وهو من الدين بمعني
الجزا والحساب قال هل انتم مطلعون اي قال ذلك القايل لرفقايه
في الجنة او للملايكة او لخدامه هل انتم مطلعون علي النار

لا يكتم ذلك العذاب فيها وروي ان في الجنة كوى ينظرون اهلها منها
الي النار في سواء الجحيم اي في وسطها قال تالله ان كدت لتردين
اي تهلكني باغوائك والردي الهلاك وهذا خطاب خاطب به المومن
قرينه الذي في النار من المحضرين في العذاب افما نحن بميتين
هذا من كلام المومن خطابا لقرينه او خطابا لرفقائه في الجنة
ولهذا قال نحن فاخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل ان يكون من
كلامه وكلامهم جميعا ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون
من كلام المومن او من كلامه وكلام رفقائه في الجنة او من
كلام الله تعالي لان الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به
ولان الامر بالعمل انما هو حقيقة في الدنيا ففيه تحضيض
علي العمل الصالح اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم الاشارة
بذلك الي نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها وقال الزمخشري
الاشارة الي قوله رزق كريم والنزل الضيافة وقيل الرزق
الكثير وجا التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك
لان الكلام تقرير وتوبيخ انا جعلناها فتنة للظالمين قيل
سببها ان ابا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم قالوا
كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فالفتنة علي
هذا الابتلي في الدنيا وقيل معناه عذاب الظالمين في الاخرة
والمراد بالظالمين هنا الكفار انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
اي تنبت في قعر جهنم وترتفع اغصانها الي دركاتها طلعها
كانه روس الشياطين مبالغة في قبحه وكراهته لانه قد
تقرر في نفوس الناس كراهتها وان لم يروها ولذلك يقال
للقبيح المنظر وجه شيطان وقيل روس الشياطين شجرة
معروفة باليمن وقيل هو صنف من الحيات لشوبا من حميم
اي مزاجا من ما حار فان قيل لم عطف هذه الجملة بثم

فالجواب

٤٠٦

فالجواب من وجهين احدهما انه لترتيب تلك الاحوال في الزمان
فالمعني انهم يملون البطون من شجرة الزقوم وبعد ذلك يشربون
الحميم والثاني انه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعني ان شربهم
للحميم اشد مما ذكر قبله يهرعون الاهراع الاسراع الشديد
ولقد نادانا نوح اي دعانا يعني دعاه باهلاك قومه ونصرته
عليهم من الكرب العظيم يعني الغرق وجعلنا ذريته هم
الباقين اهل الارض كلهم من ذرية نوح لانه لما غرق الناس
في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة تناسل
الناس من اولاده الثلاثة سام وحام ويافث وتركنا عليه
في الاخرين معناه ابقينا عليه ثنا جميلا في الناس الي يوم
القيامة سلام علي نوح في العالمين هذا التسليم من الله
علي نوح عليه السلام وقيل ان هذه الجملة مفعول تركنا
وهي محكية اي تركنا هذه الكلمة تقال له يعني الخلق يسلمون
عليه فيبدا بالسلام علي القول الاول وعلي الثاني
والاول اظهر ومعني في العالمين علي القول الاول تخصيصه
بالسلام عليه بين العالمين كما تقول احب فلانا في الناس
اي احبه خصوصا من بين الناس ومعناه علي القول الثاني
ان السلام عليه ثابت في العالمين وهذا الخلاف يجري
حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة وان من شيعته لابراهيم
الشيعة الصنف المتفق فمعني من شيعته علي دينه في
التوحيد والضمير يعود علي نوح وقيل علي سيدنا محمد
صلي الله عليه وسلم والاول اظهر اذ جا ربه عبارة
عن اخلاصه واقباله علي الله تعالي بكليته وقيل المراد
المجي بالجسد بقلب سليم اي سليم من الشرك والشك
وجميع العيوب ايفكا الهة دون الله تريدون الافك الباطل

واعرابه هنا مفعول من اجله والهة مفعول به وقيل افكا
مفعول به والهة بدل منه وقيل افكا مفعول في موضع
الحال تقديره افكين اي كاذبين والاول احسن **فما ظنكم برب
العالمين** المعني اي شي تظنون برب العالمين ان يعاقبكم به
وقد عبدتم غيره او اي شي تظنون انه هو حتى عبدتم غيره
كما تقول ما ظنك بفلان اذا قصدت تعظيمه فالقصد علي
المعني الاول تهديد وعلي الثاني تعظيم لله وتوبيخ لهم
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم روي ان قومه
كان لهم عيد يخرجوا اليه فدعوه الي الخروج معهم فحينئذ
قال اني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم فيكسر اصنامهم
اذا خرجوا لعيدهم وفي تاويل ذلك ثلاثة اقوال الاول
انه كانت تاخذه الحمي في وقت معلوم فنظر في النجوم
ليري وقت الحمي واعتذر عن الخروج لانه سقيم من الحمي
والثاني ان قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم احكام النجوم
فاوهمهم انه استدل بالنظر في علم النجوم انه يسقم
فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث ان معني
نظر في النجوم انه نظر وفكر فيما يكون من امره معهم فقال اني سقيم
والنجوم علي هذا ما ينجم من حاله معهم وليست بنجوم السما وهذا
بعيد وقوله اني سقيم علي حسب هذه الاقوال يحتمل ان يكون حقا
لا كذب فيه ولا يجوز اصلا ويعارض هذا ما ورد عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان ابراهيم كذب ثلاث كذبات احدها قوله
اني سقيم ويحتمل ان يكون كذبا صراحا وجاز له ذلك لهذا الاحتمال
لانه فعل ذلك من اجل الله اذ قصد كسر الاصنام ويحتمل ان يكون
من المعاريض فان اراد انه سقيم فيما يستقبل لان كل انسان لابد
له ان يمرض او اراد انه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له

وهذا

وهذان التاويلان تنفي الكذب بالجملة يعارضان الحديث والكذب
الصراح لا يجوز علي الانبيا عند اهل التحقيق واما المعاريض فهي
جايزة **فتولوا عنه مدبرين** اي تركوه اعراضا عنه وخرجوا الي
عيدهم وقيل انه اراد بالسقم الطاعون وهو دا يعدي فخافوا
منه وتباعدوا عنه مخافة العدوي **فراغ** اي امال **فقال الا
تاكلون** انما قال ذلك علي وجه الاستهزا بالذين يعبدون تلك
الاصنام **ضربا باليمين** اي يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف
وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم والاول اظهر واليق بالضرب
وضربا مصدر في موضع الحال **يزفون** اي يسرعون **قال اتعبدون
ما تنحتون** اي تنجرون والنحت النجارة اشار الي صنعهم للاصنام
من الحجارة والخشب **والله خلقكم وما تعملون** ذهب قوم الي
ان ما مصدرية والمعني الله خلقكم واعمالكم وهذه الاية عندهم
قاعدة في خلق افعال العباد وقيل انها موصولة بمعني الذي
والمعني الله خلقكم وخلق اصنامكم التي تعملونها وهذا اليق
بسياق الكلام واقوي في قصد الاحتجاج علي الذين عبدوا
الاصنام وقيل انها نافية وقيل انها استفهامية وكلاهما باطل
قالوا ابنوا له بنيانا قيل البنيان في موضع النار وقيل هو
كان للمنجنيق الذي رمي عنه **فارادوا به كيدا** يعني حرقه بالنار
فجعلناهم الاسفلين اي المغلوبين **وقال اني ذاهب الي ربي
سيهدين** قيل انه قال هذا بعد خروجه من النار واراد انه
ذاهب اي مهاجر الي الله فهاجر الي ارض الشام وقيل انه قال
ذلك قبل ان يطرح في النار واراد انه ذاهب الي ربه بالموت
لانه ظن ان النار تحرقه وسيهدين علي القول الاول يعني الهدي
الي صلاح الدين والدنيا وعلى القول الثاني الي الجنة وقالت
المتصوفة معناه اني ذاهب الي ربي بقلبي اي مقبل علي الله

تاركا لما سواه **رب هب لي من الصالحين** يعني ولدا من الصالحين **فبشرناه بغلام حليم** اي عاقل واختلف الناس في هذا الغلام
المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح هل هو اسماعيل او اسحاق
فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو اسماعيل
وحجتهم من ثلاثة اوجه الاول ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا ابن الذبيحين يعني اسماعيل عليه السلام
ووالده عبد الله حين نذر والده عبد المطلب ان ينحره ان
يسر الله عليه امر زمزم ففداه بماية من الابل والثاني
ان الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبح وبشرناه باسحاق فدل
ذلك على ان الذبيح غيره والثالث انه روي ان ابراهيم جرت
له قصة الذبيح بمكة وانما كان معه بمكة اسماعيل وذهب
علي بن ابي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين الى ان
الذبيح اسحاق وحجتهم من وجهين الاول ان البشارة المعروفة
لابراهيم بالولد انما كانت باسحاق لقوله فبشرناها
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب والثاني انه روي ان
يعقوب كان يكتب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح
الله **فلما بلغ معه السعي** يريد بالسعي هنا العمل والعبادة وقيل
المشي وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة **قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك** يحتمل ان يكون رأى في المنام الذبح وهو
الفعل او امر في المنام ان يذبحه والاول اظهر في اللفظ
هنا والثاني اظهر في قوله افعل ما تؤمر ورؤيا الانبياء حق
فوجب عليه الامتثال على الوجهين **فانظر ماذا ترى** ان
قيل لم شاوره في امر هو حتم من الله فالجواب انه لم يشاوره
ليرجع الى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه
على الصبر فاجابه باحسن جواب **فلما اسلما** اي استسلما

وانقادا

٢٠٨

وانقادا لامر الله **وتله للجبين** اي صرعه بالارض على جبينه وللانسان
جبينان حول الجبهة وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره
فلما اسلما كان ما كان من الامر العظيم وقال الكوفيون جوابه
تله والواو زايدة وقال بعضهم جوابها ناديناه والواو زايدة
قد صدقت الرؤيا يحتمل ان يريد بقلبك اي كانت عندك رؤيا
صادقة فعملت بحسبها ويحتمل ان يريد صدقتها بعملك اي وفيت
حقها من العمل فان قيل انه امر بالذبح ولم يذبح فكيف قيل له
صدقت الرؤيا فالجواب انه قد بذل جهده اذ قد عزم على
الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه
لما فداه فامتناع ذبح الولد انما كان من الله وبامر الله وقد
قضى ابراهيم ما عليه **البلاء المبين** اي الاختبار البين الذي
يظهر به طاعة الله او المحنة البينة الصعوبة **وفديناه بذبح
عظيم** الذبح اسم لما يذبح واراد به هنا الكبش الذي فدي به
وروي انه من كباش الجنة وقيل انه الكبش الذي قرب به
ولد ادم ووصفه بعظيم لذلك او لانه من عند الله او لانه متقبل
وروي في القصص ان الذبيح قال لابراهيم اشدد رباطي لئلا
اضطرب واصرف بصرك عني لئلا ترحمني وانه امر الشفرة على
حلقه فلم تقطع فحينئذ جاء الكبش من عند الله وقد اكثر الناس
في قصص هذه الاية وتركناه لعدم صحته **كذلك نجزي المحسنين**
ان قيل لم قال هنا في قصة ابراهيم كذلك دون قوله انا
وقال في غيرها انا فالجواب انه قد تقدم في قصة ابراهيم
نفسها انا كذلك فاغنى عن تكراره هنا **ولقد مننا على موسى وهارون**
يعني بالنبوة وغير ذلك **من الكرب العظيم** يعني الغرق او تعذيب
فرعون واذلالهم ونصرتهم والضمير يعود على موسى وهارون
وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة

الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف **واتيناهما الكتاب المستبين** يعني التوراة ومعني المستبين البين وفي هذه الاية وما بعدها نوع من ادوات البيان وهو الترصيع **وان الياس لمن المرسلين** الياس من ذرية هارون وقيل انه ادريس وقد اخطا من قال انه الياس المذكور في اجداد النبي صلي الله عليه وسلم **اتدعون بعلا** البعل في اللغة الرب بلغة اهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعل بك **سلام علي ال ياسين** الرهذا علي هذه القراة بجمع اهل وياسين اسم لالياس وقيل لابيه وقيل لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وقري الياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة وهو علي هذا جمع الياسي او منسوب لالياس حذفت منه اليا كما حذفت من اعجمين وقيل سمي كل واحد من ال ياسين الياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في الياس **عجوزا في الغابرين** قد ذكر **وان يونس لمن المرسلين** قد ذكرنا قصة في يونس والانبيا **اذ ابق الي الفلك المشحون** اي هرب الي السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملو وسبب هروبه غضبه علي قومه حين لم يومنوا وقيل انه اخبرهم ان العذاب ياتيهم يوم معين حسبما اعلمه الله فلما راو قومه مخايل العذاب امنوا فرفع الله عنهم العذاب فخاف ان ينسبوه الي الكذب فهرب **فساهم فكان من المدحضين** معني ساهم ضارب القرعة والسهمة هي القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة وسبب مقارعته انه لما ركب السفينة وقفت ولم تجر فقالوا انما وقفت من حدث احدثه احدنا فنقترع لنري علي من تخرج القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة علي يونس فطرحوه في البحر **فالتقمه الحوت وهو مليم** اي فعل ما يلام عليه وذلك خروجه بغير ان يامره الله بالخروج **فلولا انه كان من المسبحين**

تسبيحه هو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين حسبما حكي الله عنه في الانبيا وقيل هو قوله سبحان الله وقيل الصلاة واختلف في ذلك هل يعني صلاته في بطن الحوت او قبل ذلك واختلف في مدة بقايه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما **فنبذناه بالعراء** العرا الارض الفضا التي لا شجر فيها ولا ظل وقيل يعني الساحل **وهو سقيم** روي انه كان كالطفل المولود بضعة لحم **وانبتنا عليه شجرة من يقطين** اي انبتناها فوقه لتظله وتمنعه حر الشمس واليقطين القرع وانما خصه الله به لانه يجمع برد الظل ولين اللمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ والاول اشهر **وارسلناه الي مائة الف** يعني رسالته الاولي التي ابق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والاول اشهر **او يزيدون** قيل او هنا بمعني بل وقرا ابن عباس بل يزيدون وقيل هي بمعني الواو وقيل هي للابهام وقيل المعني ان البشر اذا نظر اليهم يردد فيقول هم مائة الف او يزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون الفا وقيل مائة وثلاثون الفا وقيل مائة واربعون الفا وقيل مائة وسبعون الفا **فمتعناهم الي حين** روي انهم خرجوا بالاطفال واولاد البهايم وفرقوا بينهم وبين الامهات وناحوا وتضرعوا الي الله واخلصوا فرفع الله العذاب عنهم الي حين يعني الي انقضا اجالهم وقد ذكر الناس في قصة يونس اشيا كثيرة اسقطناها لضعف صحتها **فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون** قال الزمخشري ان هذا معطوف علي قوله فاستفتهم الذي في اول السورة

وان تباعد ما بينهما والضمير المنقول لقريش وسائر الكفار اي اسالهم
علي وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من ان الملايكة بنات الله
فجعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزي ثم قررهم
علي ما زعموا من ان الملايكة اناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون
يحتمل ان يكون بمعني الشهادة او بمعني الحضور اي انهم لم يحضروا
علي ذلك ولم يعلموه ثم اخبر عن كذبهم في قولهم ولد الله ثم
قررهم علي ما زعموا من ان الله اصطفي لنفسه البنات وذلك
كله رد عليهم وتوبيخ لهم تعالي الله عن اقوالهم علوا كبيرا
اصطفي دخلت همزة التقرير والتوبيخ علي الف الوصل فحذفت
الف الوصل مالكم هذا استفهام وفيه معنا التوبيخ وهي في
موضع رفع بالابتدا او المجرور بعدها خبرها فينبغي الوقف
علي قوله مالكم ام لكم سلطان مبين اي برهان بين فاتوا
بكتابكم تعجيز لانهم ليس لهم كتاب يحتجون به وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا الضمير في جعلوا الكفار العرب وفي معني الاية
قولان احدهما ان الجنة هنا الملايكة وسميت بهذا الاسم لانه
مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملايكة مستورون عن
اعين بني ادم كالجن والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله
قولهم انهم بنات الله والقول الثاني الجن هنا الشياطين
وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان احدهما
ان بعض العرب قالوا ان الله والشياطين اخوان تعالي الله عن
ذلك علوا كبيرا والاخر ان بعضهم قال ان الله نكح في الجن
فولدت له الملايكة سبحانه وتعالي عما يقول الظالمون علوا
كبيرا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون من قال ان الجن
الملايكة فالضمير في قوله انهم لمحضرون يعود علي الكفار
اي قد علمت الملايكة ان الكفار محضرون في العذاب الا عباد

الله

ها

الله المخلصين استثنا منقطع من المحضرين او من الفاعل في يصفون والمعني
لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب او لكن عباد الله المخلصين
يصفونه بما هو اهله فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا
من هو صال الجحيم هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الاصنام
وغيرها وما تعبدون عطف علي الضمير في انكم ويجوز ان تكون
الواو بمعني مع ومعني فاتنين مضلين والضمير في عليه يعود علي
ما تعبدون وعلي سببيه معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين
والمعني انكم ايها الكفار وكل ما تعبدون لا تضلون احدا الا من
قضي الله انه يصلي الجحيم اي لا تقدرون علي اغوا الناس الا بقضا
الله وقال الزمخشري الضمير في عليه يعود علي الله تعالي
وما منا الا له مقام معلوم هذا حكاية كلام الملايكة عليهم
السلام تقديره ما منا ملك الا له مقام معلوم وحذف الموصوف
لفهم الكلام والمقام المعلوم يحتمل ان يراد المكان الذي يقومون فيه
لان منهم من هو في السما الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث
شا الله ويحتمل ان يراد به المنزلة من العبادة والتقريب
والتشريف وانا لنحن الصافون اي الواقفون في العبادة
صفوفا ولذلك امر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم
ليقتدوا بالملايكة وليس احد من اهل الملل يصلون صفوفا
الا المسلمون وانا لنحن المسبحون قيل معناه المصلون لان الصلاة
يقال لها تسبيح وقيل معناه القايلون سبحان الله وفي هذا
الكلام الذي قالته الملايكة رد علي من قال انهم بنات الله
وشركاله لانهم اعترفوا علي انفسهم بالعبودية والطاعة
لله والتنزيه له ويدل هذا الكلام علي ان المراد بالجن قبل
هذا الملايكة وقيل من كلام سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم
وكلام المسلمين والاول اشهر وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا

من الاولين الضمير لقريش وساير العرب والمعني انهم كانوا قبل
بعث محمد صلي الله عليه وسلم يقولون لو ارسل الينا رسولا
وانزل علينا كتابا لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به الضمير
للذكر او لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم لان المعني يقتضي
ذلك وان لم يتقدم له ذكر فسوف يعلمون تهديد ووعيد علي
كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
المعني سبق القضا بان المرسلين منصورون علي اعدايهم
وان جندنا لهم الغالبون وهذا النصر والغلبة بظهور الحجة
والبرهان وبهزيمة الاعدا في القتال وبالسعادة في الاخرة
فتول عنهم حتي حين اي ابعد عنهم وذلك مواعدة منسوخة
بالسيف والحين هنا يراد به يوم بدر وقيل حضور اجالهم
وقيل يوم القيامة وابصرهم فسوف يبصرون هذا وعد
للنبي صلي الله عليه وسلم ووعيد لهم افبعذابنا يستعجلون
اشارة الي قولهم متي هذا الوعد وامطر علينا حجارة من
السما وشبه ذلك فاذا نزل بساحتهم الساحة الفنا حول الدار
والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد علي الانسان من
محظور وسو فسا صباح المنذرين الصباح مستعمل في ورود
الغارات والرزايا ومقصد الاية التهديد بعذاب يحل بهم
بعد ان انذروا فلم ينفعهم الانذار وذلك تمثيل بقوم انذروا
بان جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتي جاهم الجيش واهلكهم
وابصر كرر الامر بالتولي عنهم والوعد والوعيد علي وجه
التاكيد وقيل اراد بالوعيد الاول عذاب الدنيا وبالثاني
عذاب الاخرة فان قيل لم قال اولا ابصرهم وقال هنا ابصر
فحذف الضمير المفعول فالجواب من وجهين احدهما انه اكتفي
بذكره اولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا والاخر انه حذفه

ليفيد

ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كانه قال ابصر جميع الكفار بخلاف
الاول فانه في قريش خاصة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
نزه الله تعالي نفسه عما وصفه به الكفار ومما لا يليق به فانه
حكي عنهم في هذه السورة اقوالا كثيرة شنيعة والعزة ان اراد
بها عزة الله فمعني رب العزة ذو العزة واضافها اليه لاختصاصه
بها وان اراد بها عزة الانبيا والمومنين فمعني رب العزة مالكها
وخالقها ومن هذا قال محمد بن سحنون من حلف بعزة الله
فان اراد صفة الله فهي يمين وان اراد العزة التي اعطي عباده
فليست بيمين ثم ختم هذه السورة بالسلام علي المومنين
والحمد لله رب العالمين فاما السلام علي المرسلين فيحتمل ان
يريد به التحية او سلامتهم من اعدايهم ويكون ذلك تكميلا
لقوله انهم لهم المنصورون واما الحمد فيحتمل ان يريد به
الحمد علي ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الانبيا
وغير ذلك ويحتمل ان يريد الحمد علي الاطلاق كمل تفسير سورة
الصافات من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل والحمد لله رب
العالمين وصلوات الله عز وسلامه علي سيدنا محمد وعلي
اله وصحبه وجميع الانبيا والمرسلين وجميع الملايكة
والمقربين صلاة وسلاما متلازمين الي يوم الدين
انتهي الربع الثالث بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم

سورة داود عليه السلام

ص تكلمنا علي حروف الهجا في البقرة ويختص بهذا انه
قال فيه معني صدق محمد وقيل هو حرف من اسم الله صمد
او صادق الوعد او صانع المصنوعات والقران ذي الذكر
هذا قسم جوابه محذوف تقديره ان القران من عند الله وان

محمد الصادق وشبه ذلك وقيل جوابه في قوله ص اذ هو بمعنى
صدق محمد وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وهذا بعيد
وقيل جوابه ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا بعيد ومعنى
ذي الذكر ذي الشرف والذكر بمعنى الموعظة او ذكر الله وما
يحتاج اليه من الشريعة بل الذين كفروا في عزة وشقاق
الذين كفروا يعني قريشا وبل للاضراب عن كلام محذوف وهو
جواب القسم اي ان كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة
والشقاق والعزة التكبر والشقاق العداوة وقصد المخالفة
وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما اهلكنا
من قبلهم من قرن اخبار يتضمن تهديد القريش فنادوا
ولات حين مناص المعنى ان القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا
حين لم ينفعهم ذلك ولات بمعنى ليس وهي لا النافية زيدة
عليها علامة التانيث كما زيدت في ربت وثمت ولا تدخل
لات الا على زمان واسمها مضمر وحين مناص خبرها
والتقدير ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص والمناص
المفر والنجاة من قولك ناص ينوص اذا فر وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم اي استبعد وان يبعث الله رسولا منهم
ويحتمل ان يريد من قبيلتهم او يريد من البشر مثلهم وقال
الكافرون كان الاصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع
المضمر قصد الوصفهم بالكفر اجعل الالهة الها واحدا
هذا انكار منهم للتوحيد وسبب نزول هذه الاية ان
قريشا اجتمعوا وقالوا لابي طالب كف ابن اخيك عنا فانه
يعيب ديننا ويذم الهتنا ويسفه احلامنا فكلمه ابو
طالب في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انما اريد منهم

كلمة

هي

كلمة واحدة يملكون بها العجم وتدين لهم بها العرب فقالوا نعم
وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا ونكروا
ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا وانطلق الملا منهم ان
امشوا واصبروا انطلاق الملا عبارة عن خروجهم عن ابي
طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة واشاعتهم
للكفر وان امشوا معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا
على عبادة الهتكم ولا تطيعوا محمد فيما يدعوا من عبادة
الله وحده ان هذا الشيء يراد هذا ايضا مما حكى الله من كلام
قريش وفي معناه وجهان احدهما ان الاشارة الى الاسلام
والتوحيد اي ان هذا التوحيد يراد منا الانقياد اليه والاخر
ان الاشارة الى الشرك والصبر على الهتهم اي ان هذا
الشيء ينبغي ان يراد ويتمسك به او ان هذا شيء يريده الله
منا لما قضى علينا به والاول ارجح لان الاشارة فيما بعد
ذلك اليه فيكون الكلام على نسق واحد ما سمعنا بهذا
في الملة الاخرة هذا ايضا مما حكى الله من كلامهم وما
سمعنا بالتوحيد في الملة الاخرة والمراد بالملة الاخرة
ملة النصارى لانها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون
بالتثليث لا بالتوحيد وقيل المراد ملة قريش اي
ما سمعنا بهذا في الملة التي ادركنا عليها اباءنا وقيل
المراد المنتظرة اذ كانوا يسمعون من الاحبار والكهان ان
رسولا يبعث يكون اخر الانبياء ان هذا الا اختلاق انزل
عليه الذكر من بيننا الهمزة للانكار والمعنى انهم انكروا ان
يخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بانزال الوحي عليه دونهم
بل هم في شك من ذكري هذا رد عليهم والمعنى انهم ليست لهم
حجة وبرهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده

ولذلك كفروا ويحتمل ان يريد بالذكر القران بل لما يذوقوا عذاب
هذا وعيد لهم وتهديد والمعني انهم انما حملهم علي الكفر
كونهم لم يذوقوا العذاب فاذا ذاقوه زال عنهم الشك واذعنوا
للحق ام عندهم خزاين رحمة ربك هذا رد عليهم فيما انكروا
من اختصاص محمد صلي الله عليه وسلم بالنبوة والمعني
انهم ليس عندهم خزاين رحمة الله حتي يعطوا النبوة من
شاوا ويمنعوا من شاوا بل يعطيها الله لمن يشا ثم وصف
نفسه بالعزيز الوهاب لان العزيز يفعل ما يشا والوهاب
ينعم علي من يشا فلا حجة لهم فيما انكروا ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما هذا ايضا رد عليهم والمعني ام لهم الملك
فيتصرفون فيه كيف شاوا بل مالك الملك يفعل ما يشا
في ملكه ما يشا وام الاولي منقطعة بمعني بل وهمزة الانكار
واما الثانية فيحتمل ان تكون كذلك او تكون عاطفة معادلة
لما قبلها فليرتقوا في الاسباب هذا تعجيز لهم وتهكم بهم والمعني
ان يرتقوا يصعدوا والاسباب هنا السلاليم والطرق وشبه
ذلك مما يوصل به الي العلو وقيل هي ابواب السما والمعني
ان كان لهم ملك السموات والارض فليصعدوا الي العرش
ويدبروا الملك جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب هذا
وعيد بهزيمتهم في القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره
وما هنا صفة لجند وفيها معني التحقير لهم والاشارة بهنالك
الي حيث وضعوا انفسهم من الكفر والاستهزا وقيل الاشارة
الي الارتقا في الاسباب وهذا بعيد وقيل الاشارة الي
موضع بدر ومن الاحزاب معناه من جملة الاحزاب الذين
تعصبوا للانبيا فهلكوا وفرعون ذي الاوتاد قال ابن
عباس كانت لهم اوتاد وخشب يلعب بها وعليها وقيل

له اوتاد يسمرها في الناس لقتلهم وقيل اراد المباني العظام
الثابتة ورجحه ابن عطية وقال الزمخشري ان ذلك استعارة
في ثبات الملك كقول القايل في ظل الملك ثابت الاقدام
واصحاب ليكة قد ذكر وما ينظر هولا الا صيحة واحدة ينظر
هنا بمعني ينتظر وهولا يعني قريشا والصيحة الواحدة النفخة
في الصور وهي نفخة الصعق وقيل الصيحة عبارة عما اصابهم
من قتل او شدة والاول اظهر وقد روي تفسيرها بذلك
عن النبي صلي الله عليه وسلم ما لها من فواق فيه
ثلاثة اقوال الاول ما لها رجوع اي لا يرجعون بعدها الي
الدنيا وهو علي هذا مشتق من الافاقة الثاني ما لها من
ترداد اي انما هي واحدة لا ثانية لها الثالث ما لها من
تاخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي
اللبن وهذا القول الثالث انما يجري علي قراة فواق
بالضم لان فواق الناقة بالضم والقولان الاولان علي الفتح والضم
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القط في اللغة له معنيان احدهما
الكتاب والاخر النصيب وفي معناه هنا ثلاثة اقوال
احدها نصيبنا اي دعوا ان يعجل لهم في الدنيا نصيبهم والاخرة
من العذاب فهو كقولهم امطر علينا حجارة من السما الثالث
صحايف اعماله اصبر علي ما يقولون واذكر عبدنا داود
ذوا الايدي انه اواب الايد القوة وكان داود جمع قوة البدن
وقوة الدين والملك والجنود والاواب الرجاع الي الله فان
قيل ما المناسبة بين امر الله لسيدنا محمد صلي الله عليه
وسلم بالصبر علي اقوال الكفار وبين امره له بذكر داود
فالجواب عندي ان ذكر داود ومن بعده من الانبيا في هذه
السورة فيه تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم ووعد

له بالنصر وتفريج الكروب واعانته علي ما امر به من الصبر وذلك ان الله ذكر ما انعم به علي داود من تسخير الطير والجبال وشدة ملكه واعطايه الحكمة وفصل الخطاب ثم الخاتمة في الاخرة بالزلفي وحسن الماب فكانه يقول يا محمد كما انعمنا علي داود بهذه النعم كذلك نتم عليك فاصبر ولاتحزن علي ما يقولون ثم ذكر ما اعطي سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفي وحسن الماب ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الانبيا والمقصد ذكر الانعام عليهم لتقوية قلب النبي صلي الله عليه وسلم واثبيا فان ذكر داود وسليمان وايوب اصابتهم شدايد ثم فرجها الله عنهم واعقبها بالخير العظيم فامر سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم بذكرهم ليعلمه انه يفرج عنه ما لقي من اذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية المعني اذكر داود ذي الايد في الدين فتاس به وتايد كما تايد واجاب الزمخشري عن السوال فانه قال كان الله قال لنبيه صلي الله عليه وسلم اصبر علي ما يقولون وعظم امر المعصية في اعين الكفار واذكر قصة داود وذلك انه نبي كريم عند الله ثم زلة فوبخه الله عليها فاستغفر واناب فما ظنكم مع كفركم ومعاصيكم وهذا الجواب لا يخفي ما فيه من سوء الادب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بانه زل وان الله وبخه ومعاذ الله من ذكر الانبيا بمثل هذا والاشراق يعني وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضي ويصفو شعاعها وهو وقت الضحي واما شروقها فطلوعها محشورة

اي

اي مجموعة كل له اواب اي كل مسبح لاجل تسبيح داود ويحتمل ان يكون اواب هنا بمعني رجاع اي يرجع الي امره واتيناه الحكمة قيل يعني النبوة وقيل العلم والفهم وقيل الزبور وفصل الخطاب ابن عباس هو فصل القضا بين الناس بالحق علي بن ابي طالب هو ايجاب اليمين علي المدعي عليه والبينة علي المدعي وقيل اراد قول اما بعد فانه اول من قالها وقال الزمخشري معنا فصل الخطاب البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به وهذا المعني اختيار ابن عطية وجعله من قوله انه لقول فصل وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب جات هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها للمخاطب ودلالة علي انها من الاخبار العجيبة التي ينبغي ان يلقي البال اليها والخصم يقع علي الواحد والاثنين والجماعة كقول عدل وزور واتفق الناس علي ان هذا الخصم كانوا ملايكة وروي انهما جبريل وميكايل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع في مثلها فافتي بفتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد تاب واستغفر وسنذكر القصة بعد هذا ومعني تسوروا المحراب علوا علي سوره ودخلوه والمحراب الموضع الارفع من القصر او المسجد وهو موضع التعبد ويحتمل ان يكون المتسور المحراب اثنين فقط لان نفس الخصومة انما كانت بين اثنين فقط فتجي الضماير في تسوروا ودخلوا وفزع منهم علي وجه التجوز والعبارة عن اثنين بلفظ الجماعة وذلك جايز علي مذهب من يري ان اقل الجمع اثنان ويحتمل انه جا مع كل واحد من الخصمان جماعة فيقع علي جميعهم خصم وتجي الضماير المجموعة حقيقة وعلي هذا عول الزمخشري اذ دخلوا علي داود ففزع منهم

العامل في اذ هنا تسوروا وقيل هي بدل من الاولي واما اذ
الاولي فالعامل فيهما اتاك او نبا ورد الزمخشري ذلك وقال
ان العامل فيهما محذوف تقديره هل اتاك نبا تحاكم الخصم
اذ تسوروا وانما فزع داود منهم لانهم دخلوا عليه بغير اذن
ودخلوا من غير الباب وقيل ان ذلك كان ليلا **خصمان بغي
بعضنا علي بعض** تقديره نحن خصمان ومعني بغي تعدي
ولا تشطط اي لا تجر علينا في الحكم يقال شط الحاكم اذا جار
وقري في الشاذ ولا تشطط بفتح التا اي لا تبعد عن الحق
يقال شط اذا ابعد **سوا الصراط** اي وسط الطريق ويعني
القصد والحق الواضح **ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب** هذه
حكاية كلام احد الخصمين والاخوة هنا اخوة الدين والنعجة
في اللغة تقع علي انثي بقر الوحش وعلي انثي الضان وهي
عبارة عن المراة ومعني اكفلنيها ملكنيها لي واصله اجعلها
في كفالتي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي ومعني عزني في
الخطاب غلبني في الكلام والمحاورة يقال عز فلان فلانا
اذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود
فيها وقد اختلف الناس فيها واكثروا القول فيها قديما
وحديثا حتي قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من
حدث بما يقول هولا القصاص في امر داود عليه السلام
جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله
ونحن نذكر من ذلك ما هو اشهر واقرب الي تنزيه داود
عليه السلام روي ان اهل زمان داود عليه السلام
كان يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها
اذا اعجبته وكانت لهم عادة لا ينكرونها وقد جا عن الانصار
في ذلك

في

في اول الاسلام شي من ذلك فاتفق ان وقعت عين داود علي امراة
رجل فاعجبته فساله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام
فولد له منها سليمان عليه السلام وكان لداود تسع وتسعون
امراة فبعث اليه ملايكة مثلا للقصة فقال احدهم ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة اشارة الي التسع والتسعون امراة
التي كانت لداود ولي نعجة واحدة اشارة الي ان ذلك الرجل
لم تكن له الا تلك المراة الواحده فقال اكفلنيها اشارة الي سوال
داود من الرجل النزول من امراته فاجابه داود عليه السلام
بقوله لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه فقامت الحجة عليه
بذلك فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يراهما فشعر
داود ان ذلك عتاب من الله له علي ما وقع فيه **فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب** ولا تقتضي هذه القصة علي هذه
الرواية ان داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا وانما
عوتب علي امر جايز كان ينبغي له ان يتنزه عنه لعلو مرتبته
ومتانة دينه فانه قد يعاتب الفضلا علي ما لا يعاتب عليه
غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وايضا فانه
كان له تسع وتسعون امراة فكان غنيا عن هذه المراة
فوقع العتاب علي الاستكثار من النسا وان كان جايزا وروي
هذا الخبر علي وجه اخر وهو ان داود انفرد يوما في محرابه
للتعبد فدخل عليه طاير من كوة فوقع بين يديه فاعجبه
فمد يده لياخذه فطار علي الكوة فصعد داود لياخذه
فراي من الكوة امراة تغتسل عريانة فاعجبته ثم انصرف
فسال عنها فاخبر انها امراة رجل من جنده وانه خرج
للجهاد مع الجند فكتب داود الي امير تلك الحرب ان يقدم
ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص

احدمنه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتي قتل شهيدا فتزوج داود
امراته بعده فعوتب علي تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوج
امراته بعده مع انه كان له تسع وتسعون امراة سواها
وقيل ان داود هم بذلك كله ولم يفعله وانما وقعت المعاتبة
علي همه بذلك وروي ان السبب فيما جري له مثل ذلك
انه اعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي انه لا يخاف الفتنة
علي نفسه تفتق بتلك القصة وروي ايضا ان السبب في
ذلك انه تمني منزلة اباىه ابراهيم واسحاق ويعقوب
والتزم ان يبتلي كما ابتلوا فابتلاه الله بما جري له في تلك
القصة **قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الي سواله**
سوال مصدر مضاف الي المفعول وانما تعدي بالي لانه
تضمن معني الاضافة كانه قال بسوال اضافتها او ضمومة
الي نعاجه فان قيل كيف قال له داود لقد ظلمك قبل ان
يثبت له ذلك فالجواب انه روي ان الاخر اعترف بذلك
وحذف ذكر اعترافه اختصارا ويحتمل ان يكون قوله لقد
ظلمك علي تقدير صحة قوله وقد قيل ان قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك قبل ان يسمع حجة الاخر كانت خطيته
التي استغفر منها واناب **وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم
علي بعض** الخلطا هم الشركا في الاموال ولكن الخلطة اعم من
الشركة الا تري ان الخلطة في المواشي ليست بشركة في
رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بغي
والتسلية بالتاسي للخصم الذي بغي عليه **وقليل ما هم**
ما زايدة للتاكيد **وظن داود انما فتناه** ظن هنا بمعني
شعر بالامر وقيل بمعني ايقن وفتناه معناه اختبرناه
وخر راكعا واناب معني خر القي بنفسه الي الارض وانما حقيقة

ذلك في الصلاة لسجود فقيل ان الركوع هنا بمعني السجود
وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد ان ركع ومعني اناب تاب
وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما يبكي حتي نبت البقل من
دموعه وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعي
الا انه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله واناب
او عند قوله وحسن ماب **وان له عندنا لزلفي وحسن ماب**
الزلفة القربة والمكانة الرفيعة والماب المرجع في الاخرة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض تقديره قال الله
يا داود وخلافة داود بالنبوة والملك قال ابن عطية لا يقال
خليفة الله الا لنبي واما الملوك والخلفا فكل واحد منهم خليفة
الذي قبله وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز **وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما باطلا** اي عبثا بل خلقهما الله
بالحق للاعتبار بهما والاستدلال علي خالقهما **ذلك ظن الذين
كفروا** المعني ان الكفار لما انكروا الحشر والجزا كانت خلقة
السموات والارض عندهم باطلا لغير الحكمة فان الحكمة في ذلك
انما تظهر في الجزا الاخراوي **ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض** ام هنا استفهامية يراد بها الانكار
اي لا نجعل المومنين والمتقين كالمفسدين الفجار بل يجازي كل احد
بعمله لتظهر حكمة الله في الجزا ففي ذلك استدلال علي الحشر
والجزا وفيه ايضا وعد ووعيد **اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد** الصافنات جمع صافن وهو الفرس
الذي يرفع احدي رجليه او يديه ويقف علي طرف الاخري
وقيل الصافن هو الذي يسوي يديه والصفن علامة
علي فراهة الفرس والجياد السريعة الجري واختلف الناس
في قصص هذه الاية فقال الجمهور ان سليمان عليه السلام

عرضت عليه خيل كان ورثها عن ابيه وقيل اخرجتها له الشياطين
من البحر وكانت ذوات اجنحة وكانت الف فرس وقيل اكثر
فتشاغل بالنظر اليها حتي غربت الشمس وفاتته صلاة
العشي وقيل العصر فاسف لذلك وقال ردوا علي الخيل
فطفق يضرب اعناقها وعراقيبها بالسيف حتي عقرها لما
كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها الا اليسير فابدله
الله اسرع منها وهي الريح وانكر بعض العلما هذه الرواية
وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل
لغير فايدة لا يجوز فكيف يفعله سليمان عليه السلام واي
ذنب للخيل في تفويت الصلاة فقال بعضهم انما عقرها
ليا كلها الناس وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا
الي الله وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل بل
كان يصلي فعرضت عليه الخيل فاشار اليهم فازالوها
حتي دخلت اصطبلا تها فلما فرغ من صلاته قال ردوها
علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة وقيل ان
المسح عليها كان وسما في سوقها واعناقها بوسم حبس في
سبيل الله **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** معنى
هذا يختلف علي حسب الاختلاف في القصة فاما الذين
قالوا ان سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتي فاتته الصلاة
فاختلفوا في هذا علي ثلاثة اقوال احدها ان الخير يراد به
الخيل وزعموا ان الخيل يقال لها خير واحببت بمعنى اثرت
او بمعنى فعل يتعدي بعن كانه قال اثرت حب الخيل فشغلني
عن ذكر ربي والاخر ان الخير هنا يراد به المال لان الخيل
وغيرها مال فهو كقوله تعالي ان ترك خيرا اي مالا والثالث
ان المفعول محذوف وحب الخير مصدر والتقدير احببت هذا
الخيل

الخيل مثل حب الخير عن ذكر ربي واما الذين قالوا كان يصلي
فعرضت عليه الخيل فاشار بازالتها فالمعنى انه قال احببت
حب الخير الذي عند الله في الاخرة بسبب ذكر ربي وشغلني
ذلك عن النظر الي الخيل حتي توارت فالجواب ان الضمير
للشمس وان لم يتقدم ذكرها ولكنها تفهم من سياق الكلام
وذكر العشي يقتضيها والمعنى حتي غابت الشمس وقيل ان
الضمير للخيل ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها
والاول اشهر واظهر **ردوها علي** اي قال سليمان ردوا الخيل
علي **مسحا بالسوق والاعناق** السوق جمع ساق يعني سوق الخيل
واعناقها اي جعل يمسحها مسحا وهذا المسح يختلف علي
حسب الاختلاف المتقدم هل هو قطعها وعقرها او مسحها
باليد محبة لها او وسمها للتحبيس **ولقد فتنا سليمان والقينا
علي كرسيه جسدا ثم اناب** تفسير هذه الاية يختلف علي
حسب الاختلاف في قصتها وفي ذلك اربعة اقوال الاول
ان سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله فكان ينزعه
اذا دخل الخلا توقيرا لاسم الله تعالي فنزعه يوما ودفعه
الي جارية فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها
الخاتم فدفعته له وقيل ان اسمه صخر فقعد علي كرسي سليمان
يامر وينهي والناس يظنون انه سليمان وخرج سليمان
فارا بنفسه فاصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد
فيه خاتمه وكان الجني قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم
وعاد الي ملكه ففتنة سليمان علي هذا هي ما جري له من سلبه
ملكه والجسد الذي القي علي كرسيه هو الجني الذي قعد عليه
وسماه جسدا لانه تصور في صورة انسان ومعنى اناب رجع
الي الله بالاستغفار والدعا او رجع الي ملكه والقول الثاني

ان سليمان كان له امراة يحبها وكان ابوها ملكا كافرا فقتله
سليمان فسالته ان يصنع لها صورة ابيها فاطاعها في ذلك فكانت
تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنما معبودا في داره
وسليمان لا يعلم حتى مضت اربعون يوما فلما علم به كسره فالفتنة
على هذا عبادة الصورة والجسد هو الصورة والقول الثالث ان
سليمان كان له ولد وكان يحبه حبا شديدا فقالت الجن ان
عاش هذا الولد ورث ملك ابيه فنبقى في السخرة ابدا فلم
يشعر الا وولده ميت على كرسيه فالفتنة على هذا حبه الولد
والجسد هو الولد لما مات سمي جسدا لانه جسد بلا روح
القول الرابع قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تاتي
كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء
الله فلم تحمل واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق انسان
فالفتنة على هذا كونه لم يقل ان شاء الله والجسد هو شق
الانسان الذي ولدته فاما القول الاول فضعيف من طريق
النقل مع انه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط
الشياطين عليه واما القول الثاني فضعيف ايضا مع انه يبعد
ان يعبد صنم في بيت نبي او يامر نبي بعمل صنم واما القول الثالث
فضعيف ايضا واما القول الرابع فقد روي في الحديث الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر في الحديث
ان ذلك تفسير الاية قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي قدم الاستغفار على طلب الملك لان امور
الدين كانت عندهم اهم من الدنيا فقدم الاولى والاهم فان
قيل لاي شيء قال لا ينبغي لاحد من بعدي وظاهر هذا طلب
الانفراد به حتى قال الحجاج انه كان حسودا فالجواب من وجهين
احدهما انه انما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى

من احد الجني لملكه فقصد ان لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير الى
غيره والاخر انه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته
فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب معنى رخاء لينة
طيبة وقيل طائعة له وقد ذكر الجمع بين هذا وبين قوله
عاصفة في الانبياء وحيث اصاب اي حيث قصد واراده
والشياطين كل بناء وغواص الشياطين معطوف على الريح وكل بناء
بدل من الشياطين اي سخرنا له الريح والشياطين من يبني منهم
ومن يغوص في البحر واخرين مقرنين في الاصفاد اي اخرين
من الشياطين موثوقون في القيود والاغلال هذا عطاؤنا
فامنن او امسك الاشارة الى الملك الذي اعطاه الله والمعنى
ان الله قال له اعط من شئت وامنع من شئت وقيل المعنى امنن
على من شئت من الجن بالاطلاق من القيود وامسك من شئت
منهم في القيود والاول احسن وهو قول ابن عباس بغير
حساب يحتمل ثلاثة معان احدها انه لا يحاسب في الاخرة
على ما فعل والاخر بغير تضييق عليك في الملك والثالث
بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر وان له عندنا لزلفى
قد ذكر في قصة داود واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب قد ذكرنا قصة ايوب عليه السلام
في الانبياء والنصب يقال بضم النون واسكان الصاد وبضم
النون والصاد وبفتحهما ومعناه واحد وهو المشقة فان قيل
لم نسب ما اصابه من البلاء الى الشيطان فالجواب من اربعة
اوجه احدها ان سبب ذلك كان من الشيطان فانه روي انه
دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره وقيل انه كانت له
شاة فذبحها وطبخها وكان له جار فلم يعط جاره منها شيئا والثاني
انه اراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة

البلا فدعا الي الله ان يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك والثالث
انه روي ان الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فهلك ماله وصبر
واهلك اولاده فصبر واصابه الجذام والمرض الشديد فصبر
فنسب ذلك الي الشيطان لتسليط الشيطان عليه والرابع روي
ان الشيطان لقي امراته فقال لها قولي لزوجك ان سجد لي
سجدة اذهبت ما به من المرض فذكرت المراة ذلك لايوب
فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحينيذ دعاها **اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب** التقدير قلنا له اركض برجلك
فضرب الارض برجله فنبعت له عين ما صافية باردة فشرب
منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب
ما كان في ظاهر جسده وروي انه ركض الارض مرتين فنبع
له عينان فشرب من احدهما واغتسل من الاخري **ووهبنا
له اهله** ذكر في الانبيا **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا
تحنث** الضغث القبضة من القضبان وكان ايوب عليه السلام
قد حلف ان يضرب امراته مائة سوط اذا بري من مرضه وكان
سبب ذلك ما ذكرته له من لقا الشيطان وقوله لها ان سجد لي
زوجك اذهبت ما به من المرض فامره ان ياخذ ضغثا فيه مائة
قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبرا في يمينه وقد ورد
مثل هذا عن نبينا صلي الله عليه وسلم في حد رجل زنا
وكان مريضا فامر رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة ذكر ذلك
ابو داود والنسائي واخذ به بعض العلما ولم ياخذ به مالك
ولا اصحابه **اولي الايدي والابصار** الايدي جمع يد وذلك عبارة
عن قوتهم في الاعمال الصالحات وانما عبر عن ذلك بالايدي
لان الاعمال اكثر ما تعمل بالايدي والابصار عبارة عن

قوة

قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك ابصرت الرجل اذا تبينت في الامور
وقيل الايدي جمع يد بمعني النعمة ومعناه اولو النعم التي اسداها
الله اليهم من النبوة والفضيلة وهذا ضعيف لان اليد بمعني النعمة
اكثر ما يجمع علي ايادي وقرا ابن مسعود اولو الايد بغير يا فيحتمل
ان تكون الايدي محذوفة اليا او يكون الايد بمعني القوة كقوله
داود ذا الايد **انا اخلصناهم بخالصة ذكري الدار** معني اخلصناهم
جعلناهم خالصين لنا او خصصناهم دون غيرهم وخالصة
صفة حذف موصوفها تقديره بخصلة خالصة واما البا
في قوله بخالصة فان كان اخلصناهم بمعني جعلناهم
خالصين فالبا سببية للتعليل وان كان اخلصناهم بمعني
خصصناهم فالبا للتعدية الفعل وقرا نافع باضافة
خالصة الي ذكري من غير تنوين وقرا غيره بالتنوين علي ان
تكون ذكري بدلا من خالصة علي وجه البيان والتفسير
لها والدار يحتمل ان يريد به الاخرة او الدنيا فان اراد به
الدنيا ففي المعني ثلاثة اقوال احدها ان ذكري الدار يعني
به ذكرهم للاخرة وحبهم فيها والاخر ان معناه تذكيرهم
للناس بالاخرة وترغيبهم للناس فيما عند الله والثالث
ان معناه ثواب الاخرة اي اخلصناهم بافضل ما في الاخرة
والاول اظهر وان اراد بالدار الدنيا فالمعني حسن الثنا
والذكر الجميل في الدنيا كقوله لسان صدق **الاخيار** جمع
خير بتشديد اليا او خير المخفف من خير كميت مخفف من ميت
وذا الكفل ذكر في الانبيا **هذا ذكر** الاشارة الي ما تقدم في
هذه السورة من ذكر الانبيا وقيل الاشارة الي القران
بجملته والاول اظهر وكان قوله هذا ذكر ختام للكلام
المتقدم ثم شرع بعده في كلام اخر كما يختم المولف بابا ثم

يقول هذا اباب ثم شرع في اخر قاصرات الطرف ذكر في الصافات
اتراب يعني ان اسنانهن سوا يقال فلان ترب فلان اذا كان مثله
في السن وقيل ان اسنانهن واسنان ازواجهن سوا ما لها من نفاد
اي ماله من فنا ولا انقضا هذا وان للطاغين لشر ماب
تقديره الامر هذا لما تم ذكر اهل الجنة ختمه بقوله هذا
ثم ابتدا وصف اهل النار ويعني بالطاغين الكفار هذا فليذوقوه
حميم وغساق هذا مبتدا وخبره حميم وفليذوقوه اعتراض
بينهما والحميم الما الحار والغساق قري بفتح السين وتشديدها
وهو صديد اهل النار وقيل ما يسيل من عيونهم وقيل هو
عذاب لا يعلمه الا الله واخر من شكله ازواج معطوف علي حميم
وغساق تقديره وعذاب اخر قيل يعني الزمهرير ويعني
من شكله من مثله اي ونوعه من مثل العذاب المذكور
وازواج معناه اصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب
والاخر والمعني انهما اصناف من العذاب وقال ابن عطية
اخر مبتدا واختلف في خبره فقيل تقديره ولهم عذاب
اليم وقيل ازواج مبتدا ومن شكله خبر ازواج والجملة
خبر اخر وقيل ازواج خبر الاخر ومن شكله في موضع الصفة
وقري اخر بالجمع وهو اليق ان يكون ازواج خبره لانه جمع مثله
هذا فوج مقتحم معكم الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل
في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به
روسا الكفار الذين دخلوا النار اولا ثم دخل بعدهم اتباعهم
وهم الفوج المشار اليه وقيل هو من كلام اهل النار بعضهم
لبعض والاول اظهر لا مرحبا بهم اي لا يلقون رحبا ولا خيرا
وهو دعا من كلام روسا الكفار اي لا مرحبا بالفوج الذين
هم اتباع لهم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم هذا حكاية كلام الاتباع
للروسا

للروسا لما قالوا لا مرحبا فاجابوهم بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه
لنا هذا ايضا من كلام الاتباع خطابا للروسا وهو تعليل لقولهم
بل انتم لا مرحبا بكم والضمير في قدمتموه للعذاب ومعني قدمتموه
اوجبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من اغوائنا وامركم لنا بالكفر
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار هذا
ايضا من كلام الاتباع دعوا الي الله تعالي ان يضاعف العذاب
لروسايهم الذين اوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هولاء
اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار الضعف زيادة المثل
وقالوا ما لنا لا نري رجالا كنا نعدهم من الاشرار الضمير في قالوا
لروسا الكفار والظاهر وقيل للطاغين والرجال هم ضعفا المومنين
فقيل ان القايلين لذلك ابو جهل لعنه الله وامية بن خلف وعتبة
ابن ربيعة وامثالهم وان الرجال المذكورون هم عمار وبلال
وصهيب وامثالهم واللفظ اعم من ذلك والمعني انهم قالوا في جهنم
ما لنا لا نري في النار رجالا كنا في الدنيا نعدهم من الاشرار
اتخذناهم سخريا قري اتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ انفسهم
علي اتخاذهم المومنين سخريا وقري بالف وصل علي ان تكون
الجملة صفة للرجال وقري سخريا بضم السين من التسخير
بمعني الخدمة وبالكسر من معني الاستهزا ام زاغت عنهم الابصار
هذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون معادلا لقولهم ما لنا لا نري
رجالا والمعني ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها ام هم فيها
ولكن زاغت عنهم ابصارنا ومعني زاغت عنهم الابصار علي هذا
مالت عن النظر اليهم احتقارا لهم الثالث ان تكون ام منقطعة
بمعني بل والهمزة فلا تعادل شيا مما قبلها ان ذلك لحق
الاشارة الي ما تقدم من حكاية اقوال اهل النار ثم فسره بقوله
تخاصم اهل النار واعراب تخاصم بدل من حق او خبر مبتدا مضمر

قل هو نبأ عظيم النبأ الخبر ويعني به ما تضمنته الشريعة من
التوحيد والرسالة والدار الاخرة وقيل هو القران وقيل
يوم القيامة والاول اعم وارجح ما كان لي من علم بالملا الاعلي
اذ يختصمون الملا الاعلي هم الملايكة ومقصد الاية الاحتجاج علي
نبوة محمد صلي الله عليه وسلم لانه اخبر باموز لم يكن يعلمها
قبل ذلك والضمير في يختصمون للملايكة الاعلي واختصامهم
هو في قصة ادم حين قال لهم اني جاعل في الارض خليفة
حسبما تضمنته قصته في مواضع من القران وفي الحديث
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي ربه فقال يا محمد فيم
يختصم الملا الاعلي قال لا ادري قال في الكفارات وهي اسباغ
الوضوء علي المكاره وكثرة الخطا الي المساجد والحديث بطوله
وقيل الضمير في يختصمون للكفار اي يختصمون في الملا الاعلي
فيقول بعضهم هم بنات الله ويقول اخرون هم الهة تعبد
وهذا بعيد اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين
اذ بدل من اذ يختصمون وقد ذكرنا في البقرة معني سجود
الملايكة لادم ومعني كفر ابليس وذكرنا في الحجر معني قوله
تعالي من روحي قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي الضمير في قال وبيدي قيل من المتشابه الذي ينبغي
الايمان به وتسليم حقيقته الي الله وقال المتاولون هو عبارة
عن القدرة وقال القاضي ابو بكر بن الطيب ان اليد والعين
والوجه صفة ذات زايدة علي الصفات المتقرره قال ابن
عطية وهذا قول مرغوب عنه وحكي الزمخشري ان معني
خلقت بيدي خلقته بغير واسطه استكبرت ام كنت من العالين
دخلت همزة الاستفهام علي الف الوصل فحذفت الف الوصل
وام هنا معادلة والمعني استكبرت الان ام كنت قديما ممن يعلوا

ويستكبر

ويستكبر وهذا علي وجه التوبيخ له رجيم اي لعين مطرود الي
يوم الوقت المعلوم يعني القيامة وقد تقدم الكلام علي ذلك
في الحجر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الباء للقسم اقسم ابليس
بعزة الله اي يغوي بني ادم قال فالحق والحق اقول لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين الضمير في قال هنا لله
تعالي والحق الاول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر كقولك
الله لافعلن وجوابه لاملان جهنم وقري بالرفع وهو مبتدا
او خبر مبتدا مضمر تقديره الحق يميني واما الحق الثاني فهو
مفعول باقول وقوله والحق اقول جملة اعتراض بين القسم
وجوابه علي وجه التاكيد للقسم وما انا من المتكلفين اي
الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من اهله ولتعلمن نباه
بعد حين تهديد او وعيد اي لتعلمن صدق خبره بعد حين

سورة الزمر

تنزيل الكتاب تنزيل مبتدا وخبره من الله او خبر ابتدا تقديره
هذا تنزيل ومن الله علي هذا الوجه يتعلق بتنزيل او يكون
خبرا بعد خبر او خبر مبتدا اخر محذوف والكتاب هنا القران
او السورة واختار ابن عطية ان يراد به جنس الكتب المنزلة
واما الكتاب الثاني فهو القران باتفاق بالحق يحتمل معنيين
احدهما ان يكون معناه متضمنا الحق والثاني ان يكون معناه
بالاستحقاق والوجوب مخلصا له الدين اي لا يكون فيه شرك
اصغر ولا اكبر وهو الريا الا لله الدين الخالص قيل معناه من
حقه ومن واجبه ان يكون له الدين الخالص ويحتمل ان يكون
معناه ان الدين الخالص هو دين الله وهو الاسلام الذي شرعه
لعباده ولا يقبل غيره ومعنا الخالص الصافي من شوايب الشرك
وقال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن

هو الاسلام وهذا ارجح لعمومه والذين اتخذوا من دونه اوليا
يريد بالاوليا الشركا المعبودين ويحتمل ان يريد بالذين اتخذوا الكفار
العابدين لهم او الشركا المعبودين والاول اظهر لانه يحتاج على الثاني
الى حذف الضمير العايد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون
ضمير الفاعل في اتخذوا عايدا على غير مذكور وارتفاع الذين على
الوجهين بالابتدا وخبره اما قوله ان الله يحكم بينهم او المحذوف
المقدر قبل قوله ما نعبدهم لان تقديره يقولون ما نعبدهم
والاول ارجح لان المعنى به اكمل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفي هذه الجملة في موضع مفعول قول محذوف والقول في
موضع الحال او في موضع بدل من صلة الذين وقرا ابن مسعود
قالوا ما نعبدهم باظهار القول اي يقول الكفار ما نعبد هولاء
الالهة الا ليقربونا الى الله ويشفعوا لنا عنده ويعني بذلك الكفار
الذين عبدوا الملايكة او الذين عبدوا الاصنام او الذين عبدوا
عيسى او عزيرا فان جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفي قربى
فهو مصدر من يقربونا ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اشارة
الى كذبهم في قولهم ليقربونا الى الله وقوله لا يهدي في تاويله
وجهان احدهما لا يهديه في حال كفره والثاني ان ذلك مختص
بمن قضى عليه بالكفر اعاذنا الله من ذلك وهذا تاويل القوم
الظالمين والكافرين حيثما وقع لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشا الولد يكون على وجهين احدهما بالولادة الحقيقية
وهذا محال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التبني
بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا
لافراط محبته له وذلك ممتنع على الله باخبار الشرع فان قوله
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا على وجه التبني لاصطفى لذلك
مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا

فعله

فعله وقال الزمخشري معناه لو اراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك
ولكنه يصطفي من عباده من يشا على وجه الاختصاص والتقريب
لا على وجه اتخاذه ولدا فاصطفى الملايكة وشرفهم بالتقريب
فحسب الكفار انهم اولاده ثم زادوا على ذلك ان جعلوهم
اناثا فافرطوا في الكفر والكذب على الله وملايكته سبحانه
هو الله الواحد القهار نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم
وصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركا والانداد لان كل شي
مقهور تحت قهره تعالى كيف يكون شريكا له ثم اتبع ذلك
بما ذكره من خلقه السموات والارض وما بينهما لتدل على
وحدانيته وقدرته وعظمته يكور الليل على النهار
التكوير اللف والطي ومنه تكور العمامة التي يلتوي بعضها
على بعض وهو هنا استعارة ومعناه على ما قال ابن عطية
يعيد من هذا على هذا فكان الذي يطيل من النهار او الليل
يصير منه على الاخر جزا فيستره وكان الذي ينقص يدخل
في الذي يطول فيستتر فيه ويحتمل ان يكون المعنى ان كل
واحد منهما يغلب الاخر اذا طرا عليه فشبه في ستره له بثوب
يلف على اخر لاجل مسمى يعني يوم القيامة منذ خلقكم من نفس واحدة يعني ادم
عليه السلام ثم جعل منها زوجها يعني حوا خلقها من ضلع ادم فان
قيل كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التي تقتضي الترتيب
والمهلة ولا شك ان خلقة حوا كانت قبل خلقة بني ادم فالجواب
من ثلاثة اوجه الاول وهو المختار ان العطف انما هو على معنى
قوله واحدة لا على خلقكم كانه قال خلقكم من نفس كانت
واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني ان ثم لترتيب
الاخبار لا لترتيب الوجود الثالث يعني بقوله خلقكم اخراج
بني ادم من صلب ابيهم كالذر وذلك كان قبل خلقة حوا
واترك

لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني المذكورة في الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وسماهم ازواجا لان الذكر زوج الانثي والانثي زوج للذكر وانما لفظ انزل ففيه ثلاثة اوجه الاول ان الله خلق اول هذه الازواج في السما ثم انزلها الثاني ان معني انزل قضي وقسم فالانزال عبارة عن نزول امره وقضايه الثالث انه انزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الانعام فعبر بانزالها عن انزال ارزاقها وهذا بعيد خلقا من بعد خلق يعني ان الانسان تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة الي ان يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح في ظلمات ثلاث هي البطن والرحم والمشيمة وقيل صلب الاب والرحم والمشيمة والاول ارجح لقوله بطون امهاتكم ولم يذكر الصلب ان تكفروا فان الله غني عنكم اي لا يضره كفركم ولا يرضي لعباده الكفر تاول الاشعرية هذه الاية علي وجهين احدهما ان الرضي بمعني الارادة ويعني بعباده من قضي الله له بالايمان والوفاة عليه فهو كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والاخر ان الرضي غير الارادة والعباد علي هذا علي العموم اي لا يرضي الكفر لاحد من البشر وان كان قد اراد ان يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا واراده وقوعا ووجودا واما المعتزلة فان الرضي عندهم بمعني الارادة والعباد علي العموم جريا علي قاعدتهم في القدر وافعال العباد وان تشكروا يرضه لكم هذا عموم والشكر الحقيقي يتضمن الايمان ولا تزر وازرة وزر اخري ذكر في الاسرا واذا مس الانسان ضر الاية يراد بالانسان هنا الكافر بدليل قوله جعل لله اندادا والقصد بهذه الاية عتاب واقامة حجة بالعتاب علي الكفار وترك دعا الله واقامة الحجة علي الانسان بدعايه

الي

الي الله في الشدايد فان قيل لم قال هنا واذا مس بالواو وقال بعدها فاذا مس بالفا فالجواب ان الذي بالفا مسبب عن قوله اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة فجا بفا التسبيب قاله الزمخشري وهو بعيد ثم اذا خوله نعمة منه خوله اعطاه والنعمة هنا يحتمل ان يريد بها كشف الضر المذكور او اي نعمة كانت نسي ما كان يدعوا اليه من قبل يحتمل ان تكون ما مصدرية اي نسي دعاه او تكون بمعني الذي والمراد بها الله تعالي امن هو قانت بتخفيف الميم علي ادخال همزة الاستفهام علي من وقيل هي همزة النداء والاول اظهر وقري بتشديدها علي ادخال ام علي من ومن مبتدا وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره ام من هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والقنوت هنا بمعني الطاعة والصلاة بالليل واناء الليل ساعاته قل يا عباد الذين امنوا الاية نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حين عزموا علي الهجرة الي ارض الحبشة ومعناها التانيس لهم والتنشيط علي الهجرة للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يحتمل ان يتعلق في هذه الدنيا باحسنوا والمعني الذين احسنوا في الدنيا لهم حسنة في الاخرة او يتعلق بحسنة والحسنة علي هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والاول ارجح وارض الله واسعة يراد البلاد المجاورة للارض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض علي الهجرة انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب هذا يحتمل وجهين احدهما ان الصابر يوفي اجره ولا يحاسب علي اعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثاني ان اجر الصابر بغير حصر بل اكثر من ان يحصر بعدد او وزن وهذا قول الجمهور

وامرت لان اكون اول المسلمين اللام هنا يجوز ان تكون زايدة او
للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوفا فان قيل كيف
عطف امرت على امرت والمعنى واحد فالجواب ان الاول امر
بالعبادة والاخلاص والثاني امر بالسبق فهما معنيان اثنان
وكذلك قوله قل الله اعبد ليس تكرار لقوله امرت ان اعبد
الله لان الاول اخبار بانه مامور بالعبادة والثاني اخبار
بانه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص
العبادة به وحده **فاعبدوا ما شئتم من دونه** هذا تهديد
في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه **ظلل** جمع ظلة
بالضم وهو ما غشي من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين
واما من تحتهم فجعلهم فسماه ظلة لانه سقف لمن تحتهم
فان جهنم طبقات وقيل سماه ظلة لانه يتلهب ويصعد
من اسفلهم الى فوقهم **الذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها**
قيل انها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد
وسعيد وطلحة والزبير اذ دعاهم ابو بكر الصديق الى الايمان
فامنوا وقيل نزلت في ابي ذر وسلمان وهذا ضعيف
لان سلمان انما اسلم بالمدينة والاية مكية والاظهر انها
عامة والطاغوت كل ما عبد من دون الله وقيل الشياطين
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل يستمعون القول
على العموم فيتبعون القران لانه احسن الكلام وقيل يستمعون
القران فيتبعون باعمالهم احسنه من العفو الذي هو احسن
من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذي يستمع حديثا
فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا
قول ابن عباس وهو الاظهر وقال ابن عطية هو عام في
جميع الاقوال والقول الثناء على هولا بعبادتهم ونظرهم بد

يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطا فيتبعون
الاحسن من ذلك وقال الزمخشري مثل هذا المعنى افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار فيها وجهان احدهما
ان يكون الكلام جملة واحدة تقديره افمن حق عليه كلمة العذاب
انت تنقذ فوضع من في النار موضع المضمر والهمزة في قوله
افانت هي الهمزة التي في قوله افمن وهي همزة الانكار كررت
للتاكيد والثاني ان يكون التقدير افمن حق عليه كلمة
العذاب تتاسف عليه فحذف الخبر ثم استانف قوله افانت
تنقذ من في النار وعلى هذا يوقف على العذاب والاول ارجح
لعدم الاضمار **فسلكه ينابيع في الارض** معنى سلكه ادخله
واجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين وفي هذا دليل على
ان ما العيون من المطر **مختلفا الوانه** اي اصنافه كالقمح والارز
والفول وغير ذلك وقيل الوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك
وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على اهل الطبايع
افمن شرح الله صدره للاسلام تقديره افمن شرح الله صدره
كالقاسي قلبه وروي ان الذي شرح الله صدره للاسلام
علي بن ابي طالب وحمزة والمراد بالقاسية قلوبهم ابو لهب
واولاده واللفظ اعم من ذلك **من ذكر الله** قال الزمخشري
من هنا سببية اي قلوبهم قاسية من اجل ذكر الله وهذا
المعنى بعيد ويحتمل عندي ان يكون قاسية تضمن معنى
خالية ولذلك تعدى بمن والمعنى ان قلوبهم خالية من
ذكر الله **الله نزل احسن الحديث** يعني القران **كتابا** بدل
من احسن او حال منه **متشابها** معناه هنا انه يشبه بعضه
بعضا في الفصاحة والنطق بالحق وانه ليس فيه تناقض
ولا اختلاف **مثاني** جمع مثنى اي تثنى فيه وتكرر ويحتمل

ان يكون مشتقا من التثنية لانه يثني فيه على الله فان قيل مثاني
جمع فكيف وصف به المفرد فالجواب ان القران ينقسم الى سور
وايات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار ويجوز ان يكون كقولهم
برمة اعشار وثوب اخلاق او يكون تمييزا من متشابها
كقولك حسن شمايل ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ان قيل كيف تعدى تلين بالى فالجواب انه تضمن معنى
فعل تعدى بالى كانه قال تميل او تسكن او تطمين قلوبهم
الى ذكر الله فان قيل لم ذكرت الجلود اولا وحدها ثم ذكرت
القلوب بعد ذلك معها فالجواب انه لما قال اولا تقشعر ذكر
الجلود وحدها لان القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف
غيرها ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب لان اللين
توصف به الجلود والقلوب اما لين القلوب فهو ضد قسوتها
واما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت اولا من
الخوف ثم لانت بالرجا ذلك هدى الله يحتمل ان تكون الاشارة
الى القران او الى الخشية واقشعرار الجلود افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب الخبر محذوف كما تقدم في نظايره تقديره افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب ومعنى يتقي يلقى
النار بوجهه ليكفها عن نفسه وذلك ان الانسان اذا لقي شيا
من الخوف استقبله بيده وايدي هولا مغلولة فاتقوا النار
بوجوههم ذوقوا ما كنتم تكسبون اي ذوقوا جزا ما كنتم تكسبون
من الكفر والعصيان قرانا عربيا نصب على الحال او بفعل مضمر على
المدح غير ذي عوج اي ليس فيه تناقض ولا اختلاف ولا عيب
من العيوب التي في كلام البشر وقيل معناه غير مخلوق وقيل
غير ذي لحن فان قيل لم قال غير ذي عوج ولم يقل غير معوج
فالجواب ان قوله غير ذي عوج ابلغ في نفي العوج عنه

سبحانه

سبحانه قال ليس فيه شي من العوج اصلا رجلا فيه شركا متشاكسون
اي متنازعون متظالمون وقيل متشاجرون واصله من قولك
رجل شكس اذا كان ضيق الصدر والمعنى ضرب هذا المثل لبيان
حال من يشرك بالله ومن يوحده فشبه المشرك بمملوك بين
جماعة من الشركا يتنازعون فيه والمملوك بينهم في اسوء حال
وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد فمعنى قوله سالما
لرجل اي خالصا وقرى سلما بغير الف والمعنى واحد انك ميت
وانهم ميتون في هذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد
للكفار فانهم اذا ماتوا الكل وصاروا الى الله فاز من كان على الحق
وهلك من كان على الباطل وفيه ايضا اخبار بانه صلى الله عليه
وسلم سيموت لئلا يختلف الناس في موته كما اختلفت الامم في
غيره وقد جا انه لما مات صلى الله عليه وسلم انكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
موته حتى احتج عليه ابو بكر الصديق بهذه الاية فرجع اليها
تختصمون قيل يعني الاختصام في الدما وقيل في الحقوق
والاظهر انه اختصام النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار
في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل ان يكون على
العموم في اختصام الخلايق فيما بينهم من المظالم وغيرها فمن اظلم
ممن كذب على الله المعنى لا احد اظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب
هنا ما نسبوا له من الشركا والاولاد وكذب بالصدق اي كذب بالاسلام
والشريعة والذي جا بالصدق وصدق به قيل الذي جا بالصدق
النبي صلى الله عليه وسلم وصدق به وقيل الذي جا بالصدق
محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر وقيل
الذي جا بالصدق جبريل والذي صدق به محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل الذي جا بالصدق الانبيا والذي صدق به
المومنون واختار ابن عطيه ان يكون على العموم وجعل الذي

للجنس كما قال الفريق الذي لانه في مقابلة من كذب على الله
وكذب بالصدق والمراد به العموم اليس الله بكاف عبده تقوية
لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وازالة الخوف الذي كان الكفار
يخوفونه ولين سالتهم الاية احتجاج على التوحيد ورد على المشركين
هل هن كاشفات ضره الاية رد على المشركين وبرهان على
الوحدانية وروي ان سببها ان المشركين خوفوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الهتهم فنزلت الاية منبهة انهم
لا يقدرون على شي فان قيل كيف قال كاشفات وممسكات
بالتانيث فالجواب انها لا تعقل فعاملها معاملة المونثة
وايضا ففي تانيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها اعملوا على
مكانتكم تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف بالحق ذكر في
اول السورة الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها هذه الاية اعتبار ومعناها ان الله يتوفى النفوس
على وجهين احدهما وفاة كاملة حقيقة وهي الموت والاخر
وفاة النوم لان النايم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع
ومنه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وتقدير ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت اي يمسك
الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي ومعنى امساكها انه لا يردها
الى الدنيا ويرسل الاخرى الى اجل مسمى اي يرسل الانفس
النايمة وارسالها هو ردها الى الدنيا والاجل المسمى هو اجل
الموت الحقيقي وقد تكلم الناس في النفس والروح واكثروا القول
في ذلك بالظن دون تحقيق والصحيح ان هذا مما استاثر الله
بعلمه لقوله قل الروح من امر ربي ام اتخذوا من دون الله شفعا
ام هنا بمعنى بل وهمزة الانكار والشفعا هم الاصنام وغيرها
لقولهم هولا شفعاونا عند الله قل اولو كانوا دخلت همزة الاستفهام

علي

على واو الحال تقديره ايشفعون وهم لا يملكون شيا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يشفع احد اليه الا باذنه
وفي هذا رد على الكفار في قولهم ان الاصنام تشفع لهم واذا ذكر
الله وحده الاية معناها ان الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون
الاشراك به ومعنى اشمازت انقبضت من شدة الكراهة وروي
ان هذه الاية نزلت حين قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة والنجم فالقى الشيطان في امنيته حسبما ذكرنا في الحج
فاستبشر الكفار بما القى الشيطان من تعظيم اللات والعزى فلما
اذهب الله ما القى الشيطان استكبروا واشمازوا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم يوم القيامة خلاف
ما كانوا يظنون لانهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة قال الزمخشري
المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم اي ظهر لهم من عذاب
الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الرعد فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل معناها عملوا اعمالا حسبوها
حسنات فاذا هي سيات وقال الحسن ويل لاهل الريا من هذه
الاية وهذا على انها في المسلمين والظاهر انها في الكفار وحاق
بهم ما كانوا به يستهزون معنى حاق حل ونزل وقال ابن
عطية وغيره ان هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزا
ما كانوا به يستهزون ويحتمل ان يكون الكلام دون حذف ومعناه
وهو احسن ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزون
لانهم كانوا في الدنيا يستهزون اذا خوفوا بعذاب الله ويقولون
متى هذا الوعد قال انما اوتيته على علم يحتمل وجهين احدهما
وهو الاظهر ان يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع والاخر
على علم الله باستحقاقي لذلك وانما يحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر
ان يكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال والاخر ان تكون ما

اسراف وعلي علم خبرها وانما قال اوتيته بالضمير المذكر وهو عايد
علي النعمة للحمل علي المعني بل هي فتنة رد علي الذي قال انما اوتيته
علي علم قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون وغيره قل يا عبادي
الذين اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال علي بن ابي
طالب وابن مسعود هذه ارجي اية في القران روي ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ما احب ان لي من الدنيا وما
فيها بهذه الاية واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشي قاتل
حمزة لما اراد ان يسلم وخاف ان لا يغفر له ما وقع فيه من قتل
حمزة وقيل نزلت في قوم امنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتتنوا
ثم ندموا وظنوا انهم لا توبة لهم وهذا قول عمر بن الخطاب
وقد كتب بها الي هشام بن العاصي لما جري له ذلك وقيل نزلت
في قوم من اهل الجاهلية قالوا ما ينفعنا الاسلام وقد زنينا
وقتلنا النفوس فنزلت الاية فيهم ومعناها علي ذلك علي
العموم في جميع الناس الي يوم القيامة علي تفصيل نذكره
وذلك ان الذين اسرفوا علي انفسهم ان اراد بهم الكفار فقد
اجتمعت الامة علي انهم اذا اسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم
لقوله صلي الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله وانهم
ان ماتوا علي الكفر فان الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وان
اراد به العصاة من المسلمين فان العاصي اذا تاب غفر الله
له ذنوبه وان لم يتب فهو في مشية الله ان شا عذبه وان
شا غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الاية يحتمل ان يريد
بها المغفرة للكفار اذا اسلموا وللعصاة اذا تابوا اذا تفضل
الله عليهم بالمغفرة والظاهر انها نزلت في الكفار وان المغفرة
المذكورة هي لهم اذا اسلموا والدليل علي انها في الكفار ما ذكر
بعدها الي قوله قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت

من

من الكافرين واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني اتبعوا
القران وليس المعني ان بعض القران احسن من بعض انما هو في الاتباع
وقيل يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد ان تقول
نفس في موضع مفعول من اجله تقديره كراهة ان تقول
نفس وانما ذكر النفس لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس
الكفار في جنب الله اي في حق الله وقيل في امر الله واصله
من الجنب بمعني الجانب ثم استعير لهذا المعني الساخرين
اي المستهزئين بلي جواب للنفس التي حكي كلامها ولا يجاب ببلي
الا النفي وهي هنا جواب لقوله لو ان الله هداني لكنت من
المتقين لانه في معني النفي لان لو حرف امتناع وتقدير الجواب
بلي قد جاتك الهدي من الله بارساله الرسل وانزاله الكتب
وقال ابن عطية بلي جواب لقوله لو ان لي كرة فانه معناه
يقتضي ان يتسع النظر فقيل له بلي علي وجه الرد عليه
والاول اليق بسياق الكلام لان قوله قد جاتك الاية تفسير
لما تضمنته بلي وجوههم مسودة يحتمل ان يريد سواد اللون
حقيقة او يكون عبارة عن شدة الكرب بمفازتهم اصله
من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بحسنا تهم
وقيل معناه بفضائلهم وهو علي كل شي وكيل اي قايم بتدبير
كل شي مقاليد مفاتيح وقيل خزاين وواحدها مقليد وقيل
اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها واصلها كلمة فارسية وقال
عثمان بن عفان سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم
عن مقاليد السموات والارض فقال هي لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو علي كل شي قدير وان صح هذا الحديث فمعناه ان من

قال هذه الكلمات خالصا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات
والارض لان هذه الكلمات توصل الي ذلك فكانهما مفاتيح له
والذين كفروا الاية قال الزمخشري انه متصلة بقوله وينجي
الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض افغير الله
منصوب باعبد تامروني حذفت احدي النونين تخفيفا وقرئ بادغام
احدي النونين في الاخري لين اشركت ليحبطن عملك دليل
علي احباط عمل المرتد مطلقا خلافا للشافعي في قوله لا يحبط
عمله الا اذا مات علي الكفر فان قيل الوحي اليهم جماعة والخطاب
بقوله لين اشركت لواحد فالجواب انه اوحي ذلك الي كل واحد
منهم علي حدته فان قيل كيف خوطب الانبيا بذلك وهم
معصومون من الشرك فالجواب ان ذلك علي وجه الفرض
والتقدير اي لو وقع منهم شرك لحبطت اعمالهم لكنهم لم يقع
منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل ان يكون الخطاب لغيرهم
وخوطبوا هم ليدل المعني علي غيرهم بالطريق الاولي
وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه
بما يجب له ولا نزهوه عما لا يليق به والضمير في قدروا للقريش
وقيل لليهود والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد علي
الكفار الذين ما قدروه حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم
في غيرها من المشكلات فقالت المتاولة ان القبضة واليمين
عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب انما صفة زايدة علي
صفات الذات واما السلف الصالح فسلموا علم ذلك الي الله
وراوا ان هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته الا الله
وقد قال ابن عباس ما معناه ان الارض قبضت والسموات
مطويات كل ذلك بيمينه وقال ابن عمر ما معناه ان الارض في

قبضة

في قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الاخري لان
كلتا يديه يمين ونفخ في الصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل ان قبلها نفخة
الفزع ولم تذكر في هذه الاية الا من شا الله قيل يعني جبريل
واسرافيل وميكايل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك
وقيل استثني الانبيا وقيل الشهدا ثم نفخ فيه اخري هي نفخة
القيام قيام ينظرون قيل انه من النظر وقيل من الانتظار اي
ينتظرون ما يفعل بهم ووضع الكتاب يعني صحايف الاعمال
وانما وحدها لانه اراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ وجي
بالنبيين ليشهدوا علي قومهم والشهدا يحتمل ان يكون جمع شاهد
او جمع شهيد في سبيل الله والاول ارجح لان فيه ذكر الوعيد معني
ولانه اليق بذكر الانبيا الشاهدين والمراد علي هذا امة محمد
صلي الله عليه وسلم لانهم يشهدون علي الناس وقيل يعني
الملايكة الحفظة وقضي بينهم الضمير لجميع الخلق زمرا في المومنين
جمع زمرة وهي الجماعة من الناس وقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة وجوههم علي مثل القمر
ليلة البدر والزمرة الثانية علي مثل اشد نجم في السماء
اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل خزنتها جمع خازن حيث وقع
كلمة العذاب يعني القضا السابق بعذابهم وفتحت ابوابها انما قال
في الجنة وفتحت ابوابها بالواو وقال في النار فتحت بغير
واو لان ابواب الجنة كانت مفتحة قبل مجي اهلها والمعني حتي
اذا جاوها وابوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب اذا علي
هذا محذوف واما ابواب النار فانما فتحت حين جاوها
فوقع قوله فتحت جواب للشرط فكان بغير واو وقال الكوفيون
الواو في ابواب الجنة واو الثمانية لان ابواب الجنة ثمانية

وقيل الواو زايدة وفتحت هو الجواب **واورثنا الارض** يعني ارض الجنة
والوراثة هنا استعارة كانهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة **نتبوء**
اي نتنزل من الجنة حيث نشا ونتخذه مسكنا **حافين من حول**
العرش اي محفين به دايرين حوله **وقضي بينهم** الضمير لجميع الخلق
كالموضع الاول ويحتمل هنا ان يكون للملايكة والقضا بينهم توفية
اجورهم علي حسب منازلهم **وقيل الحمد لله رب العالمين**
يحتمل ان يكون القايل لذلك الملايكة او جميع الخلق او اهل الجنة
لقوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

سورة غافر

حم تقدم الكلام علي حروف الهجا وتختص حم بان معناها
حم الامر اي تقضي وقال ابن عباس الر وحم ون هي حروف
الرحمن **تنزيل الكتاب** ذكر في الزمر **ذي الطول** اي ذي الفضل
والانعام وقيل الطول الغني والسعة **فلا يغررك تقلبهم في البلاد**
جعل لا يغررك بمعني لا يحزنك ففيه تسلية للنبي صلي الله عليه
وسلم ووعيد للكفار والاحزاب يراد بهم عاد وثمود وغيرهم
لياخذوه اي ليقتلوه **ليدحضوا** اي ليبطلوا به الحق **حقت**
كلمة ربك اي وجب قضاوه **ومن حوله** عطف علي الذين
يحملون **ويومنون به** ان قيل ما فايدة قوله ويومنون به ومعلوم
ان حملة العرش ومن حوله يومنون به فالجواب ان ذلك اظهار
لفضيلة الايمان وشرفه قال ذلك الزمخشري وقال ان فيه
فايدة اخري وهي ان معرفة حملة العرش بالله تعالي من طريق
النظر والاستدلال كساير الخلق لا بالروية وهذه نزعة
الي مذهب المعتزله في استحالة روية الله **وسعت كل شي رحمة**
وعلما اصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شي فالسعة في المعني
مسندة الي الرحمة والعلم وانما اسندت الي الله تعالي في اللفظ

لقصد

لقصد المبالغة في وصف الله تعالي بهما كان ذاته رحمة وعلم واسعان
كل شي **وقهم السيات** يحتمل ان يكون المعني قهم السيات نفسها بحيث
لا يفعلونها او يكون المعني قهم جزا السيات فلا تواخذهم بها
ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم المقت
البغض الذي يوجبه ذنب او عيب وهذه الحال تكون للكفار عند
دخولهم النار فانهم اذا دخلوها مقتوا انفسهم اي مقت بعضهم
بعضا ويحتمل ان يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملايكة
وتقول لهم مقت الله لكم في الدنيا علي كفركم اكبر من مقتكم انفسكم
اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف الي الفاعل وحذف المفعول
لدلالة الثاني معمول مقتكم عليه وقوله اذ تدعون ظرف
العامل فيه مقت الله عاملا في الظرف ولم يعتبر الوقت من
طريق المعني ويمتنع ان يعمل فيه من طريق قوانين النحو لان
مقت الله مصدر فلا يجوز ان يفصل بينه وبين بعض صلته
فيحتاج ان يقدر للظرف عامل وعلي هذا اجاز بعضهم الوقف
علي قوله انفسكم والابتدا بالظرف وهذا ضعيف لان المراعي
المعني وقد جعل الزمخشري مقت الله عاملا في الظرف ولم يعتبر
الفصل **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين** هذه الاية
كقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الاولي
عبارة عن كونهم عدما او كونهم في الاصلاب او في الارحام والموتة
الثانية الموت المعروف والحياة الاولي حياة الدنيا والثانية
حياة البعث في القيامة وقيل الحياة الاولي حياة الدنيا والثانية
الحياة في القبر والموتة الاولي الموت المعروف والموتة الثانية
بعد حياة القبر وهذا قول فاسد لانه لا بد من الحياة للبعث
فتجي الحياة ثلاث مرات فان قيل كيف اتصال قولهم امتنا
اثنتين واحييتنا بما قبله فالجواب انهم كانوا في الدنيا يكفرون

بالبعث فلما دخلوا النار ومقتوا انفسهم على ذلك فاقروا به حينئذ ليرضوا
الله باقرارهم حينئذ فقولهم امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اقرار
بالبعث على اكمل الوجوه طمعا منهم ان يخرجوا عن المقت الذي
مقتهم الله اذ كانوا يدعون الى الاسلام فيكفرون فاعترفنا بذنوبنا
الفا ههنا رابطة معناها التسبيب فان قيل كيف امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين سببا لاعترافهم بالذنوب فالجواب انهم
كانوا كافرين بالبعث فلما راوا الاماتة والاحيا قد تكرر عليهم
علموا ان الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهي انكار
البعث وما اوجب لهم انكاره من المعاصي فان من لم يومن
بالاخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم البا سببيه للتعليل والاشارة بذلكم يحتمل ان
تكون للعذاب الذي هم فيه او الى مقت الله لهم او مقتهم لانفسهم
والاحسن ان تكون اشارة الى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك
انهم لما قالوا فهل الى خروج من سبيل كانهم قيل لهم لا سبيل الى
الخروج فالاشارة بقوله ذلكم الى عدم خروجهم من النار
يريكم اياته يعني العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات
رسله وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر رفيع الدرجات يحتمل
ان يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالي او رافع درجات
عباده في الجنة وفي الدنيا يلقي الروح يعني الوحي من امره
يحتمل ان يريد الامر الذي هو واحد الامور او الامر بالخير فعلى
الاول تكون من للتبعيض او لابتدا الغاية وعلى الثاني تكون
لابتدا الغاية او بمعنى البا يوم التلاق يعني يوم القيامة
وسمي بذلك لان الخلايق يلتقون فيه وقيل لانه يلتقي فيه
اهل السموات والارض وقيل لانه يلتقي الخلق مع ربهم
والفاعل في ينذر ضمير يعود على من يشا او على الروح اد

على الله لمن الملك اليوم هذا من كلام الله تعالى تقريرا للخلق
فيجيبون ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذي
يجيب نفسه لان الخلق سيسكتون هيبة له وقيل ان القايل
لمن الملك اليوم ملك يوم الازفة القيامة ومعناه القريبة
اذ القلوب لدى الحناجر معناه ان القلوب قد صعدت من الصدور
لشدة الخوف حتى بلغت الى الحناجر فيحتمل ان يكون ذلك حقيقة
او مجازا عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق
كاظمين اي محزونين حزنا شديدا كقوله فهو كظيم وقيل
معناه يكظمون حزنهم اي يطمعون ان يخفوه والحال تغلبهم
وانتصابه على الحال من اصحاب القلوب وجمعها جمع المذكر
لما وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلا ما للظالمين من حميم
اي صديق مشفق ولا شفيع يطاع يحتمل ان يكون نفي الشفاعة
وطاعة الشفيع او نفي طاعة الشفيع خاصة كقولك ما جاني
رجل صالح فنفيت الصلاح وان كان قد جاك رجل غير صالح
والاول احسن لان الكفار ليس لهم من يشفع فيهم يعلم خاينة
الاعين اي استراق النظر والخاينة مصدر بمعنى الخيانة او وصف
للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض في اثنا
ذلك بوصف القيامة لما استطرد اليه من قوله يوم التلاق
وسلطان مبين حجة ظاهرة وهي المعجزات قالوا اقتلوا ابنا الذين
امنوا معه هذا القتل الذي كانوا يقتلونه اولا قبل ميلاد موسى
وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه المعنى انه لا يبالي
بدعا موسى لربه ولا يخاف من ذلك ان قتله ويظهر من قوله
ذروني انه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى وذلك
يدل على ان فرعون كان قد اضطرب امره بظهور معجزات موسى
وان يظهر في الارض الفساد يعني فساد احوالهم في الدنيا

وقري وان يظهر بالواو وباو ويظهر بفتح اليا ورفع الفساد على
الفاعلية وبضم اليا ونصب الفساد على المفعولية وقال موسي
اني عذت الاية لما سمع موسي ما هم به فرعون من قتله
استعاذ بالله فعصمه الله منه وقال من كل متكبر ليشمل فرعون وغيره
وليكون وصف لشر فرعون بذلك الوصف القبيح وقال رجل
مومن من ال فرعون قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل
وقيل شمعون بالشين المعجمة وروي ان هذا الرجل المومن كان
ابن عم فرعون فقوله من ال فرعون صفة للمومن وقيل كان
من بني اسرايل فقوله من ال فرعون على هذا يتعلق بقوله
يكتم ايمانه والاول ارجح لانه لا يحتاج فيه الي تقديم وتاخير
ولقوله فمن ينصرنا من باس الله لان هذا الكلام من قريب شفيق
ولان بني اسرايل حينيذ كانوا اذلا بحيث لا يتكلم احد منهم
بمثل هذا الكلام وان يقول في موضع المفعول من اجله تقديره
اتقتلونه من اجل ان يقول ربي الله وان يك كاذبا فعليه
كذبه اي ان كان موسي كاذبا في دعوي الرسالة فلا يضركم
كذبه فلاي شي تقتلونه فان قيل كيف قال وان يك كاذبا
بعد ان كان قد امن به فالجواب انه لم يقل ذلك على وجه
التكذيب له وانما قاله على وجه الفرض والتقدير
وقصد بذلك المحاجة لقومه فقسم امر موسي الي قسمين
ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم قيل ان بعض هنا
بمعني كل وذلك بعيد وانما قال بعض ولم يقل كل مع ان الذي
يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام ويبعد عن
التعصب لموسي ويظهر النصيحة لفرعون وقومه فيرتجي
اجابتهم للحق وقال الذي امن هو المومن المذكور اولا وقيل

هو موسي عليه السلام وهذا بعيد وانما توهموا ذلك لانه
صرح هنا بالايمان وكان كلام المومن اولا غير صريح بل كانت
فيه تورية وملاطفة لقومه اذ كان يكتم ايمانه والجواب
انه كتم امره في اول الامر ثم صرح به بعد ذلك وجاهرهم
مجاهرة ظاهرة لما وثق بالله حسبما حكي الله من كلامه
اي قومه فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الي الله
يوم التناد يعني يوم القيامة سمي بذلك لان المنادي ينادي
الناس وذلك قوله يوم ندعوا كل اناس وقيل ان بعضهم
ينادي بعضا اي ينادي اهل الجنة ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا وينادي اهل النار ان افيضوا علينا من الما يوم
تولون مدبرين اي منطلقين الي النار وقيل هاربين
من النار ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات قيل هو يوسف
ابن يعقوب وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب
والبينات التي جا بها يوسف لم تتعين لنا واختلف هل ادركه
فرعون او فرعون اخر قبله لان كل من ملك مصر يقال له
فرعون قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كلامهم هذا لا يدل
على انهم مومنون برسالة يوسف وانما مرادهم لم يات احد
يدعي الرسالة قاله ابن عطية وقال الزمخشري انما هو
تكذيب لرسالة من بعده مضموم الي تكذيب رسالته
الذين يجادلون بدل من مسرف مرتاب وانما جاز ابدال
الجمع من المفرد لانه في معني الجمع كانه قال كل مسرف كبر
مقتا فاعل كبر يجادلون وقال الزمخشري الفاعل ضمير من
هو مسرف الاسباب الاسباب هنا الطرق وقيل الابواب
وكررها للتفخيم والبيان فاطلع بالرفع عطف على ابلغ وبالنصب
باضمار ان في جواب لعلي لان الترجي غير واجب فهو كالتمني

في انتصاب جوابه ولا تقول ان لعل اشربت معني ليت كما قال
بعض النحاة تباب اي خسران متاع اي يتمتع به قليلا فان قيل
لم كرر المومن ندا قومه مرارا فالجواب ان ذلك لقصد التنبيه
لهم واظهار الملاطفة والنصيحة فان قيل لم جا بالواو في قوله
ويا قوم في الثالث دون الثاني فالجواب ان الثاني بيان للاول
وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فانه كلام اخر
فصح عطفه عليه ما ليس لي به علم اي ليس لي علم بربوبيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله
واذا لم يكن العالم يصح علم ربوبيته لا جرم اي لا بد ولا شك
ليس له دعوة قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق يجب ان يدعا
اليه كانه قال اندعونني الي عبادة ما لا خطر له في الدنيا
ولا في الاخرة ويحتمل اللفظ ان يكون معناه ليس له دعوة
قابلة اي لا يدعو احد الي عبادته فوقاه الله سيات ما مكروا
دليل علي ان من فوض امره الي الله عز وجل كان الله معه
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا النار بدل من سو العذاب
او مبتدا او خبر مبتدا مضمر وعرضهم عليها من حين موتهم
الي يوم القيامة وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم
القيامة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واستدل اهل
السنة بذلك علي ما ورد من عذاب القبر وروي ان ارواحهم
في جيوف طيور سود تروح بهم وتغدو الي النار غدوا وعشيا
قيل معناه في كل غدوة وعشية من ايام الدنيا وقيل المعني
علي تقدير ما بين الغدوة والعشيه لان الاخرة لا غدوة فيها
ولا عشية لخزنة جهنم ان قيل هلا قال الذين في النار لخزنتها
فلم صرح باسمها فالجواب ان في ذكر جهنم تهويلا ليس في
ذكر الضمير وما دعا الكافرين الا في ضلال يحتمل ان يكون من

كلام

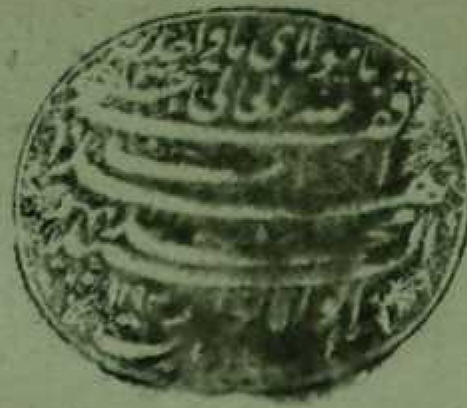

كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقوله فادعوا او يكون من كلام
الله تعالي استينافا انا لننصر رسلنا قيل ان هذا خاص فيمن
اظهره الله علي الكفار وليس بعام لان من الانبيا من قتله قومه
كزكريا ويحيي والصحيح انه عام والجواب عما ذكروه ان زكريا ويحيي
لم يكونا من الرسل انما كانا من الانبيا الذين ليسوا بمرسلين
وانما ضمن الله نصر الرسل خاصة لا نصر الانبيا كلهم ويوم يقوم
الاشهاد يعني يوم القيامة والاشهاد جمع شاهد او شهيد
ويحتمل ان يكون الحضور والشهادة علي الناس لقوله فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
يحتمل انهم لا يقدرون ان يعتذرون او يعتذرون ولكن لا تنفعهم
معذرتهم والاول ارجح لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون
تنفي الاعتذار والانتفاع به ان وعد الله حق يعني وعده
لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم بالنصر والظهور علي اعدايه
الكفار بالعشي والابكار قيل العشي صلاة العصر والابكار صلاة
الصبح وقيل العشي بعد العصر الي الغروب والابكار من طلوع
الفجر الي طلوع الشمس ان الذين يجادلون يعني كفار قريش
ان في صدورهم الا كبر اي تكبر وتعاظم يمنعهم من ان يتبعوك
او ينقادوا اليك وقيل كبرهم انهم ارادوا النبوة لانفسهم وراوا
انهم احق بها والاول اظهر لان ارادتهم النبوة لانفسهم حسد
والاول هو الكبر ما هم ببالغيه اي لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم
من الظهور عليك ومن نيل النبوة فاستعذ بالله اي استعذ
من شرهم لانهم اعداك واستعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد
واستعذ بالله في جميع امورك علي الاطلاق لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس الخلق مصدر مضاف الي المفعول
والمراد بهذا الاستدلال علي البعث لان الاله الذي خلق السموات

والارض على كبرها قادر على اعادة الاجسام بعد فنايها وقيل
المراد توبيخ الكفار المتكبرين لانه قال خلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فما بال هولا يتكبرون على خالقهم وهم من
اصغر مخلوقاته واحقرهم والاول ارجح لوروده في مواضع
من القران لانه قال بعده ان الساعة لاتية لاريب فيها
فقدم الدليل ثم ذكر المدلول **وقال ربكم ادعوني استجب لكم**
الدعا هنا الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد بالمشية وهي
موافقة القدر لمن اراد ان تستجيب له وقيل ادعوني هنا
بمعنى اعبدوني بدليل قوله بعده ان الذين يستكبرون
عن عبادتي يعني يستكبرون عن الرغبة اليه كما قال صلى
الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب الله عليه واما
قوله صلى الله عليه وسلم الدعا هو العبادة فمعناه ان
الدعا والرغبة الى الله هي العبادة لان الدعا يظهر فيه افتقار
العبد وتضرعه الى الله **داخرين** اي صاغرين **لتسكنوا فيه**
ذكر في يونس **ورزقكم من الطيبات** يعني المستلذات لانه اذا
جا ذكر الطيبات في معرض الانعام فيراد به المستلذات
واذا جا في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام
الحمد لله رب العالمين هذا متصل بما قبله قال ذلك ابن
عطيه والزمخشري وتقديره ادعوه مخلصين قايلين
الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا اله
الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل ان يكون الحمد استينافا
ثم يخرجكم طفلا اراد الجنس ولذلك افرد لفظه مع ان الخطاب
لجماعة **ثم لتبلغوا اشدكم** ذكر الاشد في يوسف عليه السلام
واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك
لتكونوا واما لتبلغوا اجلا مسمى فتتعلق بمحذوف اخر تقديره

فعل

فعل ذلك بكم لتبلغوا اجلا مسمى وهو يوم القيامة **الم تر الى
الذين يجادلون** يعني كفار قريش وهم اهل الاهوا كالقدرية
وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب الا ان
جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد **اذ الاغلال** العامل
في اذ يعلمون وجعل الظرف الماضي من الموضع المستقبل لتحقق
الامر **يسحبون في الحميم** اي يجرون والحميم الما الشديد الحراره
ثم في النار يسجرون هذا من قولك سجرت التنور اذا ملاته
بالنار فالمعنى انهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور
ولذلك قال مجاهد في تفسيره توقد بهم النار **تمرحون**
من المرح وهو الاشر والبطر وقيل الفخر والخيلا **فبيس مثوى
المتكبرين** ان قيل قياس النظم ان يقول بيس مدخل الكافرين
لانه تقدم قبله ادخلوا فالجواب ان الدخول الموقت بالخلود
بالخلود في معنى الثوى **فاما نرينك بعض الذي نعدهم**
اصل اما نرينك ان نريك ودخلت ما الزايدة بعد ان الشرطيه
وجواب الشرط محذوف تقديره ان اريناك بعض الذي
نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وان توفيناك قبل
ذلك فالينا يرجعون فننتقم منهم اشد الانتقام **منهم من
قصصنا عليك** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله بعث ثمانية الاف رسول وفي حديث اخر
اربعة الاف وفي حديث ابي ذر ان الانبيا مائة الف واربعة
وعشرون الفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر فذكر
الله بعضهم في القران فهم الذين قص عليه ولم يذكر سايرهم
فهم الذين لم يقص عليه **فاذا جا امر الله قضي بالحق** قال
الزمخشري امر الله القيامة وقال ابن عطية المعنى ان اراد
الله ارسال رسول فقضي ذلك ويحتمل ان يريد بامر الله

اهلاك المكذبين للرسل لقوله وخسر هنالك المبطلون
هنالك في الموضعين يراد به الوقت والزمان واصله ظرف مكان
ثم وضع موضع ظرف الزمان الانعام هي الابل والبقر والضان
والمعز فقوله لتركبوا منها يعني الابل ومنها تاكلون يعني
اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك ولتبلغوا
عليها حاجة يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الاثقال
على الابل وتحملون يريد الركوب عليها وانما كرره بعد قوله
لتركبوا منها لانه اراد الركوب الاول المتعارف في القرى
والبلدات وبالحمل عليها الاسفار البعيده قاله ابن عطية
ويريكم اياته هذا عموم ما قدم من الايات المخصوصة
ولذلك وبخهم بقوله فاي ايات الله تنكرون فرحوا بما عندهم من العلم
الضمير يعود على الامم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه
احدها انه ما كانوا يعتقدون من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون
والثاني انه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها والثالث انه
علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرايع وقيل الضمير
يعود على الرسل اي فرحوا بما اعطاهم الله من العلم بالله
وشرايعه او بما عندهم من العلم بان الله ينصرهم على من يكذبهم
واما الضمير في حاق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك
ترجح ان يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام
سنة الله نصب على المصدرية والله سبحانه اعلم

سورة حم السجدة

فصلت اي بينت وقيل قطعت الى سور وايات قرانا عربيا
منصوب بفعل مضمر على التخصيص او حالا او مصدر لقوم
يعلمون معناه يعلمون الاشيا ويعقلون الدلايل اذا نظروا
فيها وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف وقيل معناه

يعلمون

يعلمون الحق والايمان فالاول عام وهذا خاص والاول اولى لقوله
فاعرض اكثرهم لان الاعراض ليس من صفة المومنين وقيل
يعلمون لسان العرب فيفهمون القران اذ هو بلغتهم وقوله
لقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت والاحسن ان يكون صفة
لكتاب فهم لا يسمعون اي لا يقبلون ولا يطيعون وعبر
عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة في اكنة جمع كنان
وهو الغطا ومن بيننا وبينك حجاب عبارة عن بعدهم
عن الاسلام فاعمل اننا عاملون قيل معناه اعمل على
دينك انا عاملون على ديننا فهي متاركة وقيل اعمل
على ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك فهو تهديد
الذين يوتون الزكاة هي زكاة المال وانما خصها بالذكر
لصعوبتها على الناس ولانها من اركان الاسلام وقيل
يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وانما حمله على ذلك
لان الاية مكية ولم تفرض الزكاة الا بالمدينة والجواب
ان المراد النفقة في طاعة الله مطلقا وقد كانت مامورا
بها بمكة اجر غير ممنون اي مقطوع من قولك مننت الحبل
اذا قطعته وقيل غير منقوص وقيل غير محصور وقيل
لا يمن عليهم به لان المن يكدر واندادا اي امثالا واشباها
من الاصنام وغيرها رواسي يعني الجبال وبارك فيها
اكثر خيرها وقدر فيها اقواتها اي ارزاق اهلها ومعايشهم
وقيل يعني اقوات الارض من المعادن وغيرها من الاشيا
التي فيها قوام الارض في اربعة ايام يريد ان الاربعة كملت
باليومين الاولين فخلق الارض في يومين وجعل فيها
ما ذكر بيومين فتلك اربعة ايام وخلق السموات في
يومين فتلك ستة ايام حسبما ذكر في مواضع كثيرة

والاول اظهر

ولو كانت هذه الاربعة الايام زيادة على اليومين المذكورين قبلها
لكانت الجملة ثمانية ايام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة سوا
بالنصب مصدر تقديره استوت استوا قاله الزمخشري وقال
ابن عطية انتصب على الحال للسايلين قيل معناه لمن سال
عن امرها وقيل معناه للطالبين لها ويعني بالطلب على هذا
حاجة الخلق اليها وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الاول
تقديره يبين ذلك لمن سال عنه ويتعلق بقدر على القول
الثاني ثم استوى الى السما اي قصد اليها ويقتضي هذا الترتيب
ان الارض خلقت قبل السما فان قيل كيف الجمع بين ذلك
وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها فالجواب انها خلقت
قبل السما ثم دحيت بعد ذلك وهي دخان روي انه كان العرش
على الما فاخرج اليه من الما دخانا فارتفع فوق الما
ثم يبس الما فصار ارضا ثم خلق السموات من الدخان المرتفع
فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها هذه عبارة عن لزوم
طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يديه افعل كذا شيت او ابيت
اي لابد لك من فعله وقيل تقديره ايتيا طوعا واتيا كرها
ومعنى هذا الاتيان تصورهما على الكيفية التي اراد الله
وقوله لهما ايتيا مجازا وهو عبارة عن تكوينه لهما وكذلك
قولهما اتينا طايعين عبارة عن انهما لم تمتنعا عليه حين اراد
تكوينهما وقيل بل ذلك كلام حقيقة وانطق الله الارض والسما
بقولهما اتينا طايعين وانما جمع طايعين جمع العقلا لوصفهما
باوصاف العقلا فقضاهن اي صنعهن والضمير للسموات
السبع وانتصب سبعا على التمييز تفسير للضمير واعاد عليها
ضمير الجماعة المونثة لانها لا تعقل فهو كقولك الجذوع
انكسرن وجمعها جمع المذكر العاقل في قوله طايعين لانه

وصفها

وصفها بالطوع وهو فعل العقلا فعاملها معاملتهم فهو كقولك رايتهم لي ساجدين
واعاد ضمير التثنية في قوله قالتا لانه جعل الارض فرقة والسما اخرى
واوحى في كل سما امرها اي اوحى الى سكانها من الملايكة واليها نفسها
ما شا من الامور التي بها قوامها وصلاحها واضاف الامر اليها لانه
فيها وزينا السما الدنيا بمصابيح يعني الشمس والقمر والنجوم وهي زينة
السما الدنيا سوا كانت فيها او فيما فوقها من السموات وحفظا
تقديره وحفظناها حفظا ويجوز ان يكون مفعولا من اجله على
المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا الضمير
لقريش صاعقة يعني وقعة واحدة شديدة وهي مستعارة
من صاعقة النار وقرى صعقة باسكان العين وهي الوقعة
من قولك صعق الرجل اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن
خلفهم معنى ما بين الايدي المتقدم ومعنى ما خلف المتاخر فمعنى
الاية ان الرسل جاوهم في الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم الى
عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من ايديهم ثم جاتهم رسل
اخرون عند اكتمال اعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية
وقال الزمخشري معناه اتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم
في التبليغ اليهم وقيل اخبروهم بما اصاب من قبلهم فذلك ما بين
ايديهم وانذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الاخرة
فذلك من خلفهم ان لا تعبدوا الا الله ان حرف عبارة وتفسير او
مصدرية على تقدير بان لا تعبدوا الا الله فانا بما ارسلتم به
كافرون ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة وانما معناه بما ارسلتم
على قولكم ودعواكم وفيه تهكم ريحا صرصرا قيل انه من الصر
وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل انه من قولك صرصر اذا صوت
فمعناه لها صوت هايل في ايام نحسات معناه من النحس وهو
ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والاول ارجح

وروي انها كانت اخر شوال من الاربعا الي الاربعا وقري نحسات
باسكان الحا وكسرها فاما الكسر فجمع نحس وهو صفة واما الاسكان
بتخفيف علي وزن فعل او وصف بالمصدر واما ثمود فهديناهم
اي بينا لهم فهو بمعني البيان لا بمعني الارشاد فهم يوزعون اي
يدفعون بمعني جلودهم يعني الجلود المعروفة وقيل هي كناية
عن الفروج والاول اظهر وما كنتم تستترون الاية يحتمل ان تكون
من كلام الجلود او من كلام الله تعالي او الملايكة وفي معناه وجهان
احدهما لم تقدروا ان تستتروا من سمعكم وابصاركم وجلودكم
لانكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا انها تشهد عليكم وانما استترتم
لانها ملازمة لكم فلم يمكنكم الاحتراس من ذلك فشهدت عليكم
والاخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وابصاركم وجلودكم
لانكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا انها تشهد عليكم وانما استترتم
لانكم ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهذا ارجح لانسياق ما بعده
معه ولما جا في الحديث الصحيح عن ابن مسعود انه قال اجتمع ثلاثة
نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير
شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال بعضهم اتري الله يسمع ما قلنا
فقال الاخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع اذا اخفينا فقال الاخر ان كان
يسمع منا شيا فانه يسمعه كله فنزلت الاية ارداكم اي اهلككم
من الردي بمعني الهلاك وان يستعتبوا فما هم من المعتبين هو من
العتبي بمعني الرضا اي ان طلبوا العتبي ليس فيهم من يعطاها
وقيضنا لهم قرناء اي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة
الانس فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما بين ايديهم ما تقدم
من اعمالهم وما خلفهم ما هم عازمون عليه او ما بين ايديهم من
امر الدنيا وما خلفهم من امر الاخرة والتكذيب بها وحق عليهم
القول اي سبق عليهم القضا بعذابهم في امم اي في جملة امم وقيل
في

في يعني مع وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران روي ان قايل
هذه المقالة ابو جهل بن هشام لعنه الله والغوا فيه المعني لا تسمعوا
اليه واشتغلوا عند قراته برفع الاصوات وانشاد الشعر وشبه
ذلك حتي لا يسمعه احد وقيل معناه الغوا فيه وعيبوه ارنا
الذين اضلانا يقولون هذا اذا دخلوا جهنم فقولهم مستقبل ذكر
بلفظ الماضي لتحققه ومعني الذين اضلانا كل من اغوانا من الجن
والانس وقيل المراد ولد ادم الذي سن القتل وابليس الذي
امر بالكفر والعصيان وهذا باطل لان ولد ادم مومن عاص وانما
طلب هولا من اضلهم بالكفر تحت اقدامنا اي في اسفل طبقة من
النار ثم استقاموا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا
علي قولهم ربنا الله فصح ايمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب
المعني استقاموا علي الطاعة وترك المعاصي وقول عمر اكمل واحوط
وقول ابي بكر ارجح لما روي انس ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قرا هذه الاية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها
فهو ممن استقام وقال بعض الصوفية معني استقاموا اعرضوا
عما سوي الله وهذه حالة الكمال علي ان اللفظ لا يقتضيها تتنزل
عليهم الملايكة يعني عند الموت ولكم فيها الضمير للاخرة ما تدعون
اي ما تطلبون ومن احسن قولا ممن دعا الي الله اي لا احد احسن منه
ويدخل في ذلك من دعا الي عبادة الله او طاعته علي العموم
وقيل المراد سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وقيل المودنون
وهذا بعيد لانها مكية وانما شرع الاذان بالمدينة ولكن المودنون
يدخلون في العموم وما يلقاها الضمير يعود علي الخلق الجميل
الذي يتضمنه قوله ادفع بالتي هي احسن ذو حظ عظيم اي
حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم في الجنة واما ينزغنك
ان شرطية دخلت عليها ما الزايدة ونزغ الشيطان وساوسه

وامره بالسوء الذي خلقهن الضمير يعود على الليل والنهار والشمس
والقمر لانه جماعة ما لا يعقل كجماعة المونث او كالواحدة المونثة
وقيل انما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لان الاثنين جمع وهذا
بعيد فالذين عند ربك الملايكة لا يسامون اي لا يملون الارض
خاشعة عبارة عن قلة النبات اهتزت ذكر في الحج ان الذي احياها
لمحي الموتى تمثيل واحتجاج على صحة البعث ان الذين يلحدون
في اياتنا اي يطعنون عليها وهذا الالحاد هو بالتكذيب وقيل
باللغو فيه حسبما تقدم في السوره افمن يلقي في النار الاية قيل
ان المراد بالذي يلقي في النار ابو جهل وبالذي ياتي امنا عثمان بن
عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ اعم من ذلك اعملوا ما شيتم
تهديد واباحة ان الذين كفروا بالذكر الذكر هنا القران باتفاق
وخبر ان محذوف تقديره ضلوا او هلكوا وقيل خبرها اوليك
ينادون من مكان بعيد وذلك بعيد وانه لكتاب عزيز
اي كريم على الله وقيل منيع من الشيطان لا ياتيه الباطل
اي ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا ياتي بعده ما يبطله والمراد
على الجملة انه لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك في معناه قولان احدهما
ما يقول الله لك من الوحي والشرايع الامثل ما قال للرسل
من قبلك والاخر ما يقول لك الكفار من التكذيب والاذى الا
مثل ما قال الامم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتاسي والمراد على
القول الاول انه عليه الصلاة والسلام اتى بما جات به
الرسل فلا تنكر رسالته ان ربك لذو مغفرة يحتمل ان
يكون مستانفا او يكون هو المقول في الاية المتقدمة وذلك
على القول الاول واما على القول الثاني فهو مستانف منقطع

ما

ما قبله ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي
الاعجمي الذي لا يفصح ولا يبين كلامه سوا كان من العرب او من
العجم والعجمي الذي ليس من العرب فصيحا كان او غير فصيح ونزلت
الاية بسبب طعن قريش في القران فالمعنى انه لو كان اعجميا
لطعنوا فيه وقالوا هلا كان مبينا فظهر انهم يطعنون فيه
على اي وجه كان اعجمي وعربي هذا من تمام كلامهم والهمزة
للانكار والمعنى انه لو كان القران اعجميا لقالوا قران اعجمي ورسول
عربي او مرسل اليه عربي وقيل انما طعنوا فيه لما فيه من
الكلمات العجمية كسجيل واستبرق فقالوا قران اعجمي وعربي اي مختلط
من كلام العرب والعجم وهذا يجري على قراة العجمي بفتح العين
في اذانهم وقر عبارة عن اعراضهم عن القران فكانهم صم لا يسمعونه
وكذلك وهو عليهم عمى عبارة عن قلة فهمهم له ينادون من
مكان بعيد فيه قولان احدهما عبارة عن قلة فهمهم
تشبيها لهم بمن في مكان بعيد منهم لا يسمعوا الصوت ولا يفقهوا
ما يقال والثاني حقيقة في يوم القيامة اي ينادون من
مكان بعيد ليسمعوا اهل الموقف توبيخهم والاول اليق
بالكنايات التي قبله كلمة سبقت من ربك يعني القدر
اليه يرد علم الساعة اي علم زمان وقوعها فاذا سيل احد
عن ذلك قال الله الذي هو يعلمها من اكمامها جمع كم بكسر
الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها ويوم يناديهم اين شركاي
العامل في يوم محذوف والمراد به يوم القيامة والضمير
للمشركين وقوله اين شركاي توبيخ لهم واضاف الشركا الى
نفسه على زعم المشركين كانه قال الشركا الذين جعلتم لي
قالوا اذناك ما منا من شهيد المعنى انهم قالوا اعلمناك ما منا
من شهيد اليوم بان لك شريكا لانهم كفروا يوم القيامة بشركايهم

وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي ضل عنهم شركاوهم بمعنى
انهم لا يرونهم حينئذ فما على هذا موصولة او ضل عنهم قولهم الذي
كانوا يقولون من الشرك فما على هذا مصدرية وظنوا ما لهم من
محيص الظن هنا بمعنى اليقين والمحيص المهرب اي علموا انهم لا مهرب
لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ويكون ما لهم استينافا
وذلك ضعيف لا يسام الانسان من دعا الخير اي لا يمل من الدعا
بالمال والعافية وشبه ذلك ونزلت الاية في المغيرة وقيل في
غيره من الكفار واللفظ اعم من ذلك ليقولن هذا لي اي هذا
حقي الواجب لي وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا الا كافر ويدل
على ذلك قوله وما اظن الساعة قايمة وقوله ولين رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى معناه ان بعثت تكون لي الجنة وهذا
تمرض وتكبر وروي ان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة
وناى بجانبه ذكر في الاسرى دعا عريض اي كثير وذكر الله هذه
الاخلاق على وجه الذم لها قل ارايتم ان كان من عند الله الاية
معناها اخبروني ان كان القران من عند الله ثم كفرتم به الستم
في شقاق بعيد فوضع قوله من اضل موضع الخطاب لهم
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الضمير لقريش وفيها ثلاثة
اقوال احدها ان الايات في الافاق هي فتح الاقطار للمسلمين
والايات في انفسهم فتح مكة فجميع ذلك وعد للمسلمين بالظهور
وتهديد للكفار واحتجاج عليهم بظهور الحق وخمول الباطل
والثاني ان الايات في الافاق هي ما اصاب الامم المتقدمة
من المهلكات وفي انفسهم يوم بدر والثالث ان الايات في الافاق
هي خلق السما وما فيها من العبر والايات وفي انفسهم خلقة
بني ادم وهذا ضعيف لانه قال سنريهم بسين الاستقبال
وقد كانت السما وخلقة بني ادم مرئية والاول هو الراجح

انه

انه لحق الضمير للقران او الاسلام محيط بعلمه وقدرته وسلطانه

سورة الشورى

حم عسق الكلام فيه كسائر حروف الهجا حسبما تقدم
في سورة البقرة وقد حكى الطبري ان رجلا سال ابن عباس
عن حم عسق فاعرض عنه فقال حذيفة انا اذكرها ابن عباس
لانها نزلت في رجل من اهل بيته اسمه عبد الله يبني مدينة
على نهر من انهار المشرق ثم يخسف الله بها في اخر الزمان والرجل
على هذا ابو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث
الصحيح انما يخسف بها كذلك يوحي اليك الكاف نعت لمصدر
محذوف والاشارة بذلك الى ما تضمنه القران او السورة وقيل
الاشارة الى قوله حم عسق فان انزال هذه الاحرف بعينها في
كل كتاب المنزل وفي معناه هذا نظر الله العزيز الحكيم اسم الله فاعل بيوحي
واما على قراة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه
يوحى كان قايلا قال من الذي اوحى فقيل الله تكاد السموات
يتفطرن اي يتشققن من خوف الله وتعظيمه وقيل من قول
الكفار اتخذ الله ولدا فهي كالاية التي في مريم قال ابن عطية
وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود لان الله
تعالى لا يوصف به من فوقهن الضمير للسموات والمعنى يتشققن
من اعلاهن وذلك مبالغة في التهويل وقيل الضمير للارضين
وهذا بعيد وقيل الضمير للكفار كانه قال من فوق الجماعات
الكافرة التي من اجل اقوالها تكاد السموات تتفطر
وهذا ايضا بعيد ويستغفرون لمن في الارض هذا عموم يراد
به الخصوص لان الملايكة انما تستغفر للمومنين من اهل الارض
فهي كقوله ويستغفرون للذين امنوا وقيل ان يستغفرون للذين
امنوا نسخ هذه الاية وهذا باطل لان النسخ لا يدخل في الاخبار

ويحتمل ان يريد بالاستغفار طلب الحلم عن اهل الارض مومنهم وكافرهم
ومعناه الامهال لهم وان لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما
فان قيل ما وجه اتصال قوله والملايكة يسبحون الاية
بما قبلها فالجواب انا ان فسرنا تنفطر السموات بانه من
عظمة الله فانه يكون تسبيح الملايكة ايضا تعظيما له فينتظم
الكلام وان فسرنا تنفطر هنا بانه من كفر بني ادم فيكون تسبيح
الملايكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني ادم وعن اقوالهم
القبيحة **ام القرى** هي مكة والمراد اهلها ولذلك عطف عليه
ما حولها يعني من الناس **يوم الجمع** يعني يوم القيامة
وسمي بذلك لان الخلايق يجتمعون فيه **ام اتخذوا** ام منقطعة
والاوليا هنا المعبودون من دون الله **فحكمه الى الله** اي
ما اختلفتم فيه انتم والكفار من امر الدين فحكمه الى الله
بان يعاقب المبطل ويثيب المحق او ما اختلفتم فيه من
الخصومات فتحاكموا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم
لقوله فردوه الى الله والرسول **من انفسكم ازواجا** يعني
الاناث **ومن الانعام ازواجا** يحتمل ان يريد الاناث او الاصناف
يذروكم فيه معنى يذروكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد
قرن وقيل يكثركم والضمير المجرور يعود على الجعل الذي تضمنه
قوله جعل لكم وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما اكرمته فيه
وقيل الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله ازواجا وقال
الزمخشري تقديره يذروكم في هذا التدبير وهو ان جعل
الناس والانعام ازواجا والضمير في يذروكم خطاب للناس
والانعام غلبوا فيه العقلا على غيرهم فان قيل لم قال
يذروكم فيه وهلا قال يذروكم به فالجواب ان هذا
التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشري

ليس

ليس كمثله شي تنزيه لله تعالى عن تشبيه المخلوقين قال كثير
من الناس الكاف زايدة للتاكيد والمعنى ليس مثله شي وقال
الطبري وغيره ليست بزايدة ولكن وضع مثله موضع هو
والمعنى ليس كهو شي قال الزمخشري وهذا كما تقول
مثلك لا يبخل والمراد انت لا تبخل فنفي البخل والمراد نفيه
عن ذاته **مقاليد** قد ذكر **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**
اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع جميع الانبياء
في اصول الاعتقادات وذلك هو المراد هنا ولذلك فسره
بقوله ان اقيموا الدين يعني اقامة الاسلام الذي هو توحيد
الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبالدار الاخرة واما
الاحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرايع فليست تراد هنا
ان اقيموا يحتمل ان يكون ان في موضع نصب بدلا من قوله
ما وصى او في موضع خفض بدلا من به او في موضع رفع على
خبر ابتدا مضمر او تكون مفسرة لا موضع لها من الاعراب **كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه** اي صعب الاسلام على المشركين
الله يجتبي اليه من يشا الضمير في اليه يعود على الله تعالى
وقيل على الدين **وما تفرقوا** يعني اهل الاديان المختلفة من
اليهود والنصارى وغيرهم **ولولا كلمة** يعني القضا السابق
بان لا يفصل بينهم في الدنيا **وان الذين اورثوا الكتاب** يعني
المعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
وقيل يعني العرب والكتاب على هذا القران **لفي شك منه**
الضمير للكتاب او للدين او لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
فلذلك فادع اي الى ذلك الذي شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى
الى والاشارة بذلك الى قوله شرع لكم من الدين او الى قوله ما تدعوهم
اليه وقيل ان اللام بمعنى من اجل والاشارة الى التفرق والاختلاف

لاجل ما احدث من التفرق ادع الي الله وعلي هذا يكون قوله واستقم
معطوفا وعلي الاول مستانفا فيوقف علي فادع **واستقم كما امرت**
اي دم علي ما امرت به من عبادة الله وتبليغ رسالته **ولا تتبع**
اهواهم الضمير للكفار واهواهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل
كله **وامرت لاعدل بينكم** قيل يعني العدل في الاحكام اذا تحاكموا
اليه ويحتمل ان يريد العدل في دعايهم الي الاسلام اي امرت ان
احكم علي الحق **لا حجة بيننا وبينكم** اي لا جدال ولا مناظرة
فان الحق قد ظهر وانتم تعاندون **والذين يحاجون في الله**
اي يجادلون المومنين في دين الاسلام ويعني كفار قريش
وقيل اليهود **من بعد ما استجيب له** الضمير يعود علي الله
اي من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه وقيل
يعود علي الدين وقيل علي محمد صلي الله عليه وسلم
والاول اظهر واحسن **حجتهم داحضة** اي ذاهبة باطلة
انزل الكتاب يعني جنس الكتاب **بالحق** اي بالواجب او متضمنا
الحق **والميزان** ابن عباس وغيره يعني العدل ومعني انزال العدل
الامر به في الكتب المنزلة وقيل يعني الميزان المعروف فان
قيل ما وجه اتصال الكتاب والميزان بذكر الساعة فالجواب
ان الساعة يوم الجزا والحساب وكانه قال اعدلوا واعملوا
الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه علي اعمالكم **لعل الساعة**
قريب جا قريب بالتذكير لان تانيث الساعة غير حقيقي ولان
المراد وقت الساعة **يستعجل بها** اي يطلبون تعجيلها استهزايها
وتعجيز المومنين **يمارون** اي يجادلون ويخالفون **يرزق من يشا**
يعني الرزق الزايد علي المضمون لكل حيوان في قوله وما من
دابة في الارض الا علي الله رزقها اي ما يقوم به الحيات فان
هذا علي العموم لكل حيوان طول عمره والزايد خاص بمن شا

الله

الله **حرث الاخرة** عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا خاصة
ولا رغبة له في الاخرة **ام لهم شركا** ام منقطعة للانكار والتوبيخ
والشركا الاصنام وغيرها وقيل الشياطين **شرعوا لهم من الدين**
ما لم ياذن به الله الضمير في شرعوا للشركا وفي لهم للكفار وقيل
بالعكس والاول اظهر ولم ياذن بمعني لم يامر والمراد بما شرعوا
من الباطل من الاعتقادات وفي الاعمال كالبحيرة والوصيلة
وغير ذلك **ولولا كلمة الفصل** اي لولا القضا السابق فانه لم يقضي بينهم
في الدنيا لقضي بينهم فيها **تري الظالمين مشفقين** يعني في الاخرة
ذلك الذي يبشر الله عباده تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور
الا المودة في القربي فيه اربعة اقوال الاول ان القربي بمعني
القرابة وفي بمعني من اجل والمعني لا اسالكم عليه اجرا الا ان تودوني
لاجل القرابة التي بيني وبينكم فالمعني علي هذا استعطاف قريش
ولم يكن فيهم بطن الا وبينه وبين النبي صلي الله عليه وسلم
قرابة الثاني ان القربي بمعني الاقارب او ذوي القربي والمعني
الا ان تودوا اقاربي وتحفظوني فيهم والمعني علي هذا وصية باهل
البيت الثالث ان القربي قرابة الناس بعضهم من بعض والمعني
ان تودوا اقاربكم والمقصود علي هذا وصية بذوي الارحام
الرابع ان القربي التقرب الي الله والمعني الا ان تتقربوا الي الله
بطاعته والاستثنا علي القول الثالث والرابع منقطع
واما علي الاول والثاني فيحتمل الانقطاع لان المودة ليست باجر
ويحتمل الاتصال علي المجاز كانه قال لا اسالكم اجرا الا المودة
فجعل المودة كالاجر **يقترف** اي يكتسب **نزد له فيها حسنا** يعني
مضاعفة الثواب **ام يقولون** ام منقطعة للانكار والتوبيخ **فان**
يشا الله يختم علي قلبك فالمقصد بهذا قولان احدهما انه رد
علي الكفار في قولهم افتري علي الله كذبا اي لو افتريت علي

الله كذبا لختم علي قلبك ولكنك لم تفتر علي الله كذبا فقد هداك
وسددك والاخران المراد ان يشا الله يختم علي قلبك بالصبر
علي اقوال الكفار وتحمل اذاهم **ويمح الله الباطل** هذا فعل
مستانف غير معطوف علي ما قبله لان الذي قبله مجزوم
وهذا مرفوع فيوقف علي ما قبله ويبدا به وفي المراد به
وجهان احدهما انه من تمام ما قبله اي لو افتريت علي الله
كذبا لختم علي قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت
والاخر انه وعد لرسول الله صلي الله عليه وسلم بان يمحو
الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الاسلام **وهو الذي يقبل
التوبة من عباده** عن هنا بمعني من وكانه قال التوبة
الصادرة من عباده وقبول التوبة علي ثلاثة اوجه
احدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا والثاني التوبة
من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتي يرد المظالم او يستحل
منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله
فالصحيح انها مقبولة بدليل هذه الاية وقيل هي في المشية
ويعفوا عن السيات العفو مع التوبة علي حسب ما ذكرنا واما
العفو دون التوبة فهو علي اربعة اقسام الاول العفو عن
الكفر وهو لا يكون اصلا والثاني العفو عن مظالم العباد
وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغاير اذا اجتنبت
الكباير وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكباير
فمذهب اهل السنة في المشية ومذهب المعتزلة انها
لا تغفر الا بالتوبة **ويستجيب الذين امنوا** فيه ثلاثة اقوال
احدها ان يستجيب يجيب والذين امنوا مفعول والفاعل
ضمير يعود علي الله تعالي اي يجيبهم فيما يطلبون منه وقال
الزمخشري اي اصله يستجيب للذين امنوا فحذف اللام والثاني

اذ

ان معناه يجيب والذين امنوا فاعل اي يستجيب المومنون لربهم
باتباع دينه والثالث ان معناه يطلب المومنون الاجابة من
ربهم واستفعل علي هذا علي بابه من الطلب والاول ارجح
لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولانه قول ابن عباس
ومعاذ بن جبل **ويزيدهم من فضله** اي يزيدهم ما لم يطلبوا
زيادة علي الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روي عن
النبي صلي الله عليه وسلم انها الشفاعة والرضوان **ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض** اي بغي بعضهم علي
بعض وطغوا لان البغي يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة
فينا نزلت لانا نظرنا الي اموال الكفار فتمنيناها **وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** قيل لعمر رضي الله عنه اشتد
القحط وقنط الناس فقال الان يمطرون واخذ ذلك من هذه
الاية ومنه قوله صلي الله عليه وسلم اشتدي ازمة تنفرجي
وينشر رحمته قيل يعني المطر فهو تكرار لمعني الاول بلفظ اخر
وقيل يعني الشمس وقيل بالعموم **وما بث فيهما من دابة**
لا اشكال ان الدواب في الارض واما السما فقيل يعني الملايكة
وقيل يمكن ان تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن وقيل المعني
انه بث في احدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان كذا وانما
هو في بعضهم **وهو علي جمعهم اذا يشا قدير** يريد جمع الخلق في
الحشر يوم القيامة **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم**
المعني ان المصايب التي تصيب الناس في انفسهم واموالهم انما هي
بسبب الذنوب قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يصيب
المومن خدش عود او عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما
يعفوا الله عنه اكثر وقري بما كسبت بغير فا علي ان يكون ما اصابكم
بمعني الذي وقري بالفا علي ان يكون ما اصابكم شرطا بغير

قد ذكر **الجواري** جمع جارية وهي السفينة **كالاعلام** جمع
علم وهو الجبل **ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره**
يظللن
الضمير في رواكد للجواري وفي ظهره للبحر اي لو اراد الله ان يسكن
الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد
النعمة في ارسال الرياح او تمدد بما باسكانه **او يوبقهن** بالغرق من
بما كسبوا عطف على يسكن الريح ومعنى يوبقهن يهلكهن بشدة
الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن وفي كسبوا لركابها من الناس
والمعنى انه لو شا لاغرقها بذنوب الناس **ويعلم الذين يجادلون**
في اياتنا ما لهم من محيص اي يعلمون ان لا مهرب لهم من الله
وقري يعلم بالرفع على الاستيناف وبالنصب واختلف في اعرابه
على قولين احدهما ان نصب باضمار ان بعد الواو لما وقعت
بعد الشرط والجزا لانه غير واجب وانكر ذلك الزمخشري
وقال انه شاذ فلا ينبغي ان يحمل القران عليه والثاني قول
الزمخشري انه معطوف على تعليل محذوف تقديره ليعلم
لينتقم ويعلم قال ونحوه من المعطوفات على التعليل المحذوف
في القران كثير ومنه قوله ولنجعله اية للناس **كبائر الاثم**
ذكرنا الكباير في النسا وقيل ان كباير الاثم هو الشرك والفواحش
هو الزنا واللفظ اعم من ذلك **والذين استجابوا لربهم** قيل
يعني الانصار لانهم استجابوا لما دعاهم النبي صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام ويظهر لي ان هذه الاية اشارة الى ذكر
الخلفا الراشدين رضي الله عنهم لانه بدا اولا بصفات ابي بكر
الصديق ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان
ثم صفات علي بن ابي طالب فكونه جمع هذه الصفات ورتبها
على هذا الترتيب يدل على انه قصد بها من اتصف بذلك
فاما صفات ابو بكر فقوله الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون

وانما

وانما جعلناها صفة ابي بكر وان جميعهم متصف بها لان ابا بكر
كانت له فيهما مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو وزن ايمان ابو بكر بايمان الامة لرجحهم وقال صلى
الله عليه وسلم انا مدينة الايمان وابو بكر بابها وقال ابو
بكر لو كشف الغطا لما ازددت الا يقينا والتوكل انما يقوى بقوة
الايمان واما صفات عمر فقوله والذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش لان ذلك هو التقوى وقد قال صلى الله عليه
وسلم انا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله واذا ما غضبوا
هم يغفرون لان قوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله نزلت في عمر واما صفات عثمان فقوله والذين استجابوا
لربهم لان عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الايمان تبعه وبادر الى الاسلام وقوله واقاموا الصلاة لان
عثمان كان كثير الصلاة بالليل وفيه نزلت امن هو قانت
انا الليل ساجدا وقايما الاية وروي انه كان يحيي الليل
بركعة يقرا فيها القران كله وقوله وامرهم شورى بينهم لان
عثمان ولي الخلافة بالشورى وقوله ومما رزقناهم ينفقون
لان عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك انه جهز
جيش العسرة واما صفة علي فقوله والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون لانه لما قاتلته الفية الباغية قاتلها
انتصارا للحق وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المقاتلين لعلي الفية الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح
انه قال لعمار تقتلك الفية الباغية فذلك هو البغي الذي
اصابه وقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله اشارة
الى فعل الحسن بن علي حين بايع معاوية واسقط حق نفسه
ليصلح احوال المسلمين ويحقن دماهم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فيتين
عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك
ما عليهم من سبيل اشارة الي انتصار الحسين بعد موت الحسن
وطلبه للخلافة وانتصاره من بني امية وقوله انما السبيل علي
الذين يظلمون الناس اشارة الي بني امية فانهم استطالوا علي
الناس كما جا في الحديث عنهم انهم جعلوا عباد الله خولا ومال
الله دولا ويكفيك من ظلمهم انهم كانوا يلعنون علي بن ابي طالب
علي منابرهم وقوله ولمن صبر وغفر الاية اشارة الي صبر
اهل بيت النبي صلي الله عليه وسلم علي ما نال من الضر
والذل طول مدة بني امية وجزا سية سية مثلها سمي
العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها
فمن عفي واصلح فاجره علي الله فهذا يدل علي ان العفو
عن المظلمة افضل من الانتصار لانه ضمن الاجر في العفو
وذكر الانتصار بلفظ الاباحة في قوله ولمن انتصر بعد ظلمه
فاوليك ما عليهم من سبيل وقيل ان الانتصار افضل والاول
اصح فان قيل كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والمباح لا مدح فيه
ولا ذم فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان المباح قد يمدح
لانه قيام بحق لا بباطل والثاني ان مدح لكونه كان بعد الظلم
تحرزا من بدا بالظلم فكان المدح انما هو بترك الابتدا بالظلم
والثالث انه كانت الاشارة بذلك الي علي بن ابي طالب حسبما
ذكرنا فانتصاره محمود لان قتال اهل البغي واجب لقوله
تعالي فقاتلوا التي تبغي يعرضون عليها اي علي النار خاشعين
من الذل عبارة عن الذل والكابة ومن الذل يتعلق ب
خاشعين ينظرون من طرف خفي فيه قولان احدهما انه

عبارة

عبارة عن الذل لان نظر الذليل بمهابة واستكانة والاخر انهم
يحشرون عميا فلا ينظرون بابصارهم وانما ينظرون بقلوبهم
واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري والطرف يحتمل ان يريد
به العين او يكون مصدرا يوم القيامة يتعلق بقال او بخسروا
الا ان الظالمين يحتمل ان يكون من كلام الذين امنوا او هو كلام مستانفا
من كلام الله تعالي لا مرد له ذكر في الروم من نكير اي انكار
يعني لا تنكرون اعمالكم يهب لمن يشا اناثا قدم الاناث اعتنا
بهن وتانيسا لهن وتعبهن له قال واثلة بن الاسقع من يمن المراة
تبكيرها بانثي قبل الذكر لان الله بدا بالاناث وقال بعضهم
نزلت هذه الاية في الانبيا عليهم السلام فشعيب ولوط كان
لهما اناث دون ذكور وابراهيم كان له ذكور دون اناث ومحمد
صلي الله عليه وسلم جمع الاناث والذكور ويحيي كان عقيما
والظاهر انها علي العموم في جميع الناس اذ كل واحد منهم لا يخلوا
عن قسم من هذه الاقسام الاربعة التي ذكر وفي الاية من ادوات
البيان التقسيم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية بين
الله فيها كلامه لعباده وجعله علي ثلاثة اوجه احدها الوحي
المذكور اولا وهو الذي يكون بالهام او بمنام والاخر ان يسمعه
كلامه من ورا حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله
او يرسل رسولا يعني ملكا فيوحي باذنه ما يشا الي النبي
وهذا خاص بالانبيا والثاني خاص بموسي ومحمد صلي الله عليه
وسلم اذ كلمه الله ليلة الاسرا واما الاول فيكون للانبيا والاوليا
كثيرا وقد يكون لساير الخلق ومنه اوحي ربك الي النحل ومنه
منامات الناس او يرسل رسولا قري يرسل ويوحي بالرفع علي
تقدير او هو يرسل وبالنصب عطفا علي وحيا لان تقديره او
يوحي فعطف ان علي ان المقدره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا

الروح هنا القران والمعني مثل هذا الوحي وهو بارسال ملك اوحينا
اليك القران والامر هنا يحتمل ان يكون واحد الامور ويحتمل ان يكون
من الامر بالشي ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان المقصد بهذا
شيان احدهما انفدا والنعمة عليه صلي الله عليه وسلم بان علمه
الله مالم يكن يعلم والاخر احتجاج علي نبوته لكونه اتي بما لم يكن
يعلمه ولا تعلمه من احد فان قيل اما كونه لم يكن يدري الكتاب
فلا اشكال فيه واما الايمان ففيه اشكال لان الانبيا مومنون
بالله قبل مبعثهم فالجواب ان الايمان يحتوي علي تعاريف
كثيره وانما كمل الله بعد معرفتها بعد مبعثه وقد كان مومنا
بالله قبل ذلك فالايمان هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي
حصلت له بالنبوة ولكن جعلناه نورا الضمير للقران

سورة الزخرف

والكتاب المبين يعني القران والمبين يحتمل ان يكون بمعني
البين او المبين لغيره وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
ام الكتاب اللوح المحفوظ والمعني انه القران وصف في اللوح
المحفوظ بانه علي حكيم وقيل المعني ان القران نسخ بجملته
في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بانه
علي حكيم لكونه مكتوب في اللوح المحفوظ والاول اظهر
واشهر افنضرب عنكم الذكر صفحا الهمزة للانكار والمعني
انمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك اضربت عن كذا اذا تركته
والذكر يراد به القران او التذكير والوعظ وصفحا فيه
وجهان احدهما بمعني الاعراض تقول صفحت عنه اذا اعرضت
عنه فكانه قال انترك تذكيركم اعراضا عنكم واعراب صفحا
علي هذا مصدر من المعني او مفعول من اجله او مصدر في
موضع الحال والاخر ان يكون بمعني العفو والغفران فكانه

يقول

يقول انمسك الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم واعراب صفحا
علي هذا مفعول من اجله او مصدر في موضع الحال ان كنتم
قوما مسرفين بكسر الهمزة علي الشرط والجواب في الكلام
الذي قبله وقري بالفتح علي انه مفعول من اجله اشد منهم بطشا
الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله ان كنتم قوما مسرفين
فان قيل كيف قال ان كنتم علي الشرط بحرف ان التي معناها
الشك ومعلوم انهم كانوا مسرفين فالجواب ان ذلك اشارة
الي توبيخهم وتجهيلهم في فعلهم فكانه شي لا يقع من عاقل
فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع ومضي مثل الاولين
اي تقدم في القران ذكر حال الاولين وكيفية اهلاكهم لما كفروا
ولين سالتهم الاية احتجاج علي قريش لانهم كانوا يعترفون
ان الله هو الذي خلق السموات والارض وكانوا مع اعترافهم
بذلك يعبدون غيره ومقتضي جوابهم ان يقولوا خلقهن الله
فلما ذكر هنا المعني جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم
لان اعترافهم بانه خالق السموات والارض يقتضي ان يعترفوا
بانه عزيز عليم واما قوله الذي جعل لكم فهو من كلام الله
لا من كلامهم مهادا اي فراشا علي وجه التشبيه سبلا اي طرقا
تمشون فيها ما بقدر اي بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه
بقضا كذلك تخرجون تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من
الارض الازواج كلها يعني اصناف الحيوان والنبات وغير ذلك
لتستووا علي ظهوره الضمير يعود علي ما تركبون ثم تذكروا نعمة ربكم
يحتمل ان يكون هذا الذكر بالقلب او اللسان ويحتمل ان يكون ما يريد
النعمة في تسخير هذا المركوب او النعمة علي الاطلاق وكان بعض
السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذي هدانا للاسلام ثم يقول
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وغا

ليعي

وانا الي ربنا لمنقلبون اعتراف بالحشر فان قيل ما مناسبة هذا الركوب
فالجواب ان راكب السفينة او الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من
غرق السفينة او سقوطه عن الدابة فامر بذكر الحشر ليكون مستعدا
للموت الذي قد تعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة
وجعلوا له من عباده جزا الضمير في جعلوا للكفار العرب وقوله
تعالي وفي هذا الكلام متصل بقوله ولين سالتهم الاية
والمعني انهم جعلوا الملايكة بنات الله فكانهم جعلوا من عباده
نصيبا له وحظا دون ساير عباده وقال الزمخشري معناه
انهم جعلوا الملايكة جزا منه وقال بعض اللغويين الجزء في اللغة
الاناث واستشهد علي ذلك ببيت شعر قال الزمخشري وذلك
كذب علي العرب والبيت موضوع ام اتخذ مما يخلق بنات ام للانكار
والرد علي الذين قالوا ان الملايكة بنات الله ومعني اصفاكم
خصكم اي كيف يتخذ لنفسه البنات وهن ادني واصفاكم
بالبنين وهن اعلا واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
اي اذا بشر بالانثي وقد ذكر هذا المعني في النحل والمراد انهم
يكرهون البنات فكيف ينسبونها الي الله تعالي الله عن قولهم
اومن ينشا في الحلية المراد بمن ينشا في الحلية النسا والحلية
هي الحلي من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعني ينشا فيها
يكبر وينبت في استعمالها وقري ينشا بضم اليا وتشديد الشين
بمعني يربي فيها والمقصد الرد علي الذين قالوا الملايكة بنات الله
كانه قال اجعلتم لله من ينشا في الحلية وذلك صفة النقص
ثم اتبعها بصفة نقص اخري وهي قوله وهو في الخصام غير
مبين يعني ان الانثي اذا خاصمت او تكلمت لم تقدر ان تبين
حجتها لنقص عقلها وقل ما تجد امراة الا تفسد الكلام وتخلط
المعاني فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقايص واعراب
ينشا

ينشا مفعول بفعل مضمر تقديره اجعلتم لله من ينشا او مبتدا وخبره
محذوف تقديره اومن ينشا في الحلية خصصتم به الله وجعلوا
الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الضمير في جعلوا للكفار العرب
فحكي عنهم ثلاثة اقوال شنيعة احدهم النسب الي الله الولد والاخر
انهم نسبوا اليه البنات دون البنين والثالث انهم جعلوا الملايكة
المكرمين اناثا وقري عند الرحمن بالنون والمراد به قرب الملايكة
وتشريفهم كقوله والذين عند ربك وقري عباد بالبا والمراد
به ايضا الاختصاص والتشريف اشهدوا خلقهم هذا رد علي
العرب في قولهم ان الملايكة اناث والمعني هم لم يشهدوا خلق الملايكة
فكيف يقولون ما ليس لهم به علم ستكتب شهادتهم ويسيلون
اي تكتب شهادتهم التي شهدوا بها علي الملايكة ويسيلون عنها
يوم القيامة وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم الضمير في قالوا للكفار
وفي عبدناهم للملايكة وقال ابن عطية للاصنام والاول اظهر
واشهر والمعني احتجاج احتج به الذين عبدوا الملايكة وذلك
انهم قالوا لو اراد الله ان لا نعبدهم ما عبدناهم فكونه يمهلنا
وينعم علينا دليل علي انه يرضي عبادتنا لهم ثم رد الله عليهم
بقوله ما لهم بذلك من علم يعني بقولهم فلا دليل ولا حجة وانما
هي تخرص منهم ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران وهذا
ايضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به بل قالوا انا
وجدنا اباءنا علي امة اي علي دين وطريقة والمعني انهم ليس لهم حجة وانما
هم مقلدة اباهم وكذلك ما ارسلنا من قبلك الاية المعني كما
اتبع هولا الكفار اباهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار اباهم
بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم قل اولو جيتكم باهدي مما
وجدتم عليه اباكم هذا رد علي الذين اتبعوا اباهم والمعني قل
لهم اولو جيتكم باهدي من الدين الذي وجدتم عليه اباكم وقري

علي امة

الفاعل

قال اولو جيتكم والضمير يعود على النذير المتقدم واما قراة قل بالامر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم امره الله ان يقول ذلك لقومه والاول اظهر وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين فان قوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون حكاية عن الكفار المتقدمين وكذلك قوله فانتقمنا منهم يعني من المتقدمين **انني برا** اي بري وبرا في الاصل مصدر ثم استعمل صفة ولذلك استوي فيه الواحد والجماعة كعدل وشهد **الا الذي فطرني** يحتمل ان يكون استثنا منقطعا وذلك انهم كانوا لا يعبدون الله او يكون متصلا لانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره واعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو في موضع خفض او منصوب على الاستثنا فهو في موضع نصب **سيهدين** قال هنا سيهدين وقال مرة اخري فهو يهدين ليدل على ان الهداية في الحال والاستقبال **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ضمير الفاعل في جعلها يعود على ابراهيم عليه السلام وقيل على الله تعالى والاول اظهر وضمير المونث المفعول يعود على الكلمة التي قالها وهي انني برا مما تعبدون ومعناها التوحيد ولذلك قيل يعود على الاسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبلكم وقيل يعود على لا اله الا الله والمعنى متقارب اي جعل ابراهيم تلك الكلمة باقية في ذريته لعل من اشرك منهم يرجع الى التوحيد والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلوا ابدا **بل متعت هولا وآباهم** الاشارة بهولا الى قريش وهذا الكلام متصل بما قبله لان قريشا من عقب ابراهيم عليه السلام فالمعنى لكن هولا ليسوا على بقية الكلمة فانهم بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله حتى جاهم الحق ورسول مبين وهو محمد صلى الله عليه وسلم **وقالوا لولا نزل هذا**

القران على رجل من القريتين عظيم العظيم في قالوا القريش والقريتان مكة والطايف ومن القريتين معناه من احدى القريتين كقولك يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين فالرجل الذي من مكة الوليد ابن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة والرجل الذي من الطايف عروة بن مسعود وقيل حبيب بن عمير ومعنى الاية ان قريشا استبعدوا نزول القران على محمد صلى الله عليه وسلم واقترحوا ان ينزل على احد هولا ووصفوه بالعظمة يريدون الرياسة في قومه وكثرة ماله فرد الله عليهم بقوله اهم يقسمون رحمة ربك يعني ان الله يخص بالنبوة من شا من عباده على ما تقتضيه حكمته وارادته وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بارادتهم ثم اوضح ذلك بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي كما قسمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية واذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة فاولى واحرى ان لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية **ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** وهو من التسخير في الخدمة اي رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا **ورحمة ربك خير مما يجمعون** هذا تحقير للدنيا والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة **ولولا ان يكون الناس امة واحدة** الاية تحقير ايضا للدنيا ومعناها لولا ان يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء **ومعارج عليها يظهرون** المعارج الادراج والسلاليم ومعنى يظهرون يرتقون ومنه فما اسطاعوا ان يظهروه والسرر جمع سرير والزخرف الذهب وقيل اثاث البيت من السقوف والنمارق

وشبه ذلك وقيل هو الترديف وشبه ذلك من التزيين كقوله حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا يعش من قولك عشي الرجل اذا اظلم بصره والمراد به هنا
ظلمة القلب والبصيرة وقال الزمخشري يعش بفتح الشين اذا
اذا حصلت الافة في عينيه ويعشوا بالضم اذا نظر نظرة الاعشى
وليس به افة فالفرق بينهما كالفرق بين عمي وتعامي فمعنى القراءة
بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق والظاهر ان هذه اللفظة
ذلك عبارة عن الغفلة واهمال النظر وذكر الرحمن قال الزمخشري
يريد به القران وقال ابن عطية يريد به ما ذكر الله به عباده
من المواعظ فالمصدر مضاف الى الفاعل ويحتمل عندي ان يريد
ذكر العبد لله ومعنى الاية ان من غفل عن ذكر الله ييسر الله
له شيطانا يكون له قرينا فتلك عقوبة على الغفلة عن
الذكر بتسليط الشيطان كما ان من دام على الذكر تباعد عنه
الشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل الضمير في انهم للشياطين
وضمير المفعول في يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن وجمع
الضمير لان المراد به جمع حتى اذا جاءنا قرئ جاءانا بضمير الاثنين
وهما من يعش او شيطانه وقرئ بغير الف على انه ضمير واحد
وهو من يعش والضمير في قال لمن يعش وقيل لشيطان
بعد المشرقين فيه قولان احدهما انه يعني المشرق والمغرب
وغلب احدهما في التثنية كما قيل القمران والاخر انه يعني المشرقين
والمغربين وحذف لدلالة المشرقين عليه ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون هذا كلام يقال للكفار
في الاخرة ومعناه انهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ولا يجدون
راحة التاسي التي يجدها المكروب في الدنيا اذا راى غيره
قد اصابه مثل الذي اصابه والفاعل في ينفعكم قوله انكم في

العذاب

في العذاب مشتركون واذ ظلمتم تعليل معناه بسبب ظلمكم وقيل الفاعل
مضمر وهو التبري الذي يقتضيه قوله يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين وانكم على هذا التعليل والاول ارجح افانت تسمع الصم
الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالصم والعمي الكفار
اذ كانوا لا يعقلون براهين الاسلام فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون اما مركبة من ان الشرطية وما الزايدة ومقصد الاية
وعيد للكفار والمعنى ان جعلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فانا
سننتقم منهم بعد وفاتك وان اخرنا وفاتك الى حين الانتقام
منهم فانا عليهم مقتدرون وهذا الانتقام يحتمل ان يريد به
قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا
او يريد به عذاب الاخرة وقيل ان الضمير في منهم منتقمون
للمسلمين وان معنى ذلك ان الله قضى ان ينتقم منهم بالفتن
والشدايد وانه اكرم نبيه عليه السلام بان توفاه قبل ان
يرى الانتقام من امته والاول اشهر واظهر وانه لذكر لك
ولقومك الضمير في انه للقران او الاسلام والذكر هنا بمعنى
الشرف وقوم النبي صلى الله عليه وسلم قريش وساير
العرب فانهم نالوا بالاسلام شرف الدنيا ويكفيك ان فتحوا مشارق
الارض ومغاربها وصارت فيهم الخلافة والملك وورد عن ابن
عباس انه لما نزلت هذه الاية علم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الامر بعده لقريش ويحتمل ان يريد بالذكر التذكير
والموعظة فيكون على هذا لامته كلهم وكل من بعث اليهم
وسوف تسالون اي تسالون عن العمل بالقران ومن شكر الله
عليه واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا ان قيل كيف
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الرسل المتقدمين
وهو لم يدركهم فالجواب من ثلاثة اوجه الاول انه راهم

ليلة الاسرا الثاني اسال امة من ارسلنا قبلك الثالث انه لم يرد
سوالهم حقيقة وانما المعني ان شرايعهم متفقة علي توحيد الله
بحيث لو سيلوا ان مع الله الهة يعبدون لانكروا ذلك ودانوا بالتوحيد
وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الايات هنا المعجزات كقلب
العصا حية واخراج اليد بيضا وقيل البراهين والحجج العقلية
والاول اظهر ومعني اكبر من اختها انها في غاية الكبر والظهور ولم
يرد تفضيلها علي غيرها من اياته انما المعني انها اذا نظرت وجدت
كبيرة واذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر
من تلق منهم تقول لاقيت سيدهم هكذا قاله الزمخشري ويحتمل
عندي ان يريد ما نريهم من اية الا هي اكبر مما تقدمها فالمراد
اكبر من اختها المتقدمة عليها وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك
ظاهر كلامهم هذا التناقض فان قولهم يا ايها الساحر يقتضي تكذيبهم
له وقولهم ادع لنا ربك يقتضي تصديقه والجواب من وجهين
احدهما ان القايلين لذلك كانوا مكذبين وقولهم ادع لنا ربك
يريدون علي قولك وبزعمك وقوله اننا لمهتدون وعد نووا
خلافه والاخر انهم كانوا مصدقين وقولهم يا ايها الساحر اما ان
يكون عندهم غير مذموم لان السحر كان علم اهل زمانهم وكانهم
قالوا يا ايها العالم واما ان يكون ذلك اسما قد الفوا تسمية موسي
به من اول ما جاهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه
ونادي فرعون في قومه يحتمل انه ناداهم بنفسه او امر
مناديا ينادي فيهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر قصد بذلك
الافتخار علي موسي ومصر هي البلد المعروف وما يرجع اليه
ومنتهي ذلك من نهر اسكندريه الي اسوان بطول النيل وهذه
الانهار تجري من تحتي يعني الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت
تجري تحت قصره واعظمها اربعة انهار نهر الاسكندريه وتنيس
ودمياط

ودمياط ونهر طولون افلا تبصرون ام انا خير مذهب سيبويه ان ام
هنا متصلة معادلة والمعني افلا تبصرون ام تبصرون ثم وضع
قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فانهم عنده
بصرا وهذا من وضع السبب موضع المسبب وكان الاصل ان يقول
افلا تبصرون ام تبصرون ثم اقتصر علي ام وهذا ضعيف وقيل
ام بمعني بل فهي منقطعة مهين اي ضعيف حقير قاله الزمخشري
وغيره ولا يكاد يبين اشارة الي ما بقي في لسان موسي من اثر الجمرة
وذلك انها كانت قد احدثت في لسانه عقدة فلما دعا ان يحل
اجيبت دعوته وبقي منها اثر كان معه لكن وقيل يعني العي في
الكلام وقوله ولا يكاد يبين يقتضي انه كان يبين لان كاد اذا
نفيت تقتضي الاثبات فلولا القي عليه اساورة من ذهب
يريد لو القاها الله كرامة له ودلالة علي نبوته والاساور جمع سوار
واساوير وهو ما يجعل في الذراع من الحلي وكان الرجال حينيذ
يجعلونه مقترنين اي مقترنين به لا يفارقونه او متقارنين
بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا بحجته فاستخف قومه
اي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوي عقولهم اسفونا اي
اغضبونا فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين السلف بفتح السين
واللام جمع سالف وقري بضمهما جمع سليف ومعناه متقدم
اي تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ومثلا يعتبرون به لئلا
يصيبهم مثل ذلك ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه
يصدون روي عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الاية انه
لما نزل في القران ذكر عيسي بن مريم والثنا عليه قالت قريش
ما يريد محمد الا ان نعبده نحن كما عبدت النصاري عيسي فهذا كان
صدودهم من ضربه مثلا حكي ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل
علي هذا هو الله في القران ويصدون بمعني يعرضون وقال الزمخشري

لما قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي قريش انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك وقال عبد الله بن الزبعري
اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال صلي الله عليه وسلم هو
لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان
عيسي بن مريم نبي وتثني عليه وقد علمت ان النصاري يعبدونه
فان كان عيسي في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معه
ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي صلي الله عليه وسلم
فانزل الله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني اوليك عنها
مبعدون ونزلت هذه الاية فالمعني علي هذا لما ضرب ابن الزبعري
عيسي مثلا وجادل رسول الله صلي الله عليه وسلم بعبادة
النصاري اياه اذا قريش من هذا المثل يصدون اي يضحكون
ويصيحون من الفرح وهذا المعني انما يجري علي قراة يصدون
بكسر الصاد بمعني الضجيج والصياح **وقالوا االهتنا خير**
ام هو يعنون بهو عيسي والمعني انهم قالوا االهتنا خير ام عيسي
فان كان عيسي خير فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معه
لانه خير من الهتنا وهذا الكلام من تمام ما قبله علي ما ذكر
الزمخشري في تفسير الاية التي قبله واما علي ما ذكر ابن عطيه
فهذا ابتدا معني اخر وحكي الزمخشري في معني هذه الاية
قولا اخر وهو انهم لما سمعوا ذكر عيسي قالوا نحن اهدي من
النصاري لانهم عبدوا ادميا ونحن عبدنا الملايكة وقالوا االهتنا
خير ام عيسي فقصدهم تفضيل الهتهم علي عيسي وقيل ان
قولهم ام هو يعنون محمدا صلي الله عليه وسلم فانهم لما قالوا
انما يريد محمد ان نعبده كما عبدت النصاري عيسي قالوا االهتنا
خير ام هو يريدون تفضيل الهتهم علي محمد والاظهر ان المراد
بهو عيسي وهو قول الجمهور ويدل علي ذلك ما تقدم ذكره

ما ضربوه

ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك هذا المثال الا علي وجه
الجدل وهو ان يقصد الانسان ان يغلب من يناظره سوا غلبه
بحق او بباطل فان ابن الزبعري وامثاله لا يخفي عليه ان عيسي
لم يدخل في قوله تعالي حصب جهنم ولكنهم ارادوا المغالطة
فوصفهم الله بانهم قوم خصمون **ان هو الا عبد انعمنا عليه**
يعني عيسي والانعام عليه بالمعجزات وغير ذلك **ولو نشاء**
لجعلنا منكم ملايكة في الارض يخلفون في معناها لو نشاء
لجعلنا منكم ملايكة يسكنون في الارض ويخلفون فيها بني ادم
فقوله منكم يتعلق بيدل المحذوف او بيخلفون والاخر لو نشاء
لجعلنا منكم اي لولدنا منكم اولادا ملايكة يخلفونكم في الارض
كما يخلفونكم اولادكم فانا قادرون ان نخلق من اولاد الناس
ملايكة فلا تنكروا ان خلقنا عيسي من غير والد حكي ذلك
الزمخشري **وانه لعلم للساعة** الضمير لعيسي وقيل لمحمد صلي
الله عليه وسلم وقيل للقران فاما علي القول بانه لعيسي او
لمحمد فالمعني انه شرط من اشراط الساعة يوجب العلم بها فسمي
الشرط واراد المشروط للعلم به ولذلك قري لعلم بفتح العين واللام
اي علامة واما علي القول بانه للقران فالمعني انه يعلمكم
الساعة **ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه** انما بين البعض
دون الكل لان الانبيا انما يبينون امور الدين لا امور الدنيا وقيل
بعض بمعني كل وهذا ضعيف **فاختلف الاحزاب** ذكر في مريم **الا الساعة**
اي ينتظرون والضمير لقريش او للاحزاب **الاخلا يوميذ بعضهم**
لبعض عدو الا المتقين الاخلا جمع خليل وهو الصديق وانما يعادي
الخليل خليله يوم القيامة لان الضرر دخل عليه من محبته ولذلك
استثني المتقين لان النفع دخل علي بعضهم من بعض **يا عبادي**
الاية تقديره يقول الله يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم

اليوم ولاانتم تحزنون تحبرون اي تنعمون وتسرون وهم فيه مبلسون
اي ييئسون من الخير ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك المعنى انهم
طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب وروي ان مالكا يبقى بعد ذلك
مائة سنة وحينئذ يقول لهم انكم ماكثون اي دائمون في النار
لقد جئناكم بالحق الاية من كلام الله تعالى لاهل النار او من كلام
الله لقريش في الدنيا ام ابرموا امرا فانا مبرمون الضمير لقريش
والمعنى انهم احكموا كيد النبي صلى الله عليه وسلم فانا محكمون
نصره وحمايته ام يحسبون الاية روي انها نزلت في الاخنس
ابن شريق والاسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الاخنس
اترى الله يسمع سرنا وقال الاخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا
سرهم ونجواهم السر ما يحدث الانسان به نفسه او غيره
في خفية والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى اي نسمع ورسلنا
مع ذلك تكتب ما يقولون والرسل هنا الملائكة الحافظون
للاعمال قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين في تاويل
الاية اربعة اقوال الاول انها احتجاج ورد على الكفار على تقدير
قالوا ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت انا اول
من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم
والده ولكن ليس للرحمن ولد فانا اول من عبد الله وحده وكذبكم
في قولكم فلست بعابد الا الله وحده وهذا نوع من الادلة
يسمى دليل التلازم لانه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده
محال فعبادته محال ونظير هذا ان يقول المالكي اذا قصد
الرد على الحنفي في تحريم النبيذ ان كان النبيذ غير مسكر فهو
حلال لكنه مسكر فهو حرام القول الثاني ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين من عبد الله وحده وكذبكم في قولكم ان له
ولد والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة القول الثالث
ان

ان العابدين بمعنى المنكرين يقال عبد الرجل اذا انف وتكبر وانكر
الشيء والمعنى ان زعمتم ان للرحمن ولدا فانا اول المنكرين لذلك وان
على هذه الاقوال الثلاثة شرطية القول الرابع قال قتادة
وابن زيد ان هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام
ثم ابتدا قوله فانا اول العابدين والاول هو الصحيح لانه
طريقة معروفة في البراهين والادلة وهو الذي عول عليه
الزمخشري وقال الزمخشري هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقال ابن
عطية منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار اين شركاي يعني شركاي
على قولكم فذرهم الاية موادعة منسوخة بالسيف وهو الذي
في السما اله وفي الارض اله اي هو الاله لاهل الارض واهل السما
والمجرور يتعلق بالاله لان فيه معنى الوصفية وعنده علم
الساعة اي علم زمان وقوعها ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة اي لا يملك كل من عبد من دون الله ان يشفع عند الله لان
الله لا يشفع احد عنده الا باذنه فهو المالك للشفاعة وحده
الا من شهد بالحق وهم يعلمون اختلف هل يعني بمن شهد بالحق
الشافع او المشفوع فيه فان اراد المشفوع فيه فالاستثنا منقطع
والمعنى لا يملكون المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم
به فهو الذي يشفع فيه ويحتمل على هذا ان يكون من شهد مفعولا
بالشفاعة على اسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد
بالحق وان اراد من شهد بالحق فيحتمل ان يكون الاستثنا منقطعا
وان يكون متصلا لان فيمن عبد عيسى والملائكة والمعنى
على هذا لا يملك المعبودون شفاعة الا من شهد بالحق وقيله
يا رب ان هؤلا قوم لا يومنون القيل مصدر كالقول والضمير
يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وقرى وقيله بالنصب

والخفض وقري في غير السبع بالرفع فاما النصب فقيل هو معطوف علي سرهم ونجواهم وقيل هو معطوف علي موضع الساعة لانها مفعول اضيف الي المصدر وقيل معطوف علي مفعول يكتبون وهو محذوف وتقديره يكتبون اقوالهم وقيله واما الخفض فقيل انه معطوف علي لفظ الساعة ويحتمل ان يكون معطوفا علي قوله بالحق واما الرفع فقيل انه مبتدا وخبره ما بعده وضعف الزمخشري ذلك كله وقال انه من باب القسم فالنصب والخفض علي اضمار حرف القسم كقولك لاضربن زيدا والرفع كقولهم ايم الله ولعمرك وجواب القسم قوله ان هولا قوم لا يومنون كانه اقسم بقيله ان هولا قوم لا يومنون **فاصفح عنهم** منسوخ بالسيف **وقل سلام** تقديره امري سلام اي مسالمة وقيل سلام عليكم علي جهة الموادعة وهو منسوخ علي الوجهين **فسوف تعلمون** تهديد

سورة الدخان

والكتاب المبين ذكر في الزخرف وهو قسم جوابه انا انزلناه وقيل انا كنا منذرين وهو بعيد **انا انزلناه في ليلة مباركة** يعني ليلة القدر من رمضان وكيفية انزاله فيها انه انزل الي السماء جملة واحدة ثم نزل به جبريل علي النبي صلي الله عليه وسلم شيا بعد شي وقيل معناه انه ابتدي انزاله في ليلة القدر وقيل يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل لقوله انا انزلناه في ليلة القدر مع قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران **فيها يفرق كل امر حكيم** معني يفرق ينفصل ويخلص والامر الحكيم ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم في ذلك العام تنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر بطول السنة القابلة وقيل ان هذا يكون ليلة النصف من شعبان

وهذا

وهذا باطل لما قدمنا **امرا من عندنا** مفعول بفعل مضمر علي الاختصاص قاله الزمخشري وقال ابن عطية نصب علي المصدر وقيل علي الحال **مرسلين** من ارسال الرسل عليهم السلام وقيل من ارسال الرحمة والاول اظهر **فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين** في هذا قولان احدهما قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المومن منه مثل الزكام وينضج روس الكافرين والمنافقين وهو من اشراط الساعة وروي حذيفة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان اول اشراط الساعة الدخان والثاني قول ابن مسعود ان الدخان عبارة عما اصاب قريش حين دعا عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجدب فكان الرجل يري دخانا بينه وبين السما من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم **هذا عذاب اليم** يحتمل ان يكون من كلام الله تعالي او من قول الناس لما اصابهم الدخان وهذا اظهر لان ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام مستانفا **اني لهم الذكري** هذا من كلام الله تعالي ومعناه استبعاد تذكر الكفار مع تكذيبهم للنبي صلي الله عليه وسلم والواو في قوله وقد جاهم واو الحال **رسول مبين** يعني محمد صلي الله عليه وسلم **وقالوا معلم مجنون** اي يعلمه بشر **البطشة الكبري** ابن عباس هي يوم القيامة ابن مسعود هو يوم بدر **رسول كريم** يعني موسي عليه السلام **ان ادوا الي عباد الله** ان هنا مفسرة نائبة مناب القول وادوا فعل امر من الادا وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرايل والمعني ارسلوا بني اسرايل كما قال في طه ارسل معنا بني اسرايل وقيل عباد الله منادي والمعني ادوا الي الطاعة والايمان يا عباد الله والاول اظهر **والا تعلوا** اي لا تتكبروا **بسلطان**

اي حجة وبرهان ان ترجمون اختلف هل معناه الرجم بالحجارة او السب
والاول اظهر فاعتزلون اي اتركوني وخلوا سبيلي فاسر بعبادي
هذا امر من الله لموسي عليه السلام والعباد هنا بنو اسرايل
اي اخرج بهم بالليل انكم متبعون اخبار انه فرعون وجنوده
يتبعونهم واترك البحر رهوا اي ساكنا علي هيئته وقيل يابسا
وروي ان موسي لما جاوز البحر اراد ان يضربه فينطبق كما ضربه
فانفلق فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه
فيغرقوا فيه وقيل معني رهوا سهلا وقيل متفرجا وعيون
يحتمل ان يريد الخلجان الجاريه من النيل وكانت ثم عيون في ذلك
الزمان وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد ومقام كريم
فيه قولان المنابر والمساكن الحسان ونعمة من التنعم بالارزاق
وغيرها فاكهين اي متنعمين وقيل فرحين وقيل اصحاب
فاكهة كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
او في موضع رفع تقديره الامر كذلك واورثناها قوما اخرين
يعني بني اسرايل حكاه الزمخشري والماوردي وضعفه ابن
عطية قال لانه لم يرو في مشهور التواريخ ان بني اسرايل رجعوا
الي مصر في ذلك الزمان وقد قال الحسن انهم رجعوا اليها ويدل
علي ان المراد بني اسرايل قوله في الشعرا واورثناها بني اسرايل
فما بكت عليهم السما والارض فيه ثلاثة اقوال الاول انه عبارة
عن تحقيرهم وذلك انه اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه
بكت عليه السما والارض علي وجه المجاز والمبالغة فالمعني ان
هولا ليسوا كذلك لانهم احقر من ان يبالي بهم الثاني قيل اذا مات
المومن بكي عليه من الارض موضع عبادته ومن السما موضع
صعود عمله فالمعني ان هولا ليسوا كذلك لانهم كفار ليس لهم عمل
صالح الثالث ان المعني ما بكي عليهم اهل السما ولا اهل الارض

والاول

والاول افصح وهو منزع معروف في كلام العرب وما كانوا منظرين
اي موخرين من فرعون بدل من العذاب عاليا اي متكبرا اخترناهم
علي علم اي كنا عالمين بانهم مستحقون ذلك علي العالمين اي
علي اهل زمانهم بلا مبين اي اختبار ان هولا يعني كفار قريش فاتوا
بابانا خاطبت قريش بذلك النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه
علي وجه التعجيز و[illegible] روي انهم طلبوا ان يحيي لهم
قصي بن كلاب يسالوه عن احوال الاخرة اهم خير ام قوم تبع
كان تبع ملك من حمير وكان مومنا وقومه كفار فذم الله قومه
ولم يذمه وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي ومعني الاية اقريش اقوي
ام قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار وقد اهلكنا قوم تبع
وغيرهم كما كفروا فكذلك نهلك هولا فمقصود الكلام تهديد
والذين من قبلهم عطف علي قوم تبع وقيل هو مبتدا فيوقف
علي ما قبله والاول اصح لاعبين حال منفية ذكرت في الانبيا
يوم لا يغني مولي عن مولي المولي هنا هو الولي والقريب وغير ذلك من
الموالي الا من رحم الله استثنا منقطع ان اراد بقوله وهم لا ينصرون
الكفار ومتصل ان اراد بذلك جميع الناس طعام الاثيم اي الفاجر
وهو من الاثم وقيل يعني ابا جهل فالالف واللام للعهد والاظهر
انها للجنس فيعم ابا جهل وغيره كالمهل هو دردي الزيت وقيل
ما يذوب من الرصاص وغيره فاعتلوه اي سوقوه بالتعنيف
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم المصبوب في الحقيقة انما
هو الحميم وهو الما الحار ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف
الي الحميم مجازا لان ذلك ابلغ واشد تهويلا وقد جا الاصل في قوله
يصب من فوق روسهم الحميم ذق انك انت العزيز الكريم يقال
للكافر هذا علي وجه التوبيخ والتهكم به اي كنت العزيز الكريم

في نفسك وقيل ان ابا جهل قال ما بين جبليها اعز مني ولا اكرم
فنزلت الاية **تمترون** تقطعون من المرية وهي الشك **في مقام امين**
بضم الميم اي موضع اقامة وفتحها اي موضع قيام والمراد به الجنة
والامين من الامن اي مامون فيه وقيل من الامانة وصف به
مجازا **من سندس واستبرق** السندس الرقيق من الديباج والاستبرق
الغليظ منه **كذلك** في موضع رفع اي الامر كذلك او في موضع نصب
اي مثل ذلك زوجناهم **يدعون فيها** اي يدعون خدامهم
الا الموتة الاولى استثنا منقطع والمعنى لا يذوقون فيها الموت
اي لكن يذوقوا فيها الموتة الاولى خاصة قبل ذلك والاولى قوله
فيها لكان متصلا لعموم لفظ الموت وقيل الا بمعنى بعد **يسرناه**
اي سهلناه والضمير للقران **بلسانك** اي بلغتك وهو لسان
العرب **فارتقب انهم مرتقبون** اي ارتقب هلاكهم فانهم مرتقبون
ضد ذلك ففيه وعد له ووعيد لهم

سورة الجاثية

تنزيل ذكر في الزمر وما بعده تنبيه على الموجودات وقد
ذكر معناه في مواضع **ويل لكل افاك اثيم** الافاك مبالغة من
الافك وهو الكذب والاثيم من الاثم وقيل انها نزلت في النضر
ابن الحرث ولفظها على العموم **يصر** اي يدوم على حاله من
الكفر وانما عبر بثم لاستعظام الاصرار على الكفر بعد سماع ايات
الله واستبعاد ذلك في العقل والطبع **واذا علم من اياتنا** اي اذا
بلغه منها شي ولم يرد العلم الحقيقي **من ورايهم جهنم** كقوله من
وارايه عذاب غليظ وقد ذكر **وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض** يعني الشمس والقمر والنجوم والملايكة وبني ادم
والحيوانات والنبات وغير ذلك **جميعا منه** اي كل نعمة فمن الله
من الله تعالى والمجرور في موضع الحال او خبر ابتدا مضمر

وقرا

وقرا ابن عباس منه **قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله** امر الله المومنين ان يتجاوزوا عن الكفار ولا يواخذوهم
اذا اذوهم وكان ذلك في صدر الاسلام فقيل منسوخة بالسيف
وقيل ليست بمنسوخة لان احتمال الاذى مندوب اليه على كل
حال واما القتال على الاسلام فليس من ذلك وروي ان الاية
نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فاراد ان يبطش
به وايام الله هي نقمه فيكون على اصله وقيل ايام الله عبارة
عن عقابه فالرجا بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم في جواب شرط
مقدر دل عليه قل وقال الزمخشري حذف معمول قل والمعنى
قل لهم اغفروا فيغفروا **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون** الفاعل بيجزي
ضمير يعود على الله وقري بنون المتكلم وقال ابن عطية ان الاية
وعيد فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون ايام الله ويكسبون
يعني السيات وقال الزمخشري القوم هم الذين امنوا وجزاوهم
الثواب بما كانوا يكسبون بكظمهم الغيظ واحتمال المكروه **على
العالمين** ذكر في البقرة **بينات من الامر** اي معجزات من امر الدين
جعلناك على شريعة اي ملة ودين **ام حسب الذين اجترحوا
السيات ان نجعلهم كالذين امنوا** ام هنا للانكار واجترحوا
اكتسبوا والمراد بالذين اجترحوا السيات الكفار لمقابلته بالذين
امنوا ولان الاية مكية وقد يتناول لفظها المذنبين من المومنين
ولذلك يذكر ان الفضيل ابن عياض قراها بالليل فما زال يرددها
ويبكي طول الليل ويقول لنفسه من اي الفريقين انت ومعناها
انكار ما حسبه الكفار من ان يكونوا هم والمومنون سوا في المحيا
والممات وفي تاويلها مع ذلك قولان احدهما ان المراد ليس
المومنون سوا مع الكفار لا في المحيا ولا في الممات فان المومنين
عاشوا على التقوى والطاعة والكفار عاشوا على الكفر

والمعصية وكذلك مماتهم ليست سوا والقول الاخر انهم استووا
في المحيا في امور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات
بل يسعد المومنون ويشقي الكافرون فالمراد بها اثبات الجزا
في الاخرة وتفضيل المومنين علي الكافرين في الاخرة وهذا
المعني هو الاظهر والارجح فيكون معني الاية كقوله افنجعل
المسلمين كالمجرمين وكقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار **سوا محياهم ومماتهم**
هذه الجملة بدل من الكاف في قوله كالذين امنوا وهي مفسرة
للتشبيه وهي داخلة فيما انكره الله مما حسبه الكفار وقيل
هي كلام مستانف والمعني علي هذا ان محيا المومنين ومماتهم سوا
وان محيا الكفار ومماتهم سوا لان كل واحد يموت علي ما عاش
عليه وهذا المعني بعيد والصحيح انها من تمام ما قبلها علي المعني
الذي اخترناه واما اعرابها فمن قرا سوا بالرفع فهو مبتدا وخبره
محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا
ثانيا لنجعل ومن قرا بالنصب فهو حال او مفعول ثان لنجعل
ومحياهم فاعل سوا لانه في معني مستوي **سا ما يحكمون**
اي سا حكمهم في تسويتهم بين انفسهم وبين المومنين
ولتجزي كل نفس معطوف علي قوله بالحق لان فيه معني
التعليل او علي تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات
والارض ليدل بهما علي قدرته ولتجزي كل نفس بما كسبت
اتخذ الهه هواه اي اطاعه حتي صار له كالاله **واضله الله علي علم**
اي علي علم من الله سابق وقيل علي علم من هذا الضال
بانه علي ضلال ولكنه يتبع الضلال معاندة **ختم** ذكر في
البقرة **فمن يهديه من بعد الله** قال ابن عطية فيه حذف
مضاف تقديره من بعد اضلال الله اياه ويحتمل ان يريد فمن

يهديه

يهديه غير الله **وقالوا** الضمير لمن اتخذ الهه هواه او لقريش **نموت
ونحيا** فيه اربع تاويلات احدها انهم ارادوا يموت قوم ويحيي
قوم والاخر نموت نحن ويحيي اولادنا الثالث نموت حين
كنا عدما او نطفا ونحيي في الدنيا والرابع نموت الموت المعروف
ونحيا قبله في الدنيا فوقع في اللفظ تقديم وتاخير ومقصودهم
علي كل وجه انكار الاخرة ويظهر انهم كانوا علي مذهب الدهرية
لقولهم وما يهلكنا الا الدهر فرد الله عليهم بقوله ما لهم بذلك
من علم الاية **فاتوا بابائنا** ذكر في الدخان **قل الله يحييكم** الاية
رد علي المنكرين للحشر واستدلال علي وقوعه بقدرة الله
تعالي علي الاحيا والاماتة **وتري كل امة جاثية** اي تجثوا
علي الركب وهذه هيئة الخائف الذليل **كل امة تدعي الي كتابها** اي الي
صحائف اعمالها وقيل الكتاب المنزل عليها والاول اصح لقوله
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فان قيل كيف اضاف الكتاب
تارة اليهم وتارة الي الله تعالي فالجواب انه اضافه اليهم لان
اعمالهم ثابتة فيه واضافه الي الله لانه تعالي مالكه وانه
هو الذي امر الملائكة ان يكتبوه **انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**
اي نامر الملائكة الحافظين بكتب اعمالكم وقيل ان الله يامر
الحفظة ان تنسخ اعمال العباد من اللوح المحفوظ فيمسكونه
عندهم فتاتي افعال العباد علي نحو ذلك فتكتبها الملائكة فذلك
هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج علي ذلك بان يقول لا يكون
الاستنساخ الا من اصل **افلم تكن** تقديره فيقال لهم ذلك **حاق**
ذكر مرارا **اليوم ننساكم** النسيان هنا بمعني الترك واما في قوله
كما نسيتم فيحتمل ان يكون بمعني الترك او الذهول **ولا هم
يستعتبون** من العتبي وهي الرضا **سورة الاحقاف**
تنزيل ذكر في الزمر **الا بالحق** ذكر في **واجل مسمي**

هو يوم القيامة اروني ماذا خلقوا احتجاج علي التوحيد ورد
علي المشركين فالامر بمعني التعجيز شرك في السموات اي نصيب
ايتوني بكتاب تعجيز لانهم ليس لهم كتاب يدل علي الاشراك بالله
بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد او اثارة من علم اي بقية من علم قديم
يدل علي ما تقولون وقيل من علم تثيرونه اي تستخرجونه
وقيل هو الاسناد وقيل هو الخط في الرمل وكانت العرب
تتكهن به وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كان نبي من
الانبيا يخط في الرمل فمن وافق خطه فذاك ومن اضل الاية
معناها لا احد اضل ممن يدعوا الها لا يستجيب له وهي الاصنام
فانها لا تسمع ولا تعقل ولذلك وصفها بالغفلة عن دعايهم لانها
لا تسمعه واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا اي كان الاصنام اعدا
للذين عبدوا وكانوا بعبادتهم كافرين الضمير في كانوا للاصنام
اي تتبرا الاصنام من الذين عبدوها وانما ذكر الاصنام بضماير
مثل ضماير العقلا لانه اسند لهم ما يسند للعقلا من الاستجابة
والغفلة والعداوة قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا
اي لو افتريته لعاقبني الله علي الافترا بعقوبة لا تقدرون علي
دفعها ولا تملكون شيا من ردها فكيف افتريه واتعرض لعقاب
الله هو اعلم بما تفيضون فيه اي بما تتكلمون به يقال افاض الرجل
في الحديث اذا افاض فيه واكثر قل ما كنت بدعا من الرسل
البدع والبديع من الاشيا ما لم ير مثله اي ما كنت اول رسول
ولا جيت بامر لم يجي به احد قبلي بل جيت بما جا به ناس كثيرون
قبلي فلاي شي تنكرون ذلك وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
فيها اربعة اقوال الاول انها في امر الاخرة وكان ذلك قبل
ان يعلم انه في الجنة وقبل ان يعلم ان المومنين في الجنة والكافرين
في النار وهذا بعيد لانه لم يزل يعلم ذلك من اول ما بعثه الله

والثاني

والثاني انها في امر الدنيا اي لا ادري بما يقضي الله علي وعليكم فان
مقادير الله مغيبة وهذا هو الاظهر الثالث ما ادري ما يفعل بي
ولا بكم من الاوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة الرابع ان هذا
كان في الهجرة اذ كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد راي انه
يهاجر الي ارض بها نخل فقلق المسلمون لتاخر ذلك فنزلت الاية
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به معني الاية ارايتم ان كان
القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ثم حذف قوله الستم
ظالمين وهو الجواب لانه دل عليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وشهد شاهد من بني اسرايل علي مثله هذه الجملة معطوفة
علي الجملة التي قبلها والمعني ارايتم ان اجتمع كون القران من عند
الله مع شهادة شاهد من بني اسرايل علي مثله ثم امن به هذا
الشاهد وكفرتم انتم الستم اضل الناس واظلم الناس واختلف
في الشاهد المذكور علي ثلاثة اقوال احدها انه عبد الله بن سلام
فقيل علي هذا ان الاية مدنية لانه انما اسلم بالمدينة وقيل
انها مكية واخبرت بما دته قبل وقوعها ثم وقعت علي حسب
ما اخبر وكان عبد الله بن سلام يقول في نزلت الاية الثاني
انه رجل من بني اسرايل كان بمكة الثالث انه موسي عليه
السلام ورجح ذلك الطبري والضمير في مثله للقران اي يشهد علي
مثله فيما جا به من التوحيد والوعد والوعيد والضمير في امن
للشاهد فان كان عبد الله بن سلام او الرجل الاخر فايمانه بين
وان كان موسي عليه السلام فايمانه هو تصديقه بامر محمد صلي
الله عليه وسلم وتبشيره به وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي لو كان الاسلام خيرا ما سبقونا
اليه هولا القايلون لهذه المقالة هم كفار قريش لما اسلم
الضعفا كبلال وعمار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبايل من

لما اسلمت غفار ومزينة وجهينة وقيل بل قالها اليهود لما اسلم
عبد الله بن سلام والاول ارجح لان الاية مكية وكانت مقالة قريش
بمكة واما مقالة الاخرين فانما كانت بعد الهجرة ومعنى للذين امنوا
من اجل الذين امنوا اي قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى
انهم خاطبوهم بهذا الكلام لانه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا
واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم اي لما لم يهتدوا
به قالوا هذا افك قديم ونحو هذا ما جا في المثل من جهل شيا
عاداه ووصفه بالقدم لانه قد قاله قديما فان قيل كيف
عمل فسيقولون في اذ وهي للماضي والعامل مستقبل فالجواب
ان العامل في اذ محذوف تقديره اذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم
فسيقولون قال ذلك الزمخشري ويظهر لي ان اذ بمعنى التعليل
لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السوال والمعنى انهم قالوا
هذا افك قديم بسبب انهم لم يهتدوا به وقد جات اذ بمعنى
التعليل في القران وفي كلام العرب ومنه ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم اي بسبب ظلمكم **ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة**
الضمير في قبله للقران وكتاب موسى هو التوراة واماما حال
ومعناه يقتدى به **وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا** الاشارة
بهذا الى القران ومعنى مصدق صدق ما قبله من الكتب وقد
ذكرنا ذلك في البقرة ولسانا حال من الضمير في مصدق وقيل
مفعول بمصدق اي صدق ذا لسان عربي وهو محمد صلى الله
عليه وسلم واختار هذا ابن عطية **استقاموا** ذكر في السجدة
حسنا ذكر في العنكبوت **حملته امه كرها ووضعته كرها** اي
حملته بمشقة ووضعته بمشقة ويقال كره بفتح الكاف وضمها
بمعنى واحد **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** اي مدة حمله وفصاله
ثلاثين شهرا وهذا لا يكون الا ان ينقص من احد الطرفين وذلك
اما

اما ان يكون مدة الحمل ستة اشهر ومدة الرضاع حولين كاملين
او تكون مدة الحمل تسعة اشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة
اشهر ومن هذا اخذ علي بن ابي طالب رضي الله عنه والعلما
ان اقل الحمل ستة اشهر وانما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو
مدة
الفطام لانه منتهى الرضاع **بلغ اشده** ذكر في يوسف **اربعين**
سنة هذا حد كمال العقل والقوة ويقال ان الاية نزلت في ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وقيل انها عامة **في اصحاب الجنة**
اي في جملة اصحاب الجنة كما تقول رايت فلانا في الناس اي مع
الناس **والذي قال لوالديه اف لكما** قال مروان بن الحكم نزلت
في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق حين كفره كان ابوه وامه
يدعوانه الى الاسلام فيابى ويقول لهما اف وانكرت عايشة
رضي الله عنها ذلك وقالت والله ما نزل في ال ابي بكر شي
من القران الا براتي ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى اولئك الذين
حق عليهم القول لان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق كان من
خيار المسلمين وكان له في الجهاد غنى عظيم وقال السدي ما رايت
اعبد منه وقال ابن عباس نزلت في ابن لابي بكر ولم يسمه
ويرد ذلك ما ذكرناه عن عايشة وقيل هي على الاطلاق
فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه ويدل
على انه عامة قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول بصيغة
الجمع ولو اراد واحدا بعينه لقال ذلك الذي حق عليه القول
وقد ذكرنا معنى اف في الاسرا **اتعدانني ان اخرج** اي اتعدانني ان
اخرج من القبر الى البعث **وقد خلت القرون من قبلي** اي وقد
مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم احد **وهما يستغيثان الله**
الضمير لوالديه اي يستغيثان بالله من كفر ابنهما لما يقول ابنهما
ثم يقولان له ويلك ثم يامرانه بالايمان فيقول ما هذا الا اساطير

الاولين اي قد سطره الاولون في كتبهم وذلك تكذيب بالبعث والشريعة
ولكل درجات مما عملوا اي للمحسنين والمسيئين درجات في الاخرة
بسبب اعمالهم فدرجات اهل الجنة الي علو ودرجات اهل النار
الي سفل **وليوفيهم** تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره
جزاهم درجات ليوفيهم اعمالهم **ويوم يعرض** العامل فيه
محذوف تقديره اذكر **اذهبتم طيباتكم** تقديره يقال لهم اذهبتم
طيباتكم والطيبات هنا الملاذ من الماكل وغيرها وقري اذهبتم
بهمزة واحدة وبهمزتين علي التوبيخ والاية في الكفار بدليل
قوله يعرض الذين كفروا وهو مع ذلك واعظ به اهل التقوي
من المومنين ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد راه اشتري
لحما اما تخشي ان تكون من اهل هذه الاية **عذاب الهون** اي العذاب
الذي يقترن به هوان **واذكر اخا عاد** يعني هودا عليه السلام
بالاحقاف جمع حقف وهو الارض من الرمل واختلف اين كانت فقيل
بالشام وقيل بين عدن وحضرموت والصحيح ان بلاد عاد كانت
باليمن **وقد خلت النذر** اي تقدمت من قبله ومن بعده والنذر
جمع نذير فان قيل كيف يتصور تقدمها من بعده فالجواب
ان هذه الجملة اعتراض وهي اخبار من الله تعالي انه قد انشا
رسلا متقدمين قبل هود وبعده وقيل معني من خلفه
في زمانه **قل انما العلم عند الله** اي قال ان العذاب الذي قلتم
ائتنا به ليس لي علم متي يكون وانما يعلمه الله وما علي الا ان
ابلغكم ما ارسلت به **فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم**
العارض السحاب الذي يعرض في افق السما والضمير في راوه يعود
علي نقدنا او علي المراي المبهم الذي فسره قوله عارضا قاله
الزمخشري وهذا اغرب وافصح وروي انهم قد كانوا قحطوا مدة
فلما راوا هذا العارض ظنوا انه مطر ففرحوا به فقال لهم هود

عليه

عليه السلام بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل
مما استعجلتم او خبر ابتدا مضمر **تدمر كل شي بامر ربها** عموم يراد به
الخصوص **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** هذا خطاب لقريش
علي وجه التهديد اي مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة
والاموال وغير ذلك ثم اهلكناهم لما كفروا وان هنا نافية بمعني
ما وعدل عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها وقيل ان
شرطية وجوابها محذوف تقديره ان مكناكم فيه طغيتم
قاله ابن عطية وهذا تنطع في التاويل **ولقد اهلكنا ما حولكم
من القري** يعني بلاد عاد وثمود وسبا وغيرها والمراد اهلاك
اهلها **فلولا نصرهم** الاية عرض معناه النفي اي لم تنصرهم
الهتهم التي عبدوا من دون الله **قربانا** اي تقربوا بهم الي الله وقالوا
هولا شفعاونا عند الله وانتصاب قربانا علي الحال ولا يصح ان
يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا والهة بدل منه لفساد
المعني قاله الزمخشري وقد اجازه ابن عطية **بل ضلوا عنهم**
اي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا اليهم **واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن** اي املنا هم نحوك والنفر دون العشرة وروي ان
الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا لان النفر الرجال دون النسا
وكانوا من اهل نصيبين وقيل من اهل الجزيرة واختلف هل
راهم النبي صلي الله عليه وسلم فقيل انه لم يرهم ولم يعلم
باستماعهم حتي اعلمه الله بذلك وقيل بل علم بهم واستعد لهم
واجتمع معهم وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود احاديث
مضطربة وسبب استماع الجن انهم لما طردوا من استراق السمع
من السما برجم النجوم قالوا ما هذا الا امر حدث فطافوا بالارض
ينظرون ما اوجب ذلك حتي سمعوا قراه رسول الله صلي الله
عليه وسلم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا اليه

وامنوا به انزل من بعد موسى في هذا دلالة على انهم كانوا على دين
اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى لما بين يديه ذكر في البقره
داعي الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر لكم من ذنوبكم
من هنا للتبعيض على الاصح اي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل
الاسلام واما التي بعد الاسلام فهي في مشية الله وقيل معنى
التبعيض انه المظالم لا تغفر وقيل ان من زايدة ويجركم من
عذاب اليم اي من النار واختلف هل للجن ثواب زايد على النجاة
ام ليس لهم ثواب الا النجاة خاصة ومن لا يجب داعي الله الاية
يحتمل ان يكون من كلام الجن او من كلام الله ومعنى ليس بمعجز
اي لا يفوت اولم يروا الاية احتجاج على بعث الاجساد بخلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن يقال عييت بالامر اذا لم تعرفه
والمعنى انه تعالى علم كيف خلق السموات والارض واحكم خلقتها
فلا شك انه قادر على احيا الموتى بقادر في موضع رفع لانه خبر
ان وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وخبرها
بلى جواب لما تقدم اي هو قادر على ان يحيي الموتى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل هذا خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي اصبر على تكذيب قومك واولوا العزم هم
نوح وابراهيم وعيسى وموسى وقيل هو الثمانية عشر المذكورون
في سورة الانعام لقوله فبهداهم اقتده وقيل كل من لقي من
امته شدة وقيل الرسل كلهم اولوا عزم فمن الرسل على
هذا لبيان الجنس وعلى الاقوال المتقدمة للتبعيض ولا
تستعجل لهم اي لا تستعجل نزول العذاب بهم فانهم صابرون
اليه فانهم اذا هلكوا لم يلبثوا الا ساعة من نهار لاستقصار اعمارهم
بلاغ خبر ابتدا مضمر تقديره هذا الذي وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية
في الموعظة او بلاغ من الرسول عليه السلام اي بلغ هذه الموعظة والبراهين

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

الذين كفروا يعني كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما ان قوله
بعد هذا والذين امنوا يعني الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مومن
وصدوا عن سبيل الله يحتمل ان يكون صدوا بمعنى اعرضوا فيكون
غير متعد او يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعديا وسبيل
الله الاسلام والطاعة اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها
وقيل المراد باعمالهم هنا ما انفقوا في غزوة بدر وان هذه
السورة نزلت بعد بدر واللفظ اعم من ذلك وامنوا بما نزل
على محمد هذا تجريد للاختصاص والاعتنا بعد عموم قوله امنوا
وعملوا الصالحات ولذلك اكده بالجملة الاعتراضية وهو قوله
وهو الحق من ربهم واصلح بالهم قيل معناه اصلح حالهم وشانهم
وحقيقة البال الخاطر الذي في القلب واذا صلح القلب صلح الجسد
كله فالمعنى اصلاح دينهم بالايمان والاخلاص والتقوى فضرب
الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل واقام المصدر
مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لانه الغالب
في صفة القتل حتى اذا اثخنتموهم اي هزمتموهم والاثخان ان
يكثر فيهم القتل والاسر فشدوا الوثاق عبارة عن الاسر فاما منا
بعد واما فدا المن العتق والفدا فك الاسير بمال وهما جايزان فان
مذهب مالك ان الامام مخير في الاسارى بين خمسة اشيا وهي المن
والفدا او القتل او الاسترقاق او ضرب الجزية وقيل لا يجوز
المن ولا الفدا لان الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا
يجوز على هذا الا قتلهم والصحيح انها محكمة وانتصب منا وفدا
على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران حتى تضع الحرب
اوزارها الاوزار في اللغة الاثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول
اثقالها وهي آلاتها وقيل الاوزار الاثام لان الحرب لا بد ان يكون

بينهما اثم في احد الجانبين واختلف في الغاية المرادة هنا فقيل حتى
يسلموا الجميع فحينئذ تضع الحرب اوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم
وقيل حتى ينزل عيسى بن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ انها
استعارة يريد بها التزام الامر ابدا كما تقول انا فاعل ذلك الى يوم
القيامة ذلك تقديره الامر ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم اي
لو شا الله لهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى اراد
اختبار المومنين وان يبلو بعض الناس ببعض عرفها لهم
اي جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهي من المعرفة وقيل معناه
طيبها فهو من العرف وهو طيب الرايحة وقيل معناه شرفها
ورفعها فهو من الاعراف التي هي الجبال فتعسا لهم اي
عثارا وهلاكا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه
فعل مضمر وعلى الفعل عطف واضل اعمالهم وللكافرين امثالها
اي لكفار قريش امثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار
والهلاك مولى الذين امنوا اي وليهم وناصرهم وكذلك وان
الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح ان يكون المولى
هنا بمعنى السيد لان الله مولى المومنين والكافرين
بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الاية وبين قوله ردوا
الى الله مولاهم الحق فمعنى المولى مختلف في الموضعين
فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق
بخلاف قوله مولى الذين امنوا فانه خاص بالمومنين لانه
بمعنى الولي الناصر ويأكلون كما تأكل الانعام عبارة عن كثرة
اكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهايم من قريتك التي اخرجتك
يعني مكة وخروجه صلى الله عليه وسلم وقت الهجرة
ونسب الاخراج الى القرية والمراد اهلها لانهم اذوه حتى
خرج اهلكناهم الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله

كاين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد اهلكنا اهلها افمن
كان على بينة من ربه اي على حجة ويعني به النبي صلى الله
عليه وسلم كما يعني قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله
واللفظ اعم من ذلك مثل الجنة ذكر في الرعد غير اسن اي غير
متغير كمن هو خالد في النار تقديره امثل الجنة المذكورة
كمن هو خالد في النار فحذف هذا التقدير والمراد به النفي
وانما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله افمن كان
على بينة من ربه ومنهم من يستمع اليك يعني المنافقين
وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من قالوا للذين اوتوا العلم
روي انه عبد الله بن مسعود ماذا قال انفا كانوا يقولون
ذلك على احد وجهين اما احتقارا لكلامه كانهم قالوا اي
فايدة فيه واما جهلا منهم ونسيانا لانهم كانوا وقت كلامه
معرضين عنه وانفا معناه الساعة الماضية قريبا واصله
من استانفت الشي اذا ابتداته والذين اهتدوا زادهم
هدى يعني المومنين والضمير في زادهم لله تعالى والكلام
الذي قال فيه المنافقون ماذا قال انفا وقيل يعني بالذين
بالذين اهتدوا قوما من النصارى امنوا بسيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم فاهتداوهم هو ايمانهم بعيسى وزيادة هداهم
اسلامهم فهل ينظرون الا الساعة الضمير للمنافقين والمعنى
هل ينتظرون الا الساعة لانها قريبة فقد جا اشراطها اي
علاماتها والذي كان قد جا من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم لانه قال انا من اشراط الساعة وبعثت
انا والساعة كهاتين فانى لهم اذا جاتهم ذكراهم اي كيف لهم
الذكرى اذا جاتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم
التوبة ففاعل جاتهم الساعة وذكراهم مبتدا وخبره الاستفهام

المتقدم والمراد به الاستبداد فاعلم انه لا اله الا الله اي دم
علي العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الاية علي ان النظر
والعلم قبل العمل لانه قد تقدم قوله فاعلم علي قوله
واستغفر والله يعلم متقلبكم ومثواكم قيل متقلبكم منصرفكم
في الدنيا ومثواكم اقامتكم في القبور وقيل متقلبكم تصرفكم
في اليقظة ومثواكم منامكم لولا انزلت سورة كان المومنون
يقولون ذلك علي وجه الحرص علي القران والرغبة لانهم كانوا
يفرحون به ويستوحشون من ابطا به محكمة يحتمل ان يريد
بالمحكمة ليس فيها منسوخ او يراد متقنة وقرا ابن مسعود
سورة محدثة رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك
يعني المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل
لان نظر الخايف قريب من نظر المغشي عليه فاولي لهم
في معناه قولان احدهما انه بمعني احق وخبره علي هذ
طاعة والمعني ان الطاعة والقول المعروف اولي لهم واحق
والاخر ان اولي لهم كلمة معناها التهديد والدعا عليهم
كقولك ويل لهم ومنه اولي لك فاولي فيوقف علي اولي لهم علي
هذا القول ويكون طاعة ابتدا الكلام تقديره طاعة وقول
معروف امثل او المطلوب منهم طاعة وقول معروف وقولهم
انا بمعنى طاعة وقول معروف بالسنتهم دون قلوبهم فاذا عزم
الامر اسند العزم الي الامر مجازا كقولك نهاره صايم وليله
قايم صدقوا الله يحتمل ان يريد صدق اللسان او صدق
العزم والنية وهو اظهر فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم هذا الخطاب للمنافقين المذكورين خرج من
الغيبة الي الخطاب ليكون ابلغ في التوبيخ والمعني هل يتوقع

نزول

منكم

منكم الافساد في الارض وقطع الارحام ان توليتم ومعني توليتم
صرتم ولاة علي الناس وصار الامر لكم وعلي هذا قيل انها نزلت
في بني امية وقيل معناه عرضتم عن الاسلام ان الذين ارتدوا
علي ادبارهم نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد اسلامهم
وقيل نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا سول لهم
اي زين لهم ورجا هم امانيهم واملي لهم اي مد لهم في الاماني
والامال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالي والاول اظهر
لتناسب الضميرين الفاعلين في سول واملي سنطيعكم
في بعض الامر قال ذلك اليهود للمنافقين وبعض الامر
يعنون به مخالفة رسول الله صلي الله عليه وسلم ومحاربته
فكيف اذا توفتهم الملايكة اي كيف يكون حالهم اذا توفتهم
الملايكة يعني ملك الموت ومن معه والفا رابطة للكلام مع
ما قبله والمعني هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم
عند الموت يضربون وجوههم ضمير الفاعل للملايكة وقيل
انه للكفار اي يضربون وجوه انفسهم وذلك ضعيف ام حسب
الاية معناها ظن المنافقون ان لن يخرج الله اضغانهم والضغن الحقد
ويراد به هنا النفاق والبغض في الاسلام واهله ولو نشا
لاريناكهم اي لو نشا لاريناك المنافقين باعيانهم حتي تعرفهم
بعلاماتهم ولكن الله ستر عليهم ابقا عليهم وعلي اقاربهم من
المسلمين وروي ان الله لم يذكر واحدا منهم باسمه ولتعرفنهم
في لحن القول معني لحن القول مقصده وطريقته وقيل
اللحن هو الخفي المعني كالكتابة والتعريض والمعني انه صلي
الله عليه وسلم سيعرفهم من دلايل كلامهم وان لم يخبره الله
بعلم علي اليقين ولنبلونكم اي نختبركم حتي نعلم اي نعلمه

يعرفه

علما ظاهرا في الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الاشيا قبل
كونها ولكنه اراد اقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل
ابن عياض اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فانك اذا ابتليتنا
فضحتنا وهتكت استارنا **وشاقوا الرسول** اي خالفوه وعادوه
ونزلت الاية في المنافقين وقيل في اليهود **ولا تبطلوا اعمالكم**
يحتمل اربعة معان احدها لا تبطلوا اعمالكم بالكفر بعد الايمان والثاني
لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشري وهذا على مذهب
المعتزلة خلافا للاشعرية فان مذهبهم ان السيئات لا تبطل
الحسنات الثالث لا تبطلوا اعمالكم بالريا والعجب والرابع
لا تبطلوا اعمالكم بان تقطعوها قبل تمامها وعلى هذا اخذ الفقها
الاية وبها استدلوا على ان من ابتدا نافلة لم يجز قطعها وهذا
ابعد هذه المعاني والاول اظهر لقوله قبل ذلك في الكفار و
المنافقين وسيحبط اعمالهم فكانه يقول يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا اعمالكم مثل هولا الذين احبط الله اعمالهم بكفرهم وصدهم
عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول **فلن يغفر الله لهم** هذا قطع
بان من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد اجمع المسلمون على
ذلك **فلا تهنوا وتدعوا الى السلم** اي لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار
وتبدوهم بالصلح فهو كقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها
ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم اجور اعمالكم يقال وترة الرجل
اتره اذا نقصته شيا او ذهبت له متاعا **ولا يسالكم اموالكم**
اي لا يسالكم جميعها انما يسالكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر
وذلك خفيف **ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا** معنى يحفكم يلح
عليكم والاحفا اشد السوال وتبخلوا جواب الشرط **ويخرج** هو
اضغانكم الفاعل الله تعالى او البخل والمعنى يخرج ما في قلوبكم من
البخل وكراهة الانفاق **هولا** منصوب على التخصيص او منادى

لتنفقوا في سبيل الله يعني الجهاد والزكاة **ومن يبخل فانما يبخل**
عن نفسه اي انما ضرر بخله على نفسه فكانه بخل على نفسه بالثواب
الذي يستحقه بالانفاق **وان تتولوا يستبدل قوما غيركم** اي
ياتي بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين في الانفاق في سبيل الله
فقيل ان هذا الخطاب لقريش والقوم غيرهم هم الانصار وهذا
ضعيف لان الاية مدنية نزلت والانصار حاضرون وقيل الخطاب
لكل من كان حينيذ بالمدينة والقوم هم اهل اليمن وقيل فارس

سورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الحديبية لما اراد ان يعتمر بمكة وصده المشركون وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان الى المدينة لقد
انزلت علي سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها **انا فتحنا لك**
فتحا مبينا يحتمل هذا الفتح في اللغة ان يكون بمعنى الحكم اي حكمنا
لك على اعدايك او من الفتح بمعنى العطا كقوله ما يفتح الله للناس
من رحمة او من فتح البلاد واختلف في المراد بهذا الفتح على اربعة
اقوال الاول انه فتح مكة وعده الله به قبل ان يكون وذكره
بلفظ الماضي لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد الثاني انه
ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا
بمعنى الحكم او بمعنى العطا ويدل على صحة هذا القول انه لما وقع
صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين لشروط كانت فيه
حتى انزل الله هذه السورة وتبين ان ذلك الصلح له عاقبة
محمودة وهذا هو الاصح لانه روي انها لما نزلت قال بعض الناس
ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون

انه يدفعونكم عن بلادهم بالروح ورعبوا اليكم في الامان الثالث
انه ما اصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها
الرابع انه الهداية الي الاسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر
لك الله فجعل الفتح علة المغفرة ولا حجة في الجميع ذلك اذ يتصور
في الجهاد وغيره ان يكون علة للمغفرة ايضا وتكون اللام للصيرورة
والعاقبة لا للتعليل فيكون المعني انا فتحنا لك فتحا مبينا
فكان عاقبة امرك ان جمع الله لك بين سعادة الدنيا والاخرة
بان غفر لك واتم نعمته عليك وهداك ونصرك هو الذي انزل
السكينة اي السكون والطمانينة يعني سكونهم في صلح
الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلي الله عليه وسلم
الظانين بالله ظن السوء معناه انهم ظنوا ان الله يخذل المومنين
وقالوا لن ينقلب الرسول والمومنون الي اهليهم ابدا وقيل
معناه انهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به والاول
اظهر بدليل ما بعده عليهم دايرة السوء يحتمل ان يكون خبرا او دعا
انا ارسلناك شاهدا اي تشهد علي امتك وتعزروه اي تعظموه
وقيل تنصروه وقري تعزروه بزايين منقوطتين والضمير في
تعزروه وتوقروه للنبي صلي الله عليه وسلم وفي تسبحوه
لله تعالي وقيل الثلاثة لله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
هذا التشريف للنبي صلي الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته
بمنزلة مبايعة الله ثم اكد هذا المعني بقوله يد الله فوق ايديهم
وذلك علي وجه التخييل والتمثيل يريد ان يد رسول الله صلي
الله عليه وسلم التي تعلو يد المبايعين له هي يد الله في المعني
وان لم تكن كذلك في الحقيقة وانما المراد ان عقد ميثاق البيعة
مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله كقوله من
يطع الرسول فقد اطاع الله وتاول المتاولون ذلك بان يد

الله

الله معناها النعمة او القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الاية في بيعة
الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد فمن نكث فانما ينكث علي
نفسه يعني ان ضرر نكثه علي نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة
سيقول لك المخلفون من الاعراب الاية سماهم بالمخلفين لانهم
تخلفوا عن غزوة الحديبيه والاعراب هم اهل البوادي من العرب
لما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم الي مكة يعتمر راو
انه يستقبل كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه
ولم يكن ايمانهم متمكنا فظنوا انه لا يرجع هو والمومنون من
ذلك السفر ففضحهم الله في هذه السورة واعلم رسوله صلي
الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل ان يصل اليهم واعلمه
انهم كذبوا في اعتذارهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
يحتمل ان يكون قولهم شغلتنا اموالنا واهلونا لانهم كذبوا في ذلك
او قولهم فاستغفر لنا لانهم قالوا ذلك ريا من غير صدق ولا توبة
قوما بورا اي هالكين من البوار وهو الهلاك ويعني به الهلاك
في الدين سيقول المخلفون الاية اخبر الله رسوله صلي الله عليه
وسلم ان المخلفين عن غزوة الحديبيه يريدون الخروج معه
اذا خرجوا الي غزوة اخري وهي غزوة خيبر فامره الله بمنعهم
من ذلك وان يقول لهم لن تتبعونا يريدون ان يبدلوا كلام الله
اي يريدون ان يبدلوا وعد الله لاهل الحديبية وذلك ان الله
وعدهم ان يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وان
يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم واراد المخلفون ان يشاركوهم
في ذلك فهذا هو ما ارادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله
فلن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا ضعيف
لان هذه الاية نزلت بعد رجوع رسول الله صلي الله عليه
وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة كذلكم قال الله من قبل

يريد وعده باختصاصه اهل الحديبية بغنايم خيبر **فسيقولون**
بل تحسدوننا معناه يعز عليكم ان نصيب معكم مالا وغنيمة وبل
هنا للاضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال
الله من قبل فمعناه رد ان يكون الله حكم بان لا يتبعوهم واما بل
في قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا فهي اضراب عن وصف
المومنين بالحسد واثبات لوصف المخلفين بالجهل **ستدعون الى**
قوم اولي باس شديد اختلف في هولا القوم على اربعة اقوال
الاول انهم هوازن ومن حارب النبي صلى الله عليه وسلم في
غزوة حنين والثاني انهم الروم اذ دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى قتالهم في غزوة تبوك والثالث انهم اهل
الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم ابو بكر الصديق
والرابع انهم الفرس ويتقوى الاول والثاني بان ذلك ظهر في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن
سعيد القول الثالث بان الله جعل حكمهم القتل او الاسلام
ولم يذكر الفدية قال وهذا لا يوجد الا في اهل الجزية قلت
وكذلك هو موجود في كفار العرب اذ لا توخذ منهم الجزية
فيقوى ذلك انهم هوازن **او يسلمون** عطف على تقاتلونهم
وقال ابن عطية هو مستانف **وان تتولوا كما توليتم من قبل**
يريد في غزوة الحديبية **ليس على الاعمى حرج** الاية معناها ان الله
تعالى عذر الاعمى والاعرج والمريض في ترك الغزو لهما د
بسبب اعذارهم **لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت**
الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار
ان شا الله احد من اهل الشجرة الذين بايعوا تحتها وفي الحديث
انهم كانوا الفا واربعماية وقيل الفا وخمسماية وسبب هذه
البيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية

وهي

وهي موضع على نحو عشرة اميال من مكة ارسل عثمان بن عفان
رضي الله عنه رسولا الى اهل مكة يخبرهم انه انما جا لمعتمر
وانه لا يريد حربا فلما وصل اليهم عثمان حبسه اقاربه كرامة
له فصرخ صارخ ان عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس الى البيعة على القتال وان لا يفروا احد
وقيل بايعوه على الموت ثم جا عثمان بعد ذلك وانعقد الصلح
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل مكة على ان يرجع
ذلك العام ويعتمر في العام المقبل والشجرة المذكورة كانت سمرة
هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمر عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته
فاختلف الصحابة في موضعها **فعلم ما في قلوبهم** يعني من صدق
الايمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهية
البيعة على الموت وهذا باطل لانه ذم للصحابة وقد ذكرنا
السكينة **واثابهم فتحا قريبا** يعني فتح خيبر وقيل فتح مكة
والاول اشهر اي جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان
زيادة على ثواب الاخرة واما الغنايم الكثيرة المذكورة فهي غنايم
خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب واما الغنايم الكثيرة
التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانيا فهي كل ما يغنمه المسلمون
الى يوم القيامة والاشارة بقوله فعجل لكم هذه الى خيبر
وقيل ان المغانم التي وعدهم هي خيبر والاشارة بهذه الى صلح
الحديبية **وكف ايدي الناس عنكم** اي كف اهل مكة عن قتالكم في
الحديبية وقيل كف اليهود والنصارى وغيرهم عن اضرار نسايكم
واولادكم بينما خرجتم الى المدينة **ولتكون اية للمومنين** اي
تكون هذه الفعلة وهي كف ايدي الناس عنكم اية للمومنين
يستدلون بها على النصر واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره
فعل الله ذلك لتكون اية **واخرى لم تقدروا عليها** يعني فتح

مكة وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن في حنين
والمعني لم تقدروا انتم عليها وقد احاط بها بقدرته ووهبها لكم
واعراب اخري عطف علي فعجل لكم هذه او مفعول بفعل مضمر
تقديره اعطاكم اخري او مبتدا ولو قاتلكم الذين كفروا يعني
اهل مكة سنة الله اي عادته والاشارة الي يوم بدر وقيل
الاشارة الي نصر الانبيا قديما وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم روي في سببها ان جماعة من فتيان قريش خرجوا الي
الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم
فبعث اليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم خالد بن الوليد في جماعة
من المسلمين فهزموهم واسروا منهم قوما وساقوهم الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاطلقهم فكف ايدي الكفار
هو ان هزموا واسروا وكف ايدي المومنين عن الكفار هو
اطلاقهم من الاسر وسلامتهم من القتل وقوله بعد ان اظفركم
عليهم يعني من بعد ما اخذتموهم اساري هم الذين كفروا
يعني اهل مكة وصدوكم عن المسجد الحرام يعني انهم منعوهم
عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية والهدي معكوفا
ان يبلغ محله الهدي ما يهدي الي البيت من الانعام وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة
بدنة وقيل سبعين ليهديها والمعكوف المحبوس ومحله موضع
نحره يعني مكة والبيت واعراب الهدي علي الضمير المفعول
في صدوكم ومعكوفا حال من الهدي وان يبلغ مفعول
بالعكف فالمعني صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي
عن ان يبلغ محله والعكف المذكور يعني به منع المشركين
للهدي من بلوغ مكة او حبس المسلمين للهدي بينما ينظرون
في امرهم ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم

الاية لصرف الله المومنين عن استيصال اهل مكة بالقتل وذلك
انه كان بمكة رجال مومنون ونسا مومنات يخفون ايمانهم
فلو سلط المسلمين علي اهل مكة لقتلوا اوليك المومنين
وهم لا يعرفونهم ولكن كفهم رحمة للمومنين الذين كانوا بين
اظهرهم وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مومنون
ونسا مومنات لسلطناكم عليهم ان تطوهم في موضع بدل
من رجال ونسا او بدل من الضمير المفعول في لم تعلموهم
والوطا هنا الاهلاك بالسيف وغيره فتصيبكم منهم معرة
اي تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة واختلف هل يعني
الاثم في قتلهم او الدية او الكفارة او الملامة او عيب الكفار
بهم بان يقولوا قتلوا اهل دينهم او تالم نفوسهم من قتل
المومنين وهذا اظهر لان قتل المومن الذي لا يعلم ايمانه
وهو بين اهل الحرب لا اثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب
ليدخل الله في رحمته من يشا يعني رحمته للمومنين الذين
كانوا بين اظهر الكفار بان كف سيوف المسلمين عن الكفار من
اجلهم او رحمة لمن شا من الكفار بان يسلموا بعد ذلك واللام
تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره ان كف
القتال عن اهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشا لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا معني تزيلوا تميزوا عن الكفار والضمير
للمومنين المستورين الايمان اي لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا
الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الاولي محذوف
كما ذكرنا ويحتمل ان يكون لعذبنا جواب لو الاولي وكررت لو
الثانية تاكيدا اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
يعني انفة الكفر وهي منعهم للنبي صلي الله عليه وسلم
والمسلمين عن العمرة ومنعهم من ان يكتب في كتاب الصلح

نبسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من ان يكتب محمد رسول الله وقولهم
لو نعلم انك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك
والعامل في اذ جعل محذوف تقديره اذكر او قوله لعذبنا
والسكينة هي سكون المسلمين ووقارهم حين جري ذلك
والزمهم كلمة التقوي قال الجمهور وهي لا اله الا الله وقد روي
ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل لا اله الا الله والله اكبر وهذه كلها متقاربة
وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم التي ابا الكفار ان تكتب
وكانوا احق بها واهلها اي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه
لهم وقيل احق بها من اليهود والنصاري **لقد صدق الله رسوله
الرويا بالحق** كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد راي في
منامه عند خروجه الي العمرة انه يطوف بالبيت هو واصحابه
بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وروي انه اتاه ملك
في النوم فقال له لتدخلن المسجد الحرام الاية فاخبر الناس
برؤياه ذلك فظنوا ان ذلك يكون في ذلك العام فلما صده
المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون اين الرويا
ووقع في نفوس المسلمين شي من ذلك فانزل الله تعالي
لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق اي تلك الرويا صادقة
وسيخرج تاويلها بعد ذلك فاطمانت قلوب المومنين
وخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في العام المقبل
هو واصحابه فدخلوا مكة واعتمروا واقاموا بها ثلاثة
ايام وظهر صدق روياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة
بعد ذلك ثم حج هو واصحابه وصدق في هذا الموضع تعدي
الي مفعولين وبالحق تعلق بصدق وبالرويا عن ان يكون
حالا منها **ان شا الله** كان الاستثنا بمشية الله يقتضي

الشك

الشك في الامر وذلك محال علي الله اختلف في هذا الاستثنا علي
خمسة اقوال الاول انه استثنا قاله الملك الذي راه النبي صلي
الله عليه وسلم في المنام فحكي الله مقالته كما وقعت والثاني
تاديب من الله لعباده ليقولون ان شا الله في كل امر مستقبل
الثالث انه استثنا بالنظر الي كل انسان علي حدته لانه يمكن
ان يتم له الامر او يموت او يمرض فلا يتم له الرابع ان الاستثنا
راجع الي قوله امنين لا لدخول المسجد الخامس ان ان شاء
الله بمعني اذ شا الله **محلقين روسكم ومقصرين** الحلق والتقصير
من سنة الحج والعمرة والحلق افضل من التقصير لقول رسول
الله صلي الله عليه وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال
في المرة الاخيرة والمقصرين **فعلم ما لم تعلموا** يريد ما قدره
من ظهور الاسلام في تلك المدة فانه لما انعقد الصلح
وارتفعت الحرب رغب الناس في الاسلام فكان رسول الله
صلي الله عليه وسلم في غزوة الحديبية في الف وخمسماية
وقيل الف واربعماية وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين
ومعه عشرة الاف **فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** يعني فتح
خيبر وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية وهذا هو
الاصح لان عمر قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم
افتح هو يا رسول الله قال نعم وقيل فتح مكة وهذا ضعيف
لان قوله من دون ذلك عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية
ليظهره علي الدين كله ذكر في براءة **وكفي بالله شهيدا**
اي شاهدا بان محمد رسول الله او شاهدا باظهار دينه
والذين معه يعني جميع اصحابه وقيل من شهد معه الحديبية
واعراب الذين معطوف علي محمد ورسول الله صفة واشدا
خبر عن الجميع وقيل الذين معه مبتدا واشدا خبر ورسول

الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والاول عندي ارجح لان الوصف
بالشدة والرحمة يشمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
واما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة
مختصا بالصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم وما
احق النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لان الله
قال فيه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم فهذا هو الشدة على الكفار
والرحمة بالمؤمنين **سيماهم في وجوههم** السيما العلامة وفيه
ستة اقوال الاول انه الاثر الذي يحدث في جبهة المصلي
من كثرة السجود الثاني انه اثر التراب في الوجه الثالث
انه صفرة الوجه من السهر والعبادة الرابع حسن الوجه
لما ورد في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من
الراوي فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
غير مروي عنه الخامس انه الخشوع السادس ان
ذلك يكون في الاخرة يجعل الله لهم نورا من اثر السجود
كما يجعل غرة من اثر الوضوء وهذا بعيد لان قوله تراهم
ركعا سجدا وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم
في وجوههم كذلك والاول هو اظهر وقد كان بوجه علي
ابن الحسين بن ابي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس
اثر ظاهر من اثر السجود **ذلك مثلهم في التوراة** اي وصفهم
فيها وتم الكلام هنا ثم ابتدا قوله ومثلهم في الانجيل
كزرع وقيل ان مثلهم في الانجيل عطف على مثلهم في
التوراة ثم ابتدا قوله كزرع وتقديره هو كزرع والاول
اظهر ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الاوصاف الحسان

ومثلهم

ومثلهم في الانجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون
مثلهم في الانجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول
الاخر يكون المثل بمعنى الوصف لمثلهم في التوراة **كزرع اخرج**
شطأه هذا مثل ضربه الله للاسلام حيث بدا ضعيفا ثم
قوي وظهر وقيل الزرع مثل للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون
فهم كالشطأ وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الاصل
ويقال باسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مد وهي لغات
فآزره اي قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل
ان يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه او بالعكس لان
كل واحد منهما يقوي الاخر وقيل معناه ساواه طولا
فالفاعل على هذا الشطا ووزن آزره افعله وقرئ بقصر
الهمزة على وزن فعل **فاستغلظ** اي صار غليظا **فاستوى**
على سوقه السوق جمع ساق اي قام الزرع على سوقه
وقيل قوله كزرع يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخرج
شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى
على سوقه بعلي بن ابي طالب **ليغيظ بهم الكفار** تعليل
لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق
بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ
بهم الكفار وقيل بوعد وهو بعيد **منهم** لبيان الجنس
لا للتبعيض لانه وعد عم جميعهم رضي الله عنهم

سورة الحجرات

لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فيه ثلاثة اقوال احدها
لا تتكلموا بامر قبل ان يتكلم هو به ولا تقطعوا في امر الا بنظره
والثاني لا تقدموا الولاة بحضرته فانه يقدم من يشاء والثالث

لا تتقدموا بين يديه اذا مشي وهذا انما يجري على قراءة يعقوب
لا تقدموا بفتح التا والقاف والدال والاول هو الاظهر لان
عادة العرب الاشتراك في الراي وان يتكلم كل احد بما يظهر
له فربما فعل ذلك قوم مع النبي صلى الله عليه وسلم
فنهاهم الله عن ذلك ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا
على الله شيا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه
وسلم وانما قال بين يدي الله لان النبي صلى الله عليه وسلم
انما يتكلم بوحي الله **لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي**
امر الله المومنين ان يتادبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
عند الادب كرامة له وتعظيما وسببها ان بعض جفاة الاعراب
كانوا يرفعون اصواتهم **ان تحبط اعمالكم** مفعول من اجله
تقديره مخافة ان تحبط اعمالكم اذا رفعتم اصواتكم فوق
صوته او جهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم فالمفعول
من اجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى واما من
طريق الاعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو
لا تجهروا وعند الكوفيين بالاول وهو لا ترفعوا اصواتكم
وهذا الاحباط لان قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم
والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وان فعله مومن
لتعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل الاية خطاب للمنافقين
وهذا ضعيف لقوله في اولها يا ايها الذين امنوا وقوله
وانتم لا تشعرون فانه لا يصح ان يقال هذا لمنافق فانه
يفعله جراة وهو يتعمده **ان الذين يغضون اصواتهم**
عند رسول الله نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فانه لما نزلت الاية قبلها قال ابو بكر والله لا اكلمك يا رسول
الله الا كلمتك سرا وكان عمر يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ولتعظيمها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن
اختبر فوجدها مثل ما يجب كمثل ما يختبر الذهب بالنار فيوجد
طيبا وقيل معناها دربها الله للتقوى حتى صارت قوية على
احتماله بغير تكلف وقيل معناه اخلصها الله للتقوى **ان الذين**
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الحجرات جمع حجرة
وهي قطعة من الارض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الاية في
وفد بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا
المسجد ودنوا من حجرات النبي صلى الله عليه وسلم ووقفوا
خارجها ونادوا يا محمد اخرج الينا فكان في فعلهم ذلك جفا
وبداوة وقلة توقير فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدة ثم خرج اليهم فقال له واحد منهم وهو الاقرع بن حابس
يا محمد ان مدحي زين وذمي شين فقال له رسول الله صلى
الله عليه ويحك ذلك الله تعالى **اكثرهم لا يعقلون** يحتمل وجهين
احدهما ان يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفي العقل عن اكثرهم
لا عن جميعهم والاخر ان يكون جميعهم ممن لا يعقل واوقع القلة
موقع النفي والاول اظهر في مقتضى اللفظ والثاني ابلغ
في الذم **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم** يعني
خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي صلى الله لهم وقضائه
حوائجهم وانكار فعلهم فيه تاديب لهم وتعليم لغيرهم
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا سببها ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق
لياخذ زكاتهم فروي انه كان معاديا لهم فاراد اذايتهم
فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبي صلى الله
عليه وسلم انهم قد منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم وتطرف
ذلك فوردوا وفدهم منكرين لذلك وروي ان الوليد بن عقبة
لما قرب منهم خرجوا اليه متلقين له فرآهم على بعد ففزع
منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروي انه بلغه
انهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال
فالفاسق المشار اليه في الاية هو الوليد بن عقبة ولم يزل
بعد ذلك يفعل حتى صلى بالناس صلاة الصبح اربع ركعات
وهو سكران ثم قال ازيدكم ثم هي باقية في كل من اتصف
بهذه الصفة الى اخر الدهر وقرئ فتثبتوا من التبين لهم
والتثبت بالثا من التثبيت ويقوي هذه القراة انها روي لما
نزلت روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
التثبيت من الله والعجلة من الشيطان واستدل بهذه الاية
القايلون بقبول خبر الواحد لان دليل الخطاب يقتضي ان
خبر غير الفاسق مقبول قال المنذر البلوطي وهذه
الاية ترد على من قال ان المسلمين كلهم عدول لان الله
امر بالتبين قبل القبول فالمجهول الحال يخشى ان يكون
فاسقا ان تصيبوا قوما بجهالة في موضع المفعول من اجله
تقديره مخافة ان تصيبوا قوما بجهالة والاشارة الى قتال
بني المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم اي لشقيتم والعنت المشقة وانما قال لو
يطيعكم ولم يقل لو اطاعكم للدلالة على انهم كانوا يريدون
استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم والحق خلاف
ذلك وانما الواجب ان يطيعوه لا ان يطيعهم وذلك ان راي
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير واصوب من راي
غيره ولو اطاع الناس في رايهم لهلكوا فالواجب عليهم

الانقياد

الانقياد اليه والرجوع الى امره والى ذلك الاشارة بقوله
ولكن الله حبب اليكم الايمان الاية وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما اختلف في سبب نزولها فقال الجمهور
هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم عبد الله بن
ابي بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوجه الى زيارة سعد بن عبادة في مرضه فقال
عبد الله بن ابي للنبي صلى الله عليه وسلم لقد اذاني نتن
حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس
حتى وقع بين الطايفتين ضرب بالجريد وقيل بالحديد
في رواية وقيل سببها ان فريقين من الانصار وقع
بينهما قتال فاصلحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد جهد ثم حكمها باق الى اخر وانما قال اقتتلوا ولم
يقل اقتتلا لان الطايفة في معنى القوم والناس فهي
في معنى الجمع فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي امر الله في هذه الاية بقتال الفية الباغية وذلك
اذا تبين انها باغية فاما الفتن التي تقع بين المسلمين
فاختلف العلما فيها على قولين احدهما انه لا يجوز النهوض
في شي منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن ابي وقاص
وابي ذر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وحجتهم قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر
وامره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن
والقول الثاني ان النهوض فيها واجب لتكف الطايفة
الباغية وهذا قول علي وعايشة وطلحة والزبير
واكثر الصحابة وهو مذهب مالك وغيره من الفقها
وحجتهم هذه الاية فاذا فرعنا على القول الاول فان

دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه او ماله
فيد فعد عن نفسه وان ادى ذلك الى قتله لقوله صلى الله
عليه وسلم من قتل دون نفسه او ماله فهو شهيد واذا
فرعنا على القول الثاني فاختلف مع من يكون النهوض فى
الفتن فقيل مع السواد الاعظم وقيل مع العلما وقيل مع
من يرى ان الحق معه وحكم القتال فى الفتن ان لا يجهز على
جريح ولا يطلب هارب ولا يقتل اسير ولا يقسم فى حتى تفي
اي ترجع الى الحق فاصلحوا بين اخويكم انما ذكره بلفظ التثنية
لان اقل من يقع بينهم البغي اثنان وقيل اراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرى بين اخوتكم بالتا على الجمع وقرى بين اخوانكم
بالنون على الجمع ايضا لا يسخر قوم من قوم نهي عن السخرية
وهي الاستهزا بالناس عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لعل المسخور
منه خير من الساخر عند الله وهذا تعليل للنهي ولا نسا من
نسا لما كان القوم لا يقع الا على الذكور عطف النسا عليهم
ولا تلمزوا انفسكم اي يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب
سوا كان بقول او اشارة او غير ذلك وسنذكر الفرق
بينه وبين الهمز في سورة الهمزة وانفسكم هنا بمنزلة
قوله فسلموا على انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدع
احدكم احد بلقب والتنابز بالالقاب التداعي بها وقد
اجاز المحدثون ان يقال الاعمش والاعرج ونحوه اذا دعت
اليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف بيس الاسم
الفسوق بعد الايمان يريد بالاسم ان يسمى الانسان فاسقا
بعد ان سمي مومنا وفي ذلك ثلاثة اوجه احدها استقبح
الجمع بين الفسق والايمان ومعنى ذلك ان من فعل شيا من هذه
الاشيا التي نهي عنها فهو فاسق وان كان مومنا والاخر بينه

بيس

بيس ما يقوله الرجل للاخر يا فاسق بعد ايمانه كقولهم لمن
اسلم من اليهود يا يهودي الثالث ان يجعل من فسق غير مومن
وهذا على مذهب المعتزلة اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ظن
السوء بالمسلمين واما ظن الخير فهو حسن ان بعض الظن اثم
قيل في معنى الاثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم
الظن اكذب الحديث لانه قد لا يكون مطابقا للامر وقيل
انما يكون اثما اذا تكلم به واما اذا لم يتكلم به فهو في فسحة
لانه لا يقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الاية على
صحة سد الذرايع في الشرع لانه امر باجتناب كثير من الظن
واخبر ان بعضه اثم فامر باجتناب الاكثر من الاثم احترازا من
الوقوع في البعض الذي هو اثم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عورات
الناس وقرا الحسن تحسسوا بالحا والتجسس بالجيم في الشر
وبالحا في الخير وقيل التجسس ما كان من ورا والتحسس
بالحا الدخول والاستعلام ولا يغتب بعضكم بعضا المعنى
لا يذكر احدكم من اخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هي
ما يكره الانسان من خلقه او خلقه او دينه او افعاله او غير
ذلك وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة
ان تذكر اخاك المومن بما يكره قيل يا رسول الله وان كان
حقا قال اذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص في الغيبة
في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية والنكاح
وشبهه وفي التحذير من اهل الضلال ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه الخبار عن حالهم بعد التقرير كانه
لما قررهم قال هل يحب شبه الله الغيبة باكل لحم ابن ادم ميتا
والعرب تشبه الغيبة باكل اللحم ثم زاد في تقبيحه ان جعله
ميتا لان الجيفة مستقذرة ويجوز ان يكون ميتا حالا من الاخ

اومن لحمه وقيل ذكر بغتيه اخبار عن حالهم بعد التقرير كانه لما
قررهم قال هل يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا اجابوا
فقالوا لا نحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره
فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه وحذف هذه الدلالة
الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله
قاله ابو علي الفارسي وقال الرماني كراهة هذا اللحم يدعوا
اليها الطبع وكراهة الغيبة يدعوا اليها العقل وهو احق ان
يجاب لانه بصير عالم والطبع اعمى جاهل وقال الزمخشري
في هذه الاية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه
التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا
بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا
من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الغيبة
باكل لحم الانسان حتى جعله ميتا ومنها انه لم يقتصر على تمثيل
الغيبة باكل لحم الانسان حتى جعله اخا له **يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى** الذكر والانثى يعني ادم وزوجه قال ابن عطية
ويحتمل ان يريد الجنس كانه قال انا خلقنا كل واحد منكم من
ذكر وانثى والاول اظهر واصح لقوله صلى الله عليه وسلم
انتم من ادم وادم من التراب ومقصود الاية التسوية بين
الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالانساب
والطعن في الانساب فبين الله ان الكرم انما والشرف عند
الله ليس بالحسب والنسب انما هو بالتقوى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يكون اكرم الناس
فليتق الله وروي ان سبب الاية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امراة منهم
فقالوا كيف نزوج بناتنا موالينا **وجعلناكم شعوبا وقبايل**

لتعارفوا

لتعارفوا الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعظم من القبيلة
وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وقيل العشيرة
الاذنون فمضر وربيعة وامثالهما شعوبا وقريش قبيلة
وبني عبد مناف بطن وبنوا هاشم فخذ ويقال باسكان الخاء
وفتحها بينه وبين الجارحة وبنوا عبد المطلب فصيلة وقيل
الشعب في العجم والقبايل في العرب والاسباط في بني اسرايل
ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا **قالت الاعراب امنا**
نزلت في بني اسد بن خزيمة وهي قبيلة كانت تجاور المدينة
اظهروا الاسلام وكانوا انما يحبون المغانم وعرض الدنيا فاكذبهم
الله في قولهم امنا وصدقهم في قولهم اسلمنا وهذا على ان الايمان
هو التصديق بالقلب والاسلام الانقياد والنطق بالشهادتين
والعمل بالجوارح فالاسلام والايمان في هذا الموضع متباينان
في المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الاسلام اعم من
الايمان فيدخل فيه الايمان حسبما ورد في مواضع اخر
وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا معنى لا يلتكم
لا ينقصكم شيا من اجوركم وفيه لغتان يقال لات وعليه
قراة نافع يلتكم بغير همز ويقال الت وعليه قراة من قرا يالتكم
بهمز قبل اللام فان قيل كيف يعطيهم اجر اعمالهم وقد قال
انهم لم يومنوا ولا يقبل عمل الا من مومن فالجواب ان طاعة
الله ورسوله تجمع صدق الايمان وصلاح الاعمال فالمعنى ان
رجعتم عما انتم عليه من الايمان بالسنتكم دون قلوبكم وعملتم
الاعمال الصالحات فان الله لم ينقصكم منها شيا **ثم لم يرتابوا**
اي لم يشكوا في ايمانهم وفي ذلك تعريض بالاعراب المذكورين
بانهم في شك وكذلك قوله في هولاء اوليك هم الصادقون
تعريض ايضا بالاعراب اذ كذبوا في قولهم امنا وانما عطف

ثم لم يرتابوا ابتم استعاداً بثبوت ايمانهم في الازمنة المتراخية
المتطاولة **وجاهدوا** يريد جهاد الكفار لانه دليل على صحة
الايمان ويبعد ان يريد جهاد النفس والشيطان لقوله
باموالهم وانفسهم في سبيل الله **يمنون عليك ان اسلموا** نزلت
في بني اسد ايضاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا امنا
بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان
وغيرهم **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان** اي هداكم للايمان
على زعمكم ولذلك قال ان كنتم صادقين ويمن عليكم يحتمل
ان يكون بمعنى ينعم عليكم او بمعنى يذكر انعامه وهذا احسن
لانه في مقابلة يمنون عليك

سورة ق

تكلمنا على حروف الهجا في اول سورة البقره ويختص
ق بانه قيل انه من اسم الله القاهر او القدير وقيل هو
اسم للقران وقيل اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا **والقران**
المجيد من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم
محذوف تقديره ما ردوا امرك وحجتك وما كذبوك
وشبه ذلك وعن هذا المحذوف وقع الاضراب
ببل وقيل الجواب ما يلفظ من قول وقيل ان في ذلك
لذكرى وقيل قد علمنا ما تنقص الارض منهم وهذه
الاقوال ضعيفة متكلفة **بل عجبوا ان جاهم منذر منهم**
الضمير في عجبوا الكفار قريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية
قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون اي الكافرون
من الناس والصحيح انه لقريش وقوله قال الكافرون
وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر كما تقول
جا بني فلان فقال الفاجر كذا اذا قصدت ذمه وقوله

منذر منهم

منهم اذ كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون
صدقه وامانته وحسبه فيهم وان كان الضمير لجميع الناس
فمعنى منهم انسان مثلهم وتعجبهم يحتمل ان يكون من ان
يبعث الله بشراً ومن الامر الذي يتضمنه الانذار وهو الحشر
ويؤيد هذا ما ياتي بعد **ايذا متنا وكنا ترابا** العامل في
اذا محذوف تقديره انبعث اذا متنا **ذلك رجع بعيد** الرجع
مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد
اي بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب اي جوابهم هذا
بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من
كلام الله تعالى واما على الاول فهو حكاية كلام الكفار وهو
اظهر **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** هذا رد على الكفار في
انكارهم للبعث ومعناه قد علمنا ما تنقص الارض من لحومهم
وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل جسد ابن ادم تاكله التراب الا عجب الذنب منه
خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن
الارض من موتاهم والاول قول ابن عباس والجمهور وهو
الظهر **وعندنا كتاب حفيظ** يعني اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ
جامع لا يشذ عنه شي وقيل معناه محفوظ من التغيير
والتبديل **بل كذبوا بالحق لما جاهم** هذا الاضراب اتبع به
الاضراب الاول للدلالة على انهم جاوا بما هو افظع من تعجبهم
وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الاخبار
بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الاضراب عن
كلام محذوف تقديره ما اجادوا النظر ونحو ذلك
فهم في امر مريج اي مضطرب لانهم تارة يقولون شاعر
وتارة ساحر وغير ذلك من اقوالهم وقيل معناه منكر

وقيل ملتبس وقيل مختلط وزيناها يعني بالنجوم وما لها
من فروج اي من شقوق وذلك دليل علي اتقان الصنعة
رواسي يعني الجبال من كل زوج بهيج من كل نوع جميل
ماء مباركا يعني المطر كله وقيل الماء المبارك ما مخصوص
ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا
ضعيف حب الحصيد هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد
باسقات اي طويلات طلع نضيد الطلع اول ما يظهر من
التمر وهو ابيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقا بعضه
ببعض فهو نضيد فاذا افترق فليس بنضيد كذلك الخروج
تمثيل لخروج الموتي من القبور بخروج النبات من الارض
واصحاب الرس قوم كانت لهم بئر عظيمة وهي الرس بعث
اليهم نبي فجعلوه في الرس وردموا عليه فاهلكهم الله
واصحاب الايكة يعني قوم شعيب وقد ذكر وقوم تبع
ذكر في الدخان فحق وعيد اي حل بهم الهلاك افعيينا
بالخلق الاول يقال عيي بالامر اذا لم يعرف علمه والخلق
الاول خلق الانسان من نطفة ثم من علقة وقيل يعني
خلق ادم وقيل خلق السموات والارض والاول اظهر
ومقصود الاية الاستدلال بالخلقة الاولي علي البعث
بل هم في لبس من خلق جديد اي هم في شك من البعث
وانما نكر الخلق الجديد لانه كان غير معروف عند الكفار
المخاطبين وعرف الخلق الاول لانه معروف معهود
ولقد خلقنا الانسان يعني جنس الناس ونعلم ما توسوس
به نفسه في فكرتها وذلك اخفي الاشيا وقيل يعني ادم
ووسوسته عند اكله من الشجرة والاول اظهر واشهر
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو عنق كبير في العنق

وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب
والمراد به قرب علم الله واطلاعه علي عبده واضافة الحبل
الي الوريد كقولك مسجد الجامع او يراد بالحبل العاتق
اذ يتلقي المتلقيان يعني الملكين الحافظين الكاتبين للاعمال
والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته والعامل في اذ نحن
اقرب وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية عن
اليمين وعن الشمال قعيد اي قاعد وقيل مقاعد بمعني
مجالس ورده ابن عطية بان المقاعد انما يكون مع قعود
الانسان والقاعد يكون علي جميع هيئة الانسان
وانما افرد وهما اثنان لان التقدير يكون مع قعود الانسان
والقاعد التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
من المتلقيين فحذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقال
الفرا لفظ قعيد يدل علي الاثنين والجماعة فلا يحتاج الي حذف
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد العتيد الحاضر وفي
الحديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان مقعد
الملكين علي الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق
وعموم الاية يقتضي ان الملكين يكتبان جميع اعمال العبد
ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان الملكان جميع الكلام
فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيات ويمحو غير ذلك
وقال عكرمة انما تكتب الحسنات والسيات لا غير
وجات سكرة الموت بالحق اي بلقا الله او فراق الدنيا
وفي مصحف عبد الله بن مسعود وجات سكرة الحق بالموت
وكذلك قراها ابو بكر وانما قال جات بالماضي لتحقق
الامر وقربه وكذلك ما بعده من الافعال ذلك ما كنت منه
تحيد اي تفر وتهرب والخطاب للانسان سايق وشهيد

السايق ملك يسوقه واما الشهيد فقيل ملك اخر يشهد عليه وهو الاظهر وقيل صحايف الاعمال وقيل جوارح الانسان **لقد كنت في غفلة من هذا** خطاب للانسان الذي يتقدمه قوله كل نفس يريد انه كان غافلا عما يلقي في الاخرة وقيل خطاب لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم اي كنت في غفلة من هذه القصص وهذا في غاية الضعف لانه خروج عن سياق الكلام **فكشفنا عنك غطاءك** قيل كشف الغطا ما يشاهد من امور الاخرة **فبصرك اليوم حديد** اي يبصر ما لم يكن يبصره قبل قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد** القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه وقيل الملك الذي كان يسوقه وقيل الملك الذي يتولي عذابه في جهنم والاول ارجح لانه هو القرين المذكور بعد ولقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين ومعني قوله هذا ما لدي عتيد اي هذا الانسان حاضر لدي اعتدته ويسرته لجهنم ولذلك المعني ان قلنا ان القرين هو الملك السايق وان قلنا انه احد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر ويحتمل ان يكون ما في قوله ما لدي موصوفة او موصولة فان كانت موصوفة فعتيد وصف لها وان كانت موصولة فعتيد بدل منها او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وما هي خبر المبتدا علي هذه الوجوه ويحتمل ان يكون عتيد الخبر ويكون ما بدلا من هذا او منصوبة بفعل مضمر. القيا في جهنم الخطاب للملكين السايق والشهيد وقيل انه خطاب لواحد علي ان يكون بالنون المؤكدة الخفيفة

ثم

ثم ابدل منها الف او علي ان يكون معناه الق الق مثني مبالغة وتاكيدا او علي ان يكون علي عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلي وصاحبي وهذا كله تكلف بعيد ومما يدل علي ان الخطاب لاثنين قوله فالقياه في العذاب الشديد **مناع للخير** قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم **مريب** شاك في الدين فهو من الريب بمعني الشك **الذي جعل** يحتمل ان يكون مبتدا وخبره فالقياه وادخل فيه الفا لتضمنه معني الشرط او يكون بدلا او صفة ويكون فالقياه تكرارا للتوكيد **قال قرينه ربنا ما اطغيته** القرين هنا شيطانه الذي كان معه في الدنيا بلا خلاف ومعني اطغيته اوقعته في الطغيان ولكنه طغي باختياره وانما حذف الواو هنا لان هذه جملة مستانفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فانه عطف **لا تختصموا** خطاب للناس وقرنايهم من الشياطين **ما يبدل القول لدي** اي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك وقيل معناه لا يكذب احد لدي لعلمي بجميع الامور فالاشارة علي هذا الي قول القرين ما اطغيته **وتقول هل من مزيد** القول مسند الي جهنم وقيل الي خزنتها من الملايكة والاول اظهر واختلف هل تتكلم حقيقة او مجازا بلسان الحال والاظهر انه حقيقة وذلك علي الله يسير ومعني قوله هل من مزيد انها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلي وقيل معناه لا مزيد اي ليس عندي موضع للزيادة فهي علي هذا قد امتلت والاول اظهر وارجح لما ورد في الحديث لا يزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتي يلقي فيها الجبار قدمه وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه والمزيد يحتمل ان يكون مصدرا كالمحيض او اسم مفعول فان كان مصدرا فوزنه مفعل

وان كان اسم مفعول فوزنه مفعول **وازلفت الجنة** اي قربت
ثم اكد ذلك بقوله غير بعيد **لكل اواب** اي كثير الرجوع الي الله
فهو من اب يوب اذا رجع وقيل هو المسبح لله من قوله يا جبال
اوبي معه **حفيظ** اي حافظ لاوامر الله فيفعلها ولنواهيه
فيتركها **من خشي الرحمن بالغيب** اي اتقي الله وهو غايب
عن الناس فالمجرور في موضع الحال ومن خشي بدل او مبتدا
فان قيل كيف قرن بالخشية الاسم الدال علي الرحمة
فالجواب ان ذلك لقصد المبالغة في الثنا علي من يخشي و
لا يخشاه مع علمه برحمته وعلمه قال ذلك الزمخشري
ويحتمل ان يكون الجواب عن ذلك ان الرحمن صار يستعمل استعمال
الاسم الذي ليس بصفة كقولنا الله **ولدينا مزيد** قيل معناه
النظر الي وجه الله كقوله الحسني وزيادة وقيل يعني ما لم يخطر
علي قلوبهم كما ورد في الحديث جابر وبه النبي صلي الله عليه
وسلم عن ربه انه قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر **اشد منهم بطشا**
الضمير في هم للقرون المتقدمة وفي منهم لكفار قريش **فنقبوا**
في البلاد اي طافوا فيها واصله دخولها من انقابها او من
التنقيب عن الامر لمبتغى البحث عنه **هل من محيص** اي قالوا هل
من مهرب من الله او من العذاب **لمن كان له قلب** واع يعقل ويفهم
او القي السمع وهو شهيد اي استمع وهو حاضر القلب **وما مسنا**
من لغوب الاعيا والتعب **واصبر علي ما يقولون** يعني كفار قريش
وغيرهم **وسبح بحمد ربك** يحتمل ان يريد التسبيح باللسان
او يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشري في الوجهين وقال ابن
عطية معناه صل باجماع المتأولين ونفي علي هذا الاشارة
الي الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل

الغروب

الغروب الظهر والعصر ومن اناء الليل المغرب والعشا وقيل هي
النوافل **وادبار السجود** قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب
رضي الله عنهما الركعتان بعد المغرب وقال ابن عباس هي النوافل
بعد الفرايض وقيل الوتر **واستمع** معناه انتظر فهو عامل في يوم
ينادي علي انه مفعول به صريح وقيل المعنى استمع لما نقص
عليك من احوال القيامة فعلي هذا لا يكون عاملا في يوم
ينادي فيوقف علي استمع والاول اظهر **يوم ينادي المنادي من**
مكان قريب المنادي هنا اسرافيل الذي ينفخ في الصور
وقيل انما وصفه بالقرب لانه يسمعه جميع الخلق وقيل
المكان صخرة بيت المقدس وانما وصفها بالقرب لقربها من
مكة وقيل لقربها من السما لانها اقرب الارض الي السما
بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف **يوم الخروج** يوم خروج
الناس من القبور **يوم تشقق** العامل في هذا الظرف معنى
قوله حشر علينا يسير وهو بدل مما قبله **وما انت عليهم**
بجبار اي بقهار تقهرهم علي الايمان كقوله لست عليهم
بمسيطر وقيل اخبار بانه صلي الله عليه وسلم روف
بهم غير جبار عليهم وهذا اظهر **فذكر بالقران من يخاف**
وعيد كقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم لانه لا ينفع التذكير
الامن يخاف

سورة الذاريات

والذاريات ذروا هي الرياح تذروا التراب وغيره ومنه
قوله تعالي تذروه الرياح وانتصب ذروا علي المصدرية
فالحاملات وقرا هي السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول
به **فالجاريات يسرا** هي السفن تجري في البحر واعراب
يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة **فالمقسمات امرا**
هي الملايكة تقسم امر الملكوت من الارزاق والاجال

وغير ذلك وامرا معمولا به وقيل ان الحاملات وقرا السفن
وقيل جميع الحيوان الحامل وقيل ان الجاريات يسرا السحاب
وقيل الجواري من الكواكب والاول اشهر وهو قول علي بن
ابي طالب انما توعدون لصادق هذا جواب القسم ويحتمل توعدون
ان يكون من الوعد او من الوعيد وان الدين لواقع الدين
هنا الجزا وقيل الحساب والسما ذات الحبك اي ذات الطرايق
مثل الطريق التي تكون في الما اذا ضربته الرياح
وكذلك حبك الدرع وهي الطرايق التي فيه وقيل الحبك
النجوم وقيل زينة السما وقيل حسن خلقتها وواحد
الحبك حباك او حبيكة انكم لفي قول مختلف يحتمل ان يكون
خطابا لجميع الناس لانهم اختلفوا فمنهم مومن ومنهم كافر
ويحتمل ان يكون خطابا للكفار خاصة لانهم اختلفوا فيهم
فبعضهم قال شاعر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ساحر
يوفك عنه من افك معني يوفك يصرف والضمير في عنه
يحتمل اربعة اوجه احدها ان يكون للنبي صلي الله عليه
وسلم او للقران او للاسلام والمعني يصرف عن الايمان به
من صرف اي من سبق في علم الله انه مصروف الثاني ان يكون
الضمير لما توعدون او للدين والمعني يصرف عن الايمان به
من صرف الثالث ان يكون الضمير للقول المختلف والمعني
يصرف عن ذلك القول الي الاسلام من قضي الله سعادته
وهذا القول احسن الا ان عرف الاستعمال في افك يوفك
انما هو في الصرف من خير الي شر وهذا من شر الي خير
الرابع ان يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببيه
والمعني يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الايمان
قتل الخراصون دعا عليهم كقولهم قاتله الله وقيل قتل

بمعني

معني لعن قال ابن عطية واللفظ لا يقتضي ذلك وقال الزمخشري اصله
الدعا بالقتل ثم جري مجري لعن وقبح والخراصون الكذابون واصل الخرص
التخمين والقول بالظن والاشارة الي الكفار وقيل الي الكهان والاول
اظهر الذين هم في غمرة الغمرة ما يغطي عقل الانسان واصله من غمرة
الما والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر يسئلون ايان يوم الدين
اي يقولون متي يوم الدين علي وجه الاستبعاد والاستخفاف يومهم
علي النار يفتنون هذا جواب عن سوالهم ومعني يفتنون يحرقون
ويعذبون ومنه قيل الحرة فتنة لان الشمس احرقت حجارتها
ويحتمل ان يكون يومهم معربا والعامل فيه مضمر تقديره يقع
ذلك يوم هم علي النار يفتنون وان يكون مبنيا لاضافته الي
مبني وعلي هذا يجوز ان يكون في موضع نصب بالفعل المضمر
حسبما ذكرنا او في موضع رفع والتقدير هو يوم هم علي النار يفتنون
ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا فتنتكم حرقتكم اخذين ما اتاهم
ربهم يعني ياخذون في الجنة ما اعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم
وقيل المعني اخذين في الدنيا ما اتاهم ربهم من شرعه والاول
اظهر وارجح لدلالة الكلام عليه كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
الهجوع النوم وفي معني الاية قولان احدهما وهو الصحيح كانوا ينامون
قليلا من الليل ويقطعون اكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع
والدعا والاخر انهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا ويختلف
الاعراب باختلاف المعنيين ففي القول الاول في الاعراب اربعة
اربعة اوجه الاول ان يكون قليلا خبر كانوا وما يهجعون فاعل
بقليلا لان قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل وتكون ما مصدرية
والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل والثاني مثل هذا الا ان
ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذي يهجعون فيه من الليل
والثالث ان تكون ما زايدة وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون

والتقدير كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل والرابع مثل هذا الا ان قليلا صفة لمصدر محذوف والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا واما على القول الثاني ففي الاعراب وجهان احدهما ان تكون ما نافية وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون والتقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل والاخر ان تكون ما نافية وقليلا خبر كان والمعنى كانوا قليلا في الناس ثم ابتدا بقوله ~~ما يهجعون~~ من الليل ما يهجعون وكلا الوجهين باطل عند اهل العربية لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان اعرابه **وبالاسحار هم يستغفرون** اي يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم والاسحار اخر الليل وقد جا في الحديث ان الله تعالى يقول في الثلث الاخر من الليل من يستغفرني فاغفر له وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا ابعد من اللفظ **وفي اموالهم حق للسايل والمحروم** الحق هنا نوافل الصدقات وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لان الاية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة وقيل ان الاية منسوخة بالزكاة وهذا لا يحتاج اليه لان النسخ انما يكون مع التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقا على المحسنين وان كان غير واجب وقال بعض العلما حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس في المحروم حتى قال الشعبي اعياني ان اعلم ما المحروم وقيل المحروم الذي ليس له في بيت المال سهم وقيل الذي اجيحت ثمرته وقيل الذي ماتت ماشيته وقيل هو الكلب وهذه امثلة والمعنى الجامع لها ان المحروم الذي حرمه الله المال باي وجه كان **وفي انفسكم** اشارة الى ما في خلقة الانسان من الايات والعبر ولقد قال بعض العلماء فيه ان فيه خمسة الاف حكمة وقال

بعضهم الانسان نسخة مختصرة من العالم كله **وفي السما رزقكم وما توعدون** معنى في السما رزقكم المطر وقيل القضا والقدر ويحتمل ان يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل في السما ولذلك قيل الجنة والنار وقيل الخير والشر **انه لحق** هذا جواب القسم والضمير لما تقدم من الايات والرزق او لما توعدون **مثل ما انكم تنطقون** اي حق مثل نطقكم لا يكن الشك فيه وما زايدة وقرى مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق والنصب على الحال من حق او من الضمير المستتر فيه او صفة لحق وبني لاضافته الى مبني او لتركيبه مع ما فيصير بمنزلة خمسة عشر وكلاهما **هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين** الاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل وضيف ابراهيم الذين جاوا ليبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط ووصفهم بالمكرمين لانهم مكرمون عند الله ولان ابراهيم عليه السلام اكرمهم لانه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل في اذ دخلوا على هذا المكرمين ويحتمل ان يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر **فقالوا سلاما** نصب هذا الاسم في معنى الطلب وهو منصوب بفعل مضمر ورفع الثاني لانه خبر تقديره امري سلام وهذا على ان يكون السلام بمعنى السلامة وان كان بمعنى التحية فانما رفع الثاني ليدل على اثبات السلام فيكون قد حياهم باكثر مما حيوه وينتصب السلام على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلاما ويرتفع الثاني بالابتدا تقديره سلام عليكم قوم منكرون اي لم يعرفهم **قال الا تاكلون** يحتمل ان يكون الا حضا على الاكل او تكون الهمزة للانكار دخلت على لا النافية **فاوجس منهم خيفة** انما خاف منهم لما لم ياكل **وبشروه بغلام عليم** هو اسحاق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحاق **في صرة** اي صيحة وذلك قولها

يا ويلتى الد وانا عجوز وهذا من صر القلم وغيره اذا صوت وقيل
معناه في جماعة من النسا فصكت وجهها اي ضربته حيا منهم
وتعجبا من ولادتها وهي عجوز وقالت عجوز عقيم تقديره
قالت انا عجوز عقيم فكيف الد او تقديره اتلد عجوز عقيم قال فما
خطبكم اي ما شانكم وخبركم والخطب اكثر ما يقال في الشدايد
قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين يعني قوم لوط وقد ذكرنا
الحجارة ومسومة في هود فاخرجنا من كان فيها من المومنين
الضمير المجرور للقرية قوم لوط لان الكلام يدل عليها وان لم
يتقدم ذكرها والمراد بالمومنين لوط واهله امرهم الله
بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي اصاب اهلها
ووصفهم بالمومنين وبالمسلمين لانهم جمعوا الوصفين وقد
ذكرنا معني الاسلام والايمان في الاحزاب وفي موسى معطوف
على قوله وفي الارض ايات للموقنين او على قوله وتركنا
فيها اية فتولى بركنه معني تولي اعرض عن الايمان وركنه
سلطانه وقوته وقالوا ساحر او مجنون اي قالوا ان موسى
ساحر او مجنون او للشك وللتقسيم وقيل بمعني الواو وهذا
ضعيف ولا يستقيم هنا وهو مليم اي مفعل ما يلام عليه يعني
فرعون الريح العقيم وصفها بالعقم لانها يركد فيها من انشا
المطر والقاح الشجر كالرميم اي الفاني المتقطع والعموم هنا
يراد به الخصوص فيما اذن للريح ان تهلكه وفي ثمود اذ قيل
لهم تمتعوا حتى حين فيه قولان احدهما ان الحين هو الثلاثة
الايام بعد عقرهم الناقة والاخر ان الحين من بعد ما بعث صالح
عليه السلام الي حين هلاكهم وعلي هذا يكون فعتوا مترتبا
بعد تمتعهم واما علي الاول فيكون اخبارا عن حالهم عند
مترتبه علي ما قبله فاخذتهم الصاعقة يعني الصيحة التي

صاحبها

صاحبها جبريل وهم ينظرون اي يعاينون لانها كانت بالنهار والسما
بنيناها باييد اي بقوة وانتصاب السما بفعل مضمر وانا لموسعون
فيه ثلاثة اقوال احدها ان معناه قادرون فهو من الوسع وهو
الطاقة ومنه علي الموسع قدره اي القوي علي الانفاق والاخر
جعلنا السما واسعة او جعلنا بينها وبين الارض سعة والثاني
او سعنا الارزاق بمطر السما فنعم الماهدون الماهد الموطي
للموضع ومن كل شي خلقنا زوجين اي نوعين مختلفين كالليل والنهار
والسواد والبياض والصحة والمرض وغير ذلك ففروا الي الله
امر بالرجوع اليه بالتوبة والطاعة وفي اللفظ تحذير وترهيب
اتواصوا به توقيف وتعجيب اي هم بمثابة من اوصى بعضهم
بعضا ان يقول ذلك فتول عنهم منسوخ بالسيف فما انت
بملوم اي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون قيل معناه خلقتهم لكي امرهم بعبادتي
وقيل ليتذللوا لي فان جميع الجن والانس متذلل ما اريد منهم
من رزق اي ما اريد ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم وما اريد
ان يطعمون اي ما اريد ان يطعمون لاني منزه عن الاكل وعن صفات
البشر وانا غني عن العطا وقيل المعني ما اريد ان يطعموا عبيدي
لحذف المضاف تجوزا وقيل معناه ما اريد ان ينفقون لاني
غني عنهم وعبر عن النفع العام بالاطعام والاول اظهر المتين
اي الشديد القوة فان للذين ظلموا ذنوبا الذنوب النصيب
ويريد به هنا نصيبا من العذاب واصل الذنوب الدلو والمراد
بالذين ظلموا كفار قريش وباصحابهم من تقدم من الكفار
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة

سورة الطور

والطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام

وقيل الطور كل جبل فكانه اقسم بجنس الجبال **وكتاب مسطور**
قيل هو اللوح المحفوظ وقيل القران وقيل صحايف الاعمال **في رق**
منشور الرق في اللغة الصحيفة وخصصت في العرف بما كان من جلد
والمنشور خلاف المطوي **والبيت المعمور** هو بيت في السما السابعة
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابدا وبهذا
عمرانه وهو حيال الكعبة وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها
بالحاج والطايفين والاول اشهر وهو قول علي وابن عباس
والسقف المرفوع يعني السماء **والبحر المسجور** هو بحر الدنيا
وقيل بحر في السما تحت العرش والاول اظهر واشهر ومعني
المسجور المملوء ماء وقيل الفارغ من الماء ويروي ان البحار
يذهب ماؤها يوم القيامة واللغة تقتضي الوجهين لانه لفظ
من الاضداد وقيل معناه الموقد نارا من قولك سجرت التنور
واللغة ايضا تقتضي هذا وروي ان جهنم في البحر **ان عذاب**
ربك لواقع هذا جواب القسم ويعني عذاب الاخرة **يوم تمور**
السما مورا اي تجي وتذهب وقيل تدور وقيل تشقق
والعامل في الظرف واقع او دافع او محذوف **الذين هم في**
خوض يلعبون الخوض التخبط في الاباطيل شبه بخوض الماء
يوم يدعون اي يدفعون بتعنيف ويوم بدل من الظرف
المتقدم **افسحر هذا** توبيخ للكفار علي ما كانوا يقولون
في الدنيا من ان القران سحر **ام انتم لا تبصرون** توبيخ ايضا
لهم وتهكم بهم اي هل انتم لا تبصرون هذا العذاب **انما تجزون**
ما كنتم تعملون هذا تعليل لما ذكر من عذابهم وليس تعليلا
لصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس **فاكهين** يحتمل ان يكون
معناه اصحاب فاكهة فيكون مثل لابن وتامر او يكون من الفاكهة
بمعني السرور **ووقاهم** معطوف علي قوله في جنات او علي

اتاهم

اتاهم ربهم او تكون الواو للحال **كلوا واشربوا** اي يقال لهم
كلوا **هنيا** صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا اكلا هنيا ويحتمل
ان يكون وقع موقع فعل تقديره هناكم الاكل والشرب **بحور عين**
جمع حوراء وهي الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها
والعين جمع عينا وهي الكبيرة العينين مع جمالها وانما دخلت
البا في بحور لانه تضمن قوله زوجناهم معني قرناهم قاله
الزمخشري وقال ان الذين امنوا معطوف علي بحور عين اي
قرناهم بحور العين للتلذذ بهن وبالذين امنوا للانس بهم والاظهر
ان الكلام تم في قوله بحور عين ويكون الذين امنوا مبتدا
خبره الحقنا **والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا**
بهم ذرياتهم معني الاية ما ورد في الحديث ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال ان الله يرفع ذرية المومن في
درجته في الجنة وان كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه
فذلك كرامة للابنا بسبب الابا فقيل ان ذلك في الاولاد الذين
ماتوا صغارا وقيل علي الاطلاق في الابنا المومنين وبايمان
في موضع الحال من الذرية والمعني انهم اتبعوا اباهم في الايمان
وقال الزمخشري ان هذا المجرور يتعلق بالحقنا والمعني عنده
بسبب الايمان الحقنا بهم ذرياتهم والاول اظهر فان قيل
لم قال بايمان بالتنكير فالجواب ان المعني بشي من الايمان لم
يكونوا به اهلا لدرجة ابايهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للاباء
فالمراد تقليل ايمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف اذا
كان ايمانا عظيما **وما التناهم من عملهم من شي** اي ما انقصناهم
من ثواب اعمالهم بل وفينا لهم اجورهم وقيل الحقنا ذرياتهم
بهم وما نقصناهم شيا من ثواب اعمالهم والضمير علي القولين
يعود علي الذين امنوا وقيل انه يعود علي الذرية **كل امرء**

بما كسب رهين اي موتمن فاما ان تنجيه حسناته واما ان تهلكه
سياته وامددناهم بفاكهة الامداد هو الزيادة مرة بعد
مرة يتنازعون فيها كاسا اي يتعاطونها اذ هم جلوسا على
الشراب لا لغو فيها ولا تاثيم اللغو الكلام الساقط والتاثيم الذنب
فهي بخلاف خمر الدنيا غلمان لهم يعني خدامهم كانهم لولو مكنون
اللولو الجوهر والمكنون المصون وذلك لحسنه وقيل هو
الذي لم يخرج من الصدف قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
اي كنا في الدنيا خايفين من الله والاشفاق شدة الخوف السموم
اشد الحر وقيل هو من اسما جهنم انا كنا من قبل ندعوه
يحتمل ان يكون بمعنى نعبده او من الدعا بمعنى الرغبة ومن
قبل يعنون في الدنيا قبل لقا الله انه هو البر الرحيم البر
الذي يبر عباده ويحسن اليهم وقري انه بفتح الهمزة على
ان يكون مفعولا من اجله او يكون هذا اللفظ هو المدعو ابه
وقري بكسرها على الاستيناف فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ذكر
الناس ثم نفي عنه ما نسبه اليه الكفار من الكهانة والجنون
ومعنى بنعمة ربك انعام الله عليك ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ام في هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام
بمعنى الانكار والتربص والانتظار وريب المنون حوادث الدهر
وقيل الموت وكانت قريش قد قالت انما هو شاعر ننتظر
به ريب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعرا
كزهير والنابغة قل تربصوا امر على وجه التهديد ام
تامرهم احلامهم بهذا الاحلام العقول اي كيف تامرهم
عقولهم بهذا والاشارة الى قولهم شاعر او الى ما هم عليه
من الكفر والتكذيب واسناد الامر الى الاحلام مجاز كقوله

اصلواتك

اصلواتك تامرك ام هم قوم طاغون ام هنا بمعنى بل ويحتمل ان تكون
بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الانكار كما هي في هذه المواضع
كلها فلياتوا بحديث مثله رد عليهم واقامة حجة عليهم والامر
هنا للتعجيز ام خلقوا من غير شي فيه ثلاثة اقوال احدها
ان معناه ام خلقوا من غير رب انشاهم واستعبدهم فمن اجل
ذلك لا يعبدون الله الثاني ام خلقوا من غير اب ولا ام كالجمادات
فهم لا يومرون ولا ينهون كحال الجمادات الثالث ام خلقوا من
غير ان يحاسبوا ولا يجازوا باعمالهم فهم على هذا كقوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ام هم الخالقون معناه ام هم
الخالقون لانفسهم بحيث لا يعبدون الخالق وقيل اهم الخالقون
للمخلوقات بحيث يتكبرون ام عندهم خزاين ربك المعنى
اعندهم خزاين الله بحيث هم يستغنون عن عبادتهم وقيل
اعندهم خزاين الله بحيث يعطون من شاوا ويمنعون من
شاوا ويخصون بالنبوة من شاوا ام هم المسيطرون
اي الارباب الغالبون وقيل المصيطر المسلط القاهر
ام لهم سلم يستمعون فيه يعني ام لهم سلم يصعدون به
الى السما فيسمعون ما تقول الملايكة بحيث يعلمون صحة
دعواهم ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون معناه
اتسالهم على الاسلام اجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق
عليهم اتباعك ام عندهم الغيب فهم يكتبون المعنى اعندهم
اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا انا لا نبعث وان
بعثنا لا نعذب وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرايع
من عبادة الاصنام وتسييب السوايب وشبه ذلك ام يريدون
كيدا اشارة الى كيدهم في دار الندوة بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث تشاوروا في قتله او اخراجه فالذين كفروا

هم المكيدون اي المغلوبون في الكيد والذين كفروا يعني من تقدم
الكلام فيهم وهم قريش فوضع الظاهر موضع المضمر ويحتمل ان يريد
جميع الكفار ام لهم اله غير الله المعني هل لهم اله غير الله يمنعهم
من عذاب الله ويعصمهم وحصر في هذه الاية جميع المعاني
التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الاسلام ونفاها
عنهم ليبين ان تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة
وان يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم كانوا
قد طلبوا ان ينزل عليهم كسفا من السما فالمعني انهم لو راوه
ساقطا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد ان يقولوا
ليس بكسف وانما هو سحاب مركوم اي كثيف بعضه فوق
بعض فذرهم منسوخ بالسيف يومهم الذي فيه يصعقون
يعني يوم القيامة والصعقة هي النفخة الاولي وقيل غير
ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم القيامة
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون عذابا دون ذلك يعني قتلهم
يوم بدر وقيل الجوع بالقحط وقيل عذاب القبر واصبر لحكم
ربك اي اصبر علي تكذيبهم لك وامهالنا لهم فانا نريك
وسبح بحمد ربك حين تقوم احدها فيه ثلاثة اقوال
احدها انه قول سبحان الله ومعني حين تقوم حين تقوم
من كل مجلس وقيل اراد حين تقوم وتقعد وفي كل
حال وجعل القيام مثالا الثاني انه الصلوات النوافل
والثالث انها الصلوات الفرايض فمن حين تقوم الظهر
والعصر اي حين تقوم من نوم القايلة ومن الليل
المغرب والعشا وادبار النجوم الصبح ومن قال هي النوافل

سورة النجم

جعل ادبار النجوم ركعتي الفجر
والنجم اذا هوي فيه ثلاثة اقوال احدها انها الثريا

لانها

لانها غالب عليها التسمية بالنجم ومعني هوي غرب او انتشر
يوم القيامة الثاني انه جنس النجوم ومعني هوي كما
ذكرنا او انقضت ترجم الشياطين الثالث انه من نجوم
القران التي تنزل منه وهوي علي هذا نزل ما ضل
صاحبكم وما غوي هذا جواب القسم والخطاب لقريش
وصاحبكم هو النبي صلي الله عليه وسلم فنفي عنه
الضلال والغي والفرق بينهما ان الضلال بغير قصد والغي
بقصد وتكسب وما ينطق عن الهوي اي ليس يتكلم
بهواه وشهوته انما يتكلم بما يوحي الله اليه ان هو الا وحي
يوحي يعني القران علمه شديد القوي ضمير المفعول للقران
او النبي صلي الله عليه وسلم والشديد القوي جبريل
وقيل الله تعالي والاول ارجح لقوله ذي قوة عند ذي
العرش والقوي جمع قوة ذو مرة اي ذو قوة وقيل ذو
هيئة حسنة والاول هو الصحيح في اللغة فاستوي
اي استوي جبريل في الجو اذ راه النبي صلي الله عليه وسلم
وهو بحرا وقيل معني استوي ظهر في صورته له ستماية
جناح قد سد الافق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور
اذا نزل بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وهو بالافق
الاعلي الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلي الله عليه
وسلم والاول اصح ثم دنا فتدلي الضميران لجبريل اي
دنا من سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فتدلي في الهوي
وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره تدلي فدنا فكان
قاب قوسين او ادني القاب مقدار المسافة اي كان جبريل
من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القرب بمقدار
قوسين عربيين ومعناه من طرف العود الي الطرف الاخر

وقيل من الوتر الى العود وقيل ليس القوس التي يرمي بها
وانما هو ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبي وقيل
انه من لغة اهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة
جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب
قوسين ثم حذفت هذه المضافات ومعنى او ادنى او
اقرب واو هنا مثل قوله او يزيدون واشبه التاويلات
فيهما انه اذا نظر اليه البشر احتمل ان يكون عنده ان يكون
قاب قوسين او يكون ادنى وهذا الذي ذكرنا ان هذه
الضماير المتقدمة لجبريل هو الصحيح وقد ورد ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
وقيل انها لله تعالى وهذا القول يرد عليه الحديث
والعقل اذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الاوصاف من
الدنو والتدلي وغير ذلك **فاوحى الى عبده ما اوحى** في
هذه الضماير ثلاثة اقوال الاول ان المعنى اوحى الله
الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى الثاني
اوحى الله الى عبده جبريل ما اوحى وعاد الضمير على
الله في القولين لان سياق الكلام يقتضي ذلك وان لم يتقدم
ذكره فهو كقوله انا انزلناه الثالث اوحى جبريل الى
عبد الله محمد ما اوحى وفي قوله ما اوحى ابهام مراد
يقتضي التفخيم والتعظيم **ما كذب الفواد ما راى** ما كذب فواد
محمد صلى الله عليه وسلم ما راه بعينه بل صدق بقلبه
ان الذي راه بعينه حق والذي راه هو جبريل يعني حين
راه بمقدار ملا الافق وقيل راه ملكوت السموات والارض
والاول ارجح لقوله ولقد راه نزلة اخرى وقيل الذي
راه هو الله تعالى وانكرت ذلك عايشة وسيل رسول

الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال قد رايت
اراه **افتمارونه على ما يرى** خطاب لقريش والمعنى اتجادلونه
على ما يرى وكانت قريش قد كذبته ذلك لما قال انه راه
ما راه **ولقد راه نزلة اخرى** اي لقد راه محمد جبريل عليهما
الصلاة والسلام مرة اخرى وهو ليلة الاسرى وقيل
ضمير المفعول لله تعالى وانكرت ذلك عايشة وقالت من
زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم الفرية على الله عند سدرة
المنتهى هي شجرة في السما السابعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثمرها كالقلال وورقها كاذان
الفيلة وسميت شجرة المنتهى لان اليها ينتهي علم كل عالم
ولا يعلم ما وراها الا الله وقيل سميت بذلك لان ما نزل
من امر الله يلتقي عندها فلا يتجاوزها ملايكة العلو الى
السفل ولا يتجاوزها ملايكة السفل الى العلو **عندها جنة
الماوى** يعني ان الجنة التي وعد الله عباده عند سدرة
المنتهى وقيل هي جنة اخرى تاوي اليها ارواح الشهدا
والاول اظهر واشهر **اذ يغشى السدرة ما يغشى** فيه ابهام
لقصد التعظيم قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب
وقيل كثرة الملايكة وفي الحديث ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال تغشيها الوان لا ادري ما هي وهذا
اولى ان تفسر به الاية **ما زاغ البصر وما طغى** اي ما زاغ
بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما راه من العجايب
بل اثبتها وتيقنها وما طغى اي ما تجاوز ما راه الى غيره
لقد راى من ايات ربه الكبرى يعني ما راى ليلة الاسرى من
السموات والجنة والنار والملايكة والانبيا وغير ذلك
ويحتمل ان يكون الكبرى مفعولا او نعتا لايات ربه والمعنى

يحتمل علي ذلك افرايتم اللات والعزي ومنات الثالثة الاخري
هذه اوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها
من العرب علي وجه التوبيخ لهم وقال ابن عطية الرويا
هنا روية العين لان الاوثان المذكورة اجرام مرئية
فاما اللات فصنم كان بالطايف وقيل كان بالكعبة واما
العزي فكانت صخرة بالطايف وقيل شجرة فبعث
اليها رسول الله صلي الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعوا
بالويل فضربها بالسيف حتي قتلها وقيل كانت بيت
تعظمه العرب واصل لفظ العزي مونثة العز واما
مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة
وكانت اعظم هذه الاوثان قال ابن عطية ولذلك قال
تعالي الثالثة الاخري فاكدها بهاتين الصفتين وقال
الزمخشري الاخري ذم وتحقير اي المتاخرة الوضيعة القدر
ومنه وقالت اخراهم لاولاهم الكم الذكر وله الانثي كانوا
يقولون ان الملايكة وهذه الاوثان بنات الله فانكر الله
عليهم ذلك اي كيف تجعلون لانفسكم الاولاد الذكور وتجعلون
لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة وقد ذكر هذا المعني
في النحل وغيرها ويحتمل ان يكون انكر عليهم جعل هذه الاوثان
شركا لله تعالي مع انهن اناث والاناث حقيرة بغيضة عندكم
تلك اذا قسمة ضيزي اي هذه القسمة التي قسمتم جايرة
غير عادلة يعني جعلهم الذكور لانفسهم والاناث لله
تعالي ووزن ضيزي فعلي بضم الفا ولكنها كسرت اليا التي
بعدها ان هي الا اسما الضمير للاوثان وقد ذكر هذا المعني
في الاعراف في قوله اتجادلونني في اسما ان يتبعون الا الظن

يعني

يعني انهم يقولون اقوالا بغير حجة كقولهم الملايكة بنات الله وقولهم ان
الاصنام تشفع لهم وغير ذلك ام للانسان ما تمني ام للانكار والانسان
هنا جنس بني ادم اي ليس لاحد ما يتمني بل الامور بيد الله
وقيل ان الاشارة الي ما طمع فيه الكفار من شفاعة الاصنام
وقيل الي قول العاصي بن وايل لاوتين مالا وولدا وقيل هو
تمني بعضهم ان يكون نبيا والاحسن حمل اللفظ علي اطلاقه
وكم من ملك في السموات الاية رد علي الكفار في قولهم ان
الاوثان تشفع لهم كانه يقول الملايكة الكرام لا تغني شفاعتهم
شيا الا ان اذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضي عنهم ليسمون الملايكة
تسمية الانثي يعني قولهم ان الملايكة بنات الله ثم رد عليهم
بقوله وما لهم به من علم ذلك مبلغهم من العلم اي الي ذلك
انتهي علمهم لانهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في
الاخرة ليجزي اللام متعلقة بمعني ما قبلها والتقدير ان
الله ملك امر السموات والارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا
وقيل يتعلق بضل واهتدي كباير الاثم ذكر الكباير في النسا
الا اللمم فيه اربعة اقوال الاول انه صغاير الذنوب فالاستثنا
علي هذا منقطع الثاني انه الالمام بالذنوب علي وجه الفلتة
والسقطة دون دوام عليها الثالث ما الموا به في الجاهلية
من الشرك والمعاصي الرابع انه الهم بالذنوب وحديث
النفس دون ان يفعل اجنة جمع جنين فلا تزكوا انفسكم
اي لا تنسبوا انفسكم الي الصلاح والخير قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون نهي عن ان يزكي بعض الناس بعضا وهذا بعيد لانه
يجوز التزكية في الشهادة وغيرها افرايت الذي تولي
الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في العاصي
ابن وايل واكدي اي قطع العطا وامسك وابراهيم الذي وفي

طاعة الله في ذبح ولده وقيل وفي تبليغ الرسالة وقيل
وفي شرايع الاسلام وقيل وفي الكلمات التي ابتلاه الله
بها وقيل بهذه العشر الايات الا تزر وازرة وزر اخرى
ذكر فيما تقدم وهذه الجملة تفسير لما في صحف ابراهيم وموسى
عليهما السلام وان ليس للانسان الا ما سعى السعي هنا بمعنى
العمل وظاهرها انه لا ينتفع احد بعمل غيره وهي حجة لمالك
في قوله لا يصوم احد عن وليه اذا مات وعليه صيام
واتفق العلما على ان الاعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز
ان يفعلها الانسان عن غيره ويصل نفعها الى من فعلت
عنه واختلفوا في الاعمال البدنية كالصلاة والصيام
وقيل ان هذه منسوخة بقوله الحقنا بهم ذريتهم والصحيح
انها محكمة لانها خبر والاخبار لا تنسخ وفي تاويلها ثلاثة
اقوال الاول انها اخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم
في شريعتنا الثاني ان للانسان ما عمل بحق وله ما عمل له
غيره بهبة العامل له فجاءت الاية في اثبات الحقيقة دون
ما زاد عليها الثالث انه في الذنوب وقد اتفق انه لا يحمل
احد ذنب احد ويدل على هذا قوله بعدها ان لا تزر وازرة
وزر اخرى وكانه يقول لا يواخذ احد بذنب غيره الا بذنب
نفسه وان سعيه سوف يرى قيل معناه يراه الخلق يوم
القيامة والاظهر انه صاحبه لقوله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره وان الى ربك المنتهى فيه قولان احدهما ان معناه
الى الله المصير في الاخرة والاخر ان معناها ان العلوم تنتهي
الى الله ثم تقف العلما عند ذلك وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا فكرة في الرب وانه هو اضحك وابكى
قيل معناه اضحك اهل الجنة وابكى اهل النار وهذا تخصيص

لا دليل عليه وقيل ابكى السما بالمطر وابكى الارض بالنبات
وهذا مجاز وقيل خلق في ابن ادم الضحك والبكا والصحيح
انه عبارة عن الفرح والحزن ان الفرح الضحك دليل على
السرور والفرح كما ان البكا دليل على الحزن فالمعنى ان الله
تعالى احزن من شا من عباده واسر من شا امات واحيا
يعني الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل احيا بالايمان
وامات بالكفر والاول ارجح لانه حقيقة من نطفة يعني المني
اذا تمنى من قولك امنى الرجل اذا اخرج منه المني النشاة
الاخرى يعني الاعادة للحشر واقنى يعني اكسب عباده المال
وهو من قنية المال وهو كسبه واذخاره وقيل معنى اقنى
افقر وهذا لا تقتضيه اللغة وقيل معناه ارضى وقيل
قنع عبده الشعرا نجم في السما ويسمى كلب الجبار وهما شعريان
وهما الغميصا والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم
لان بعض العرب كان يعبدها عادا الاولى وصفها بالاولى لانها
كانت في قديم الزمان فهي اولى بالاضافة الى الامم المتاخرة
وقيل انما سميت اولى لان ثم عادا اخرى وهذا لا يصح وقرا
نافع عادا الاولى بادغام تنوين عاد في لام الاولى بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام وضعف المازني والمبرد هذه
القراءة وهم قالون الواو دون ورش وقرا الباقون على
الاصل بكسر تنوين عاد واسكان لام الاولى وثمودا فما
ابقى اي ما ابقى منهم احدا وقيل ما ابقى عليهم والموتفكة
اهوى هي مدينة قوم لوط ومعنى اهوى طرحها من علو
الى اسفل وفي قوله ما غشى تعظيم للامر فباي الاء ربك تتما ري
هذا مخاطبة للانسان على الاطلاق ومعناه باي نعم ربك
تشك هذا نذير يعني القران او النبي صلى الله عليه وسلم

ومعنى من النذر الاولى من نوعها وصفتها ازفت الازفة اي قربت
القيامة كاشفة يحتمل لفظه ثلاثة اوجه ان يكون مصدرا
كالعاقبة اي ليس لها كاشف وان يكون بمعنى كاشف والتاء
للمبالغة كعلامة وان يكون صفة لمحذوف تقديره نفس
كاشفة او جماعة كاشفة ويكون معناه وجهين احدهما يحتمل
ان يكون من الكشف بمعنى الازالة اي ليس لها من يزيلها اذا
وقعت والاخر ان يكون بمعنى الاطلاع اي ليس لها من يعلم
وقتها الا الله افمن هذا الحديث تعجبون الاشارة الي القران
وتعجبهم منه انكاره وانتم سامدون اي لاعبون لاهون وقيل
غافلون معرضون فاسجدوا لله واعبدوا هذا موضع سجدة
عند الشافعي وغيره وقد قال ابن مسعود قراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسجد وسجد كل من كان معه

سورة القمر

اقتربت الساعة اي قربت القيامة ومعنى قربها انما بقي لها
من الزمان قليل بالنسبة الي ما مضى ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار
بالسبابة والوسطى وانشق القمر هذا اخبار بما جرى في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان قريشا
سالته اية فاراهم انشقاق القمر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا وقال عبد الله بن مسعود انشق القمر
فرايته فرقتين فرقة وراء الجبل واخرى دونه وقيل
معنى انشق القمر انه ينشق يوم القيامة وهذا قول باطل
ترده الاحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر وقد
اتفقت الامة على وقوع ذلك وعلى تفسير الاية بذلك
الا من يعتبر قوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر

هذه

هذه الضماير لقريش والاية المشار اليها انشقاق القمر وعند
ذلك قالت قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دايم وقيل
معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا
من المرة وهي القوة وكل امر مستقر اي كل شي لابد له من
غاية فالحق يحق والباطل يبطل ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر الانباء هنا يراد بها ما ورد في القران من القصص والبرا هين
والمواعظ ومزدجر اسم مصدر من ازدجار او اسم موضع
بمعنى انه مظنة ان يزدجر به حكمة بالغة بدل مما فيه او خبر
ابتدا مضمر فما تغن النذر يحتمل ان تكون ما نافية او استفهامية
لمعنى الاستبعاد والانكار فتول عنهم اي اعرض عنهم لعلمك ان
الانذار لا ينفعهم يوم يدع الداعي الي شي نكر العامل في يوم
مضمر تقديره اذكر او قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل
فيه تول عنهم لفساد المعنى فقد تم الكلام في قوله تول
عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تول عنهم الي يوم يدعو
يدع الداع والاول اظهر واشهر والداعي جبريل واسرافيل
اذ ينفخ والشي النكر ~~الشديد~~ الفظيع واصله من الانكار
وهو منكور لانه لم ير قط مثله والمراد به يوم القيامة
خشعا ابصارهم كناية عن الذلة وانتصب خشعا على
الحال من الضمير في يخرجون يخرجون من الاجداث
اي من القبور كانهم جراد منتشر شبههم بالجراد في خروجهم
من الارض فكانه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج
النبات وقيل انما شبههم بالجراد في كثرتهم وان بعضهم
يموج في بعض مهطعين اي مسرعين وقيل ناظرين الي
الداع فكذبوا عبدنا يعني نوح عليه السلام ووصفه هنا
بالعبودية تشريفا له واختصاصا وازدجر اي زجروه

بالشتم والتخويف وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من
المرجومين **فدعا ربه اني مغلوب فانتصر** اي قد غلبني الكفار
فانتصر لي وانتصر لنفسك وقالت المتصوفة معناه قد
غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني وهذا
بعيد ضعيف **ففتحنا ابواب السما بما منهمر** عبارة عن كثرة
المطر كانه يخرج من ابواب وقيل فتحت ابواب يومئذ
حقيقة والمنهمر الكثير **فالتقى الما** ما السما وما الارض **على
امر قد قدر** اي قد قضي في الازل ويحتمل ان يكون المعني انه
قدر بمقدار معلوم وروي في ذلك انه علا فوق الارض
اربعين ذراعا **وحملناه على ذات الواح ودسر** يعني السفينة
والدسر هي المسامير احدها دسار وقيل هي مقادم السفينة
وقيل اضلاعها والاول اشهر **تجري باعيننا** عبارة عن حفظ
الله ورعيه لها **جزا لمن كان كفر** اي جزا لنوح وقيل جزا
لله تعالي والاول اظهر وانتصب جزا على انه مفعول من
اجله والعامل فيه ما تقدم من فتح ابواب السما وما بعده
من الافعال اي جعلنا ذلك كله جزا لنوح ويحتمل ان
يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف
الضمير او يكون من الكفر بالنعمة لان نوح عليه السلام نعمة
من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا الي الضمير المحذوف
ولقد تركناها اية الضمير للقصة المذكورة او للفعلة او
السفينة وروي في هذا المعني انها بقيت على الجودي
حتي نظر اليها اوايل هذه الامة **فهل من مدكر** تحضيض
على الادكار وفيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزنه
مدكر مفتعل واصله مذتكر ثم ابدلت من التا دال وادغمت
فيها الدال **فكيف كان عذابي ونذر** توقيف فيه تهديد

لقريش

لقريش والنذر جمع نذير **ولقد يسرنا القران للذكر** اي يسرنا للحفظ
وهذا معلوم بالمشاهدة فانه يحفظه الاطفال الاصاغر وغيرهم
حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب وقد روي انه لم يحفظ شي من
كتب الله عن ظهر قلب الا القران وقيل معني الاية سهلناه
للفهم والاتعاظ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وانما
كرر هذه الاية البليغة وقوله فذوقوا عذابي ونذر
لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها اذ كل قصة من
القصص الذي ذكر عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ
السامع من الوعيد في قوله فكيف كان عذابي ونذر
ومن الملاطفة في قوله ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر **ريحا صرصرا** اي مصوتة فهو من الصرير بمعني
الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصر **يوم نحس مستمر**
روي انه كان يوم اربعا حتي راي بعضهم ان كل يوم اربعا
نحس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اخر اربعا من الشهر يوم نحس مستمر **تنزع الناس** اي تقلعهم
من مواضعهم **كانهم اعجاز نخل منقعر** اعجاز النخل هي اصولها
والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لانهم طوال
عظام الاجسام كالنخل وقيل كانت الريح تقطع روسهم
فتبقي اجسادا بلا روس فشبههم باعجاز النخل لانها دون
اغصان وقيل كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح
فهلكوا فيها فشبههم باعجاز النخل اذا كانت في حفرها
ابشرا هو صالح عليه السلام وانتصب بفعل مضمر والمعني
انهم انكروا ان يتبعوا بشرا وطلبوا ان يكون الرسول من
الملايكة ثم زادوا ان انكروا ان يتبعوا واحدا وهم جماعة
كثيرة **وسعر** اي عناد وقيل معناه جنون وقيل معناه

نهر وغم واصله من السعير بمعني النار وكانه احتراق النفس
بالهم القي الذكر عليه من بيننا انكروا ان يخصه الله بالنبوة
دونهم وذلك جهل منهم فان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء
اشر بطر متكبر ونبيهم ان الماء قسمة بينهم اي لهم يوم وللناقة
يوم من غير ان يتعدوا علي الناقة فالضمير في بينهم يعود
علي ثمود وعلي الناقة تغليبا للعقلا وقيل ان الضمير لثمود
والمعني ان لا يعتدي بعضهم علي بعض كل شرب محتضر اي
محضور مشهود فنادوا صاحبهم يعني عاقر الناقة واسمه قدار
وهو وهو ايش ثمود واشقاها فتعاطي اي اجترا علي امر
عظيم وهو عقر الناقة وقيل تعاطي السيف صيحة واحدة صاح
بهما جبريل صيحة فماتوا منها فكانوا كهشيم المحتظر الهشيم
ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمحتظر الذي يعمل
الحضيره وهي حايط من الاغصان او القصب او نحو ذلك
يكون تحليقا للمواشي او للسكني فشبه الله ثمود لما هلكوا
بما يتفتت من الحضيرة من الاوراق وغيرها وقيل
المحتظر المحترق حاصبا ذكر في العنكبوت فتماروا بالنذر
تشككوا ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم الضيف
هنا هم الملايكة الذين ارسلهم الله الي لوط ليهلكوا قومه
وكان قومه قد ظنوا انهم من بني ادم وارادوا منهم الفاحشة
فطمس جبريل علي اعينهم فاستوت مع وجوههم وقيل
ان الطمس عبارة عن عدم رويتهم لهم وانهم دخلوا منزل
لوط فلم يروا فيه احدا اكفاركم خير من اوليكم هذا خطاب
لقريش علي وجه التهديد والهمزة للانكار ومعناه هل
الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين هلكوا
هم كما كذبوا الرسل وتنجون انتم وقد كذبتم رسلكم بل الذي

اهلكهم

الذي اهلكهم يهلككم ام لكم براة في الزبر معناه ام لكم في كتاب
الله براة من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر اي نحن نجتمع
وننتصر لانفسنا بالقتال سيهزم الجمع ويولون الدبر
هذا وعد من الله لرسوله بان سيهزم جمع قريش وقد
ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة ان المجرمين في ضلال وسعر
المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم في الدنيا والسعر
في الاخره وهو الاحتراق وقيل اراد بالمجرمين القدريه
لقوله في الرد عليهم انا كل شي خلقناه بقدر اي بقضا
معلوم سابق في الازل ويحتمل ان يكون بمعني بقدر بمقدار
في هيبته وصفته وغير ذلك والاول ارجح وفيه حجة
لاهل السنة علي القدرية وانتصب كل شي بفعل مضمر
يفسره خلقناه وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر عبارة
عن سرعة التكوين ونفوذ امر الله والواحدة يراد بها
الكلمة وهي قوله كن ولقد اهلكنا اشياعكم يعني اشباهكم
من الكفار وكل شي فعلوه في الزبر اي كل ما فعلوه مكتوب
في صحايف الاعمال مستطر اي مكتوب وهو من السطر
تقول سطرت واستطرت بمعني واحد والمراد الصغير
والكبير من اعمالهم وقيل جميع الاشيا ونهر يعني انهار الما
والخمر واللبن والعسل واكتفي باسم الجنس في مقعد صدق
اي في مكان مرضي سورة الرحمن عز وجل
الرحمن علم القران هذا تعديد نعمة علي من علمه الله
القران وقيل معني علم القران جعله علامة واية
لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم والاول اظهر وارتفع
الرحمن بالابتدا والافعال التي بعده اخبار متواليه
ويدل علي ذلك مجيئها بدون حرف عطف خلق الانسان

قيل جنس الناس وقيل يعني ادم وقيل يعني سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم واللام للتعريف على التخصيص والاول ارجح علمه
البيان يعني النطق والكلام الشمس والقمر بحسبان اي يجريان في الفلك
بحساب معلوم وترتيب مقدر وفي ذلك دليل على الصانع
الحكيم المريد القدير والنجم والشجر يسجدان النجم عند ابن
عباس النبات الذي لا ساق له كالبقول والشجر النبات
الذي له ساق وقيل النجم جنس نجوم السما والسجود عبارة
عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبه
وسجود الشجر ظله ووضع الميزان يعني الميزان المعروف في
الذي يوزن به العطا وغيره وكرر ذكره اهتماما به وقيل
اراد العدل ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا اذا وزنتم للانام
اي للناس وقيل الانس والجن وقيل الحيوان كله الاكمام
يحتمل ان يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطي وتليف النخل من
الليف وبه شبه كم القميص او يكون جمع كم بالكسر وهو
غلاف الثمرة العصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان
قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من
النبات وقيل هو الرزق فباي الاء ربكما تكذبان الالا هي
النعم واحدها الى على وزن معا وقيل الى على وزن قفى
وقيل الى على وزن امرا والى على وزن مني والخطاب
للثقلين الانس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان
روي ان هذه الاية لما قراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم سكت اصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم
اني لما قراتها على الجن قالوا لا نكذب بشي من الاء ربنا وكرر
هذه الاية تاكيدا او مبالغة وقيل ان كل موضع منها
يرجع الى معنى الاية التي قبله فليس بتاكيد لان التاكيد

لا يزيد

لا يزيد على ثلاث مرات خلق الانسان من صلصال كالفخار
الانسان هو ادم والصلصال الطين اليابس فاذا طبخ فهو
فخار وخلق الجان من مارج من نار الجان الجن يعني ابليس
والد الجن والمارج اللهيب المضطرب من النار رب المشرقين
ورب المغربين يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس
والقمر وقيل مشرقي الصيف والشتا ومغربيهما البحرين يلتقيان
ذكر في الفرقان اي يلتقي ما هذا وما هذا وذلك اذا نزل
المطر في البحر على القول بان البحر العذب هو المطر واما
على القول بان البحر العذب هو الانهار والعيون فالتقاوهما
بانصباب الانهار في البحر واما على قول من قال ان البحرين
بحر فارس والروم او بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله في
الفرقان هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وكل واحد
من هذه اجاج والمراد بالبحرين في هذه السورة ما اراد في
الفرقان بينهما برزخ اي حاجز يعني جرم الارض او حاجز
من قدرة الله لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الاخر بالاختلاط
وقيل لا يبغيان على الناس بالغرق يخرج منهما اللولو
والمرجان اللولو الجوهر والمرجان صغاره وقيل بالعكس
وقيل ان المرجان احجار حمر قال ابن عطية وهذا هو الصواب
واما قوله منهما ولا يخرج الا من احدهما فقد تكلمنا عليه
في فاطر وله الجواري المنشات في البحر كالاعلام يعني السفن
وسماها منشات لان الناس ينشونها وقري بكسر الشين
بمعنى انها تنشي السير او تنشي الموج والاعلام الجبال شبه
السفن بها كل من عليها فان الضمير في عليها للارض يدل
على ذلك سياق الكلام لها ذكر ويعني بمن عليها بني ادم
وغيرهم من الحيوان ولكنه غلب العقلا ويبقى وجه ربك

ذو الجلال والاكرام الوجه هنا عبارة عن الذات وذو الجلال
صفة للذات لان من اسمايه تعالي الجليل ومعناه يقرب من
معني التعظيم واما وصفه بالاكرام فيحتمل انه يكرم عباده
كما قال ولقد كرمنا بني ادم او بمعني ان عباده يكرمونه
بتوحيده وتسبيحه يساله من في السموات والارض
المعني ان كل من في السموات والارض يسال حاجته من
الله فمنهم من يساله بلسان القال وهم المومنون ومنهم
من يساله بلسان الحال لافتقار الجميع اليه كل يوم هو في
شان المعني انه تعالي يتصرف في ملكوته تصرفا يظهر في
كل يوم من العطا والمنع والاتد والاحيا وغير ذلك وروي
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قيل له وما ذلك
الشان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع اخرين وسيل بعضهم كيف قال كل يوم هو
في شان والقلم قد جف بما هو كاين الي يوم القيامة فقال
هو في شان يبديه لا في شان يبتديه سنفرغ لكم ايها
الثقلان قال جعفر بن محمد سمي الانس والجن ثقلين
لانهما ثقلا بالذنوب معناه الوعيد كقولك لمن تهدده
سافرغ لعقوبتك وليس المراد التفرغ من شغل ويحتمل
ان يريد انتها مدة الدنيا وانه حينيذ ينقضي شغلها فلا
يبقي الا شان الاخرة فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر
ابن محمد سمي الانس والجن ثقلين لانهما ثقلا بالذنوب ان استطعتم
ان تنفذوا اي ان قدرتم علي الهروب والخروج من اقطار
السموات والارض فافعلوا وروي انهم يفرون يوميذ لما
يرون من اهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملايكة
قد احاطت بالارض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك في

الدنيا

في الدنيا والمعني ان استطعتم الخروج عن قهر الله وقضايه
عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا امر يراد به التعجيز لا تنفذون
الا بسلطان اي لا تقدرون علي النفوذ الا بقوة وليس لكم
قوة يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الشواظ لهيب النار
والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب علي روسهم
وقري شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقري نحاس
بالرفع عطف علي شواظ وبالخفض عطف علي نار فاذا انشقت
السما جواب اذا قوله فيوميذ وقال ابن عطية جوابها محذوف
فكانت وردة كالدهان معني وردة حمرا كالوردة وقيل هو من
الفرس الورد قال قتادة السما اليوم خضرا وهي يوم القيامة
حمرا والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء
يوم القيامة به لانها تذاب من شدة الهول وقيل
شبه لمعانها بلمعان الدهن وقيل ان الدهان هو الجلد
الاحمر فيوميذ لا يسيل عن ذنبه انس ولا جان السوال
المنفي هنا علي وجه الاستخبار وطلب المعرفة اذ لا يحتاج
الي ذلك لان المجرمين يعرفون بسيماهم ولان اعمالهم معلومة
عند الله مكتوبة في صحايفهم واما السوال الثابت في
قوله فوربك لنسالنهم اجمعين وغيره فهو سوال علي
وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي والمثبت
وقيل ان ذلك باختلاف المواطن والاول احسن يعرف
المجرمون بسيماهم يعني بعلاماتهم وهي سواد الوجوه
وغير ذلك والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون فيوخذ بالنواصي والاقدام قيل
معناه يوخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه
وقيل بل يوخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوي ويطرح

في النار يطوفون بينها وبين حميم ان الحميم الماء السخن والان الشديد الحر وقيل الحاضر من قولك ان الشي اذا حضر والاول اظهر ولمن خاف مقام ربه جنتان مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قيام الله بأعماله ومنه افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقيل معناه لمن خاف واقحم المقام كقولك خفت جانب فلان واختلف هل الجنتان لكل خايف على انفراده او لصنف الخايفين وذلك مبني على قوله لمن خاف هل يراد به واحد او جماعة وقال الزمخشري انما قال جنتان لانه خاطب الثقلين فكانه قال جنة للانس وجنة للجن ذواتا افنان تثنية ذات هنا على الاصل لان اصله ذوات قال ابن عطيه والافنان جمع فنن وهو الغصن وجمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها من كل فاكهة زوجان اي نوعان وجنا الجنتين دان الجنا هو ما يجتنى من الثمار وداني قريب وروي ان الانسان يجتني الفاكهة في الجنة على اي حال كان من قيام او قعود او اضطجاع لانها تدنى له اذا ارادها وفي قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس قاصرات الطرف ذكر في الصافات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان المعنى انهن ابكار لم يطمثهن معناه لم يفتضهن وقيل الطمث الجماع سوا كان لبكرا او غيرها ونفي ان يطمثهن انس او جان مبالغة وقصد العموم فكانه قال لم يطمثهن شي وقيل اراد لم يطمث نسا الانس انس ولم يطمث نسا الجن جن وهذا على القول بان الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر كانهن الياقوت والمرجان شبه النسا

باليا

باليا قوت والمرجان في الحمرة والجمال وقد ذكرنا المرجان في اول السورة هل جزا الاحسان الا الاحسان المعنى ان جزا من احسن بطاعة الله ان يحسن الله اليه بالجنة ويحتمل ان يكون الاحسان هنا هو الذي سال عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وذلك هو مقام المراقبة فهو والمشاهده فجعل جزا ذلك الاحسان بهاتين الجنتين ويقوي هذا انه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لاهل المقام العلي وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك فالجنتان المذكورتان اولا للسابقين والجنتين المذكورتين ثانيا بعد ذلك لاصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة وانظر كيف جعل اوصاف هاتين الجنتين اعلى من اوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا عينان تجريان وقال في الاخريتين عينان نضاختان والجري اشد من النضخ وقال هنا من كل فاكهة زوجان وقال هناك فاكهة ونخل ورمان وكذلك صفة الحور هنا ابلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وكل ما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وكل ما فيهما مدهامتان اي تضربان الى السواد من شدة الخضرة عينان نضاختان اي تفوران بالماء والنضخ بالخا المعجمة اشد من النضح بالحاء المهملة فاكهة ونخل ورمان خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفا وبيانا لفضلهما على ساير الفواكه وهذا هو التجريد خيرات حسان خيرات جمع خيره وقال الزمخشري وغيره اصله خيرات بالتشديد

ثم خففه لميت وقري بالتشديد قالت ام سلمة يا رسول الله
اخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق
حسان الوجوه **حور مقصورات في الخيام** الحور جمع حوراء
والمقصورات المحجوبات لان النسا يمدحن بملازمة البيوت
ويذممن بكثرة الخروج والخيام هي البيوت التي من الخشب
والحشيش ونحو ذلك وخيام الجنة من اللولو **متكين على
رفرف خضر** الرفرف البسط وقيل الوسايد وقيل رياض
الجنة **وعبقري حسان** العبقري الطنافس وقيل الزرابي
وقيل الديباج الغليظ وهو منسوب الى عبقري وتزعم
العرب بانه بلد الجن فاذا اعجبتهما شي نسبته اليه **تبارك
اسم ربك** ذكرتبارك في الفرقان وغيرها والاسم
هنا يراد به المسمى على الاظهر وقرا الجمهور ذي الجلال
بالياء صفة لربك وقرا ابن عامر بالواو صفة للاسم
وقد ذكر معني ذي الجلال والاكرام

سورة الواقعة

روي ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الواقعة لم يصبه فاقة ابدا ولما حضرت
ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك قال تركت
لهن سورة الواقعة **اذا وقعت الواقعة** يعني اذا قامت
القيامة فالواقعة اسم من اسما القيامة يدل على هولها
كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهي النفخة
في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم
القيامة وهذا بعيد **ليس لوقعتها كاذبة** يحتمل ثلاثة
اوجه الاول ان تكون الكاذبة مصدر كالعاقبة والمعني
ليس لها كذب ولا رد والثاني ان تكون كاذبة صفة لمحذوف

كانه

كانه قال ليس لها حالة كاذبة اي هي صادقة الوقوع ولا
بد وهذا المعني قريب من الاول الثالث ان يكون التقدير
ليس لها نفس كاذبة اي يكذب في انكار البعث لان كل
نفس تومن حينيذ **خافضة رافعة** تقديره هي خافضة
رافعة ينبغي ان يوقف على ما قبله لبيان المعني والمراد
بالخفض والرفع انها تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما
الى الجنة وقيل ذلك عبارة عن هولها لان السما تنشق
والارض تتزلزل وتمر والجبال تنسف فكانها تخفض بعض
هولا الاجرام وترفع بعضها **اذا رجت الارض رجا** اي زلزلت
وحركت تحريكا شديدا واذا هنا بدل من اذا وقعت ويحتمل
ان يكون العامل فيه خافضة رافعة **وبست الجبال بسا**
اي فتتت وقيل سيرت **هبا منبثا** الهبا ما يتطاير في الهوا
من الاجرام الرقيقة ولا تكاد ترى الا في الشمس اذا دخلت
على كوة وقال علي بن ابي طالب هو ما تطاير من حوافر الدواب
من التراب وقيل ما تطاير من شرر النار فاذا طفيت لم
يوجد شيا والمنبث المتفرق **وكنتم ازواجا ثلاثة** هذا خطاب
لجميع الناس لانهم ينقسمون يوم القيامة الى هذه الاصناف
الثلاثة وهم السابقون واصحاب اليمين واصحاب الشمال فاما
السابقون فهم اهل الدرجات العلى في الجنة واما اصحاب
اليمين فهم ساير اهل الجنة واما اصحاب الشمال فهم اهل النار
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة هذا ابتدا خبر فيه معنى
التعظيم كقولك زيد ما زيد والميمنة يحتمل ان تكون مشتقة
من اليمن وهو ضد الشوم وتكون المشيمة مشتقة من الشوم
او تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشيمة من ناحية الشمال
واليد الشوم هي الشمال وذلك لان العرب تجعل الخير من

اليمين والشر من الشمال اولان اهل الجنة يحملون الي جهة
اليمين واهل النار الي جهة الشمال اويكون من اخذ الكتاب
باليمين او الشمال والسابقون السابقون الاول مبتدا والثاني
خبره علي وجه التعظيم كقولك انت انت اوعلي معني ان
السابقين الي طاعة الله هم السابقون وقيل ان السابقون
الاول صفة للثاني او تاكيد والخبر اوليك المقربون والارجح
ان يكون الثاني خبر الاول لانه في مقابلة قوله اصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشيمة ما اصحاب
المشيمة وعلي هذا يوقف علي السابقون الثاني ويبتدي
بما بعده ثلة من الاولين وقليل من الاخرين الثلة الجماعة
من الناس فالمعني ان السابقين من الاولين اكثر من السابقين
من الاخرين والاولون هم اول هذه الامة والاخرون
المتاخرون من هذه الامة والدليل علي ذلك ما روي
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الفرقتان
في امتي وذلك لان صدر هذه الامة خير من بعدهم
فكثر السابقون من السلف الصالح وقلوا بعد ذلك وشهد
لذلك قوله صلي الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقيل ان الفرقتين في امة
كل نبي فالسابقون في كل امة يكثرون في اولها ويقلون
في اخرها وقيل ان الاولين هم من كان قبل هذه الامة
والاخرين هم هذه الامة فيقتضي هذا ان السابقين
من الامم المتقدمة اكثر من السابقين من هذه الامة
وهذا بعيد وقيل ان السابقين يراد بهم الانبيا لانهم
كانوا في اول الزمان اكثر مما كانوا في اخره علي سرر موضونة
السرر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبكة

بالدر

491

بالدر والياقوت وقيل معناه متواصلة قد ادني بعضها
من بعض متقابلين اي وجوه بعضهم الي بعض ولدان مخلدون
الولدان صغار الخدام والمخلدون الذين لا يموتون وقيل
المقرطون بالخلدات وهو ضرب من الاقراط والاول اظهر
باكواب واباريق الاكواب جمع كوب وهو الانا وهو الذي لا اذن
له ولا خرطوم يمسك به والاباريق جمع ابريق وهو الانا
الذي له خرطوم او اذن يمسك به وكاس من معين ذكر في
الصافات لا يصدعون عنها ولا ينزفون اي لا يلحق روسهم
الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها
بمعني الصدع وهو التفرقة ومعني لا ينزفون لا يسكرون
وفاكهة مما يتخيرون قيل يتخيرون ما شا واالكثر منها وقيل
مخيرة اي مرضية وحور عين قد ذكرنا معناه وقري
بالرفع علي تقدير فيها حور وعطف علي الضمير في متكين
اوعلي ولدان وبالخفض عطف علي المعني كانه قال ينعمون
بهذا كله وبحور عين وقيل خفض علي الجوار كامثال
اللولو المكنون شبههن باللولو في البياض ووصفه
بالمكنون لانه ابعد عن تغير حسنه وسال ام سلمة
رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال
صفاهن كصفا الدر في الاصداف الذي لا تمسه الايدي
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما اللغو الكلام الساقط كالفحش
وغيره والتاثيم مصدر بمعني لا يوثم احد هناك نفسه
ولا غيره الا قيلا سلاما سلاما انتصب سلاما علي انه
بدل من قيلا او صفة له او مفعول به لقيلا لان معناه
قول ومعني السلام علي هذا التحية والمعني انهم يفشون
السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ويحتمل ان يكون معناه

السلامة فينتصب بفعل مضمر تقديره اسلموا اسلاما **واصحاب**
اليمين ما اصحاب اليمين هذا المبتدا وخبره قصد به التعظيم
فيوقف عليه ويبتدا بما بعده ويحتمل ان يكون الخبر في
سدر ويكون ما اصحاب اليمين اعتراضا والاول احسن
وكذلك اعراب اصحاب الشمال **في سدر مخضود** السدر
شجر معروف قال ابن عطيه هو الذي يقال له شجر غيلان
وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الاندلس
دون بعض والمخضود الذي لا شوك له كانه خضد شوله
وذلك ان سدر الدنيا له شوك فوصف سدر الجنة بضد
ذلك وقيل المخضوض هو الموز الذي انثنت اغصانه
من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن اذ ثناه
وطلح منضود الطلح شجر عظيم كثير الشوك قاله ابن عطيه
وقال الزمخشري هو شجر الموز وحكى ابن عطية هذا
عن علي بن ابي طالب وابن عباس وقرا علي بن ابي طالب
وطلع منضود بالعين فقيل له انما هو وطلح فقال
ما الطلح وللجنة فقيل له انصلحها في المصحف فقال
المصحف اليوم لا يغير والمنضود الذي تنضد بالثمر من
اعلاه الى اسفله حتى لا يظهر له ساق وظل ممدود اي
منبسط لا يزول لانه لا تنسخه الشمس وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا ان شئتم وظل ممدود
وما مسكوب اي مصبوب وذلك عبارة عن كثرته وقيل
المعنى انه جار في غير اخاديد وقيل المعنى انه يجري من
غير ساقية ولا دلو ولا تعب **لا مقطوعة ولا ممنوعة**
اي لا ينقطع ابانها كفاكهة الدنيا فان شجر الجنة يثمر في كل

وقت

وقت ولا تمنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع
وفرش مرفوعة هي الاسرة وقد روي ان ارتفاع السرير
منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هي النسا وهذا بعيد
انا انشاناهن الضمير لنساء الجنة فان سياق الكلام يقتضي
ذلك وان لم يتقدم ذكرهن ولكن قد تقدم ذكر الفرش وهي
تدل على النسا واما من قال ان الفرش هي النسا فالضمير
عايد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورات قبل
هذا وذلك بعيد فان ذلك من وصف جنات السابقين
وهذا في وصف جنات اصحاب اليمين ومعنى انشاء
النسا ان الله يخلقهن في الجنة خلقا اخر في غاية الحسن
بخلاف خلقة الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة
ترجع حسنة **فجعلناهن ابكارا** روي انهن دائمات البكارة
متى عاود الوطي وجدها بكرا **عربا** وهي المتوددة الى
زوجها باظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس انهن العواشق
لازواجهن وقيل هي الحسنة الكلام **اترابا لاصحاب اليمين**
اي مستويات في السن مع ازواجهن وروي انهن يكونون
في سن ابنا ثلاثة وثلاثين سنة عاما ولاصحاب اليمين
يتعلق بقوله انشاناهن على ما قال الزمخشري ويحتمل
ان يتعلق باترابا وهذا هو الذي يقتضيه المعنى اي اترابا
لازواجهن **ثلة من الاولين وثلة من الاخرين** اي جماعة
من اول هذه الامة وجماعة من اخرها وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفرقتان من امتي وفي ذلك رد على
من قال انهما من غير هذه الامة وتامل كيف جعل اصحاب
اليمين ثلة الاولين وثلة من الاخرين بخلاف السابقين
فانهم قليل في الاخرين وذلك لان السابقين في اول هذه

الامة اكثر منهم في اخرها لفضيلة السلف الصالح واما اصحاب
اليمين فكثير في اولها واخرها في سموم وحميم وظل من يحموم
السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار الشديد واليحموم هو الاسود
والظل من يحموم هو الدخان في قول الجمهور وقيل هو جبل في
جهنم وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني يصرون يداومون
من غير اقلاع والحنث هو الاثم وقيل هو الشرك وقيل هو الحنث
في اليمين او اليمين الغموس ايذا متنا الاية معناها انهم انكروا
البعث بعد الموت وقد ذكرنا قراة الاستفهام في الرعد واو
اباونا في الصافات ايها الضالون خطاب لكفار قريش وسائر
الكفار فشاربون عليه الضمير للماكول فشاربون شرب الهيم
وزن الهيم فعل وكسرت الهاء لاجل اليا وهو جمع اهيم وهو
الجمل الذي اصابه الهيام بضم الها وهو داء معطش يشرب
معه الجمل حتى يموت او يسقم والانثى هيما وقيل جمع هايم
وهايمة وقيل الهيم الرمال التي لا تروى من الما وهو
على هذا جمع هيام بفتح الها وقري شرب بضم الشين واختلف
هل هو مصدر او اسم المشروب وقري بالفتح وهو مصدر
فان قيل كيف عطف فشاربون على شاربون ومعناهما
واحد فالجواب ان المعنى مختلف لان الاول يقتضي الشرب
مطلقا والاخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم
هذا نزلهم النزل اول ما ياكله الضيف كانه يقول هذا
اول عذابهم فما ظنك بسايره فلولا تصدقون تحضيض
على التصديق اما بالخالق تعالى واما بالبعث لان الخلقة
الاولى دليل عليه افرايتم ما تمنون هذه الاية وما بعدها
تتضمن اقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن
ايضا وعيد وتعديد نعم ومعنى تمنون تقذفون المني في رحم

المراه

المراة اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون هذا توقيف يقتضي ان يجيبوا
عليه بان الله هو الخالق لا اله الا هو نحن قدرنا بينكم الموت اي
جعلناه مقدرا باجال معلومة واعمار منها طويل وقصير ومتو سط
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون
المسبوق على الشي هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل
امثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم وقيل نمسخكم
قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما
لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل
عقولكم الى فهمه فمقتضى الاية ان الله قادر على ان يهلكهم وعلى
ان يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث فلولا تذكرون
تحضيض على التذكر والاستدلال بالنشاة الاولى على النشاة
الاخرة وفي هذا دليل على صحة القياس اانتم تزرعونه ام
نحن الزارعون المراد بالزراعة هنا انبات ما يزرع وتمام
خلقته لان ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت ولكن يقول
حرثت والمراد بالحرث قلب الارض والقا الزريعة فيها وقد
يقال لهذا ازرع ومنه يعجب الزراع لو نشا لجعلناه حطاما
فظلتم تفكهون الحطام اليابس المتفتت وقيل معناه تبن بلا قمح
فظلتم تفكهون اي تطرحون الفاكهة وهي المسرة يقال رجل
فكه اذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفكه اذا زالت عنه
الفاكهة فصار حزينا لان صيغة تفاعل تاتي لزوال الشي
كقولهم تحرج وتاثم اذا ازال الحرج والاثم فالمعنى صرتم تحزنون
على الزرع لو جعله الله حطاما وقد عبر بعضهم على تفكهون
بان معناه تتعجبون وقيل تندمون وقيل تحزنون وهذه
معان متقاربة والاصل ما ذكرنا انا لمغرمون بل نحن محرومون

تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب
لان الغرام هو اشد العذاب ويحتمل ان يكون من الغرم اي مثقلون
بما غرمنا من النفقة على الزرع والمحروم الذي حرمه الله
الخير من المزن هو السحاب والاجاج الشديد الملوحة فان قيل
لم ثبتت اللام في قوله لو نشا لجعلناه حطاما وسقطت في
قوله لو نشا جعلناه اجاجا فالجواب من وجهين احدهما
انه اغنى اثباتها اولا عن اثباتها ثانيا مع قرب الموضعين
والاخر ان هذه اللام تدخل للتاكيد فاذا دخلت في اية
المطعوم من دون اية المشروب للدلالة على ان الطعام اوكد
من الشراب لان الانسان لا يشرب الا بعد ان ياكل النار التي
تورون اي تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين
ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت
عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى انتم انشاتم
شجرتها اي الشجرة التي تزند النار منها وقيل اراد بالشجرة
نفس النار كانه يقول نوعها او جنسها فاستعار الشجرة لذلك
وهذا بعيد نحن جعلناها تذكرة اي تذكرنا جهنم ومتاعا
للمقوين المتاع ما يتمتع به ويحتمل المقوين ان يكون من الارض
القواء وهي الفيافي ومعنى المقوين الذين دخلوا في القوى ولذلك
عبر بعضهم عنه بالاعبين فلا اقسم بمواقع النجوم لا في هذا الموضع
وامثاله زائدة وانما زيدت لتاكيد القسم او لاستفتاح الكلام
نحو الا وقيل هي نافية لكلام الكفار كانه يقول لا صحة لما يقول
الكفار وهذا ضعيف والاول احسن لان زيادة لا كثيرة معروفة
في كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان احدهما قول ابن عباس
انها نجوم القران اذ انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
متقطعا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والاخر

قول

قول كثير من المفسرين ان النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها
وقيل مواضعها من السما وقيل انكدارها يوم القيامة وانه لقسم
لو تعلمون عظيم هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله
تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض في اعتراض
والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب
القسم انه لقران كريم واعاد الضمير على القران لان المعنى يقتضيه
ولانه مذكور على قول من قال ان مواقع النجوم نزول القران
في كتاب مكنون اي مصون والمراد بهذا الكتاب المصاحف التي
كتب فيها القران او صحف القران التي بايدي الملايكة عليهم السلام
لا يمسه الا المطهرون الضمير يعود على الكتاب المكنون ويحتمل
ان يعود على الكتاب المذكور قبله الا ان هذا ضعيف لوجهين
احدهما ان مس الكتاب حقيقة ومس القران مجاز والحقيقة
اولى من المجاز والاخر ان الكتاب اقرب والضمير يعود على اقرب
مذكور فان قلنا انه يعود على الكتاب المكنون بان قلنا ان
الكتاب المكنون هو الصحف التي بايدي الملايكه فالمطهرون
يراد بهم الملايكة لانهم مطهرون من الذنوب والعيوب والاية
اخبار بانه لا يمسه الا هم لا غيرهم وان قلنا ان الكتاب المكنون
هو الصحف التي بايدي الناس فيحتمل ان يريد بالمطهرين
المسلمين لانهم مطهرون من الكفر او يريد المطهرين من الحدث
الاكبر وهي الجنابة او الحيض فالطهارة على هذا الاغتسال
او المطهر من الحدث الاصغر فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل
ان يكون قوله لا يمسه خبرا او نهيا على انه انكر بعض الناس ان
يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون
ان النهي يصح مع ضم السين لان الفعل المضاعف اذا كان مجزوما
او اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقا الساكنين اتباعا

لحركة الضمير واذا جعلناه خبرا فيحتمل ان يتصدر به مجرد الاخبار
او يكون خبرا بمعنى النهي واذا كان لمجرد الاخبار فالمعنى انه لا ينبغي
ان يمسه الا المطهرون اي هذا حقه وان وقع خلاف ذلك واختلف
الفقها فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الاية
فاجمعوا على انه لا يجوز ان يمسه كافر لانه ان اراد بالمطهرين
المسلمين فذلك ظاهر وان اراد الطهارة من الحدث فالاسلام
حاصل مع ذلك واما الحدث ففيه ثلاثة اقوال الاول انه
لا يجوز ان يمسه الجنب ولا الحايض ولا المحدث حدثا اصغر وهذا
قول مالك واصحابه ومنعوا ايضا ان يحمله بعلاقة او وسادة
وحجتهم الاية على ان يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الاكبر
والاصغر وقد احتج مالك في الموطا على المسئلة ومن حجتهم ايضا
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمرو بن حزم
لا يمس القران الا طاهر الثاني انه يجوز مسه للجنب والحايض
والمحدث حدثا اصغر وهو مذهب احمد بن حنبل والظاهرية
وحملوا المطهرين على انه المسلمون والملايكة او حملوا لا يمسه
لمجرد الاخبار والقول الثالث انه يجوز مسه بالحدث
الاصغر دون الاكبر ورخص مالك في مسه على غير وضو للمعلم
والصبيان لاجل المشقة واختلفوا في قراة الجنب للقران
فمنعه الشافعي وابو حنيفة مطلقا واجازه الظاهرية مطلقا
واجاز مالك قراة الاية اليسيرة واختلف في قراة الحايض
والنفسا للقران عن ظهر قلب فعن مالك في ذلك روايتان
وفرق بعضهم بين اليسير والكثير **افبهذا الحديث انتم مدهنون**
هذا خطاب للكفار والحديث المشار اليه هو القران ومدهنون
معناه متهاونون واصله من المداهنة وهي لين الجانب
والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه

تكذبون **وتجعلون رزقكم انكم كنتم تكذبون** قال ابن عطية اجمع المفسرون
ان الاية توبيخ للقايلين في المطر انه نزل بنو كذا وكذا والمعنى و
تجعلون شكر رزقكم تكذيبا فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرا
علي بن ابي طالب وتجعلون شكركم انكم تكذبون وكذلك قال ابن
عباس الا انه قرا تكذبون بضم التا والتشديد كقراة الجماعة وقراة علي
بفتح التا واسكان الكاف من الكذب اي يكذبون في قولهم نزل المطر
بنو كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول اصبح من عبادي مومن بي كافر بالكوكب وكافر
بي مومن بالكوكب فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فمومن فذلك
بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكوكب كذا فذلك
كافر بي مومن بالكوكب والمنهي عنه في هذا الباب ان يعتقد ان
للكواكب تاثيرا في المطر واما مراعاة العوايد التي اجراها الله
تعالى فلا باس به لقوله صلى الله عليه وسلم اذا نشات بحرية
ثم تشامت فذلك عين غديقة وقد قال عمر للعباس وهما في
الاستسقا كم بقي من نوء الثريا فقال العباس العلما يقولون انها
تعترض في الافق بعد سقوطها سبعا قال ابن المسيب فما مضت
سبع حتى مطروا وقيل ان معنى الاية تجعلون سبب رزقكم
تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يقولون ان امنا
به حرمنا الله الرزق كقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من
ارضنا فانكر الله عليهم ذلك واعراب انكم على هذا القول
مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم
التكذيب ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله تقديره تجعلون رزقكم
حاصلا من اجل انكم تكذبون واما على القول الاول فاعراب
انكم تكذبون مفعول لا غير **فلولا اذا بلغت الحلقوم** لولا هنا
عرض والضمير في بلغت للنفس لان سياق الكلام يقتضي ذلك

وبلوغها الحلقوم حين الموت والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله
ترجعونها اي هلا رددتم النفس حين الموت ومعنى الاية احتجاج
على البشر واظهار عجزهم لانهم اذا حضر احدهم الموت لم يقدروا
ان يردوا روحه الى جسده ذلك وقيل على انهم عبيد مقهورون
وانتم حينئذ تنظرون هذا خطاب لمن يحضر الميت من اقاربه
وغيرهم يعني تنظرون اليه ولا تقدرون له على شي ونحن
اقرب اليه منكم يحتمل ان يريد قرب نفسه تعالى بعلمه
واطلاعه او قرب الملايكة الذين يقبضون الارواح فيكون
من قرب المسافة ولكن لا تبصرون ان اراد بقوله نحن اقرب الملايكه
فقوله لا تبصرون من روية العين وان اراد نفسه تعالى فهو
من روية القلب فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم
صادقين لولا هنا عرض كالاولى وكررت للتاكيد والبيان لما
طال الكلام والفعل الذي دخلت عليه لولا الاولى والثانيه
قوله ترجعونها اي هلا رددتم النفس الى الجسد اذا بلغت
الحلقوم ان كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا
ذلك ان كنتم صادقين في كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون
النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فارجعوها ان
كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين الضمير في كان للمتوفى
وكرر هنا ما ذكره في اول السورة من تقسيم الناس الى ثلاثة
اصناف السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال فالمراد
بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك فروح وريحان
الروح الاستراحة وقيل الرحمة وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرا فروح بضم الرا ومعناه الرحمة وقيل
الخلود اي بقا الروح واما الريحان فقيل انه الرزق وقيل الاستراحه
وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة

وفي

وفي قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس فسلام لك من
اصحاب اليمين معنى هذا على الجملة نجاة اصحاب اليمين وسعادتهم
والسلام هنا يحتمل ان يكون بمعنى السلامة او التحية والخطاب
في ذلك يحتمل ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم او لاحد
من اصحاب اليمين فان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالسلام
بمعنى السلامه والمعنى سلام لك يا محمد منهم اي لا ترى منهم
الا السلامه من العذاب وان كان الخطاب لاحد من اصحاب اليمين
فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك اي تحية لك يا صاحب
اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك فهو كقوله
الا قيلا سلاما سلاما او يكون السلام بمعنى السلامة والتقدير
سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من اصحاب اليمين
خبر ابتدا مضمر تقديره انت من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين يعني الكفار وهم اصحاب الشمال واصحاب المشيمة
فنزل من حميم النزل اول شي يقدم للضيف ان هذا لهو حق اليقين
الاشارة الى ما تضمنته هذه السورة من احوال الخلق والاخرة
وحق اليقين معناه الثابت من اليقين وقيل ان الحق واليقين
بمعنى واحد فهما من اضافة الشي الى نفسه كقوله مسجد الجامع
واختار ابن عطية ان يكون كقولك من امر مؤكد هذا يقين اليقين
او صواب الصواب بمعنى انه نهاية الصواب فسبح باسم ربك
العظيم لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى
قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم فلذلك استحب مالك
وغيره ان يقول في السجود سبحان ربي الاعلى وفي الركوع
سبحان ربي العظيم واوجبه الظاهرية ويحتمل ان يكون المعنى
تسبيح الله بذكر اسمايه والاسم هنا جنس الاسما والتعظيم صفة

للرب ويكون الاسم هنا واحد والعظيم صفة له وكانه امره ان
يسبح بالاسم العظيم ويويد هذا ويشير اليه اتصال سورة الحديد
بها وفي اولها التسبيح وجملة من اسما الله وصفاته فقد قال ابن
عباس اسم الله العظيم الاعظم موجود في ست ايات من اول
سورة الحديد وروي ان الدعا عند قراتها مستجاب

سورة الحديد

سبح لله ما في السموات والارض هذا التسبيح المذكور هنا وفي
اوايل ساير السور المسبحات يحتمل ان يكون حقيقة وان يكون
بلسان الحال لان كل ما في السموات وما في الارض دليل علي
وجود الله وقدرته وحكمته والاول ارجح لقوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي
الجمعة والتغابن بلفظ المضارع وكل واحد منهما الدوام **هو**
الاول والاخر اي ليس لوجوده بداية ولا لبقايه نهاية **والظاهر**
والباطن اي الظاهر للعقول بالادلة والبراهين الدالة عليه
الباطن الذي لا تدركه الابصار او الباطن الذي لا تصل العقول
الي معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالي علي كل شي فهو من
قولك ظهرت علي الشي اذا علوت عليه والباطن الذي بطن
كل شي اي علم باطنه والاول اظهر وارجح وجعلت الواو
بين هذه الصفات لتدل علي انه تعالي جامع لها مع اختلاف
معانيها وفي ذلك مطابقة لفظية وهي من احسن ادوات
البيان **ثم استوي علي العرش** قد ذكر وكذلك ما بعده **وانفقوا**
مما جعلكم مستخلفين فيه يعني الانفاق في سبيل الله وطاعة
روي انها نزلت في الانفاق في غزوة تبوك وعلي هذا يدل
ان قوله فالذين امنوا منكم وانفقوا نزلت في عثمان بن عفان
رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة يوميذ ولفظ الاية

مع ذلك عام وحكمها باق لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه
يعني ان الاموال التي بايديكم انما هي اموال الله لانه خلقها
ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفا بالتصرف فيها فانتم فيها بمنزلة
الوكلا فلا تمنعوها من الانفاق فيما امركم مالكها ان تنفقوها فيه
ويحتمل ان يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنهم
الاموال فانفقوها قبل ان تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم
من كان قبلكم والمقصود علي كل وجه تحريض علي الانفاق
وتزهيد في الدنيا **ومالكم لا تومنون بالله** معناه اي شي يمنعكم
من الايمان والرسول يدعوكم اليه بالبراهين القاطعة والمعجزات
الظاهرة فقوله مالكم استفهام يراد به الانكار ولا تومنون
في موضع الحال من معني الفعل الذي يقتضيه مالكم والواو في
قوله والرسول يدعوكم واو الحال **وقد اخذ ميثاقكم**
يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي
يودي الي الايمان او يكون الميثاق الذي اخذه علي بني ادم
حين اخرجهم من ظهر ادم واشهدهم علي انفسهم الست
بربكم قالوا بلي **هو الذي ينزل علي عبده** يعني سيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص
والايات هنا القران **ومالكم ان لا تنفقوا في سبيل الله** معناه
اي شي يمنعكم من الانفاق في سبيل الله والله يرث ما في السموات
والارض اذا فني اهلها ففي ذلك تحضيض علي الانفاق
وتزهيد في الدنيا **لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح**
وقاتل الفتح هنا فتح مكة وقيل صلح الحديبية والاول
اظهر واشهر ومعني الاية التفاوت في الاجر والدرجات
بين من انفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من
انفق وقاتل بعد ذلك فان الاسلام قبل الفتح كان ضعيفا

والحاجة الى الانفاق والقتال كان اشد ويوخذ من الاية ان من انفق
في شدة اعظم اجرا ممن انفق في حال الرخاء وفي الاية حذف دل
عليه الكلام تقديره لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
مع من انفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله اعظم
درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وفي هذا المعنى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه يعني السابقين
الاولين من المهاجرين والانصار وخاطب بذلك من جاء
بعدهم من سائر الصحابة ويدخل في الخطاب كل من ياتي
الى يوم القيامة وكلا وعد الله الحسنى اي كل واحدة من
الطائفتين الذين انفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم
الله الجنة من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ذكر في البقرة
يوم ترى العامل في الظرف اجر كريم او تقديره اذكر المومنين
نورهم بين ايديهم وبايمانهم قيل ان هذا النور استعارة يراد
به الهدى والرضوان والصحيح وهو قول الجمهور انه حقيقة
وقد روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى
على هذا ان المومنين يكون لهم يوم القيامة نور يسعى
قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون اصله في ايمانهم
يجعلونه فينبسط قدامهم وروي ان نور كل احد على قدر نوره
ايمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة السحوق ومنهم من
يغطي ما قرب من قدميه ومنهم من يطفى مرة ويهم بالانطفا
مرة قال ابن عطية ومن هذه الاية اخذ الناس مشي
المعتق بالشمعة قدام معتقه اذا مات بشراكم اليوم جنات
اي يقال لهم ذلك يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا
انظرونا نقتبس من نوركم يوم بدل من يوم ترى او متعلق

بالنور

بالفوز العظيم او بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الاية ان كل مومن
مظهر للايمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المومنين
وينطفي نور المنافقين فيقول المنافقون للمومنين انظرونا
وذلك لان المومنين يسرعون الى الجنة كالبرق الخاطف والمنا فقون
ليسوا كذلك ويحتمل ان يكون من النظر اي انظروا الينا لانهم
اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاوا بنورهم
ولكن يضعف هذا لان نظر اذا كان بمعنى النظر بالعين تعدى
بالى وقرئ انظرونا بهمزة قطع ومعناه امهلونا اي اخرونا
اي امهلونا في مشيكم حتى نلحقكم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا
نورا يحتمل ان يكون هذا من قول المومنين او قول الملائكة
ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لانهم قد علموا ان ليس
وراهم نور ووراهم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل انه
لا موضع له من الاعراب وانه كما قال ارجعوا ومعنى هذا
الرجوع ارجعوا الى الموقف فالتمسوا نورا فلا سبيل لكم الى هذا
النور فضرب بينهم بسور له باب اي ضرب بين المومنين
والمنافقين بسور يفصل بينهم وفي ذلك السور باب لاهل
الجنة يدخلون منه وقيل ان هذا السور هو الاعراف
وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقي من
بيت المقدس وهذا بعيد باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب باطنه هو جهة المومنين وظاهره هو جهة
المنافقين وهي خارجه كقولك ظاهر المدينة اي خارجها
والضمير في باطنه وظاهره يحتمل ان يكون للسور او للباب
والاول اظهر ينادونهم الم نكن معكم اي ينادي المنافقين
المومنين فيقولون لهم الم نكن معكم في الدنيا يريدون اظهارهم
الايمان فتنتم انفسكم اي اهلكتموها وظلمتموها بالنفاق وتربصتم

اي ابطانتم بايمانكم وقيل تربصتم الدواير بالنبي صلي الله عليه
وسلم وبالمسلمين وارتبتم اي شككتم في الايمان وغرتكم الاماني
اي طول الامل والتمني ومن ذلك انهم كانوا يتمنون ان يهلك
النبي صلي الله عليه وسلم والمومنين او يهزموا الي غير
ذلك من الاماني الكاذبة حتي جا امر الله اي الفتح وظهور
الاسلام او موت المنافقين علي الحالة الموجبة للعذاب
الغرور هو الشيطان هي مولاكم اي هي اولي بكم وحقيقة
المولي الولي الناصر فكان هذا استعارة منه اي لا ولي
لكم تاوون اليه الا النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله معني الم يان الم يحن يقال اني الوقت علي الامر
اذا حان وقته وذكر الله يحتمل ان يريد به القران او الذكر
او التذكير بالمواعظ وهذه اية موعظة وتذكير قال ابن
عباس عوتب المومنون بهذه الاية بعد ثلاث عشر سنة
من نزول القران وسمع الفضيل بن عياض قاريا يقرا هذه
الاية فقال قد ان فكانت سبب رجوعه الي الله وحكي
وحكي ان عبد الله بن المبارك اخذ العود في صباه ليضرب به
فنطق بهذه فكسره ابن المبارك وتاب الي الله ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف ولا يكونوا علي ان تخشع
ويحتمل ان يكون نهيا والمراد التحذير من ان يكونوا المومنين
كاهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصاري
فطال عليهم الامد اي مدة الحياة وقيل انتظار القيامة
وقيل انتظار الفتح والاول اظهر اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها اي يحييها بانزال المطر واخراج النبات وقيل
انه تمثيل للقلوب اي يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي
الارض بالمطر وفي هذا تانيس للمومنين الذين ندبوا الي

ان

ان تخشع والاول اظهر وارجح لانه الحقيقة ان المصدقين والمصدقات
بتشديد الصاد من الصدقة واصله المتصدقين وكذلك قراءة
ابي بن كعب وقري بالتخفيف من التصديق اي صدقوا الرسول
عليه الصلاة والسلام واقرضوا الله معطوف علي المعني
كانه قال ان الذين تصدقوا واقرضوا وقد ذكر معني اقرضوا
في قوله من ذا الذي يقرض الله الصديقون مبالغة من الصدق
او من التصديق وكونه من الصدق ارجح لان صيغة فعيل لا تبني
الا من فعل ثلاثي في الاكثر وقد حكي بنا وها من رباعي كقولهم
رجل مسيك من امسك والشهدا عند ربهم يحتمل ان يكون
الشهدا ما بعده وخبره ما بعده او يكون معطوفا علي الصديقين
فان كان مبتدا ففي المعني قولان احدهما انه جمع شهيد في سبيل
الله فاخبر انهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والاخر انه جمع
شاهد ويراد به الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم يشهدون
علي قومهم وان كان معطوفا ففي المعني قولان احدهما انه جمع
شهيد فوصف الله المومنين بانهم صديقون وشهدا اي
جمعوا الوصفين وروي في هذا المعني ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال مومنوا امتي شهدا وتلا هذه الاية
والاخر انه جمع شاهد لان المومنين يشهدون علي الناس
كقوله لتكونوا شهدا علي الناس لهم اجرهم ونورهم هذا خبر
عن الشهدا خاصة ان كان مبتدا او خبر عن المومنين ان كان
الشهدا معطوفا ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم
القيامة حسبما ذكر في هذه السورة وقيل هو عبارة عن
الهدي والايمان كمثل غيث اعجب الكفار نباته الاية معناها
تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره
بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد بها الزرع

فهو من قوله كفرت الحب اذا سترته تحت الارض وخصهم بالذكر
لانهم اهل البصر بالزرع والفلاحة فلا يعجبهم الا ما هو حقيق
ان يعجب وقيل اراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لانهم اشد
اعجابا بالدنيا واكثر حرصا عليها **سابقوا الي مغفرة من ربكم**
اي سابقوا الي الاعمال التي تستحقون بها المغفرة فقيل
المعني كونوا في اول صف من القتال وقيل احضروا تكبيرة
الاحرام مع الامام وقيل كونوا اول داخل الي المسجد واول
خارج منه وهذه امثلة والمعني العام المسابقة الي جميع
الاعمال الصالحات وقد استدل بها قوم علي ان الصلاة
في اول الوقت افضل **وجنة عرضها كعرض السما والارض**
السما هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله في ال عمران
وقد ذكرنا هناك معني عرضها **ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها** المعني ان الامور
كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل ان تكون قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الاشيا
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه
علي الما والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير او شر
وقيل اراد به المصيبة في العرف وهو ما يصيب من الشر
وخص ذلك بالذكر لانه اهم علي الناس وفي الارض يعني
القحوط والزلازل وغير ذلك وفي انفسكم يعني الموت والمرض
والفقر وغير ذلك ونبراها معناه نخلقها والضمير يعود علي
المصيبة او علي انفسكم او علي الارض وقيل يعود علي
جميعها لان المعني صحيح في كلها **لكيلا تاسوا علي ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم** المعني فعل الله ذلك واخبركم به لكيلا
تسلموا لقضا الله ولا تكترثوا بامور الدنيا ومعني لا تاسوا

لاتحزنوا

لاتحزنوا اي فلا تحزنوا علي ما فاتكم منها ولا تفرحوا بما اتاكم منها
وقرا الجمهور بما اتاكم بالمد اي بما اعطاكم الله من الدنيا وقرا
ابو عمرو بما اتاكم بالقصر اي بما جاكم من الدنيا فان قيل
ان الانسان لا يملك نفسه ان يفرح بالخير ويحزن للشر كما
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما اوتي بمال كثير
اللهم انا لا نستطيع ان نفرح بما زينت لنا فالجواب ان
النهي عن الفرح انما هو عن الذي يقود الي الكبر والطغيان
وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم **كل مختال فخور**
المختال صاحب الخيلا والفخور شديد الفخر علي الناس **الذين
يبخلون** بدل من كل مختال فخور او خبر ابتدا مضمر تقديره
هم الذين او منصوب باضمار اعني او مبتدا وخبره محذوف
وانزلنا معهم الكتاب والميزان الكتاب هنا جنس الكتب والميزان
العدل وقيل الميزان الذي يوزن به وروي ان جبريل نزل
بالميزان ودفعه الي نوح وقال له مر قومك يزنوا به **وانزلنا
الحديد** خبر عن خلقه وايجاده بالانزال وقيل بل انزله
حقيقة لان ادم نزل من الجنة ومعه المطرقة والابرة
فيه باس شديد يعني انه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك
قال وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك
الحرث والمسامير وغير ذلك **فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**
اي من ذرية نوح مهتدون قليلون واكثرهم فاسقون لان
منهم اليهود والنصارى وغيرهم **وقفينا** ذكر في البقرة
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة هذا ثنا عليهم
بمحبة بعضهم في بعض كما وصف اصحاب سيدنا محمد صلي
الله عليه وسلم بانهم رحما بينهم **ورهبانية ابتدعوها**
الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس

في الصوامع ورفض النسا وترك الدنيا ومعني ابتدعوها اي احدثوها
من غير ان يشرعها الله لهم واعراب رهبانية معطوف علي رافة
ورحمة اي جعل الله في قلوبهم الرافة والرحمة والرهبانية
وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعني الخلق والمعتزلة
يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها
لان مذهبهم ان الانسان يخلق افعاله فاعربوها علي مذهبهم
وكذلك اعربها ابو علي الفارسي وذكر الزمخشري الوجهين
ماكتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله كتبناها هنا بمعني فرضنا
وشرعنا وفي هذا قولان احدهما ان الاستثنا منقطع والمعني
ماكتبنا عليهم الرهبانية ولكنهم فعلوها من تلقا انفسهم
ابتغا رضوان الله والاول ارجح لقوله ابتدعوها ولقراة
عبد الله بن مسعود ماكتبناها عليهم لكن ابتدعوها
فما رعوها حق رعايتها اي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا
علي الوفا بها يعني ان جميعهم لم يرعها وان رعاها بعضهم
والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب
عليهم اتمامها وان لم يكتبها الله عليهم لان من دخل في
شي من النوافل يجب عليه اتمامها وقيل الضمير لمن جا
بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من اتباعهم وامنوا برسوله
ان قيل كيف خاطب الذين امنوا وامرهم بالايمان وتحصيل
الحاصل لا ينبغي فالجواب من وجهين احدهما ان معني
امنوا دوموا علي الايمان واثبتوا عليه والاخر انه خطاب
لاهل الكتاب فالمعني يا ايها الذين امنوا بموسي وعيسي
امنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم ويويد هذا قوله يوتكم
كفلين من رحمته اي نصيبين وقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب

امن

٥٠١

امن بنبيه وامن بي الحديث ويجعل لكم نورا تمشون به يحتمل
ان يكون النور الذي يسعي بين ايدي المومنين يوم القيامة
او يكون عبارة عن الهدي ويويد الاول انه مذكور في هذه
السورة ويويد الثاني قوله وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون علي شي من فضل
الله لا في قوله لئلا زايدة والمعني ليعلم اهل وكذلك قراها
ابن عباس وقرا ابن مسعود لكيلا يعلم والمعني ان كان الخطاب
لاهل الكتاب يا اهل الكتاب امنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يومنوا انهم لا يقدروا علي شي من
فضل الله الذي وعد من امن منكم وهو تضعيف الاجر والنور
والمغفره لانهم لم يسلموا فلم ينالوا شيا من ذلك وان كان الخطاب
للمسلمين فالمعني ليعلم اهل الكتاب الذين لم يومنوا انهم
لا يقدرون ان ينالوا شيا مما اعطي الله المسلمين من تضعيف
الاجر والنور والمغفره وقد روي في سبب نزول الاية
ان اليهود افتخرت علي المسلمين فنزلت الاية في الرد عليهم
فهذا يقوي هذا القول وروي ايضا ان سببها ان الذين
اسلموا من اهل الكتاب افتخروا علي غيرهم من المسلمين
بانهم يوتيهم الله اجرهم مرتين فنزلت الاية معلمة ان المسلمين
مثلهم في ذلك

سورة المجادلة

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت الاية
في خولة بنت حكيم وقيل خولة بنت ثعلبة وقيل خولة
بنت خويلد وقيل اسمها جميلة وكانت امراة اوس بن
الصامت الانصاري اخي عبادة بن الصامت فظاهر منها
وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريما موبدا فلما فعل
اوس ذلك جات امراته الي رسول الله صلي الله عليه وسلم

فقالت يا رسول الله ان اوسا اكل شبابي ونشرت له بطني فلما كبرت
ومات اهلي ظاهرمني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله فقالت
يا رسول الله لا تفعل فاني ليس لي اهل سواه فراجعها رسول
الله صلي الله عليه وسلم بمثل ما قالته فراجعته فهذا
جدالها وتشتكي الي الله كانت تقول اللهم اني اشكوا اليك
حالي وانفرادي وفقري وروي انها كانت تقول اللهم ان لي
صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا
والله يسمع تحاوركما المحاوره هي المراجعة في الكلام قالت
عايشة رضي الله عنها سبحان من وسع سمعه الاصوات
لقد كنت حاضرة وكان يبعض كلام خوله يخفي علي وسمع
الله كلامهما ونزل القران في ذلك فبعث رسول الله صلي
الله عليه وسلم الي زوجها وقال له اتعتق رقبة فقال
والله ما املكها فقال اتصوم شهرين متتابعين فقال
والله ما اقدر فقال له اتطعم ستين مسكينا قال لا احد
الا ان يعينني رسول الله صلي الله عليه وسلم بمعونة
وصلاة يريد الدعا فاعانه رسول الله صلي الله عليه
وسلم بخمسة عشر صاعا وقيل بثلاثين صاعا ودعا
له فكفر بالاطعام وامسك زوجته الذين يظهرون منكم
من نسايهم قري يظاهرون بالف بعد الظا وبحذفها وبالتشديد
والتخفيف والمعني واحد وهو ايقاع الظهار والظهار
المجمع عليه هو ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر
امي ويجري مجري ذلك عند مالك تشبيه الزوجه بكل امراة
محرمة علي التابيد كالبنت والاخت وساير المحرمات
بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهره سواذكر لفظ الظهار

وحيدة

اولم

اولم يذكره كقوله انت علي كامي اوكبطن امي اوبيدها اورجلها
خلافا للشافعي فان ذلك كله عنده ليس بظهار لانه وقف
عند لفظ الاية وقاس مالك عليها لانه راي ان المقصد تشبيه
حلال بحرام ما هن امهاتهم رد الله بهذا علي من كان يوقع
الظهار ويعتقده حقيقة واخبر تعالي ان الظهار منكر
وزور فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة والزور هو الكذب
وانما جعله كذبا لان المظاهر صير امراته كامه وهي لا تصير
كذلك ابدا والظهار محرم ويدل علي تحريمه اربعة اشيا
احدها قوله تعالي ما هن امهاتهم فان ذلك تكذيب للمظاهر
والثاني انه سماه منكرا والثالث انه سماه زورا والرابع
قوله وان الله لعفو غفور فان العفو والمغفره لا تقع الا عن
ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتي يرفعه بالكفاره
والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا اختلف
الناس في معني يعودون علي ستة اقوال الاول انه ايقاع
الظهار في الاسلام فالمعني انهم كانوا يظاهرون في الجاهليه
فاذا فعلوه في الاسلام فذلك عود اليه هذا قول ابن قتيبة
فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف قول غيره
فان الكفارة لا تجب الا بالظهار والعود معا الثاني ان العود
هو وطا الزوجة روي ذلك عن مالك فاذا عزم علي الوطي
وجبت الكفاره وسوا امسك المراة او طلقها او ماتت
الثالث ان العود هو العزم علي الوطي وروي هذا ايضا عن
مالك فاذا عزم علي الوطي وجبت الكفارة سوا امسك المراة
او طلقها او ماتت الرابع ان العود هو العزم علي الوطي وعلي
امساك الزوجة هذا اصح الروايات عن مالك الخامس
انه العزم علي الامساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فاذا

ظاهر ولم يطلق مابعد الظهار وجبت الكفارة السادس انه تكرار
الظهار مرة اخري وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لانهم
لايرون الظهار يوجب حكما في اول مرة وانما يوجبه في الثانية
وانما نزلت الاية فيمن ظاهر اول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف
معني لما قالوا باختلاف هذه الاقوال فاما علي قول ابن قتيبة
والظاهرية فما مصدرية والمعني يعودون لقولهم واما
علي سائر الاقوال فما بمعني الذي والمعني يعودون للوطء الذي
حرموه او للعزم عليه او للامساك الذي تركوه او للعزم
عليه فتحرير رقبة جعل الله الكفارة في الظهار علي ثلاثة
انواع مرتبة لاينتقل الي الثاني حتي يعجز عن الاول ولا ينتقل
الي الثالث حتي يعجز عن الثاني فالاول تحرير رقبة والثاني
صيام شهرين متتابعين والثالث اطعام ستين مسكينا فاما
الرقبة فاشترط مالك ان تكون مومنة لان مذهبه حمل
المطلق علي المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل
مقيدة بالايمان واما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع
فان افسد الصايم التتابع باختياره ابتداه من اوله باتفاق
وان افسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبني علي
ماكان معه وقال ابو حنيفة يبتدي وروي القولان عن
الشافعي واما الاطعام فمشهور مذهب مالك انه مد لكل
مسكين بمد هشام واختلف في مد هشام فقيل انه مدان
غير ثلث بمد النبي صلي الله عليه وسلم وقيل انه مد وثلث
وقيل انه مدان وقال الشافعي وابن القصار يطعم مدا بمد
النبي صلي الله عليه وسلم لكل مسكين ولا يجزيه الا كمال
عدد الستين فان اطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عنه
مالك والشافعي خلافا لابي حنيفة وكذلك ان اطعم ثلاثين مرة

والطعام

المقاتل من

والطعام يكون من غالب قوت البلد من قبل ان يتماسا مذهب مالك
والجمهور ان المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل
فلا يجوز للمظاهر ان يفعل شيا من ذلك حتي يكفر وقال الحسن
والثوري اراد الوطء خاصة فاباحوا مادونه قبل الكفارة وذكر
الله قوله من قبل ان يتماسا في التحرير والصوم ولم يذكره في الاطعام
فاختلف العلما في ذلك فحمل مالك الاطعام علي ماقبله وراي انه
لا يكون الا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل
علي المقيد وقال ابو حنيفة يجوز للمظاهر اذا كان من اهل
الاطعام ان يطا قبل الكفارة لان الله لم ينص في الاطعام انه قبل
المسيس ذلك لتومنوا قال ابن عطية الاشارة الي الرخصة
في التحرير الي الصوم قال الزمخشري المعني ذلك البيان والتعليم
لتومنوا وهذا اظهر لانه اعم ان الذين يحادون اي يخالفون
ويعادون كبتوا اي هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل
اذا بقي خزيا ونزلت الاية في المنافقين واليهود ما يكون من نجوي ثلاثة
يحتمل ان يكون النجوي هنا الكلام الخفي فيكون ثلاثة مضافا
اليه او بمعني الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدلا او صفة
والاول احسن الا هو رابعهم يعني بعلمه واحاطته وكذلك سادسهم
وهو معهم اينما كانوا الم تر الي الذين نهوا عن النجوي نزلت في قوم
من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون علي المومنين
فنهاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا
وقيل نزلت في المنافقين والاول ارجح لقوله واذا جاوك حيوك
بما لم يحيك به الله لان هذا من فعل اليهود والمنافقين معا كقوله
الم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم فنزلت في الطايفتين
واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله كانت اليهود ياتون رسول
الله صلي الله عليه وسلم فيقولون السلام عليك يا محمد

بدلا من السلام عليكم والسام الموت وهو ما ارادوه بقولهم
وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لهم وعليكم
فسمعتهم عايشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مهلا يا عايشة ان
الله يكره الفحش والتفحش قالت اما سمعت ما قالوا قال
اما سمعت ما قلت لهم اني قلت وعليكم ويريد بقوله ما لم
يحيك به الله قوله تعالي قل الحمد لله وسلام علي عباده الذين
اصطفي **ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول** كانوا
يقولون لو كان نبيا لعذبنا الله باذاية فقال الله حسبهم جهنم
اي يكفيهم ذلك عذابا **انما النجوي من الشيطان** قيل يعني
النجوي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها
بذلك لدلالة الاول عليه وقيل اراد نجوي اليهود والمنافقين
ويويد هذا قوله ليحزن الذين امنوا **اذا قيل لكم تفسحوا في
المجلس فافسحوا** اختلف في سبب نزول الاية فقيل نزلت
في مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت في ازدحام
الناس في مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم
وحرصهم علي القرب منه وقيل اقام النبي صلي الله عليه
وسلم اقواما ليجلس اشياخا من اهل بدر فيموا ضعهم
فنزلت الاية ثم اختلفوا هل هي مقصورة علي مجلس النبي
صلي الله عليه وسلم او هي عامة في كل الناس فقال قوم جميع
انها مخصوصة ويدل علي ذلك قراة المجلس بالافراد
وذهب الجمهور الي انها عامة ويدل علي ذلك قراة المجالس
بالجمع وهذا هو الاصح ويكون المجلس بالافراد علي هذا
للجنس والتفسيح الماموربه هو التوسع دون القيام ولذلك قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يقم احد من مجلسه ثم

يجلس

ثم يجلس الرجل فيه وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس
لاحد هل هو علي التحريم او الكراهة **يفسح الله لكم** اي يوسع
لكم في جنته ورحمته **واذا قيل انشزوا فانشزوا** اي اذا قيل
لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا النشوز الماموربه
به فقيل اذا دعوا الي قتال او صلاة او فعل طاعة وقيل
اذا امروا بالقيام من مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم
لانه كان يحب الانفراد احيانا وربما جلس قوم حتي يومروا
بالقيام وقيل المراد القيام في المجلس للتوسع **يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات** فيها قولان احدهما يرفع
الله المومنين العلما درجات فقوله والذين اوتوا العلم درجات
صفة للذين امنوا كقوله جاني العاقل الكريم وانت تريد رجلا
واحدا الثاني يرفع الله المومنين والعلما الصنفين جميعا درجات
فالدرجات علي الاول بشرط ان يكونوا علما وعلي الثاني للمومنين
الذين ليسوا علما وللعلما ولكن بين درجات العلما وغيرهم تفاوت
يوجد في موضع اخر كقوله صلي الله عليه وسلم فضل العالم
علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي ساير الكواكب وقوله
عليه السلام فضل العالم علي العابد كفضلي علي ادناكم
رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الانبيا ثم العلما
فاذا كان لهم فضل علي العابدين والشهدا فاظنك بفضلهم
علي ساير المومنين **اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة** قال ابن عباس سببها ان قوما من شبان المسلمين كثرة
مناجاتهم للنبي صلي الله عليه وسلم في غير حاجة لتظهر
منزلتهم وكان النبي صلي الله عليه وسلم سمحا لا يرد احدا
فنزلت الاية مشددة في امر المناجات وقيل سببها ان الاغنيا
غلبوا علي الفقرا علي مناجات النبي صلي الله عليه وسلم

وهذه الاية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها ااشفقتم ان
تقدموا بين يدي نجواكم صدقة الاية فاباح الله لهم المناجات
دون تقديم صدقة بعد ان كان اوجب تقديم الصدقة قبل
مناجاته عليه السلام واختلف هل كان هذا النسخ بعد ان
عمل بالاية ام لا فقال قوم لم يعمل بها احد وقال قوم عمل بها
علي بن ابي طالب رضي الله عنه روي انه كان له دينار فصرفه
بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها
بدرهم وقيل تصدق كل مرة بدينار ثم نزلت الرخصة لمن
كان قادرا علي الصدقة واما من لم يجد فالرخصة لم تزل
ثابتة له بقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وتاب الله
عليكم التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم الصدقة
التي امروا بها او تخفيفها بعد وجوبها فاقيموا الصلاة واتوا
الزكاة اي دوا علي هذه الاعمال التي هي قواعد شرعكم دون
ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجات الم تر الي الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في قوم من المنافقين
تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم ما هم منكم
ولا منهم يعني ان المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود
فهو كقوله فيهم مذبذبين بين ذلك لا الي هولا ولا الي هولاء
ويحلفون علي الكذب وهم يعلمون يعني ان المنافقين كانوا
اذا عوتبوا علي سوء اقوالهم وافعالهم حلفوا انهم ما قالوا ولا
فعلوا وقد صدر ذلك منهم مرارا كثيرة هي مذكورة في السير
وغيرها اتخذوا ايمانهم جنة اصل الجنة ما يستتر به ويتقي
به المحذور كالترس ثم استعمل هنا استعارة لانهم كانوا يظهرون
الاسلام لتعصم دماهم واموالهم وقري اتخذوا بكسر الهمزة استحوذ
عليهم الشيطان اي غلب عليهم وتملك نفوسهم في الاذلين اي في جملة

الاذلين

الاذلين اي معهم كتب الله اي قضي وقدر لا تجد قوما الاية
معناها لا تجد مومنا يحب كافرا ولو كان اقرب الناس اليه وهذه
حال المومن الصادق في الايمان ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم
يقاتلون اباهم وابناهم واخوانهم اذا كانوا كفارا فقد قتل
ابو عبيدة بن الجراح اباه يوم احد وقتل مصعب بن عمير
اخاه عزير بن عمير يوم احد ودعا ابو بكر الصديق ابنه
يوم بدر للبراز فامره النبي صلي الله عليه وسلم ان يقعد
وقيل ان الاية نزلت في حاطب حين كتب للمشركين يخبرهم
باخبار رسول الله صلي الله عليه وسلم والاحسن انها
علي العموم وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك
بعيد يوادون هذه مفاعلة من الموده فتقتضي ان الموده
من الجهتين من حاد الله اي عاداه وخالفه كتب في قلوبهم
الايمان اي اثبته فيها كانه مكتوب وايدهم بروح منه
اي بلطف وهدي وتوفيق وقيل بالقران وقيل بجبريل
اولئك حزب الله هذه في مقابلة قوله اولئك حزب
الشيطان والحزب الجماعة المتحزبون لمن اضيفوا اليه

سورة الحشر

نزلت هذه السوره في اليهود بني النضير وكانوا في حصون
بمقربة من المدينة وكان بينهم وبين رسول الله صلي
الله عليه وسلم عهد فارادوا غدره فاطلعه الله علي ذلك
فخرج اليهم وحاصرهم احدي وعشرين ليلة حتي صالحوه
علي ان يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في
البلاد هو الذي اخرج الذين كفروا يعني بني النضير
لاول الحشر في معناه اربعة اقوال احدها انه حشر القيامة
اي خروجهم من حصونهم اول الحشر والقيام من القبور

اخره وروي في هذا المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهم امضوا هذا اول الحشر وانه على الاثر الثاني ان المعنى
لاول موضع الحشر وهو الشام وذلك ان اكثر بني النضير خرجوا
الى الشام وقد جا في الاثر ان حشر القيامة الى ارض الشام
وروي في هذا المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبني النضير اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
الثالث ان المراد الحشر في الدنيا الذي هو الجلا والاخراج
فاخراجهم من حصونهم اول الحشر واخراج اهل خيبر اخره
الرابع ان معناه اخراجهم من ديارهم لاول ما حشروا
لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الزمخشري اللام في قوله لاول بمعنى عند
كقولك جيت لوقت كذا ما ظننتم ان يخرجوا يعني لكثرة
عددهم ومنعة حصونهم فاتاهم الله عبارة عن اخذ
الله لهم يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اما
اخراب المومنين فهو بهدم اسوار الحصن ليدخلوها واسند
ذلك الى الكفار في قوله يخربون لانه كان بسبب كفرهم
وغدرهم واما اخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد
احدها لحاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة
ويحصنوا ما خربه المسلمون من الاسوار والثاني ليحملوا
معهم ما اعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك الثالث
ان لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها
فاعتبروا يا اولي الابصار استدل الذين اثبتوا القياس في
الفقه بهذه الاية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها
ولولا ان كتب الله عليهم الجلا لعذبهم في الدنيا الجلا هو الخروج
من الوطن فالمعنى لولا ان الله كتب على بني النضير خروجهم

عن

عن اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل باخوانهم بني
قريظة ولهم مع ذلك عذاب النار شاقوا ذكر في الانفال
ما قطعتم من لينة اللينة هي النخلة وقيل الكريمة من النخل
وقيل النخلة التي ليست بعجوة وقيل الوان النخل المختلط
وسبب الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم واحرقوا
فقال بنو النضير ما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى
عن الفساد فنزلت الاية معلمة ان كل ما جرى من قطع
وامساك فان الله اذن للمسلمين في ذلك ليخزي الفاسقين
بني النضير واستدل بعض الفقها بهذه الاية على ان كل
مجتهد مصيب فان الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن
تركها واختلف العلما في قطع شجر المشركين وتخريب
بلادهم فاجازه الجمهور لهذه الاية ولاقرار رسول
الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بني النضير
وكرهه بعضهم لوصية ابي بكر الصديق الجيش الذي
وجهه الى الشام ان لا يقطعوا شجرا مثمرا وما افا الله على
رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
معنى افا جعله فيا لرسوله صلى الله عليه وسلم واوجفتم
من الوجيف وهو سرعة السير والركاب هي الابل
والمعنى ان ما اعطى الله رسوله من اموال بني النضير
لم يمش المسلمين اليه بخيل ولا ابل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه
بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه
وسلم على بني النضير فاعلمنا الله بهذه الاية ان ما اخذ
لبني النضير وما اخذ من فدك فهو خاص للنبي صلى
الله عليه وسلم يفعل فيه ما يشا لانه لم يوجف عليها

ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التي توخذ بالقتال فاخذ
رسول الله صلي الله عليه وسلم لنفسه من اموال بني النضير
قوت عياله وقسم سايرها في المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيا غير ابا دجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة
فاعطاهما رسول الله صلي الله عليه وسلم سهما هذا
قول جماعة وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلي الله
عليه وسلم ينفق منها علي اهله نفقة سنة وما بقي جعله
في السلاح والكراع عدة في سبيل الله قال قوم من العلما
وكذلك كل ما فتحه الايمة فمن لم يوجف عليه فهم لهم خاصة
ياخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين
ما افا الله علي رسوله من اهل القري فلله وللرسول
الاية اضطرب الناس في تفسير هذه الاية وحكمها اضطرابا
عظيما فان ظاهرها ان الاموال التي توخذ للكفار تكون لله
وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منهم خمس ولا تقسم
علي من حضر الوقعة فقال بعضهم منسوخة باية الانفال
وهذا خطا لان اية الانفال نزلت قبل هذه بمدة وقال
بعضهم ان اية الانفال في الاموال التي تغنم ما عدي
الارض وان هذه الاية في ارض الكفار قالوا ولذلك لم
يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض مصر والعراق
بل تركهما لمصالح المسلمين وهذا التخصيص لا دليل عليه
وقيل غير ذلك والصحيح لا تعارض بين هذه الاية
وبين اية الانفال فان اية الانفال في حكم الغنيمة التي
توخذ بالقتال وايجاف الخيل والركاب فلهذا يوخذ
منه الخمس ويقسم باقيه علي الغانمين واما هذه الاية
ففي حكم الفي وهو ما يوخذ من اموال الكفار من غير قتال

ولا

ولا ايجاف خيل ولا ركاب واذا كان كذلك فكل واحدة من الايتين
في معني غير معني الاخري ولها حكم غير حكم الاخري فلا تعارض
بينهما ولا نسخ وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفي وفي الانفال
لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفي والغنيمة
وان حكمهما مختلف قال محمد بن الفرس وهو قول الجمهور
وبه قال مالك وجميع اصحابه وهو اظهر الاقوال واما
فعل عمر في ارض مصر والعراق فالصحيح انه فعل ذلك لمصلحة
المسلمين بعد استطابة الغانمين بقوله تعالي ما افا الله
علي رسوله من اهل القري يريد بغير قتال ولا ايجاف
خيل ولا ركاب كما كانت اموال بني النضير ولكنه حذف
هذا القول في الاية قبل هذا فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب فاستغني بذكر ذلك اولا عن ذكره ثانيا ولذلك
لم تدخل الواو العاطفة في اول هذه الجملة لانها من تمام
الاولي فهي غير اجنبية منها فانه بين في الاية الاولي حكم
بني النضير وبين في هذه ما كان مثلها من اموال غيرهم
علي العموم ويصرف الفي فيما يصرف فيه خمس الغنايم
لان الله سوي بينهما في قوله لله وللرسول ولذي القربي
واليتامي والمساكين وابن السبيل وقد ذكرنا في الانفال
معني قوله لله وللرسول وما بعد ذلك كي لا يكون دولة
بين الاغنيا منكم اي كي لا يكون الفي الذي افا الله علي
رسوله من اهل القري دولة ينتفع به الاغنيا دون
الفقرا وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قسم
اموال بني النضير علي المهاجرين فانهم كانوا حينيذ فقرا
ولم يعط الانصار منها شيا فانهم كانوا اغنيا فقال
بعض الانصار لنا سهمنا من هذا الفي فانزل الله الاية

والدولة بالضم والفتح مايدول الناس اي يدور عليه من الخير ويحتمل
ان يكون من المداولة اي كي لا يتداول الناس ذلك المال الاغنيا
بينهم ويبقي الفقرا بلا شي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا نزلت بسبب الفي المذكور اي ما اتاكم الرسول من
الفي فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فكانها امر للمهاجرين
باخذ الفي ونهي الانصار عنه ولفظ الاية مع ذلك عام في اوامر
رسول الله صلي الله عليه وسلم ونواهيه ولذلك استدل
بها عبد الله بن مسعود علي ان المنع من لبس المحرم المخيط
ولعن الواشمة والواصلة في القران لورود ذلك عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم للفقراء هذا بدل من قوله
لذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك
ان المراد المهاجرين ووصفهم بانهم اخرجوا من ديارهم
واموالهم لانهم هاجروا من مكة وتركوا فيها اموالهم
وديارهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم هم الانصار
والدار هي المدينة لانها كانت بلدهم والضمير في قبلهم
للمهاجرين فان قيل كيف قال تبوؤا الدار والايمان وانما
تبوؤا الدار اي سكنوها ولا يتبوؤا الايمان فالجواب من وجهين
الاول ان معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان فهو كقولك
علفتها تبنا وماء باردا تقديره علفتها تبنا وسقيتها
ماء باردا الثاني ان المعني انهم جعلوا الايمان كانه موطن
لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك فان قيل
قوله من قبلهم يقتضي ان الانصار سبقوا المهاجرين
بنزول المدينة وبالايمان فاما سبقهم لهم بنزول المدينة
فلا شك فيه لانها كانت بلدهم واما سبقهم لهم بالايمان
فمشكل لان اكثر المهاجرين اسلم قبل الانصار فالجواب

من

من وجهين احدهما انه اراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم
والاخر انه اراد تبوؤا الدار مع الايمان معا اي جمعوا بين الحالتين
قبل المهاجرين لان المهاجرين انما سبقوهم بالايمان لا بنزول
الدار فيكون الايمان علي هذا مفعولا معه وهذا الوجه
احسن لانه جواب عن هذا السوال وعن السوال الاول فانه
اذا كان الايمان مفعولا معه لم يلزم السوال الاول اذ لا يلزم
الا اذا كان السوال الايمان معطوفا علي الدار ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا قيل ان الحاجة هنا هو
الحسد ويحتمل ان يكون بمعني الاحتياج علي اصلها
والضمير في يجدون للانصار وفي اوتوا للمهاجرين والمعني
ان الانصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من
الفي وغيره فلا يجدون في صدورهم شيا بسبب ذلك
ويوثرون علي انفسهم اي يوثرون غيرهم بالمال علي انفسهم
ولو كانوا في غاية الاحتياج والخصاصة هي الفاقة وروي
ان سبب هذه الاية ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم لما قسم هذه الغنيمة علي المهاجرين دون الانصار
قال لهم ان شيتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم
وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شيتم امسكتم اموالكم
وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا ونترك
لهم هذه الغنيمة وروي ايضا ان سببها ان رجلا من
الانصار اضاف رجلا من المهاجرين فذهب الانصاري
بالضيف الي منزله فقالت له امراته والله ما عندنا
الا قوت الصبيان فقال لها نومي صبيانك واطفي السراج
وقدمي ما عندك للضيف ونوهمه نحن انا ناكل ولا ناكل
ففعلا ذلك فلما غدا علي رسول الله صلي الله عليه

وسلم فقال لقد عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الاية ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون شح النفس هو البخل والطمع
وفي هذا اشارة الي ان الانصار وقاهم الله شح انفسهم فمدحهم
الله بذلك وبانهم يوثرون علي انفسهم وبانهم لا يجدون في
صدورهم حاجة مما اوتوا المهاجرين وانهم يحبون المهاجرين
والذين جاوا من بعدهم هذا معطوف علي المهاجرين والانصار
المذكورين قبل فالمعني ان الفي للمهاجرين والانصار
كالذين اسلموا يوم فتح مكة وقيل يعني من جا بعد الصحابة
وهم التابعون ومن تبعهم الي يوم القيامة وعلي هذا
حملها مالك فقال ان من قال في احد من الصحابة قول
سوء فلا حظ له في الغنيمة والفي لان الله وصف الذين جاوا
بعد الصحابة بانهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين
وصفهم الله الم تر الي الذين نافقوا الاية نزلت في عبد الله
ابن ابي بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا الي بني النضير
وقالوا لهم اثبتوا في حصونكم فانا معكم كيف ما تقلب
حالكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي لا نسمع فيكم قول قائل
ولا نطيع من يامرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد
التي وعدوا بها فان قيل كيف قال لين نصروهم
ليولن الادبار بعد قوله لا ينصرونهم فالجواب ان المعني
علي الفرض والتقدير اي لو فرضنا ان نصروهم لولوا
الادبار لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله الرهبة
هي الخوف والمعني ان المنافقين واليهود يخافون الناس
اكثر مما يخافون الله لا يقاتلونكم جميعا الا في قري محصنة
او من وراء جدار اي لا يقدرون علي قتالكم مجتمعين الا وهم

في قري محصنة بالاسوار والخنادق او من وراء الحيطان دون
ان يخرجوا اليكم باسهم بينهم شديد يعني عداوة بعضهم
لبعض تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي اي تظن انهم مجتمعون
بالالفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحني كمثل
الذين من قبلهم قريبا اي هولا اليهود مثل الذين من
قبلهم يعني اليهود بني قينقاع فان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اجلاهم عن المدينة قبل النضير فكانوا امثالهم
وقيل يعني اهل بدر الكفار فانهم قبلهم ومثل لهم في ان
غلبوا وقهروا والاول ارجح لان قوله قريبا يقتضي انهم
كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك اوقع علي بني قينقاع
وايضا فان تمثيل بني النضير ببني قينقاع اليق لانهم
يهود مثلهم واخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك
هو المراد بقوله ذاقوا وبال امرهم وقريبا ظرف زمان
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر مثل الله المنافقين
الذين اغوا اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك
بالشيطان فانه يغوي ابن ادم ثم يتبرا منه والمراد بالشيطان
والانسان الجنس وقيل اراد الشيطان الذي اغوي قريشا
يوم بدر وقال لهم اني جاركم وقيل المراد بالانسان
برصيص العابد فانه استودع امراة فزين له الشيطان
الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان
قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له
الشيطان وقال له اسجد لي انجيك فسجد له فتركه
الشيطان وقال له اني بري منك وهذا ضعيف في النقل
والاول ارجح فكان عاقبتهما انهما في النار الضميران يعودان
علي الشيطان والانسان وفي ذلك تمثيل للمنافقين

واليهود ولتنظر نفس ما قدمت لغد لغد اامر باذ تنظر كل نفس
ما قدمت من اعمالها ليوم القيامة ومعني ذلك محاسبة
النفس لتكف من السيات وتزيد في الحسنات وانما عبر
عن يوم القيامة بغد تقريبا لان كل ما هو ات قريب
فان قيل لم كرر الامر بالتقوي فالجواب من وجهين
احدهما انه تاكيد والاخر وهو الاحسن انه امرا ولا
بالتقوي استعدادا ليوم القيامة ثم امر به ثانيا لان
الله خبير بما يعملون فلما اختلف الموجبان كرره مع كل
واحد منهما ولا تكونوا كالذين نسوا الله يعني الكفار ويحتمل
والنسيان يحتمل ان يكون بمعني الترك او الغفلة اي نسوا نعنا
حق الله فانساهم حقوق انفسهم والنظر لها لو انزلنا
هذا القران علي جبل الاية توبيخ لابن ادم علي قسوة
قلبه وقلة خشوعهم عند تلاوة القران فانه اذا كان
الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القران فما ظنك يا بن
ادم عالم الغيب والشهادة اي يعلم ما غاب من المخلوقين
وما شاهدوه وقيل الغيب الاخرة والشهادة الدنيا
والعموم احسن القدوس مشتق من التقديس وهو
التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب
وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح السلام في معناه
قولان احدهما الذي سلم عباده من الجور والاخر السليم
من النقايص واصله مصدر بمعني السلام وصف به
مبالغة او علي حذف مضاف تقديره ذو السلام
المومن فيه قولان احدهما انه من الامن الذي امن عباده
والاخر انه من الايمان اي المصدق لعباده في ايمانهم او
في شهادتهم علي الناس يوم القيامة او المصدق نفسه

في

٥١٣

في اقواله المهيمن في معناه ثلاثة اقوال الرقيب والشاهد
والامين قال الزمخشري اصله مويمن بالهمزة ثم ابدلتها
الجبار في معناه قولان احدهما انه بمعني الاجبار وبمعني
القهر والاخر انه من الجبر اي يجبر عباده برحمته والاول
اظهر المتكبر اي الذي له التكبر حقا البارئ اي الخالق
يقال برا الله الخلق اي خلقهم ولكن البارئ والخالق يراد
بهما الذي بدا الخلق واخترعه المصور اي خالق الصورة
له الاسما الحسني قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قال
المولف قرات القران علي الاستاذ الصالح ابي عبد الله بن
الكماد فلما بلغت الي اخر سورة الحشر قال لي ضع يدك
علي راسك ففعلت له ولم ذلك قال لاني قرات علي القاضي
ابي علي بن الاحوص فلما انتهيت الي خاتمة الحشر قال
لي ضع يدك علي راسك واسند الحديث الي عبد الله بن
مسعود قال قراته علي النبي صلي الله عليه وسلم
فلما انتهيت الي خاتمة سورة الحشر قال ضع يدك علي راسك
قلت ولماذا يا رسول الله فداك ابي وامي قال اقراني
جبريل القران فلما انتهيت الي خاتمة الحشر قال لي ضع
يدك علي راسك يا محمد قلت ولم ذلك قال ان الله تعالي
افتتح القران فضرب فيه فلما انتهي الي اخر سورة الحشر
امر الملايكة ان تضع ايديها علي روسها فقالت يا ربنا
ولم ذلك قال انه شفا من كل دا الا السام والسام الموت

سورة الممتحنة

لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا العدو ينطلق علي الواحد
والجماعة والمراد به هنا كفار قريش وهذه الاية نزلت

بسبب حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اراد الخروج الى مكة عام الحديبية فوري ذلك
بخيبر فتشامع في الناس انه خارج الى خيبر واخبر هو
جماعة من اصحابه بقصده الى مكة منهم حاطب فكتب
بذلك حاطب الى قوم من اهل مكة فجا الخبر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من السما فبعث علي بن ابي طالب
والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب ففتشوا جميع رحلها فما
وجدوا شيا فقال بعضهم ما معها كتاب فقال علي
ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب والله
لتخرجن الكتاب او لنجردنك قالت اعرضوا عني فاخرجته
من قرون راسها وقيل اخرجته من حجزتها فجا وابه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من
كتب هذا قال انا يا رسول الله ولكن لا تعجل علي فو الله
ما فعلت ارتدادا عن ديني ولا رغبة في الكفر ولكني كنت
امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها فاحببت ان تكون
لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي فقال عمر بن الخطاب
دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب انه من اهل بدر
وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شيتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب الا خيرا فنزلت
الاية عتابا لحاطب وزجرا عن ان يفعل احد مثل ما فعله
وفيها مع ذلك تشريف له لان الله شهد له بالايمان في قوله
يا ايها الذين امنوا تلقون اليهم بالمودة عبارة عن ايصال
المودة اليهم والقي يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله

القيت

كقوله القيت عليك محبة مني وهذه الجملة في موضع الحال
من الضمير في قوله لا تتخذوا او في موضع الصفة لاوليا او
استينافا وقد كفروا حال من الضمير في لا تتخذوا او في تلقون
يخرجون الرسول واياكم اي يخرجون الرسول ويخرجونكم
يعني اخراجهم من مكة فانهم ضيقوا عليهم واذوهم حتى
خرجوا مهاجرين الى المدينة ومنهم من خرج الى ارض الحبشة
ان تومنوا بالله مفعول من اجله اي يخرجونكم من اجل
ايمانكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي جواب هذا الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو لا تتخذوا والتقدير
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي فلا تتخذوا
عدوي وعدوكم اوليا وجهادا مصدر في موضع الحال
او مفعول من اجله وكذلك ابتغا ان يثقفوكم معناه ان يظفروا
بكم ودوا لو تكفرون اي تمنوا لو تكفرون فتكونون مثلهم
قال الزمخشري وانما قال ودوا بلفظ الماضي بعد ان ذكر
جواب الشرط بلفظ المضارع لانه اراد ودوا كفركم قبل
كل شي لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اشارة الى ما قصد
حاطب من رعي قرابته يوم القيامة يفصل بينكم يحتمل
ان يكون من الفصل بالحكم بينهم او من الفصل بمعنى التفريق
اي يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة وقيل ان العامل
في يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد قد كانت لكم اسوة
حسنة في ابراهيم والذين معه الاسوة هو الذي يقتدى به
فامر الله المسلمين ان يقتدوا بابراهيم الخليل عليه السلام
وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم ومعنى والذين
معه من امن به من الناس وقيل الانبيا الذين كانوا في
عصره وقريبا من عصره ورجح ابن عطية هذا القول

بما ورد في الحديث ان ابراهيم عليه السلام قال لو وجدته
ماعلي الارض مومن بالله غيري وغيرك **براء** جمع بري
كفرنا بكم اي كذبنا كم في اقوالكم ويحتمل ان يكون عبارة عن
افراط النقص والمقاطعة لهم **الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن**
لك هذا الاستثنا من قوله اسوة حسنة فالمعني اقتدوا بهم
في عداوتهم للكفار ولاتقتدوا بهم في هذا لان ابراهيم وعد
اباه ان يستغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه وقيل
الاستثنا من التبري والقطيعة والمعني تبرا ابراهيم والذين
معه من الكفار الا ان ابراهيم وعدا باه اذ يستغفر له
ربنا عليك توكلنا هذا من كلام ابراهيم عليه السلام
والذين معه وهو متصل بما قبل الاستثنا فهو من جملة
ما امروا ان يقتدوا به **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**
في معناه قولان احدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم
فتنة وسبب ضلا لهم لانهم يقولون غلبنا هم لانا علي
الحق وهم علي الباطل والاخر لا تسلطهم علينا فيفتنونا
عن ديننا ورجح ابن عطية هذا لانه دعا لا نفسهم بالنصر
بحيث لا يفتتن الكفار بذلك **عسي الله ان يجعل بينكم وبين**
الذين عاديتم منهم مودة لما امر الله المسلمين بعداوة الكفار
ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك علي ما كان بينهم وبين الكفار
من القرابة فعلم الله صدقهم فانسهم بهذه الاية ووعدهم
بان يجعل بينهم مودة وهذه المودة كملت في فتح مكة
فانهم اسلم جميع سائر قريش وقيل المودة تزوج النبي
صلي الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب
سيد قريش ورد ابن عطية هذا القول بان تزوج ام
حبيبة كان قبل نزول هذه الاية **لا ينهاكم الله عن الذين**

لم يقاتلوكم في الدين رخص الله للمسلمين في مبرة من لم
يقاتلهم من الكفار واختلف فيهم علي اربعة اقوال الاول
انهم قبايل من العرب منهم خزاعة وبنوا الحرث بن كعب
كانوا قد صالحوا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي
ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه الثاني انهم من كفار قريش
من لم يقاتل المسلمين ولا اخرجهم من مكة والاية علي
هذين القولين منسوخة بالقتال الثالث
انهم النسا والصبيان وفي هذا ورد ان اسما بنت ابي بكر
الصديق قالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي
مشركة افا صلها قال نعم صلي امك الرابع انه
اراد من كان بمكة من المومنين الذين لم يهاجروا وانما
الذين نهي الله عن مودتهم لانهم قاتلوا المسلمين وظاهروا علي
اخراجهم فهم كفار قريش **يا ايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات**
مهاجرات فامتحنوهن اي اختبروهن لتعلموا صدق ايمانهن
وانما سماهن مومنات لظاهر حالهن وقد اختلف في هذا
الامتحان علي ثلاثة اقوال احدها ان تستحلف المراة
انها ما هاجرت لبغضها في زوجها ولا لخوف وغير ذلك
من اعراض الدنيا سوي حب الله ورسوله والدار
الاخرة والثاني ان يعرض عليها شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله والثالث ان تعرض عليها الشروط
المذكوره بعد هذا من ترك الاشراك والسرقة وقتل
اولادهن وترك الزنا والبهتان والعصيان فاذا اقرت
بذلك فهو امتحانها قالته عايشة رضي الله عنها **فان**
علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الي الكفار نزلت هذه
الاية اثر صلح الحديبيه وكان ذلك الصلح قد تضمن ان يرد

المسلمون الي الكفار وكل من جا مسلما من الرجال والنسا فنسخ الله
امر النسا بهذه الاية ومنع من رد المومنة الي الكفار اذا هاجرت
الي المسلمين وكانت المراة التي هاجرت حينيذ اميمة
بنت بشر امراة حسان بن الدحداحة وقيل سبيعة الاسلمية
ولما خرجت جا زوجها فقال يا محمد ردها علينا فان ذلك
في الشرط الذي لنا عليك فنزلت الاية فامتحنها رسول
الله صلي الله عليه وسلم فلم يردها واعطي مهرها الي
زوجها وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
هربت من زوجها الي المسلمين واختلف في الرجال
هل حكمهم في ذلك كالنسا فلا تجوز المهادنة علي رد من اسلم
منهم حتي الان علي قولين والاظهر الجواز لانه انما نسخ ذلك
في النسا لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن هذا تعليل لمنع
من رد المراة الي الكفار وفيه دليل علي ارتفاع النكاح
بين المشركين والمسلمات واتوهم ما انفقوا يعني اعطوا
الكفار ما اعطوا نساهم من الصدقات اذا هاجرن ثم اباح
للمسلمين تزوجهن بالصداق ولا تمسكوا بعصم الكوافر
العصم جمع عصمه اي النكاح فامر الله المسلمين ان يفارقوا
نساهم الكوافر يعني المشركات من عبدة الاوثان فالاية
علي هذا محكمة وقيل يعني كل كافرة فعلي هذا نسخ منها
جواز تزوج الكتابيات والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وروي ان الاية نزلت في امراة لعمر بن
الخطاب كانت كافرة فطلقها واسالوا ما انفقتم وليسالوا
ما انفقوا اي اطلبوا من الكفار ما انفقتم من الصدقات
علي ازواجكم اللاتي فررن الي الكفار وليطلبوا الكفار منكم
ما انفقوا علي ازواجهم اللاتي هاجرن الي المسلمين

وان

وان فاتكم شي من ازواجكم الي الكفار فعاقبتم فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني فاتكم شي من ازواجكم
الي الكفار بهروب نسا المسلمين الي الكفار والخطاب في قوله
فعاقبتم واتوا الذين ذهبت ازواجهم للمسلمين وقوله
عاقبتم ليس من العقاب علي الذنب وانما هو من العقبي
اي اصبتم عقبي وهي الغنيمة او من التعاقب علي الشي
كما يتعاقب الرجلان علي الدابة اذا ركبها هذا مرة وهذا
مرة اخري فلما كان نسا المسلمين يهربون الي الكفار ونسا
الكفار يهربون الي المسلمين جعل ذلك كالتعاقب علي النسا
وسبب الاية انه لما قال الله واسالوا ما انفقتم وليسالوا
ما انفقوا قال الكفار لا نرضي بهذا الحكم ولا نعطوا صداقا من
هربت زوجته الينا من المسلمين فانزل الله هذه الاية
الاخري وامر الله المسلمين ان يدفعوا الصداق لمن هربت
زوجته من المسلمين الي الكفار ويكون هذا الدفع من
الغنايم علي قول من قال ان معني فعاقبتم غنمتم وقيل
من مال الفي وقيل من الصدقات التي كانت تدفع للكفار
اذا فر ازواجهم الي المسلمين فازال الله دفعها اليهم حين لم
يرضوا حكمه وهذه الاحكام التي تضمنتها هذه الايات
قد ارتفعت لانها نزلت في قضايا معينة وهي مهادنة النبي
صلي الله عليه وسلم مع مشركي العرب ثم زالت هذه
الاحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من
العرب انما هو في حقهم الاسلام او السيف وانما تجوز مهادنة
اهل الكتاب والمجوس لان الله قال في المشركين اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقال في اهل الكتاب حتي
يعطوا الجزية وقال النبي صلي الله عليه وسلم في المجوس

سنوابهم سنة اهل الكتاب **يايها النبي اذا جاءك المومنات**
يبايعنك هذه البيعة بيعة النسا في ثاني يوم الفتح
علي جبل الصفا وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امراة ورد هذا في الحديث
الصحيح عن عايشة وروي انه صلي الله عليه وسلم
لف علي يده ثوبا كثيفا ثم لمس النسا يده كذلك وقيل انه
غمس يده في انا فيه ماثم دفعه الي النسا فغمسن ايديهن
فيه **ولا ياتين ببهتان** معناه عند الجمهور ان تنسب امراة
الي زوجها ولدا ليس له وكانت المراة تلتقط الولد فتقول
لزوجها هذا ولدي منك وانما قال يفترينه بين ايديهن
وارجلهن لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها
الذي تلد به بين رجليها واختار ابن عطيه ان يكون البهتان
هنا علي العموم بان ينسب للرجل غير ولده او تفتري علي
احد بالقول او تكذب فيما ايتمنها الله عليه من الحيض والحمل
وغير ذلك والي هذا اشار بعض الناس بان قال بين ايديهن
يراد به اللسان والفم وبين الارجل يراد به الفرج **ولا يعصينك**
في معروف اي لا يعصينك فيما جات به الشريعة من الاوامر
والنواهي ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب ووصل
الشعر وغير ذلك مما كان نسا الجاهلية يفعلنه وورد في
الحديث ان النسا لما بايعن رسول الله صلي الله عليه
وسلم هذه المبايعة فقرهن علي ان لا يسرقن قالت
هند بنت عقبة وهي امراة ابي سفيان بن حرب
يا رسول الله ان ابا سفيان رجل شحيح فهل علي ان
اخذ من ماله بغير اذنه فقال لها خذي ما يكفيك وولدك
بالمعروف فلما قررهن علي ان لا يزنين قالت هند يا رسول

الله اتزني الحرة فقال عليه الصلاة والسلام لا تزني الحرة
يعني في غالب الامر وذلك ان الزنا في قريش انما كان في الاما
فلما قال ولا يقتلن اولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا
وقتلتهم انت ببدر كبارا فضحك رسول الله صلي الله
عليه وسلم فلما وقفهن علي ان لا يعصينك في معروف
قالت ما جلسنا هذا المجلس وفي انفسنا ان نعصيك وهذه
المبايعة للنسا غير معمول بها اليوم لانه اجمع العلما علي
انه ليس للامام ان يشرط عليهن هذا فاما ان تكون منسوخة
ولم يذكر الناسخ او يكون ترك هذه الشروط لانها قد تقررت
وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة الي اشتراطها
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وكان فقرا
المسلمين يتوددوا اليهم ليصيبوا من اموالهم وقيل يعني
كفار قريش والاول اظهر لان الغضب قد صار عرفا
لهم كقوله غير المغضوب عليهم **قد يئسوا من الاخرة كما**
يئس الكفار من اصحاب القبور من قال ان القوم الذين
غضب الله عليهم هم اليهود فمعني يئسوا من الاخرة يئسوا
من خير الاخرة والسعادة فيها ومن قال ان القوم الذين
غضب الله عليهم هم كفار قريش فالمعني يئسوا من وجود
الاخرة ومجيها لانهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله
كما يئس الكفار من اصحاب القبور يحتمل وجهين احدهما
ان يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث اصحاب
القبور فقوله من اصحاب يتعلق بيئس وهو علي
حذف مضاف والاخر ان يكون من اصحاب القبور لبيان الجنس
اي كما يئس الذين في القبور من سعادة الاخرة لانهم تيقنوا
انهم معذبون **سورة الحواريين**

لم تقولون ما لا تفعلون في سببها ثلاثة اقوال احدها قول
ابن عباس ان جماعة قالوا وددنا ان نعرف احب الاعمال الي
الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الاية
والاخر ان قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن
انفسهم في الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا
وذلك كذب فنزلت الاية زجرا لهم والثالث انها نزلت
في المنافقين لانهم كانوا يقولون للمومنين نحن معكم ومنكم
ثم يظهر من افعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لانه خاطبهم
بقوله يا ايها الذين امنوا الا ان يريد انهم امنوا بزعمهم
وبما يظهرون ومع ذلك فحكم الاية علي العموم في زجر
من يقول ما لا يفعل كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون كان بعض السلف يستحي ان يعظ الناس لاجل
هذه الاية ويقول اخاف من مقت الله والمقت هو البغض
لريبة او نحوها وانتصب مقتا علي التمييز وان تقولوا
فاعل كبر وقيل الفاعل محذوف تقديره كبر فعلكم
مقتا وان تقولوا بدل من الفاعل المحذوف او خبر ابتدا
مضمر ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
ورود هذه الاية هنا دليل علي ان الاية التي قبلها
في شان القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة
افضل من قتال الفرسان لان التراص فيه يتمكن اكثر
مما يتمكن الفرسان قال ابن عطية هذا ضعيف خفي
علي قايله مقصد الاية وليس المراد نفس التصاف
وانما المراد الثبوت والجد في القتال كانهم بنيان مرصوص
المرصوص هو الذي ينضم بعضه الي بعض وقيل هو
المعقود بالرصاص ولا يبعد ان يكون هذا اصل اللفظة

واذ قال موسي لقومه يا قوم لم تؤذونني كانوا يوذونه بانواع الكلام
وبعصيانه وتنقيصه وانظر في الاحزاب ولا تكونوا كالذين اذوا موسي
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم هذا اقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم
وتقبيح لاذايته مع علمهم بانه رسول ولذلك ادخل قد الدالة
علي التحقيق واذ قال عيسي ابن مريم يا بني اسرايل انما قال
موسي يا قوم وقال عيسي يا بني اسرايل لانه لم يكن له فيهم اب
مصدقا لما بين يدي من التوراة مذكور في البقرة في قوله مصدقا
لما معكم ومبشرا برسول عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسي يا روح
الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكما علما اتقيا ابرار
اسمه احمد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس علي قدمي وانا العاقب فلا نبي بعدي واحمد
مشتق من الحمد فيحتمل ان يكون فعلا سمي به او يكون صفة سمي
بها كاحمر ويحتمل ان يكون بمعني حامد او بمعني محمود ومحمد فلما
جاءهم بالبينات يحتمل ان يكون عيسي او محمد عليهما الصلاة
والسلام ويويد الاول اتصاله بما قبله ويويد الثاني قوله وهو
يدعي الي الاسلام لان الداعي الي الاسلام هو محمد صلي الله
عليه وسلم يريدون ليطفيوا نور الله ذكر في براءة يغفر لكم
جزم في جواب تومنون لانه بمعني الامر وقد قراه ابن مسعود
امنوا وجاهدوا علي معني الامر لانه يقتضي التخفيف
واخري تحبونها [illegible] اخري علي انه خبر ابتدا مضمر تقديره
هي نصر وبشر المومنين قال الزمخشري عطف علي تومنون
بالله لانه في معني الامر كونوا انصار الله جمع ناصر وقد غلب
اسم الانصار من الاوس والخزرج وسماهم الله به وليس ذلك
المراد هنا كما قال عيسي ابن مريم هذا التشبيه محمول علي المعني

لان ظاهره كونوا انصارا لله كقول عيسى والمعنى كونوا انصارا لله
كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله وقد
ذكر في ال عمران يعني الحواريين وانصاري الى الله فاصبحوا ظاهرين
قيل انهم ظهروا بالحجة وقيل انهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع
عيسى عليه السلام وقيل ان ظهور المومنين منهم هو محمد
صلى الله عليه وسلم

سورة الجمعة

القدوس ذكر في الحشر هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاميين هم العرب
وقد ذكر معنى الامي في الاعراف واخرين منهم عطفا على الاميين
واراد بهولا فارس قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هولا الاخرون فاخذ بيد سلمان الفارسي وقال لو كان العلم
بالثريا لناله رجال من هولا يعني فارس وقيل هم الروم
ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين
لا في النسب وقيل هم اهل اليمن وقيل هم التابعون وقيل
هم سائر المسلمين والاول ارجح لوروده في الحديث الصحيح
لما يلحقوا بهم اي لم يلحقوا بهم وسيلحقون وذلك ان لما لذكر
الماضي القريب ذلك فضل الله اشارة الى نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وهداية الناس به مثل الذين حملوا التوراة
يعني اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام
باوامرها ونواهيها ولم يحملوها لم يطيعوا امرها وهم لم
يعملوا بما شبههم الله بالحمار الذي يحمل الاسفار على
ظهره ولم يدر ما فيها بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات
الله يعني اليهود الذين كذبوا سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وهم حملوا التوراة ولم يحملوها لان التوراة تنطق
بنبوته صلى الله عليه وسلم فكل من قراها ولم يومن به

فقد

فقد خالف التوراة فتمنوا الموت ذكر في البقرة اذا نودي للصلاة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله النداء للصلاة هو الاذان لها ومن
في قوله من يوم الجمعة للبيان لاذا وتفسير لها وذكر الله يراد به
الخطبة والصلاة ويتعلق بهذه الاية ثماني مسائل الاولى اختلف
في الاذان للجمعة هل هو سنة كالاذان لساير الصلوات او واجب
لظاهر الاية لانها شرط في السعي لها ان كان عند السعي للاذان
واجب والاذان واجب الثانية كان الاذان للجمعة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل
على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر وقد كان بنو امية ياخذون بهذا وبقي بقرطبة
زماننا وهو باق في المشرق الى الان قال ابو محمد بن الفرس
قال مالك في المجموعة ان هشام بن عبد الملك هو الذي
احدث الاذان بين يديه قال وهذا دليل على ان الحديث
في ذلك ضعيف الثالثة كان المؤذن للجمعة واحد ثم زاد
عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف
الفقهاء هل المستحب ان يوذن فيها اثنان او ثلاثة الرابعة
السعي في الاية بمعنى المشي لا بمعنى الجري وقرا عمر بن الخطاب
فامضوا الى ذكر الله وهذا تفسير للسعي فهو خلاف السعي
في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نودي
للصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون الخامسة حضور
الجمعة واجب لحمل الامر الذي في الاية على الوجوب باتفاق
الا انها لا تجب على المراة ولا على الصبي ولا على المريض
باتفاق ولا على العبد والمسافر عند الجمهور مالك والجمهور
خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الاية وحجة الجمهور
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة واجبة على

كل مسلم في جماعة الا اربعة عبد مملوك او امراة او صبي او مريض
وجمهم في المسافر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان
لا يقيم الجمعة في السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب
المطر ام لا وهل يجوز للعروس التخلف عنها اولا والمشهور
انها لا تسقط عنها لعموم الاية السادسة اختلف متي
يتعين الاقبال الي الصلاة فقيل اذا زالت الشمس وقيل
اذا اذن المؤذن وهو ظاهر الاية السابعة اختلف في
الموضع الذي يجب منه السعي الي الجمعة فقيل ثلاثة اميال
وهو مذهب مالك وقيل ستة اميال وقيل تجب علي
من داخل المصر وقيل علي من سمع النداء وقيل علي من
اواه الليل الي اهله الثامنة اختلف في الوالي هل هو
من شرط الجمعة ام لا علي قولين والمشهور سقوطه لان الله
لم يشترطه في الاية وذروا البيع امر بترك البيع يوم الجمعة
اذا اخذ المؤذنون في الاذان وذلك علي الوجوب فيقتضي تحريم
البيع واختلف في البيع الذي ينعقد في ذلك الوقت هل
يفسخ ام لا واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النسا
والعبيد هل يجوز في ذلك الوقت ام لا والاظهر جوازه
لانه انما منع منه من يدعى الي الجمعة ويجري النكاح في ذلك
الوقت مجرى البيع في المنع فانتشروا في الارض هذا
الامر للاباحة باتفاق حكي الاجماع علي ذلك ابن عطيه وابن
الفرس وابتغوا من فضل الله قيل معناه طلب المعاش
فالامر علي هذا للاباحة وروي عن النبي صلي الله عليه
وسلم الفضل المبتغي عيادة مريض او صلة صديق او اتباع
جنازة وقيل هو طلب العلم وان صح الحديث لم يعدل
الي سواه واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها سبب الاية

ان

ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان قايما علي المنبر يخطب
يوم الجمعة فاقبلت عير من الشام بطعام وصاحب امرها دحية
ابن خليفة الكلبي وكانت عادتهم ان تدخل العير المدينة بالطبل
والصياح سرورا بها فلما دخلت العير كذلك انتقل اهل المسجد
اليها وتركوا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المنبر ولم
يبق معه الا اثني عشر رجلا قال جابر بن عبد الله انا احدهم
وذكر بعضهم ان منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف
في الثاني عشر فقيل عبد الله بن مسعود وقيل عمار بن ياسر
وقيل انما بقي معه صلي الله عليه وسلم ثمانية وروي انه
صلي الله عليه وسلم قال لولا هولاء لقد كانت الحجارة سومت
في السما علي المنفضين وظاهر الاية يقتضي ان الجماعة شرط
في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور الا انهم اختلفوا في
مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس في
ذلك عدد محدود وانما هم جماعة تقوم بهم قرية وروي
ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعي اربعون
وقال ابو حنيفة ثلاثة مع الامام وقيل اثني عشر عدد
الذين بقوا مع النبي صلي الله عليه وسلم فان قيل لم قال
انفضوا اليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو فالجواب
من وجهين احدهما انه اراد انفضوا الي اللهو وانفضوا الي
التجارة ثم حذف احدهما لدلالة الاخر عليه قاله الزمخشري
والاخر انه قال ذلك تهمما بالتجارة اذ كانت اهم وكانت
هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطيه وتركوك
قايما اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب ام لا
واذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها ام لا فمن اوجبه
واشترطه اخذ بظاهر الاية من ذكر القيام ومن لم يوجبه

ر ان ما فعله النبي صلي الله عليه وسلم من ذلك لم يكن علي
الوجوب ومذهب مالك ان من سنة الخطبة الجلوس قبلها
والجلوس بين الخطبتين لظاهر الاية وذكر القيام فيهما دون
الجلوس وحجة مالك فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم
قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ان قيل لم قدم اللهو
هنا علي التجارة وقدم التجارة قبل هذا علي اللهو فالجواب
ان كل واحد من الموضعين جا علي ما ينبغي فيه وذلك ان العرب
تارة يبتدون بالاكثر ثم ينزلون الي الاقل كقولك فلان يخون في
الكثير والقليل فبدات بالكثير ثم اردفت عليه الخيانة فيما
دونه وتارة يبتدون بالاقل ثم يرتقون الي الاكثر كقولك فلان
امين علي القليل والكثير فبدات بالقليل ثم اردفت عليه
الامانة فيما هو اكثر منه ولو عكس في كل واحد من المثالين
لم يكن حسنا فانك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم انه يخون
في الكثير من باب اولي واحري ولو قدمت في الامانة ذكر
الكثير لعلم انه امين في القليل من باب اولي واحري فلم تكن
لذكره بعد ذلك فايدة وكذلك قوله اذا راوا التجارة او لهوا
انفضوا اليها قدم التجارة ليبين انهم ينفضوا اليها وانهم
مع ذلك ينفضون الي اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو
ومن التجارة قدم اللهو ليبين ان ما عند الله خير من اللهو
وانه ايضا خير من التجارة التي هي اعظم منه ولو عكس كل
واحد من الموضعين لم يحسن

سورة المنافقون

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله كانوا
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله
والله يعلم ان المنافقين لكاذبون اي كذبوا في دعواهم
الشهادة بالرسالة واما قوله والله يعلم انك لرسوله

فليس

فليس من كلام المنافقين وانما هو من كلام الله تعالي ولو لم يذكره
لكان يوهم ان قوله والله يعلم ان المنافقين لكاذبون ابطال
للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم
ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلي هذا ينبغي ان
يوقف علي قوله لرسول الله جنة ذكر في المجادلة ذلك
بانهم امنوا ثم كفروا الاشارة الي سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم
واما قوله امنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين احدهما ان يكون
فيمن امن منهم ايمانا صحيحا ثم نافقوا بعد ذلك والاخر ان
يريد امنوا في الظاهر كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم يعني انهم حسان الصور وان
يقولوا تسمع لقولهم يعني انهم فصحا الخطاب والضمير في قوله
اذا رايتهم تعجبك وفي قوله تسمع لقوله للنبي صلي الله عليه
وسلم ولكل مخاطب خشب مسندة شبههم بالخشب في قلة
افهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشري انما شبههم
بالخشب المسندة الي حايط لان الخشب اذا كانت كذلك لم يكن
فيها منفعة بخلاف الخشب التي في سقف او مغروسة في جدار
فان فيها حينيذ منفعة فالتشبيه علي هذا في عدم المنفعة
وقيل كانوا يستندون في مجلس رسول الله صلي الله عليه
وسلم فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة الي الحايط
يحسبون كل صيحة عليهم عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين
وذلك انهم كانوا اذا سمعوا صياحا ظنوا ان النبي صلي الله
عليه وسلم يامر بقتلهم قاتلهم الله دعا عليهم يتضمن ذمهم
وتقبيح احوالهم انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الايمان مع ظهوره
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رووسهم
اي امالوها اعراضا واستكبارا وقصص هذه الاية وما بعدها

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس الى ماء ازدحموا عليه جهجاه بن سعد اجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين فلطم الجهجاه سنانا فغضب سنان ودعا بالانصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن ابي والله ما مثلنا ومثل هولا المهاجرين الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك ثم قال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه واتباعه ويعني بالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم قال لقومه انما يقيم هولا بالمدينة بسبب معونتكم وانفاقكم عليهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن ارقم فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الله بن ابي فحلف انه ما قال من ذلك شيا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زيد وقال لقد صدقك الله يا زيد فخزي عبد الله ابن ابي ومقتوه الناس فقيل له امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوا راسه انكارا لهذا الراي وقال امرتوني بالاسلام فاسلمت وامرتوني باداء زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم الان تامروني ان اسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن ابي بعد ذلك بقليل واسندت هذه الاقوال التي قالها عبد الله بن ابي الى ضمير الجماعة لانه كان له اتباع من المنافقين يوافقونه عليها **سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم** روي انها لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فلما فعل عبد الله بن ابي واصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة واخبر انه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر لان

هذه

هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الاية الاخرى بمدة **لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله** اي لا تشغلكم وذكر الاية هنا على العموم في الصلاة والدعا والعبادة وقيل يعني الصلاة المكتوبة والعموم اولى **وانفقوا مما رزقناكم** عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك وقيل يعني الزكاة المفروضة والعموم اولى **واكون من الصالحين** بالجزم عطف على موضع جواب الشرط وقرا ابو عمرو واكون بالنصب عطف على فاصدق

سورة التغابن

هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن في تاويل الاية وجهان احدهما هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الايمان به لكن منكم من كفر ومنكم من امن فالكفر والايمان على هذا هو اكتساب العبد والاخر ان المعنى هو الذي خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مومن ومنكم من خلقه كافر فالايمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل احد والاول اظهر لان عطفه على خلقكم بالفا يقتضي ان الكفر والايمان واقعان بعد الخلقة لا في اصل الخلقة **خلق السموات والارض بالحق** ذكر معناه في مواضع **وصوركم فاحسن صوركم** تعديد نعمة في جنس خلقة بني ادم لانهم احسن صورة من جميع انواع الحيوان وان وجد بعض الناس قبيح بالنظر الى من هو احسن منه من الناس وقيل يعني العقل والادراك الذي خص به الانسان والاول ارجح لان الصورة انما تتعلق على الشكل **الم ياتكم** خطاب لقريش وساير الكفار **فقالوا ابشر يهدوننا** معناه انهم استبعدوا ان يرسل الله بشرا وتكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا** قال عبد الله بن عمر زعم كناية عن كذب

يوم يجمعكم العامل في يوم لتنبون او خبر او محذوف تقديره
اذكر ويحتمل ان يكون مبتدا وخبره ذلك يوم التغابن يعني يوم
القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة وذلك
اذا فاز السعدا بالجنة فكانهم غبنوا الاشقيا في منازلهم
التي ينزلون منها لو كانوا سعدا فالتغابن على هذا يعني الغبن
وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين
كقولك تضارب وتقاتل انما هي فعل واحد كقولك تواضع
قاله ابن عطية وقال الزمخشري يعني نزول السعدا منازل
الاشقيا ونزول الاشقيا منازل السعدا والتغابن على هذا
بين اثنين قال وفيه تهكم بالاشقيا لان نزولهم في جهنم
ليس في الحقيقة بغبن للسعدا **ما اصاب من مصيبة الا باذن
الله** يحتمل ان يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لانها اهم
على الناس او يريد جميع الحوادث من خير او شر وباذن الله
عبارة عن قضايه وارادته تعالى **ومن يومن بالله يهدي قلبه**
قيل معناه من يومن بان كل شي باذن الله يهدي الله قلبه
للتسليم والرضا بقضا الله وهذا الحسن الا ان العموم احسن منه
ان من ازواجكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم سببها ان
قوما اسلموا وارادوا الهجرة فثبطهم ازواجهم واولادهم
عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك وقيل نزلت في
عوف بن مالك الاشجعي وذلك انه اراد الجهاد فاجتمع اهله
واولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع ثم انه ندم وهم
بمعاقبتهم فنزلت الاية محذرة من فتنة الاولاد ثم صرفه
تعالى عن معاقبتهم بقوله وان تعفوا وتصفحوا الاية ولفظ
الاية مع ذلك على عمومه في التحذير من يكون للانسان
عدوا من اهله واولاده سوا كانت عداوتهم بسبب الدين

او

او الدنيا **والله عنده اجر عظيم** ترغيب في الاخرة وتزهيد في الاموال
والاولاد التي فتن الناس بها **فاتقوا الله ما استطعتم** قيل ان
هذا ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته وروي لما نزلت حق
تقاته شق ذلك على الناس حتى نزلت ما استطعتم وقيل
لا نسخ بينهما لان حق تقاته معناه فيما استطعتم اذ لا يمكن
ان يفعل احد الا ما يستطيع وهذه الاية على هذا مبينة
لتلك ويحترز بالاستطاعة من الاكراه والنسيان وما لا يواخذ
به العبد واعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية **خيرا
لانفسكم** منصوب باضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل
هو مفعول بانفقوا لان الخير يعني المال وقيل هو نعت لمصدر
محذوف تقديره انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم **ومن يوق** ذكر
في الحشر **ان تقرضوا** ذكر في البقرة **والله شكور حكيم**
ذكر في اللغات

سورة الطلاق

يايها النبي اذا طلقتم النسا ان قيل لم نودي النبي صلى
الله عليه وسلم وحده ثم جا بعد ذلك خطاب الجماعة فالجواب
انه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه
وسلم وامته قيل اذا طلقتم خطابا له ولهم وخص هو
عليه الصلاة والسلام بالندا تعظيما له كما يقال لرئيس
القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا اي افعله انت وقومك ولانه
عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لامته فكانه قال يايها
النبي اذا طلقت انت وامتك وقيل تقديره يايها النبي قل
لامتك اذا طلقتم وهذا ضعيف لانه يقتضي ان هذا الحكم
مختص بامته دونه وقيل انه خوطب النبي صلى الله عليه
وسلم بطلقتم تعظيما له كما يقول الرجل المعظم انتم فعلتم
وهذا ايضا ضعيف لانه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة

والسلام بالحكم دون امته ومعني اذا طلقتم اذا اردتم الطلاق
واختلف في الطلاق هل هو مباح او مكروه فاما اذا كان
علي غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم واما اليمين بالطلاق
فممنوع فطلقوهن لعدتهن تقديره طلقوهن مستقبلات
لعدتهن ولذلك قرا عثمان وابن عباس وابي بن كعب في قبل
عدتهن وقرا ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراتان عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعني ذلك كله لا يطلقها
وهي حايض فهو ممنوع منهي عنه باجماع لانه اذا فعل ذلك لم
يقع طلاقه في الحال التي امر الله بها وهو استقبال العده
واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل
بتطويل العدة او هو تعبد والصحيح انه معلل بذلك
وينبني علي هذا الخلاف فروع منها هل يجوز اذا رضيت
به المراة ام لا ومنها هل يجوز طلاقها في الحيض وهي
حامل ام لا ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي
حايض ام لا فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه
الفروع والتعبد يقتضي المنع ومن طلق في الحيض لزمه
الطلاق ثم يومر بالرجعة علي وجه الاجبار عند مالك
ودون اجبار عند الشافعي حتي تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شا طلق وان شا امسك حسبما ورد في حديث ابن
عمر حين طلق امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر للنبي
صلي الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتي تطهر
ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا طلق وان شا امسك واشترط
مالك ان يطلقها في طهر لم يمسها فيه ثم تعتد بذلك الطهر
فانه ان طلقها في طهر بعد ان جامع فيه فلا تدري هل
تعتد بالوضع او بالاقرا فليس طلاقا للعدة كما امر الله واحصوا

العدة

العدة امر بذلك لما ينبني عليها من الاحكام في الرجعة والسكني
والميراث وغير ذلك لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن نهي
الله سبحانه ان يخرج الرجل المطلقة من المسكن الذي طلقها
فيه ونهاها هي ان تخرج باختيارها فلا يجوز لها المبيت عن
بيتها ولا ان تغيب عنه نهارا الا لضرورة التصرف وذلك
لحفظ النسب وصيانة المراة فان كان المسكن ملكا للزوج
او مكتري عنده لزمه اسكانها فيه وان كان المسكن لها
فعليه كراه مدة العدة وان كانت قد امتعته فيه مدة
الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب والصحيح
لزومه لان الامتاع قد انقطع بالطلاق الا ان ياتين بفاحشة
مبينة اختلف في هذه الفاحشة التي اباحت خروج المعتدة
ما هي علي خمسة اقوال الاول انها تخرج لاقامة الحد قاله
الليث بن سعيد والشعبي الثاني انه سوء الكلام مع الاصهار
فتخرج ويسقط حقها من السكني ويلزمها الاقامة في مسكن
تتخذه حفظا للنسب قاله ابن عباس ويويده قراة ابي بن
كعب الا ان يفحشن عليكم الثالث انه جميع المعاصي من القذف
والزنا والسرقة وغير ذلك فمتي فعلت شيا من ذلك سقط
حقها في السكني قاله ابن عباس واليه مال الطبري انه
الخروج عن بيتها خروج انتقال فمتي فعلت شيا من ذلك
سقط حقها في السكني قاله ابن الفرس واذا هذا ذهب
مالك في المراة اذا نشزت في العدة الخامس انه النشوز قبل
الطلاق فاذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكني قاله
قتادة لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا المراد به
الرجعة عند الجمهور اي احصوا العدة وامتثلوا ما امرتم
به لعل الله يحدث الرجعة لنسايكم وقيل المعني لعل الله

بعده

يحدث امرا من نسخ الاحكام وهذا بعيد وقيل ان سبب الرجعة
المذكورة في الاية تطليق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة
بنت عمر فامره الله بمراجعتها **فاذا بلغن اجلهن** يريد اخر العدة
والامساك بمعروف هو حسن العشرة وتوفية النفقة
والفراق بالمعروف هو اداء الصداق والامتاع حين الطلاق
والوفا بالشروط ونحو ذلك **واشهدوا ذوي عدل منكم**
هذا خطاب للازواج والاشهاد المامور به هو على الرجعة
عند الجمهور وقد اختلف فيه هل هو واجب او مستحب على
قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على
الطلاق وعلى الرجعة وهذا اظهر لان الاشهاد به يرفع
الاشكال والنزاع ولا فرق بين الرجعة والطلاق وقد
ذكرنا العدة في البقرة وقوله ذوي عدل يدل على انه
انما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النسا وهو مذهب
مالك خلافا لمن اجاز شهادة النسا في ذلك وقوله منكم
يريد من المسلمين وقيل من الاحرار فيوخذ من ذلك رد
شهادة العبيد وهو مذهب مالك **واقيموا الشهادة لله**
هذا خطاب للشهود واقامة الشهادة يحتمل ان يريد بها القيام
فاذا استشهد وجب عليه ان يشهد وهو فرض كفاية
والى هذا المعنى اشار ابن الفرس ويحتمل ان يريد اقامتها
بالحق دون ميل ولا غرض وبهذا فسره الزمخشري
وهو اظهر لقوله لله وهو كقوله كونوا قوامين بالقسط
شهدا لله **ذلكم** اشارة الى ما تقدم من الاحكام **ومن يتق
الله يجعل له مخرجا** قيل انها في الطلاق ومعناها من يتق
الله فيطلق طلقة واحدة حسبما تقتضيه السنة يجعل له
مخرجا بجواز الرجعة متى قدم الطلاق وفي هذا المعنى روي

عن

عن ابن عباس انه قال لمن طلق ثلاثا انك لم تتق الله فبانت عنك
امراتك ولا ارى لك مخرجا اي لا رجعة لك وقيل انها على العموم
اي من يتق الله في اقواله وافعاله يجعل له مخرجا من كرب
الدنيا والاخرة وقد روي هذا ايضا عن ابن عباس وهذا
ارجح لخمسة اوجه احدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل
في ذلك الطلاق وغيره الثاني انه روي انها نزلت في عوف
ابن مالك الاشجعي وذلك انه اسر ولده وضيق عليه رزقه
فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره بالتقوى
فلم يلبث الا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه والثالث
انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مخرجا
من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة
والرابع روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني
لا علم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا
الاية فما زال يقروها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه
من حيث لا يحتسب فان هذا ليس بسبب الطلاق وانما بسبب
التقوى على العموم قال بعض العلما الرزق على نوعين رزق
مضمون لكل حي طول عمره وهو الغذا الذي تقوم به الحياه
واليه الاشارة بقوله وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها ورزق موعود للمتقين خاصة وهو المذكور في هذه
الاية **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** اي كافيه بحيث لا يحتاج
معه الى غيره وقد تكلمنا على التوكل في ال عمران **ان الله
بالغ امره** اي يبلغ ما يريد ولا يعجزه شي فهذا حض على التوكل
وتاكيد له لان العبد اذا تحقق ان الامور كلها بيد الله توكل
عليه وحده ولم يعول على سواه **قد جعل الله لكل شي قدرا**
اي مقدارا معلوما ووقتا محدودا **واللائي يئسن من المحيض**

انه قراها

من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله
فما عدة من لا قرء لها من صغر او كبر فنزلت الاية معلمة ان المطلقة
اذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة اشهر فقوله اللاي يئسن
من المحيض يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله لم
يحضن يعني الصغيرة التي لم تبلغ الحيض وهو معطوف على
اللاي يئسن او مبتدا وخبره محذوف تقديره واللاي لم
يحضن كذلك وقوله ان ارتبتم فهو من الريب بمعنى الشك
وفي معناه قولان احدهما ان ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا
انها ثلاثة اشهر والاخر ان ارتبتم في حيضها هل انقطع
او لم ينقطع فهي كالتا ويل الاول في التي انقطعت حيضتها
لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهي على التاويل
الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي
في سن من تحيض وقد اختلف العلما في عدتها على ثلاثة
اقوال احدها انها ثلاثة اشهر خاصة حسبما تقتضيه
الاية على هذا التاويل والاخر انها ثلاثة اشهر بعد تسعة
اشهر تستبري بها امد الحمل وهذا مذهب مالك وقد ورد
في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه والثالث انها تعتد
بالاقرا ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض
وهو مذهب الشافعي وابي حنيفة واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن هذه الاية عند مالك والشافعي وابي حنيفة
وساير العلما عامة في المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت
احداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال علي بن ابي طالب
وابن عباس انما هذه الاية في المطلقات الحوامل فهي اللاتي عدتهن
وضع حملهن واما المتوفى اذا كانت حاملا فعدتها عندهما ابعد

الاجلين

الاجلين اما الوضع او انقضا الاربعة الاشهر وعشرا فحجة الجمهور
حديث سبيعة الاسلمية انها كانت زوجا لسعد بن خولة
فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حبلى فلما وضعت خطبها
ابو السنابل بمكة فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لها انك حللت من شيئ وقد ذكر ان ابن عباس رجع الى هذا
الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضي الله عنه لرجع اليه
وقال عبد الله بن مسعود ان هذه الاية التي نزلت في سورة
النسا القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الاية التي
في البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فهي مخصصة لها حسبما
قاله جمهور العلما اسكنوهن من حيث سكنتم امر الله
باسكان المطلقة طول العدة فاما المطلقة غير المبتوتة
فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق العلما واما
المبتوتة ففيها ثلاثة اقوال احدها انها يجب لها السكنى
دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي والثاني انه
يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب ابو حنيفة والثالث
انها ليس لها سكنى ولا نفقة فحجة مالك حديث فاطمة
بنت قيس وهو ان زوجها طلقها البتة فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة فيوخذ
من هذا ان لها السكنى دون النفقة وحجة من اوجب لها
السكنى والنفقة قول عمر بن الخطاب لا ندع قول ربنا لقول
امراة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لها السكنى والنفقة وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة
ان في بعض الروايات انها قالت لم يجعل لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفقة ولا سكنى وقوله من حيث سكنتم

معناه اسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض ويفسر
ذلك قول قتادة لولم يكن له الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه
من وجدكم الوجد هو الطاقة والسعة في المال فالمعني اسكنوهن
مسكنا مما تقدرون عليه واعرابه عطف بيان لقوله حيث
سكنتم ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى
واحد فالضم اكثر واشهر **فان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى
يضعن حملهن** اتفق العلما علي وجوب النفقة في العده للمطلقة
الحامل عملا بهذه الاية سوا كان الطلاق رجعيا او باينا
واتفقوا علي ان للمطلقة غير الحامل النفقه في العدة اذا كان
الطلاق رجعيا فاذا كان باينا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرنا
واما المتوفي عنها زوجها ان كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك
والجمهور لانهم راوا ان هذه الاية انما هي في المطلقات وقال
قوم لها النفقة في التركه **فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن**
المعنى ان ارضع هولا الزوجات المطلقات اولادكم فاتوهن اجرة
الرضاع وهي النفقه وساير المون حسبما ذكر في كتب الفقه **واتمروا
بينكم بمعروف** هذا خطاب للرجال والنسا والمعنى ان يامر كل
واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والاحسان وقيل معنى
اتمروا تشاوروا ومنه ان الملا ياتمرون بك **وان تعاسرتم
فسترضع له اخري** المعنى ان تشططت الام علي الاب في
اجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللاب ان يسترضع لولده
امراة اخري بما هو ارفق له الا ان لا يقبل الطفل غير ثدي امه
فتجبر حينيذ علي رضاعه باجرة مثلها ومثل الزوج **لينفق
ذو سعة من سعته** امر بان ينفق كل واحد علي مقدار حاله
ولا يكلف الزوج ما لا يطيق ولا تضيع الزوجه بل يكون الحال معتدلا
وفي الاية دليل علي ان النفقة تختلف باختلاف احوال الناس

وهو

وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة فانه اعتبر الكفاية وان عجز
عن النفقة فهو في الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان
في المذهب **فحاسبناها حسابا شديدا** اي حاسبنا اهلها قيل
يعني الحساب في الاخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني
في الدنيا وهو ارجح لانه ذكر عذاب الاخرة بعد ذلك في قوله
اعد الله لهم عذابا شديدا ولان قوله حاسبناها وعذبناها
بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى
حاسبناها اي واخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شي من صغايرها
والعقاب هو عذابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد
مثله **قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا** الذكر هنا هو القران والرسول
هو محمد صلي الله عليه وسلم واعراب رسولا مفعول بفعل
مضمر تقديره ارسل رسولا هذا الذي اختاره ابن عطية
وهو اظهر الاقوال وقيل ان الذكر والرسول معا يراد بهما القران
والرسول علي هذا بمعنى الرسالة وقيل انما يراد بهما القران
علي حذف مضاف تقديره ذكرا ذا رسول وقيل يراد بهما النبي
صلي الله عليه وسلم والذكر من اسمايه وهذا ضعيف وقيل
رسولا مفعولا بالمصدر الذي هو الذكر وقال الزمخشري الرسول
هو جبريل بدل من الذكر لانه نزل به او سمي ذكرا لكثرة ذكره
لله وهذا كله بعيد **ومن الارض مثلهن** لا خلاف ان السموات
سبع واما الارض فاختلف فيها فقيل انها سبع ارضين لظاهر هذه
الاية ولقوله صلي الله عليه وسلم من غصب شبرا من الارض
طوقه يوم القيامة من سبع ارضين وقيل انما هي واحدة فمعنى
مثلهن علي القول الاول يعني به المماثلة في العدد وعلي القول
الثاني يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمارة وغير ذلك
والاول ارجح **يتنزل الامر بينهن** يحتمل ان يريد بالامر الوحي

او احكام الله وتقديره لخلقه

سورة التحريم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك في سبب نزولها روايتان
احدهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جا يوما الي بيت
زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة
ابيها فبعث في جاريته مارية فقال معها في البيت فجات حفصة
فقالت يا رسول الله ما كان في نسايك اهون عليك مني
انفعل هذا في بيتي وعلي فراشي فقال لها رسول الله صلي
الله عليه وسلم مترضيا لها ايرضيك ان احرمها فقالت نعم
فقال اني قد حرمتها والرواية الاخري ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم كان يدخل علي زوجه زينب بنت جحش فيشرب
عندها عسلا فاتفقت عايشة وحفصة وسودة بنت زمعة
علي ان تقول له من دنا منها اكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط
وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لا ولكني شربت عسلا فقلن له جرست نحلة
العرفط فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا اشربه ابدا
وكان يكره ان توجد منه رايحة كريهة فدخل بعد ذلك علي
زينب فقالت الا اسقيك من ذلك فقال لا حاجة لي به فنزلت
الاية عتابا له علي ان يضيق علي نفسه بتحريم الجارية وتحريم
العسل والرواية الاولي اشهر وعليها تكلم الناس في فقه
السورة وقد خرج الرواية الثانية البخاري وغيره ولنتكلم
علي فقه التحريم فاما تحريم الطعام والمال وساير الاشيا ما عدي
النسا فلا يلزم ولا شي عليه عند مالك واوجب عليه ابو
حنيفة كفارة واما تحريم الامة فان نوي به العتق لزم وان
لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام واما
تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه علي اقوال كثيرة فقال

ابو

ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعايشة وغيرهم انما يلزم
فيه كفارة يمين وقال مالك في المشهور عنه ثلاث تطليقات
في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فيحكم بما نوي من طلقة
او اثنتين او ثلاث وقال ابن الماجشون هي ثلاث في الوجهين
وروي عن مالك انها طلقة باينة وقيل طلقة رجعية
تبتغي مرضات ازواجك اي تطلب رضي ازواجك بتحريم ما احل
الله لك يعني تحريمه للجارية ابتغا رضي حفصة وهذا يدل
علي انها نزلت في تحريم الجارية واما تحريم العسل فلم يقصد
فيه رضي ازواجه وانما تركه لرايحته والله غفور رحيم في
هذا اشارة الي ان الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم علي
ان عتابه في ذلك انما كان كرامة له وانما وقع العتاب علي تضييقه
عليه السلام علي نفسه وامتناعه مما كان له فيه ارب وبيس
ما قال الزمخشري ان هذا كان منه زلة لانه حرم ما احل الله
وذلك قلة ادب علي منصب النبوة قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
التحلة هي الكفارة واحال الله هنا علي ما ذكر في سورة المايدة
من صفتها واختلف في المراد بها هنا فاما علي قول من قال
ان الاية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال ان
التحريم يلزم فيه كفارة استدل بها ومن قال ان التحريم يلزم
منه طلاق قال ان الكفارة هنا انما هي لان رسول الله صلي الله
عليه وسلم حلف فقال والله لا اطاها ابدا واما علي القول بان
الاية نزلت في تحريم العسل فاختلف ايضا فمن اوجب في تحريم
الطلاق كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه
قال انما هذه الكفارة لانه حلف ان لا يشربه وقيل هي في يمينه
عليه السلام اذ لا يدخل علي نسايه شهرا والله مولاكم يحتمل ان
يكون الولي بمعني الناصر او بمعني السيد الاعظم واذ اسر النبي الي

بعض ازواجه حديثا اختلف في هذا الحديث علي ثلاثة اقوال احدها
انه تحريم الجارية فانه لما حرمها قال لحفصة لا تخبري بذلك احدا
والاخر انه قال ان ابا بكر وعمر يليان الامر من بعده والثالث
انه قوله شربت عسلا والاول اشهر وبعض ازواجه حفصة
فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض
كانت حفصة قد اخبرت عايشة بما اسر اليها رسول الله صلي الله
عليه وسلم من تحريم الجارية فاخبر الله رسوله عليه السلام
بذلك فعاتب حفصة علي افشا بها اسره فطلقها ثم امره
الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله نبات به حذف
المفعول وهو عايشة وقوله عرف بعضه اي عاتب حفصة
علي بعضه واعرض عن بعضه حيا وتكريما فان من عادة الفضلا
التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب وقري عرف بالتخفيف
من المعرفة فلما نباها به قالت من انباك هذا اي لما اخبر النبي
صلي الله عليه وسلم حفصة بانها قد افشت سره ظنت
بان عايشة هي التي اخبرته فقالت له من انباك هذا فلما
اخبرها ان الله هو الذي انباه سكتت وسلمت ان تتوبا الي
الله فقد صغت قلوبكما هذا خطاب لعايشة وحفصة وتوبتهما
مما جري منهما في قصة تحريم الجارية او العسل ومعني صغت
اي مالت عن الصواب وقرا ابن مسعود زاغت والمعني ان
تتوبا الي الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة وان تظاهرا عليه
فان الله هو مولاه المعني ان تعاونتما عليه صلي الله عليه وسلم
بما يسوه من افراط الغيرة وافشا سره ونحو ذلك فان له من
ينصره ومولاه هنا يحتمل ان يكون بمعني السيد الاعظم فيوقف
علي مولاه ويكون جبريل مبتدا وظهير خبره وخبر ما عطف
عليه ويحتمل ان يكون المولي هنا بمعني الولي الناصر فيكون

جبريل

جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف علي صالح المومنين ويكون
الملايكة مبتدا وظهير خبره وهذا اظهر وارجح لوجهين احدهما ان
معني الناصر اليق بهذا الموضع فان ذلك كرامة للنبي صلي الله عليه
وسلم وتشريف له واما اذا كان بمعني السيد فذلك يشترك فيه
النبي صلي الله عليه وسلم مع غيره لان الله تعالي مولي جميع خلقه
بهذا المعني فليس في ذلك اظهار مزية له الوجه الثاني
انه ورد في الحديث الصحيح انه لما وقع ذلك جاهم الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يشق عليك
من شان النسا فان كنت طلقتهن فان الله معك وملايكته
وجبريل معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت الاية موافقة
لقول عمر فقوله يقتضي معني النصرة وصالح المومنين اختلف
في صالح هل هو مفرد او جمع محذوف النون للاضافة فعلي القول
بانه مفرد هو ابو بكر الصديق وقيل علي بن ابي طالب وعلي
القول بانه جمع فهو علي العموم في كل صالح عسي ربه ان طلقكن
الاية نصرة للنبي صلي الله عليه وسلم وروي ان عمر قال ذلك
ونزل القران بموافقته ولقد قال عمر حينيذ للنبي صلي الله عليه
وسلم والله يا رسول الله لين امرتني بضرب عنق حفصة لضربت
عنقها وقد ذكرنا معني الاسلام والايمان والقنوت والسايحات
معناه الصايمات قاله ابن عباس وقد روي عن النبي صلي الله
عليه وسلم وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات الي الله لان
اصل السياحة الذهاب في الارض وقوله ثيبات وابكارا قال
بعضهم المراد بالابكار هنا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون
فان الله يزوج النبي صلي الله عليه وسلم اياهما في الجنة وهذا
يفتقر الي نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل
المعني لان الثيوبة والبكاره لا يجتمعان وقال الكوفيون هي واو

الثمانية وذلك ضعيف قوا انفسكم واهليكم نارا اي اطيعوا الله وامروا اهلكم بطاعته لتقوا انفسكم واهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة وقودها ذكر في البقرة ملايكة غلاظ شداد يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل ان يريد في اجرامهم او في قساوة قلوبهم ويفعلون ما يومرون قيل ان هذا تاكيد لقوله لا يعصون الله وقيل ان معنى لا يعصون امتثال الامر ومعنى يفعلون ما يومرون جدهم ونشاطهم فيما يومرون به من عذاب الناس لا تعتذروا اليوم يعني يوم القيامة ويحتمل ان يكون هذا الخطاب من الله للكفار او خطاب من الملايكة توبة نصوحا قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي ان يتوب من الذنب ثم لا يعود اليه ابدا او لا يريد ان يعود او يريد توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح اذا اخلص من الشمع وقيل هو ان تضيق على التايب الارض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشري وصفة التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح في الحقيقة صفة التايبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم وقد تكلمنا على التوبة في قوله وتوبوا الى الله جميعا في النور يوم لا يخزي الله النبي العامل في يوم يحتمل ان يكون ما قبله وما بعده او محذوف تقديره اذكر والله لوقف والابتدا مختلف على ذلك والذين امنوا يحتمل ان يكون معطوفا على النبي او مبتدا وخبره بعده نورهم يسعى ذكر في الحديد جاهد الكفار والمنافقين ذكر في براة امراة نوح وامراة لوط قيل اسم امراة نوح والعة واسم امراة لوط والهة وهذا يفتقر الى صحة نقل فخانتاهما قال ابن عباس خيانة امراة نوح في انها كانت تقول انه مجنون وخانت امراة لوط بانها كانت تخبر [illegible] قومه باضيافه

اذا

اذا قدموا عليه وكانتا مع ذلك كافرتين وقيل خانتا بالزنا وانكر ابن عباس ذلك وقال ما زنت امراة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص وضرب الله المثل بهاتين المراتين للكفار والذين بينهم وبين الانبيا وسايل كانه يقول لا يغني احد عن احد ولو كان اقرب الناس كقرب امراة نوح وامراة لوط من ازواجهما وقيل هذا امثال لازواج النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في اول السورة وهذا باطل لان الله انما ضربه للذين كفروا وامراة فرعون اسمها اسية وكانت قد امنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فامر بقتلها فدعت بهذا الدعا فقبض الله روحها وروي في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح من فرعون وعمله يعني كفره وظلمه وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف احصنت فرجها يعني الفرج الذي هو الجارحة عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلق الله فيه عيسى عليه السلام واضاف الله الروح الى نفسه اضافة مخلوق الى خالقه وفي ذلك تشريف له وصدقت بكلمات ربها وكتبه كلمات ربها يحتمل ان يريد بها الكتب التي انزل الله او كلامه مع الملايكة وغيرهم وكتابه بالتوحيد يحتمل ان يريد به التوراة او الانجيل او جنس الكتب وقرى بالجمع يعني جميع كتب الله من القانتين اي من العابدين فان قيل لم قال من القانتين بجمع المذكر وهي انثى فالجواب انه صفة لجمع الرجال والنسا فغلب الذكور

سورة الملك

ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا هذه السورة كل ليلة اذا اخذ مضجعه وانه عليه الصلاة والسلام قال انها تنجي من عذاب القبر تبارك فعل مشتق

من البركة وقيل معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له
بمضارع **بيده الملك** يعني ملك السموات والارض والدنيا والاخرة
وقيل يعني ملك الملكوت في الدنيا فهو كقوله مالك الملك والاول
اعم واعظم **خلق الموت والحياة** يعني موت الخلق وحياتهم
وقيل الموت الدنيا لان اهلها يموتون والحياة الاخرة لانها باقية
فهو كقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان وهي على هذا وصف
بالمصدر والاول اظهر **ليبلوكم** اي ليختبركم واختبار الله
لعباده لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم
بما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر
منكم **ايكم احسن عملا** روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قراها فقال ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله **سبع سموات طباقا**
اي بعضها فوق بعض والطباق مصدر وصفت به السموات
او على حذف مضاف تقديره طباق وقيل انه جمع طبقة
ماترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من قلة تناسب وخروج
عن الاتقان والمعنى ان خلقة جميع المخلوقات ولاشك ان جميع
المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الاية بخلقة السموات اظهر
لورودها والخطاب في قوله ماترى وارجع البصر وما
بعده للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب ليعتبر
فارجع البصر هل ترى من فطور الفطور الشقوق جمع فطر
وهو الشق وارجاع البصر ترديده في النظر ومعنى الاية
الامر بالنظر الى السما فلا يرى فيها شقاق ولاخلل بل هي
ملتئمة مستوية **ثم ارجع البصر كرتين** اي انظر نظرا بعد
نظر للتثبت والتحقيق وقال الزمخشري في معنى التثنية
في كرتين التكثير لامرتين خاصة كقولهم لبيك فان

معناه

اجابة كثيرة **ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير** الخاسي هو المبعد عن
الشي الذي طلب والحسير هو الكليل الذي ادركه التعب فمعنى الاية
انك اذا نظرت الى السما مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا وخللا
رجع بصرك ولم ير شيا من ذلك فكانه خاسي لانه لم يحصل له
ماطلب من روية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة
النظر وكثرة التامل **ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح** السماء
الدنيا هي القريبة منا والمصابيح يراد بها النجوم فان كانت
النجوم كلها في السما الدنيا فلا اشكال وان كانت في غيرها
من السموات فقد زينت السما الدنيا لانها ظاهرة فيها لنا
ويحتمل ان يريد انه زين السما الدنيا بالنجوم التي فيها دون
التي في غيرها على ان القول بمواضع الكواكب وفي اي سما هو
لم يرد في الشريعة **وجعلناها رجوما للشياطين** اي جعلنا
الكواكب
منها رجوما لان النجوم الثابتة ليست ترجم الشياطين
فهو كقولك اكرمت بني فلان اذا اكرمت بعضهم والرجوم
جمع رجم وهو مصدر سمي به ما لم يرجم به قال الزمخشري
معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من
النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء
فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا ان الراجمة
هي الكواكب انفسها لانها ثابتة في الفلك قال قتادة
خلق الله النجوم لثلاثة اشيا زينة السما ورجوم الشياطين
ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر **واعتدنا لهم عذاب
السعير** يعني للشياطين **سمعوا لها شهيقا** الشهيق اقبح
مايكون من صوت الحمار ويعني به هنا ما يسمع من
صوت جهنم لشدة غليانها وهولها او شهيق اهلها
والاول اظهر لان حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ

وهي تفور اي تغلي باهلها غليان القدر بما فيها تكاد تميز من الغيظ
اي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها علي الكفار فيحتمل
ان تكون هي المغتاظة بنفسها ويحتمل ان يريد غيظ الزبانية والاول
اظهر لان حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل ان
يكون حقيقة بادراك يخلقه الله لها او يكون عبارة عن شدتها
كلما القي فيها فوج اي كلما القي في جهنم جماعة من الكفار سألهم
خزنتها الزبانية هل جاءكم نذير اي رسول وهذا السوال
علي وجه التوبيخ واقامة الحجة عليهم ولذلك اعترفوا فقالوا
بلي قد جاءنا نذير وقوله كلما يقتضي ان يقال ذلك لكل
جماعة تلقي في النار ان انتم الا في ضلال كبير يحتمل ان
يكون من قول ملائكة النار للكفار او من قول الكفار للرسل
في الدنيا وقالوا الضمير للكفار اي لو كنا نسمع كلام الرسل
ونعقل الصواب ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم
اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد
به تكذيب الرسل فسحقا لاصحاب السعير انتصب فسحقا
بفعل مضمر علي معني الدعا عليهم بالغيب فيه قولان احدهما
ان معناه وهم غايبون عن الناس فتقي ذلك وصفهم بالاخلاص
والاخر ان الغيب ما غاب عنهم من امور الاخرة وغيرها علي
ان هذا القول انما يحسن في قوله يومنون بالغيب واسروا
قولكم او اجهروا به المعني سوا جهرتم او اسررتم فان الله يعلم
الجهر والسر الا يعلم من خلق هذا برهان علي ان الله تعالي يعلم كل
شي لان الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل ان يكون من خلق فاعلا يراد
به الخالق والمفعول محذوف تقديره الا يعلم الخالق خلقه او يكون
من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره الا يعلم الله من خلق والاول
ارجح لان من خلق اذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعني الاول

يعم

يعم من يعقل ومن لا يعقل الارض ذلولا فعول هنا بمعني مفعول اي
مذلوله فهي بمعني ركوب وحلوب فامشوا في مناكبها ابن عباس هي
الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعني تعديد النعمة
في تسهيل المشي علي الارض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها
بالدواب واليه النشور يعني البعث يوم القيامة ءامنتم الآية
مقصودها التشديد والتخويف للكفار وكذلك الاية التي بعدها
تمور ذكر في الطور حاصبا يحتمل ان يريد حجارة او ريحا شديدة
نذير بمعني الانذار وكذلك نكير بمعني الانكار اولم يروا الي الطير
فوقهم صافات تنبيه علي الاعتبار بطيران الطيور في الهوا من
غير شي يمسكها وصافات جمع صافة وهي التي تبسط جناحيها
للطيران والقبض ضم الجناحين الي الجنب وعطف يقبضن علي صافات
لان الفعل في معني الاسم تقديره قابضات فان قيل لم يقل
قابضات علي طريقة صافات فالجواب ان بسط الجناحين
هو الاصل في الطيران كما ان مد الاطراف في السباحة فذكر
بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته واما قبض الجناحين
فانما يفعله الطاير قليلا للاستراحة والاستعانة فذكر
بلفظ الفعل لقلته امن هذا الذي هو جند لكم خطاب للكفار
علي وجه التوبيخ والتهديد واقامة الحجة عليه ودخلت ام
التي يراد بها الانكار علي من فادغمت فيها وكذلك امن هذا الذي
يرزقكم والضمير في يرزقكم امسك لله اي من يرزقكم ان منع
الله رزقه بل لجوا اي تمادوا في العتو والنفور عن الايمان افمن
يمشي مكبا علي وجهه الاية توقيف علي الحالتين ايهما اهدي
والمراد بها توبيخ الكفار وفي معناها قولان احدهما ان المشي
هنا استعارة في سلوك طريق الهدي والضلال في الدنيا
والاخرة انه حقيقة في المشي في الاخرة لان الكافر يحمل الي

جهنم علي وجهه فاما علي القول الاول فقيل ان الذي يمشي مكبا ابوجهل والذي يمشي سويا محمد صلي الله عليه وسلم وقيل حمزة وقيل هي علي العموم في كل مومن وكافر وقد تمشي هذه الاقوال ايضا علي القول الثاني والمكب هو الذي يقع علي وجهه يقال اكب الرجل وكبه غيره فالمعدي دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف ساير الافعال ويقولون متي هذا الوعد الضمير للكفار والوعد يراد به البعث او عذابهم في الدنيا فلما راوه ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد زلفة اي قريبا وقيل عيانا سيت وجوه الذين كفروا اي ظهر فيها السوء لما حل بها وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعا اي تطلبون وتستعجلون به والقايلون لذلك الملايكة او يقال لهم بلسان الحال قل ارايتم ان اهلكني الله الاية سببها ان الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمين فامره الله ان يقول لهم ان اهلكني الله واهلك من معي او رحمنا فانكم لا تنجون من العذاب الاليم علي كل حال والهلاك هنا يحتمل ان يراد به الموت او غيره ومعني من يجير الكافرين من عذاب اليم ينقذهم من العذاب قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا الاية احتجاج علي المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعني غاير اي ذاهب في الارض والمعين الكثير واختلف هل وزنه فعيل او مفعول فالمعني اي غار ماوكم الذي تشربون هل ياتيكم اله غير الله بما معين

سورة القلم

ن حرف من حروف الهجا وقد تقدم الكلام عليها في البقره ويختص ن بانه قيل انه حرف من الرحمن فان حروف الرحمن الف ورا وحا وميم ون وقيل ان نون هنا يراد به الحوت وزعموا انه الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع وهذا لا يعتمد

علي ان النون بمعني الحوت معروف في اللغة ومنه ذا النون وقيل ان النون هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف في اللغة ويبطل قول من قال انه الحوت او الدواة بانه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع او النصب او الخفض ولكان في اخره تنوين فكونه موقوفا دليل علي انه القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ فالضمير في يسطرون حرف هجا كوالم وغيره من حروف الهجا الموصوفة والقلم وما يسطرون اختلف فيه علي قولين احدهما انه القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ فالضمير في يسطرون للملايكة والاخر انه القلم المعروف عند الناس اقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير في يسطرون علي هذا لبني ادم ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد صلي الله عليه وسلم معناه نفي ما نسبه الكفار له من الجنون وبنعمة الله اعتراض بين ما وخبرها كما تقول انت بحول الله فاضل والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري ان العامل فيه بمجنون غير ممنون ذكر في فصلت وانك لعلي خلق عظيم هذا ثنا علي خلق النبي صلي الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم القران تعني التادب بادابه وامتثال اوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك الخلق وتفصيل ذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحيا وكثرة العبادة والسخا والصدق والشجاعه والصبر والشكر والمروه والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقه والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشره وحسن التدبير

وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك
حسبما ورد في اخباره وسيره صلي الله عليه وسلم ولذلك
قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال الجنيد
سمي خلقه عظيما لانه لم تكن له همة سوي الله عز وجل
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون قيل ان المفتون هنا
بمعني المجنون ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة والخطاب
في قوله فستبصر للنبي صلي الله عليه وسلم وقوله ويبصرون
لكفار قريش واختلف في البا التي في قوله بايكم علي اربعة
اقوال الاول انها زايده الثاني انها غير زايده والمعني بايكم
الفتنة فاوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول
اي عقل الثالث ان البا بمعني في والمعني في اي فريق منكم
المفتون واستحسن ابن عطيه هذا الرابع ان المعني بايكم فتنة
المفتون ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ودوا
لو تدهن فيدهنون المداهنة هي الملاينة والمداراة
فيما لا ينبغي وروي ان الكفار قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم
لو عبدت الهتنا لعبدنا الهك فنزلت الاية ولم ينتصب فيدهنون
في جواب التمني بل رفعه بالعطف علي تدهن قاله ابن عطيه
وقال الزمخشري هو خبر مبتدا محذوف تقديره فهم يدهنون
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين هو الضعيف الراي
والعقل قال ابن عطية هو من مهن اذا ضعف فالميم فا الفعل
وقال الزمخشري هو من المهانة وهي الذلة والحقاره وقال
ابن عباس المهين الكذاب هماز هو الذي يعيب الناس مشا
بنميم اي كثير المشي بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعني واحد
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام
مناع للخير اي شحيح لان الخير هنا هو المال وقيل معناه

مناع

٥٣١

مناع من الخير اي يمنع الناس من الاسلام والعمل الصالح معتد
هو من العدوان وهو الظلم اثيم من الاثم وهو ارتكاب المحرمات
عتل اي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل زنيم
اي ولد زني وقيل هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تعلق
في حلقها وقيل معناه مريب قبيح الافعال وقيل ظلوم وقيل
ليئم وقوله بعد ذلك اي بعد ما ذكرنا من عيوبه فهذا الترتيب
في الوصف لا في الزمان واختلف في الموصوف بهذه الاوصاف
الذميمة فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها
وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لانه وصفه بانه ذو
مال وبنين وكذلك كان وقيل ابو جهل وقيل الاخنس بن
شريق ويويد هذا انه كانت له زنمة في عنقه قال ابن عباس
عرفناه بزنمته وكان ابغم من ثقيف وعده في بني زهرة
فيصح وصفه بزنيم علي القولين وقيل الاسود بن عبد يغوث
ان كان ذا مال وبنين في موضع مفعول من اجله متعلق
بقوله لا تطع اي لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ويجوز ان
يتعلق بما بعده والمعني علي هذا انه قال في القران اساطير
اساطير الاولين لانه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه
والعامل في ان كان علي هذا فعل من المعني ولا يجوز ان يعمل
فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
والاول اظهر وقد تقدم معني اساطير الاولين سنسمه علي
الخرطوم اصل الخرطوم انف السبع ثم استعير للانسان استخفافا
به وتقبيحا له والمعني نجعل له سمة وهي العلامة علي خرطومه
واختلف في هذه السمة فقيل هي الضربة بالسيف يوم بدر
وقيل علامة من نار تجعل علي انفه في جهنم وقيل علامة
تجعل علي انفه يوم القيامة ليعرف بها انا بلوناهم كما بلونا

اصحاب الجنة اي بلونا قريشا كما بلونا اصحاب الجنة وكانوا اخوة
من بني اسرائيل لهم جنة روي انهم بقرية من صنعا فحلفوا ان
لا يعطوا مسكينا منها شيا وباتوا عازمين علي ذلك فارسل
الله علي جنتهم طايفا من نار فاحرقتها فلما اصبحوا الي جنتهم
لم يروها فحسبوا انهم اخطوا الطريق ثم تبينوها فعرفوها
وعلموا ان الله عاقبهم فيها بما قالوا قبل فندموا وتابوا الي الله
ووجه تشبيه قريش باصحاب الجنة ان الله انعم علي قريش
ببعث محمد صلي الله عليه وسلم كما انعم علي اصحاب الجنة
بالجنة فكفروا تلك النعمة كما فعل اوليك فعاقبهم الله كما
عاقبهم وقيل شبه قريشا لما اصابهم الجوع بشدة القحط
لما دعا عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم باصحاب الجنة
لما هلكت جنتهم اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اي حلفوا ان
يقطعوا جنة غلتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا ولا يستثنون
في معناه ثلاثة اقوال احدها لم يقولوا ان شا الله حين حلفوا
ليصرمنها والاخر لا يستثنون شيا من ثمرها الا اخذوه لانفسهم
والثالث لا يتوقفون في رايهم ولا ينثنوا عنه اي لا يرجعوا عنه
فطاف عليها طايف قال العز الطايف الامر الذي ياتي بالليل
فاصبحت كالصريم فيه اربعة اقوال الاول اصبحت كالليل لانها
اسودت لما اصابها والصريم في اللغة الليل الثاني اصبحت
كالنهار لانها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار
الثالث ان الصريم الرماد الاسود بلغة بعض العرب الرابع
كالمصرومة اي المقطوعة فتنادوا مصبحين اي نادي بعضهم
بعضا حين اصبحوا وقال بعضهم لبعض اغدوا علي حرثكم اي
جنتكم ان كنتم صارمين لها اي حاصدين لثمرتها يتخافتون
يكلم بعضهم بعضا في السر ويقولون لا يدخلنها اليوم عليكم

مسكين

مسكين وان في قوله ان اغدوا وان لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير
وغدوا علي حرد قادرين في الحرد اربعة اقوال الاول انه المنع
الثاني انه القصد الثالث انه الغضب الرابع ان الحرد اسم للجنة
وقادرين يحتمل ان يكون من القدرة اي قادرين في زعمهم
او من التقدير بمعني التضييق اي ضيقوا علي المساكين
انا لضالون اي اخطانا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها
فلما عرفوها وراوا ما اصابها قالوا بل نحن محرومون اي
حرمنا الله خيرها قال اوسطهم اي خيرهم وافضلهم ومنه
امة وسطا اي خيارا لولا تسبحون اي تقولون سبحان الله وقيل
هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل اراد الاستثنا في
اليمين لقولهم ان شا الله والاول اظهر لقولهم بعد ذلك سبحان
ربنا والمعني ان هذا هو افضلهم كان قد حضهم علي التسبيح
يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا علي ما كانوا عزموا عليه
من منع المساكين او علي غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله الم
اقل لولا تسبحون عسي ربنا ان يبدلنا خيرا منها يحتمل ان
طلبوا البدل في الدنيا او في الاخرة والاول ارجح لانه روي عن
ابن مسعود ان الله ابدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا كذلك
العذاب اي مثل هذا العذاب الذي نزل باهل الجنة ينزل بقريش
افنجعل المسلمين كالمجرمين الهمزة للانكار اي كيف يسوي الله
بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل احد بعمله والمراد
بالمجرمين هنا الكفار ما لكم توبيخ وما مبتدا ولكم خبره
تم الكلام هنا فينبغي ان يوقف عليه كيف تحكمون توبيخ
اخر اي كيف تحكمون باهوايكم وتقولون ما ليس لكم به علم
ان لكم فيه لما تخيرون هذه الجملة معمول تدرسون وكان
اصل ان الفتح وكسرت لاجل اللام التي في خبرها وتخيرون

معناه تختارون لانفسكم ومعنى الاية هل لكم كتاب من عند
الله تدرسون فيه ان لكم ما تختارونه لانفسكم ام لكم ايمان علينا
بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون المعنى هل خلفنا لكم
ايمانا ان لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة الى يوم
القيامة وقوله ان لكم هو جواب القسم الذي يقتضيه الايمان
ولذلك اكده بان واللام وما تحكمون هو اسم ان دخلت عليه
اللام الموكدة سلهم ايهم بذلك زعيم اي يا محمد اسال قريشا
ايهم زعيم بهذه الامور والزعيم هو الضامن للامر القايم به
ام لهم شركا فليأتوا بشركايهم هذا تعجيز للكفار ومعناه ان
كان لكم شركا يقدرون على شي فأتوا بهم واختلف هل قوله
فأتوا بهم في الدنيا اي احضروهم حتى يرا حالهم او يقال لهم
ذلك يوم القيامة والشركا هم المعبودون من الاصنام
وغيرها وقال الزمخشري معناه مالكم ناس يشاركونكم
في هذا القول ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعني انهم
لا يوافقهم احد عليه والاول اظهر يوم يكشف عن ساق
قال القتا ولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته
وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ينادي منادي يوم القيامة لتتبع كل امة ما كانت
تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من
كان يعبد القمر ويتبع كل احد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الامة
وغبرات من اهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شانكم
فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيهم الله في غير الصورة التي
عرفوه فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك قال
فيقول اتعرفونه بعلامة تروها فيقولون نعم فيكشف
لهم عن ساق فيقولون نعم انت ربنا ويخرون للسجود

فيسجد

فيسجد كل مومن وترجع اصلاب المنافقين عظما واحدا فلا
يستطيعون سجودا او نا وبل الحديث كنا وبل الاية ويدعون
الى السجود تفسيره في الحديث الذي ذكرنا فان قيل كيف
يدعون في الاخرة الى السجود وليست الاخرة دار تكليف فالجواب
انهم يدعون اليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود
في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون اي قد كانوا في الدنيا يدعون الى
السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في اعضايهم قادرون
عليه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث تهديد للمكذبين
بالقران واعراب من يكذب مفعول معه او معطوف وقد
ذكرنا في الاعراف سنستدرجهم وما بعده ام تسالهم اجرا
معناه انت لا تسالهم اجرة على الاسلام فيثقل عليهم فلا
عذر لهم في تركهم الاسلام وقد فسرنا هذا وما بعده في الطور
فاصبر يقتضي مسالمة الكفار نسخت بالسيف ولا تكن كصاحب
الحوت هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لان
الحوت ابتلعه وهو ايضا ذو النون والنون هو الحوت وقد
ذكرنا قصته في الانبيا والصافات فنهى الله محمدا صلى الله
عليه وسلم ان يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب
مغاضبا وروي ان هذه الاية نزلت لما هم النبي صلى الله عليه
وسلم ان يدعوا على الكفار اذ نادى وهو مكظوم هذا اخر
ما جرى ليونس ونداوه هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين والمكظوم الشديد الحزن لنبذناه
بالعرا وهو مذموم هذا جواب لولا والمنفي هو الذم لا النبذه
بالعرا فانه قد قال في الصافات فنبذناه بالعرا فالمعنى
لولا رحمة الله لنبذناه بالعرا وهو مذموم لكنه نبذ وهو

غير مذموم وقد ذكرنا العرا في الصافات وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم عبارة عن شدة عداوتهم وان مخففة
من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك
كقولك نظر فلان الي عورة نظرا كاد يصرعه واصله من زلق
القدم وقري بفتح اليا وضمها وهما لغتان وقيل ان المعني
ياخذونك بالعين وكان ذلك في بني اسد كان الرجل منهم
يجوع ثلاثة ايام فلا يتكلم علي شي الا اصابه بالعين فاراد
بعضهم ان يصيب النبي صلي الله عليه وسلم فعصمه الله من
ذلك وقال الحسن دوا من اصيب بالعين قراه هذه الاية
وما هو الا ذكر للعالمين يعني القران اي هو موعظة وتذكير للخلق

سورة الحاقة

الحاقة هي القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لانها حق
ان يقع وجودها ولا ريب في وقوعها او لانها حقت لكل احد
جزا عمله او لانها تبدي حقايق الامور ما الحاقة ما استفهامية
يراد بها التعظيم وهي مبتدا وخبرها ما بعده والجملة خبر
الحاقة وكان الاصل الحاقة ما هي ثم وضع الظاهر موضع
المضمر زيادة في التعظيم والتهويل وكذلك وما ادراك ما الحاقة
لفظه الاستفهام والمراد به التعظيم والتهويل بالقارعة هي
القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب باهوالها بالطاغية
يعني الصيحة التي اخذت ثمود وسميت بذلك لانها جاوزت الحد
في الشدة وقيل الطاغية مصدر فكانه قال اهلكوا بطغيانهم
نحو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هي صفة لمحذوف
تقديره بسبب الفعلة الطاغية او الفية الطاغية والبا
علي هذين القولين سببية وعلي القول الاول كقولك قتلت
زيدا بالسيف بريح صرصر عاتية ذكر في فصلت وعاتية اي

شديدة وسميت بذلك لانها عتت علي عاد وقيل عتت علي خزانها
فخرجت بغير اذنهم سخرها عليهم سبع ليال روي انها بدت
صبيحة يوم الاربعا لثمان بقين من شوال وتمادت بهم الي اخر
يوم الاربعا تكملة الشهر حسوما ابن عباس معناه كاملة متتابعة
لم يتخللها غير ذلك وقيل معناه شوما ونحسا وقيل هو جمع
حاسم من الحسم وهو القطع اي قطعتهم بالاهلاك فحسوما
علي القولين مصدر في موضع الحال وعلي الثالث حال او
مفعول من اجله فتري القوم فيها صرعي جمع صريع وهو المطروح
بالارض والضمير المجرور يعود علي منازلهم لان المعني يقتضيها
وان لم يتقدم ذكرها وعلي الايام والليالي او علي الريح
كانهم اعجاز نخل خاوية تقدم في القمر معني تشبيههم باعجاز
النخل والخاوية هي التي خلت من طول بلايها وفسادها
من باقية اي من بقية وقيل من فية باقية وقيل انه
مصدر بمعني البقا ومن قبله يريد من تقدم قبله من الامم
الكافرة واقربهم اليه قوم شعيب والظاهر انهم المراد لان عادا
وثمود تذكروا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد اشير
اليهم في قوله لما طغي الما حملناكم في الجارية وقري بكسر
القاف وفتح البا ومعناه جنده واتباعه بالخاطية اما ان
يكون مصدرا بمعني الخطية او صفة لمحذوف تقديره بالفعلة
الخاطية فعصوا رسول ربهم ان اعاد الضمير علي نوح فرعون
وقومه فالرسول موسي عليه السلام وان اعاد علي المؤتفكات
فالرسول لوط عليه السلام وان اعاد علي الجميع فالرسول
اسم جنس او بمعني الرسالة رابية اي عظيمة وهي من
قولك ربي الشي اذا كثر طغي الماء عبارة عن كثرته
فيحتمل ان يريد انه طغي علي اهل الارض او علي خزانه

يعني وقت طوفان نوح عليه السلام **حملناكم في الجارية** هي السفينة
فان اراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا اباكم لان كل من على الارض
من ذرية نوح واولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة
وان اراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته **لنجعلها لكم**
تذكرة الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة وقيل للسفينة
فان اراد جنس السفن فالمعنى انما تذكرة بقدرة الله ونعمته
لمن ركب او سمع بها وان اراد سفينة نوح فقد قيل ان الله
ابقاها حتى راى بعض عيدانها اول هذه الامة **وتعيها**
اذن واعية الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها
وهذا يقوي ان يكون للفعلة والاذن الواعية هي التي
تفهم ما تسمع وتحفظه يقال وعيت العلم اذا حصلته ولذلك
عبر بعضهم عنها بانها التي عقلت من الله وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن ابي طالب اني
دعوت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت بعد
ذلك شيا سمعته قال الزمخشري انما قال اذن واعية
بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ
الناس بقلة من يقي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة
اذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله لا غيرها
نفخة واحدة يعني نفخة الصور وهي الاولى **فدكتا** الضمير
للارض والجبال ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق
قال الزمخشري والدك ابلغ من الدق وقيل معناه بسطت
حتى تستوي الارض والجبال **وقعت الواقعة** اي قامت
القيامة وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف
واهية اي مسترخية ساقطة القوة ومنه قولهم دار
واهية اي ضعيفة الجدران **والملك على ارجائها** الملك هنا

اسم

اسم جنس والارجا الجوانب واحدها رجا مقصور والضمير يعود
على السما والمعنى ان الملايكة يكونون يوم القيامة على جوانب
السما لانها اذا وطيت وقفوا على اطرافها وقيل يعود على الارض
لان المعنى يقتضيه وان لم يتقدم ذكرها روي في ذلك ان الله
يامر الملايكة فتقف صفوفا على جوانب الارض والاول اظهر
واشهر **ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية** ابن عباس
هي ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم احد عدتهم وقيل
ثمانية املاك روسهم تحت العرش وارجلهم تحت الارض
السابعة ويويد هذا ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
قواهم الله باربعة سواهم **يوميذ تعرضون** خطاب لجميع العالم
والعرض البعث او الحساب **خافية** اي حال خافية من
الاعمال والسراير ويحتمل المعنى لا تخفى من اجسادكم لانهم
يحشرون حفاة عراة **فاما من اوتي كتابه بيمينه** الكتاب
هنا صحايف الاعمال **هاوم اقروا كتابيه** هاوم اسم فعل قال
ابن عطيه معناه تعالوا وقال الزمخشري هو صوت يفهم
منه معنى خذ وكتابيه معمول يطلبه هاوم واقروا من
طريق المعنى تقديره هاوم كتابيه اقروا كتابيه ثم حذف الدلالة
للدلالة الاخرى عليه وعمل فيه العامل الثاني وهو
اقروا عند البصريين والعامل الاول هو هاوم عند
الكوفيين والدليل على صحة قول البصريين انه لو عمل فيه
الاول لقال اقروه والها في كتابيه للوقف وكذلك في
حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الاصل ان تسقط في
الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد اسقطها
في الوصل بعضهم ومعنى الاية ان العبد الذي يعطى كتابه

بيمينه يقول للناس اقروا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور
بكتابه اني ظننت الظن هنا بمعنى اليقين راضية اي ذات رضى
فهو كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطيه ليست بناء اسم
فاعل وقال الزمخشري يجوز ان يكون اسم فاعل نسب الفعل
اليها مجازا وهو لصاحبها حقيقة قطوفها جمع قطف وهو
ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود دانية اي قريبة
وروي ان العبد ياخذها بفيه من شجرها على اي حال كان
من قيام او جلوس او اضطجاع اسلفتم اي قدمتم من الاعمال
الصالحة في الايام الخالية اي الماضيه يعني ايام الدنيا
واما من اوتي كتابه بشماله هم الكفار بدليل قوله انه كان
لا يومن بالله العظيم فجعل علة اعطايهم كتبهم بشمالهم عدم
ايمانهم واما المومنون فيعطون كتبهم بايمانهم لكن اختلف
فيمن يدخل النار منهم هل يعطى كتابه قبل دخول النار
او بعد خروجه منها وهذا ارجح لقوله هاوم اقروا كتابيه
لان هذا كلام سرور فيبعد ان يقوله من يحمل الى النار
فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه اي يتمنى انه لا يعطى كتابه
وقال ابن عطيه يتمنى ان يكون معدوما لا يجري عليه شي
والاول اظهر يا ليتها كانت القاضية اي ليت الموتة الاولى
كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة ما اغنى
عني ماليه يحتمل ان يكون نفيا او استفهاما يراد به النفي
هلك عني سلطانيه اي زال عني ملكي وقدرتي وقيل
ذهبت عني حجتي خذوه خطاب للزبانية يقوله لهم الله
تعالى او الملايكة بامر الله فغلوه اي اجعلوا غلا في عنقه
وروي انها نزلت في ابي جهل ذرعها سبعون ذراعا معنى
ذرعها مبلغ اذرع كيلها واختلف في هذا الذراع فقيل

انه

انه الذراع المعروف وقيل بذراع الملك وقيل في الذراع
سبعون باعا كل باع ما بين مكة والكوفه ولله در الحسن
البصري في قوله الله اعلم باي ذراع هي وجعلها سبعين
ذراعا لارادة وصفها بالطول فان السبعين من الاعداد
التي تقصد بها العرب التكثير ويحتمل ان تكون هذه السلسلة
لكل واحد من اهل النار او تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي
ذلك فاسلكوه اي ادخلوه وروي ان هذه السلسلة تدخل
في فم الكافر وتخرج من دبره فاسلكوه على هذا من المقلوب
في المعنى كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي وروي انها
تلتوي عليه حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على
وجهه وهو المسلوك فيها وانما قدم قوله في سلسلة
على اسلكوه لارادة الحصر اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة
وكذلك قدم الجحيم على صلوه لارادة الحصر ايضا طعام
المسكين يحتمل انه اراد اطعام المسكين فوضع الاسم موضع المصدر
او يقدر ولا يحض على بذل طعام المسكين واضاف الطعام الى
المسكين لان له اليه نسبة ووصفه انه لا يحض على طعام المسكين
يدل على انه لا يطعمه من باب اولى وهذه الاية تدل على
عظم الصدقة وفضلها لانه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله
فليس له اليوم ها هنا حميم فيه قولان احدهما ليس له صديق
والاخر ليس له شراب ولا طعام الا من غسلين فان الحميم
الما الحار والغسلين صديد اهل النار عند ابن عباس وقيل
شجر ياكله اهل النار وقال اللغويون هو ما يجري من الجراح
اذا غسلت وهو فعلين من الغسل الخاطيون جمع خاطي
وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا والمخطي الذي يفعله بغير
تعمد فلا اقسم لا زايده غير نافيه بما تبصرون وما لا تبصرون

يعني جميع الاشيا لانها تنقسم الي ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والاخره
والانس والجن والاجسام والارواح وغير ذلك انه لقول رسول
كريم هذا جواب القسم والضمير للقران والرسول الكريم
جبريل وقيل محمد عليه الصلاة والسلام قليلا ما تومنون
قال ابن عطيه يحتمل ان تكون ما نافيه فنفي ايمانهم بالجملة
او تكون مصدرية فوصف ايمانهم بالقلة وقال الزمخشري
القلة هنا بمعني العدم اي لا تومنون ولا تذكرون البتة ولو
تقول علينا بعض الاقاويل التقول هو ان ينسب الي احد
ما لم يقل ومعني الاية لو تقول علينا محمد لعاقبناه ففي ذلك
برهان علي ان القران من عند الله لاخذنا منه باليمين ابن عباس
اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لاخذناه بقوتنا
وقيل هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن سيجن اخذ بيده
وبيمينه وقال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه
ثم صور صورة القتل ليكون اهول وعبر عن ذلك بقوله
لاخذنا منه باليمين لان السياف اذا اراد ان يضرب المقتول
في جيده اخذه بيده اليمني ليكون ذلك اشد عليه لنظره
الي السياف الوتين نياط القلب وهو عرق اذا انقطع مات صاحبه
فالمعني لقتلناه فما من احد عنه حاجزين الحاجز المانع والمعني
لو عاقبناه لم يمنعه احد منكم ولم يدفع عنه وانما جمع حاجزين
لان احدا في معني الجماعة وانه لتذكرة الضمير للقران وقيل
لمحمد صلي الله عليه وسلم والاول اظهر وانه لحسرة علي
الكافرين اي حسرة عليهم في الاخرة لانهم يتاسفون اذا
راوا ثواب المومنين وانه لحق اليقين قال الكوفيون هذا
من اضافة الشي الي نفسه كقولك مسجد الجامع وقال
الزمخشري المعني عين اليقين ومحض اليقين وقال ابن عطية

ذهب

ذهب الحذاق الي ان الحق مضاف الي الابلغ من وجوهه

سورة المعارج

سال سايل بعذاب واقع من قرا سال بالهمز احتمل معنيين
احدهما ان يكون بمعني الدعا اي دعي داع بعذاب واقع وتكون
الاشارة الي قول الكفار امطر علينا حجارة من السما وكان
الذي قالها النضر بن الحرث والاخر ان يكون بمعني الاستخبار
اي سال سايل عن عذاب واقع والبا علي هذا بمعني عن وتكون
الاشارة الي قولهم متي هذا الوعد وغير ذلك واما من قرا سال
بغير همز فيحتمل وجهين الاول ان يكون مخففا من المهموز فيكون
فيه المعنيان المذكوران والثاني ان يكون من سال السيل
اذا جرا ويويد ذلك قراة ابن عباس سال سيل وتكون البا
علي هذا كقولك ذهبت بزيد واذا كان من السيل احتمل وجهين
احدهما ان يكون شبه العذاب في شدته وسرعته ووقوعه
بالسيل والثاني ان تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في
جهنم واد يقال له سايل فتلخص من هذا ان في القراة بالهمز
يحتمل معنيين وفي القراة بغير همز اربعة معان للكافرين
يحتمل ان يتعلق بواقع وتكون اللام بمعني علي او تكون صفة
للعذاب او يتعلق بسال اذا كانت بمعني دعي اي دعي للكافرين
بعذاب او يكون مستانفا كانه قال هو للكافرين من الله يحتمل
ان يتعلق بواقع اي واقع من عند الله او بدافع اي ليس له دافع
من عند الله او يكون صفة للعذاب او مستانفا ذي المعارج
جمع معرج وهو المصعد الي علو السلم والمدارج التي يرتقوا
بها قال ابن عطية هي هنا مستعارة في الفضايل والصفات
الحميدة وقيل هي المراقي الي السما وهذا اظهر لانه فسرها
بما بعدها من عروج الملايكة والروح اليه اي الي عرشه

ومن حيث يهبط اوامره وقضاياه فالعروج هو من الارض الي العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الامين علي قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة علي الملائكة وهذا ضعيف مفتقر الي صحة نقل وقيل الروح جنس ارواح الناس وغيرهم **في يوم كان مقداره خمسين الف سنة** اختلف في هذا اليوم علي قولين احدهما انه يوم القيامة والاخر انه في الدنيا والصحيح انه يوم القيامة لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث مانع الزكاة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي زكاتها الا صفحت له صفايح من نار يكوي بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتي يقضي بين العباد يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون الف سنة حقيقة وهذا هو الاظهر وهل وصف بذلك لشدة اهواله كما يقال يوم طويل اذا كان فيه مصايب وهموم واذا قلنا انه في الدنيا فالمعني ان الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين الف سنة وقيل الخمسون الف سنة مدة لهذه الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة وهذا كله علي ان يكون قوله في يوم يتعلق بتعرج ويحتمل ان يكون في يوم صفة للعذاب فيتعين ان يكون اليوم يوم القيامة والمعني علي هذا مستقيم **فاصبر** هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره اي اصبر علي اقوال الكافرين حتي ياتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي صلي الله عليه وسلم **انهم يرونه بعيدا** يحتمل ان يعود الضمير علي العذاب او علي اليوم الذي مقداره خمسين الف سنة والبعد يحتمل ان يراد به بعد الزمان او بعد الامكان وكذلك القرب

يحتمل

يحتمل ان يراد به قرب الزمان لان كل ات قريب ولان الساعة قد قربت او قرب الامكان لقدرة الله عليه **يوم تكون السماء كالمهل** يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين الف سنة او بدل من الضمير المنصوب في نراه او منصوب بقوله قريبا او بقوله يود المجرم والمهل هو دردي الزيت شبه السماء به في سوادها وانكدار نورها يوم القيامة وقيل هو ما اذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه **وتكون الجبال كالعهن** العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل اجزايه وقيل هو الصوف المصبوغ الوانا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الالوان لان الجبال منها بيض وسود وحمر **ولا يسال حميم حميما** الحميم هنا الصديق والمعني لا يسال احد من حميمه نصرة ولا اغاثة لعلمه انه لا يقدر له علي شي وقيل لا يساله عن حاله لان كل احد مشغول بنفسه **يبصرونهم** يقال بصر الرجل بالرجل اذا راه وبصرته اياه بالتشديد اذا اريته اياه والضميران يعودان علي الحميمين لانهما في معني الجمع والمعني ان كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يساله **وصاحبته** يعني امراته **وفصيلته** يعني القرابة الاقربين **تؤويه** اي تضمه فيحتمل ان يريد تضمه في الانتما اليها او في نصرته وحفظه من المضرات **ثم ينجيه** الفاعل الافتدا الذي يقتضيه لو يفتدي وهذا الفعل معطوف علي لو يفتدي وانما عطفه بثم استبعادا لبعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله **كلا انها لظي** الضمير للنار لان العذاب يدل عليها ويحتمل ان يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظي علم لجهنم مشتق من اللظي بمعني اللهب **نزاعة للشوي** الشوي اطراف الجسد

وقيل جلد الراس فالمعنى ان النار تنزعها ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل
من لظى او خبر ابتدا مضمر او خبر لانها ان جعلنا لظى منصوبا على
التخصيص او بدل من الضمير او خبر ثان لانا ان جعلنا لظى خبر
لها ونزاعة بالنصب حال تدعوا من ادبر وتولى يعني الكفار
الذين تولوا عن الاسلام ودعاها لهم عبارة عن اخذها لهم
وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة باسمايهم واسما ابايهم
وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب وجمع فاوعى
يقال اوعيت المال وغيره اذا جمعته في وعا فالمعنى جمع المال
وجعله في وعا وهذه اشارة الى قوم من اغنيا الكفار جمعوا
المال من غير حله ومنعوه من حقه ان الانسان خلق هلوعا
الانسان هنا اسم جنس بدليل الاستثنا منه وسيل محمد
ابن يحيى مولف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا
تفسير ابين من تفسيره وهو قوله اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا وذكره الله على وجه الذم لهذه
الخلايق ولذلك استثنى منه المصلين لان صلاتهم تحملهم
على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون
بخيرها الذين هم على صلاتهم دايمون الدوام عليها هو
المواظبة لطول العمر والمحافظة عليها المذكوره بعد ذلك
هي اداوها في اوقاتها وتوفية الطهارة لها حق معلوم
قد ذكرنا في الذاريات معنى حق والسايل والمحروم ووصفه
هنا بالمعلوم ان اراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا
وان اراد غيرها فمعنى المعلوم ان العبد يجعل على نفسه
وظيفة معلومة عنده غير مامون اي لا يكون احد امنا منه
فان الامن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد ان يزيل عنه
الخوف حتى يدخل الجنة لاماناتهم وعهدهم ذكر في المومنين

وكذلك

وكذلك لفروجهم حافظون والذين هم بشهاداتهم قايمون
قال ابن عباس يعني شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقال الجمهور يعني الشهادة عند الحكام ثم اختلف على
هذا في معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله صلى
الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او دع وقيل
هو المبادرة الى ادايها من غير امتناع فاما ان دعي الشاهد
الى الادا فهو واجب عليه واما ان لم يدع الى الادا فالشهادة
على اربعة اقسام احدها حقوق الناس فلا يجوز اداوها حتى
يدعوه صاحب الحق الى ذلك والثاني حقوق الله التي يستدام
فيها التحريم كالطلاق والعتق والاحباس فيجب ادا الشهادة
بذلك دعي او لم يدع الثالث حقوق الله التي لا يستدام فيها
التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره حتى يدعى اليه فمال
الذين كفروا قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك
بابصارهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
اقبل اليه الكفار ينظرون اليه ويستمعون قراته ومعنى
قبلك في جهتك وما يليك عزين اي جماعات شتى وهو
جمع عزه بتخفيف الزاي واصله عزوه وقيل عزهه
ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام
المحذوفة ايطمع كل امري منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون
ان كان ثم جنة فنحن اهلها كلا ردع لهم عما طمعوا فيه من
دخول الجنة انا خلقناهم مما يعلمون كناية عن المني الذي
خلق منه الانسان وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة اوجه
احدها تحقير الانسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم
ان الانسان خلق من نطفة مذره ويصير جيفة قذره
وهو فيما بين ذلك يحمل العذره الثاني الرد على الكفار في

طمعهم ان يدخلوا الجنة كانه يقول انا خلقناكم مما خلقنا منه
الناس فلا يدخل احد الجنة الا بالعمل الصالح لانكم سوا في الخلقة
الثالث الاحتجاج علي البعث بان الله خلقهم من ما مهين
فهو قادر علي ان يعيدهم كقوله الم يك نطفة من مني تمني
الي اخر السوره **فلا اقسم** معناه اقسم ولا زايدة **برب
المشارق والمغارب** ذكر في الصافات **انا لقادرون علي
ان نبدل خيرا منهم** تهديد للكفار باهلاكهم وابدال خير منهم
وما نحن بمسبوقين اي مغلوبين والمعني انا لا نعجز عن التبديل
المذكور او عن البعث **فذرهم** وعيد لهم وفيه مهادنة
منسوخة بالسيف **يومهم الذي يوعدون** يعني يوم القيامة
بدليل انه ابدل منه يوم يخرجون من الاجداث وهي القبور
كانهم الي نصب يوفضون النصب الاصنام واصله كلما
نصب الي الانسان فهو يقصد الله مسرعا من علم او بنا
او غير ذلك وفيه لغات فتح النون واسكان الصاد
وضم النون واسكان الصاد وضمهما ويوفضون معناه
يسرعون والمعني انهم يسرعون الخروج من القبور الي
المحشر كما يسرعون المشي الي اصنامهم في الدنيا

سورة نوح عليه السلام

ان انذر وان اعبدوا يحتمل ان تكون ان مفسرة او مصدرية
علي تقدير بان انذروا او بان اعبدوا والاول اظهر **عذاب
اليم** يحتمل ان يريد عذاب الاخرة او الغرق الذي اصابهم
يغفر لكم من ذنوبكم من هنا للتبعيض اي يغفر لكم ما فعلتم
من الذنوب قبل ان تسلموا لان الاسلام يجب ما قبله ولم
يضمن ان يغفر لهم ما بعد اسلامهم لان ذلك في مشية الله
وقيل ان من هنا زايدة وذلك باطل لان من لا تزاد عند

سيبويه

سيبويه الا في غير الواجب وقيل هي لبيان الجنس وقيل
لابتدا الغاية وهذان القولان ضعيفان في المعني والاول
هو الصحيح لان التبعيض فيه متجه **ويوخركم الي اجل مسمي**
ظاهر هذا انهم ان فعلوا ما امروا به اخروا الي اجل مسمي
وان لم يفعلوا لم يوخروا وذلك يقتضي القول بالاجلين
وهو مذهب المعتزلة وعلي هذا حملها الزمخشري واما علي مذهب
اهل السنة فهي من المشكلات وتاولها ابن عطية فقال ليس للمعتزلة
في الاية مجال لان المعني ان نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن
يوخر او ممن يعاجل ولا قال لهم انكم توخرون عن اجل قد حان لكن
قد سبق في الازل اما من قضي له بالايمان والتاخير او من قضي له
بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم امنوا يظهر
في الوجود انكم ممن قضي له بالايمان والتاخير وان بقيتم علي
كفركم يظهر في الوجود انكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة
فكان الاحتمال الذي تقتضيه ظاهر الاية انما هو فيما يبرزه
النبي من حالهم اذ يمكن ان يبرز الايمان والتاخير واما الكفر والمعا
واما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم واجلهم
كذلك معلوم مقدر محتوم **ان اجل الله اذا جا لا يوخر** هذا يقتضي
ان الاجل محتوم كما قال تعالي فاذا جا اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وفي هذا حجة لاهل السنة وتقوية
للتاويل الذي ذكرنا وفيه ايضا رد علي المعتزلة في قولهم
بالاجلين ولما كان ذلك قال الزمخشري ان ظاهر هذا مناقض
لما قبله من الوعد بالتاخير ان امنوا وتاول ذلك علي مقتضي
مذهبه بان الاجل الذي لا يوخر هو الاجل الثاني وذلك ان
قوم نوح قضي الله ان امنوا عمرهم الف سنة عام وان لم يومنوا
عدمهم تسعماية عام فالالف عام هي التي تتوخر اذا جاءت والتسعما

عام مع التي وعدوا بالتاخير عنها الي الالف عام ان امنوا دعوتهم
لتغفر لهم اي دعوتهم ليومنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة هي التي
مسبب عن الايمان ليظهر قبح اعراضهم عنه فانهم اعرضوا
من سعادتهم جعلوا اصابعهم في اذانهم فعلوا ذلك لئلا يسمعوا
كلامه فيحتمل انهم فعلوا ذلك حقيقة او تكون عبارة عن افراط
اعراضهم واصروا اي داوموا على كفرهم حتى كانهم فعلوا ذلك
واستغشوا ثيابهم اي جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا
كلامه او لئلا يراهم ويحتمل انهم فعلوا ذلك حقيقة او يكون
عبارة عن اعراضهم واصروا اي داوموا على كفرهم
دعوتهم جهارا اعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك
قعد القرفصا او صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا
او مصدر في موضع الحال اي مجاهرا اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا ذكر اولا انه دعاهم بالليل والنهار ثم ذكر انه
دعاهم جهارا ثم ذكر انه جمع بين الجهر والاسرار وهذه
غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله عليه وسلم
قال ابن عطية الجهار دعاهم في المحافل ومواضع اجتماعهم
والاسرار دعا كل واحد على حدته يرسل السماء عليكم
مدرارا مفعول من الدر وهو كثرة الماء وفي الاية دليل على
الاستغفار يوجب نزول الامطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب
على الاستسقا فلم يزد على ان استغفر ثم انصرف فقيل
له ما رايناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت
ابلغ الاستسقا ثم نزل المطر وشكى رجل الى الحسن الجدب
فقال له استغفر الله ما لكم لا ترجون لله وقارا فيه اربع
تاويلات احدها ان الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى
ما لكم لا ترجون ان يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك

الزمخشري

٥٤١

الزمخشري وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تاخر
لكان صفة لوقارا الثاني ان الوقار بمعنى التؤدة والتثبت
والمعنى ما لكم لا ترجون لله متثبتين حتى تتمكنوا من النظر
بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام
كقولك ضربت لزيد واعراب وقارا على هذا مصدر
في موضع الحال الثالث ان الرجا هنا بمعنى الخوف والوقار
بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمة
الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار في المعنى
الرابع ان الرجا بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار
من قولك قر بالمكان اذا استقر فيه والمعنى ما لكم لا تخافون
الاستقرار في دار القرار اما في الجنة او النار وقد خلقكم
اطوارا اي طورا بعد طور يعني ان الانسان كان نطفة ثم
علقة ثم مضغة الى ساير احواله وقيل الاطوار الانواع
المختلفة فالمعنى ان الناس على انواع في الوانهم واخلاقهم
والسنتهم وغير ذلك طباقا ذكر في الملك وجعل القمر فيهن
نورا القمر انما هو في السما الدنيا وساغ ان يقول فيهن لما
كان في احداهن فهو في الجميع كقولك فلان في الاندلس اذا
كان في بعضها والشمس في السما الرابعة وقيل في السابعة
وجعل القمر نورا والشمس سراجا لان ضوء السراج اقوى من
النور فان السراج هو الذي يضي فيبصر به والنور قد يكون
اقل من ذلك والله انبتكم من الارض نباتا هذا عبارة عن
انشائهم من تراب الارض ونباتا مصدر على غير المصدر
او يكون تقديره انبتكم فنبتم نباتا ويحتمل ان يكون منصوبا
على الحال ثم يعيدكم فيها يعني بالدفن ويخرجكم اخراجا
يعني بالبعث من القبور والله جعل لكم الارض بساطا شبه الارض

بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها واخذ بعضهم
من لفظ البساط ان الارض بسيطة غير كرية خلافا لما ذهب
اليه اهل التعديل في ذلك **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** ذكر في الانبا
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني اتبعوا اغنيائهم
وكبرائهم وقري ولده بفتحتين وولده بضم الواو وسكون
اللام وهما بمعني واحد **ومكروا مكرا كبارا** الكبار بالتشديد
ابلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف ابلغ من الكبير
وقالوا لا تذرن الهتكم اي وصي بعضهم بعضا بذلك **ولا تذرن**
ودا ولا سواعا هذه اسما اصنام كانت قوم نوح تعبد وعنها
وروي انها اسما رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا فلما
ماتوا صورهم اهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر اليها
لنتذكر اعمالهم الصالحة فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم
من بعدهم لتلك الصور حتي عبدوها من دون الله ثم انتقلت
تلك الاصنام باعيانها وقيل بل الاسما فقط الي قبايل من
العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل
وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمدان وكان نسرا لذي
الكلاع من حمير وقري ود بفتح الواو وضمها وهما لغتان
وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤسا من قوم نوح والمعني اضلوا
كثيرا من اتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام وكذلك
لا تزد الظالمين الا ضلالا من كلامه وهو دعا عليهم وقال
الزمخشري انه معطوف علي قوله رب انهم عصوني
والتقدير قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين
الا ضلالا **مما خطاياهم اغرقوا** هذا من كلام الله اخبارا عن
امرهم وما زايدة للتاكيد وانما قدم هذا المجرور للتاكيد
ايضا ليبين ان اغراقهم وادخالهم النار انما كان بسبب

خطاياهم

خطاياهم وهي الكفر وساير المعاصي **فادخلوا نارا** يعني جهنم
وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لان الامر محقق وقيل اراد
عرضهم علي النار وعبر عنه بالادخال **وقال نوح رب لا تذر**
علي الارض من الكافرين ديارا ديار من الاسما المستعملة في
النفي العام يقال ما في الدار ديار اي ما فيها احد ووزنه
فيعال وكان اصله ديوار ثم قلبت الواو يا وادغمت في
اليا وليس وزنه فعالا لانه لو كان كذلك لقيل دوار لانه
مشتق من الدور او من الدار وروي ان نوحا عليه السلام
لم يدع علي قومه بهذا الدعا الا بعد ان ييس من ايمانهم
وبعد ان اخرج الله كل مومن من اصلابهم **رب اغفر لي ولوالدي**
يوخذ من هذا ان سنة الدعا ان يقدم الانسان الدعا لنفسه
علي الدعا لغيره وكان والدا نوح عليه السلام مومنين قال
ابن عباس لم يكن لنوح اب كافر ما بينه وبين ادم عليهما
السلام واسم والد نوح ملك بن متوشلخ وامه شمخا بنت
انوش حكاه الزمخشري **ولمن دخل بيتي مومنا** قيل بيته
المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة
وهذا بعيد وقيل داره وهذا ارجح لانه الحقيقة **وللمومنين**
والمومنات هذا دعا بالمغفرة لكل مومن ومومنة علي العموم
وفيه دليل علي جواز ذلك خلافا لمن قال من المتاخرين
انه لا يجوز الدعا بالمغفرة لجميع المومنين علي العموم وهذا
خطا وتضييق لرحمة الله الواسعة قال بعض العلما ان الاله
الذي استجاب لنوح عليه السلام فاغرق بدعوته جميع اهل
الارض الكفار حقيق ان يستجيب له فيرحم بدعوته جميع
المومنين والمومنات **تبارا** اي هلاكا والله اعلم

سورة الجن

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن تقدمت في الاحقاف قصة
هولا الجن الذين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه
وسلم واسلموا فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا اي قال ذلك
بعضهم لبعض وعجب مصدر وصف به للمبالغة لان العجب
مصدر من قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف
تقديره ذا عجب وانه تعالى جد ربنا جد الله جلاله وعظمته
وقيل غناه من قولك فلان مجدود اذا استغني ومن في انه
في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده الي
قوله وانا منا المسلمون فاما الكسر فاستيناف او عطف على
انا سمعنا لانه كسر في معمول القول فيكون ما عطف عليه
من قول الجن واما الفتح فقيل انه عطف على قوله انه استمع
نفر وهذا خطا من طريق المعنى لان قوله استمع نفر في موضع
في موضع اوحي فيلزم ان يكون المعطوف عليه مما اوحي
وان لا يكون من كلام الجن وقيل انه معطوف على الضمير
المجرور في قوله امنا به وهذا ضعيف لان الضمير المجرور
لا يعطف عليه الا باعادة الخافض وقال الزمخشري هو معطوف
على محل الجار والمجرور في امنا به كانه قال صدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف في فتح ثلاث
مواضع وهي انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله
لان ذلك مما اوحي لا من كلام الجن وانه كان يقول سفيهنا على
الله شططا هذا من كلام الجن وسفيههم ابوهم ابليس
وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية
والشطط التعدي ومجاوزة الحد وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا اي ظننا ان الاقوال التي كانت
الانس والجن يقولون على الله صادقة وليست بكذب لانا

ظننا

ظننا انه لا يكذب به احد على الله وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن تفسير هذا ما روي ان العرب اذا حل احدهم بواد
صاح باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني اعوذ بك من السفها
الذين في طاعتك ويعتقد ان ذلك الجني الذي بالوادي يحميه
فزادوهم رهقا ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للانس والمعنى
ان الجن زادوا الانس ضلالا واثما لما عاذوا بهم وتخويفا لما راوا
ضعف عقولهم وقيل ضمير الفاعل للانس وضمير المفعول للجن
والمعنى ان الانس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم
حتى كان الجني يقول انا سيد الجن والانس وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا الضمير في ظنوا للكفار من الانس وفي ظننتم
خطاب الجن بعضهم لبعض فالمعنى ان كفار الانس والجن ظنوا
ان لن يبعث الله احدا والبعث هنا يحتمل ان يريد به بعث الرسل
او البعث من القبور وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا هذا اخبار عن ما حدث عند مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع في السماء
ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب والحرس اسم
مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف
بشديد وهو مفرد ويحتمل ان يريد به الملايكة الحراس او النجوم
الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم صورة قعود الجن انهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى
احرق الاعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون
الكلمة فيلقونها الى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان
للكلمة مائة كذبة فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا الرصد
اسم جمع للراصد كالحارس للحراس وقال ابن عطية هو مصدر

وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم ان رمي الجن بالنجوم انما حدث
بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واختار ابن عطية والزمخشري
انه كان قبل المبعث قليلا ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من
استراق السمع بالكلية والدليل على انه كان قبل المبعث قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقد راى كوكبا
انقض ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية قالوا كنا نقول ولد
ملك او مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الامر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعرا
الجاهلية ذلك في اشعارهم **وانا لاندري اشر اريد بمن في**
الارض الاية قال ابن عطية معناه ايومن الناس بهذا النبي
فيرشدوا او يكفروا به فينزل بهم الشر وقال الزمخشري
معناه لاندري هل اراد الله باهل الارض خيرا او شرا من
عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق **وانا منا الصالحون**
ومنا دون ذلك اي منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف
واراد به الذين ليس صلاحهم كاملا او الذين ليس لهم صلاح
فالدون قد تكون بمعنى اقل او بمعنى غير **كنا طرايق قددا**
الطرايق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو
جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف
مضاف اي كنا ذوي طرايق **وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض**
الظن هنا بمعنى العلم وقال ابن عطية هذا اخبار منهم عن
حالهم بعد ايمانهم ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد
قبل اسلامهم **سمعنا الهدى** يعنون القران **فلا يخاف بخسا**
ولا رهقا البخس النقص والظلم والرهق تحميل ما لا يطاق
وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات والرهق الزيادة
في السيات **ومنا القاسطون** يعني الظالمون يقال قسط الرجل

اذا

اذا جار واقسط بالالف اذا عدل وهاهنا انتهى ما حكاه الله من
كلام الجن واما قوله فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا يحتمل
ان يكون من بقية كلامهم او يكون ابتدا كلام الله تعالى وهو
الذي اختاره ابن عطية واما قوله وان لو استقاموا فهو
من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم **تحروا** اي قصدوا
الرشاد **وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا**
الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسيع الرزق والطريقة
طريقة الاسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك
لوسع الله ارزاقهم فهو كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقيل هي طريقة
الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله
عليهم في الدنيا املا لهم واستدراجا ويويد هذا قوله
لنفتنهم فيه والاول اظهر والضمير في استقاموا يحتمل
ان يكون للمسلمين او للقاسطين المذكورين او لجميع الجن
او للجن الذين استمعوا النبي صلى الله عليه وسلم او لجميع
الخلق **لنفتنهم فيه** ان كانت الطريقة الايمان والطاعة
فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون ام لا وان كانت الطريقة
الكفر فمعنى الفتنة الاضلال والاستدراج **نسلكه عذابا**
صعدا معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو
مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال
فلان صعدا اي في مشقة وقيل صعد جبل في النار **وان**
المساجد لله اراد المساجد على الاطلاق وهي بيوت عبادة
الله وروي ان الاية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة
وقيل اراد الاعضا التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح
الميم وهذا بعيد وعطف انه المساجد لله على اوحي الي انه استمع

وقال الخليل معنى الاية لان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
اي لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله فالعامل في ان لا تدعوا وانه
لما قام عبد الله يدعوه عبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم
ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال
الزمخشري انه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول او النبي
لان هذا واقع على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نفسه لانه مما اوحى اليه فذكر صلى الله عليه وسلم نفسه
على ما يقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذي قاله بعيد
مع انه انما يمكن على قراءة انه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا
على اوحي الي انه استمع واما على القراءة بالكسر على الاستئناف
فيكون اخبارا من الله او من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله
كادوا يكونون عليه لبدا اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير
في كادوا يحتمل ان يكون للكفار من الناس اي كادوا يجتمعون
على الرد عليه وابطال امره او يكون للجن الذين استمعوا
اي كادوا يجتمعون عليه لاستماع القران والتبرك به
ملتحدا اي ملجأ الا بلاغا بدل من ملتحدا اي لا اجد ملجأ
الا بلاغ الرسالة ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا من الله
قال الزمخشري هذا الجار والمجرور ليس بصلة للبلاغ
انما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله ويحتمل عندي ان يكون
متعلق ببلاغ والمعنى بلاغ عن الله ورسالاته قال الزمخشري
انه معطوف على بلاغا كانه قال الا التبليغ والرسالة ويحتمل
ان يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله ومن يعص الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا جمع خالدين
على معنى من لانه في معنى الجمع والاية في الكفار وحملها
المعتزلة على عصاة المؤمنين لان مذهبهم خلودهم في

النار

النار والدليل على انها في الكفار وجهان احدهما انها مكية والسورة
المكية انما الكلام فيها مع الكفار والاخر دلالة ما قبلها وما
بعدها على ان المراد بها الكفار حتى اذا راوا ما يوعدون تعلقت
حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك والمعنى
انهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى اذا راوا ما يوعدون
قال ذلك الزمخشري وقال ايضا يجوز ان تتعلق بمحذوف
يدل عليه المعنى كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه من
الكفر حتى اذا راوا ما يوعدون وهذا اظهر قل ان ادري اقريب
ما توعدون ان هنا نافية والمعنى قل لا ادري اقريب ما توعدون
ام بعيد وعبر عن بعده بقوله ام يجعل له ربي امدا ويعني بما
توعدون قتلهم يوم بدر او يوم القيامة فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول اي لا يطلع احد على علم الغيب
وهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية او الرسل
من بني ادم وعلى هذا حملها الزمخشري واستدل بها على نفي كرامات
الاولياء الذين يدعون المكاشفة فان الله خص الاطلاع على الغيب
بالرسل دون غيرهم وفيها ايضا دليل على ابطال الكهانة
والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي اهلها الاطلاع على الغيب
لانهم ليسوا من الرسل فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه
رصدا المعنى ان الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه
ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا
رصدا في هذه السورة قال بعضهم ما بعث الله احدا رسولا
الا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه ليعلم ان
قد ابلغوا رسالات ربهم في الفاعل بيعلم ثلاثة اقوال الاول
اي ليعلم الله ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم اي يعلمه موجودا
وقد كان علم ذلك قبل كونه الثاني ليعلم محمد ان الملائكة الرصد

ابلغوا رسالات ربهم الثالث ليعلم من كفر ان الرسل قد بلغوا
الرسالة والاول اظهر وجمع الضمير في ابلغوا وفي ربهم حملا
علي المعني لان من ارتضي من رسول يراد به جماعة **واحاط بما**
لديهم اي احاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرايع وهذه
الجملة معطوفة علي قوله لان معناه انه قد علم قال ذلك ابن
عطية ويحتمل ان تكون هذه الجملة في موضع الحال **واحصي**
كل شيء عددا

سورة المزمل

يا ايها المزمل نداء للنبي صلي الله عليه وسلم ووزن المزمل
متفعل واصله متزمل ثم سكنت التا وادغمت في الزاي وفي
تسمية النبي صلي الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة اقوال
احدها انه كان في وقت نزول الاية متزملا في كسا ولحاف
والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عايشة
والجمهور والثاني انه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة الثالث
ان معناه المتزمل للنبوة اي المتشمر المجد في امرها والاول هو
الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم لما جاءه الملك وهو في غار حرا في ابتدا الوحي
رجع رسول الله صلي الله عليه وسلم الي خديجة ترعد
فرايصه فقال زملوني زملوني فنزلت يا ايها المدثر وعلي
هذا نزلت يا ايها المزمل فالمزمل علي هذا تزمله من اجل
الرعب الذي اصابه اول ما جاءه جبريل وقال الزمخشري
كان نايما في قطيفة فنودي يا ايها المزمل ليبين الله الحالة
التي كان عليها من التزمل في القطيفة لانه سبب للنوم
الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد
وقال السهيلي في ندايه بالمزمل فايدتان احدهما
الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه

باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلي الله عليه
وسلم لعلي قم ابا تراب والفايدة الثانية التنبيه لكل متزمل
راقد بالليل ليتنبه الي ذكر الله لان الاسم المشتق من الفعل يشترك
فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة **قم الليل** هذا الامر
بقيام الليل اختلف هل هو واجب او مندوب فعلي القول
بالندب فهو ثابت غير منسوخ واما علي القول بالوجوب ففيه
ثلاثة اقوال احدها انه فرض علي النبي صلي الله عليه وسلم
وحده ولم يزل فرضا عليه حتي توفي الثاني انه فرض عليه
وعلي امته فقاموا حتي انتفخت اقدامهم ثم نسخ بقوله في
اخر السورة ان ربك يعلم انك تقوم الاية وصار تطوعا وهذا
قول عايشة رضي الله عنها وهو الصحيح واختلف كم بقي فرضا
فقالت عايشة عاما وقيل ثمانية اشهر وقيل عشرة
اعوام فالاية الناسخة علي هذا مدنية الثالث انه فرض
عليه صلي الله عليه وسلم وعلي امته وهو ثابت غير
منسوخ ولكن ليس الليل كله الا ما تيسر منه وهو مذهب
الحسن وابن سيرين **الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا**
او زد عليه في معني هذا الكلام اربعة اقوال الاول وهو
الاشهر والاظهر ان الاستثنا من الليل وقوله نصفه بدل
من الليل او من قليلا وجعل النصف قليلا بالنسبة الي الجميع
والضميران في قوله انقص منه وزد عليه عايدان علي النصف
والمعني ان الله خيره بين ثلاثة احوال وهي ان يقوم نصف
الليل او ينقص من النصف قليلا او يزيد عليه الثاني قال
الزمخشري ان الا قليلا استثنا من النصف كانه قال نصف
الليل الا قليلا فخيره علي هذا بين حالتين وهما ان يقوم
اقل من النصف او اكثر منه وهذا ضعيف لان قوله او انقص

منه قليلا تتضمن معنى النقص من النصف فلا فايدة زايدة في
استثنا القليل من النصف القول الثالث قال الزمخشري ايضا
يجوز ان يريد بقوله او انقص منه قليلا نصف النصف وهو
الربع ويكون الضمير في قوله او زد عليه يعود على ذلك
اي زد على الربع فيكون ثلثا فالتخيير على هذا بين قيام
النصف او الثلث او الربع وهذا ايضا بعيد القول الرابع قال
ابن عطية يحتمل ان يكون قوله الا قليلا الليالي التي يمنعه
العذر من القيام فيها والمراد بالليل على هذا الليالي فهو
جنس وهذا بعيد لكنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد
ذلك من نصف الليل او النقص منه او الزيادة عليه فدل
ذلك على ان المراد بالليل المستثنى بعض اجزا الليل لا بعض
الليالي فان قيل لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال
او انقص منه قليلا واطلق في الزيادة فقال او زد عليه
ولم يقل قليلا فالجواب ان الزيادة يحسن فيها الكثرة فلذلك
لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فانه لو اطلقه لاحتمل ان
ينقص من النصف قليلا وكثيرا **ورتل القران ترتيلا** الترتيل
هو التمهل والمد واشباع الحركات وبيان الحروف وذلك
معين على التفكر في معاني القران بخلاف الهذ الذي لا يفقه
صاحبه ما يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر باية رحمة الا وقف وسال
ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ **انا سنلقي عليك قولا**
ثقيلا هذه الاية اعتراض بين ايات الليل والقول الثقيل قيام
هو القران واختلف في وصفه بالثقيل على خمسة اقوال
احدها انه سمي ثقيلا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى ان جبينه

ليتفصد

ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وقد كان يثقل جسمه
عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه اذا اوحي اليه وهو
على ناقته بركت به واوحي اليه على فخذ زيد بن ثابت
فكادت ان ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة الثاني
انه ثقيل على الكفار باعجازه ووعيده الثالث انه ثقيل
في الميزان الرابع انه كلام له وزن ورجحان الخامس انه ثقيل
لما تضمن من التكاليف والاوامر والنواهي وهذا اختيار
ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الاية قيام
الليل المشقته **ان ناشية الليل** في الناشية سبعة اقوال
الاول انه النفس الناشية بالليل اي التي تنشا من مضجعها
وتقوم للصلاة الثاني الجماعة الناشية الذين يقومون
للصلاة الثالث العبادة الناشية بالليل اي تحدث
فيه الرابعة الناشية القيام بعد النوم فمن قام اول الليل
قبل ان ينام فلم يقم ناشية الخامس الناشية القيام بالليل
اول الليل بعد العشا السادس الناشية بين المغرب
والعشا السابع ناشية الليل ساعاته كلها **هي اشد وطا**
يحتمل معنيين احدهما اثقل واصعب على المصلي ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر والاثقل اعظم اجرا فالمعنى تحريض على قيام
الليل لكثرة الاجر الثاني اشد ثبوتا من اجل الخلوة وحضور
الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى اقوم قيلا
وقري وطا بكسر الواو وعلى وزن فعال ومعناه موافقة
اي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن **ان لك في النهار**
سبحا طويلا السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشغال
والمعنى يكفيك النهار للتصرف في اشغالك وتفرغ بالليل

لعبادة ربك واذكراسم ربك قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم
في اول صلاتك واللفظ اعم من ذلك وتبتل اليه تبتيلا اي
انقطع اليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض
الدنيا وتبتيلا مصدر على غير المصدر رب فاتخذه وكيلا الوكيل
هو القايم بالامور والذي توكل اليه الاشيا فهو امر بالتوكل
على الله واصبر على ما يقولون اي على ما يقول الكفار والاية
منسوخة بالسيف وقيل انما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها
قوله اهجرهم هجرا جميلا واما الصبر فامور به في كل وقت
وذرني والمكذبين هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على
انه مفعول معه او معطوف اولي النعمة اي التنعم في الدنيا
وروي ان الاية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا
متنعمين في الدنيا انكالا جمع نكل وهو القيد من الحديد وروي
انها قيود سود من نار ويعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
فصعق يوم ترجف الارض اي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم
معنى الكلام المتقدم وهو ان لدينا انكالا وكانت الجبال كثيبا
مهيلا الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذي تميله
الريح اي تنشره ووزنه مفعول والمعنى ان الجبال تصير
اذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب انا ارسلنا اليكم رسولا
خطاب لجميع الناس لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الى الناس كافة وقال الزمخشري هو خطاب لاهل مكة
شهيدا عليكم اي يشهد باعمالكم من الكفر والايمان والطاعة
والمعصية وانما يشهد على من ادركه لقوله صلى الله عليه
وسلم اقول كما قال اخي عيسى وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم كما ارسلنا الى

فرعون

فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام وهو المراد بقوله
فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد اخذا وبيلا اي عظيما
شديدا يوما مفعول به وناصبه تتقون اي كيف تتقون
يوم القيامة واهواله ان كفرتم وقيل هو مفعول به على
ان يكون كفرتم بمعنى جحدتم وقيل هو ظرف اي كيف لكم
بالتقوى يوم القيامة ويحتمل ان يكون العامل فيه محذوفا
تقديره اذكر وقوله السما منفطر به يجعل الولدان شيبا
الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين
جمع اشيب ووزنه فعل بضم الفا وكسرت لاجل اليا ويحتمل
مسند الى الله تعالى او الى اليوم والمعنى ان الاطفال يشيبون
يوم القيامة فقيل ان ذلك حقيقة وقيل انه عبارة عن هول
ذلك اليوم وقيل انه عبارة عن طوله السما منفطر به
الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم اي
ينفطر لشدة هوله ويحتمل ان يعود على الله اي تنفطر بامره وقدرته
والاول اظهر والسما مونثة وجا منفطر بالتذكير لان تانيثها غير
حقيقي او على الاضافة تقديره ذات انفطار لانه اراد السقف
كان وعده مفعولا الضمير في وعده يحتمل ان يعود على
اليوم او على الله والاول اظهر لانه ملفوظ به ان هذه تذكرة
الاشارة الى ما تقدم من المواعظ والوعيد فمن شا اتخذ الى ربه
سبيلا يريد سبيل التقرب الى الله ومعنى الكلام حض على ذلك
وترغيب فيه ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
هذه الاية نزلت ناسخة لما امر به اول السورة من قيام
الليل ومعناها ان الله يعلم انك ومن معك من المسلمين
تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل لانكم لا تقدرون
على احصا اوقات الليل وضبطها فانه لا يقدر على ذلك

الا الله تخفف عنكم وامركم ان تقروا ما تيسر من القران ونصفه
وثلثه من قراها بالخفض فهو عطف على ثلثي الليل اي تقوم
من ثلثي الليل واقل من نصفه وثلثه ومن قرا بالنصب فهو عطف
على ادنى اي تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة
وثلثه تارة **وطايفة** يعني من المسلمين وهو معطوف على
الضمير الفاعل في تقوم **علم ان لن تحصوه** الضمير يعود على
ما يفهم من سياق الكلام اي لن تحصوا تقدير الليل وقيل
معناه لن تطيقوه اي لن تطيقوا قيام الليل كله **فتاب**
عليكم عبارة عن التخفيف كقوله فاذ لم تفعلوا وتاب
الله عليكم فاقروا ما تيسر من القران اي اذا لم تقدروا
على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقروا في صلاتكم
بالليل ما تيسر من القران وهذا الامر للندب وقال ابن
عطية هو للاباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن
وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو اقل ما يمكن حتى
قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الامر وقيل
كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس وقال بعضهم هو
فرض على اهل القران دون غيرهم **علم ان سيكون منكم مرضى**
ذكر الله في هذه الاية الاعذار التي لبني ادم تمنعهم من قيام
الليل منها المرض ومنها السفر للتجارة وهي الضرب في الارض
ابتغا فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الامر بقراة ما تيسر
تاكيدا للامر به او تاكيدا للتخفيف وهذا اظهر لانه ذكره باثر
الاعذار **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** يعني المكتوبتين
واقرضوا الله معناه تقدم تفسيره وقد ذكر في البقرة **هو خيرا**
نصب خيرا لانه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل **واستغفروا**
الله قال بعض العلما ان الاستغفار بعد الصلوات مستنبط من

هذه

هذه الاية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلا ته
استغفر ثلاثا

سورة المدثر

يايها المدثر وزنه متفعل ومعناه الذي تدثر في كسا او ثياب
وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه
وقال السهيلي في ندايه بالمدثر ثلاثة فوايد الاثنان اللتان
ذكرنا في المزمل وفايدة ثالثة وهي ان العرب يقولون النذير
العريان الذي يكون غاية الجد والتشمير والتدثير بالثياب
ضد هذا فكانه تنبيه على ما يجب من التشمير وقيل ان
هذه اول سورة نزلت من القران والصحيح ان سورة
اقرا نزلت قبلها **قم فانذر** اي انذر الناس وهذه بعثة
عامة **وربك فكبر** اي عظمه ويحتمل ان يريد قول الله اكبر
ويويد ذلك ما روي عن ابي هريرة ان المسلمين قالوا بم
نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر
من المقلوب الذي يقرا من اوله واخره **وثيابك فطهر**
فيه ثلاثة اقوال احدها انه حقيقة في تطهير الثياب من
النجاسة واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون ازالة
النجاسة واجبة او على الندب فتكون سنة والاخر انه يراد
به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز
الثالث ان معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث **والرجز**
فاهجر فيه ثلاثة اقوال احدها ان الرجز الاوثان روي
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول
عايشة والاخر ان الرجز السخط والعذاب وهذا اصله
في اللغة فمعناه اهجر ما يودي اليه ويوجبه الثالث
انه المعاصي والفجور قال بعضهم كل معصية رجز **ولا تمنن**
تستكثر يحتمل قوله تمنن ان يكون من معنى العطا او من معنى المن

وهو ذكر العطا ويشهد او بمعنى الضعف فان كان من العطا ففيه
وجهان احدهما ان معناه لا تعط شيا لتاخذ اكثر منه قال بعضهم
هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لامته والاخر
لا تعط الناس عطا وتستكثره لان الكريم يستقل ما يعطي
وان كثيرا وان كان من المن بالشي ففيه وجهان الاول لا تمنن
على الناس بنبوتك تستكثر باجرا ومكسب تطلبه الثاني
لا تمنن على الله بعملك تستكثر باعمالك ويقع لك بها اعجاب
وان كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة
وتستكثر ما حملناك من ذلك ولربك فاصبر اي اصبر لوجهه
وطلب رضاه ويحتمل ان يريد الصبر على المكاره والمصايب
او على اذاية الكفار له او على العباده فاذا نقر في الناقور
يعني نفخ في الصور ويحتمل ان يريد النفخة الاولى او الثانية
ذرني ومن خلقت وحيدا هذا وعيد وتهديد ونزلت الاية
في الوليد بن المغيرة باتفاق وفي معنى وحيدا ثلاثة اقوال
احدها روي انه كان يلقب الوحيد اي لا نظير له في ماله
وشرفه وكونه وحيدا انما عدده على الله عليه الثاني ان
معناه خلقته منفردا ذليلا الثالث ان معناه خلقته
وحدي توحيدا على هذا من صفة الله تعالى واعرابه على هذا
حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين
الاولين حال من الضمير المفعول وجعلت له مالا ممدودا اي
كثيرا واختلف في مقداره فقيل الف دينار وقيل عشرة
الاف دينار وقيل يعني الارض لانها مدت وبنين شهودا
اي حضورا وروي انه كان له عشرة من الولد وقيل ثلاثة
عشر لا يغادرونه واسلم منهم ثلاثة وهم خالد وهشام
وعمار ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في الدنيا بالمال والقوة

وطيب

وطيب العيش ثم يطمع ان ازيد اي يطمع في الزيادة على ما اعطاه
الله وهذا غاية الحرص كلا زجر عما طمع فيه من الزيادة
عنيدا اي معاندا مخالفا والايات هنا يراد بها القران لان الوليد
قال فيه انه سحر ويحتمل ان يريد الدليل سارهقه صعودا
الصعود العقبة الصعبة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انها عقبة في جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود فالمعنى
سا شق عليه بتكليفه الصعود فيها انه فكر وقدر اي فكر
فيما يقول وقدر في نفسه ما يقول في القران اي هيا كلامه
روي ان الوليد سمع القران فاعجبه وكاد يسلم ودخل الى ابي بكر
الصديق فعاتبه ابو جهل وقال له ان قريشا قد ابغضتك
لمقاربتك امر محمد وما يخلصك عندهم الان تقول في كلام
محمد قولا يرضيهم فافتتن وقال افعل ذلك ثم فكر فيما يقول
في القران فقال اقول شعر ما هو بشعر اقول كاهن ما هو بكاهن
اقول انه سحر وانه قول البشر ليس منزلا من عند الله
فقتل كيف قدر دعا عليه وذم وكرره تاكيدا لذمه وتوبيخ
حاله قال ابن عطيه ويحتمل ان يكون معناه استحسان
منزعه الاول حين اعجبه القران فيكون قوله قتل لا يراد به
الدعا عليه وانما هو كقولك قاتل الله فلانا ما اشجعه
يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه وقال الزمخشري
يحتمل ان يكون ثنا عليه على طريقة الاستهزا وحكاية
لقول قريش تهكما بهم ثم نظر اي نظر في قوله ثم عبس وبسر
البسور هو تقطيب الوجه وهو اشد من العبوس وفعل ذلك
من حسده للنبي صلى الله عليه وسلم او عبس في وجهه
عليه الصلاة والسلام او عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم
يدر ما يقول ثم ادبر اي عن الاسلام سحر يوثر اي ينقل

عن من تقدم وما ادراك ما سقر تعظيم لها وتهويل لا تبقي ولا تذر
مبالغة في وصف عذابها اي لا تدع غاية من العذاب الا اذاقته
اياه او لا تبقي شي الغي فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا
بل يعود الي العذاب لواحة للبشر معني لواحة مغيرة يقال
لاحه السفر اذا غيره والبشر جمع بشرة وهي الجلدة فالمعني تحرق
الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح اذا ظهر والبشر الناس
اي تلوح للناس قال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسماية عام
تسعة عشر يعني الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر
ملكا وقيل تسعة عشر صفا وقيل تسعة عشر صنفا
من الملايكة والاول اشهر وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة
سبب هذه الاية انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل
ايعجز عشرة منكم عن واحد من هولا التسعة عشر ان يبطشوا
به فنزلت الاية ومعناها انهم ملايكة لا طاقة لكم بهم وروى
ان الواحد منهم يرمي بالجبل علي الكفار وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا اي جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا
ان يغلبوهم ويقولون ما قالوا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
اي ليعلم اهل التوراة والانجيل ان ما اخبر به سيدنا محمد صلي
الله عليه وسلم حق فان قيل كيف نفي عنهم الشك بعد ان
وصفهم باليقين والمعني واحد وهو تكرار فالجواب انه لما
وصفهم باليقين نفي عنهم ان يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم
الحاصل الان فكانه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال
وقال الزمخشري ذلك مبالغة وتاكيد وليقول الذين في
قلوبهم مرض المرض عبارة عن الشك واكثر ما يطلق الذين
في قلوبهم مرض علي المنافقين فان قيل هذه السورة
مكية ولم يكن حينيذ منافقون وانما حدث المنافقون

بالمدينة

بالمدينة فالجواب من وجهين احدهما ان معناه يقول المنافقون
اذا حدثوا فنبيه اخبارا بالغيب والاخر ان يريد من كان بمكة من
اهل الشك وقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استبعاد لان يكون
هذا من عند الله وما يعلم جنود ربك الا هو يحتمل القصد
بهذا وجهين احدهما وصف جنود الله بالكثرة اي هم من كثرتهم
لا يعلمهم الا الله والاخر رفع اعتراض الكفار علي التسعة عشر
اي لا يعلم اعداد جنود الله الا هو لان منهم عددا قليلا ومنهم
عددا كثيرا حسبما اراد الله وما هي الا ذكري للبشر الضمير لجهنم
او للايات المتقدمة كلا ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشري
هي انكار لان يكون لهم ذكري اذ ادبر اي ولي وقري دبر
بغير الف والمعني واحد وقيل معناه دبر الليل النهار اي جاء
في دبره والصبح اذا اسفر اي اضا ومنه الاسفار بصلاة الصبح
انها لاحدي الكبر الضمير لجهنم او للايات والنذارة اي هي من الامور
العظام والكبر جمع كبري وقال ابن عطية جمع كبرة والاول
الصحيح نذيرا للبشر تمييزا وحال من احدي الكبر وقيل النذير
هنا الله فالعامل فيه علي هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل
هو حال من اول السورة اي قم فانذر نذيرا وهذا بعيد قال
الزمخشري هو من بدع التفاسير فمن شا منكم ان يتقدم او
يتاخر التقديم عبارة عن سلوك طريق الهدي والتاخر ضده
ولمن شا بدل من البشر اي هم متمكنون من التقدم والتاخر
وقيل معناه الوعيد فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وعلي
هذا اعرب الزمخشري ان يتقدم مبتدا ولمن شا خبره والاول
اظهر رهينة قال ابن عطية الها في رهينة للمبالغة او
علي تانيث النفس وقال الزمخشري ليست بتانيث رهين
لان فعيلا بمعني مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي

يعني الرهن اي كل نفس رهن عند الله بعملها الا اصحاب اليمين اي
اهل السعادة فانهم فكوا رقابهم بما عملهم الصالحة كما فك الراهن
رهنه باداء الحق وقال علي بن ابي طالب اصحاب اليمين هم
الاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم
الملايكة يتسالون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا عن حال
المجرمين الذين في النار ما سلككم في سقر اي ما ادخلكم النار
وهذا الخطاب للمجرمين يحتمل ان خاطبهم بهم المسلمون او
الملايكة فاجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده
اي هذا الذي اوجب دخولهم النار وانما التكذيب بيوم الدين
تعظيما له لانه اعظم من جرايمهم نخوض الخوض هو كثرة الكلام
بما لا ينبغي من الباطل وشبهه حتى اتانا اليقين هو الموت عند
المفسرين وقال ابن عطية انما اليقين الذي اراد واما كانوا
يكذبون به في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت فما تنفعهم
شفاعة الشافعين انما ذلك لانهم كفار واجمع العلما انه لا يشفع
احد في الكفار وجمع الشافعين دليل علي كثرتهم كما ورد في
الاثار تتشفع الملايكة والانبيا والعلما والشهدا والصالحين
فما لهم عن التذكرة معرضين يعني كفار قريش كانهم حمر
مستنفرة المستنفره بفتح الفا التي استنفرها الفزع وبالكسر
بمعني النافره شبه الكفار بالحمير النافرة في جهلهم ونفورهم
عن الاسلام ويعني حمير الوحش فرت من قسورة ابن عباس
القسورة الرماة وقال ايضا هو الاسد وقيل اصوات
الناس وقيل الرجال الشداد وقيل سواد اول الليل بل يريد
كل امرء منهم ان يوتي صحفا منشرة المعني يطمع كل انسان
منهم ان ينزل عليه كتابا من الله ومعني منشرة منشورة
غير مطوية اي هي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك انهم

قالوا

قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم لن نتبعك حتي تاتي كل
واحد منا بكتاب من السما فيها من رب العالمين الي فلان بن فلان
نومن باتباعك كلا ردع عما ارادوه بل لا يخافون الاخرة اي هذه
هي العلامة والسبب في اعراضهم كلا تاكيد للردع الاول
او ردع عن عدم خوفهم الاخرة انه تذكرة الضمير لما تقدم
من الكلام او للقران بجملته فمن شا ذكره فاعل شا ضمير يعود
علي من وفي ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله تعالي
فقيد فعل العبد بمشية الله هو اهل التقوي واهل المغفرة
هو اهل لان يتقي لشدة عقابه وهو اهل لان يغفر الذنوب
لشدة كرمه وسعة رحمته وفضله

سورة القيامة

لا اقسم في الموضعين معناه اقسم ولا زايدة لتاكيد القسم
وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة الا وقيل هي نفي لكلام الكفار
النفس اللوامة هي التي تلوم نفسها علي فعل الذنوب او
التقصير في الطاعات فان النفوس ثلاثة انواع خيرها النفس
المطمينة وشرها النفس الامارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة
وقيل اللوامة هي المذمومة الفاجرة وهذا بعيد لان الله
لا يقسم الا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم ان كان لا اقسم نفيا
للقسم ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الانسان هنا
للجنس والاشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه ايظن
ان لن نجمع عظامه للبعث بعد فنايها في التراب وهذه الجملة
هي التي تدل علي جواب القسم المتقدم بلي تقديره نجمعها
قادرين منصوب علي الحال من الضمير في نجمع والتقدير نجمعها
ونحن قادرين علي ان نسوي بنانه البنان الاصابع وفي المعني
قولان احدهما انه اخبار بالقدرة علي البعث اي قادرين

علي ان نسوي اصابعه اي نجعلها بعد فنائها مستوية متقنة وانما
خص الاصابع دون ساير الاعضا لدقة عظامها وتفرقها والاخر
انه تهديد في الدنيا اي قادرين علي ان نجعل اصابعه مستوية
ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في
منافعه والاول اليق بسياق الكلام **بل يريد الانسان ليفجر**
امامه هذه الجملة معطوفة علي ايحسب الانسان ويجوز ان
يكون استفهاما مثلها او تكون خبرا وليست بل هنا للاضراب
عن الكلام الاول بمعني ابطاله وانما هو للخروج منه الي ما بعده
وليفجر معناه ليفعل افعال الفجور وفي معنا امامه ثلاثة
اقوال احدها انه عبارة عما يستقبل من الزمان اي يفجر بقية
عمره الثاني انه عبارة عن اتباع اغراضه وشهواته يقال
مشي فلان قدامه اذا لم يرجع عن شي يريده والضمير علي
هذين القولين يعود علي الانسان الثالث ان الضمير يعود
علي يوم القيامة **يسال ايان يوم القيامة** اي ان معناها
متي وهذا السوال علي يوم القيامة هو علي وجه الاستخفاف
والاستبعاد له **برق البصر** هذا اخبار عن يوم القيامة
وقيل عن حالة الموت وهذا خطا لان القمر لا يخسف عند موت
احد ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الرا معناه لمع
وصار له بريق وقري بكسر الرا ومعناه تحير من الفزع
وقيل معناه شخص فيتقارب معني الفتح والكسر **وخسف**
القمر اي ذهب ضوءه يقال خسف يقال خسف هو وخسفه
الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل الكسوف ذهاب
بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعني واحد
وجمع الشمس والقمر في جمعهما ثلاثة اقوال احدها انهما يجمعان
حيث يطلعهما الله من المغرب والاخر انهما يجمعان يوم القيامة

ثم

ثم يقذف بهما في النار وقيل في البحر فتكون النار الكبري
الثالث انهما يجمعان فيذهب ضوءهما **لا وزر** اي لا ملجا ولا مغيث
بما قدم واخر اي بجميع اعماله ما قدم منها في اول عمره وما
اخر في اخره وقيل ما قدم في حياته وما اخر من سنة
او وصية بعد مماته وقيل ما قدم من المعاصي واخر
من الطاعات وقيل ما قدم لنفسه من ماله وما اخر
منه لورثته **بل الانسان علي نفسه بصيرة** في معناه قولان
احدهما انه شاهد علي نفسه باعماله اذ تشهد عليه
جوارحه يوم القيامة والاخر انه حجة بينة لان خلقته
تدل علي خالقه فوصف بالبصارة مجازا لان من نظر فيه
ابصر الحق والاول اليق بما قبله وما بعده كانه قال ينبو
الانسان يوميذ باعماله وان لم ينبا بها وكذلك يلتيم
مع قوله ولو القي معاذيره ويكون هو جواب لو حسبما تذكره
ولو القي معاذيره فيه قولان احدهما ان المعاذير الاعذار اي
الانسان يشهد علي نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور
علي نفسه في الدنيا حين يفعل القبايح **لا تحرك به لسانك**
لتعجل به الضمير في به يعود علي القران دلت علي ذلك قرينة
الحال سبب الاية ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يحرك به شفتيه مخافة
ان ينساه لحينه فامره الله ان ينصت ويستمع وقيل كان
يخاف ان ينسي القران فكان يدرسه حتي غلب عليه ذلك
وشق عليه فنزلت الاية والاول هو الصحيح لانه ورد في
البخاري وغيره **ان علينا جمعه وقرانه** ضمن الله له ان يجمعه
في صدره فلا يحتاج الي تحريك شفتيه عند نزوله
ويحتمل قرانه هنا وجهين احدهما ان يكون بمعني القراة

فان القران قد يكون مصدرا من قرات والاخر ان يكون معناه تاليفه
في صدره فهو مصدر من قولك قرات الشي اي جمعته فاذا قراناه
فاتبع قرانه اي اذا قراه جبريل فاجعل قراة جبريل قراة الله لانها
من عنده ومعني اتبع قرانه استمع قراته واتبعها بذهنك لتحفظها
وقيل اتبع القران في الاوامر والنواهي [illegible] ثم
ان علينا بيانه اي علينا ان نبينه لك ونجعلك تحفظه وقيل
علينا ان نبين معانيه واحكامه فان قيل ما مناسبة قوله
لا تحرك به لسانك الاية لما قبلها فالجواب انه لعله نزل
معه في حين واحد فجا علي ترتيب النزول بل تحبون العاجلة
اي الدنيا وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان مثل حالهم
في حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك وجوه يوميذ ناضرة
بالضاد اي ناعمة ومنه نضرة النعيم الي ربها ناظرة هذا
من النظر بالعين وهو نص في نظر المومنين الي الله تعالي في
الاخرة وهو مذهب اهل السنة وانكره المعتزلة وتاولوا
ناظرة بان معناه منتظرة وهذا باطل لان نظر بمعني انتظر
يتعدي بغير حرف جر تقول نظرتك اي انتظرتك واما
المتعدي بالي فهو من نظر العين ومنه قوله من ينظر اليك
وقال بعضهم الي هنا ليست بحرف جر تقول نظرتك اي
انتظرتك واما المتعدي بالي فهو من نظر العين وانما هي
واحد الالا بمعني النعم وهذا تكلف في غاية البعد وتاوله
الزمخشري بان معناه كقول الناس فلان ناظر الي فلان
اذا كان يرجوه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جا عن النبي
صلي الله عليه وسلم في النظر الي الله احاديث صحيحة
مستفيضة صريحة المعني لا تحتمل تاويلا فهي تفسير للاية
باسرة اي عابسة تظهر عليها الكابة والبسور اشد من

من العبوس تظن ان يفعل بها فاقرة اي مصيبة قاصمة الظهر
والظن هنا يحتمل ان يكون علي اصله او بمعني اليقين اذا بلغت
التراقي يعني حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهي عظام اعلي
الصدر والفاعل ببلغت نفس الانسان يدل علي ذلك سياق
الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت وقيل
من راق اي قال اهل المريض من يرقيه عسي ان يشفيه وقيل
معناه ان الملايكة تقول من يرقي بروحه اي يصعد بها الي
السما فالاول من الرقية وهو اشهر واظهر والثاني من الرقي
وهو العلو وظن انه الفراق اي تيقن المريض ان ذلك الحال فراق
الدنيا وفراق اهله وماله والتفت الساق بالساق هذا
عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته اي التفت ساقه
علي ساقه الاخري عند السياق وقيل هو مجاز كقولك كشفت
الحرب عن ساقها اذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه
فلا تحمله وقيل التفتا اي لفهما الكفن اذا كفن وفي قوله
الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس الي ربك يوميذ
المساق هذا جواب اذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق
كقوله الي الله المصير فلا صدق ولا صلي لا هنا نافية وصدق
هنا يحتمل ان يكون من التصديق بالله ورسله او من الصدقة
ونزلت هذه الاية وما بعدها في ابي جهل يتمطي اي يتبختر
في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلا وكانت هذه
المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان ابو جهل منهم
اولي لك وعيد وتهديد ثم اولي وعيد ثان ثم كرر ذلك تاكيدا
وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لقي ابا جهل وقال
له ان الله لك فاولي ثم اولي لك فاولي فنزل القران بموافقة
ذلك ايحسب الانسان ان يترك سدي هذا توبيخ ومعناه

ايظن ان يترك من بعث ولا حساب ولا جزا فهو كقوله افحسبتم انما
خلقناكم عبثا والانسان هنا جنس وقيل نزلت في ابي جهل
ولا يبعد ان يكون سببها خاصا ومعناها عام الم يك نطفة من
مني يمني النطفة النقطة ويمني من قولك امني الرجل ومعنى الاية
الاستدلال بخلقة الانسان على بعثه كقوله قل يحييها الذي
انشاها اول مرة والعلقة الدم لان المني يصير في الرحم دما فخلق
فسوى اي خلقه الله بشرا فسوى صورته اي اتقنها اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى هذا تقرير واحتجاج وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا اخر هذه
السورة قال بلى وفي رواية سبحانك اللهم فبلى

سورة الانسان

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا
هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام وقيل هي بمعنى
قد والانسان هنا جنس والحين الذي اتى عليه حين كان
معدوما قبل ان يخلق وقيل الانسان هنا ادم والحين الذي
اتى عليه حين كان طينا قبل ان ينفخ فيه الروح وهذا
ضعيف لوجهين احدهما ان خلقنا الانسان من نطفة وهو
هنا جنس باتفاق اذ لا يصح هذا في ادم والاخر ان مقصد
الاية تحقيق الانسان من نطفة امشاج اي اخلاط واحدها
مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل وقال الزمخشري
ليس امشاج بجمع وانما هو مفرد كقولهم برمة اعشار ولذلك
وقع صفة للمفرد واختلف في معنى الاختلاط هنا فقيل
اختلاط الدم والبلغم والصفرا والسودا وقيل اختلاط
ما الرجل والمراة وروي ان عظام الانسان وعصبه من ما
الرجل وان لحمه وشحمه من ما المراة وقيل معناه الوان

والطوار

واطوار اي يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه اي نختبره وهذه
الجملة في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له وقيل معناه انتقاله
في بطن امه نطفة ثم علقة فجعلناه سميعا بصيرا هذا معطوف
على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نقلبه في بطن امه
فهذا عطف عليه وقيل ان نبتليه موخر في المعنى اي جعلناه
سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد انا هديناه السبيل
اي سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان الى قسمين شاكر
وكفور وهما حالان من الضمير في هديناه والهدى هنا بمعنى
بيان الطريقين وموهبة العقل الذي يميز به بينهما ويحتمل
ان يكون بمعنى الارشاد اي هدي المومن للايمان والكافر للكفر
قل كل من عند الله سلاسلا من قراه بغير تنوين فهو الاصل اذ
هو لا ينصرف لانه جمع لا نظير له في الاحاد ومن قراه بالتنوين
فله ثلاث توجيهات احدها انها لغة لبعض العرب يصرفون
ما لا ينصرف في الاصل والاخر ان النون بدل من حرف الاطلاق
واجري الوصل مجرى الوقف والثالث ان يكون صاحب
هذه القراة رواية للشعر فتعود لسانه صرف ما لا ينصرف
فجرى على ذلك الابرار جمع بار او بر ومعناه العاملون بالبر
وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الابرار
هم الذين لا يوذون الذر من كاس ذكر في الصافات معنى
الكاس ومن هنا تحتمل ان تكون للتبعيض او لابتدا الغاية
مزاجها كافورا اي تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى انه كافورا
في طيب رايحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك عينا
بدل من كافورا على القول بان الخمر تمزج بالكافور وبدل من
موضع من كاس على القول الاخر كانه قال اي يشربون خمرا
خمر عين وقيل هو مفعول بيشربون وقيل منصوب باضمار

يشرب بها قال ابن عطية البا زايدة والمعني يشربها وهذا
ضعيف لان البا انما تزاد في مواضع ليس هذا منها وانما هي
كقولك الما بالعسل لان المعين المذكورة تمزج بها الكاس من
الخمر **عباد الله** وصفهم بالعبودية فيه معني التشريف والاختصاص
كقولك وعباد الرحمن الذين يمشون علي الارض هونا **يفجرونها**
تفجيرا اي يفجرونها حيث شاوا من منازلهم تفجيرا سهلا
لا يصعب عليهم وفي الاثر في قصر النبي صلي الله عليه
وسلم عينا تفجر الي قصور الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والمومنين **مستطيرا** اي منتشرا شايعا ومنه استطار الفجر — استطار
اذا انشق ضوءه **ويطعمون الطعام** نزلت الاية وما بعدها في علي
ابن ابي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم
فانهم كانوا صايمين فلما وضعوا فطورهم ليا كلوا منه جاءهم
مسكين فدفعوه له وباتوا طاوين واصبحوا صايمين فلما
وضعوا فطورهم جاءهم يتيم دفعوه له وباتوا طاوين
واصبحوا صايمين فلما وضعوا فطورهم جاءهم اسير فدفعوه
له وباتوا طاوين والاية علي هذا مدنية لان عليا انما
تزوج فاطمة بالمدينة وقيل انما هي مكية وليست في علي
علي حبه الضمير للطعام اي يطعمونه مع حبه والحاجة اليه
فهو كقوله لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون وقوله
ويوثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة ففي قوله
علي حبه تتميم وهو من ادوات البيان وقيل الضمير
لله وقيل للاطعام المفهوم من يطعمون والاول ارجح
واظهر **مسكينا ويتيما واسيرا** قد ذكرنا المسكين واليتيم
واما الاسير ففيه خمسة اقوال احدها ان الاسير
الكافر بين المسلمين فني اطعامه اجر لان في كل ذي كبد

رطب

رطب اجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والاخر انه الاسير المسلم اذا خرج من
دار الحرب لطلب الفدية والثالث انه المملوك الرابع انه المسجون
الخامس انه المراة لقوله صلي الله عليه وسلم استوصوا بالنسا
خيرا لانهن عوان عندكم وهذا ضعيف بعيد والاول ارجح لانه
روي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يوتي بالاسير المشرك
فيدفعه الي بعض المسلمين ويقول احسن اليه **انما نطعمكم لوجه الله**
عبارة عن الاخلاص لله ولذلك فسروه واكدوه بقولهم
لا نريد منكم جزا ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل
انهم قالوا هذا الكلام بالسنتهم او قالوه في نفوسهم فهو عبارة
عن النية والقصد **يوما عبوسا** وصف اليوم بالعبوس مجاز
علي وجهين احدهما ان يصف اليوم بصفة اهله كقولهم
نهاره صايم وليله قايم وروي ان الكافر يعبس يوميذ
حتي يسيل من عينيه مثل القطران والاخر ان يشبه في شدته
بالاسد العبوس **قمطريرا** قال ابن عباس معناه طويل
وقيل شديد **ولقاهم نضرة وسرورا** النضرة التنعم
وهذا في مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم
من ادوات البيان وهو **بما صبروا** اي بصبرهم علي الجوع
وايثارهم غيرهم علي انفسهم حسبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة
والحسن والحسين رضي الله عنهم وقد ذكر الارايك **لا يرون**
فيها شمسا ولا زمهريرا عبارة عن اعتدال هوايها اي
ليس فيها حر ولا برد والزمهرير هو البرد الشديد وقيل
هو القمر بلغة طي والمعني علي هذا ان الجنة ضيا فلا يحتاج
فيها الي شمس ولا قمر **ودانية عليهم ظلالها** معناه ان
ظلال الاشجار متدلية عليهم قريبة منهم لان الشي المظل
اذا بعد فتر ظله واعراب دانية معطوف علي متكين

وقال الزمخشري هو معطوف علي الجملة التي قبلها وهي لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا لان هذه الجملة في حكم المفرد تقديره
غير رائين شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة
علي ان الامرين يجتمعان لهم اي جامعين بين البعد عن الحر
والبرد وبين دنو الظلال وهو صفة لجنة عطف بالواو كقولك
فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها اي وجنة اخري
دانية عليهم ظلالها **وذللت قطوفها تذليلا** القطوف جمع
قطف وهو العنقود من النخل والعنب وشبه ذلك وتذليلها هو
ان تتدلي الي الارض وروي ان اهل الجنة يقطفون الفواكه علي
اي حال كانوا من قيام او جلوس او اضطجاع لانها تتدلي لهم
كما يريدون وهذه الجملة في موضع الحال من دانية اي دانية
في حال تذليل قطوفها او معطوفة عليها **بآنية** هو جمع اناء
ووزنها افعلة وقد ذكرنا الاكواب في الواقعة **قواريرا** القوارير
هي الزجاج فان قيل كيف يتفق انها زجاج مع قوله من فضة
فالجواب ان المراد انها في اصلها من فضة وهي تشبه الزجاج
في صفائها وشفيفها وقيل هي من زجاج وجعلها من فضة
علي وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها وقري قواريرا
بغير تنوين فهو علي الاصل ومن نونه فعلي ما ذكرنا في سلاسل
قدروها تقديرا هذه صفة للقوارير والمعني قدروها علي
قدر الاكف او علي قدر ما يحتاجون من الشراب قال مجاهد
هي لا تفيض ولا تغيض وقيل قدروها علي حسب ما يشتهون
والضمير الفاعل في قدروها يحتمل ان يكون للشاربين بها
او للطائفين بها **مزاجها زنجبيلا** هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا
سلسبيلا معناه سلس منقاد الجرية وقيل سهل الانحدار
في الحلق يقال شراب سلس وسلسال وسلسبيل بمعني

واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت
الكلمة خماسية وقيل سل فعل امر سبيلا مفعول به وهذا في غاية
الضعف **ولدان مخلدون** ذكر في الواقعة **لؤلؤا منثورا** شبههم
باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم
في القصور **واذا رايت ثم** مفعول رايت محذوف ليكون الكلام علي
الاطلاق في كل من يري فيها وثم ظرف مكان وقال الفراء
تقديره اذا رايت ما ثم فما مفعولة ثم حذفت قال الزمخشري
وهذا خطا لان ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة
ملكا كبيرا يعني كثرة ما اعطاهم الله حتي ان ادني اهل الجنة منزلة
مثل الدنيا وعشرة امثاله معه حسبما ورد في الحديث وقيل
اراد ان الملائكة تسلم عليهم وتستاذن عليهم فهم بذلك كالملوك
عاليهم بسكون الياء مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم
من الثياب ثياب سندس وقري بالنصب علي الحال من الضمير
في يطوف عليهم او في حسبتهم وقد ذكرنا معني السندس
والاستبرق قال ابن عطية العامل فيه لقاهم او جزاهم
وقال ايضا يجوز ان ينتصب علي الظرف لان معناه فوقهم
وقد ذكرنا معني السندس والاستبرق وقري خضر بالخفض
صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب او استبرق بالرفع عطف
علي ثياب وبالخفض عطف علي سندس **وحلوا** وزنه فعلوا
ومعناه جعل لهم حلي **اساور من فضة** ذكرنا الاساور في الكهف
فان قيل كيف قال هنا اساور من فضة وفي موضع اخر
اساور من ذهب فالجواب ان ذلك يختلف باختلاف اهل الجنة
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما
وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما فلعل الذهب
للمقربين والفضة لاهل اليمين ويحتمل ان يكون اهل الجنة لهم اساور

من فضة ومن ذهب معا **شرابا طهورا** اي ليس بنجس كخمر الدنيا وقيل
معناه انه لم تعصره الاقدام وقيل معناه لا يصير بولا **ان هذا كان**
لكم جزا اي يقال لهم هذا يقوله الله او الملايكة **آثما او كفورا**
او هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين فاعلا للاثم ولا كفورا وقيل
هي بمعنى الواو اي جامعا للوصفين لان هذه هي حالة الكفار
وروي ان الاية نزلت في ابي جهل وقيل ان الاثم عتبة بن ربيعة
والكفور الوليد بن المغيرة والاحسن انها على العموم لان لفظها
عام وان كان سبب نزولها خاصا **بكرة واصيلا** هذا امر بذكر
الله في كل وقت وقيل اشارة الى الصلوات الخمس فالبكرة
صلاة الصبح والاصيل الظهر والعصر ومن الليل المغرب
والعشا **ان هولا يحبون العاجلة** اي الدنيا والاشارة الى الكفار
واليوم الثقيل يوم القيامة ووصفه بالثقل عبارة عن هوله
وشدته **وشددنا اسرهم** الاسر الخلقة وهي المفاصل والاوصال
وقيل القوة **بدلنا امثالهم تبديلا** اي اهلكناهم وابدلنا منهم
غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا التهديد **ان هذه**
تذكرة الاشارة الى الاية او السورة او الشريعة بجملتها **فمن شا**
تحضيض وترغيب ثم قيد مشيتهم بمشية الله **والظالمين**
منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات
على قولين احدهما انها الملايكة والاخر انها الرياح فعلى القول
بانها الملايكة سماهم المرسلات لان الله تعالى يرسلهم بالوحي
وغيره وسماهم العاصفات لانها تعصف كما الريح تعصف الريح
في سرعة مضيهم الى امتثال اوامر الله وسماهم ناشرات لانهم
ينشرون اجنحتهم في الجو وينشرون الشرايع في الارض

او ينشرون صحايف الاعمال وسماهم الفارقات لانهم يفرقون بين
الحق والباطل وعلى القول بانها الرياح سماها المرسلات لقوله
الله الذي يرسل الرياح وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف
اي شديدة وسماها الناشرات لانها تنشر السحاب في الجو ومنه
قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لانها تفرق
بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا واما الملقيات ذكرا فهم
الملايكة لانهم يلقون الذكر للانبيا عليهم السلام والاظهر في
المرسلات والعاصفات انها الرياح لان وصف الريح بالعصف
حقيقة والاظهر في الناشرات والفارقات انها الملايكة لان
الوصف بالفارقات اليق بهم من الرياح ولان الملقيات المذكورة
بعدها هي الملايكة ولم يقل احد انها الريح ولذلك عطف المتجانسين
بالفا وقد قيل في المرسلات والملقيات انهم الانبيا عليهم السلام
عرفا معناه فضلا وانعاما وانتصابه على انه مفعول من
اجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر في موضع الحال واما
عصفا ونشرا وفرقا فمصادر واما ذكرا فمفعول به **عذرا او نذرا**
العذر فسره ابن عطية بمعنى اعذار الله الى عباده ليلا تبقى لهم
حجة او عذر وفسره الزمخشري بمعنى الاعذار يقال عذر اذا محا
الاساه واما نذرا فهو الانذار وهو التخويف وقري بضم الذال
في الموضعين وباسكانها ويحتمل ان يكونا مصدرين فيكون
نصبهما على البدل من ذكرا او مفعولا بذكر ويحتمل ان يكون
عذرا جمع عذير او عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصبهما على
الحال **انما توعدون لواقع** يعني البعث والجزا وهو جواب القسم
فاذا النجوم طمست اي زال ضوها وقيل محيت **واذا السما فرجت**
اي انشقت **واذا الجبال نسفت** اي صارت غبارا **واذا الرسل اقتت**
اي جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت لتشهد على

علي الاسم يوم القيامة وقري وقتت بالواو وهو الاصل والهمزة بدل
من الواو لاي يوم اجلت هو من الاجل كما ان التوقيت من الوقت
وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله ليوم
الفصل اي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله وما ادراك
ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين تكراره في هذه السورة
قيل انه تاكيد وقيل بل في كل اية ما يقتضي التصديق فجا يومئذ
للمكذبين راجع الي ما قبله في كل موضع منها الم نهلك الاولين
يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم ثم نتبعهم الاخرين
يعني قريشا ونحوهم من الكفار بمحمد صلي الله عليه وسلم
وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره كذلك نفعل
بالمجرمين اي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار
الم نخلقكم من ما مهين يعني المني والمهين الضعيف فجعلناه
في قرار مكين يعني رحم المراة وبطنها الي قدر معلوم يعني وقت
الولادة وهو معلوم عند الله وهو تسعة اشهر واقل منها
او اكثر فقدرنا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة
فاذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون واذا كان من
التقدير فهو تجنيس الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا الكفات
من كفت اذا ضم وجمع فالمعني ان الارض تكفت الاحيا علي ظهرها
والموتي في بطنها وانتصب احيا وامواتا علي انه مفعول بكفاتا
لان الكفات اسم لما يضم ويجمع فكانه قال جامعة احيا وامواتا
ويجوز ان يكون المعني تكفتهم احيا وامواتا فيكون نصبهما
علي الحال من الضمير وانما نكر احيا وامواتا للتفخيم ودلالة
علي كفتهم رواسي يعني الجبال شامخات اي مرتفعات
ما فراتا اي حلوا انطلقوا خطاب للمكذبين وقرا يعقوب
بفتح اللام علي انه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق اليه

الي ظل يعني دخان جهنم ومنه ظل من يحموم ذي ثلاث شعب
اي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فيظلهم بينما تكون المومنون
في ظلال العرش وقيل ان هذه الاية في عبدة الصليب لانهم
علي ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا اليه لا ظليل نفي عنه ان
يظلهم كما يظل العرش المومنين ونفي ايضا ان يمنع عنهم اللطف
انها ترمي بشرر كالقصر الضمير في انها لجهنم والقصر واحد القصور
وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمه وارتفاعه في
الهوي وقيل هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر
كانه جمالات صفر في الجمالات قولان احدهما انها جمع جمال شبه
بها الشرر وصفر علي ظاهره لان لون النار يضرب الي الصفرة
وقيل صفر هنا بمعني سود يقال جمل اصفر اي اسود وهذا
اليق بوصف جهنم الثاني ان الجمالات قطع النحاس الكبار فكانه
مشتق من الجملة وقري جمالات بضم الجيم وهي قلوس السفن
وهي حبالها العظام هذا يوم لا ينطقون هذا في مواطن وقد
يتكلمون في مواطن اخر لقوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن
نفسها فان كان لكم كيد فكيدون تعجيز لهم وتقريع بكيدهم
بالدنيا وتقريع عليه كلوا واشربوا يقال لهم ذلك في الجنة
بلسان الحال هنيا بما كنتم تعملون نصب هنيا علي الحال او
علي الدعا كلوا وتمتعوا خطاب للكفار علي وجه التهديد تقديره
قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون
هذا اخبار عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن
الصلاة وقيل معني اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو
اخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لانهم اذا قيل لهم اركعوا
لا يقدرون علي الركوع كقوله يدعون الي السجود فلا يستطيعون
والاول اشهر واظهر فباي حديث بعده يومنون الضمير للقران

سورة النبا

عم يتسالون اصل عم عن ما ادغمت النون في الميم وحذفت الف
ما لانها استفهامية تقديرها عن اي شي يتسالون وليس المراد
بها هنا مجرد الاستفهام وانما المراد تعظيم الامر والضمير في
يتسالون لكفار قريش او لجميع الناس ومعناه يسال بعضهم
بعضا عن النبا العظيم هو ما جات به الشريعة من التوحيد
والبعث والجزا وغير ذلك ويتعلق عن النبا بفعل محذوف يفسره
الظاهر تقديره يتسالون عن النبا ووقعت هذه الجملة جوابا
عن الاستفهام وبيانا للمسول عنه كانه قال عم يتسالون ثم
اجاب فقال يتسالون عن النبا العظيم وقيل يتعلق عن النبا
بيتسالون الظاهر والمعنى على هذا لاي شي يتسالون عن
النبا العظيم والاول افصح وابرع وينبغي على ذلك ان يوقف
على قوله عم يتسالون الذي هم فيه مختلفون ان كان الضمير
في يتسالون لكفار قريش فاختلافهم ان منهم من يقطع
بالتكذيب ومنهم من يشك او يكون اختلافهم قول بعضهم
سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وان كان الضمير
لجميع الناس فاختلافهم ان منهم المومن والكافر كلا سيعلمون
ردع وتهديد ثم كرره للتاكيد الم نجعل الارض مهادا اي فراشا
وانما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف
ليقيم الحجة على الكفار فيما انكروه من البعث كانه يقول ان
الاله الذي قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر
على احيا الناس بعد موتهم ويحتمل انه ذكرها حجة على التوحيد
لان الذي خلق هذه المخلوقات هو الاله وحده لا شريك له
والجبال اوتادا شبهها بالاوتاد لانها تمسك الارض ان تميد
وخلقناكم ازواجا اي مزدوجين ذكرا وانثى وقيل معناه

انواعا

انواعا في الوانكم وصوركم والسنتكم وجعلنا نومكم سباتا اي راحة
لكم وقيل معناه قطعا للاعمال والتصرف والسبت القطع وقيل
معناه موتا لان النوم هو الموت الاصغر ومنه قوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعلنا الليل لباسا
شبهه بالثياب التي تلبس لانه يستر عن العيون وجعلنا النهار
معاشا اي تطلب فيه المعيشة فهو على حذف مضاف تقديره
ذا معاش وقال الزمخشري معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة
في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت وبنينا فوقكم سبعا شدادا
يعني السموات وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس والوهاج
الوقاد الشديد الاضاة وقيل الحار الذي يضطرم من شدة لهبه
وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا يعني المطر والمعصرات هي السحاب
وهو ماخوذ من العصر لان السحاب تنعصر فينزل منه الما او
من العصرة بمعنى الاغاثة ومنه وفيه يعصرون وقيل
هي السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع لنخرج
به حبا ونباتا الحب هو القمح والشعير وساير الحبوب والنبات
هو العشب وجنات الفافا اي ملتفة وهو جمع لف بضم اللام وقيل
بالكسر وقيل لا واحد له كان ميقاتا اي في وقت معلوم يوم
ينفخ في الصور يعني نفخة القيام من القبور فتاتون افواجا اي جماعات
فكانت ابوابا اي تفتح فتكون فيها شقاق كالابواب وسيرت
الجبال اي حملت فكانت سرابا عبارة عن تلاشيها وفنايها
والسراب في اللغة ما يظهر على البعد انه ما وليس ذلك المراد
هنا وانما هو تشبيه في انه لا شي مرصادا اي موضع الرصد
والرصد هو الارتقاب والانتظار اي تنتظر الكفار ليدخلوها
وقيل معناه طريقا للمومنين يجوزون عليها الى الجنة لان
الصراط منصوب على جهنم مابا اي مرجعا لابثين فيها احقابا

جمع حقبة اوحقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة وقيل
انها محدودة ثم اختلف في مقدارها فروي عن النبي صلي الله
عليه وسلم انها ثلاثون الف سنة وقال ابن عباس ثلاثون
سنة وقيل ثلثماية سنة وعلي القول بالتحديد فالمعني
انهم يبقون فيها احقابا كلما انقضي حقب جا اخر الي غير نهاية
وقيل انه يقتضي انه مدة العذاب تنقضي ثم نسخ بقوله
ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وهذا خطا لان الاخبار لا تنسخ
وقيل هي في عصاة المومنين الذين يخرجون من النار وهذا
خطا لانها في الكفار وكذبوا باياتنا كذابا وقيل معناها انهم
يبقون احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع
اخر لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا اي لا يذوقون فيها برودة
تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ما باردا وقيل البرد
هنا النوم والاول اظهر الا حميما استثنا من الشراب وهو
متصل والحميم الما الحار والغساق صديد اهل النار وقد
ذكر في سورة داود جزاء وفاقا اي موافقا لاعمالهم لان اعمالهم
كفر وجزاوهم النار ووفاقا مصدر وصف به وهو علي
حذف مضاف تقديره ذو وفاق انهم كانوا لا يرجون حسابا
اي كانوا منا حسب الشي اذا كفاه وقيل معنا معلي حسب
اعمالهم هذا مثل لا يرجون وقد ذكر كذابا بالتشديد مصدر
بمعني تكذيب وبالتخفيف بمعني الكذب او المكاذبة وهي تكذيب
بعضهم لبعض فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ما نزل في اهل النار اشد من هذه الاية
مفازا اي موضع فوز يعني الجنة حدايق اي بساتين وكواعب
جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها اترابا اي علي سن واحد
وكاسا دهاقا اي ملا وقيل صافية والاول اشهر عطا حسابا

اي

اي كافيا من احسب الشي اذا كفاه وقيل معناه علي حسب اعمالهم
رب السموات بالرفع مبتدا وخبر او مبتدا مضمر لا يملكون منه خطابا
قال ابن عطية الضمير للكفار اي لا يملكون اي يخاطبوه بمقدرة ولا
غيرها وقيل المعني لا يقدرون ان يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله
قال الزمخشري الضمير لجميع الخلق اي ليس بايديهم شي من خطاب
الله يوم يقوم الروح قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون
هو وحده صفا والملايكة صفا وقيل يعني ارواح بني ادم فهو
اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون او لا يتكلمون لا يتكلمون
الضمير للملايكة والروح اي تمنعهم الهيبة من الكلام الا من بعد
ان ياذن الله لهم وقول الصواب يكون في ذلك الموطن علي هذا
وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار اليه قول لا اله الا
الله اي من قال في الدنيا ذلك اليوم الحق اي الحق وجوده
ووقوعه فمن شاء تحضيض وترغيب عذابا قريبا يعني عذاب
الاخرة ووصفه بالقرب لان كل ات قريب او لان الدنيا علي
اخرها يوم ينظر المرء ما قدمت يداه المرء هنا عموم في المومن
والكافر وقيل هو المومن وقيل هو الكافر والعموم احسن لان
كل احد يري ما عمل لقوله تعالي فمن يعمل مثقال ذرة الاية
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا تمني ان يكون يوم القيامة
ترابا فلا يحاسب ولا يجازي وقيل تمني ان يكون في الدنيا ترابا
اي لم يخلق وروي ان البهايم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض
ثم ترد ترابا فيتمني الكافر ان يكون ترابا مثلها وهذا يقوي
الاول وقيل الكافر هنا ابليس يتمني ان يكون خلق من تراب
مثل ادم وذريته لما راي ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله
خلقتني من نار وخلقته من طين سورة النازعات
اختلف في معني النازعات والناشطات والسابقات والسابحات

والمدبرات فقيل انها الملايكة وقيل النجوم فعلي القول بانها
الملايكة سماهم نازعات لانهم تنزعون نفوس بني ادم من اجسادها
وناشطات لانهم ينشطونها اي يخرجونها فهو من قولك نشطت
الدلو من البير اذا اخرجتها وسابحات لانهم يسبحون في سيرهم
اي يسرعون فيسبقون فيدبرون امور العباد والرياح والمطر
وغير ذلك حسبما يامرهم الله وعلي القول بانها النجوم سماها
نازعات لانها تنزع من المشرق الي المغرب وناشطات لانها تنشط
من برج الي برج وسابحات لانها تسبح في الفلك ومنه كل في فلك
يسبحون فتسبق في جريها فتدبر امر علم الحساب وقال ابن
عطية لا اعلم خلافا ان المدبرات امر الملايكة وحكي الزمخشري
فيهما ما ذكرنا وقد قيل في النازعات والناشطات انها النفوس
تنزع من معني النزع بالموت فتنشط من الاجساد وقيل في
السابحات والسابقات انها الخيل وانها السفن **غرقا** ان قلنا
النازعات الملايكة ففي معني غرقا وجهان احدهما انها من الغرق
اي تغرق الكفار في جهنم والاخر انه من الاغراق في الامر بمعني
المبالغة فيه اي تبالغ في نزع النفوس حتي تخرجها من اقاصي
الاجساد وان قلنا ان النازعات النجوم فهو من الاغراق او معني
المبالغة اي تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله وان قلنا انها النفوس
فهو ايضا من الاغراق اي تغرق في الخروج من الجسد واعراب غرقا
مصدر في موضع الحال ونشطا وسبحا وسبقا مصادر وامرا
مفعول به وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتي بدلالة ما بعده
عليه من ذكر القيامة وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة علي تقدير حذف لام التاكيد وقيل هو ان في
ذلك لعبرة لمن يخشي وهذا بعيد لبعده عن القسم ولانه اشارة
الي قصة فرعون لا لمعني القسم **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**

قيل

قيل الراجفة النفخة الاولي في الصور والرادفة النفخة الثانية
لانها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك اردفت الشي اذا اتبعته
وفي الحديث ان بينهما اربعين عاما وقيل الراجفة الموت والرادفة
القيامة وقيل الراجفة الارض من قوله ترجف الارض والجبال
والرادفة السما لانها تنشق يومئذ والعامل في يوم ترجف محذوف
وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وان جعلنا
يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معني قوله قلوب يومئذ
واجفة وقوله تتبعها الرادفة في موضع الحال ويحتمل ان يكون
العامل فيه تتبعها **قلوب يومئذ واجفة** اي شديدة الاضطراب
والوجيف والوجيب بمعني واحد وارتفع قلوب بالابتدا وواجفة
خبره وقال الزمخشري واجفة صفة والخبر ابصارها خاشعة
ابصارها خاشعة كناية عن الذل والخوف واضافة الابصار
الي القلوب علي تجوز والتقدير قلوب اصحابها **يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة** هذه حكاية قول الكفار في الدنيا
ومعناه علي الجملة انكار البعث فالهمزة في قولهم ائنا لمردودون
للانكار ولذلك اتفق القراء علي قراءته بالهمزتين الا ان منهم من سهل
الثانية ومنهم من حققها واختلفوا في ائذا كنا عظاما نخرة فمنهم
من قراه بهمزة واحدة لانه ليس بموضع استفهام ولا انكار ومنهم
من قراه بهمزتين تاكيدا للانكار المتقدم ثم اختلفوا في معني
الحافرة علي ثلاثة اقوال احدها انها الحالة الاولي يقال رجع
فلان الي حافرته اذا رجع الي حالته الاولي فالمعني ائنا لمردودون
الي الحياة بعد الموت والاخر ان الحافرة الارض بمعني محفورة
فالمعني ائنا لمردودون الي وجه الارض بعد الدفن في القبور
والثالث ان الحافرة النار والعظام الناخرة البالية المتفتتة
وقرئ ناخرة بالف وبحذف الالف وهما بمعني واحد الا ان حذف

الالف ابلغ لان فعلا ابلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التي تمر
بها الريح فتسمع لها نخير والعامل في اذا كنا محذوف تقديره اذا كنا
عظاما نبعث ويحتمل ان يكون العامل فيه مردودون في الحافرة
ولكن انما يجوز ذلك على قراة اذا كنا بهمزة واحدة على الخبر
ولا يجوز على قراته بهمزتين لان همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها
فيما بعدها قالوا تلك اذا كرة خاسرة الكرة الرجعة والخاسرة
منسوبة الي الخسران كقوله عيشة راضية اي ذات رضي او
معناه خاسر اصحابها ومعني هذا الكلام انهم قالوا ان كان
البعث حقا فكرتنا خاسرة لانا ندخل النار فانما هي زجرة واحدة
يعني النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى
ردا على الذين انكروا البعث كانه يقول لا تظنوا انه صعب على
الله بل هو عليه يسير فانما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم
الناس من قبورهم فاذا هم بالساهرة اذا هنا فجائية والساهرة
وجه الارض والباطن فيه والمعني اذا نفخ في الصور حصلوا
بالارض من اسرع شي هل اتاك توقيف وتنبيه وليس المراد به
مجرد الاستفهام طوي ذكري في طه اذهب الي فرعون تفسير
للندا هل لك الي ان تزكي اي تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب
والرذايل قال بعضهم تزكي تسلم وقيل تقول لا اله الا الله
والاول اعم الاية الكبرى قلب العصا حية واخراج اليد بيضا
وجعلهما واحدة لان الاولي تتبع الثانية ويحتمل ان يريد الاولي
وحدها ثم ادبر يسعي الادبار كناية عن الاعراض عن الايمان
ويسعي عبارة عن جده في الكفر وفي ابطال امر موسي عليه
السلام وقيل هو حقيقة اي قام من مجلسه يفر من مجالسة
موسي او يهرب من العصا لما صارت ثعبانا فحشر اي جمع
جنوده واهل مملكته فنادي اي نادي قومه وقال لهم

ما قال

ما قال ويحتمل انه نادا هم بنفسه او امر من ينادیهم والاول اظهر
وروي انه قام فيهم خطيبا فقال ما قال فاخذه الله نكال الاخرة
والاولي النكال مصدر بمعني التنكيل والعامل فيه اخذه الله
لانه بمعناه وقيل العامل محذوف والاخرة هي دار الاخرة
والاولي الدنيا فالمعني نكال الاخرة بالنار ونكال الاولي بالغرق
وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلي والاولي قوله ما علمت لكم
من اله غيري وقيل بالعكس فالمعني اخذه الله وعاقبه على
كلمته الاخرة وكلمته الاولي االنتم اشد خلقا ام السما هذا توقيف
قصد به الاستدلال على البعث فان الذي خلق السما قادر
على خلق الاجساد بعد فنايها رفع سمكها السمك غلظ السما
وهو الارتفاع الذي بين سطح السما الاسفل الذي يلينا وسطحها
الاعلي الذي يلي ما فوقها ومعني روي انه جعله مسيرة
خمسماية عام وقيل السمك السقف فسواها اي اتقن خلقتها
وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض واغطش
ليلها اي جعله مظلما يقال غطش الليل اذا اظلم واغطشه الله
واخرج ضحاها اي اظهر ضو الشمس في وقت الضحي واضاف
الضحي والليل الي السما من حيث انهما ظاهران منها وفيها
والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها واستدل بها من قال
ان الارض بسيطة غير كرية وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا
وبين قوله ثم استوي الي السما اخرج منها ماءها ومرعاها
نسب الما والمرعي الي الارض لانهما يخرجان منها فان قيل لم قال
اخرج بغير حرف العطف فالجواب ان هذه الجملة في موضع الحال
وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري والجبال ارساها اي اثبتها
ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الارض
متاعا لكم ولانعامكم تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم ولانعامكم

لان بني ادم والانعام ينتفعون بما ذكر الطامة هي القيامة وقيل
النفخة الثانية واشتقاقهما من قولك طم الامر اذا علي وغلب
وبرزت الجحيم لمن يري اي اظهرت لكل من يري فهي لا تخفي علي احد
مقام ربه ذكر في سورة الرحمن ونهي النفس عن الهوي اي ردها
عن شهواتها واغراضها الفاسده قال بعض الحكما اذا اردت الصواب
فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوي الا
الانبيا وبعض الصديقين ايان مرساها ذكر في الاعراف فيم انت
من ذكراها اي من ذكر زمانها والمعني لست في شي من ذكر ذلك
قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم يسال عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الاية انتهي الي
ربك منتهاها اي منتهي علمها لا يعلم متي تكون الا هو وحده انما
انت منذر من يخشاها اي انما بعثت لتنذر بها وليس عليك الاخبار
بوقتها وخص الانذار بمن يخشاها لانه هو الذي ينفعه الانذار
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اخبر انهم اذا راوا الساعة ظنوا
انهم لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية يوم واضاف الضحي
الي العشية لما بينهما من الملابسة اذ هما في يوم واحد

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم كان حريصا علي اسلام قريش وكان يدعوا اشرافهم
الي الله تعالي ليسلموا فيسلم باسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل
من عظمايهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة
وقيل امية بن خلف وقال ابن عباس كانوا جماعة اذ اقبل عبد
الله بن ام مكتوم الاعمي فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله
وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله
صلي الله عليه وسلم قطع الاعمي لكلامه فعبس واعرض عنه

وذهب

وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
فنزلت الاية فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا راي عبد
الله بن ام مكتوم بعد ذلك يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط
له رداه وقد استخلفه علي المدينة مرتين عبس وتولي اي عبس
في وجه الاعمي واعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغايب
مبالغة في العتب لان في ذلك بعض الاعراض وقال الزمخشري
في الاخبار بالغيبة زيادة في الانكار وقال غيرهما هو اكرام للنبي
صلي الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا
احسن ان جاه الاعمي في موضع مفعول من اجله وهو منصوب
بتولي او عبس وذكر ابن ام مكتوم بلفظ الاعمي ليدل ان عماه هو
الذي اوجب احتقاره وفي هذا دليل علي ان ذكر هذه العاهات
جايز اذا كانت لمنفعة او شتهر صاحبها بها ومنه قول المحدثين
سليمان الاعمش وعبد الرحمن الاعرج وغير ذلك وما يدريك
اي اي شي يطلعك علي حال هذا الاعمي لعله يتطهر وينتفع في
دينه بما يسمع منك اما من استغني فانت له تصدي اي تتعرض
للغني رجاان يسلم وما عليك الا يزكي اي لا حرج عليك اذ لا يتزكي
هذا الغني واما من جاك يسعي اشارة الي عبد الله بن ام مكتوم
ومعني يسعي يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير وهو يخشي
ان يخشي الله او يخاف الكفار واذايتهم له علي اتباعك وقيل جا
وليس معه من يقوده فكان يخشي ان يقع وهذا ضعيف فانت
عنه تلهي اي تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشي اذا تركته
وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم تادب بما ادبه الله
في هذه السورة فلم يعرض بعد هذا عن فقير ولا تعرض لغني وكذلك
اتبعه فضلا العلما فكان الفقرا في مجلس سفيان الثوري كالامرا
وكان الاغنيا يتمنون ان يكونوا فقرا كلا ردع عن معاودة ما وقع

العتاب فيه **انها تذكرة** فيه وجهان احدهما ان هذا الكلام المتقدم
تذكرة اي موعظة للنبي صلي الله عليه وسلم والاخر ان القران
تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي ان يوثر فيه احد علي احد وهذا
ارجح لانه يناسبه فمن شا ذكره وما بعده وانث الضمير في قوله
انها تذكرة علي معني القصة او الموعظة او السورة او القرا ه
وذكره في قوله فمن شا ذكره علي معني الوعظ او الذكر او القران
في صحف صفة لتذكرة اي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة
من اللوح المحفوظ وقيل هي مصاحف المسلمين **مرفوعة** اذا كانت
الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة القدار وان كانت صحف الملايكة
كذلك او مرفوعة في السما وسطهرة اي منزهة عن ايدي الشياطين
بايدي سفرة هم الملايكة والسفرة جمع سافر وهو الكاتب لانهم
يكتبون القران وقيل لانهم سفرا بين الله وبين عبيده وقيل يعني
القرا من الناس والاول ارجح وقد قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة اي انه يعمل مثل
عملهم في كتابة القران وتلاوته او له من الاجر علي القران مثل
اجورهم **قتل الانسان ما اكفره** دعا عليه علي ما جرت به عادة
العرب من الدعا بهذا اللفظ ومعناه تقبيح حاله وانه ممن يستحق
ان يقال له ذلك وقيل معناه لعن وهو بعيد **ما اكفره** تعجب
من شدة كفره مع انه كان يجب عليه خلاف ذلك **من اي شي خلقه**
توقيف وتقرير ثم اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه يعني المني
ومقصد الكلام تحقير الانسان ومعناه انه يجب عليه ان يعظم
الرب الذي خلقه **فقدره** اي هياه لما يصلح له ومنه خلق
كل شي فقدره تقديرا وقيل معناه جعله علي مقدار معلوم
في اعضايه واجله ورزقه وغير ذلك **ثم السبيل يسره**
نصب السبيل بفعل مضمر يفسره يسره وفي معناه ثلاثة اقوال

احدها

احدها يسر خروجه من بطن امه والاخر انه سبيل الخير والشر
لقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا الثالث سبيل النظر
السديد المودي الي الايمان والاول ارجح لعطفه علي قوله من نطفة
خلقه فقدره وهو قول ابن عباس **ثم اماته فاقبره** اي جعله
ذا قبر يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبرته اذا امرت ان يدفن
ثم اذا شا انشره اي بعثه من قبره يقال نشر الميت اذا قام وانشره
الله والاشارة باذا شا ليوم القيامة اي الوقت الذي قدر ان ينشره
فيه **كلا** ردع للانسان مما هو فيه **لما يقض ما امره** اي لم يقض الانسان
علي تطاول عمره ما امره الله قال بعضهم لا يقضي احد ابدا جميع
ما افترض الله عليه اذ لا بد للعبد من تفريط **فلينظر الانسان الي
طعامه** امر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره
برحمته فيجب علي العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر
به وقيل فلينظر الي طعامه اذا صار رجيعا فينظر حقارة
الدنيا وخساسة نفسه والاول اشهر واظهر في معني الاية
علي ان القول الثاني صحيح وانظر كيف فسره بقوله انا صببنا
الما صبا وما بعده لبعد والثم ويظهر القدرة وقري انا صببنا
الما بفتح الهمزة علي البدل من الطعام **ثم شققنا الارض** يعني
بخروج النبات منها **حبا** يعني القمح والشعير وساير الحبوب
وقضبا قيل هي الفصفصة وقيل هي علف البهايم واختار ابن
عطية انها البقول وشبهها مما يوكل رطبا **غلبا** اي غليظة
ناعمة **ابا** الاب المرعي عند ابن عباس والجمهور وقيل التبن
وتوقف في تفسيره ابو بكر وعمر رضي الله عنهما **الصاخة**
القيامة وهي مشتقة من قولك صخ الاذان اذا اصمها بشدة
صياحه فكانه اشارة الي النفخة في الصور او الي شدة الامر
حتي يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل من قولك اصاخ الحديث

اذا استمعه والاول هو الموافق للاستحقاق **يوم يفر المرء من اخيه** الاية
ذكر فرار الانسان من احبابه ورتبهم على ترتيبهم في الحنو والشفقة
فبدا بالاقل وختم بالاكثر لان الانسان اشد شفقة على بنيه من كل
من تقدم وانما يفر منهم لاشتغاله بنفسه وقيل ان فراره منهم
لئلا يطالبوه بالتباعات والاول ارجح واظهر لقوله لكل منهم
يومئذ شان يغنيه اي هو مشغول بنفسه بما من الحساب
والثواب والعقاب حتى لا يسعه ذكر غيره وانظر قول الانبيا
عليهم السلام يومئذ نفسي نفسي **وجوه يومئذ مسفرة**
اي مضيئة من السرور وهو من قولك اسفر الصبح اذا اضاء
عليها غبرة اي غبار والقترة ايضا الغبار قال ابن عطية
الغبرة من العبوس والكرب كما يغبر وجه المهموم والمريض
والقترة هي غبار الارض وقال الزمخشري الغبرة غبار
يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة اهوال القيامة وما يعتري الموجودات
حينئذ من التغيير **اذا الشمس كورت** ابن عباس ذهب ضوءها
فاظلمت وقيل اضمحلت واصله من تكوير العمامة لانها اذا
لفت زال انبساطها وصغر جرمها **واذا النجوم انكدرت**
اي تساقطت من مواضعها وقيل تغيرت والاول ارجح لقوله
واذا الكواكب انتثرت لانه وروي ان الشمس والنجوم تطرح في
جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم **واذا الجبال سيرت** اي حملت وبعد ذلك
تنسفت تسييرها ثم تتلاشى **واذا العشار عطلت** العشار
جمع عشرا وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة اشهر وهي
انفس ما عند العرب واعزها ولا تعطل الا من شدة الهول

وتعطيلها

وتعطيلها هو تركها مسيبة او ترك حلبها **واذا الوحوش حشرت**
اي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة اقوال احدها انها تحشر اي
تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا
والاخر انها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة
قاله ابن عباس وقال انها لا تبعث وانه لا يحضر القيامة الا الانس
والجن والثالث انها تجمع في اول اهوال القيامة وتفر في الارض
فذلك حشرها **واذا البحار سجرت** فيه ثلاثة اقوال احدها
مليت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا والاخر ملئت
نيرانا لتعذيب اهل النار والثالث موافق لقوله فجرت **واذا النفوس
زوجت** فيه ثلاثة اقوال احدها ان التزويج بمعنى التنويع
لان الانواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمومن مع المومن
والاخر زوجت نفوس المومنين بزوجاتهم من الحور العين
والثالث زوجت الارواح والاجساد اي ردت اليها عند البعث
والاول هو الراجح لانه مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن عمر بن الخطاب وابن عباس **واذا الموودة سئلت باي ذنب
قتلت** الموودة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من
كراهته لها ومن غيرته عليها فتسئل يوم القيامة باي ذنب
قتلت بضم القاف وسكون اللام وضم التا واستدل ابن عباس
بهذه الاية على ان اولاد المشركين في الجنة لان الله ينتصر لهم
من ظلمهم **واذا الصحف نشرت** هي صحف الاعمال تنشر ليقرا
كل احد كتابه وقيل الصحف تتطاير بالايمان والشمايل بالجزا
واذا السما كشطت الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة
حين تسلخ وكشط السما هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية
وقيل معناه كشفت وهو اليق بالكشط **واذا الجحيم سعرت**
اي وقدت واحميت **واذا الجنة ازلفت** اي قربت **علمت نفس**

الازواج في نسخ

ما احضرت هذا جواب اذا المكررة في المواضع قبل هذا ومعناه
علمت كل نفس ما احضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به
الجنس والعموم وقال ابن عطية انما افردها لحنس ليبين حقارتها
وذلتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذي يقصد
به الافراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا ومعناه
التكثير وكذلك هنا معناه اعم الجموع وما احضرت عبارة عن
الحسنات والسيات **فلا اقسم** ذكر نظايره **بالخنس الجوار**
الكنس يعني الدراري السبعة وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد
والمريخ والمشتري وذلك ان هذه الكواكب تخنس في جريها اي
تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا وهي جواري في
الفلك وهي تكنس في ابراجها اي تستتر وهو مشتق من قولك
كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعني
الدراري الخمسة لانها تستتر بضوء الشمس وقيل يعني
النجوم كلها لانها تخنس في جريها وتكنس بالنهار اي
تستتر وتختفي بضوء الشمس وقيل يعني بقر الوحش
فالخنس على هذا من خنس الانف والكنس من سكناها
في كناسها **والليل اذا عسعس** يقال عسعس الليل اذا كان
غير مستحكم الظلام فقيل ذلك في اوله وقيل في اخره
وهذا ارجح لان اخر الليل افضل ولانه اعقبه بقوله والصبح
اذا تنفس اي استطاع واتسع ضوؤه **انه لقول رسول كريم**
الضمير للقران والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم قال السهيلي لا يجوز ان يقال انه محمد عليه
السلام لان الاية نزلت في الرد على الذين قالوا ان محمدا قال
القران فكيف يخبر الله انه قوله وانما اراد جبريل واضاف
القران اليه لانه جا به وهو في الحقيقة قول الله تعالى

وهذا

٥٦٧

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فانه قد يضاف الى محمد صلى
الله عليه وسلم لانه تلقاه عن جبريل وجا به الى الناس ومع
ذلك فالاظهر انه جبريل لانه وصفه بقوله ذي قوة وقد وصف
جبريل بهذا بقوله شديد القوى ذو مرة **مطاع ثم امين**
هذا الظرف اشارة الى الظرف المذكور قبله وهو عند ذي العرش
اي مطاع في الملايكة ذي العرش **وما صاحبكم بمجنون** هو محمد
صلى الله عليه وسلم باتفاق **ولقد راه بالافق المبين**
ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه
السلام وهي الروية هي رويته له بغار حرا على كرسي بين السما
والارض وقيل هي الروية التي راه عند سدرة المنتهى في الاسرا
ووصف هذا الافق بالمبين لانه روي انه كان في المشرق من حيث
تطلع الشمس وايضا فكل افق فهو مبين **وما هو على الغيب**
بظنين الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ومن قراه بالضاد
فمعناه بخيل اي لا يبخل باداما القي اليه من الغيب وهو الوحي
ومن قراه بالظا فمعناه متهم اي لا يتهم على الوحي بل هو امين
عليه ورجح بعضهم هذه القراة بان الكفار لم ينسبوا محمد
صلى الله عليه وسلم الى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه
ذلك **وما هو بقول شيطان رجيم** الضمير للقران **فاين تذهبون**
خطاب لكفار قريش اي ليس لكم زوال عن هذه الحقايق وقد
تقدم تفسير بقية السورة في نظايره فيما تقدم

سورة الانفطار

اذا السما انفطرت اي انشقت **واذا الكواكب انتثرت** اي سقطت
من مواضعها **واذا البحار فجرت** اي فرغت وقيل فجر بعضها الى بعض
فاختلط **واذا القبور بعثرت** اي نبشت عن الموتى الذين فيها
وقال الزمخشري اصله من البعث والبحث فضمت اليهما الراء

عند ذي العرش يتعلق بذي قوة وقيل بمكين وهذا اظهر والمكين الذي له مكانة اي جاه وتقريب عم

والمعني بحثت واخرج موتاها علمت نفس ما قدمت واخرت هذا
هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع اعمالها وقيل ما قدمت في
حياتها وما اخرت تركتها بعد موتها من سنة سنتها او وصية
اوصت بها وافردت النفس والمراد العموم حسبما ذكرنا في التكوير
يا ايها الانسان خطاب لجنس بني ادم ما غرك بربك الكريم
هذا توبيخ وعتاب معناه اي شي غرك بربك حتي كفرت به
او عصيته او غفلت عنه فدخل في العتاب الكفار وعصاة المومنين
ومن يغفل عن الله في بعض الاحيان من الصالحين وروي ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قرا ما غرك بربك الكريم
فقال غره جهله وقال عمر جهله وحمقه وقرا انه كان ظلوما
جهولا وقال غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر
الله عليه وقيل غره طمعه في عفو الله عنه ولا تعارض بين
هذه الاقوال لان كل واحد منها مما يغر الانسان الا ان بعضها
يغر قوما وبعضها يغر قوما اخرين فان قيل ما مناسبة وصفه
بالكريم للتوبيخ علي الغرور فالجواب ان الكريم ينبغي ان
يعبد ويطاع شكرا لاحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل
ذلك فقد كفر النعمة واضاع الشكر الواجب فعدلك بالتشديد
والتخفيف اي عدل اعضاك وجعلها متوازنة فلم يجعل
احدي اليدين اطول من الاخري ولا احدي العينين اكبر من
الاخري ولا احديهما كحلا والاخري زرقا ولا بعض الاعضا
ابيض وبعضها اسود وشبه ذلك من الموازنة في اي صورة
ما شا ركبك المجرور يتعلق بربك وما زايدة والمعني ركبك
في اي صورة شا من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة
والانوثة وغير ذلك من اختلاف الصور ويحتمل ان يتعلق
المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا في اي صورة وقيل

يتعلق

وقيل يتعلق بعدلك علي ان يكون بمعني صرفك الي اي صورة
شا وهذا بعيد ولا يمكن الا مع قراة عدلك بالتخفيف كلا ردع
عن الغرور المذكور قبل والتكذيب المذكور بعد بل تكذبون بالدين
هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل ان يكون بمعني الشريعة
او الحساب او الجزا وان عليكم لحافظين يكتبون الاعمال بني ادم
يعلمون ما تفعلون يعلمون الاعمال لمشاهدتهم لها واما ما لا يري
ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل ان الله ينفرد
بعلم ذلك وقيل ان الملك يجد لها ريحا يدركها به ان الابرار لفي
نعيم في هذه الاية وفي ما بعدها من ادوات البيان المطابقة
والترصيع وما هم عنها بغايبين فيه قولان احدهما ان معناه
لا يخرجون منها اذا دخلوها والاخر لا يغيبون عنها في البرزخ
قبل دخولها لانهم يعرضون عليها غدوا وعشيا وما ادراك
ما يوم الدين تعظيم له وتهويل وكرره للتاكيد والمعني انه من
شدته بحيث لا يدري احد مقدار طوله وعظمته يوم لا تملك
نفس لنفس شيا اي لا يقدر احد علي منفعة احد وقري يوم
بالرفع علي البدل من يوم الدين او علي اضمار مبتدا وبالنصب
علي الظرفية باضمار فعل تقديره اذكر ويجوز ان يبني لاضافته
الي غير متمكن وهو في موضع رفع سورة المطففين
ويل للمطففين التطفيف في اللغة هو البخس والنقص فسره
بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو التجاوز الحد
في زيادة او نقصان واختاره ابن الفرس وهو الظهر لان المراد
به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بان يزيد
الانسان علي حقه او ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة
انه كان بالمدينة رجل يقال له ابو جهينة له مكيالان ياخذ
بالاوفي ويعطي بالانقص فالسورة علي هذا مدنية وقيل

يعني الملايكة الذين

مكية لذكر اساطير الاولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف
بالمدينة اذ كانوا اشد الناس فسادا في هذا المعنى فاصلحهم الله
بهذه السورة اذا اكتالوا على الناس يستوفون معنى اكتالوا
على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وانما ابدلت منها
لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز ان يتعلق على
الناس بيستوفون وقدم المفعول لافادة التخصيص واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون معنى يخسرون ينقصون حقوق
الناس وهو من الخسارة يقال خسر الرجل واخسره غيره
اذا جعله يخسر وكالوهم معناه كالوا لهم او وزنوهم معناه
وزنوا لهم ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لان هذين
الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر
يقال كلت لك وزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف
المفعول الثاني وهو المكيل والموزون والواو التي هي ضمير
الفاعل للمطففين ولهم الذي هو ضمير المفعول للناس
فالمعنى اذا كالوا للناس ووزنوا لهم طعاما او غيره مما يكال
او يوزن يخسرونهم حقوقهم وقيل ان هم في كالوهم ووزنوهم
تاكيد للضمير الفاعل وروي عن حمزة انه كان يقف على
كالوا ووزنوا ثم يبتدي هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف
من وجهين احدهما انه لم يثبت في المصحف بعد الواو
في كالوا ووزنوا الف فدل ذلك على ان هم ضمير المفعول
والاخر ان المعنى على هذا ان المطففين اذا تولوا الكيل او
الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لان الكلام واقع في
الفعل لا في المباشر الا ترى ان اكتالوا على الناس معناه
قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم دفعوا لهم فقابل القبض
بالدفع واما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود قال

ابن

٥٦٧

ابن عطية ظاهر الاية ان الكيل والوزن على البايع وليس ذلك بالجلي
صدر قال وظاهر الاية في المشتري ثم الذين يستوفون ويشاحون ويطلبون
الزيادة وقوله واذا كالوهم او وزنوهم البايعون ثم الذين
يخسرون المشتري الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
يعني يوم القيامة وهذا تهديد للمطففين وانكار لفعلهم وكان
عبد الله بن عمر اذا مر بالبايع يقول له اتق الله واوف الكيل
فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن يوم يقوم
الناس لرب العالمين الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل
بفعل مضمر او بدل من يوم عظيم وقيام الناس يوم القيامة على
حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين الف سنة واقل من ذلك
حتى ان المومن يقوم على قدر صلاة مكتوبة كلا ردع عن
التطفيف او افتتاح كلام ان كتاب الفجار لفي سجين كتاب
الفجار هو ما يكتب من اعمالهم والفجار هنا يحتمل ان يريد به
الكفار او المطففين وان كانوا مسلمين والاول اظهر لقوله بعد
هذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة
على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم امره بقوله وما ادراك
ما سجين ثم فسره بانه كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة
وهو كتاب جامع يكتب فيه اعمال الشياطين والكفار والفجار
وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لانه سبب الحبس والتضييق
في جهنم ولانه في مكان الهوان والعذاب كالسجن فقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه في الارض السفلى وروي عنه
انه في بير هنالك وحكى كعب عن التوراة انه في صخرة سوداء
هنالك وقال ابن عطية يحتمل ان يكون معنى الاية ان عثرات
الفجار في تسجيل اي كتبوا هنالك في الازل اساطير الاولين
قد ذكر بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غطى على قلوبهم

ما كسبوا من الذنوب بطمس بصايرهم فصاروا لا يعرفون الرشد
من الغي وفي الحديث ان العبد اذا اذنب ذنبا صارت نكتة سودا
في قلبه فاذا ازاله ذنب اخر زاد السواد فلا يزال كذلك
حتى يتغطي وهو الرين **لمحجوبون** حجب الكفار عن الله دليل
على ان المومنون لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعي على
صحة روية المومنين لله في الاخرة وتاولها المعتزلة ان
معناها محجوبون عن رحمته **ان كتاب الابرار لفي عليين**
عليون اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات وهذا جمع
منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله
وما ادراك ما عليون ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو
مشتق من العلو لانه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة او لانه
مرفوع في مكان علي فقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه تحت العرش وقال ابن عباس هو الجنة وارتفع
كتاب مرقوم في الموضعين على انه خبر مبتدا مضمر تقديره
هو كتاب وقال ابن عطية كتاب مرقوم خبران والظرف ملغي
وهذا التكلف يفسد به المعنى وقد روي في الاثار ما روي
بتفسير الاية وهو ان الملايكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد
فان رضيه الله قال اجعلوه في عليين وان لم يرضه قال
اجعلوه في سجين **يشهده المقربون** يعني الملايكة المقربين
الارايك قد ذكر **ينظرون** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ينظرون الى اعدايهم في النار وقيل ينظرون الى
الجنة وما اعطاهم الله فيها **نضرة النعيم** اي بهجته ورونقه
كما يرى في وجوه اهل الرفاهية والعافية والخطاب في تعرف
للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب من غير تعيين
يسقون من رحيق مختوم الرحيق الخمر الصافية والمختوم قد

فسره

فسره بان ختامه مسك وقري ختامه بالف بعد التاء وخاتمه
بالف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة اقوال
احدها انه من الختم على الشي بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى
انه ختم على فم الاناء الذي هو فيه بالمسك كما يختم على افواه
انية الدنيا بالطين اذا قصد حفظها وصيانتها الثاني انه
من ختم الشي اي تمامه فمعناه خاتم شربه مسك اي يجد
الشارب عند اخر شربه رايحة المسك ولذته الثالث ان معناه
مزاجه مسك اي يمزج الشراب بالمسك وهذا خارج عن
اشتقاق اللفظ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** التنافس
في الشي هو الرغبة فيه والمغالات في طلبه والتزاحم عليه
ومزاجه من تسنيم تسنيم اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون
صرفا ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الابرار فدل ذلك
على ان درجة المقربين فوق درجة الابرار فالمقربون هم
السابقون والابرار اصحاب اليمين **عينا** منصوب على المدح
بفعل مضمر او على الحال من تسنيم **يشرب بها** بمعنى يشربها فالبا
زايدة ويحتمل ان يكون بمعنى يشرب منها او كقولك شربت الما
بالعسل **ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون** نزلت
هذه الاية في صناديد قريش كابي جهل وغيره مر بهم علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وجماعة من المومنين فضحكوا منهم
واستخفوا بهم **واذا مروا بهم يتغامزون** معنى يتغامزون يشير
بعضهم الى بعض ويشير بعينيه والضمير في مروا يحتمل ان يكون
للمومنين او للكفار والضمير في يتغامزون للكفار لا غير **فاكهين**
من الفاكهة وهي اللهو اي يتفكهون بذكر المومنين والاستخفاف
بهم قاله الزمخشري ويحتمل ان يكون يتفكهون بنعيم الدنيا
واذا راوهم قالوا ان هولا لضالون اي اذا راى الكفار المومنين

ينسبونهم الى الضلال وقيل اذا راوا المومنون الكفار ينسبونهم الى الضلال
والاول اظهر واشهر وما ارسلوا عليهم حافظين اي ما ارسل الكفار
حافظين على المومنين يحفظون اعمالهم ويشهدون برشدهم
وضلالهم فكانه قال تهكما بهم بالمومنين فضول منهم فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون يعني باليوم يوم القيامة اذ قد تقدم
ذكره فيضحك المومنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون معنى ثوب جوزي يقال ثوبه
واثابه اذا جازاه وهذه الجملة يحتمل ان تكون متصلة بما قبلها
في موضع معمول ينظرون فتوصل مع ما قبلها او تكون توقيفا
فيوقف قبلها وتكون معمول ينظرون محذوف حسبما ذكرنا في
ينظرون الذي قبل هذا وهذا ارجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

اذا السما انشقت اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشقيق
بالغمام او انفتاحها ابوابا وجواب اذا محذوف ليكون ابلغ في
التهويل اذ يقدر السامع اقصى ما يتصور وحذف للعلم به
اكتفا بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب
اذنت على زيادة الواو ودل عليه فملاقيه اي لاقي الانسان ربه
وقيل الجواب اذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف واذنت لربها
معنى اذنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها
وانما انقادت لله حين اراد انشقاقها وكذلك طاعة الارض لما اراد
مدها والقاما فيها وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع لربها
او حق لها ان تنشق من اهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم
هو حقيق بكذا او محقوق به اي يجب عليه ان يفعله فالمعنى حقيق
على السما ان تسمع وتطيع لربها او يحق عليها ان تنشق ويحتمل
ان يكون اصله حققت بفتح الحا وضم القاف على معنى التعجب

ثم

ثم ادغمت التا في القاف التي بعدها ونقلت حركتها الى الحا واذا الارض
مدت اي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية والقت ما فيها
وتخلت اي القت ما في جوفها من الموتى للحشر وقيل القت ما فيها
من الكنوز وهذا ضعيف لان ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل
القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت اي بقيت خالية
ماكان فيها يايها الانسان خطاب للجنس انك كادح الى ربك الكدح
في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى انك في غاية الاجتهاد
في السير الى ربك لان الزمان يطير وانت في كل لحظة تقطع حظا
من عمرك القصير فكانك سائر مسرع الى الموت ثم تلاقي ربك
وقيل المعنى انك في جد فيما تعمل من خير او شر ثم تلقى ربك فيجازيك
به والاول اظهر لان كادح تعدى بالي لما تضمن معنى السير ولو
كان بمعنى السير لربك فاما من اوتي كتابه بيمينه ذكر في الحاقة
فسوف يحاسب حسابا يسيرا يحتمل ان يكون اليسير بمعنى قليل
او بمعنى هين سهل وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عايشة الم يقل الله
فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما ذلك العرض واما من نوقش الحساب فيهلك وفي الحديث
ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدني العبد يوم
القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد
عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حاسب
نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة وينقلب
الى اهله مسرورا اي رجع الى اهله في الجنة مسرورا بما اعطاه
الله والاهل زوجاته في الجنة من نسا الدنيا او من الحور العين
ويحتمل ان يريد قرابته من المومنين وبذلك فسره الزمخشري

واما من اوتي كتابه وراء ظهره يعني الكافر وروي ان هاتين الايتين
نزلتا في ابي سلمة بن عبد الاسد وكان من فضلا المومنين وفي اخيه
الاسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها اعم من ذلك فان قيل كيف
قال في الكافر هنا انه يوتي كتابه وراء ظهره وقال في الحاقة بشماله
فالجواب من وجهين احدهما ان يديه تكون مغلولتين الى عنقه
وتجعل شماله وراء ظهره فياخذ بها كتابه وقيل تدخل يده
اليسرى في صدره وتخرج من وراء ظهره فياخذ بها كتابه فسوف
يدعوا ثبورا اي يصيح بالويل والثبور انه كان في اهله مسرورا
اي كان في الدنيا مسرورا مع اهله متنعما غافلا عن الاخرة وهذا
في مقابلة ما حكي عن المومن انه ينقلب الى اهله مسرورا
في الجنة وهو ضد ما حكي عن المومنين في الجنة من قولهم انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور اي ان لا يرجع الى الله
والمعنى انه يكذب بالبعث بلى اي يحور ويبعث فلا اقسم قد ذكر في نظايره
بالشفق هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وقال ابو حنيفة
هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والاول هو المعروف
عند الفقها وعند اهل اللغة والليل وما وسق اي جمع وضم ومنه
الوسق وذلك ان الليل يضم الاشيا ويسترها بظلامه والقمر اذا اتسق
اي اذا كمل ليلة اربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من
الوسق فهي امتلا نورا وفي الاية مواد وان البيان لزوم ما لا فكأنه
يلزم لالتزام السين قبل القاف في وسق واتسق لتركبن طبقا عن
طبق الطبق في اللغة له معنيان احدهما ما طابق غيره يقال هذا
طبق لهذا اذا طابقه والاخر جمع طبقة فعلى الاول يكون المعنى
لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للاخرى وعلى الثاني
يكون المعنى لتركبوا احوالا بعد احوال هي طبقات بعضها فوق بعض
ثم اختلف في تفسير هذه الاحوال وفي قراءة تركبن فاما من قراه بضم

الباء

الباء فهو خطاب لجنس الانسان وفي تفسير الاحوال على هذا ثلاثة
اقوال احدها انها شدايد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزا والاخر
انها كون الانسان نطفة ثم علقة الى ان يخرج الى الدنيا الى ان يهرم
ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم واما من قرا تركبن بفتح
الباء فهو خطاب للانسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا وقيل
هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القايلون على
ثلاثة اقوال احدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والاخر
لتركبن فتح البلاد شيا بعد شي والثالث لتركبن السموات في الاسرا
سما بعد سما وقوله عن طبق في موضع الصفة لطبقا او في موضع
حال من الضمير في تركبن قاله الزمخشري فما لهم لا يومنون الضمير
لكفار قريش والمعنى اي شي يمنعهم من الايمان واذا قرئ عليهم القران
لا يسجدون هذه موضع سجدة عند الشافعي وغيره لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليس عند مالك من عزايم
السجدات بل الذين كفروا يعني المذكورين ووضع الظاهر موضع المضمر
ليصفهم بالكفر والله اعلم بما يوعون اي بما يجمعون في صدورهم من
الكفر والتكذيب او بما يجمعون في صحايفهم يقال اوعيت المال وغيره
اذا جمعته فبشرهم بعذاب اليم وضع البشارة موضع النذارة
تهكما بهم الا الذين امنوا يعني من تخبي له بالايمان من هولا الكفار
فالاستثنا على هذا متصل والى هذا اشار الزمخشري وقال ابن
ابن عطية عطية الزمخشري هو منقطع اجر غير ممنون قد ذكر

سورة البروج

والسماء ذات البروج البروج هي المنازل المعروفة وهي اثنى عشر
تقطعها الشمس في سنة وقيل هي النجوم العظام لانها تتبرج اي تظهر
واليوم الموعود هو يوم القيامة باتفاق وقد روي ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشاهد ومشهود يحتمل الشاهد والمشهود

ان يكون من الشهادة على الامر او يكون من معنى الحضور وحذف المعمول
وتقديره مشهود عليه او مشهود به او مشهود فيه واضطرب
الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما وتلخيص من
اقوالهم في الشاهد ستة عشر قولا يقابلها في المشهود اثني عشر
قولا الاول ان الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا
والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون الخلق بمعنى
انه يشهد عليهم والاخر ان يكون الاعمال بمعنى انه يشهد بها
والثالث ان يكون يوم القيامة بمعنى انه يشهد فيه اي يحضر
للحساب والجزا او تقع فيه الشهادة على الناس القول الثاني
ان الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله ويكون الرسول
عليكم شهيدا والمشهود على هذا يحتمل ان يكون امته لانه يشهد
عليهم او اعمالهم لانه يشهد بها او يوم القيامة لانه يشهد فيه
اي يحضر او تقع فيه الشهادة على الامة القول الثالث ان الشاهد
امة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وتكونوا شهدا على الناس
والمشهود على هذا ساير الامم لانهم يشهدون عليهم او اعمالهم او
يوم القيامة القول الرابع ان الشاهد هو عيسى عليه السلام
والمشهود امته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم او اعمالهم
او يوم القيامة الخامس ان الشاهد جميع الانبيا والمشهود اممهم
لان كل نبي يشهد على امته او يشهد باعمالهم او يوم القيامة لانه
يشهد فيه القول السادس الشاهد الملايكة الحفظة والمشهود
على هذا الناس لان الملايكة يشهدون عليهم او الاعمال
لان الملايكة يشهدون بها او يوم القيامة او صلاة الصبح لقوله
ان قران الفجر كان مشهودا القول السابع ان الشاهد جمع الناس
لانهم يشهدون يوم القيامة اي يحضرونها والمشهود يوم القيامة
لقوله فذلك يوم مشهود القول الثامن ان الشاهد الجوارح والمشهود

عليه اصحابها لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم او الاعمال لان الجوارح تشهد بها او يوم القيامة لان الشهادة
تقع فيه القول التاسع ان الشاهد الله والملايكة واولوا العلم
لقوله شهد الله والملايكة واولوا العلم والمشهود به الوحدانية — انه لا اله الا هو
القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود
خالقها واثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك القول
الحادي عشر ان الشاهد النجم لما ورد في الحديث لا صلاة بعد
العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار
لان النجم يشهد بانقضا النهار ودخول الليل القول الثاني عشر
الشاهد الحجر الاسود والمشهود الناس الذين يحجون القول
الثالث عشر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشاهد
يوم الجمعة والمشهود عرفه وذلك ان يوم الجمعة يشهد بالاعمال
ويوم عرفه يشهده جمع عظيم من الناس القول الرابع عشر ان
الشاهد يوم عرفه والمشهود يوم النحر قاله علي بن ابي طالب
القول الخامس عشر ان الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفه
القول السادس عشر ان الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة
قتل اصحاب الاخدود الكلام هنا في ثلاثة فصول الاول في جواب
القسم وفيه اربعة اقوال احدها انه قوله ان بطش ربك لشديد
والثاني انه ان الذين فتنوا المومنين والمومنات وهذان القولان
ضعيفان لبعد القسم من الجواب وثالثها انه قتل اصحاب الاخدود
تقديره لقد قتل ورابعها انه محذوف يدل عليه قتل اصحاب
الاخدود تقديره لقد قتل هولا الكفار كما قتل اصحاب الاخدود
وذلك ان الكفار من قريش كانوا يعذبون من اسلم من قومهم
ليرجعوا عن الاسلام فذكر الله قصة اصحاب الاخدود وعيد الكفار
وتانيسا للمسلمين المعذبين الفصل الثاني في تفسير لفظها

واما قتل فاختلف هل هو دعا او خبر واختلف هل هو بمعنى القتل
حقيقة او بمعنى لعن واما الاخدود فهو الشق في الارض كالخندق
وشبهه واما اصحاب الاخدود فيحتمل ان يريد به الكفار الذين
كانوا يحرقون المومنين في الاخدود او يريد المومنين الذين
حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبرا الفصــــل الثالث
في قصة اصحاب الاخدود وفيها اربعة اقوال الاول ما ورد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل معناه ان
ملكا كافرا اسلم اهل بلده فامر بالاخدود فحفرت في افواه السكك
واضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فالقوه فيها
الثاني ان ملكا زنى باخته ثم اراد ان يحل للناس نكاح الاخوات
فاطاعه قوم ومنهم اخذ المجوس ذلك وعصاه قوم فحفر لهم
الاخدود واحرقهم فيه بالنار القول الثالث ان نبي اصحاب
الاخدود كان حبشيا وان الحبشة بقية اصحاب الاخدود القول
الرابع ان اصحاب الاخدود ذو نواس المذكور في قصة عبد الله
ابن التامر التي وقعت في السير ويحتمل ان يكون ذو نواس الملك
الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيتفق هذا القول مع الاول
فان ذا نواس حفر الاخدود واوقد فيه نيرانا والقى فيها
كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر
النار ذات الوقود النار بدل من الاخدود وهو بدل اشتمال
والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم
اذ هم عليها قعود الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المومنين في
الاخدود وهم اصحاب الاخدود على الاظهر والعامل في اذ قوله
قتل فروي ان النار احرقت من المومنين عشرين الفا وقيل
سبعين الفا فقتل على هذا بمعنى لعن اي لعنوا حين قعدوا حول
النار لتحريق المومنين وروي ان الله بعث على المومنين ريحا

فقبضت

فقبضت ارواحهم وخرجت النار فاحرقت الكفار الذين كانوا عليها
فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي اي قتلتهم النار وقيل الضمير
في اذ هم للمومنين والاول اشهر واظهر لقوله وهم على ما يفعلون
بالمومنين شهود وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود يحتمل
ان يكون بمعنى الشهادة اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه
فعل ما امره الملك من التحريق او يشهد بذلك على انفسهم
يوم القيامة او يكون بمعنى الحضور اي كانوا حاضرين على ذلك
الفعل وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله اي ما انكر الكفار على
المومنين الا انهم امنوا بالله وهذا لا ينبغي ان ينكر فان قيل
لم قال ان يومنوا بلفظ المضارع ولم يقل امنوا بلفظ الماضي لان
القصة قد وقعت فالجواب ان التعذيب انما كان على الايمان
ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل
فكانه قال الا ان يدوموا على الايمان ان الذين فتنوا المومنين
والمومنات ان كانت هذه الاية في اصحاب الاخدود فالفتنة
هنا بمعنى الاحراق وان كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى
المحنة والتعذيب وهذا اظهر لقوله ثم لم يتوبوا لان اصحاب
الاخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم واما قريش فمنهم
من اسلم وتاب وفي الاية دليل ان الكافر اذا اسلم يغفر له
ما فعل في حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام
يجب ما قبله ولهم عذاب الحريق يحتمل ان يكون في الاخرة
فيكون تاكيدا لعذاب جهنم او نوعا من العذاب زيادة الى عذاب
جهنم ويحتمل ان يريد في الدنيا وذلك على رواية ان الكفار
اصحاب الاخدود احرقتهم النار ان بطش ربك لشديد البطش
الاخذ بقوة وسرعة انه هو يبدي ويعيد اي يبدي الخلق
بالنشاة الاولى ويعيدهم بالنشاة الاخرة للبعث وقيل يبدي

البطش ويعيده اي يبطش بهم في الدنيا والاخرة او الاول اظهر وارجح لقوله انه يبدو الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا الودود في اللغات **ذو العرش المجيد** اضاف العرش الي الله وخصه بالذكر لان العرش اعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقري المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش **هل اتاك** توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الامر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتانيس النبي صلي الله عليه وسلم والله **من ورايهم محيط** تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه اذ انشاه **في لوح محفوظ** يعني اللوح المحفوظ الذي في السما وقري محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقران اي حفظه الله من التبديل والتغيير او حفظه المومنون في صدورهم

سورة الطارق

والسما والطارق هذه السما التي اقسم الله بها هي المعروفة وقيل اراد المطولات العرب قد تسميه سما وهذا بعيد والطارق في اللغة ما يطرق اي يجي بالليل وقد فسره الله هنا بانه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعني الثاقب المضي المرتفع فقيل اراد جنس النجوم وقيل الثريا لانه الذي تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لانه ارفع النجوم اذ هو في السما السابعة **ان كل نفس لما عليها حافظ** هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور ان كل نفس من بني ادم عليها حافظ يكتب اعمالها يعني الملايكة الحفظة وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم في تفسير هذه الاية ان لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء الي نفسه طرفة عين لاختطفته الافات والشياطين وان صح هذا الحديث فهو المعول عليه وقري لما عليها بتخفيف الميم وعلي هذا تكون ان مخففة من الثقيلة واللام المتاكدة

وما

وما زايدة وقري لما بالتشديد وعلي هذا تكون ان نافية ولما بمعني الايجاب بعد النفي **فلينظر الانسان مم خلق** حذف الف ما لانها استفهامية وجوابها خلق من ما دافق وسمي المني ما دافقا من الدفق بمعني الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة وقال سيبويه هو علي النسب اي ذو دفق وقال ابن عطية يصح ان يكون الما دافقا لان بعضه يدفع بعضا ومقصود الاية اثبات الحشر فامر الانسان ان ينظر في خلقته ليعلم ان الذي خلقه من ما دافق قادر علي ان يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله انه لما اخبر ان كل نفس عليها حافظ يحفظ اعمالها اعقبه بالتنبيه علي الحشر حيث تجازي كل نفس باعمالها **يخرج من بين الصلب والترايب** الضمير في يخرج للما وقال ابن عطية يحتمل ان يكون للانسان وهذا بعيد جدا والترايب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هي الاطراف كاليدين والرجلين وقيل هي عصارة القلب ومنها يكون الولد وقيل هي الاضلاع التي اسفل الصلب والاول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس هو مواضع القلادة ما بين ثدي المراة ويعني صلب الرجل وترايبه وصلب المراة وترايبها وقيل اراد صلب الرجل وترايب المراة **انه علي رجعه لقادر** الضمير في انه لله تعالي وفي رجعه للانسان والمعني ان الله قادر علي رجع الانسان حيا بعد موته والمراد اثبات البعث وقيل المعني رده ماكما كان اول مرة وقيل رده من الكبر الي الشباب وقيل الضمير في رجعه للما الدافق والمعني رده في الاحليل او في الصلب وهذا كله ضعيف والقول الاول هو الصحيح المشهور **يوم تبلي السراير** يعني يوم القيامة والسراير جمع سريرة وهي ما اسر العبد في نفسه من العقايد

والنيات وما خفي من الاعمال وبلاوها هو تعرفها والاطلاع عليها
وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم ان السراير الايمان والصلاة
والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر
والعامل في يوم قوله رجعه اي يرجعه يوم تبلي السراير
واعترض بالفصل بينهما واجيب بقوة المصدر في العمل وقيل
العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا
لا يلزم لان القدرة وان كانت مطلقة فقد اخبر الله ان البعث
انما يقع في ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين
في القولين المتقدمين العامل فعل مضمر من المعني تقديره
يرجعه يوم تبلي السراير والمعترض بالفصل بينهما وهذا
كله علي المعني الصحيح في رجعه واما علي الاخر فالعامل في يوم
مضمر تقديره اذكر فما له من قوة ولا ناصر الضمير للانسان
ولما كان دفع المكاره في الدنيا اما بقوة الانسان او بنصرة
غيره له اخبر الله انه يعدمهما يوم القيامة والسماء ذات الرجع
المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لانه
يرجع كل عام او لانه يرجع الي الارض وقيل الرجع السحاب
الذي فيه المطر وقيل هو مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب
من منزلة الي منزلة والارض ذات الصدع يعني ما تتصدع
عنه الارض من النبات وقيل يعني ما في الارض من الشقاق
والخنادق وشبهها انه لقول فصل الضمير للقران لان سياق
الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي يفصل بين الحق والباطل
كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني انه جد كله انهم يكيدون
كيدا الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه في شان رسول
الله صلي الله عليه وسلم من الاضرار به وابطال امره واكيد كيدا
هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين فمهل الكافرين

اي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم وهذا منسوخ بالسيف امهلهم
رويدا اي امهالا يسيرا قليلا يعني الي قتلهم يوم بدر او الي
الدار الاخرة وجعله يسيرا لان كل ات قريب ولفظ رويدا هذا
صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعني الامر في التساهل كقولك
رويدا يا فلان وكرر الامر في قوله امهلهم وخالف بينه وبين
فمهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري

سورة الاعلي جل جلاله

سبح اسم ربك الاعلي التسبيح في اللغة التنزيه وذكر الاسم
هنا يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد المسمي ويكون الاسم
صلة كالزايد ومعني الكلام سبح ربك اي نزهه عما لا يليق به
وقد يتخرج ذلك علي قول من قال ان الاسم هو المسمي والاخر
ان يكون الاسم هنا مقصودا بالذكر ويحتمل المعني علي هذا
اربعة اوجه الاول تنزيه اسما الله عن المعاني الباطلة كالتشبيه
والتعطيل الثاني تنزيه اسما الله عن ان يسمي بها صنم او وثن
الثالث تنزيه اسما الله عن ان تذكر حال الغفلة دون خشوع
الرابع المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح لا بد فيه من ذكر
الاسم اوقع التسبيح علي الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده
ما ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان اذا قرا هذه
الاية قال سبحان ربي الاعلي وانها لما نزلت قال اجعلوها في سجودكم
فدل ذلك علي ان المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب
ولا بد في التسبيح من ذكر اسم الله تعالي فلذلك قال سبح اسم ربك
الاعلي مع انه قال ان التسبيح في الحقيقة انما هو لله تعالي لا لاسمه
وانما ذكر الاسم لانه هو الذي يوصل به الي التسبيح باللسان
وعلي هذا يكون موافقا في المعني لقوله فسبح بحمد ربك لان
معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس

ان معنى سبح صل باسم ربك اي صل واذكر في الصلاة اسم ربك
والاعلى يحتمل ان يكون صفة للرب او للاسم والاول اظهر الذي
خلق فسوى حذف مفعول خلق وسوى لقصد الاجمال الذي
يفيد العموم والمراد خلق كل شي فسواه اي اتقن خلقته وانظر
ما ذكرنا في قوله فسواك فعدلك والذي قدر فهدى قدر
بالتشديد يحتمل ان يكون من القدر والقضا او من التقدير والموازنة
بين الاشيا وقرى بالتخفيف فيحتمل ان يكون من القدرة او
التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فان كان من التقدير
فالمعنى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه
وجه الانتفاع به وقيل هدى ذكور الحيوان الى وطي الاناث
لبقا النسل وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص الثدي
وقيل هدى الناس الى الخير والشر والبهايم للمراتع وهذه
الاقوال امثلة والاول اعم وارجح فان هداية الانسان
وساير الحيوانات الى مصالحها باب واسع فيه عجايب وغرايب
وقال الفرا المعنى هدى واضل واكتفى بالواحدة لدلالتها
على الاخرى وهذا بعيد والذي اخرج المرعى فجعله غثا احوى
المرعى هو النبات الذي ترعاه البهايم والغثا هو النبات اليابس
المحتطم وقد يقال للزبل غثا واحوى معناه اسود وقيل صفة
لغثا والمعنى ان الله اخرج المرعى ومعناه الاخضر الذي يصير
الى السواد وفي الكلام على هذا تقديم وتاخير تقديره الذي
اخرج المرعى احوى فجعله غثا وفي هذا القول تكلف سنقريك
فلا تنسى هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعده الله
ان يقريه القران فلا ينساه وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة
والسلام لانه كان اميا لا يكتب وبحيث كان مع ذلك لا ينسى

ما اقراه

ما اقراه جبريل عليه السلام من القران وقيل معنى الاية كقوله
لا تحرك به لسانك الاية فانه عليه الصلاة والسلام كان يحرك
به لسانه اذا اقراه جبريل خوفا ان ينساه فضمن الله له
ان لا ينساه وقيل فلا تنسى نهي عن النسيان وقد علم الله ان ترك
النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الامر بتعاهده حتى لا ينسا
وهذا بعيد لاثبات الالف في تنسى
فيه وجهان احدهما ان معناه لا تنسى الا ما شا الله ان تنساه كقوله
او ننسها والاخر انه لا ينسى شيا ولكن قال الا ما شا الله تعظيما
لله باسناد الامر اليه كقوله خالدين فيها الا ما شا الله على
بعض الاقوال وعبر الزمخشري عن هذا بانه من استعمال التقليل
في معنى النفي والاول اظهر لان النسيان جايز على النبي صلى
الله عليه وسلم فيما اراد الله ان يرفعه من القران وفيما قضى
الله ان ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
حين سمع قراة عباد بن بشر رحمه الله لقد اذكرني كذا اية
كنت قد انسيتها ونيسرك لليسرى عطف على سنقريك
ومعناه نوفقك للامور المرضية التي توجب لك السعادة
وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام
دين الله يسر اي سهل لا حرج فيه فذكر ان نفعت الذكرى
المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى واستبعاد
تاثير الذكرى في قلوبهم كقولك قد وعظتك لو سمعت وقيل
معناه فذكر ان نفعت الذكرى وان لم تنفع واقتصر على
احد القسمين لدلالته الاخر عليه وهذا بعيد وليس عليه
الرونق الذي على الاول سيذكر من يخشى اي من يخاف الله
ويتجنبها الاشقى يعني الكافر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعتبة بن ربيعة والضمير المفعول للذكرى النار الكبرى

هي نار جهنم وسماها كبري بالنظر الي نار الدنيا وقيل سماها
كبري بالنظر الي غيرها من نار جهنم فانها تتفاضل وبعضها
اكبر من بعض وكلا القولين صحيح الا ان الاول اظهر ويؤيده
قوله رسول الله صلي الله عليه وسلم ناركم هذه
التي توقدون جزء من سبعين جزا من نار جهنم ثم لا يموت
فيها ولا يحيي اي لا يموت فيستريح ولا يحيي حياة هنية
وعطف هذه الجملة لان هذه الحالة اشد من صلي النار
فكانها بعده في الشده قد افلح من تزكي يحتمل ان يكون تزكي
بمعني الطهارة من الشرك والمعاصي او بمعني الطهارة للصلاة
او بمعني اداء الزكاة وعلي هذا قال جماعة انها في يوم الفطر
والمعني ادي زكاة الفطر وذكر اسم ربك في طريق المصلي فصلي
صلاة العيد وقد روي هذا عن النبي صلي الله عليه وسلم
وقيل المراد ادي زكاة ماله وصلي الصلوات الخمس ان هذا
الاشارة الي ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب
في الاخرة او الي ما تضمنته السورة او الي القران بجملته
والمعني انه ثابت في كتب الانبيا المتقدمة كما ثبت في هذا الكتاب

انا يخرج الامام

سورة الغاشية

هل اتاك توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للامر وقيل
هل بمعني قد وهذا ضعيف الغاشية هي القيامة لانها تغشي
جميع الخلق وقيل هي النار من قوله وتغشي وجوههم النار
وهذا ضعيف لانه ذكر بعد ذلك قسمين اهل الشقاوة واهل
السعادة خاشعة اي ذليلة عاملة ناصبة هو من النصب
بمعني التعب وفي المراد بهم ثلاثة اقوال احدها انهم الكفار
ويحتمل علي هذا ان يكون عملهم ونصبهم في الدنيا لانهم كانوا
يعملون اعمال السوء ويتعبون فيها او يكون في الاخرة فيعملون

عملا

عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والاغلال وشبه ذلك ويكون
زيادة في عذابهم الثاني انها في الرهبان الذين يجتهدون في
العبادة ولا تقبل منهم لانهم علي غير الاسلام وبهذا تاول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبكي رحمة لراهب نصراني راه
مجتهدا فعاملة ناصبة علي هذا في الدنيا وناصبة اشارة
الي اجتهادهم في العمل او الي انه لا ينفعهم فليس لهم منه
الا النصب الثالث انها في القدرية وقد روي ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكي وقال ان فيهم
المجتهد تسقي من عين انية اي شديدة الحر ومنه حميم ان
ووزن انية هنا فاعلة بخلاف انية من فضة فان وزنه افعلة
ليس لهم طعام الا من ضريع في الضريع اربعة اقوال احدها
انه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل وهذا ارجح الاقوال
لان ارباب اللغة ذكروه ولان النبي صلي الله عليه وسلم قال
ان الضريع شوك في النار الثاني انه الزقوم لقوله ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم الثالث انه نبات اخضر نتن ينبت في
البحر وهذا ضعيف الرابع انه واد في جهنم وهذا ضعيف لان
ما يجري في الوادي ليس بطعام انما هو شراب وشذ من قال
الضريع طعام اهل النار فانه عم وسلم من عهدة التعيين
واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعني المشابهة لانه
يشبه الطعام الطيب وليس به وقيل هو بمعني مضروع
البدن اي مضعف البدن وقيل ان العرب لا تعرف هذا اللفظ
فان قيل كيف قال هنا ليس لهم طعام الا من ضريع وقال
في الحاقة ولا طعام الا من غسلين فالجواب ان الضريع لقوم
والغسلين لقوم او يكون احدهما في حال والاخر في حال
لا يسمن ولا يغني من جوع هذه الجملة صفة للضريع او للطعام

تي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وازالة الجوع وجوه يومئذ
ناعمة اي منعمة في الجنة او يظهر عليها نظرة النعيم لسعيها
راضية اي راضية في الاخرة لاجل سعيها وهو عملها في
الدنيا في جنة عالية يحتمل ان يكون من علو المكان او من علو
المقدار او الوجهين لا يسمع فيها لاغية هو من لغو الكلام
ومعناه اللغو وما يكره فيحتمل ان يريد كلمة لاغية او
جماعة لاغية فيها عين جارية يحتمل ان يريد جنس العيون
او واحدة شرفها بالتعيين واكواب موضوعة قد ذكرنا
اكواب ومعني موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفي قوله
مرفوعة وموضوعة مطابقة ونمارق جمع نمرقة وهي
الوسادة وزرابي هي بسط فاخرة وقيل هي الطنافس
واحدها زربية مبثوثة اي متفرقة وذلك عبارة عن
كثرتها وقيل مبسوطة افلا ينظرون الي الابل حض علي
النظر في خلقتها لما فيها من العجايب في قوتها وانقيادها
مع ذلك لكل ضعيف وصبرها علي العطش وكثرة المنافع
التي فيها من الركوب والحمل عليها واكل لحومها وشرب البانها
وابوالها وغير ذلك وقيل اراد بالابل السحاب وهذا بعيد
وانما حمل قايله عليه مناسبتها للسما والارض والجبال
والصحيح انها الحيوان المعروف وانما ذكره لما فيه من العجايب
ولاعتنا العرب به اذ كانت معايشهم في الغالب منه وهو
اكثر المواشي في بلادهم لست عليهم بمصيطر اي قاهر مسلط
وهذا من المنسوخ بالسيف الا من تولي استثنا منقطع معناه
لكن من تولي وكفر فيعذبه الله وقيل هو استثنا من مفعول
فذكر والمعني ذكر كل احد الا من تولي حتي يئست منهم فهو
علي هذا متصل وقيل هو استثنا من قوله لست عليهم

بمصيطر

بمصيطر اي لا تسلط الا علي من تولي وكفر وهو علي هذا متصل
لا نسخ فيه اذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لان السورة مكية
والموادعة بمكة ثابتة ان الينا ايابهم اي رجوعهم
والاية بعد بعد

سورة والفجر

والفجر هو الطالع كل يوم كما اقسم بالصبح وقيل اراد صلاة الفجر
وقيل اراد النهار كله وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر
وقيل فجر ذي الحجة ولا دليل علي هذه التخصيصات وقيل
اراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والاول اظهر واشهر
وليال عشر ذي الحجة هي عشر عند الجمهور وقيل العشر
الاول من المحرم وفيها يوم عاشور وقيل العشر من رمضان
وقيل العشر الاول منه والشفع والوتر روي عن النبي
صلي الله عليه وسلم ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة
وذلك لان النحر عاشر بعده شفع ويوم عرفة تاسع بعده
وتر وروي عنه عليه الصلاة والسلام ان الشفع يوم
عرفه ويوم الاضحي والوتر ليلة النحر وروي عنه عليه
الصلاة والسلام انها الصلاة منها شفع ووتر وقيل
الشفع التنفل بالصلاة مثني مثني والوتر الركعة الواحدة
المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لانه واحد وقيل
الشفع ادم وحوي والوتر الله تعالي وقيل الشفع الصفا
والمروة والوتر البيت الحرام وقيل الشفع ابواب الجنة
لانها ثمانية والوتر ابواب النار لانها سبعة وقيل الشفع
قران الحج والوتر افراده وقيل المراد الاعداد منها شفع
ووتر فهذه عشرة اقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها
وهما لغتان والليل اذا يسري اي اذا يذهب فهو كقوله والليل
اذ ادبر وقيل اراد يسري فيه فهو علي هذا كقولهم ليله

قايم والمراد ليلة جمع لانها التي يسري فيها والاول اشهر واظهر
هل في ذلك قسم لذي حجر هذا توقيف يراد به تعظيم الاشيا
التي اقسم بها والحجر هنا هو العقل كانه يقول اذ هذا القسم
عظيم عند ذوي العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن
الله الكفار ويدل علي ذلك ما ذكر بعده من اخذ عاد وثمود
وفرعون ارم هي قبيلة عاد سميت باسم احد اجدادها كما
يقال هاشم لبني هاشم واعرابه بدل من عاد او عطف بيان
وفايدته ان المراد عاد الاولي فان عاد الثانية لا يسمون
بهذا الاسم وقيل ارم اسم مدينتهم فيكون علي حذف مضاف
تقديره بعاد دعاد ارم ويدل علي هذا قراءة ابن الزبير بعاد
ارم علي الاضافة من غير تنوين عاد وامتنع ارم من الصرف
علي القولين للتعريف والتانيث ذات العماد من قال ارم
قبيلة قال العماد عمد بنيانهم من الشعر لانهم كانوا اهل
عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول ابدانهم ومن
قال ارم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور
والابراج التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة للقبيلة لانهم
كانوا اعظم الناس اجساما يقال كان طول الرجل منهم اربعماية
ذراع او صفة للمدينة وهذا اظهر لقوله في البلاد ولانها
كانت احسن مداين الدنيا وروي انما بناها شداد بن عاد
في ثلاثماية عام وكان عمره تسعماية عام وجعل قصورها
من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها انواع الشجرات والانهار الجاريات وروي انه سمع
ذكر الجنة فاراد ان يعمل مثلها فلما اتمها وسار اليها باهل
مملكته اهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن
وروي ان بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية

وقيل

وقيل هي دمشق وقيل الاسكندرية وهذا ضعيف جابوا
الصخر بالوادي اي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادي ما بين
الجبلين وان لم يكن فيه ما وقيل اراد وادي القري
وفرعون ذي الاوتاد ذكر في سورة ص الذين طغوا في البلاد
صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز ان يكون منصوبا
علي الذم او خبرا بتدا مضمر فصب عليهم ربك صوط عذاب
استعار الصوت للعذاب لانه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه
السيف وغيره قاله ابن عطيه وقال الزمخشري ذكر الصوت
اشارة الي عذاب الدنيا اذ هو اهون من عذاب الاخرة كما
ان السوط اهون من القتل ان ربك لبالمرصاد عبارة عن
انه تعالي حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ورقيب علي
كل انسان وانه لا يفوته احد من الجبابرة والكفار وفي ذلك
تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذي يترقب
فيه الرصد فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه الابتلا هو
الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة علي العبد بما يبدوا
منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والانسان هنا
جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهو مع ذلك
علي العموم فيمن كان علي هذه الصفة وذكر الله في هذه
الاية ابتلاه للانسان بالخير ثم ذكر بعد ذلك ابتلاوه
بالشر كما قال ونبلوكم بالخير والشر فتنة وانكر عليه
قوله حين الخير ربي اكرمني وقوله عند الشر ربي اهانني
ويتعلق بالاية سوالان السوال الاول لم انكر الله علي
الانسان قوله ربي اكرمني وربي اهانني والجواب من
وجهين احدهما ان الانسان يقول ربي اكرمني علي وجه
الفخر بذلك والكبر لا علي وجه الشكر ويقول ربي اهانني

علي وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضا الله فانكر
ما يقتضيه كلامه من ذلك فان الواجب عليه ان يشكر علي
الخير ويصبر علي الشر والاخران الانسان اعتبر الدنيا فجعل
بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه اهانة وليس الامر
كذلك فان الله قد يبسط الرزق لاعدايه ويضيقه علي اوليايه
فانكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الاخره وهذا
الانكار من هذا الوجه علي المومن واما الكافر فانما اعتبر
الدنيا لانه لا يصدق بالاخرة ويري ان الدنيا هي الغاية
فانكر ما يقتضيه كلامه من ذلك السوال الثاني
ان قيل قد قال الله فاكرمه فاثبت اكرامه فكيف انكر
عليه قوله ربي اكرمني فالجواب من ثلاثة اوجه احدها
انه لم ينكر عليه ذكره للاكرام وانما انكر عليه ما يدل
عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر او من اعتبار الدنيا
دون الاخرة حسبما ذكرنا في معنى الانكار الثاني
انه انكر عليه قوله ربي اكرمني اذ اعتقد ان اكرام الله
له باستحقاقه للاكرام لا علي وجه التفضل والانعام
كقول قارون انما اوتيته علي علم عندي الثالث ان الانكار
انما هو لقوله ربي اهانني لا لقوله ربي اكرمني فان قوله
ربي اكرمني اعتراف بنعمة الله وقوله ربي اهانني شكاية
من فعل الله فقدر عليه رزقه اي ضيقه وقري بتشديد
الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفي التشديد مبالغة وقيل
معنى التشديد جعله علي قدر معلوم كلا زجر عما انكر
من قول الانسان بل لا تكرمون اليتيم هذا ذم لما انكر من
الاعمال القبيحة ومعنى هذا الاضراب بل كانه انكر علي
الانسان ما تقدم ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك

وهو

وهو ان لا تكرمون اليتيم وما ذكر بعده قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم احب البيوت الي الله بيت فيه يتيم مكرم
ولا تحضون علي طعام المسكين الحض علي الامر هو الترغيب
فيه ومن لا يحض غيره علي امر فلم يفعله هو كانه ذم لترك
طعام المسكين والطعام هنا بمعنى الاطعام وقيل هو علي
حذف مضاف تقديره لا يحضون علي بذل طعام المسكين
وقري تحاضون بفتح الحا والف بعدها بمعنى لا يحض بعضهم
بعضا وياكلون التراث اكلا لما التراث هو ما يورث عن الميت
من المال والتا فيه بدل من واو واللم الجمع واللف فالتقدير
اكلا ذا لم وهو ان ياخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره
لان العرب كانوا لا يعطون من الميراث انثى ولا صغيرا بل ينفرد
به انما ينفرد به الرجال وتحبون المال حبا جما اي شديدا
كثيرا وهذا ذم للحرص علي المال وشده الرغبة فيه دكت
الارض اي سويت بذهاب جبالها وجاء ربك تاويله عند
المتاولين جا امره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه
ظهوره للخلق هنالك وهذه الاية وامثالها من المشكلات
التي يجب الايمان بها من غير تكييف ولا تمثيل والملك هو اسم
جنس فانه روي ان الملايكة كلهم يكونون صفوفا حول
الارض صفا صفا اي صفا بعد صف قد احدقوا بالجن والانس
وجي يوميذ بجهنم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوتي
يوميذ بجهنم معها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون
الف ملك يجرونها يوميذ يتذكر الانسان يوميذ بدل من
اذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب اذا دكت والمعنى
ان الانسان يتذكر يوم القيامة لاعماله في الدنيا ويندم
علي تفريطه وعصيانه والانسان هنا جنس وقيل يعني

عتبة بن ربيعة وقيل امية بن خلف **وانى له الذكرى** هذا على
حذف مضاف تقديره انى له الانتفاع بالذكرى كما تقول
ندم حين لم تنفعه الندامة **يقول ياليتني قدمت لحياتي**
فيه وجهان احدهما يريد الحياة في الاخرة فالمعنى ياليتني
قدمت عملا صالحا للاخرة والاخر انه يريد الحياة الدنيا
فالمعنى ياليتني قدمت عملا صالحا في حياتي فاللام على هذا
كقولك كتبت لعشر من الشهر **فيومئذ لا يعذب عذابه احد**
من قرا بكسر الذال من يعذب والثا من يوثق فالضمير في
عذابه ووثاقه لله والمعنى ان الله يتولى عذاب الكفار
ولا يكله الى احد ومن قرا بالفتح فالضمير للانسان اي لا يعذب
احد مثل عذابه ولا يوثق مثل وثاقه وهذه قراءة
الكسائي وروي ان ابا عمرو رجع اليها وهي قراءة حسنة
وقد رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **يا ايتها
النفس المطمئنة** اي المومنة يقينا قد اطمانت به بحيث
لا يتطرق اليها شك في الايمان وقيل المطمئنة التي لا تخاف
حينئذ ويويد هذا قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة
المطمئنة **ارجعي الى ربك** هذا الخطاب والندا يكون عند
الموت وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس الى الجنة
او النار والاول ارجح لما روي ان ابا بكر سال عن ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ان الملك سيقولها
لك عند موتك **راضية** معناه راضية بما اعطاه الله لها
او راضية عن الله ومعنى الراضية مرضية عند الله او ارضا ها
الله بما اعطاها **فادخلي في عبادي** بالتوحيد ومعناه ادخلي
في جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الاية في حمزة
وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه الكفار بمكة ولفظها

يعم

يعم كل نفس مطمئنة

سورة البلد

لا اقسم بهذا البلد اراد مكة باتفاق واقسم بها تشريفا لها ولا
زايدة **وانت حل بهذا البلد** هذه الجملة اعتراض بين القسم وما
بعده وفي معناها ثلاثة اقوال احدها ان المعنى انت حال
بهذا البلد اي ساكن لان السورة نزلت والنبي صلى الله عليه
وسلم بمكة والاخر ان معنى حل تستحل حرمتك ويوذيك
الكفار مع ان مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع
شجر وعلى هذا قيل لا اقسم نفي اي لا اقسم بهذا البلد
وانت تلحقك فيها اذاية الثالث ان معنى حل حلال يجوز
لك في هذا البلد ما شئت من قتل الكفار وغير ذلك مما
لا يجوز لغيرك وهذا هو الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم
ان هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والارض
لم يحل لاحد قبلي ولا يحل لاحد بعدي وانما احل لي ساعة من
نهار يعني يوم فتح مكة وفي ذلك اليوم امر عليه الصلاة
والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فان قيل
ان السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة فالجواب
ان هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة انت
مكرم يعني فيما يستقبل وقيل ان السورة على هذا مدنية
نزلت يوم الفتح وهذا ضعيف **ووالد وما ولد** فيه خمسة
اقوال احدها انه اراد ادم وجميع ولده الثاني نوح وولده
الثالث ابراهيم وولده الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام وولده الخامس كل جنس كل والد ومولود
وانما قال ما ولد ولم يقل من ولد اشارة الى تعظيم المولود
كقوله والله اعلم بما وضعت قاله الزمخشري **لقد خلقنا
الانسان في كبد** اي يكابد المشقات من هموم الدنيا والاخرة

قال بعضهم لا يكابد احد من المخلوقات ما يكابد ابن ادم واصل
الكبد من قولك كبد الرجل فهو اكبد اذا وجعت كبده وقيل
معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والانسان
على هذين القولين جنس وقيل الانسان ادم عليه
السلام ومعنى في كبد على هذا في السما وهذا ضعيف
والاول هو الصحيح ايحسب ان لن يقدر عليه احد
فيه قولان احدهما ان معناه ايظن ان لن يقدر عليه
احد على بعثه وجزائه والاخر ايظن ان لن يقدر احد ان
يغلبه فعلى الاول نزلت في جنس الانسان الكافر
وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو ابو الاسد رجل
من قريش كان شديد القوة وقيل عمرو بن عبد ود
وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن ابي طالب
يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام
وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت
الاية عند قوم في الوليد بن المغيرة فانه انفق مالا في
افساد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في
الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد اسلم وانفق في الصدقات
والكفارات فقال لقد اهلكت مالي منذ بعث محمد ايحسب
ان لن يقدر عليه احد يحتمل ان يكون هذا تكذيبا له في قوله
اهلكت مالا لبدا واشارة الى انه انفقه ريا وهديناه
النجدين اي طريقي الخير والشر فهو كقوله انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا وليس الهدى هنا بمعنى الارشاد
وقيل بمعنى ثديي الام فلا اقتحم العقبة الاقتحام الدخول
بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الاعمال الصالحة
المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل

لانها

لانها تصعب ويشق صعودها على النفوس وقيل هو جبل
في جهنم له عقبة لا يجاوزها الا من عمل هذه الاعمال
ولا هنا تحضيض بمعنى هلا وقيل هي دعا وقيل هي نافية
واعترض هذا القول بان لا النافية اذا دخلت على الفعل
لزم تكرارها واجاب الزمخشري بانها مكررة في المعنى
والتقدير فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا اطعم مسكينا
ثم كان من الذين امنوا يدل على التكرار لان التقدير فلا اقتحم
العقبة ولا امن وما ادراك ما العقبة تعظيم للعقبة ثم
فسرها بفك الرقبة وهو اعتاقها وبالاطعام وقرئ فك
رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة وهو على هذا تفسير
للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم
وفك الرقبة هو عتقها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اعتق رقبة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا
منه من النار وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم دلني على عمل اجوز به فقال فك الرقبة واعتق
النسمة فقال الاعرابي اليس هذا واحد فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك
الرقبة ان تعين في ثمنها وافدا اسارى المسلمين من ايدي
الكافرين فانه اعظم اجرا لانه واجب ولو استغرقت فيه
اموال المسلمين ولكنه لا يجزي في الكفارات عن عتق رقبة
او اطعام من قرا فك بالرفع قرا اطعام بالرفع عطف مصدر على
مصدر ومن قرا فك بالفتح قرا اطعم بفتح الهمزة والميم
فعطف فعلا على فعل في يوم ذي مسغبة اي ذي مجاعة
يقال سغب الرجل اذا جاع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة
ففيه اجر اطعام اليتيم وصلة الرحم او مسكينا ذا متربة

اي ذا حاجة يقال ترب الرجل اذا افتقر وهو ماخوذ من لصوقه
بالتراب وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه الذي
ماواه المزابل ثم كان من الذين امنوا ثم هنا للتراخي في الرتبة
لا في الزمان وفيها اشارة الي ان الايمان اعلي من العتق
والاطعام ولا يصح ان تكون للترتيب في الزمان لانه يلزم
ان يكون الايمان بعد العتق والاطعام ولا يقبل عمل الا من
يومن وتواصوا بالصبر اي وصي بعضهم بعضا بالصبر علي
قضا الله وكان هذا اشارة الي صبر المسلمين بمكة علي اذاية
الكفار وتواصوا بالمرحمة اي وصي بعضهم بعضا برحمة المساكين
وغيرهم وقيل المرحمة كل ما يودي الي رحمة الله الميمنة
جهة اليمين والمشيمة جهة الشمال وروي ان الميمنة
عن يمين العرش ويحتمل ان يكونا من اليمن والشوم
نار موصدة اي مطبقة مغلقة يقال اوصدت الباب اذا
اغلقته وفيه لغتان الهمز وتركت الهمز

سورة والشمس

والشمس وضحاها الضحي ارتفاع النهار الضو وكماله والضحي
بالفتح والمد بعد ذلك الي الزوال وقيل الضحي النهار كله
والاول هو المعروف في اللغة والقمر اذا تلاها اي تبعها
وفي تبعه لها ثلاثة اقوال احدها انه يتبعها في كثرة
الضو لانه اضوا الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر
والاخر انه يتبعها في طلوعه لانه يطلع بعد غروبها وذلك
في النصف الاول من الشهر والضمير الفاعل النهار لان
الشمس تنجلي بالنهار فكانه هو الذي جلاها وقيل
الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة او الارض
او الدنيا وهذا كله بعيد لانه لم يتقدم ما يعود الضمير

عليه

٥٧٤

عليه والليل اذا يغشاها اي يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل
لليل علي الاصح والسما وما بناها قيل ان ما في قوله وما بناها وما
طحاها وما سواها موصولة بمعني من والمراد الله تعالي وقيل انما
مصدرية كانه قال والسما وبنيانها وضعف الزمخشري ذلك
بقوله فالهمها فان المراد الله باتفاق وهذا القول يودي الي فساد
النظم وضعف بعضهم كونها موصولة لتقديم ذكر المخلوقات علي
الخالق فان قيل لم عدل عن من الي قوله ما في قول من جعلها
موصولة فالجواب انه فعل ذلك لارادة الوصفية كانه قال
والقادر الذي بناها طحاها اي مدها ونفس وما سواها تسوية
النفس اكمال عقلها وفهمها فان قيل لم نكر النفس فالجواب
من وجهين احدهما انه اراد الجنس لقوله علمت نفس ما احضرت
والاخر انه اراد نفس ادم والاول هو المختار فالهمها فجورها
وتقواها اي عرفها طريق الفجور والتقوي وجعل لها قوة يصح
معها اكتساب احد الامرين ويحتمل ان تكون الواو بمعني او كقوله
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا قد افلح من زكاها
هذا جواب القسم عند الجمهور وقال الزمخشري الجواب محذوف
تقديره ليدمدمن الله علي اهل مكة لتكذيبهم النبي صلي
الله عليه وسلم كما دمدم علي ثمود لتكذيبهم صالحا قال
واما قد افلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها علي
سبيل الاستطراد وهذا بعيد والفاعل بزكاها ضمير يعود
علي من والمعني قد افلح من زكا نفسه اي طهرها من الذنوب
والعيوب وقيل الفاعل ضمير الله تعالي والاول اظهر وقد
خاب من دساها اي حقرها بالكفر والمعاصي واصله دسس
بمعني اخفي فكانه اخفي نفسه لما حقرها وابدل من السين الاخيرة
حرف علة كقولهم تقضي اظفاري واصله تقضض بطغواها

هو معصد ومعني الطغيان قلبت فيه الياو واوا على لغة من يقول طغيت والبا المغا ونضة كتولك كتبت بالقلم او سببيه والمعني بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده واما ثمود فاهلكوا بالطاغية اذا انبعث اشقاها العامل في اذ كذبت او طغواها ومعني انبعث خرج الي عقر الناقة بسرعة ونشاط واشقاها هو الذي عقر الناقة وهو احيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل ان يكون اشقاها واقعا على جماعة لان افعل التي للتفضيل اذا اضفته يستوي فيه الواحد والجمع والاول اظهر واشهر فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله وسقياها منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله او احذروا ناقة الله وسقياها شربها من الما فعقروها نسب العقر الي جماعة لانهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم فدمدم عبارة عن انزال العذاب بهم وفيه تهويل بذنبهم اي بسبب ذنبهم وهو التكذيب او عقر الناقة فسواها قال ابن عطية تسوي القبيلة في الهلاك لم يفلت احد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة او التسوية وهو الهلاك اي لا يخاف عاقبة اهلاكهم ولا دركه عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة اعمالهم وفي ذلك احتقار لهم وقيل ان ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفا وبالواو وقيل في القراة بالواو ان الفاعل اشقاها والجملة في موضع الحال اي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد

اي سواها بينهم فلا يخاف عقباها ضمير الفاعل لله والضمير في عقباها للدمدمة

سورة والليل

والليل اذا يغشي اي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل اذا يغشيها او النهار لقوله يغشي الليل النهار او كل شي يستره الليل والنهار اذا تجلي اي ظهر وتبين

والنهار

٥٨٥

والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر وما خلق الذكر والانثى ما بمعني من والمراد بها الله تعالي وعدل عن من لقصد الوصف كانه قال والقادر الذي خلق الذكر والانثي ان سعيكم لشتي هذا جواب القسم ومعناه ان عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيات وشتي جمع شتيت فاما من اعطي اي اعطي ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك او اعطي حقوق الله من طاعته في جميع الاشيا واتقي الله وصدق بالحسني اي بالخصلة الحسنة وهي الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بانها لا اله الا الله او بالمثوبة الحسني وهي الجنة وقيل يعني الاجر والثواب علي الاطلاق وقيل يعني الخلف علي المنفق فسنيسره لليسري اي نهيئه للطريقة اليسري وهي فعل الخيرات وترك السيات وضد ذلك نيسره للعسري ومنه قوله صلي الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي يهيئه الله لما قدر له ويسهله عليه فعل الخير والشر واما من بخل واستغني اي بخل بماله او بطاعة الله على الاطلاق فيحتمل الوجهين لانه في مقابلة اعطي كما ان استغني في مقابلة اتقي في مقابلة اتقي وكذلك كذب بالحسني في مقابلة صدق بالحسني ونيسره للعسري في مقابلة نيسره لليسري ومعني استغني استغني عن الله فلم يطعه واستغني بالدنيا عن الاخرة ونزلت اية المدح في ابي بكر الصديق لانه انفق ماله في مرضات الله وكان يشتري من اسلم من العبيد ويعتقهم وقيل نزلت في ابي الدحداح وهذا ضعيف لانها مكية وانما اسلم ابو الدحداح بالمدينة وقيل ان اية الذم نزلت في ابي سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسري وقد اسلم ابو سفيان بعد ذلك وما يغني عنه ماله اذا تردي هذا نفي او استفهام بمعني الانكار واختلف في معني تردي علي اربعة اقوال الاول تردي اي هلك فهو مشتق من الردي وهو الموت او تردي اي سقط في القبر او سقط في جهنم

او تردي بالكافة من الردي ان علينا للهدي ان بيان الخير والشر
وليس المراد الارشاد عند الاشعرية خلافا للمعتزلة فانذرتكم
نارا تلظي خطاب من الله او من النبي صلي الله عليه وسلم لا يصلاها
الا الاشقي استدل المرجية بهذه الاية علي ان النار لا يدخلها
الا الكفار لقوله الذي كذب وتولي وتاولها الناس بثلاثة اوجه
احدها ان لا يصلاها صلي خلود الا الاشقي والاخر انه اراد
نارا مخصوصة الثالث انه اراد بالاشقي كافرا معينا وهو ابو
جهل وامية بن خلف وقابل به الاتقي وهو ابو بكر الصديق
فخرج الكلام مخرج المدح والذم علي المخصوص لا مخرج الاخبار
علي العموم يتزكي من الزكاة او من الزكاة اي يصير زكيا
عند الله او يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يوتي ماله
او حال من الضمير وما لاحد عنده من نعمة تجزي اي لا يفعل
الخير جزاء علي نعمة انعم بها عليه احد فيما تقدم بل يفعله ابتدا
خالصا لوجه الله وقيل المعني لا يقصد جزا من احد في المستقبل
علي ما يفعل والاول اظهر ويويده ما روي ان سبب الاية
ان ابا بكر الصديق لما اعتق بلالا قالت قريش كان بلال عنده
يد متقدمة فنفي الله قولهم الا ابتغا وجه ربه استثنا منقطع
ولسوف يرضي وعد بان يرضيه الله في الاخرة

سورة والضحي

والضحي ذكر في الشمس وضحاها والليل اذا سجي فيه اربعة اقوال
اذا اقبل واذا دبر واذا اظلم واذا سكن اي استقر واستوي او سكن
فيه الناس والاصوات ومنه ليلة ساجية اذا كانت ساكنة الريح
وطرف ساج اي ساكن غير مضطرب النظر وهذا اقرب في الاشتقاق
وهو اختيار ابن عطية ما ودعك ربك وما قلي بتشديد الدال
من الوداع وقري بتخفيفها بمعني ما تركك والوداع مبالغة في

الترك

في الترك وما قلي اي ما ابغضك وحذف ضمير المفعول من قلي واوي
وهدي واغني اختصارا لظهور المعني ولموافقة رؤوس الاي وسبب
الاية ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي فقالت
قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت الاية تكذيبا لهم وقيل
رمي عليه السلام بحجر في اصبعه فدميت فمكث ليلتين او ثلاثا
لا يقوم فقالت امراة وما اري شيطان محمد الا تركه فنزلت الاية
وللاخرة خير لك من الاولي اي الدار الاخرة خير لك من الدنيا
قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالاخرة حاله بعد نزول السورة
وبالاولي حاله قبل نزولها وهذا بعيد والاول اظهر واشهر
ولسوف يعطيك ربك فترضي روي انه صلي الله عليه وسلم
قال لما نزلت اذا لا ارضي ان يبقي واحد من امتي في النار وقال
بعضهم هذا ارجي اية في القران وقال ابن عباس رضاه ان الله
وعده بالف قصر في الجنة بما يحتاج اليه من النعم والخدم وقيل
رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح انه وعد يعم كل ما اعطاه
في الاخرة وكل ما اعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين
وغير ذلك ووجدك ضالا فهدي معنيه ستة اقوال الاول وجدك
ضالا عن معرفة الشريعة فهداك اليها فالضلال عبارة عن التوقف الم يجدك
يتيما فاوي عدد الله نعمه عليه فيما مضي من عمره ليقيس عليه
ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوي رجاه ووجد في هذه
تتعدي الي مفعولين وهي بمعني علم فالمعني الم تكن يتيما فاواك
وذلك ان والده عليه السلام توفي وتركه في بطن امه ثم
ماتت امه وهو ابن خمسة اعوام وقيل ثمانية فكفله جده
عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما فكفله عمه
ابو طالب وقيل لجعفر الصادق لم نشا النبي صلي الله عليه
وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ووجدك ضالا

معرفة

يهدي فيه ستة اقوال احدها وجدك ضالا عن الشريعة فهداك
اليها فالضلال عبارة عن التوقف في امر الدين حتى جاء الحق من عند
الله فهو كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وهذا هو الاظهر
وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره ومعناه لم يكن يعرف تفصيل
الشريعة ولا فروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا اشرك
به لانه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها الثاني
وجدك في قوم ضلال فكانك واحد منهم وان لم تكن تعبد ما
يعبدون وهذا قريب من الاول الثالث وجدك ضالا عن
الهجرة فهداك اليها وهذا ضعيف لان السورة نزلت قبل الهجرة
الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس اليك وهدام
بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود الخامس انه من الضلال
عن الطريق وذلك انه عليه السلام ضل في بعض شعاب مكة
اي تلف وهو صغير فرده الله الي جده وقيل بل ضل من مرضعته
حليمة فرده الله اليها وقيل بل ضل في طريق الشام حين خرج
اليها مع ابي طالب السادس انه من الضلال بمعنى المحبة اي وجدك
محبا لله فهداك اليه ومنه قول اخوة يوسف لابيهم تالله انك لفي
ضلالك القديم اي محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا
الاستاد ابو جعفر بن الزبير ووجدك عايلا فاغنى العايل
الفقير يقال عال الرجل فهو عايل اذا كان محتاجا واعال فهو
معيل اذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناه
عليه السلام هو ان اعطاه الله الكفاف وقيل هو رضاه بما
اعطاه الله وقيل معناه وجدك فقيرا اليه فاغناك به
فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تغلبه على ماله وحقه لاجل ضعفه
او لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهي
يعم جميعها واما السايل فلا تنهر النهر هو الانتهار والزجر فالنهي

عنه

عنه امر بالقول الحسن والدعا للسايل كما قال تعالى فقل لهم قولا
ميسورا ويحتمل ان يريد بالسايل سايل الطعام وهذا هو الاظهر
او السايل عن العلم والدين وفي قوله تقهر وتنهر لزوم ما يلزم
من التزام الها قبل الرا واما بنعمة ربك فحدث قيل معناه بث
القران وبلغ الرسالة والصحيح انه عموم في جميع النعم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ولذلك
كان بعض السلف يقول اعطاني الله كذا ولقد صليت البارحة
كذا وهذا انما يجوز اذا ذكره على وجه الشكر او ليقتدي
به فاما على وجه الفخر والريا فلا يجوز انظر كيف ذكر الله
في هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا
فقابل قوله الم يجدك يتيما بقوله فاما اليتيم فلا تقهر
وقابل قوله ووجدك ضالا بقوله واما السايل فلا تنهر
على قول من قال انه السايل عن العلم وقابله بقوله واما
بنعمة ربك فحدث على القول الاخر وقابل قوله ووجدك
عايلا فاغنى بقوله واما السايل فلا تنهر على القول الاظهر
وقابله بقوله واما بنعمة ربك فحدث على القول الاخر

سورة الم نشرح

الم نشرح لك صدرك هذا توقيف معناه اثبات شرح صدره
عليه السلام وتعديد ما ذكر بعده من النعم وشرح صدره
عليه السلام هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة
وقيل هو شق جبريل لصدره في صغره عليه السلام او في
وقت الاسرا حين اخرج قلبه وغسله ووضعنا عنك وزرك
فيه ثلاثة اقوال الاول قول الجمهور ان الوزر الذنوب ووضعها
غفرانها كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وهذا على قول مجوز صغاير الذنوب على الانبيا وعلى ان ذنو

الثاني ان الوزر هو اثقال النبوة وتكاليفها ووضعها عنه هذا هو
اعانته عليها وتمهيد عذره بعدما بلغ الرسالة الثالث ان العذر
تحريه قبل النبوة اذ كان يرى ان قومه على ضلال ولم يأته
من الله امر واضح فوصفه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة
الذي انقض ظهرك عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه
قال الحارث المحاسبي انما وصفت ذنوب الانبيا بالثقل وهي
صغاير مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهي ثقيلة عندهم
لشدة خوفهم من الله وهي خفيفة عند الله وهذا كما جا
في الاثر ان المومن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق
يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق انفه واشتقاقه انقض
ظهرك من نقض البنيان وغيره او من النقيض وهو الصوت
فهو يسمع لظهوره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شي ثقيل ورفعنا
لك ذكرك اي نوهنا باسمك وجعلناه شهيرا في المشارق
والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله في الاذان والخطب
والتشهد وفي مواضع من القران وقد روي في هذا حديث ان الله
قال له اذا ذكرت ذكرت معي فان قيل لم قال لك صدرك
ولك ذكرك مع ان المعنى مستقل دون لك فالجواب ان لك تدل
على الاعتنا به والاهتمام بامره فان مع العسر يسرا هذا وعد
باليسر مع العسر وانما ذكره بلفظ مع التي تقتضي المقارنة ليدل
على قرب اليسر من العسر فان قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله
فالجواب انه عليه السلام كان بمكة هو واصحابه في عسر من
اذاية الكفار ومن ضيق الحال فوعده الله باليسر وقد تقدم
تعديد النعم تسلية وتانيسا لتطيب نفسه ويقوي رجاوه
كانه يقول ان الذي انعم عليك بهذه سينصرك الله ويظهرك
ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر ان مع العسر

يسرا

يسرا مبالغة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يغلب
عسر يسرين وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود وتاويله
ان العسر المذكور في هذه السورة واحد لان الالف واللام للعهد
كقولك جاني رجل فاكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل
ان اليسر الاول في الدنيا والثاني في الاخرة فاذا فرغت فانصب
هو من النصب بمعنى التعب والمعنى اذا فرغت من امر فاجتهد
في اخر ثم اختلف في تعيين الامرين فقيل اذا فرغت من الفرايض
فانصب في النوافل وقيل اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعا
وقيل اذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك
والى ربك فارغب قدم المجرور ليدل على الحصر اي لا ترغب الا الى ربك وحده

سورة التين

والتين والزيتون فيهما قولان احدهما انه التين الذي يوكل والزيتون
الذي يعصر اقسم الله بهما لفضيلتهما على الثمار روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكل مع اصحابه تينا فقال لو قلت ان
فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه
فانه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه
وسلم نعم السواك الزيتون فانه من الشجرة المباركة هي
سواكي وسواك الانبيا من قبلي القول الثاني انهما موضعان
ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام احدهما بدمشق ينبت
فيه التين والاخر بايليا ينبت فيه الزيتون فكانه ومنابت
التين والزيتون وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد
بيت المقدس وقيل التين مسجد نوح والزيتون مسجد ابراهيم
والاظهر انهما موضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد
عيسى او مسكنه وذلك ان الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم
عليه موسى والبلد الذي بعث منه محمد عليهم السلام

فتكون الاية نظير ما في التوراة ان الله تعالي جا من طور سينا وطلع من
ساعر وهو موضع عيسي وظهر من جبل فاران وهي مكة واقسم
الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالانبيا المذكورين
وطور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسي وهو بالشام
اضافه الله الي سينين مبارك فهو من اضافة الموصوف الي
الصفة وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينينة قال الاخفش
وقال الزمخشري ويجوز ان يعرب اعراب الجمع المذكر بالواو
وان تلزم اليا وتحرك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين
هو مكة باتفاق والامين من الامانة او من الامن لقوله اجعل
هذا البلد امنا لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فيه قولان
احدهما ان احسن التقويم هو احسن الصوره وكمال العقل
والشباب والقوة واسفل سافلين الضعف والهرم والخرف
فهو كقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق وقوله ثم جعل من
بعد ضعف قوة وشيبة وقوله الا الذين امنوا بعد هذا غير
متصل بما قبله والاستثنا علي هذا القول منقطع بمعني
لكن لانه خارج عن معني الكلام الاول والاخر ان حسن التقويم
الفطره علي الايمان واسفل سافلين الكفر او تشويه الصوره
في النار والاستثنا علي هذا متصل لان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لم يردوا اسفل سافلين غير ممنون قد ذكر
فما يكذبك بعد بالدين فيه قولان احدهما انه خطاب للنبي
صلي الله عليه وسلم والدين شريعته والمعني اي شي
يكذبك بالدين بعد هذه الدلايل التي تشهد بصحة نبوتك
والاخر انه خطاب للانسان الكافر والدين علي هذا الشريعة
او الجزا الاخروي ومعني يكذبك علي هذا يجعلك كاذب
لان من انكر البعث فهو كافر والمعني اي شي يجعلك كاذبا

بسبب

بسبب كفرك بالدين بعد ان علمت ان الله خلقك في احسن تقويم ثم
ردك اسفل سافلين ولاشك انه يقدر علي بعثك كما قدر علي
هذا فلاي شي تكذب بالبعث والجزا اليس الله باحكم الحاكمين تقرير
ووعيد للكفار بان يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اذا قراها قال بلي وانا علي ذلك من الشاهدين

سورة العلق

نزل صدرها بغار حرا وهو اول ما نزل من القران حسبما ورد
عن عايشة في الحديث الذي ذكرناه في اول الكتاب اقرا
باسم ربك فيه وجهان احدهما ان معناه اقرا القران مفتتحا
باسم ربك وموضع اسم ربك نصب علي الحال واذا كان تقديره
مفتتحا فيحتمل ان يريد ابتدا القران ببسم الله الرحمن الرحيم
او يريد الابتدا باسم الله مطلقا الثاني ان معناه اقرا هذا اللفظ
وهو باسم ربك الذي خلق ليكون اسم ربك مفعولا وهو المقروء
الذي خلق حذف المفعول لقصد العموم كانه قال الذي خلق
كل شي ثم خصص خلقة الانسان لما فيه من العجايب والعبر
ويحتمل انه اراد الذي خلق الانسان ثم فسره بقوله خلق
الانسان من علق والعلق جمع علقة وهي النطفة من الدم
والمراد بالانسان هنا جنس بني ادم ولذلك جمع العلق لما اراد
الجماعة بخلاف قوله فانا خلقناكم من نطفة ثم من علقة لانه
اراد كل واحد علي حدته ولم يدخل ادم في الانسان هنا
لانه لم يخلق من نطفة وانما خلق من طين اقرا وربك الاكرم
كرر الامر بالقراة تاكيدا والواو للحال والمقصود تانيس النبي
صلي الله عليه وسلم كانه يقول افعل ما امرت به فان ربك
كريم وصيغة افعل للمبالغة الذي علم بالقلم هذا تفسير
للكريم فدل ذلك علي ان نعمة التعليم اكبر نعمة من التعليمات

ذخر

الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا وقرا ابن الزبير علم الخط بالقلم علم الانسان مالم يعلم يحتمل ان يريد بهذا التعليم الكتابة لان الانسان لم يكن يعلمها في اول امره او يريد التعليم لكل شي على الاطلاق وقيل ان الانسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاظهر انه جنس الانسان على العموم كلا ان الانسان ليطغى نزل هذا وما بعده الى اخر السورة في ابي جهل بعد نزول صدرها بمدة وذلك انه كان يطغى لكثرة ماله ويبالغ في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وكلا هنا يحتمل ان تكون زجرا لابي جهل او بمعنى حقا او استفتاح ان راه استغنى في موضع المفعول من اجله اي يطغى لاجل غناه والروية هنا بمعنى العلم بدليل اعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك الا في افعال القلوب والمعنى راى نفسه استغنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى اتفق المفسرون ان العبد الذي صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان الذي نهاه ابو جهل لعنه الله وسبب الاية ان ابا جهل جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في المسجد الحرام فهم بان يصل اليه ويمنعه من الصلاة وروي انه قال لين رايته يصلي لاطان عنقه فجاه وهو يصلي ثم انصرف مرعوبا فقيل له ما منعك فقال لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنى مني لاختطفته الملايكة عضوا عضوا ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده بمعنى اخبرني لكنها سوال يفتقر الى جواب وفيها معنى التعجب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب من غير تعيين وهي تتعدى

الي

الى مفعولين وجاءت بعدها ان الشرطية في موضعين وهما قوله ان كان على الهدى وقوله ان كذب وتولى فيحتاج الى الكلام في مفعولي ارايت في المواضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضماير المتصلة بهذه الافعال وهي ان كان على الهدى وامر بالتقوى وكذب وتولى على من تعود هذه الضماير فقال الزمخشري ان قوله ينهى عبدا اذا صلى هو المفعول الاول لقوله ارايت الاولى وان الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني وكررت ارايت بعد ذلك للتاكيد فهي زايدة لا تحتاج الى مفعول وان قوله الم يعلم بان الله يرى هو جواب قوله ان كذب وتولى وان جواب قوله ان كان على الهدى محذوف يدل عليه جواب قوله ان كذب وتولى فهو في المعنى جواب الشرطين معا وان الضمير في قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى للذي نهى عن الصلاة وهو ابو جهل وكذلك الضمير في قوله ان كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا اخبرني عن الذي ينهى عبدا اذا صلى ان كان هذا الناهي على الهدى او ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى جميع احواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الاية تهديد له وزجر واعلام بان الله يراه وخالفه ابن عطية في الضماير فقال ان الضمير في قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى للعبد الذي صلى وان الضمير في قوله للذي كذب وتولى للذي نهى عن الصلاة وخالفه في جعله ارايت الثانية مكررة للتوكيد فقال انها من المواضع الثلاثة توقيف وان جوابها في المواضع الثلاثة قوله الم يعلم بان الله يرى فانه يصلح مع كل واحد ولكنه جا به في اخر الكلام اختصارا وخالفهما ايضا الغزنوي في الجواب فقال ان جواب قوله ان كان على الهدى محذوف فقال ان تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى اليس هو

علي الحق واتباعه واجب والضمير علي هذا يعود علي العبد الذي صلي
وقا قال ابن عطية لين لم ينته لنسفعا بالناصية اوعد ابا جهل ان لم
ينته عن كفره وطغيانه ان ياخذ بناصيته فيلقي في النار والناصية
مقدم الراس فهو كقوله يوخذ بالنواصي والاقدام والسفع هنا الجذب
والقبض علي الشي وقيل هو الاحراق من قولك سفعته النار واكد لنسفعا
باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالالف مراعاة للوقف وبظهر
في ان هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل واخذ بناصيته
فجر الي القليب ناصية كاذبة خاطية ابدل ناصية من الناصية
ووصفها بالكذب والخطية تجوزا والكاذب الخاطي في الحقيقة
صاحبها والخاطي في الحقيقة الذي يفعل الذنب متعمدا والمخطي
الذي يفعله بغير قصد فليدع ناديه النادي والندي المجلس
الذي يجلس فيه الناس وكان ابوجهل قد قال ما يتوعدني
محمد والله ما بالوادي اعظم ناديا مني فنزلت الاية تهديد وتعجيز
له والمعني فليدع اهل ناديه لنصرته ان قدروا علي ذلك
ثم اوعده بان يدعوا الزبانية وهم الملايكة الموكلون بالعذاب
والزبانية في اللغة الشرط واحدهم زبنيه وقيل زبني وفي
الحديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو دعي
ناديه لاخذته الزبانية عيانا واسجد واقترب اي تقرب
الي الله بالسجود كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهد وافي الدعا
وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزايم السجود

سورة القدر

اختلف الناس في سورة القدر علي ستة عشر قولا وهو انها
ليلة احدي وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة
خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين

فهذه خمسة اقوال في ليالي الاوتار في العشر الاواخر من رمضان
علي قول من ابتدا عد تمامن اول العشر وقد ابتدا بعضهم
عدها من اخر الشهر فجعل ليالي الاوتار ليلة ثلاثين لانها الاولي
وليلة ثمان وعشرين لانها الثالثة وليلة ست وعشرين لانها
الخامسة وليلة اربع وعشرين لانها السابعة وليلة اثنين
وعشرين لانها التاسعة فهولا خمسة اقوال اخر فتلك عشرة
اقوال والقول الحادي عشر انها تدور في العشر الاواخر ولا
تثبت في ليلة واحدة منه القول الثاني عشر انها تمنية
في رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلي الله عليه وسلم
التمسوها في العشر الاواخر الثالث عشر انها مخفية في العام
كله الرابع عشر انها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان
باطلان لان الله قال انا انزلناه في ليلة القدر وقال شهر
رمضان الذي انزل فيه القران فدل ذلك علي ان ليلة القدر
في رمضان القول الخامس عشر انها رفعت بعد النبي صلي
الله عليه وسلم وهذا ضعيف القول السادس عشر انها
ليلة سبعة عشر من رمضان لان وقعة بدر كانت صبيحة هذه
الليلة وارجح الاقوال انها ليلة احدي وعشرين من رمضان او
ليلة ثلاث وعشرين او ليلة سبع وعشرين وقد جا في هذه
الليالي احاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والاشهر انها ليلة
سبع وعشرين انا انزلناه في ليلة القدر الضمير في انزلناه للقران
دل عليه سياق الكلام وفي ذلك تعظيم للقران من ثلاثة اوجه
احدها انه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة علي شهرته
والاستغنا عن تسميته والثاني انه اختار لانزاله افضل
الاوقات والثالث ان الله اسند انزاله الي نفسه وفي كيفية
انزاله في ليلة القدر قولان احدهما انه انزله فيها ولا اخر

انزال القران فيها جملة واحدة الي السما ثم نزل به جبريل الي الارض
بطول عشرين سنة وقيل المعني انزاله في شان ليلة القدر
وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الامور فيها
او من القدر بمعني الشرف ويترجح بقوله فيها يفرق كل امر حكيم
وما ادراك ما ليلة القدر هذا تعظيم لها قال بعضهم ما قال
فيه ما ادراك علمه النبي صلي الله عليه وسلم وما قال فيه ما يدريك
لم يعلمه ليلة القدر خير من الف شهر معناه ان من قامها كتب الله
له اجر العبادة في الف شهر قال بعضهم يعني في الف شهر ليس
فيها ليلة القدر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه وسبب الاية ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله الف شهر فعجب المسلمون
من ذلك وراوا ان اعمارهم تقصر عن ذلك فاعطاهم الله ليلة
القدر وجعلها خيرا من العبادة في تلك المدة الطويلة وروي
ان الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما عوتب حين بايع
معاوية فقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي في
المنام بني امية ينزون علي منبره نزو القردة واعلمه انهم
يملكون امر الناس الف شهر فاهتم لذلك فاعطاه الله ليلة
القدر وهي خير من مدة ملك بني امية ثم كشف الغيب انه كان من
بيعة الحسن لمعاوية الي قتل مروان الجعدي اخر ملوك بني
امية بالمشرق الف شهر تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم
الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملايكة
لا تراهم الملايكة الا تلك الليلة وتنزلهم هو الي الارض وقيل الي
السما الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمومنين القايمين
فيها من كل امر هذا متعلق بما قبله والمعني ان الملايكة يتنزلون

ليلة

٥٩٢

ليلة القدر من اجل كل امر يقضي الله في ذلك العام فانه روي ان
الله يعلم الملايكة بما يكون من الاجال والارزاق وغير ذلك ليمتثلوا
ذلك في العام كله وقيل علي هذا ان من بمعني الباء اي يتنزلون بكل
امر وهذا ضعيف وقيل ان المجرور يتعلق بما بعده والمعني انها
سلام من كل امر ثم ابتدا قوله سلام هي واختلف في معني
سلام هي فقيل انه من السلامة وقيل انه من التحية لان الملايكة
يسلمون علي المومنين القايمين فيها وكذلك اختلف في اعرابه
فقيل سلام هي مبتدا وخبر تقديره هي سلام سوا جعلناه
متصلا بما قبله او منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدا مضمر
تقديره امر سلام او القول فيها سلام وهو مبتدا خبره حتي مطلع
الفجر اي هي دايمة الي طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الاعراب
وقال ابن عباس ان قوله هي اشارة الي انها ليلة سبع وعشرين
لان هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلم السورة

وخبره هذا سبع

سورة لم يكن

ذكر الكفار ثم قسمهم الي صنفين اهل الكتاب والمشركين وذكر ان جميعهم
لم يكونوا منفكين حتي تاتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث
رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعني منفكين منفصلين ثم اختلف
في هذا الانفصال علي اربعة اقوال احدها ان المعني لم يكونوا
منفصلين عن كفرهم حتي تاتيهم البينة لتقوم عليهم
الحجة الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة سيدنا محمد صلي
الله عليه وسلم حتي بعثه الله الثالث اختاره ابن عطية
وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتي بعث الله اليهم
رسولا يقيم عليهم الحجة الرابع وهو الاظهر عندي ان المعني لم
يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتي بعث الله لهم سيدنا محمد صلي
الله عليه وسلم فقامت عليهم الحجة لانهم لو انفصلت الدنيا

دون بعثه لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر
ولا حجة فتنعكس على هذا كقولك لاتبرح او لاتزول حتي يكون كذا
وكذا رسول من الله يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعرابه
بدل من البينة او خبر ابتدا مضمر يتلوا صحفا مطهرة يعني القران
فيها كتب قيمة اي قايمة بالحق مستقيمة المعني ووزن قيمة فيعلة
وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا علي حذف مضاف تقديره
فيها احكام كتب ولا يحتاج الي هذا الحذف لان الكتب يعني المكتوبات
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي ما اختلفوا
في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا
انه حق ويحتمل ان يريد تفرقهم في دينهم كقوله ولقد اتينا
موسي الكتاب فاختلف فيه وانما خص الذين اوتوا الكتاب
بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في اول السورة لانهم كانوا
يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما
يجدون في كتبهم من ذكره وما امروا الاية معناها ما امروا
في التوراة والانجيل الا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا
ويحتمل ان يكون ما امروا في القران الا بعبادة الله فلاي شي
ينكرون ويكفرون به مخلصين له الدين استدل المالكية
بهذا علي وجوب النية في الوضوء وهو بعيد لان الاخلاص
هنا التوحيد وترك الشرك الجلي وضد الاخلاص في الاعمال
هو الشرك الخفي وهو الريا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الريا الشرك الاصغر وقال عليه الصلاة والسلام
فيما يرويه عن ربه انه تعالي يقول انا اغني الاغنيا عن الشرك
فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشريكه واعلم ان الاعمال
علي ثلاثة انواع مامورات ومنهيات ومباحات فاما المامورات
فالاخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث

لايشوبها نية اخري فان كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وان
كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيا وية او مدح او
غير ذلك فالعمل ريا محض مردود وان كانت النية مشتركة
نفي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال واما المنهيات فان تركها
دون نية خرج عن عهدتها مع الاجر واما المباحات كالاكل
والنوم والجماع وشبه ذلك فان فعلها بغير نية لم يكن فيها
اجر وان بنية وجه الله فله فيها اجر فان كل مباح يمكن ان يكون
قربة اذا قصد به وجه الله مثل ان يقصد بالاكل القوة على
العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام حنفا جمع حنيف
وقد ذكر وذلك دين القيمة تقديره الملة القيمة او الجماعة
القيمة وقد فسرنا القيمة والمعني ان الدين امر وابه من عبادة
الله والاخلاص له واقام الصلاة وايتا الزكاة هو دين الاسلام
فلاي شي لايدخلون فيه البرية الخلق لان الله براهم اي اوجدهم
بعد العدم وقري بالهمز وهو الاصل وبالبا وهو تخفيف من
المهموز وهو اكثر استعمالا عند العرب رضي الله عنهم ورضوا عنه
اختلف هل هذا في الدنيا او في الاخرة فرضاهم عن الله في الدنيا
تقبله والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا ورضاهم عنه في الاخرة هو رضاهم بما اعطاهم فيها
ورضي الله عنهم لما ورد في الحديث ان الله يقول يا اهل الجنة
هل تدرون شيئا ازيدكم فيقولون يا ربنا واي شي نريد وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول عندي افضل من
ذلك وهو رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك لمن خشي ربه
اي خافه وهذا دليل علي فضل الخوف قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم خوف الله راس كل حكمة **سورة الزلزلة**
اذا زلزلت الارض اي حركت واهتزت **زلزالها** مصدر وانما
اضيف اليها تقويلا لانه يقول الزلزال الذي يليق بها على عظمة
جرمها **واخرجت الارض اثقالها** يعني الموتى الذين في جوفها
وذلك عند النفخة الثانية في الصور وقيل هي الكنوز وهذا
ضعيف لان اخراجها الكنوز وقت الدجال **وقال الانسان مالها**
اي يتعجب من شانها فيحتمل ان يريد جنس الانسان او الكافر
خاصة لانه هو الذي يرى حينئذ مالم يظن حينئذ **يومئذ**
تحدث اخبارها هذه عبارة عما يحدث الله فيها من الاهوال
فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو نطق حقيقي تخبر على
الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى
الى مفعولين حذف الاول منهما والتقدير تحدث الخلق اخبارها
واقترح بعض المحدثين من قوله تحدث اخبارها ان قول
المحدث حدثنا واخبرنا سواء وهذه الجملة هي جواب اذا زلزلت
وتحدث هو العامل في اذا ويومئذ بدل من اذا ويجوز ان
يكون العامل في اذا مضمر وتحدث عامل في يومئذ **بان**
ربك اوحى لها الباء سببيه تتعلق بتحدث اي تحدث بسبب
ان الله اوحى لها ويحتمل ان يكون بان ربك اوحى لها بدلا من
اخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى
على هذا تحدث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل ان يكون
الهاما او كلاما بواسطة الملايكة ولها بمعنى اليها وقيل
معناه اوحى الى الملايكة من اجلها وهذا بعيد **يومئذ يصدر**
الناس اشتاتا معنى اشتاتا مختلفين في احوالهم وواحد
الاشتات شت وصدر الناس هو انصرافهم من موضع ورودهم

فقيل

فقيل الورود هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث
وقيل الورود القيام للحشر والصدر الانصراف الى الجنة او الى
النار وهذا اظهر وفيه يظهر التفاوت بين احوال الناس
فيظهر كونهم اشتاتا **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** المثقال
هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة والروية هنا ليست
بروية بصر وانما هي عبارة عن الجزا وذكر الله مثقال الذره
تنبيها على ما هو اكبر منه من طريق الاولى كانه قال من يعمل
قليلا او كثيرا وهذه الاية هي للمومنين لان الكافر لا يجازى
في الاخرة على حسناته اذ لم تقبل منه واستدل اهل السنة
بهذه الاية على انه لا يخلد مومن في النار لانه اذا خلد لم
ير ثوابا على ~~اعماله~~ ايمانه وعلى ما عمل من الحسنات وروي
عن عايشة انها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك
فقالت لم فيها من مثقال ذره وسمع رجل هذه الاية عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبي لا ابالي ان
لا اسمع غيرها **ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** هذا على عمومه
في حق الكافر واما الكافرون فلا يجزون بذنوبهم الا بستة شروط
وهي ان تكون ذنوبهم كباير وان يموتوا قبل التوبة منها
وان لا تكون لهم حسنات ارجح في الميزان منها وان لا يشفع
فيهم وان لا يكون ممن استحق بعمل كاهل بدر وان لا يعفو الله
عنهم فان المومن العاصي في مشية الله ان شا عذبه وان شا
غفر له **سورة العاديات**
اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها
الخيل او الابل وعلى القول بانها الخيل اختلف هل يعني
خيل المجاهدين او الخيل على الاطلاق وعلى القول بانها

الابل هل يعني ابل غزوة بدر او ابل المجاهدين مطلقا او ابل
الحجاج او الابل على الاطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها
والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد وليس بصهال وهو
مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا وهو مصدر في موضع
الحال تقديره العاديات في حال ضبحها والموريات من قولك
اوريت النار اذا اوقدتها والقدح هو صك الحجارة فتخرج
منها شعلة نار وذلك عند ضرب الارض بارجل الخيل او
الابل واعراب ضبحا كاعراب قدحا والمغيرات من قولك اغارت
الخيل اذا خرجت للاغارة على اعدائها وصبحا ظرف زمان لان
عادة اهل الغارة في الاكثر ان يخرجوا في الصباح فاثرن به نقعا
هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لان تقديره التي
تعدوا والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو
الصبح فالبا ظرفية او للمكان الذي يقتضيه المعنى فالبا
ايضا ظرفية او للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات
فالبا سببية ومعنى اثرن حركن والضمير الفاعل للابل
وللخيل اي حركن الغبار عند مشيهن فوسطن به جمعا
معنى وسطن توسطن والجمع اختلف هل المراد به جمع
من الناس او المزدلفة لان اسمها جمع والضمير المجرور
للوقت او المكان او العدو او للنقع ان الانسان لربه لكنود
هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير ان الانسان
لنعمة ربه لكفور والانسان جنس وقيل الكنود العاصي
وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض
وانه على ذلك لشهيد الضمير للانسان او هو شاهد على
نفسه بكنوده وقيل هو لله تعالى على معنى التهديد والاول

ارجح

ارجح لان الضمير الذي بعده باتفاق فيجري الكلام على نسق وانه لحب الخير
لشديد الخير هنا المال لقوله ان ترك خيرا والمعنى ان الانسان شديد الحب للمال
فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا انه
البخيل من اجل حب المال والاول اظهر افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور اي بعث
عنه وذلك عبارة عن البعث وحصل ما في الصدور اي جمع ما في الصحف
واظهر محصلا اي ميز خيره من شره ان ربهم بهم يومئذ لخبير
الضمير في ربهم وبهم يعود على الانسان لانه يراد به الجنس وفي
هذه الجملة وجهان احدهما ان هذه الجملة معمول افلا يعلم فكان
الاصل ان تفتح ان ولكنها كسرت من اجل اللام التي في خبرها والثاني
ان تكون هذه الجملة مستانفة ويكون معمول افلا يعلم محذوفا
ويكون الفاعل ضميرا يعود على الانسان والتقدير افلا يعلم الانسان
حاله وما يكون منه اذا بعثر ما في القبور ثم استانف ان ربهم بهم
يومئذ لخبير على وجه التاكيد والبيان للمعنى المتقدم والعامل
في اذا بعثر على هذا الوجه هو افلا يعلم والعامل فيه على ما يقتضيه
قول ابن عطية هو المفعول المحذوف واذا هنا ظرفية بمعنى حين
ووقت وليست شرطية والعامل في يومئذ خبير وانما خص
ذلك بيوم القيامة لانه يوم الجزاء وقصد التهديد مع ان الله خبير
على الاطلاق

سورة القارعة

القارعة من اسماء القيامة لانها تقرع القلوب باهوالها وقيل
هي النفخة في الصور لانها تقرع الاسماع ما القارعة مبتدا وخبر في
موضع الخبر القارعة والمراد به تعظيم شانها وكذلك ما ادراك
ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث العامل في
الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تقرع في يوم والفراش
هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويرد وحول المصباح
والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة

بدني كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل انه شبههم به لتساقطهم
في جهنم كما يتساقط الفراش في المصابيح قال بعض العلما الناس في
اول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لانهم يجيئون ويذهبون على
غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون الى ناحية المشرق فيكونون
حينئذ كالجراد المنتشر لان الجراد يقصد الى جهة واحدة وقيل
الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف وتكون الجبال كالعهن
المنفوش العهن هو الصوف وقيل الصوف الاحمر وقيل الصوف
الملون الوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لانها تتفتت وتتطاير
متفرقة وعلى القول بانه الملون يكون التشبيه ايضا من
طريق اختلاف الوان الجبال لان منها بيضا وحمرا وسودا
من ثقلت موازينه هو جمع ميزان او جمع موزون وميزان يوم
القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور وقال قوم هو عبارة
عن العدل في عيشة راضية معناه ذات رضى عند سيبويه
وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن
خفة موبقة لان الايمان يوزن فيه فامه هاوية فيه ثلاثة
اقوال احدها ان الهاوية جهنم سميت بذلك لان الناس يهوون
فيها اي يسقطون وامه معناه ماواه كقولك المدينة ام فلان
اي مسكنه على التشبيه بالام لام الوالده لانها ماوى الولد
وموجبه الثاني ان الام هي الوالده وهاوية ساقطة وذلك
عبارة عن هلاكه كقولك ام بكلى اذا هلك الثالث ان المعنى
ام راسه هاوية في جهنم اي ساقطة فيها لانه يطرح فيها
منكوسا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لرجل لا ام لك فقال يا رسول الله تدعوني الى الهدى وتقول
لي لا ام لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
اردت لا نار لك قال الله تعالى فامه هاوية وهذا يويد

القول

القول الاول وما ادراك ما هية الهاء للسكت والضمير لجهنم
على القول بانها الهاوية وهو المنزلة والمضلة الذي يراد
بها العذاب على القول الثاني والثالث والمقصود تعظيمها
ثم فسرها بقوله نار حامية سورة التكاثر
هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى الهاكم شغلكم والتكاثر
المباهات بكثرة المال والاولاد يقول هولا نحن اكثر ويقول
هولا نحن اكثر ولما قراها النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول ابن ادم مالي مالي وليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت او تصدقت فامضيت حتى زرتم المقابر
فيه ثلاثة اقوال احدها ان معناه حتى متم فزرتموها بزيارة و
المقابر والدفن فيها الثاني ان معناه حتى ذكرتم الموتى الذين
في المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لان بعض العرب
تفاخروا بالموتى فالمعنى الهاكم التكاثر حتى بلغتم به
الى ذكر الموتى الثالث ان معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم
اهلها والتفاخر بهم فيقول هذا قبر فلان ليشتهر اسمه ذكره
ويعظم قدره كلا سوف تعلمون زجر وتهديد ثم كرره للتاكيد
وعطفه بثم اشارة الى ان الثاني اعظم من الاول وقيل
سوف تعلمون في القبر ثم كلا سوف تعلمون يوم القيامة
وقيل الاول تهديد للكفار والثاني تهديد للمومنين وحذف
معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم او تعلمون ان
القران حق او تعلمون انكم كنتم على خطا في اشتغالكم بالدنيا
وانما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع اعظم ما يخطر بباله
لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم
واستعددتم للاخرة فينبغي الوقف على اليقين ومعمول تعلمون
محذوف ايضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم

الذي لا يشك منه قال بعضهم هو من اضافة الشيء الى نفسه
كقولك دار الاخرة وقال الزمخشري معناه علم الامور التي
تتيقنوها بالمشاهدة لترون الجحيم هذا جواب قسم محذوف
وموقف بو لمفعول لو تعلمون تقديره لو تعلمون عاقبة امركم
ثم فسرها بانها رؤية والتفسير بعد الابهام يدل على
التهويل والتحويل والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وان
منكم الا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية يراد على
هذا ايراد بها الدخول فيها ثم لترونها عين اليقين هذه
تاكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتقبيح
والعين هنا يراد بهما من قولك عين نفسه وذاته اي لترونها
الرؤية التي هي نفس اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هذا اخبار
بالسوال في الاخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الامن والصحة وقيل
الطعام والشراب وهذه امثلة والصواب العموم في كل ما يتلذذ
به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكنك وخرقة
توارى وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال عليه
الصلاة والسلام كل نعيم مسول عنه الا نعيم في سبيل الله واكل يوما
عليه الصلاة والسلام مع اصحابه رطبا وشربوا عليه فقال
هذا من النعيم الذي تسئلون عنه

سورة العصر

والعصر فيه ثلاثة اقوال الاول انه صلاة العصر اقسم الله بها
لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تفوته صلاة
العصر كانما وتر اهله وماله الثاني انه العشي اقسم به كما اقسم
بالضحى ويويد هذا قول ابي بن كعب سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن العصر فقال اقسم ربكم باخر النهار الثالث انه
الدهر الزمان ان الانسان لفي خسر الانسان هنا جنس ولذلك
استثنى منه الذين امنوا فهذا استثناء متصل وتواصوا بالحق

اي

اي اوصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق الاسلام وما يتضمنه
وفيه اشارة الى كذب الكفار وفي الصبر اشارة الى صبر المومنين
على اذاية الكفار لهم بمكة

سورة الهمزة

ويل لكل همزة لمزة هو على الجملة الذي يعيب الناس وياكل
اعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة
واختلف في الفرق بين الكلمتين فقيل الهمزة في الحضور واللمزة
في الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد واللمز باللسان
وقيل هما سوا ونزلت السورة في الاخنس بن شريق لانه كثير
الوقيعة في الناس وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد
ابن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه
الصفات وعدده اي احصاه وحافظ على عدده ان لا ينتقص
منه من الخيرات وقيل معناه استعده وذخره عدة لحوادث
الزمان يحسب ان ماله اخلده اي يظن لفرط جهله واغتراره
ان ماله يخلده في الدنيا وقيل يظن ان ماله يوصله الى دار
الخلد كلا رد عليه فيما ظنه لينبذن في الحطمة هذا جواب قسم
محذوف والحطمة هي جهنم وانما سميت حطمة لانها تحطم ما يلقى
فيها وتلتهمه وقد عظمها بقوله ما ادراك ثم فسرها بانها
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اي تبلغ القلوب باحراقها
قال ابن عطية يحتمل ان يكون المعنى انها تطلع على ما في القلوب
من العقائد والنيات باطلاع الله اياها [illegible] موصدة مغلقة في عمد
ممددة العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع وقرئ عمد
بضمتين والعمود هو المستطيل من حديد او خشب والممددة
الطويلة وفي المعنى قولان احدهما ان ابواب جهنم اغلقت عليهم
ثم مددت على ابوابها عمد تشديدا في الاغلاق والثقاف كما تثقف
ابواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بموصدة والاخر انهم

اعطاه الله في الدنيا والاخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير
فان قيل ان النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله فالمعني
انه علي العموم الثالث ان الكوثر القران الرابع انه كثرة الاصحاب
والاتباع الخامس انه التوحيد السادس انه الشفاعة السابع انه
نور وضعه الله في قلبه ولاشك ان الله اعطاه هذه الاشيا كلها
ولكن الصحيح ان المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتدرون ما الكوثر
هو نهر اعطانيه الله وهو الحوض انيته عدد نجوم السما فصل لربك
وانحر فيه خمسة اقوال الاول انه امره بالصلاة علي الاطلاق
وبنحر الهدي والضحايا الثاني انه صلي الله عليه وسلم كان
يضحي قبل صلاة العيد فامران يصلي ثم ينحر فالمقصود
تاخير نحر الاضاحي من الصلاة الثالث ان الكفار كانوا يصلون
مكا وتصدية وينحرون للاصنام فقال الله لنبيه عليه
الصلاة والسلام صل لربك وحده وانحر له اي لوجهه
لا لغيره فهو علي هذا امر بالتوحيد والاخلاص الرابع ان معني
انحر ضع يدك اليمني علي اليسري عند صدرك في الصلاة فهو علي
هذا من النحر وهو الصدر الخامس ان معناه ارفع يديك عند
نحرك في افتتاح الصلاة ان شانئك هو الابتر الشانئ هو المبغض
وهو من الشنان بمعني العداوة ونزلت هذه الاية في العاصي بن
وايل وقيل في ابي جهل علي وجه الرد عليه اذ قال ان محمدا
ابتر اي لا ولد له ذكر فاذا مات استرحنا منه وانقطع امره
بموته فاخبر الله ان هذا الكافر هو الابتر وان كان له اولاد لانه
مبتور من رحمة الله اي مقطوع عنها ولانه لا يذكر اذا ذكر الا باللعنة
بخلاف النبي صلي الله عليه وسلم فان ذكره خالد الي اخر الدهر
مرفوع علي المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمومنون من

زمانه

زمانه الي يوم القيامة اتباعه فهو لولاده سورة الكافرون
سبب هذه السورة ان قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة
وامية بن خلف والعاصي بن وايل وابو جهل ونظراوهم قالوا
يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد الهتنا سنة ونعبد الهك
سنة فقال معاذ الله ان نشرك بالله شيئا ونزلت السورة
في معني البراة من الهتهم ولذلك قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم من قراها فقد بري من الشرك لا اعبد ما تعبدون
هذا اخبار انه لا يعبدا صنامهم فان قيل لم كرر هذا المعني
بقوله ولا انا عابد ما عبدتم فالجواب من وجهين الحدهما
قاله الزمخشري وهو ان قوله لا اعبد ما تعبدون يريد في
الزمان المستقبل وقوله ولا انا عابد ما عبدتم يريد به فيما
مضي اي ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون
ذلك مني الان الثاني قاله ابن عطية وهو ان قوله لا اعبد
ما تعبدون لما كان يحتمل ان يراد به زمان الحال خاصة قال
ولا انا عابد ما عبدتم ابدا ما عشت وهذا معترض لان لا النافية
اذا دخلت علي الفعل المضارع خلصته للاستقبال فقوله
لا اعبد لا يحتمل ان يراد به الحال ويحتمل عندي ان يكون
قوله لا اعبد ما تعبدون يريد به في المستقبل علي حسب
ما تقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله ولا انا عابد
ما عبدتم يريد به الحال فتحصل من المجموع نفي عبادته
للاصنام في الحال والاستقبال ومعني الحال في قوله ولا انا
عابد ما عبدتم اظهر من معني المضي الذي قاله الزمخشري
ومن معني الاستقبال فان قولك ما زيد قايم تنفي الجملة الاسمية
تقتضي الحال ولا انتم عابدون ما اعبد ثم هذا اخبار ان هولا
الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح انه لن يومن من قومك الامن

قدامن الان هذا في قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روي ان هولا الجماعة المذكورين ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي ابن وايل والاسود بن المطلب وامية بن خلف وابي بن خلف وابنا الحجاج وكلهم ماتوا كفار فان قيل لم قال ما اعبد بما دون من التي هي موضوعة لمن يعقل فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ذلك لمناسبة قوله لا اعبد ما تعبدون فان هذا واقع على الاصنام التي لا تعقل ثم حمل ما اعبد على طريقته لتناسب اللفظ الثاني انه اراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري الثالث ان ما مصدرية والتقدير لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وهذا ضعيف فان قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا انتم عابدون ما اعبد مرة اخرى فالجواب من وجهين احدهما قاله الزمخشري وهو ان الاول في الحال والثاني فيما مضى والاخر قاله ابن عطية وهو ان الاول في الحال والثاني في الاستقبال فهو حتم عليهم ان لا يومنوا ابدا لكم دينكم ولي دين اي لكم شرككم ولي توحيدي وهذه براة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

سورة النصر

سال عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين عن معنى هذه السورة فقالوا ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم يا عبد الله ما تقول انت قال هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الله بقربه اذا النصر والفتح فقال عمر ما اعلم منها الا ما علمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويويده قول عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة واسلم العرب

جعل

يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اني استغفرك يتاول القران اي هذه السورة وقال لها مرة ما اراه الا حضر اجلي وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى ايام التشريق في حجة الوداع وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ونحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع اذا جا نصر الله والفتح يعني بالفتح فتح مكة والطايف وغيرها من البلاد التي فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس النصر فتح الحديبيه والفتح فتح مكة وقيل النصر اسلام اهل اليمن والاخبار بذلك كله قبل وقوعه اخبار بغيب فهو من اعلام النبوة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات فانه اسلم بعد الفتح بشر كثير فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في مكة عشرة الاف وكان معه في غزوة تبوك سبعون الفا وقال ابو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر وقد قيل ان عدد المسلمين عند موته مائة الف واربعة عشر الفا فسبح بحمد ربك واستغفره قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم فان قيل لم امره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب اجله فالجواب انه امره بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وامره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب اجله ليكون ذلك زادا للاخرة. وعدة للقا

سورة ابي لهب

سببها انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى باعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال لهم اني نذير

ذكم بين يدي عذاب شديد ثم انذرهم عموما وخصوصا فقال له ابو
جهل تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت السورة تبت يدي ابي لهب
معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وابو لهب هو عبد العزى
ابن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان من اشد الناس عداوة له فان قيل لم ذكره الله
بكنيته دون اسمه فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان
كنيته كانت اغلب عليه من اسمه كابي بكر وغيره وقيل
انه انما كني بابي لهب لتلهب وجهه جمالا الثاني انه لما كان
اسمه عبد العزى عدل عنه الى الكنية الثالث انه لما كان
من اهل النار والتهب كناه ابو لهب ولتناسب قوله سيصلى
سيصلى نارا ذات لهب ما اغنى عنه ماله وما كسب
يحتمل ان تكون ما نافية او استفهامية يراد بها النفي وماله
راس ماله وما كسب الربح او ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه
لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب اولاده سيصلى نارا
ذات لهب هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك
كافرا وامراته حمالة الحطب اسم امراته ام جميل بنت حرب
ابن امية وهي اخت ابي سفيان وعمة معاوية وفي وصفها
بحمالة الحطب اربعة اقوال احدها انها كانت تحمل حطبا وشوكا
فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتوذيه الثاني
ان ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل حطبا
بين الناس اي يوقد بينهم نار العداوة بالنمايم الثالث انه
عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب
على فلان اذا قصد الاضرار به الرابع انه عبارة عن ذنوبها
وسوء اعمالها في جيدها حبل من مسد الجيد العنق والمسد
الليف وقيل الحبل المفتول وفي المراد بها ثلاثة اقوال

الاول

٦٠٢

الاول انه احيانا زعن حملها الحطب في الدنيا على القول الاول وفي
ذلك تحقير لها وللخساسة حالها والاخران حالها في جهنم يكون
كذلك اي يكون في عنقها حبل الثالث انها كانت لها قلادة فاخرة
فقالت لانفقها على عداوة محمد فاخبر عن قلادتها بحبل المسد
على جهة التفاول والذم لها وتبريرها ويحتمل قوله وامراته
وما بعده وجوها من الاعراب يختلف الوقف عليها باختلافها
وهي ان يكون وامراته مبتدا وحمالة الحطب خبره او يكون
حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد او يكون
امراته معطوفا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت او خبر
ابتدا مضمر

سورة الاخلاص

سبب نزول هذه السورة ان اليهود دخلوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانه
وصف نفسه في التوراة ونسبها فارتعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة
وقيل ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الاولى تكون السورة مدنية
لان سوال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية
واختلف في قوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل
ثلث القران فقيل ان ذلك في الثواب اي لمن قراها من الاجر مثل
من قرا ثلث القران وقيل ان ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم
وذلك ان علوم القران ثلاثة توحيد واحكام وقصص وقد
اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القران بهذا الاعتبار
وهذا اظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث ويويده ان في بعض
الروايات ان الله جزا القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد
جزا من اجزا القران وخرج النسائي ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم سمع رجلا يقراها فقال اما هذا فقد غفر له وفي رواية
انه قال وجبت له الجنة وخرج مسلم ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم بعث رجلا علي سرية فكان يقرا لاصحابه في الصلاة
قل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة
الرحمن فانا احب ان اقراها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اخبروه ان الله يحبه وفي رسول انه صلي الله عليه وسلم
قال للرجل حبك اياها ادخلك الجنة وخرج الترمذي ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد مايتي مرة
كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين
قل هو الله احد الضمير هنا عند البصريين ضمير الامر والشان
والذي يراد به التعظيم والتفخيم واعرابه مبتدا وخبره الجملة
التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدا واحد خبره وقيل
الله هو الخبر واحد بدل منه وقيل الله بدل واحد هو الخبر
واحد له معنيان احدهما ان يكون من اسما النفي التي لا تقع الا في
غير الواجب كقولك ما جا في احد وليس هذا موضع هذا المعني
وانما موضعه قوله ولم يكن له كفوا احد والاخر بمعني واحد
واصله وحد بواو ثم ابدلت من الواو همزة وهذا هو المراد
هنا واعلم ان وصف الله بالوحدانيه له ثلاثة معان كلها
صحيحة في حق الله تعالي الاول انه واحد لا ثاني معه فهو نفي
للعدد والاخر انه واحد لا نظير له ولا شريك كما يقال فلان
واحد عصره اي لا نظير له الثالث انه واحد لا ينقسم ولا يتبعض
والاظهر ان المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد علي
المشركين ومنه قوله تعالي والهكم اله واحد قال الزمخشري
احد وصف بالوحدانية ونفي الشركا قلت وقد اقام الله في

القران

القران براهين قاطعة علي وحدانيته وذلك في القران كثير جدا
واوضحها اربعة براهين الاول قوله افمن يخلق كمن لا يخلق [illegible]
لانه اذا ثبت ان الله تعالي خالق لجميع الموجودات لم يمكن ان يكون
واحد منها شريكا له والاخر قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا والثالث قوله لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا
الي ذي العرش سبيلا والرابع قوله وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلي بعضهم علي بعض وقد فسرنا هذه الايات
في مواضعها وتكلمنا علي حقيقة التوحيد في قوله والهكم اله
واحد الله الصمد في معني الصمد ثلاثة اقوال احدها
انه السيد الذي يصمد اليه في الامور اي يلجا اليه والاخر انه
لا ياكل ولا يشرب فهو كقوله وهو يطعم ولا يطعم والثالث انه
الذي لا جوف له والاول هو المراد هنا علي الاظهر ورجحه
ابن عطية بان الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة
اليه كما في غيرهم تصمد اليه اذ لا تقوم بانفسها ورجحه شيخنا
الاستاذ ابو جعفر بن الزبير بورود معناه في القران حيث
ما ورد نفي الولد عن الله تعالي كقوله في مريم قالوا اتخذ
الله ولدا ثم اعقبه بقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي
الرحمن عبدا وقوله بديع السموات والارض اني يكون له ولد
وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا بل له ما في السموات والارض وكذلك
هنا ذكر مع قوله لم يلد فيكون برهانا علي نفي الولد قال الزمخشري
صمد فعل بمعني مفعول لانه مصمود اليه في الحوايج لم يلد
هذا رد علي كل من جعل لله ولدا فمنهم النصاري في قولهم عيسي
ابن الله واليهود في قولهم عزير ابن الله والعرب في قولهم الملايكة
بنات الله وقد اقام البراهين في القران علي نفي الولد واوضحها
اربعة اقوال الاول ان الولد لا بد ان يكون من جنس والده

٢٠

والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن ان يكون له ولد واليه الاشارة
بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام فوصفهما بصفات الحدوث لينفي
عنهما صفات القدم فبطل مقالة الكفار الثاني ان الولد انما يتخذ للحاجة
اليه والله لا يفتقر الى شي فلا يتخذ ولدا والى هذا اشار بقوله
قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني الثالث ان جميع الخلق عباد
الله والعبودية تنافي البنوه والى هذا اشار بقوله ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والرابع انه لا يكون لشيه
ولد الا من له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد
والى هذه الاشارة بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولم يولد هذا رد على من قال انسب لنا ربك وذلك لان كل
مولود محدث والله تعالى هو الاول الذي لا افتتاح لوجوده
القديم الذي كان ولم يكن معه غيره فلا يمكن ان يكون مولودا
تعالى عن ذلك ولم يكن له كفوا احد الكفو هو النظير المماثل
قال الزمخشري يجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا
للصاحبة وهذا بعيد والاول هو الصحيح ومعناه ان الله
ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز في كفوا ضم الفا واسكانها
مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز ايضا كسر الكاف واسكان
الفا ويجوز كسر الكاف وفتح الفا والمد ويجوز فيه الهمز والتسهيل
وانتصب كفوا على انه خبر كان واحد اسمها قال ابن عطية يجوز
ان يكون كفوا احد حالا لكونه صفة للنكرة فتقدم عليها فان
قيل لم قدم المجرور وهو قوله على اسم كان وخبرها وشان الظرف
اذا وقع غير خبر ان يوخر فالجواب من وجهين احدهما انه قدم
للاعتنا به والتعظيم لانه ضمير الله تعالى وشان العرب تقديم
ما هو اهم واولى والاخر ان هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل

فايدة

٤٠٤

فايدة فانه ليس المقصود نفي الكفو مطلقا انما المقصود نفي الكفو
عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدمه
فان قيل ان قوله قل هو الله احد يقتضي نفي الولد والكفو فلم نص على
ذلك بعده فالجواب ان هذا من التجريد وهو تخصيص الشي بعد
دخوله في عموم ما تقدم كقوله وملايكته وجبريل وميكايل
ويفعل ذلك لوجهين يصح كل منهما هنا احدهما الاعتنا ولا شك ان
نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتنا به بالرد على من قال ذلك
من الكفار والاخر الايضاح والبيان فان دخول الشي في ضمن العموم
ليس كالنص عليه فنص على هذا تبيانا وايضاحا للمعنى ومبالغة
في الرد على الكفار وتاكيدا لاقامة الحجة عليهم سورة الفلق
قل اعوذ برب الفلق تقدم معنى اعوذ في التعوذ ومعنى رب في
اللغات والفاتحة وفي الفلق ثلاثة اقوال الاول انه الصبح ومنه
فالق الاصباح قال الزمخشري فعل بمعنى مفعول الثاني انه كلما
يفلقه الله كفلق الارض عن النبات والجبال عن العيون والسما
عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك الثالث
انه جب في جهنم وقد روي هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شر ما خلق هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على
انواع كثيرة اعاذنا الله منها وما هنا موصولة او موصوفة او مصدرية
ومن شر غاسق اذا وقب فيه ثلاثة اقوال الاول انه الليل اذا
اظلم ومنه قوله تعالى اذا غسق الليل وذلك قول الاكثرين وذلك ان
ظلمة الليل ينتشر عندها اهل الشر من الانس والجن ولذلك قيل في
المثل الليل اخفى للويل الثاني انه القمر خرج النساي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله
من شر هذا الغاسق اذا وقب والمعنى اذا دخل في الكسوف واذا
اظلم به الثالث انه الشمس اذا غربت والوقوب هو المعنى الظلمة

على

الظلمه او الدخول الرابع ان الغاسق الليل اذا حصل في الليل وهذا
قريب من الذي قبله الخامس الغاسق سقوط الثريا وكانت الاسقام
والطاعون تهيج عنده وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال النجم هو الغاسق فيحتمل ان يريد الثريا السادس انه الذكر اذا
قام حكي النقاش هذا القول عن ابن عباس السابع قال الزمخشري
يجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه الثامن
انه ابليس حكي ذلك السهيلي ومن شر النفاثات في العقد
النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية قال الزمخشري
هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو ان تنفث على
عقد تعقد في خيط او نحوه على اسم المسحور فيتضرره ذلك وحكي
ابن عطية انه حدثه ثقة انه راه عند بعض الناس بصحرا العرب
خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي اولاد الابل
فمنعها بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة جري ذلك الفصيل
الي امه فرضع في الحين قال الزمخشري ان في الاستعاذة من
النفاثات ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من مثل عملهن وهو
السحر ومن اثمهن في ذلك والاخر ان يستعاذ من خدعهن للناس
وفتنتهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن
والنفاثات بنا مبالغة والموصوف محذوف تقديره النسا
النفاثات او الجماعات النفاثات او النفوس النفاثات والاول
اصح لانه روي انه اشار الي بنات لبيد بن الاعصم اليهودي وكن ساحرات
سحرن هن وابوهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقدن له
احد عشر عقده فانزل الله المعوذتين احدى عشرة اية بعدد العقد
وشفى الله رسوله عليه الصلاة والسلام فان قيل لم عرف النفاثات
بالالف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد
مع ان الجميع مستعاذ منه فالجواب انه عرف النفاثات لنفيد

العموم

العموم لان كل نفاثة شريرة بخلاف الفاسق والحاسد فان شرهما
في بعض دون ومن شر حاسد اذا حسد الحسد خلق مذموم
طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال بعض العلما الحسد اول
معصية عصي الله بها في السما والارض اما في السما فحسد ابليس
لادم واما في الارض فقتل قابيل اخيه هابيل بسبب الحسد ثم ان
الحسد على درجات الاول ان يحب الانسان زوال النعمة عن اخيه
المسلم وان كانت لا تنتقل اليه بل يكره انعام الله على غيره ويتالم به
الثاني ان يحب زوال النعمة لرغبته فيها رجا انتقالها اليه الثالث
ان يتمني لنفسه مثل تلك النعمة من غير ان يحب زوالها عن غيره
وهذا جايز وليس بحسد وانما هو غبطة والحاسد يضر نفسه
ثلاث مضرات احدها اكتساب الذنوب لان الحسد حرام الثانية
سوء الادب مع الله تعالي فان حقيقة الحسد كراهية انعام الله
تعالي على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تالم قلبه
وكثرة همه وغمه فنرغب الي الله ان يجعلنا محسودين لا حاسدين
فان المحسود في نعمة والحاسد في كربة ونقمة ولله در القايل

وانى لارحم حاسدي لحر ما . ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم . في جنة وقلوبهم في نار

وقال اخر

ان يحسدوني فاني غير لايمهم . قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم . ومات اكثرنا غيظا بما يجد

ثم ان الحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم
يشتكي كانه مظلوم ولقد صدق القايل

كل العداوة قد ترجى ازالتها . الا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعرا

واظلم خلق الله من بات حاسدا . لمن بات في نعمايه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه الاية لسورة جمعت ايات وهي
مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين الخمسة على عينك
فان قيل لم قال اذا وقب واذا حسد فقيد باذا التي تقتضي تخصيص
بعض الاوقات فالجواب ان شر الحاسد ومضرته انما تقع اذا امضى
حسده حينئذ بغير بقوله او بفعله او باصابته بالعين فان عين
المحسود قاتلة واما اذا لم يمض حسده ولم يتعرض بمقتضاه
فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا ينجو منهن احد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد
ان لا يبغي ومخرجه من الطيرة لظن ان لا يحقق ومخرجه من الطيرة
ان لا يرجع فلهذا خصصه بقوله اذا حسد وكذلك الشر المخوف
بالليل انما هو اذا اظلم فلذلك خصصه بقوله اذا وقب
فان قيل ان قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كلما ذكر بعده
فلاي شي ذكر ما بعده فالجواب ان هذا من التجريد للاعتنا بالمذكور
ولقد تاكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي
سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

سورة الناس

قل اعوذ برب الناس ان قيل لم اضاف الرب الى الناس خاصة
وهو رب كل شي فالجواب ان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فخصهم بالذكر لانهم المعوذون بهذا التعويذ
والمتعوذون هنا دون غيرهم ملك الناس اله الناس هذا
عطف بيان فان قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بالملك ثم بالاله
فالجواب ان هذا على الترتيب في الارتقا الى الاعلى وذلك ان الرب
قد يطلق على كثير من الناس فيقال رب الدار وشبه ذلك فبدا به لاشتراك
معناه واما الملك فلا يوصف به الا احد من الناس وهم الملوك
ولا شك انهم اعلى من سائر الناس فلذلك جا بعد الرب واما

الاله

الاله فهو اعلى من الملك ولذلك لا يدعي الملوك انهم الهة فانما الاله واحد
لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فان قيل لم اظهر المضاف اليه
وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا اضمره في المرتين لتقدم ذكره
في قوله برب الناس او هلا اكتفى باظهاره في المرة الثانية فالجواب انه
لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الاظهار دون الاضمار وقصد
ايضا الاعتنا بالمكرر ذكره كقول الشاعر

لا ارى الموت يسبق الموت شي * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

الوسواس هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل ان
يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكانه اسم فاعل هذا يظهر من
قول ابن عطية الوسواس من اسما الشيطان ويحتمل ان يكون مصدرا
وصف به الموسوس على وجه المبالغة وقال الزمخشري انما المصدر
كالوصف بعدل وصوم او على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس
وقال الزمخشري انما المصدر وسواس بالكسر الخناس معناه
الراجع على عقبه المستتر احيانا وذلك بتمكن الشيطان فانه يوسوس
فاذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد منه ثم رجع اليه عند
الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك
الذي يوسوس في صدور الناس وسوسة الشيطان في صدر الانسان
بانواع كثيرة منها افساد الايمان والتشكيك في العقايد فان لم يقدر
على ذلك امره بالمعاصي فان لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات
فان لم يقدر على ذلك ادخل عليه الريا في الطاعات ليحبطها فان
سلم من ذلك ادخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك
انه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان
الى شر الاعمال واقبح الاحوال وعلاج وسوسته بثلاثة اشيا
وهي الاكثار من ذكر الله والاكثار بالاستعاذة بالله منه ومن انفع شي
في ذلك قراة هذه السورة والثالثة مخالفته والعزم على عصيانه

فان قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس فالجواب ان ذلك
اشارة الى عدم تمكن الوسوسة وانه غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر
حول القلب من الجنة والناس هذا بيان لجنس الوسواس وانه يكون من الجن
ومن الناس ثم ان الموسوس من الانس يحتمل ان يريد من يوسوس بخدعه واقواله
الخبيثة فانه شيطان كما قال تعالى شياطين الانس والجن او يريد به نفس
الانسان اذ تامره بالسوء فانها امارة بالسوء والاول اظهر وقيل ان الناس
معطوف على الوسواس كانه قال اعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس
وليس الناس على هذا ممن يوسوس والاول اظهر واشهر فان قيل لم ختم
القران بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك فالجواب من ثلاثة اوجه الاول
قال شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما كان القران من اعظم النعم على عباده
والنعم مظنة الحسد ختم بما يطفي الحسد من الاستعاذة بالله الثاني ظهر
لي ان المعوذتين ختم بهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما
نزلت علي ايات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في
التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان فافتتح القران بسورة لم ينزل
مثلها واختتم بسورتين لم ينزل مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام
الا ترى ان الخطب والرسائل والقصايد وغير ذلك من انواع الكلام
انما ينظر فيها الى حسن افتتاحها واختتامها الوجه الثالث يظهر لي
ايضا انه لما امر القارئ يفتتح قراته بالتعوذ من الشيطان الرجيم
ختم القران بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند اول القران
وعند اخر ما يقرا فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتدا
والانتها وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به
من اول امره الى اخره وبالله التوفيق لارب
غيره كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
والصلاة والسلام على من
لا نبي بعده
واله وصحبه
وجنده